

الْفَتْوحَانِ الْأَلَهِيَّتَانِ

بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية

تأليف

الإمام سليمان بن عمر الجعفي الشافعي

الشهير بالجمل

المتوفى ١٢٠٤ هـ

ضبطه وصممه وعززه آياته

إبراهيم شمس الدين

المجلد الرابع

المحتوى

من أول سورة يوسف - إلى آخر سورة الكهف



دار الكتب العلمية®

Dar Al-Kutob Al-Ilmiyah

DKI

أسستها مكتبة بيروت سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



baydoun@al-ilmiyah.com

sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

http://www.al-ilmiyah.com

الكتاب : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين
للدقائق الخفية

Title : AL-FUTŪHĀT AL-'ILĀHIYYA BITAWDĪḤ
TAFSĪR AL-JALĀLAYN LIL-DAQĀ'IQ
AL-ḤAFIYYA

(AN EXPLANATION OF AL-JALĀLAYN'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN)

التصنيف : تفسير القرآن

Classification: Science of Exegesis of the Qur'an

المؤلف : الإمام سليمان بن عمر العجلي "الجمال"
(ت ١٢٠٤ هـ)

Author : Al-Imam Sulayman ben Omar Al-Ojayli
"Al-Jamal" (D. 1204 H.)

المحقق : إبراهيم شمس الدين

Editor : Ibrahim Shamseddin

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

عدد الصفحات (أجزاء/٨ مجلدات) 3983

قياس الصفحات 17x24 cm

سنة الطباعة 2018 A.D. - 1439 H.

بلد الطباعة لبنان

الطبعة الخامسة

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Beirut-Lebanon No part of this publication may be
translated, reproduced, distributed in any form or by any
means, or stored in a data base or retrieval system, without
the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation
préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à
des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية
بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب
كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

**Dar Al-Kotob
Al-ilmiyah**

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13: 978-2-7451-1147-0

ISBN-10: 2-7451-1147-7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿الْمُتَيْنِ﴾ المظهر للحق من الباطل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما ختمت سورة هود بقوله: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ﴾ [هود: ١٢٠] الخ ذكرت هذه السورة بعدها لأنها من أنباء الرسل وقد ذكر أولاً ما لقي الأنبياء من قومهم، وذكر في هذه ما لقي يوسف من إخوته ليعلم ما قاسوه من أذى الأجانب والأقارب، فبينهما أتم المناسبة، والمقصود تسلية النبي بما لاقاه من أذى الأقارب والأبعد اهـ شهاب.

وفي الخازن وسبب نزول هذه السورة ما رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي ﷺ فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله هذه السورة اهـ.

وفي الخطيب واختلف في سبب نزول هذه السورة، فعن سعيد بن جبير أنه قال: لما أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فكان يتلوه على قومه فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزلت هذه السورة فتلاها عليهم، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ [الزمر: ٢٣] فقالوا: لو ذكرتنا فنزل ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد ١٦]. وعن ابن عباس أنه قال: سألت اليهود النبي ﷺ فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فنزلت السورة اهـ.

وسورة: مبتدأ ومكية خبر أول ومائة الخ خبر ثان قوله: (هذه الآيات) أي آيات هذه السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة اهـ خازن.

قوله: (المظهر للحق الخ) أي فهو من أبان المتعدي، وسيأتي في قوله: ﴿عَدُو مَبِين﴾ أنه من اللازم. وفي الخازن: المبين أي البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه، وقال الزجاج: مبين للحق من الباطل والحلال من الحرام، فهو من أبان بمعنى أظهر، وقيل: إنه بيّن فيه قصص الأولين وشرح أحوال المتقدمين اهـ.

قوله: (من الباطل) متعلق بالمظهر على تضمينه معنى المميز اهـ.

قوله: ﴿قُرْآنًا﴾ يجوز فيه ثلاثة أوجه، أحدها أن يكون بدلاً من ضمير أنزلناه أو حالاً موطئة منه،

أهل مكة ﴿تَقُولُوا﴾ تفهمون معانيه ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ﴾

والضمير في أنزلناه على هذين القولين يعود على الكتاب، وقيل: قرآنًا مفعول به، والضمير في أنزلناه ضمير المصدر، وعربياً نعت للقرآن، وجوز أبو البقاء أن يكون حالاً من الضمير في قرآنًا إذا تحمل ضميراً يعني إذا جعلناه حالاً مؤولاً بمشق أي: أنزلناه مجتمعاً في حال كونه عربياً، والعربي منسوب للعرب، لأنه نزل بلغتهم، وواحد العرب عربي: كما أن واحد الروم رومي اه سمين.

واختلف العلماء هل يمكن أن يقال في القرآن شيء غير عربي؟ قال أبو عبيدة: ومن قال فيه شيء غير عربي فقد أعظم على الله القول، واحتج بهذا الآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة أن فيه من غير العربي مثل سجيل والمشكاة وأليم واستبرق ونحو ذلك، وهذا هو الصحيح المختار، لأن هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب، وكلا القولين صواب إن شاء الله، ووجه الجمع بينهما أن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة، وإن كانت غير عربية في الأصل، لكنهم لما تكلموا بها نسبت إليهم وصارت لهم لغة، فظهر بهذا البيان صحة القولين، وأمكن الجمع بينهما اه خازن.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علة لإنزاله بهذه الصفة أي أنزلناه مجموعاً أو مقروءاً بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه أو تستعملوا فيه عقولكم، فتعلموا أن قصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور إلا بالإيحاء اه بيضاوي.

قوله: (تفهمون معانيه) أي لأنه نازل بلغتكم.

قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ من باب رد، والمصدر قصصاً بالفك وقصاً بالادغام، وفي المصباح: قصصت الخبر قصاً من باب قتل حدثه على وجهه، والاسم القصص بفتحيتين، وقصصت الأثر تتبعته اه.

وفي البيضاوي: القصص هنا بمعنى المفعول كالنقص والسلب بمعنى المنقوص والمسلوب اه.

قوله: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ مفعول مطلق أي قصصاً أحسن القصص، والمفعول به هذا القرآن، فقد تنازع فيه نقص وأوحينا، فأعمل الثاني وأضمر الثاني في الأول، ثم حذف لكونه فضلة، والتقدير نقصه أي القرآن اه شيخنا.

وفي السمين: وهذا القرآن يجوز فيه وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أن ينتصب على المفعول به بأوحينا والثاني: أن تكون المسألة من باب التنازع أعني بين نقص وبين أوحينا، فإن كلا منهما يطلب هذا القرآن، وتكون المسألة من إعمال الثاني، وهذا إنما يتأتى على جعلنا أحسن منصوباً على المصدر، ولم يقدر لنقص مفعولاً محذوفاً. وفي انتصاب أحسن وجهان، أحدهما: أن يكون منصوباً على المفعول به، وذلك إذا جعلت القصص مصدراً واقعاً موقع المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، أو جعلته فعلاً بمعنى مفعول كالقبض والنقص بمعنى المقبوض والمنقوض، أي: نقص عليك أحسن الأشياء المقتصة. والثاني: أن يكون منصوباً على المصدر المبين إذا جعلت القصص مصدراً غير مراد

هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ مَخْفَفَةٌ أَيْ وَإِنَّهُ ﴿كَتَبْتُ مِنْ قَبْلِهِ لِمَنْ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿٣﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَكْأَبُ﴾ بالكسر دلالة على ياء الإضافة المحذوفة والفتح دلالة على ألف محذوفة

به المفعول، ويكون المقصود على هذا محذوفاً أي نقص عليك أحسن الاقتصاص، وأحسن يجوز أن يكون أفعل تفضيل على باب، وأن يكون لمجرد الوصف بالحسن، ويكون من باب إضافة الصفة لموصوفها أي القصص الحسن اهـ.

وفي الخازن: أصل القصص في اللغة من قص الخبر إذا تتبعه، وإنما سميت الحكاية قصة، لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً، والمعنى نحن نبين لك أخبار الأمم السالفة أحسن البيان. وقيل: المراد خصوص قصة يوسف، وإنما كانت أحسن القصص لما فيها من الحكم والنكت وسير الملوك والممالك والعلماء ومكر النساء والصبر على الأذى والتجاوز عنه أحسن التجاوز، وغير ذلك الفوائد الشريفة. قال خالد بن معدان: سورة يوسف، وسورة مريم تتفكه بهما أهل الجنة في الجنة، وقال عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها اهـ.

قوله: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الباء سببية متعلقة بنقص، وما مصدرية أي بسبب إيحائنا اهـ سمين.

قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتَ﴾ الجملة حال، وقوله: (أَيُّ وَأَنَّهُ) أَيُّ: والشأن، وقوله: ﴿لِمَنْ الْغَافِلِينَ﴾ أي: عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تفرح سمعك قط اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ الخ في العامل في إذ أوجه، أظهرها أنه منصوب يقال يا بني أي قال يعقوب يا بني وقت قول يوسف له كيت وكيت، وهذا أسهل الوجوه إذ فيه إبقاء إذ على كونها ظرفاً ماضياً، وقيل: الناصب له الغافلين، قال مكي: وقيل هو منصوب بنقص أي نقص عليك وقت قوله: كيت وكيت، وهذا فيه إخراج إذ عن المضي وعن الظرفية وإن قدرت المفعول محذوفاً أي: نقص عليك الحال وقت قوله: (لِزِمَ إِخْرَاجُهَا عَنِ الْمَضِيِّ) وقيل: هو منصوب بضمير، أي اذكر، وقيل: هو منصوب على أنه بدل من أحسن القصص بدل اشتمال. قال الزمخشري: لأن الوقت يشتمل على القصص وهو المقصود اهـ سمين.

ويوسف اسم عبراني، ولذلك منع من الصرف، وعاش يوسف من العمر مائة وعشرين سنة، وعاش أبوه يعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة، وعاش جده إسحاق مائة وثمانين سنة، وعاش جده إبراهيم مائة وخمساً وسبعون ذكره السيوطي في التحبير قوله: (بِالْكَسْرِ) أي كسر تاء التأنيث اللفظي التي هي عوض عن ياء المتكلم المحذوفة، وأصله يا أباي فحذفت الياء وأتى بالتاء عوضاً عنها، ونقلت كسرة ما قبل الياء وهو الباء للتاء ثم فتحت الباء على القاعدة في فتح ما قبل تاء التأنيث، وقوله: والفتح والأصل عليه يا أباي بكسر الباء وفتح الياء ففتحت الباء ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها: ثم حذفت الألف وعوض عنها تاء التأنيث، وفتحت للدلالة على أن أصلها الألف المنقلبة عن الياء اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾ قرأ ابن عامر بفتح التاء، والباقون بكسرها، وهذه التاء عوض من ياء المتكلم، ولذلك لا يجوز الجمع بينهما إلا ضرورة، وهذا أي تعويض تاء التأنيث عن ياء المتكلم

قلبت عن الياء ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿يَٰ

مختص بلفظين يا أبة يا أمة، ولا يجوز في غيرهما من الأسماء لو قلت يا صاحبة لم يجز البتة، وممن نص على كونها للتأنيث سيبويه، فإنه قال: سألت الخليل عن التاء في يا أبة فقال: هي بمنزلة التاء في خالة وعمة يعني أنها للتأنيث، ويدل على كونها للتأنيث أيضاً كتبهم إياها هاء وقياس من وقف بالتاء أن يكتبها تاء كبت وأخت. ثم قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز لحوق تاء التأنيث بالذكر؟ قلت: كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربة و غلام يفعة. قلت: يعني أنها جيء بها لمجرد تأنيث اللفظ كما في الألفاظ المستشهد بها، ثم قال الزمخشري: فإن قلت: فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة؟ قلت: لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره. قلت: وهذا قياس بعيد لا يعمل به عند الحداق، فإنه يسمى الشبه الطردي يعني أنه شبه في السورة اهـ.

قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ (في المنام) أي فتتصب مفعولين، الأول: أحد عشر، والثاني: ساجدين، وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة، وكانت ليلة القدر، فرأى أن أحد عشر كوكباً نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له، وكان سن يوسف إذا ذاك اثنتي عشرة سنة، وقيل: سبع عشرة سنة، وقيل: سبع سنين، والمراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره، وقيل: المراد حقيقة السجود، لأنه كان التحية فيما بينهم السجود. قال ابن عباس: بين رؤيا يوسف هذه وبين تحققها بمصر واجتماعه بأبويه وأخوته أربعين سنة، وهذا قول أكثر المفسرين. وقال الحسن البصري: كان بينهما ثمانون سنة، وقال النووي: قال المازني: مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا أن الله يخلق في القلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، فإذا كان تلك الاعتقادات تسر خلقها الله بغير حضرة الشيطان، وإذا كانت تغم خلقها بحضرته، فهذا معنى قول النبي ﷺ: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» وليس معناه أن الشيطان يفعل شيئاً أهـ خازن.

وفي الخطيب: وعن أبي قتادة قال: كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحبه فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتفل عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فإنها لا تضره».

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره».

وعن أبي رزين العقيلي أن رسول الله ﷺ قال: «رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا حدث بها سقطت» قال: وأحبسه قال: «ولا تحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً» وأضيفت الرؤيا المحبوبة لله إضافة تشريف بخلاف الرؤية المكروهة وإن كانتا جميعاً من خلق الله تعالى وتديره وإرادته ولا فعل للشيطان فيها، ولكنه يحضر المكروهة ويرتضيها، فيستحب إذا رأى الشخص في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها وليتفل ثلاثاً وليتحول عن جنبه الآخر فإنها لا تضره، فإن الله تعالى جعل هذه

﴿سَاجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا

الأسباب سبباً للسلامة من المكروه كما جعل الصدقة سبباً لوقاية المال. قال الحكماء: لأن الرؤية الردية يظهر تعبيرها عن قريب، والرؤية الجيدة إنما يظهر تعبيرها بعد حين. قالوا: والسبب فيه أن رحمة الله تقتضي أن لا يحصل الإعلام بوصول الشر إلا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل، وأما الإعلام بالخير فإنه يحصل متقدماً على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير أكثر وأتم، ولهذا لم تظهر رؤية يوسف عليه السلام إلا بعد أربعين سنة، وهو قول أكثر المفسرين. وقال الحسن البصري: كان بينهما ثمانون حين اجتمع عليه أبواه وإخوته وخروا له ساجدين اهـ.

قوله: ﴿أحد عشر كوكباً والشمس والقمر﴾ وهي: جريان. والطارق. والذيل. وقابس. وعمودان. والفليق. والمصبح. والصروح. والفرع. ووثاب. وذو الكتفين. رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له اهـ بضاوي.

وقوله: (جريان) بفتح الجيم وكسر الراء المهملة وتشديد الياء التحتية منقول من اسم طرف القيص، وقابس بقاف وموحدة وسين مقتبس النار، وعمودان تثنية عمود، والفليق نجم منفرد، والمصبح ما يطلع قبل الفجر، والفرع بفاء وراء مهملة ساكنة وعين نجم عند الدلو، ووثاب بتشديد المثلثة سريع الحركة، وذو الكتفين تثنية كتف نجم كبير. وهذه نجوم غير مرصودة خصت بالرؤيا لغيبته عن اهـ شهاب.

قوله: ﴿رأيهم لي ساجدين﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: أنها جملة كررت للتوكيد لما طال الفصل بالمفاعيل كررت كما كررت أنكم في قوله: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ [المؤمنون: ٣٥] كذا قاله الشيخ، وسيأتي تحقيق هذا إن شاء الله تعالى.

والثاني: أنه ليس بتأكيد، وإليه نحا الزمخشري، فإنه قال: فإن قلت: ما معنى تكرار رأيهم؟ قلت: ليس بتكرار إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر﴾: كيف رأيته سائلاً عن حال رؤيتها؟ فقال: ﴿رأيهم لي ساجدين﴾.

قلت: وهذا أظهر لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد أو التأسيس فحملة على الثاني أولى اهـ سمين.

قوله: (جمع) أي ساجدين بالياء والنون أي بصيغة جمع العقلاء للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء، وهذا كثير شائع أنه إذ لابس الشيء الشيء من بعض الوجوه، فإنه يعطى حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابس والمقاربة، كقوله تعالى في صفة الأصنام: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ [الأعراف: ١٩٨] وكقوله: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل: ١٨] اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك﴾ الخ فهم يعقوب من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه

نَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴿٥﴾ يَحْتَالُوا فِي هَلَاكَ حَسَدًا لَعَلَّهُمْ بَتَّاءِيلَهَا مِنْ أَنَّهُمْ
الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿٦﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ظاهر العداوة
﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رأيت ﴿بِحَبْنِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبِّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَيُنِيرُ

على إخوته فخاف عليه حسدهم اهـ يبضاوي .

قوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ كاد يتعدى بنفسه كما في قوله: ﴿فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ [هود: ٥٥]
وعدى هنا باللام لتضمنه معنى فعل يتعدى بها، ولذا قال الشارح: يحتالوا في هلاكك. قال
الزمخشري: فإن قلت هلا قال فيكيدوك كما قال فكيدوني؟ قلت: ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد
معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن، فيكون أفيد وأبلغ في التخويف، وذلك نحو فيحتالوا
لك، ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وكيداً: مفعول به أي يصنعوا لك كيداً أي أمراً يكيدونك به اهـ
سمين .

قوله: (والشمس أمك الخ) هذا قول ابن جريج. وقال قتادة: الشمس أبوه والقمر أمه، وفي
الخازن: وكانت النجوم في التأويل إخوته، وكانوا أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم،
والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة: وقال السدي: القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت،
وقال ابن جريج: القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكر اهـ.

ولم يوجه قول قتادة ولعله لأن الشمس أقوى إشراقاً وضياء وتفسيرها بالأب أنسب لأنه نبي
رسول. وعبارته أي الخازن عند قوله: (أوى إليه أبويه) نصها: قال أكثر المفسرين: هو أبوه يعقوب
وخالته ليا، وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين، وقال الحسن: هو أبوه وأمه وكانت حية بعد، وقيل
إن الله أحيها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقاً لرؤياه والأول أصح اهـ.
قوله: (ظاهر العداوة) فهو من اللازم.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ (كما رأيت) الأظهر كما اجتنبك لهذه الرؤية. وفي البضاوي: وكذلك أي
وكما اجتنبك لمثل هذه الرؤية الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتنبك ربك للنبوة والملك أو لأمر
عظام، والاجتناء من جيت الشيء إذا حصلته لنفسك اهـ.

وفي الخازن: واجتناء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي تحصل منه أنواع المكرمات بلا سعي
من العبد، وذلك مختص بالأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين اهـ.

قوله: ﴿وَيَعْلَمُكَ﴾ مستأنف ليس داخلاً في حيز التشبيه والتقدير وهو يعلمك، والأحاديث جمع
تكسير، فقيل لواحد ملفوظ به وهو حديث، ولكنه شذ جمعاً على أحاديث، وله نظائر في الشذوذ
كأباطيل وأفاطيع وأعاريض في باطل وفطيع وعريض، وزعم أبو زيد أن لها واحداً مقدراً وهو أحدوثة
ونحوه، وليس باسم جمع، لأن هذه الصيغة مختصة بالتكسير، وإذا كانوا قد التزموا ذلك فيما لم يصرح
له بمفرد من لفظه نحو: عبايد وشماطيط وأبائيل ففي أحاديث أولى اهـ سمين .

قوله: (تعبير الرؤيا) تفسير للتأويل والأحاديث فالمراد بالرؤيا ما يرى في النوم، وسمي أحاديث
لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة، وأحاديث الشيطان والنفس إن كانت كاذبة اهـ يبضاوي .

يَعْمَهُ عَلَيْكَ ﴿٦﴾ بالنوبة ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا آتَيْنَاهَا﴾ بالنوبة ﴿عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٦﴾ في صنعه بهم ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وهم أحد عشر ﴿آيَاتٌ﴾ عبر ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ ﴿٧﴾ عن خبرهم اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي بعض إخوة يوسف

قوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ أي يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة. أما نعمة الدنيا؛ فالإكثار من الأولاد، والخدم والأتباع، والتوسع في المال، والجاه، والجلالة في قلوب الخلق، وحسن الثناء، والحمد. وأما نعمة الآخرة؛ فالعلوم الكثيرة، والأخلاق الفاضلة اهـ كرخي.

وقوله: ﴿عليك﴾ يجوز أن يتعلق بيتم، وأن يتعلق بنعمته، وكرر على في قوله: ﴿وعلى آل يعقوب﴾ ليتمكن العطف على الضمير المجرور، كما هو مذهب البصريين، وقد تقدم بيانه اهـ سمين. قوله: ﴿وعلى آل يعقوب﴾ لم يقل بالنوبة كسابقه ولا حقه لعله للخلاف فيهم اهـ شيخنا. قوله: ﴿إبراهيم وإسحاق﴾ يجوز أن يكونا بدلاً من أبويك أو عطف بيان أو على إضمار أعني اهـ سمين.

قوله: ﴿إن ربك عليم حكيم﴾ الأول إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام: ١٢٤]، والثاني: إشارة إلى أنه تعالى مقدس عن العيب، فلا يضع النبوة إلا في نفس قدسية، فإن قلت: هذه البشارات التي ذكرها يعقوب هل كان قاطعاً بصحتها أم لا، فإن كان قاطعاً بصحتها فكيف حزن على يوسف، وكيف جاز أن يشبهه عليه أن الذئب أكله، وكيف خاف عليه من إخوته أن يهلكوه، وكيف قال لإخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون مع علمه أن الله سينجي ويبيعه رسولاً؟ وإن قلنا إنه عليه الصلاة والسلام ما كان عالماً بهذه الأحوال، فكيف قطع بها، وكيف حكم بوقوعها جزماً من غير تردد؟ فالجواب: قال ابن الخطيب: لا يبعد أن يكون قوله: ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ مشروطاً بأن لا يكيدوه، لأن ذكر ذلك قد تقدم، وأيضاً فيبعد أن يقال إنه عليه السلام كان قاطعاً بأن يوسف سيصل إلى هذه المناصب إلا أنه لا يمتنع أن يقع في المضائق الشديدة ثم يتخلص منها ويصل إلى تلك المناصب، وكان خوفه بهذا السبب، ويكون معنى قوله: ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ الزجر عن التهاون في حقه، وإن كان يعلم أن الذئب لا يصل إليه اهـ خازن.

قوله: (وهم أحد عشر) وهم: يهوذا، وروبييل، وشمعون، ولاوي، وريالون، ويشجر، وهؤلاء من بنت خالة يعقوب ليا تزوجها يعقوب أولاً، فلما توفيت تزوج أختها راحيل، فولدت له بنيامين ويوسف. وقيل: جمع بينهما ولم يكن الجمع محرماً حينئذ، وأربعة آخرون: دان، ويغالي، وجاد، وأشر من سريتين زلفة وبلهة اهـ بيضاوي.

وقول الجلال أحد عشر بيان لأخوته، وإدخال بنيامين فيهم، لأن له مدخلاً في القصة في الجملة، وإن لم يكن له مدخل في قوله: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه﴾ الخ، فلم يحضر هذه الواقعة بخصوصها. هكذا يستفاد من أبي السعود فلا تنافي بين قول الشارح أحد عشر، وقول البيضاوي: عشرة لأنه نظر للذين صدر منهم الحسد والالقاء في البئر والبيع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿آيات للسائلين﴾ أي وغيرهم، ففيه اكتفاء، وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله ﷺ عن

لبعضهم ﴿لْيُؤَسِّفْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر ﴿إِلَّا آيِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا بَنَاءٌ لِّقِي ضَلَالٍ﴾ خطأ ﴿ثُمَّ يَنْبَغِي﴾ بين بياضهما علينا ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي

قصة يوسف، وقيل: سألوا عن انتقال أولاد يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر، فذكر قصة يوسف مع إخوته، فوجدوها مطابقة لما في التوراة فعجبوا منه، فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله ﷺ لأن ما أتى به وحي سماوي وعلم قدسي أوحاه الله إليه وعرفه به، ومعنى آيات للسائلين عبر للمعتبرين، فإن هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم، فمنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها، ومنها: حسد إخوته له وما آل إليه أمرهم، ومنها: صبر يوسف على ما فعلوا به وما آل إليه أمره من الملك، ومنها: حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل إليه أمره من بلوغ المراد، وغير ذلك من الآيات اـخازن.

قوله: (أي بعض إخوة يوسف) المراد بالإخوة هنا العشرة غير يوسف وبنيامين كما في الخازن، وقوله: ﴿لْيُؤَسِّفْ﴾ اللام موطئة للقسم تقديره والله ليوسف الخ اـه من الخازن.
قوله: (بنيامين) بكسر الباء وصحح بعضهم فتحها ففيه الوجهان اـه شهاب.
وهو أصغر من يوسف.

قوله: ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا﴾ أفعال تفضيل، وهو مبني من حب المبني للمفعول وهو شاذ، وإذا بنيت أفعال التفضيل من مادة الحب والبغض تعدى إلى الفاعل المعنوي بإلى، وإلى المفعول المعنوي باللام أو بقي. فإذا قلت: زيد أحب إليّ من بكر كان معناه أنك تحب زيدا أكثر من بكر، فالمتكلم هو الفاعل، وكذلك إذا قلت هو أبغض إليّ منه كان معناه أنت المبغض وإذا قلت: زيد أحب لي من عمرو، أو أحب في منه كان معناه إن زيدا يحبني أكثر من عمرو، وعلى هذا جاءت الآية الكريمة فإن الأب هو فاعل المحبة واللام في ليوسف لام الابتداء أفادت توكيد المضمون بالجملة. وقوله: ﴿أَحَبُّ﴾ خبر المثني، وإنما لم يطابق لما عرفت من حكم أفعال التفضيل، والواو في ونحن عصبه للحال، فالجملة بعدها في محل نصب على الحال، والعصبه ما زاد على عشرة. وعن ابن عباس ما بين عشرة وأربعين، وقيل: الثلاثة نفر، فإذا زادوا إلى تسعة فهم رهط، فإذا بلغوا العشرة فصاعداً فعصبه، وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة. وقيل: من عشرة إلى خمسة عشر. وقيل: ستة وقيل: تسعة. والمادة تدل على الإحاطة من العصابة لاحاطتها بالرأس اـه سمين.

وقوله: (وهو شاذ) وعليه يشكل وقوعه في القرآن إلا أن يجاب بأنه شاذ قياساً فصيح استعمالاً لوروده في أفصح الفصح تأمل. قوله: (بياضهما علينا) أي فمراهم الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها، فيقولون: نحن أنفع له من يوسف فهو مخطيء في صرف محبته إليه، لأننا أكبر منه سناً، وأشد قوة، وأكثر منفعة، فنقوم بمصالحه من أمر ديناه وإصلاح أمر مواشيه، وليس مرادهم من الضلال الضلال عن الدين إذ لو أرادوا ذلك لكفروا اـه خازن.

قوله: ﴿اقتلوا يوسف﴾ الخ لما قوي الحسد فيهم قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه، وذلك لا يحصل إلا بأحد أمرين: إما القتل، وإما التغريب إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه تفرسه

بأرض بعيدة ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهودا ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ

الأسود، أو يموت في تلك الأرض البعيدة اهـ خازن.

وفي القرطبي: وإنما قالوا هذا لأن خبر المنام بلغهم، فتشاوروا في كيد هـ.

فإن قلت: الذي فعله إخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد، والحسد من أمهات الكبائر، وكذلك نسبة أبيهم إلى الضلال وهو من محض العقوق وهو من الكبائر أيضاً، وكل ذلك قاذح في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فما الجواب عنه؟ قلت: لأن هذه الأفعال إنما صدرت من إخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم، والمعتبر في عصمة الأنبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها. وقيل: كانوا وقت هذه الأفعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ، فعلى هذا لم تكن هذه الأفعال قاذحة في عصمة الأنبياء عليهم السلام اهـ خازن.

وفي الكرخي: فإن قلت: كيف قالوا ذلك وهم أنبياء؟ قلنا: لم يكونوا أنبياء على الصحيح، وبتقدير أنهم كانوا أنبياء فإنما قالوا ذلك قبل نبوتهم. فالجواب: بأن ذلك من الصغائر أو بأنهم قالوه في صغرهم ضعيف اهـ.

وقال محمد بن إسحاق: اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم، وقد عفا الله عن ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله. وقال بعض أهل العلم: عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم، ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعاً وكل ذلك قبل أن نبأهم الله اهـ.

قوله: ﴿أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ في نصبه ثلاثة أوجه، أحدهما: أن يكون منصوباً على إسقاط الخافض أي في أرض كقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] وإليه ذهب الحوفي وابن عطية. الثاني: النصب على الظرفية قال الزمخشري: أي أرض منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واختلاؤها من الناس، ولأنها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة. والثالث: أنها مفعول ثان، وذلك أن يضمن اطرحوه معنى انزلوه، وأنزلوه يتعدى لاثنتين قال تعالى: ﴿انزِلْنِي منزلاً مباركاً﴾ [المؤمنون: ٢٩] وتقول: أنزلت زيدا الدار، والطرح: الرمي، ويعبر به عن الاقتحام في المخاوف. وجواب لكم: جواب الأمر وفيه الأدغام والظهار، وقد تقدم تحقيقهما عند قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ [آل عمران: ٨٥] اهـ سمين.

قوله: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ المراد سلامة محبته لهم ممن يشاركون فيها وينازعونهم إياها، فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ الخ وذلك أنهم لما علموا أن الذي عزموا عليه من الكبائر والذنوب قالوا: نتوب من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل اهـ خازن.

قوله: (بأن تتوبوا) وقيل: صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه، أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم اهـ بيضاوي.

وَأَلْقُوهُ ﴿ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ ﴾ مظلم البئر، وفي قراءة بالجمع ﴿ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ المسافرين ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَیْنَ ﴾ ما أردتم من التفريق فاكثفوا بذلك ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى

قوله: ﴿ قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ ﴾ الخ أي فلم يرَ هذا القاتل القتل، ولا طرحه في أرض خالية قفراء، بل في بئر تشرب منها المارة فإنه أقرب لخلاصه اهـ شهاب.

فمحصل ذلك أنه اختار خصلة ثالثة هي أرفق بيوسف من تينك الخصلتين. قوله: (هو يهودا) بدال مهملة وأصله بمعجمة بالعبرانية، لكن تصرف فيه العرب فأهملوها اهـ شيخنا.

وقال قتادة: هو روبييل وهو ابن خالته، وكان أكبرهم سنأ وأحسنهم رأياً فيه، فنهاهم عن قتله وقال: القتل كبيرة عظيمة، والأصح أن قاتل هذه المقالة هو يهودا لأنه كان أقربهم إليه سنأ اهـ خازن.

قوله: (مظلم البئر) أي ما أظلم منه أي قعره. قال الهروي: والغيابة سد أو طاق في البئر قريب الماء يغيب ما فيه عن العيون. وقال الكلبي: الغيابة تكون في قعر الجب، لأن أسفله واسع ورأسه ضيق، فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه. وقال الزمخشري: هي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله، والجب البئر التي لم تطو، وسمي بذلك إما لكونه محفوراً في جيوب الأرض أي ما غلظ منها، وإما لأنه قطع في الأرض، ومنه الجب في الذكر اهـ سمين.

وفي القرطبي: وجمع بين الغيابة والجب، لأنه أراد ألقوه في موضع مظلم من الجب حتى لا يلحقه نظر الناظرين. قيل هو بئر بيت المقدس، وقيل: هو بآردن. وقال وهب بن منبه، ومقاتل: هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب اهـ.

قوله: ﴿ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ وذلك لأن هذا الجب كان معروفاً يرد عليه كثير من المسافرين، والالتقاط أخذ الشيء من الطريق أو من حيث لا يحتسب، ومنه اللقطة يعني يأخذه بعض المسافرين، فيذهب به إلى ناحية أخرى فيستريحوا منه اهـ خازن.

والسيارة جمع سيار أي المبالغ في السير اهـ خطيب.
وفي المختار: والسيارة القافلة اهـ.

قوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فيه إشارة إلى ترك الفعل، فكأنه قال: لا تفعلوا شيئاً من القتل والتغريب، وإن عزمتم على الفعل ولا بد فافعلوا هذا القدر إي إلقاء في البئر اهـ خازن.

قوله: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا ﴾ الخ مبني على مقدمات محذوفة، وذلك أنهم قالوا أولاً ليوسف اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا فنستبق ونصيد، وقالوا له: سل أباك أن يرسلك معنا، فسأله فتوقف يعقوب، فقالوا له: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ الخ. وما: مبتدأ. ولك خبرها. أي شيء ثبت لك. وقوله: ﴿ لَا تَأْمَنَّا ﴾ حال، وقوله: ﴿ وَإِنَّا ﴾ الخ حال من الحال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ اتفق القراء على إخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضاً على ادغامها مع الاشمام اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: ومن الشواذ ترك الإدغام اهـ.

يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونُ ﴿١١﴾ لقائمون بمصالحه ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَع وَيَلْعَبُ﴾ بالنون والياء فيهما ننشط ونتسع ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَن تَذْهَبُوا﴾ أي ذهابكم

وفي السمين: وقرأ العامة تأمناً بالإخفاء وهو عبارة عن تضعيف الصوت بالحركة والفصل بين النونين، لأن النون تسكن رأساً فيكون ذلك إخفاء لا إدغاماً، وقرأ بعضهم ذلك بإشمام، وهو عبارة عن ضم الشفتين إشارة إلى حركة الفعل مع الإدغام الصريح، كما يشير إليه الواقف وفيه عسر كبير. قالوا: وتكون الإشارة إلى الضمة بعد الإدغام وقبل كماله، وقرأ أبو جعفر بالإدغام الصريح من غير إشمام، وقرأ الحسن ذلك بالإظهار مبالغة في بيان إعراب الفعل وللمحافظة على حركة الإعراب، واتفق الجمهور على الإخفاء أو الإشمام كما تقدم تحقيقه اهـ.

قوله: (لقائمون بمصالحه) عبارة الخازن: المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة، وقيل: البر والعطف، والمعنى وإنا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته ويحفظه. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنهم قالوا لأبيهم أرسله معنا. فقال يعقوب: إني ليحزنني أن تذهبوا به، فحيث قالوا: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنُ عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾، ثم قالوا ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿غَدًا﴾ أي في غد فهو منصوب على الظرفية، والغد اليوم الذي بعد يومك الذي أنت فيه اهـ شيخنا.

قوله: (بالنون والياء فيهما) أي في نرتع ونلعب سبعيتان. أي: قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بمثناة تحتية على إسناد الفعل ليوسف، والباقون بنون المتكلم إسناداً للكل، والرتع التمتع في أكل الفواكه ونحوها، واللعب بالاستباق والانتضال تمريناً لقتال الأعداء لا للهو، وسماه لعباً لشبهه به، كما أشار إليه في التقرير فلا يرد كيف قالوا ذلك مع أنهم كانوا بالغين عاقلين وأنبياء أيضاً على قول، وكيف رضي يعقوب بذلك منهم على قراءة النون اهـ كرخي.

ورتع من باب نفع كما في المصباح. قوله: (نتسع) أي نتفسح بأكل الثمار والفواكه راجع لرتع، وننشط أي بالمسابقة ورمي السهام راجع لنلعب، فالمراد بلعبهم المسابقة بالسهام كما سيأتي في قولهم إنا ذهبنا نستبق اهـ شيخنا.

وفي الخازن: الرتع: هو الاتساع في الملاذ يقال: رتع فلان في ماله إذا أنفق في شهواته، والأصل في الرتع أكل البهائم في الخصب من الربيع، ويستعار للإنسان إذ أريد به الأكل الكثير، واللعب معروف. قال الراغب: يقال لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً، وسئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذ أنبياء، ويحتمل أن يكون اللعب المراد به هنا الإقدام على المباحات لأجل انشراح الصدر، ومنه قوله ﷺ لجابر: «هلا بكراً تلاعبك وتلاعبها» أيضاً، فإن لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من تعلم المحاربة والإقدام على الاقتران في الحرب بدليل قوله: نستبق، وإنما سماه لعباً لأنه في صورة اللعب، وقيل: معناه نرتع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو وننشط اهـ.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ جملة حالية اهـ سمين.

﴿يَهُيْ﴾ لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون ﴿قَالُوا لَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا إِذَا لَخَّيْشِرُونَ﴾ عاجزون. فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَآجَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْحَبِّ﴾ وجواب لما محذوف أي فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانتته وإرادة قتله وأدلوه،

قوله: ﴿ليحزنني﴾ اللام زائدة في خبر إن، وقوله: (لفراقه) علة ليحزنني، والحزن ألم القلب بفراق المحبوب اهـ خازن.

قوله: (كثيرة الذئاب) هذا هو السبب في خوفه عليه، وقيل: سببه أنه كان رأى في المنام أن ذئباً شداً على يوسف، فكان يخاف عليه اهـ خازن.

والذئب: يهزم ولا يهزمز، وبعدم الهمز قرأ السوسي والكسائي وورش، وفي الوقف لا يهزمز حمزة اهـ سمين.

قوله: (مشغولون) أي بالمسابقة.

قوله: ﴿قالوا لئن أكله الذئب﴾ الخ أي قالوا ذلك جواباً عن عذره الثاني، وهو قوله: ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾، وأما عذره الأول وهو قوله: ﴿إني ليحزنني﴾ الخ فلم يجيبوا عنه إما لكونه الحزن زمنه قصير لانقضائه برجوعهم، وإما لأنه ليس غرضهم إزالة الحزن عنه، بل إيقاعه فيه والثاني هو المتعين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونحن عصابة﴾ جملة حالية، وقوله: ﴿إنا إذا﴾ جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم، وقوله: عاجزون أي والواقع أنا أقوياء اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: وخاسرون هنا إما من الخسار بمعنى الهلاك أو من خسران التجارة، وكلاهما غير مراد هنا، فهو إما مجاز عن الضعف والعجز لأنه يشبهه، أو سببه كما في قوله تعالى: ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ [المؤمنون: ٣٤] أي عاجزون أو المراد به استحقاقهم له، أو أن يدعي عليهم به وأشار البيضاوي إلى أنه يجوز أخذ ذلك من عدم الربح في التجارة بقوله مغبونون اهـ.

قوله: ﴿فلما ذهبوا به﴾ الخ مرتب على مقدر قدره الشارح بقوله: فأرسله معهم، وذلك المقدر معطوف على قوله سابقاً أرسله معناه غداً الخ شيخنا.

قال الحسن: كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التلاقي ثمانون سنة لم تجف فيها عينا يعقوب، وما على الأرض أكرم على الله منه اهـ خازن من عند قوله: ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾.

قوله: (عزموا) أي على إلقائه إشارة إلى معنى أصل الاجتماع أي: أصل معنى الاجتماع العزم المصمم، وأنه على حذف الجار من متعلقه أي على أن يجعلون اهـ شهاب.

قوله: (وجواب لما محذوف الخ) عبارة البيضاوي: وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب والبئر بئر القدس، أو بئر بأرض الأردن أو بئر بين مصر ومدين، أو بئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام، وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوه من الأذى، فقد روي أنهم لما برزوا به إلى

فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن

الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه، فصار يصبح ويستغيث، فقال يهودا: أما عاهدتموني على ألا تقتلوه، فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها، فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم، فقال: يا إخوتاه ردوا عليّ قميصي أتواري به. فقالوا له: ادع الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك، وأوحينا إليه وكان ابن سبع عشر سنة. وقيل: كان مراهقاً أوحى إليه في صغره، كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام. وفي القصص إن إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار جرد عن ثيابه، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، ودفعه إسحاق إلى يعقوب، فجعله في تيممة علقها بيوسف، فأخرجه جبريل عليه السلام وألبسه إياه. لتنبئهم بأمرهم هذا لتحدثهم بما فعلوا بك، وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك، وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلي والهيئات، وذلك إشارة إلى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون. إلى أن قال لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف الخ، فبشره بما يؤول إليه أمره إيناساً له، وتطيباً لقلبه. وقيل: هم لا يشعرون متصل بأوحينا أي آسناء بالوحي وهم لا يشعرون ذلك أه ييضاوي.

وفي الخازن: قيل: إن يعقوب لما بمثه مع إخوته أخرج له قميص إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي كساه الله إياه من الجنة حين ألقى في النار، فجعله يعقوب في قصبه من فضة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه الملك إياه حين ألقى في الجب فأضاء له الجب أه.

وعبارة الجلال نفسه في قوله: ﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾ نصها. وهو قميص إبراهيم الذي ألبسه حين ألقى في النار كان في عنقه في الجب، وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله، وقال: إن فيه ريحها، ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي أه.

قوله: (أي فعلوا ذلك) أي جعله في غيابة الجب، وقوله: (بأن نزعوا قميصه) أي بعد إدلائه في البئر أه.

قوله: (وأدلوه) معطوف على نزعوا، والإدلاء الإرسال كما سيأتي في كلامه، والمراد أنهم أدلوه قائماً أه شيخنا.

قوله: (ألقوه) أي بأن قطعوا الحبل وألقوه معه أه شيخنا.

قوله: (ثم أوى) أي التجأ إلى صخرة أي في قعر البئر، وقوله: (فنادوه) أي ليختبروه هل مات أو لا. قيل: إنه نزل عليه ملك فحلّ يديه وأخرج له الصخرة من البئر فأجلسه عليها. قال الحسن: لما ألقى يوسف في الجب عذب ماؤه، فكان يغنيه عن الطعام والشراب، ودخل عليه جبريل فأنس به، فلما أمسى نهض جبريل ليذهب، فقال: إنك إذا خرجت استوحشت. فقال له: إذا رهبت شيئاً فقل: يا صريخ المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري، فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب. وقال محمد بن أسلم الطائي: لما ألقى يوسف في الجب قال: يا شاهداً غير غائب، ويا قريباً غير بعيد، ويا غالباً غير

رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهودا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الجب وحي حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه ﴿لَتَنبِتَنَّهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿يَأْتِرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿بِكَ﴾ حال الإنباء ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِئُكَ نَرْمِيكَ بِكَ لَمَّا كُنَّا صُغُرًا﴾ عندك لا تهمتنا في هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وأنت تسيء الظن ﴿لَنَا وَلَكَ صِدْقٌ﴾

مغلوب اجعل لي فرجاً مما أنا فيه فما بات فيه، وقيل: إنه مكث في الجب ثلاثة أيام، وكان إخوته يرفعون حوله، وكان يهودا يأتيه بالطعام أهـ خازن.

قوله: (أو دونها) قيل: خمسة عشر، وقيل: اثني عشر، وقيل: سبعة عشر أهـ خازن.

قوله: (تطميناً لقلبه) متعلق بأوحينا أي: فهذا الوحي ليس إرسالاً بأحكام ولا إنباء أي: إعطاء للنبوة لما علمت أن سنه لم يبلغ أو أنها الذي هو الأربعون، بل هو تطمين لقلبه خصوصاً في هذا المكان في هذه الحالة، فجاء جبريل وأنسه، ويوضح هذا ما سيأتي له في قوله: ﴿ولما بلغ أشده﴾ الخ أهـ شيخنا.

قوله: (تطميناً لقلبه) أي حيث أعلمه بأنه سيخلصه مما هو فيه ويصيره مستولياً عليهم، ويصرون تحت أمره وقهره أهـ خازن.

قوله: ﴿لَتَنبِتَنَّهُمْ﴾ الخ أي كما سيأتي في قوله: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه﴾ [يوسف: ٥٨] الآية أهـ شيخنا.

قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من الهاء في لتنبتنهم كما يدل عليه قوله حال الإنباء أهـ شيخنا.
قوله: (بك) أي بأنك أنت يوسف.

قوله: ﴿عِشَاءً﴾ أي وقت العشاء ليكونوا في الظلمة أجراً على الاعتذار بالكذب، فلما بلغوا منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون، فسمع أصواتهم ففرغ من ذلك، وقال لهم: سألتكم بالله هل أصابكم شيء، وأين يوسف؟ فقالوا: ﴿يا أبانا إِنَّا ذَهَبْنَا﴾ الخ أهـ خازن.

قوله: (نرمي) أي تتناضل بالسهم حتى يظهر أينما سبق رمياً وهذا معنى قولهم سابقاً ونلعب أهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ الخ في هذا الكلام منهم فتح باب اتهامهم كما لا يخفى على صاحب الذوق أهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولو كنا صادقين﴾ جعل لها الشارح جواباً محذوفاً قدره بقوله لا تهمتنا، وبعد ذلك لا يظهر كونها امتناعية، لأن الغرض ثبوت الاتهام لا نفيه، ولو بمعنى أن الذي هو القليل فيها لأنه لا يظهر معه قوله: فكيف الخ فليتأمل أهـ شيخنا.

وفي أبي السعود وكلمة لو في أمثال هذه المواضع لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بادخالها على أبعادها

بنا ﴿وَجَاءَ عَلَى قَمِيصِهِ﴾ محله نصب على الظرفية أي فوقه ﴿يَدْمِرُ كَذِبٌ﴾ أي ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبَّرَ جَمِيلاً﴾ لا جزع فيه وهو خبر

منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوتها أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع غيره من الأحوال بطريق الأولوية، لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي، فلا أن يتحقق مع غيره أولى، ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال، ويكتفي عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجمع الأحوال المغايرة لها عند تعددها، وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله: ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] وفي سورة الأعراف عند قوله: ﴿أَوْ لَوْ كُنَّا كَارْهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨] اهـ بحروفه.

قوله: (محله نصب الخ) لكن على أنه معمول لحال محذوفة من دم، والتقدير وجاءوا بدم كذب حال كونه كائناً فوق قميصه، ولا يصح أن يكون ظرفاً لجاءوا لثلا يلزم أن مجيئهم مستعل على القميص بالركوب أو غيره، وهذا غير مراد كما لا يخفى اهـ شيخنا.

قوله: (أي ذي كذب) أشار به إلى أن في الآية وصف الدم بالمصدر على سبيل المبالغة، فكأنه نفسه صار كذباً، والفاعل والمفعول يسميان بالمصدر، كما يقال: ماء سكب أي مسكوب، والفاعل كقوله: إن أصبح مأوكم غوراً، وكما سموا المصدر بهما قالوا للعقل المعقول، وللجلد المجلود، ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْيُكُمْ الْمُفْتُونَ﴾ [القلم: ٦] اهـ كرخي.

قوله: (بأن ذبحوا سخلة) هي الصغيرة من ولد الغنم وقت ولادتها ضأناً كان أو معزاً اهـ.

قوله: (وذهلوا عن شقه) أي عن أن يشقوه أي يخرقوه ويمزقوه لأن العادة أن الذئب إذا أكل الإنسان يقد قميصه أي يقطعه ويخرقه وهم ذهلوا عن هذه الحيلة حتى لا تتم لهم الحيلة اهـ شيخنا.

قوله: (لما رآه) أي رأى القميص صحيحاً حتى قال ما أحلم هذا الذئب يأكل ابني من قميصه ولا يقده، وقال ذلك توبيخاً لهم وإنكاراً عليهم اهـ شيخنا.

وقيل: إنهم أتوه بذئب وقالوا: هذا أكله. فقال يعقوب: أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمره فؤادي، فأنطقه الله عز وجل وقال: والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط، ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء، فقال له يعقوب: فكيف وقعت بأرض كنعان؟ قال: جئت لصلة الرحم وهو قرابة لي فأخذوني وأتوا بي إليك، فأطلقه يعقوب، وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه. قال صاحب الكشف: سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فعلتموه بيوسف وهونتموه في أنفسكم وأعينكم، فعلى هذا يكون معنى قوله: (بل سولت) ردأ لقولهم فأكله الذئب، كأنه قال ليس الأمر كما تقولون أكله الذئب. ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ آخر غير ما تصفون اهـ خازن.

وفي الشهاب قوله: من السول بفتحيتين وهو استرخاء العصب ونحوه، فكان المسول بذله فيم حرص عليه اهـ.

مبتدأ محذوف أي أمري ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿ذِكْرُ﴾ في البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَبَشِّرُنِي﴾ وفي قراءة بشرى ونداؤها مجاز أي احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا عَلَمٌ﴾

قوله: ﴿فصبر جميل﴾ قيل: من الصبر الجميل أن لا تتحدث بمصيبتك ولا تركين نفسك اهـ خازن.

قوله: (لا جزع فيه) الأولى كما جاء في الحديث أن يقول لا شكوى فيه لأحد غير الله وقوله: (أي أمري) أي صبري صبر جميل اهـ شيخنا.

قوله: (المطلوب منه العون) أي: فالسين والتاء للطلب فالجملة إنشائية دعائية، وقوله: ﴿على ما تصفون﴾ أي: على تحمل ما تصفون اهـ شيخنا.

قوله: (مسافرون) أي جماعة مسافرون سموا سيارة لسيرهم في الأرض، وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطؤوا الطريق، فنزلوا قريباً من الجب، وكان في قفراء بعيدة عن العمارة ترده المارة والرعاة، وكان ماؤه ملحاً، فلما نزل يوسف عذب اهـ خازن.

قوله: (من مدين) أي من جهة مدين وهي قرية جهة الشام.

قوله: ﴿فأرسلوا واردهم﴾ ذكر على المعنى، ولو قال: فأرسلت واردها لكان على لفظ وجاءت قاله القرطبي اهـ كرخي.

قوله: ﴿واردهم﴾ وهو مالك بن ذعر الخزاعي اهـ بيضاوي.

وهو من أهل مدين اهـ خازن.

قوله: ﴿فأدلى دلوه﴾ في المختار: الدلو التي يستقى بها ودلا الدلو نزعها وبابه عدا، وأدلاها أرسلها في البئر اهـ.

وفي القاموس: ودلوت الدلو ودليتها أرسلتها في البئر ودلاها جذبها ليخرجها، والدلو مؤنث وقد يذكر اهـ.

قوله: (فأخرجه) أي بعد أن مكث فيها ثلاثة أيام هذه مدة إقامته فيها اهـ خازن.

وفيه أيضاً أن جدران البئر بكت عليه حين أخرج منه اهـ.

قوله: ﴿قال يا بشراي﴾ وكان يوسف أحسن ما يكون من الغلمان، وقد أعطي شطر الحسن، وقيل: ورثه من جدته سارة، وكانت قد أعطيت سدس الحسن، فكان حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين والساقين، خميص البطن، صغير الصرة، وكان إذا تبسم ظهر النور من ضواحه، وإذا تكلم ظهر من ثناياه، ولا يستطيع أحد وصفه اهـ خازن.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة بشرى بوزن كبرى.

فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسْرَوْهُ﴾ أي أخفوا أمره جاعليه ﴿يَضَعُ﴾ بأن قالوا هذا عبدنا أبق، وسكت يوسف خوفاً من أن يقتلوه ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ يَمَاعِلُوكَ﴾ ﴿وَشَرَّوهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثْمَنِ بَخْسٍ﴾

قوله: (فعلم به إخوته) قيل: باشتهار أمره حين أخرج، وقيل: بإعلام أخيه يهودا لهم لأنه كان يأتيه بالطعام فأتاه فلم يجده، فأعلمهم بأنه لم يجده في البئر اهـ شيخنا.

وفي قصص الأنبياء: إن إخوة يوسف نظروا إلى القافلة واجتماعها على الجب فأتوهم، وكانوا يظنون أن يوسف مات، فأروه أخرج حياً فضربوه وشتموه، وقالوا: هذا عبد أبق منا فإن أردتم بعناه لكم، ثم قالوا له بالعبرانية لا تنكر العبودية نقتلك فأقر بها، فاشتراه ابن ذعر الخزاعي اهـ شهاب.

قوله: ﴿وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً﴾ جعل الضمير لإخوته وهو أحد قولين وقيل للسيارة. قال مجاهد: أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين كانوا معه، وقالوا: إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل المال لنبيعه لهم بمصر، وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منه الشركة فيه، وعلى هذا القول فالضمير في شروه وكانوا لمالك وأصحابه، وإنما زهدوا في شرائه لقول إخوته لهم أنه عبد أبق، فظنوا أنه معيب اهـ خازن.

قوله: (جاعليه) أي حال كونهم جاعلين إياه بضاعة أي شيئاً متمولاً، فبضاعة منصوب على الحال من الواو في أسروه، وهذا بحسب الظاهر، وإلا ففي الحقيقة هو مفعول لعامل محذوف هو الحال في الحقيقة كما قدره الشارح بقوله: ﴿جاعليه﴾. وفي الخطيب: البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء إذا قطعت، وبضاعة منصوب على الحال كأنه قال: وأسروه حال ما جعلوه بضاعة اهـ.

قوله: (وأبق) في القاموس: أبق العبد كسمع وضرب ومنع ونصر أبقاً بالسكون، وأبقاً بالتحريك، وإباقاً ككتاب إذا هرب من سيده من غير خوف ولا كد عمل اهـ.

قوله: (وسكت يوسف) أي لأنهم خوفوه بالقتل سرأ اهـ خازن.

قوله: ﴿بِثْمَنِ بَخْسٍ﴾ أي بما يترتب على عملهم القبيح بحسب الظاهر من الأسرار والفوائد المنطوية تحت باطنه، فإن هذا البلاء الذي فعلوه به كان سبباً لوصوله إلى مصر وتنقله في أطوار حتى صار ملكها، فرحم الله به العباد والبلاد خصوصاً في سني القحط الذي وقع بها كما سيأتي. قوله: (باعوه) فالضمير المرفوع عائد على إخوته، وقوله: منهم أي من السيارة أي لهم أي لبعضهم، وهو الذي ورد الماء، وتقدم أنه مالك بن ذعر الخزاعي. وتقدم عن الخازن احتمال آخر، وهو أن الضمير في شروه يعود السيارة أي اشترته السيارة من إخوته، وإنما أخذوه بثمان بخس وكانوا زاهدين في شرائه، لأنهم ظنوه معيباً لقول إخوته هذا عبدنا قد أبق منا.

قوله: ﴿بِثْمَنِ بَخْسٍ﴾ أي حرام، لأن ثمن الحر حرام والحرام يسمى بخساً، لأنه مبخوس البركة أي منقوصها، أو المراد بالبخس القليل اهـ خازن.

وفي المصباح: بخسه بخساً من باب نفع نقصه أو عابه اهـ.

ناقص ﴿دَرَهُمْ مَعْدُودَةً﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ أي إخوته ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ﴿فَجَاءَتْ بِهِ السَّيَّارَةُ إِلَى مِصْرَ فَبَاعَهُ الَّذِي اشْتَرَاهُ بِعَشْرِينَ دِينَاراً وَزَوْجِي نَعْلٍ وَثَوْبِينَ﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴿هُوَ قُطْفِيرُ الْعَزِيزِ﴾ ﴿لَا مَرَأَتَهُ﴾ زليخا ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان حصوراً ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب

قوله: (ناقص) أي عن قيمته لو كان رقيقاً. قوله: ﴿دراهم﴾ بدل من ثمن، وقوله: ﴿معدودة﴾ فيه إشارة إلى قلتها، لأنهم في ذلك الزمان كانوا لا يزنون ما كان أقل من أربعين درهماً يأخذونه عداً، ويزنون ما بلغها وهو أوقية أهـ خازن.

قوله: ﴿وكانوا فيه﴾ أي في يوسف من الزاهدين، وأصل الزهد قلة الرغبة أي غير راغبين فيه، لأن غرضهم إبعاده عنهم لا تحصيل ثمنه، ويصح رجوع الضمير في فيه لثمنه وقلة رغبتهم فيه ليشترية المسافرين، لأنهم لو شددوا في الثمن لربما تركوه بلا شراء، وغرض إخوته إبعاده عنهم أهـ خازن.

قوله: (بعشرين ديناراً) وقيل: لما دخلوا مصر وعرضوه للبيع تدافع الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهباً وقيل: فضة، وقيل: مسكاً. وقيل: حريراً. وكان وزنه أربعمائة رطل أهـ خازن.

وقوله: (وزوجي نعل)، والمراد به الفرد أي فردي نعل أهـ.

وروي أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، ولبت في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة أهـ بيضاوي.

قوله: (وهو قطفير العزيز) عبارة البيضاوي وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير وأطفير، وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي، وقد آمن بيوسف ومات في حياته انتهت.

أو قطفير هذا وزير الملك المذكور كما في الخازن أهـ.

قوله: ﴿لَا مَرَأَتَهُ﴾ متعلق بقال لا باشتري. وزليخاء بفتح الزاي وكسر اللام والمد كما في القاموس أهـ شيخنا. أو بضم الزاي وفتح اللام وسيأتي عن الشهاب.

قوله: ﴿أكرمي مثواه﴾ المثوى موضع الإقامة أي أحسنني تعهده أهـ.

قوله: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي إن أردنا بيعه وبعناه بربح أو ينفعنا بأن يكفيننا بعض أمورنا ومصالحنا إذا قوي وبلغ، أو نتخذه ولداً أي تنبناه وكان حصوراً ليس له ولد أهـ خازن.

فالمراد من نفعه أحد أمرين: إما الربح فيه إذا باعوه، أو معاونته لهم إن أبقوه، وهذان غير اتخاذهم ولد. ويصح أن تكون أو مانعة خلوفتجوز الجمع أهـ.

قوله: (وكان حصوراً) أي لا يأتي النساء أو كان عقيماً كما جرى عليه القاضي البيضاوي والأصفهاني تبعاً للكشاف أهـ كرخي.

قوله: (وعطفنا عليه قلب العزيز) أي خلقنا فيه الحنو والميل والمحبة فإن العطف معناه الحنو. وفي المصباح: عطف الناقة على ولدها من باب ضرب حنت عليه ودرّ لبنها أهـ.

العزیز ﴿مَكْنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنَعْلَمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا أي لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تعالى لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي

قوله: ﴿مكنا ليوسف﴾ أي جعلناه على خزائنها ومكن يتعدى بنفسه على حد، ولقد مكناكم في الأرض، وباللام كما هنا، والمراد نعطيها مكانة ورتبة عالية في الأرض اهـ شيخنا.

قوله: (حتى بلغ ما بلغ) أي من السلطنة: . قوله: (أي لنمكنه) أي مكانه في الأرض لنملكه ما فيها ولنعلمه، وهذا على عدم زيادة الواو وعلى زيادتها يقال مكنا له في الأرض لنعلمه اهـ شيخنا. ونملكه من الملك بكسر الميم أي نجعله مالكا لما فيها، أو من الملك بضمها أي نجعله ملكاً وسلطاناً على أهلها اهـ.

قوله: ﴿والله غالب على أمره﴾ يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد لا دافع لأمره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء اهـ خازن.

قوله: ﴿ولما بلغ أشده﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: وهو قول سيبويه أنه جمع مفردة شدة نحو نعمة وأنعم. والثاني: قول الكسائي أن مفردة شد بذنة قفل. الثالث: أنه جمع لا واحد له من لفظه قاله أبو عبيدة: وخالفه الناس في ذلك، وهو من الشد وهو الربط على الشيء والعقد عليه. قال الراغب: وفيه تنبيه على أن الإنسان إذا بلغ هذا القدر يتقوى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزياله اهـ سمين.

ولم يقل هنا واستوى كما قال في شأن موسى في سورة القصص، لأن موسى كان قد بلغ أربعين سنة، وهي مدة النبوة فقد استوى وتهياً لحمل أسرار النبوة، وأما يوسف فلم يكن إذ ذاك قد بلغ هذا السن اهـ شيخنا.

قوله: (حكمة) وهي العلم مع العمل، وقيل: هي النبوة كما في الخازن، لكن هذا لا يناسب قول الشارح قبل أن يبعث نبياً اهـ شيخنا.

قوله: (كما جزيناه) أي أنعمنا عليه بهذه النعم كلها اهـ خازن.

وقوله: ﴿يجزي المحسنين﴾ (لأنفسهم) أي بالإيمان والاهتداء كما قاله ابن عباس، أو الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام قاله الضحاك اهـ كرخي. وفي الخازن: ومن الإحسان الصبر على النوائب كما صبر يوسف اهـ.

قوله: ﴿ورودته التي هو في بيتها﴾ رجوع إلى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما أمر امرأته بإكرام مثواه. وقوله تعالى: قوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف﴾ إلى هنا اعتراض جيء به أنموذجاً للقصة ليعلم السامع من أول الأمر أن ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكي بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة، وأنه عليه السلام محسن في جميع أعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء

طلبت منه أن يواقعها ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾ له ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي هلم واللام

ما يخل بنزاهته، ولا يخفى أن مدار حسن التخلص إلى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة إنما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز. والمرادة المطالبة من راد يروود إذا جاء وذهب لطلب شيء، ومنه الرائد لطالب الماء والكلاء، وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه، فإن هذه الأفعال وإن كانت صادرة عن أحد الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما. وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه، كما في قولهم: كما تدين تدان، أي: كما تجزي تُجزي، فإن فعل البادي، وإن لم يكن جزءا لكونه سبباً للجزاء أطلق عليه اسمه، وكذلك إرادة القيام إلى الصلاة وإرادة قراءة القرآن حيث كانتا سبباً للقيام والقراءة عبر عنهما بهما ف قيل: إذا قمتم إلى الصلاة، فإذا قرأت القرآن. وهذه قاعدة مطردة مستمرة، ولما كانت أسباب الأفعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فإن مطالبة الدائن لأجل المماطلة التي هي من جانب الغريم، ومماطلة الغريم لأجل المطالبة التي هي من جانب الدائن، وكذا مداواة الطبيب للمريض الذي هو من جانب المريض، وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الأفعال، فبنيت الصيغة على ذلك، وروعي جانب الحقيقة بأن أسند الفعل إلى الفاعل، وأوقع على صاحب السبب، فتأمل. ويجوز أن يراد بصيغة المفاعلة مجرد المبالغة وقيل: الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو طلب منها الترك، ويجوز أن تكون من الرويد وهو الرفق والتجمل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة، فالمعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه من يده، وهو يحتال أن يأخذه منه وهو عبارة عن التمثل في مواقفته إياه والعدول عن اسمها للمحافظة على الستر أو للاستهجان بذكره، ويراد الموصول لتقرير المراودة فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك. قيل لواحدة: ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير فيه؟ قلت: قرب الوساد وطول السواد ولإظهار كمال نزاهته عليه السلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والنزاهة اهـ أبو السعود.

قوله: (هي زليخا) بفتح الزاي وكسر اللام وهو المشهور، وقيل: إنه بضم أوله على هيئة المصغر اهـ شهاب.

قوله: (أي طلبت منه) أي يرفق، وهذا التفسير من الشارح يشير إلى أن المفاعلة ليست على بابها اهـ.

وفي المصباح: وراودته على الأمر مراودة ورواداً من باب قاتل طلبت منه فعله، وكأن في المراودة معنى المخادعة، لأن الطالب يتلطف في طلبه تلطف الخادع ويحرص حرصه اهـ.

قوله: ﴿وغلقت الأبواب﴾ وكانت سبعة كما في البضاوي وغيره، والتشديد للتكثير لتعدد المحال اهـ سمين. والمحال هي الأبواب.

للتبيين وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ أي الذي اشتراني ﴿رَبِّي﴾ سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ الزناة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك ﴿لَوْلَا أَن

قوله: ﴿هيت لك﴾ بفتح الهاء والتاء ككيف وليت، وقوله: وفي قراءة بكسر الهاء أي: وفتح التاء بوزن قيل وغيض وقوله: (وأخرى بضم التاء) أي: مع فتح الهاء كحيث والقراءات الثلاث سبعة وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً وهما هئت بكسر الهاء وبالهزمة الساكنة وفتح التاء وضمها، فالقراءات السبعة خمسة، وهذه كلها لغات في هذه الكلمة وهي في كلها اسم فعل بمعنى هلم أي: أقبل وتعال اهـ شيخنا.

فمن فتح التاء بناها على الفتح تخفيفاً نحو: أين وكيف؟ ومن ضمها كابن كثير فقد شبهها بحيث، ومن كسرهما فعلى أصل اللقاء الساكنين اهـ سمين. وذكر فيها قراءات أربع آخر شاذة.

قوله: (واللام للتبيين). أي تبيين المفعول أي المخاطب فكأنها تقول الكلام معك والمخاطب لك اهـ شيخنا.

وفي السمين: ولك متعلق بمحذوف على سبيل البيان كأنها قالت: أقول لك أو الخطاب لك كهي في سقياً لك ورعياً لك اهـ.

قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ مصدر بمعنى الفعل كما قال الشارح، لكن في السمين ما نصه: قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدر بفعل محذوف أي: أعوذ بالله معاذاً. يقال: عاذ يعوذ عياداً وعبادة ومعاذاً وعوداً اهـ.

وفي الكرخي: قوله: أعوذ بالله من ذلك أشار إلى أن معاذ الله منصوب على أنه مصدر نائب عن فعله، كسبحان الله بمعنى أسبح الله اهـ.

قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ تعليل لما قبله. قوله: (أي الذي اشتراني) عبارة السمين: قوله: إنه يجوز أن تكون الهاء ضمير الشأن وما بعده جملة خبرية له ومراده بربه سيده، ويحتمل أن تكون الهاء ضمير الباري تعالى، وربّي يحتمل أن يكون خبرها وأحسن جملة حالية لازمة، وأن يكون مبتدأ وأحسن جملة خبرية له والجملة خبر لإن، وقد أنكر جماعة الأول. قال مجاهد، والسدي، وابن إسحاق: يبعد جداً أن يطلق نبي كريم على مخلوق أنه ربه ولو بمعنى السيد، لأنه ليس مملوكاً في الحقيقة انتهت.

قوله: (سيدي) أي بحسب الظاهر وإلاً فهو حر في نفس الأمر، وقوله: ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ أي تعهدي بقوله لك أكرمي مثواه اهـ بيضاوي.

وفي أبي السعود: إنه ربي أحسن مثوأي أي أحسن تعهدي حيث أمرك بإكرامي، فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرمة، وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بالطف وجه اهـ.

قوله: (الزناة) أي الزنى لأن ظلم على الزاني والمزني بأهله اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ لام القسم.

قوله: (قصدت منه الجماع) أي مع العزم والتصميم، وقوله: (قصد ذلك) أي بمقتضى الطبع

رَبِّهِمْ ۖ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَثَلُ لَهُ يَعْقُوبُ فَضْرِبُ صَدْرِهِ فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَنْفَامِهِ، وَجَوَابُ لَوْلَا لَجَامِعُهَا ۖ كَذَلِكَ ۖ أَرَيْنَاهُ الْبِرْهَانَ ۖ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ۖ الْخِيَانَةَ ۖ وَالْفَحْشَاءَ ۖ الزَّيْنَةَ

البشري من غير رضا ولا عزم ولا تصميم، والقصد على هذا الوجه لا مؤاخذه فيه اهـ شيخنا .
وفي البيضاوي: والمراد بهم عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف، بل الحقيقة بالمدح والأجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم اهـ.

وفي الخازن ما نصه: قال بعض المحققين: الهم ههنا: هم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به، وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل: هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به اهـ.

وفي الشهاب: وقال الإمام: المراد بالهم في الآية خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع، كالصائم يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه وطلب شربه ولكن يمنعه دينه عنه اهـ.

قوله: (قال ابن عباس مثل له يعقوب الخ) عبارة الخازن: قال قتادة وأكثر المفسرين: إن يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول: يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ وقال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك: انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضاً على أصبعيه. وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقال السدي: نودي يا يوسف أتوقعها إنما مثلك ما لم توقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه، وإن مثلك إن واقعته كمثلته إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً، ومثلك ما لم توقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق، ومثلك إذا واقعته كمثلته إذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه. وقيل: إنه رأى معصماً بلا عضد مكتوب عليه ۖ وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ۖ [الانفطار: ١١] فولى هارباً ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ۖ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ۖ [الإسراء: ٣٢] فولى هارباً، ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب ۖ واثقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ۖ [البقرة: ٢٨١] الآية، ثم عاد فقال تعالى لجبريل عليه السلام: أدرك عبدي يوسف قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عاضاً على أصبعه يقول: يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء؟ وقيل: إنه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله. قال محمد بن كعب القرظي: رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فرأى مكتوباً في حائط: ۖ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ۖ [الإسراء: ٣٢]. وفي رواية عن علي ابن الحسين قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة إليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام: لم فعلت هذا؟ قالت: استحييت منه أن يراني على معصية فقال يوسف: أنتستحين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئاً فأنا أحق أن أستحي من ربي وهرب، فذلك قوله تعالى: ۖ لولا أن رأى برهان ربه ۖ اهـ.

قوله: (فخرجت شهوته) أي منيه. قوله: (وجواب لولا الخ) من المعلوم أنها حرف امتناع لوجود، فالمعنى امتنع وانتفى جماعه لها لوجود رؤيته البرهان اهـ شيخنا .

وفي السمين: المعنى لولا رؤيته برهان ربه لهم بها، لكنه امتنع همه بها لوجود رؤية برهان ربه

﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ في الطاعة وفي قراءة بفتح اللام أي المختارين ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾

فلم يحصل منه هم البتة، كقولك: لولا زيد لأكرمك، فالمعنى أن الإكرام امتنع لوجود زيد، وبهذا يتخلص من الإشكال الذي يورد هنا، وهو كيف يليق بنبي أن يهتم بامرأة اهـ.

قوله: ﴿كذلك﴾ هذه الكاف مع مجرورها في محل نصب بمحذوف كما قدره المفسر، واللام في لتصرف متعلقة بذلك المحذوف، ويصح أن تكون في محل رفع، والتقدير الأمر مثل ذلك أو عصمته كذلك والنصب أجود لمطالبة حرف الجر للأفعال أو معانيها اهـ سمين.

قوله: (الخيانة) أي خيانة السيد اهـ بضاوي.

قوله: ﴿المخلصين﴾ قرأ هذه اللفظة حيث وردت إذا كانت معرفة بآل مكسورة اللام ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والباقون بفتحها. فالكسر على أنه اسم فاعل والمفعول محذوف تقديره المخلصين أنفسهم أو دينهم، والفتح على أنه اسم مفعول من أخلصهم الله أي اجتباهم واختارهم أو أخلصهم من كل سوء، وقرأ الكوفيون في مريم ﴿إنه كان مخلصاً﴾ [مريم: ٥١] بفتح اللام بالمعنى المتقدم، والباقون بكسرها بالمعنى المتقدم اهـ سمين.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة.

قوله: ﴿واستبقا الباب﴾ متصل بقوله: ﴿ولقد همت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾، وقوله: كذلك الخ اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريراً لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى: ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] والمعنى لقد همت به وأبى هو. واستبقا. أي: تسابقا إلى الباب البراني الذي هو المخلص، ولذلك وحده بعد الجمع فيما سبق وحذف حرف الجر، وأوصل الفعل إلى المجرور نحو: وإذا كالوهم أو ضمن الاستباق معنى الابتدار وإسناد السبق في ضمن الاستباق إليها مع أن مرادها مجرد منع يوسف، وهذا لا يوجب الانتهاء إلى الباب، لأنها لما رآته يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرع هي أيضاً لتسبقه إليه وتمنعه عن الفتح والخروج، أو عبّر عن إسراعها أثره بذلك مبالغة اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: فلحقته على الباب الأقصى مع أنه كان قد سبقها بقوة الرجولية وقوة الداعية إلى الفرار إلى الله تعالى، ولكنه عاقه إتقانها للمكر بكون الأبواب كانت مغلقة، فكان يشتغل بفتحها فتعلقت بأدنى ما وصلت إليه من قميصه وهو ما كان من ورائه خوف فواته اهـ.

والألف في استبقا للتثنية لكن استباقهما مختلف في الغرض منه كما أشار إليه الشارح اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وأصل استبق أن يعدى إلى المفعول بإلى فحذف اتساعاً أو هو على تضمين استبقا معنى ابتدرا فينصب مفعولاً به، كما أشار إليه الشيخ المصنف في التقدير، ووجد الباب هنا وجمعه قبل لأن إغلاق الباب للاحتياط لا يتم إلا بإغلاق الجميع وأما هروبه منها فلا يكون إلا إلى باب واحد حتى لو تعددت أمامه لم يقصد منها أولاً إلى الأول، فلهذا وحده الباب هنا وجمعه ثم اهـ.

بأدر إليه يوسف للفرار وهي للتثبيت به فأمسكت ثوبه وجذبتة إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا أَلْبَابٍ﴾ فنزعت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ يحبس أي سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَتْ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد فقال ﴿إِنْ

قوله: (وهي للتثبيت) أي التعلق به، وقوله: (فأمسكت ثوبه) أي فقطعت منه قطعة بقيت في يدها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ فغلبها يوسف وخرجت خلفه وألفيا سيدها لدى الباب، فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا، فخافت المرأة التهمة فسابت يوسف بالقول وقالت لزوجها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً، ثم خافت أن يقتله وهي شديدة الحب له، فقالت: إلا أن يسجن الخ، وإنما بدأت بذكر السجن لأن المحب لا يشتهي إيلاام المحبوبة، وإنما أرادت أن يسجن عندها يوماً أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها اهـ خازن.

وفي الكرخي: قال ابن الخطيب: في الآية لطيفة وفي أن حبها الشديد ليوسف حملها على رعاية دقيقتين في هذا الموضع، وذلك لأنها بدأت بذكر السجن وأخرت ذكر العذاب، لأن المحب لا يسعى في إيلاام المحبوبة، وأيضاً لم تقل إن يوسف يجب أن يقابل بأحد هذين الأمرين، بل ذكرت ذلك ذكراً كلياً صوناً للمحبوبة عن الذكر بالشر، وأيضاً قالت: إلا أن يسجن أي أن يسجن يوماً أو يومين أو أقل على سبيل التخفيف، فأما الحبس الدائم فإنه لا يعبر عنه بهذه العبارة، بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين كما قال فرعون لموسى حين هدده. ﴿لَنْ اتَّخَذْتُ إِلَهاً غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] اهـ.

قوله: (زوجها) أي أن المراد بالسيد الزوج لأنهم كانوا يستعملونه بهذا المعنى لملكه التصرف فيها، ولم يقل سيدهما لأنه لم يكن مالكا له حقيقة لحرية اهـ شهاب.

قوله: (فنزعت نفسها) أي بادرت إلى تنزيه نفسها، وقوله: ﴿ثُمَّ قَالَ﴾ تفسير لتنزيه نفسها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَا جَزَاءُ﴾ يجوز في ما هذه أن تكون نافية وأن تكون استفهامية، ومن يجوز أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة اهـ سمين.

قوله: (أي سجن) مصدر من باب نصر فهو بفتح السين، وأما مكسورها فهو المكان الذي يسجن فيه اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (أي سجن) أشار به إلى أن قوله: (أن يسجن) في قوة المصدر، ولذا عطف عليه أو عذاب أليم أي فأو للتنويع اهـ.

قوله: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي﴾ الخ وذلك أن يوسف لم يكن يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها، ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه فقال ما قال اهـ خازن.

كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلُ ﴿٢٦﴾ قَدَامَ ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ﴿٢٨﴾ خَلْفَ

ولم يقل هذه ولا تلك لفرط استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ دون الحضور اهـ كرخي .

قوله: ﴿شاهد من أهلها﴾ كونه من أهلها أقوى في نفي التهمة عن يوسف مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدقه منها أنه كان في الظاهر مملوكاً لها، والمملوك لا ييسط يده إلى سيدته، ومنها: أنهم شاهدوا يوسف خرج من عندها هارباً والطالب لا يهرب، ومنها: أنهم رأوها قد تزينت بأكمل الوجوه فكان إلحاق التهمة بها أولى، ومنها: أنهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب إقدامه على مثل هذه الحالة، فكان مجموع هذه العلامات دالاً على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقة أيضاً اهـ خازن .

قوله: (ابن عمها) وقيل ابن خالها اهـ بيضاوي .

قوله: (روي أنه كان في المهد)، وروي أنه كان شيخاً كبيراً حكيماً، واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها، فقال: قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص إلا أنا لا ندري أيكما قدام صاحبه، ولكن إن كان قميصه الخ اهـ من الخطيب .

قوله: (فقال) ﴿إِنْ كَانَ﴾ الخ تفسير لشهد يشير به إلى أنه ليس المراد حقيقة الشهادة، وهي الاخبار عند حاكم بلفظ أشهد وقوله: ﴿إِنْ كَانَ﴾ الخ أي إن تبين وظهر أنه قد من قبل وقوله: ﴿فصدقت﴾ أي فقد ظهر صدقها وتبين، وكذا يقال في الشرطية الأخرى، فلا بد من هذا التأويل ليصح التعليق، وذلك لأن قَدَّ القميص أمر ثابت من قَبْلُ فلا معنى للتعليق عليه، والصدق بفرض القد المذكور ثابت من قَبْلُ أيضاً فلا معنى لتعليقه أيضاً اهـ شيخنا .

قوله: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلُ فَصَدَقَتْ﴾ أي إن علم أنه قَدْ من قبل فصدقت بتقدير قَدْ لأنها تقرب الماضي إلى الحال أي: فقد صدقت، وكذا الحال في قوله: ﴿فَكَذِبَتْ﴾ وهي إن لم تصرح بأنه عليه السلام أراد بها سوءاً إلا أن كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه أسند إليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار، فإنهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه، وبذلك الاعتبار يعرضان للانشاءات وهو من الكاذبين. وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء، وإنما ذكرت توسيعاً للدائرة وإرخاء للعنان إلى جانب المرأة بإجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بأن يقع القد من قَبْلُ بمدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند إرادته المخالطة، والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريباً لما هو المقصود بإقامة الشهادة، أعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذِبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ إلى التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب إلى الوقوع وأدل على المطلوب، وإن لم يكن بين طرفيها أيضاً ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الأقوال، أو بتقدير القول أي شهد قائلاً الخ، وتسميتها شهادة مع أنه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها، بل لأنها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها. أما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر إذ هو إخبار بهما من قبل علام الغيوب، والتصوير بصورة الشرطية للإيذان بأن ذلك ظاهر أيضاً. وأما على تقدير كونه غيره فلا ن

﴿فَكَذَّبْتَ وَهَوَّ مِنَ الصَّدِيقِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾ زوجها ﴿فَمَيَّصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أي قولك ما جزاء من أراد الخ ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿ثُمَّ قَالَ يَا﴾ ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لثلاثين ﴿وَاسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ﴿الْآثِمِينَ﴾

الظاهر أن صورة الحال معلومة له على ما هي عليه إما مشاهدة أو إخباراً فهو متيقن بعدم مقدم الشرطة الأولى، وبوجود مقدم الشرطة الثانية، ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الأولى وبوقوع تالي الثانية، فحينئذ هو إخبار بكذبها وصدقه عليه السلام، لكنه ساق شهادتهما سوفاً مأموناً من الجرح والظعن حيث صورها بصورة الشرطة المترددة ظاهراً بين نفعها ونفعه. وأما حقيقة فلا تردد فيها قطعاً لأن الشرطة الأولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل، فيكون محالاً لا محالة ومن ضرورة تقرير كذبها، والثانية تعليق لصدقها عليه السلام بأمر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققاً البتة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فصدقت﴾ على تقدير قد أي: فقد صدقت، وإنما احتيج لتقديرها لأجل أن يكون الجواب من المواضع التي لا تصلح للشرطة حتى يصح دخول الفاء، وإلا فبقطع النظر عن تقديرها لا يصح دخول الفاء لأنه فعل ماض متصرف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال إنه من كيدكن﴾ مبني على مقدر أي: تحقق صدقه وتبين له كذبها فخاطبها، وقال إنه من كيدكن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن كيدكن عظيم﴾ أي فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة لا عظيم على الإطلاق، إذ الرجال أعظم منهن في الحيل والمكائد في غير ما يتعلق بالشهوة اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: فإن قيل إنه تعالى قال ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ [سورة النساء: ٢٨]، فكيف وصف كيد المرأة بالعظم، وأيضاً فكيد الرجل قد يزيد على كيد النساء؟ فالجواب عن الأول أن خلقة الإنسان ضعيفة بالنسبة إلى خلقة الملائكة والسموات والكواكب، وكيد النساء بالنسبة إلى كيد الشيطان عظيم، ولا منافاة بين القولين، وأيضاً فالنساء لهن في هذا الباب من المكر والحيل ما لا يكون للرجال. قال الزمخشري وعن بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان، لأن الله تعالى يقول ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ [النساء: ٧٦]، وقال في حق النساء: ﴿إن كيدكن عظيم﴾ اهـ.

قوله: (أيها النساء) خاطب الجنس لأن الحيل والمكائد لا تخصص بها، فكأنه قال: إن الحيل والكيد في جنسك أمر عظيم جبلي فيك وفي غيرك من الجنس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ﴾ كان العزيز قليل الغيرة، بل قال في البحر: إن تربة مصر تقتضي هذا، ولهذا لا ينشأ فيها الأسد ولو دخل فيها لا يبقى اهـ كرخي.

قوله: (الآثمين) أي برمي يوسف بالخطيئة واتهامه بها، ولم يقل من الخاطئات تغلياً لجنس الرجال على النساء أو من الآثمين باتهامك يوسف وهو بريء وبخيانتك لزوجك اهـ خازن.

واشتهر الخبر وشاع ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر ﴿أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ عبدها ﴿عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تمييز أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ خَطِئًا﴾

قوله: (واشتهر الخبر) أي منها، وذلك أنها أخبرت بعض النساء بما حصل لها وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن بل أشعن الأمر، وقلن امرأة العزيز الخ اه شيخنا.

قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وكن خمساً وهن امرأة صاحب الملك، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة خبازه، وامرأة ساقيه، وامرأة صاحب سجنه فتحدثن فيما بينهن وقلن: امرأة العزيز تراود عبدها الكنعاني عن نفسه وهو يمتع منها اه خازن.

والنسوة اسم جمع لا واحد له من لفظه، بل من معناه وهو امرأة وتأنيتها غير حقيقي بل باعتبار الجماعة، ولذلك لم يلحق فعلها تاء التأنيث، والمشهور كسر نونها، ويجوز ضمها في لغة، ونقلها أبو البقاء قراءة ولم أحفظه، وإذا ضمت نونه كان اسم جمع بلا خلاف، والنساء جمع كثرة أيضاً ولا واحد له من لفظه اه سمين.

قوله: ﴿أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ ترسم امرأة هذه بالتاء المجرورة، وأما بالنطق فوقف عليها ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي بالهاء، والباقون بالتاء، وأما الوصل فهو بالتاء للجميع اه خطيب.

قوله: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ خبر امرأة العزيز وجيء بالمضارع تنبيهاً على أن المراودة صارت محنة لها وديداً دون الماضي، فلم يقلن راودت اه سمين.

قوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾ شغف فعل ماض والفاعل ضمير مستتر يعود على فتاها وحباً تمييز، كما قال الشارح أي: تمييز محول عن الفاعل كما أشار له، وقوله: (أي دخل حبه) مضاف لمفعوله أي: حبها إياه وشغاف بفتح الشين، وقوله (أي: غلافه) وهو جلدة محيطة بالقلب من سائر الجوانب اه شيخنا. والمعنى أن حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب، وقيل: إن حبه قد أحاط بقلبها كإحاطة الشغاف بالقلب، قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى صارت لا تتعقل شيئاً سواه اه خازن.

وفي السمين: قوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون خبراً ثانياً، وأن تكون مستأنفة، وأن تكون حالاً إما من فاعل تراود، وإما من مفعوله، وحباً تمييز وهو منقول من الفاعلية إذا الأصل قد شغفها حبه، والعامية على شغفها بالعين المعجمة المفتوحة بمعنى خرق شغاف قلبها، وهو مأخوذ من الشغاف أي: حجاب القلب وهو جلدة رقيقة، وقيل: سويداء القلب، وقيل: داء يصل إلى القلب من أجل الحب، وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب ليست محيطة به، ومعنى شغف قلبه أي: خرق حجابها وأصابه فأحرقه بحرارة الحب اه.

وفي المصباح: شغف الهوى قلبه شغفاً من باب نفع، والاسم الشغف بفتحيتين بلغ شغافه بالفتح وهو غشاؤه وشغفه المال زين له فأحبه فهو مشغوف به اه.

قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتاها اه خازن.

﴿ثُمَّ يَنْبِئُ بِحَبْلِهَا إِيَّاهُ﴾ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا﴾ طعاماً يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج ﴿وَوَاتَتْ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَجَدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ﴾ ليوسف ﴿أَخْرِجْ عَلَيْنَ فُلْمَا رَأَيْتَهُ أَكْبَرُكُمْ﴾ أعظمته ﴿وَقَطَعْنَ أَيِّدَهُنَّ﴾ بالسكاكين ولم يشعرن بالألم

قوله: ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي بحديثهن، وسمي مكرأ لأنهن طلبن بذلك رؤية يوسف، وكان قد وصف لهن حسنه وجماله، فقصدن بهذا التحدث التحيل في أن يرينه أه خازن.

قوله: (غيبتهن) أي: اغتيا بهن لها، وسميت الغيبة مكرأ لإخفائها عن المغتاب كما يخفى المكر، فإن المكر التحيل بالسوء خفية أه سخنا.

قوله: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: لتقيم عذرهما عندهن، فصنعت لهن مائدة وضيافة ودعتهن وكن أربعين امرأة من أشرف المدينة وهن اللاتي عيرن أه خازن.

وهذا قول ثان غير قوله سابقاً: كن خمساً، ولعل أصل القول من الخمس لأنهن اللواتي أخبرتهن بأمرها، وهن أشعن الخبر في المدينة، فلا ينافي أن اللواتي حضرن الوليمة كن أربعين أه شيخنا.

قوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ أي هيأت وأحضرت. قوله: (للاتكاء عنده) أي: وسمي الطعام متكأ للاتكاء عنده على الوسائد أي على عادة المتكبرين في أكل الفواكه حيث يتكىء على الوسائد ويأكلها بالسكين، فسمي الطعام كالأترج متكأ لحصول الاتكاء على الوسائد عند أكله الفواكه فهو مجاز مرسل علاقته المجاورة. والخازن جعله بالاستعارة ونصه: وأعتدت لهن متكأ يعني: ووضعت لهن نمارق ومسانيد يتكئن عليها. وقال ابن عباس، وابن جبير، والحسن، وقتادة متكأ يعني طعاماً، وإنما سمي متكأ لأن كل من دعوته ليطعم عندك، فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكىء عليها فسمي الطعام متكأ على الاستعارة، ويقال اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده، والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث، ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله ﷺ: «لا آكل متكأ». وقيل: المتكأ الأترج، وقيل: هو كل شيء يقطع بالسكين أو يجز بها. يقال: إن امرأة العزيز زينت البيت بألوان الفواكه والأطعمة، ووضعت الوسائد، ودعت النسوة اللواتي عيرن أه بحب يوسف أه.

قوله: (وهو الأترج) بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء جمع أترجة، ويقال فيه أترنج، وهذا هو الطعام الذي يقطع بالسكين أه شيخنا.

وفي المصباح: الأترج بضم الهمزة وتشديد الجيم فاكهة معروفة الواحدة أترجة، وفي لغة ضعيفة ترنج. قال الأزهري: والأولى هي التي تكلم بها الفصحاء وارتضاها النحويون أه.

قوله: ﴿وَوَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ أي ليأكلن بها، وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين أه خازن.

وكانت تلك السكاكين خناجر أه شيخنا.

قوله: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن وقد زيتته وحبسته في مكان آخر، فلما رأينه الخ أه خازن.

قوله: (أعظمته) أي احترمته وهبته ودهشن عند رؤيته من شدة جماله، وكان قد أعطي شطر

لشغل قلبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿مَا هَذَا﴾ أي يوسف ﴿بَشْرًا إِنَّمَا هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية. في الصحيح أنه أعطي شطر الحسن ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن ﴿فَذَلِكُنَّ﴾ فهذا هو ﴿الَّذِي لُتْمُنَنِي فِيهِ﴾ في حبه، بيان لعذرها، ﴿وَلَقَدْ رَوْدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ امتنع ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ مَرُوءٍ﴾ به ﴿لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا﴾

الحسن، ويقال: إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل، وقبل أن يخرج من الجنة. وقال الرازي: وعندي أنه يحتمل وجهاً آخر وهو أنهم إنما أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة، وسيما الرسالة، وأثار الخضوع والاختيار، وشاهدن فيه مهابة وهيئة الملائكة وهي عدم الالتفات إلى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتذار لهن، وكان ذلك الجمال العظيم مقروناً بتلك الهيبة والهيبة، فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وعظمته، ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن. قال: وحمل الآية على هذا الوجه أولى اهـ خازن.

قوله: ﴿وَقَطَعْنَ﴾ أي جرحن أيديهن حتى سال الدم، وليس المراد التقطيع الحقيقي هذا هو المراد من التفاسير اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن، وهن يحسبن أنهم يقطعن الأترج، ولم يجدن الألم لدهشتهم وشغل قلوبهن بيوسف. قال مجاهد: فما أحسنن إلا بالدم، وقال قتادة: أبين أيديهم حتى ألقينها، والأصح أنه كان قطعاً من غير إبانة. وقال وهب: مات منهن جماعة اهـ.

قوله: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ بإثبات ألف بعد الشين وحذفها وهما قراءتان سبعيتان، وهذا بالنظر للنطق، وأما رسم المصحف فلا تكتب فيه ألف بعد الشين وإن نطق بها، وقوله: ﴿تنزيهاً له﴾ أي عن صفة العجز عن خلق هذا وأمثاله أي تنزيهاً لله عن العجز حيث قدر على خلق مثل هذا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أي معاذ الله أن يكون هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم يعني على الله، والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف، لأنه قد تقرر في النفوس أنه لا شيء أحسن من الملك، فلذلك وصفته بكونه ملكاً. وقيل: لما كان الملك مطهراً من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك اهـ خازن.

قوله: (شطر الحسن) في المصباح المختار: شطر كل شيء نصفه اهـ.

قوله: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾ ذا اسم إشارة للقريب وكان حاضراً بالمجلس بدليل قوله الآتي: ﴿فَقُلْنَ لَهُ أَطْعَمَ مَوْلَاتُكَ﴾ وإنما قرن باللام للتعظيم، فلام البعد هنا لتعظيم رتبته لا لبعده عن المجلس أو لبعده رتبته وحالته عن رتبة غيره من البشر، فلذا فسرها الشارح بهذا التي للقريب، وقوله (الذي) خبر مبتدأ محذوف أي هو الذي كما قال الشارح. قوله: ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ﴾ الخ أي فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه، واللام لام قسم، وإنما صرحت بذلك لأنها علمت أنه لا ملامة عليها منهن، لأنه قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته اهـ خازن.

قوله: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ السين زائدة كما أشار له بقوله امتنع واعتصم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ﴾ لام قسم وإن شرطية وجواب الشرط محذوف على القاعدة في

مِنَ الصَّغِيرِ ﴿٣٢﴾ الذليلين، فقلن له أطع مولاتك ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أمل ﴿إِنِّي نَأَى وَأَكُنْ﴾ أصر ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ المذنبين والقصد بذلك الدعاء، فلذا

اجتماعهما دلّ عليه القسم جواب المذكور تقديره يسجن ويكن اه شيخنا.

قوله: ﴿ما أمره به﴾ أشار إلى أن ما موصولة أي: الذي أمره به من قضاء شهوتي فالضمير للموصول، ويصح كونها مصدرية أي ولئن لم يفعل يوسف أمري أي: موجب أمري ومقتضاه اه كرخي.

قوله: ﴿وليكونا من الصاغرين﴾ أي: من الاذلاء، وهو من صغر بكسر الغين يصغر صغراً كفرح يفرح فرحاً وصغاراً، والصغير من صغر بالضم صغراً اه بيضاوي.

قوله: ﴿قال رب﴾ أي يا رب، وقوله: ﴿السجن﴾ أي دخوله لما علمت من أن السجن بالكسر اسم للمكان والمحبوب دخوله لا ذاته اه شيخنا.

قوله: ﴿أحب إلي﴾ أي عندي، قال أبو حبان: وأحب ليست على بابها من التفضيل لأنه لم يحبب إليه ما يدعونه إليه قط، وإنما هذان شران فآثر أحدهما على الآخر، وإن كان في أحدهما مشقة وفي الآخر لذة اه كرخي.

وقال بعضهم: لو لم يقل السجن أحب إلي لم يبتل به، فالأول بالعبد أن يسأل الله العافية اه خازن.

قوله: ﴿مما يدعونني﴾ فعل مضارع مبني على سكون الواو، والنون الأولى نون النسوة، والثانية نون الوقاية فهو مثل النسوة يعفون. قالوا: وليست ضميراً بل هي لام الكلمة، فليس من الأفعال التي ترفع بالنون اه شيخنا.

وأضاف الفعل إليهن لأنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن، وقيل: لأنهن لما قلن له أطع مولاتك صح إضافة الدعاء إليهن جميعاً اه خازن.

قوله: ﴿أصب إليهن﴾ الصبوة الميل إلى الهوى، ومنه ربح الصبا، لأن النفس تستطيعها وتميل إليها اه بيضاوي.

وفي المصباح: وصبا صبواً من باب قعد، وصبوة أيضاً مثل شهوة مال اه.

قوله: ﴿والقصد بذلك﴾ أي بقوله: وإلا تصرف عني الخ فكأنه يقول: اللهم اصرف عني كيدهن لأجل أن لا أصير من الجاهلين، لأنك إن لم تصرفه عني صرت منهم، إذ لا قدرة لي على الامتناع إلا بإعانتك وإسعافك لي اه شيخنا.

وفي أبي السعود: وهذا فزع منه عليه السلام، والتجاء إلى اللطاف الله تعالى جرياً على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جنات الله عز وجل وسلب القوى، والقدر عن أنفسهم مبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمداغة، كقول المستغيث: أدركني وإلا هلكت اه.

قال تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ ^(٣٤) بالفعل ﴿ثُمَّ بَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ﴾ الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا ﴿لَيْسَ جُنُثُهُ حَقٌّ﴾ إلى ﴿حِينَ﴾ ^(٣٥) ينقطع فيه كلام الناس فسجن ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾ غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا: لنختبرنه ﴿قَالَ

قوله: ﴿ثم بدا لهم﴾ أي للعزیز وأصحابه المشاركين له في الرأي، وذلك أنهم لما أرادوا لأم الحال وتسكين هذه الإشاعة، خصوصاً وقد قالت زليخا لزوجها إن هذا العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم أنني راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر إليهم، وإما أن تسجنه، فظهر لهم سجنه لما فيه من المصلحة بحسب رأيهم مع علمهم ببرائه ونزاهته اهـ خازن.

وبدا: فعل ماض وفاعله محذوف تقديره سجنه، كما قدره الشارح بقوله: أن يسجنوه، وقوله: ﴿ليسجنه﴾ لام قسم محذوف وذلك القسم وجوابه معمول لقول مضمر، وذلك القول المضمر في محل نصب على الحال أي ظهر لهم كذلك قائلين والله ليسجنه اهـ سمين. وسجن من باب قتل كما في المصباح.

قوله: ﴿حتى حين﴾ وهو سبع سنين أو اثنا عشر سنة كما سيأتي في الشارح اهـ.

قوله: ﴿ودخل معه﴾ أي في صحبتته. أي: صاحبه في الدخول، فدخل الثلاثة في وقت واحد، وهذا معطوف على ما قدره الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (غلامان) وكانا عبيدين للملك سمي أحدهما وهو الساقى (سرهـم) وسمي الآخر وهو الخباز (برهـم) والغلام يطلق على الإنسان من ولادته إلى شبابه كما في كتب اللغة، ففي القاموس: والغلام الطار الشارب والكهل ضده، أو من حين يولد إلى أن يشيب والجمع أغلـمة وغلـمان، وهي غلامـة اهـ.

قوله: (للملك) أي: ملك مصر وهو الريان بن الوليد العمليقي ملك مصر اهـ من الخازن.

وسيأتي في الشارح أيضاً عند قوله: (وقال الملك الخ) فليس المراد به العزيز الذي اشترى يوسف، لأنه إذ ذاك كان وزيراً للملك الكبير، وكان يسمى قطفير كما سبق. وسبب سجن هذين الغلامين أن جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك، فجعلوا لهما رشوة على أن يسما الملك في طعامه وشرابه، فأجابا ثم إن الساقى ندم ورجع، والخباز قبل الرشوة وسم الطعام، فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى: لا تأكل أيها الملك فإن الطعام مسموم، فقال الخباز: لا تشرب أيها الملك فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقى: اشرب من الشراب فشرب، وقال للخباز: كُلْ من الطعام فأبى، فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أنهما دخلا مع يوسف اهـ خازن.

قوله: (فرأياه يعبر) أي يفسر، وعبارة الخازن: فلما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول: إني أعبر الأحلام اهـ.

ولذلك جوزوا للخامل أن يعين نفسه حتى يعرف فيقتبس منه اهـ بيضاوي.

قوله: (فقالا لنختبرنه) أي: فدعواهما الرؤيا غير صادقة، وإنما غرضهما مجرد تجربة صدق الفتوحات الإلهية/ج٤/٣م

أَحَدُهُمَا ﴿ وَهُوَ السَّاقِي ﴾ ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ أَي عنباً ﴿ وَقَالَ الْآخَرُ ﴾ صاحب الطعام ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثًا ﴾ خبرنا ﴿ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ بتعبيره ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ ٣٦ ﴾

قوله، كما سيصرح بهذا في آخر القصة حيث قال: فقلا ما رأينا شيئاً، وقيل: إنهما رأيا حقيقة وقصدا تفسير ما رأياه كما سيأتي بسطه هناك عن الخازن اهـ.

قوله: ﴿ قال أحدهما ﴾ مستأنف لا محل له من الإعراب، ولا يجوز أن يكون حالاً لأنهما لم يقولوا ذلك حال الدخول، ولا جائز أن تكون مقدرة لأن الدخول لا يؤول إلى الرؤيا، وكان بين دخولهم السجن وبين الرؤيا خمس سنين، وإني وما في حيزه في محل نصب بالقول، وأراني هنا متعد لمفعولين عند بعضهم إجراء للحلمية مجرى العلمية، فتكون الجملة من قوله: ﴿ أعصر خمرًا ﴾ في محل المفعول الثاني، ومن منع كانت عنده في محل الحال، وجرت الحلمية مجرى العلمية في اتحاد فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين ومنه الآية الكريمة، فإن الفاعل والمفعول متحدان في المعنى، إذ هما للمتكلم وهما ضميران متصلان، ومثله رأيتك في المنام قائماً وزيد رآه قائماً، ولا يجوز ذلك في غير ما ذكر، وإذا دخلت همزة النقل على هذه الحلمية تعدت لثالث، وقد تقدم في قوله تعالى: ﴿ إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولو أراكمهم كثيراً ﴾ [الأنفال: ٤٣] والخمر العنب، وأطلق عليه ذلك مجازاً، لأنه آيل إليه كما يطلق الشيء على الشيء باعتبار ما كان عليه كقوله: ﴿ وآتوا اليتامى ﴾ [النساء: ٢] وقيل: بل الخمر هو العنب حقيقة في لغة غسان وأزد عمان. وعن المعتمر: لقيت أعرابياً حاملاً عنباً في وعاء فقلت: ما تحمل؟ فقال خمرًا.

وقراءة أبي وعبد الله أعصر عنباً لا تدل على الترادف لإرادتهما التفسير لا التلاوة، وهذا كما في مصحف عبد الله فوق رأسي ثريداً، فإنه أراد التفسير فقط، وتأكل الطير منه صفة خبزاً، وفوق يجوز أن يكون ظرفاً للحمل، وأن يتعلق بمحذوف حالاً من خبزاً لأنه في الأصل صفة له، والضمير في قوله: ﴿ نبئنا بتأويله ﴾ قال الشيخ: عائد على ما قصا عليه أجري مجرى اسم الإشارة كأنه قيل: بتأويل ذلك، وقد سبقه إليه الزمخشري وجعله سؤالاً وجواباً، وقال غيره: إنما وحد الضمير لأن كل واحد سأل عن رؤياه، فكأن كل واحد قال نبئني بتأويل ما رأيت. وترزقانه صفة لطعام اهـ سمين.

قوله: (وهو الساقى) أي صاحب شراب الملك ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ يعني عنباً سمي العنب خمرًا باسم ما يؤول إليه. يقال: فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجراً. وقيل: الخمر العنب بلغة عمان، وذلك أنه قال: رأيت في المنام كأنني في بستان وفيه شجرة وعليها ثلاثة عناقيد من العنب، وكان كأس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه اهـ خازن.

وعلى هذا لا يظهر قوله باسم ما يؤول إليه، لأن العنب الذي عصره لم يؤول للخمرية بل سقاه للملك عصيراً إلا أن يقال إنه يؤول للخمر في الجملة وإن لم يكن في خصوص تلك الواقعة اهـ.

قوله: ﴿ إن أراني ﴾ أي رأيتني، فالتعبير بالمضارع في الشقين حكاية للحال الماضية، وقوله: ﴿ أحمل فوق رأسي خبزاً ﴾، وذلك أنه قال إنني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال، وفيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منها اهـ خازن.

قوله: (خبرنا) في نسخة أخبرنا. قوله: ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يعني من العالمين بعبارة الرؤيا

﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا﴾ بتأويله ﴿فَبَلَّ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فيه حث على إيمانهم ثم قواه

والإحسان هنا بمعنى العلم، وسئل الضحاك ما كان إحسانه؟ فقال: كان إذا مرض إنسان في الحبس عاده وقام عليه، وإذا ضيق على أحد وسع عليه، وإذا احتاج أحد جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة ويصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة. وقيل: إنه لما دخل السجن وجد فيه قوماً اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يسليهم ويقول: اصبروا وأبشروا. فقالوا: بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك، فمن أين أنت؟ قال: أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم فقال له صاحب السجن: يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك، ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أي بيوت السجن شئت. وقيل: إن الفتيين لما رأيا يوسف قالوا: إنا قد أحبيناك منذ رأيناك، فقال لهما يوسف: أنشدكما بالله لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل عليّ من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من ذلك بلاء، وأحبني أبي فألقيت في الجب، وأحبنتي امرأة العزيز فحبست. ولما قصا عليه الرؤيا كره أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما فيها من المكروه لأحدهما، فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من إظهار المعجزة والنبوة والدعاء إلى التوحيد، لأنه علم أن أحدهما هالك، فأراد أن يدخله في الإسلام فبدأ بإظهار المعجزة لهذا السبب، فقال: لا يأتیکما طعام الخ اهـ خازن. وقصة عمته سيأتي بسطها عند قوله: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ﴾ الخ.

قوله: (مخبراً أنه عالم الخ) أي لأجل أن يقبلوا عليه ويؤمنوا به أي: وأخبرهما بما ذكر توطئة لدعائهما إلى الإيمان بقوله: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ﴾ الخ، وليس هو تعبیر الرؤيا، وإنما تعبیرها هو قوله الآتي: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ حمله هذا المفسر على أن المراد إتيانه في المنام، والمعنى أي طعام رأيتماه في المنام وأخبرتني به فسرتي لكما قبل أن يقع في الخارج طبق وقوعه، وعلى هذا فلعله خص رؤية الطعام دون غيرها، لأنهما من أهل الطعام والشراب، وغالب رؤياهما تتعلق بهما، وجرى غيره على أن المراد إتيان الطعام لهما في اليقظة، فعلى هذا يكون هذا وعداً بأن يخبرهما بعلم الغيب عن كل طعام أتاهما قبل إتيانه من باب الكشف بنور النبوة، لأجل أن يعتقدا صدقه فيمثلا قوله ودعاء لهما إلى الإسلام، هذا هو مقصوده بها الوعد. وفي الخازن ما نصه: قال: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ إلا نبأتكما بتأويله قيل أراد به في النوم يقول لا يأتیکما طعام ترزقانه في نومكما إلا أخبرتكما خبره في اليقظة. وقيل: أراد به في اليقظة يقول لا يأتیکما طعام ترزقانه من منازلكما يعني تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بتأويله بقدرة وكيفيته والوقت الذي يصل إليكما فيه قبل أن يأتیکما يعني قبل أن يصل إليكما وأي الطعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف: هذا من علم العرافين والكهنة، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال لهما: ما أنا بكاهن ولا عراف، وإنما ذلك إشارة إلى المعجزة والعمل الذي أخبرهما به اهـ.

قوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ يعني أن هذا الذي أخبرتكما به وحي من الله أوحاه إليّ وعلم علمنيه اهـ خازن.

بقوله ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ﴾ مآبَاءَ إِتْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ ﴿يَنْبَغِي﴾ ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿لَهُ﴾ فيشركون ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال ﴿يَصْنَعِي﴾ ساكني ﴿السَّجْنِ﴾ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ

قوله: (فيه حث) أي فيما ذكر من قوله: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا﴾ الخ، حث أي تعريض وتلميح إلى طلب الإيمان منهما، ثم قواه أي قوى هذا الحث والتعريض بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ الخ، ثم صرح بالدعاء إلى الإيمان صريحاً بقوله: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ﴾ الخ اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: فيه حث على إيمانهما أي حيث أعلمهما بما خصه الله به من النبوة، وأن يقوله بوحى من الله تعالى لا من جهة الكهانة والاستثناء مفرغ. وفي موضع الجملة بعده وجهان، أحدهما: أنهما في محل نصب على الحال، وساغ ذلك من النكرة لتخصصها بالوصف. والثاني: أن تكون في محل رفع نعتاً ثانياً لطعام، والتقدير لا يأتیکما طعام من رزق إلا حال كونه منبأ بتأويله الواقع قبل إتيانه، وإليه أشار في التقرير اهـ.

قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ الترك: عبارة عن عدم التلبس بالشيء من أول الأمر وعدم الالتفات إليه بالكلية اهـ من الخازن.

قوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ الخ لما ادعى النبوة وأظهر المعجزة أظهر أنه من أهل بيت النبوة، وقد كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب مشهورين بها وبالرسالة، وذكر الفخر الرازي أنه نبىء في السجن اهـ من الخازن.

قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا﴾ أي لا يصح ولا يمكن لنا الخ، وقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ أي شيء كان من ملك أو انسي أو جني، فضلاً أن نشرك به صنماً لا يسمع ولا يبصر اهـ خازن.

قوله: (زائدة) أي في المفعول. قوله: (لعصمتنا) أي فليس المراد من قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا﴾ أنه حرم ذلك عليهم، بل المراد أنه تعالى طهره وطهر آباءه عن الكفر، كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥] فهذا جواب عن سؤال وهو أن حال كل المكلفين كذلك، فالجواب ما ذكر من أنه ليس المراد الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي بالوحي، ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ أي: وعلى سائر الناس بيعتتنا لإرشادهم وتنبئهم عليه، ولكن أكثر الناس المبعوث إليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون، أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وإنزال الآيات، ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها، فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها اهـ بياضوي.

قوله: (ثم صرح) معطوف على قوله ثم قواه.

قوله: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ﴾ يجوز أن يكون من باب الإضافة للظرف، إذ الأصل يا صاحبي في السجن، ويجوز أن يكون من باب الإضافة إلى الشبيه بالمفعول به، والمعنى يا ساكني السجن كقوله ﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾ اهـ سمين.

حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ أَلَوْحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ خبر استفهام تقرير ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سميتم بها أصناماً ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الَّذِينَ أَلْقَيْتُمْ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ﴾ أي الساقى فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقَى رَبَّهُ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الظُّبُرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤياكما فقالا ما رأينا شيئاً فقال ﴿قُضِيَ﴾ تم ﴿الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ﴿٤١﴾ سألتما عنه

قوله: ﴿متفرقون﴾ أي من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك اهـ خازن.
قوله: (استفهام تقرير) أي طلب الإقرار بجواب الاستفهام. أي: أقرؤا واعلموا أن الله هو الخير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما تعبدون﴾ الخ خطاب لأهل السجن جميعاً لا لخصوص الصاحبين اهـ خازن.
قوله: (سميتم بها أصناماً) أي من غير حجة تدل على تحقيق مسمياتها فيها، فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة. والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الإلهية عقل ولا نقل آلهة، ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها اهـ بيضاوي.
قوله: ﴿أمر ألا تعبدوا﴾ الخ يجوز في أمر أن يكون مستأنفاً وهو الظاهر، وأن يكون حالاً اهـ سمين.

قوله: ﴿يا صاحبي السجن﴾ الخ لما فرغ من الدعاء إلى الله وعبادته رجع إلى تعبير رؤياهما، فقال: ﴿يا صاحبي السجن﴾ الخ اهـ خازن.
قوله: (فيخرج بعد ثلاث) أي من الأيام، وهي العناقيد الثلاثة التي عصرها، ففسر الثلاثة ببقاء السجن ثلاثة أيام اهـ خازن.

قوله: (سيده) أي الملك. قوله: ﴿وأما الآخر﴾ (فيخرج بعد ثلاث) أي من الأيام وهي السلال الثلاث، ففسرها بثلاث أيام يمكثها في السجن اهـ شيخنا.
قوله: (فقالا ما رأينا شيئاً) أي وإنما ادعينا أنا رأينا لنختبرك ونجربك، وهذا أحد قولين، والآخر أنهما رأيا حقيقة. وفي الخازن ما نصه: وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول: إني أعبر الأحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه. هلم فلنجرب هذا العبد العبراني فسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئاً. قال ابن مسعود: ما رأيا شيئاً إنما تحالما ليجربا يوسف، وقال قوم: بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة، فراهما وهما مهمومان، فسألهما عن شأنهما، فذكرا، أنهما غلامان للملك وقد حبسهما، وقد رأيا رؤيا قد أهتمهما، فقال يوسف: قصا علي ما رأيتما فقصا عليه ما رآياهما اهـ.

قوله: ﴿قضي﴾ أي وجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به رأيتما أو لم تريا شيئاً، فالمراد بالأمر ما يؤول إليه أمركما، ولذلك وحده فإنهما وإن استفتيا في أمرين، لكنهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما اهـ بيضاوي.

صدقتهما أم كذبتما ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقى ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك فقل له إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً. فخرج ﴿فَأَنسَنَاهُ﴾ أي الساقى ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ فَلَيْتَ﴾ مكث يوسف ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ قيل سبعا وقيل

وفي السمين: قوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ قال الزمخشري: ما استفتيا في أمر واحد، بل في أمرين مختلفين، فما وجه التوحيد؟ قلت: المراد بالأمر ما اتفهما به من سم الملك وما سجننا من أجله اهـ.

قوله: (سألتما) أي فالمضارع بمعنى الماضي.

قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمْ﴾ الظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه، لأن التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي، بل على ظن يوسف، وهو بمعنى اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهِ﴾ [الحاقة: ٢٠] فالتعبير بالوحي كما ينبيء عنه قوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ الخ، وقيل: هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد، وكذا قوله ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ اجتهادي أيضاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ حال أي حال كون الناجي من جملة الاثنين، وقوله وهو الساقى تفسير للموصول. قوله: (سيدك) وهو الملك. وقوله: (غلاماً محبوساً) أي طال حبسه ظلماً خمس سنين قوله: (أي الساقى) هذا أحد قولين في تفسير الضمير، والقول الآخر أنه يعود على يوسف. وعبرة الخازن: في هاء الكناية في أنساه قولان.

أحدهما: أنها تعود إلى الساقى، وهو قول جماعة من المفسرين، والمعنى فأنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند الملك. قالوا: لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقى حيث أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها إلى يوسف.

والقول الثاني: وهو قول أكثر المفسرين أن هاء الكناية ترجع إلى يوسف، والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره، واستعان بمخلوق مثله، وذلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام، فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر، وإن كان جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف على المقامات، ورتبته أعلى المراتب، وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مؤاخذاً بهذا القدر، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

فإن قلت: كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه؟ قلت: بشغل الخاطر، وإلقاء الوسوسة، فإنه قد صح في الحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». فأما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه اهـ. قوله: (قيل سبعا) خمس منها قبل قوله: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، واثنان بعد ذلك، هذا هو الصحيح، قوله: (وقيل اثني عشر) ما يضعفه أن البضع يقال على العدد من الثلاثة إلى التسعة، فالاثنا عشر ليست من استعمالاته اهـ شيخنا.

وعلى هذا القول الثاني كان مكثه قبل القول المذكور خمسا وبعده سبعا وفي البيضاوي: وفي الحديث: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس» اهـ.

اثنتي عشرة ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد ﴿إِنِّي أَرَىٰ﴾ أي رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يتلعهن ﴿سَبْعَ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي

وفي القرطبي: وفي المدة التي لبثها مسجوناً ثلاثة أقوال، أحدها: سبع سنين قاله ابن جريج، وقتادة، ووهب بن منبه. قال وهب: أقام أيوب في البلاء سبع سنين، وأقام يوسف في السجن سبع سنين. الثاني: اثنتا عشرة قاله ابن عباس، الثالث: أربع عشرة سنة قاله الضحاك. وقال مقاتل، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: مكث يوسف في السجن خمساً وبضعاً، واشتقاقه من بضعت الشيء أي قطعتة فهو قطعة من العدد، فعاقب الله يوسف بأن حبس سبع سنين أو تسع سنين بعد الخمس التي مضت، فالبضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله. وقال وهب بن منبه: حبس يوسف في السجن سبع سنين، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين، وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين. وقال عبد الله بن راشد البصري، عن سعيد بن أبي عروبة أن البضع ما بين الخمس إلى الاثنتي عشرة سنة انتهى اهـ.

قوله: ﴿وقال الملك إني أرى﴾ الخ لما دنا فرج يوسف وأراد الله إخراجه من السجن رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجبية هالته، وذلك أنه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر، ثم خرج بعدهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال والضعف، فابتلعت العجاف السمان ودخلن في بطونهن، ولم ير منهن شيء ولم يتبين عل العجاف شيء منها، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعاً آخر يابسات قد استحصدن، فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن، ولم يبق من خضرتهن شيء، فقلق الملك واضطرب، وذلك لأنه لما شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى غلبه وقهره أراد أن يعرف ذلك، فجمع سحرته وكهنته ومعبريه، وأخبرهما بما رأى في منامه، وسألهم عن تأويلها، فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم من الجواب، ليكون ذلك سبباً لخلاص يوسف من السجن اهـ خازن.

قوله: ﴿إني أرى﴾ أي في منامي، وقوله: (أي رأيت) أشار به إلى أنه من التعبير بالمستقبل عن الماضي، كقوله: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾ [البقرة: ١٠٢] أي تلتها، ويجوز أن يكون حكاية حال ماضية اهـ كرخي.

قوله: ﴿سمان﴾ صفة لبقرات، وهو جمع سمين، ويجمع سمين أيضاً عليه، يقال: رجال سمان، كما يقال نساء كرام ورجال كرام، والسمن مصدر سمن يسمن فهو سمين، فالمصدر والاسم جاءا على غير قياس: إذ قياسهما سمناً بالفتح فهو سمن نحو: فرح فرحاً فهو فرح اهـ.

وفي المصباح: سمن يسمن من باب تعب، وفي لغة من باب قتل إذا كثر لحمه وشحمه، ويتعدى بالهمزة والتضعيف اهـ.

قوله: (جمع عجفاء) أي جمع سماعي، والقياسي عجف على حد قول ابن مالك:

فعل لنحو أحمروحمراء

لكنه حمل على سمان لأنه نقيضه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿خضر﴾ أي انعقد حبها، وقوله: ﴿وأخر يابسات﴾ أي قد بلغت أوان الحصاد، وأخر

سبع سنبلات ﴿يَاسَيِّتٍ﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَى﴾ بينوا لي تعبيرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ فاعبروها ﴿قَالُوا﴾ هذه ﴿أَضْغَثٌ﴾ أخلاط ﴿أَخْلَطَ وَمَا تَحْنُ

نسق على سبع لا على سنبلات، ويكون قد حذف اسم العدد من قوله: ﴿وآخر يابسات﴾. والتقدير وسبعاً آخر، وإنما حذف لأن التقسيم في البقرات يقتضي التقسيم في السنبلات اهـ سمين.

قوله: (وعلت عليها) أي وامتصت الرطوبة التي فيها اهـ.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ هم السحرة والكهنة والمعبرون للرؤيا اهـ خازن.

قوله: ﴿تَعْبُرُونَ﴾ من باب نصر ينصر، ويستعمل أيضاً بالتشديد كعلم يعلم تعليماً اهـ شيخنا.

أي إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة، وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها بالتشديد تعبيراً، واللام للبيان أو لتقوية العامل اهـ بيضاوي.

وفي السمين: وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول عبرت النهر إذا قطعتة حتى تبلغ آخر عرضه اهـ.

وفي المصباح: عبرت النهر عبراً من باب قتل، وعبوراً أيضاً قطعتة إلى الجانب الآخر، وعبرت الرؤيا عبراً أيضاً وعبارة فسرتها وبالتثقييل مبالغة، وفي التنزيل إن كنتم للرؤيا تعبرون اهـ. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا﴾ فيه أوجه.

أحدها: أن اللام فيه مزيدة فلا تعلق لها بشيء، وزيدت لتقدم المعمول مقوية للعامل، كما زيدت فيه إذا كان العامل فرعاً كقوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لَّمَّا يَرِيدُ﴾ [هود: ١٧، والبروج: ١٦] ولا تزداد فيما عدا ذينك إلا ضرورة، وبعضهم يقول الأكثر أن لا تزداد، ويحترز بالأكثر من قوله: ﴿رَدَفَ لَكُمْ﴾ فزيدت فيه اللام ولا تقدم ولا فرعية.

الثاني: أن يضمن تعبرون معنى ما يتعدى باللام تقديره إن كنتم تتدبّون لعبارة الرؤيا.

الثالث: أن يكون للرؤيا هو خبر كنتم، كما تقول كان فلاناً لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً

منه.

وعلى هذا فيكون في تعبرون وجهان، أحدهما: أنه خبر ثان لكنتم. الثاني: أنه حال من الضمير المرتفع بالجار لوقوعه خبراً اهـ سمين.

قوله: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي هذه أضغاث أحلام وهي تخاليلها جمع ضغث، وأصله ما جمع وحزم من أخلاط النبات كالحزمة من الحشيش فاستعير الرؤيا الكاذبة، وإنما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان أو لتضمنه أشياء مختلفة. وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ﴾ يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة. أي: ليس لها تأويل عندنا، وإنما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثانية للعدر بجهلهم بتأويله اهـ بيضاوي.

وقوله: (وإنما جمعوا) أي جمعوا الضغث وجعلوه خبراً لهذه الرؤيا مع أنها ليست إلا رؤيا واحدة للمبالغة، فإن لفظ الجمع كما يدل كثرة الذوات يدل أيضاً على المبالغة في الاتصاف اهـ زاده.

يَتَأْوِيلُ الْأَحْلَامَ بِعَالَمِينَ ﴿١١﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ أي من الفتيتين وهو الساقى ﴿وَأَذْكُرُ﴾ فيه إبدال التاء

وفي أبي السعود ما نصه : ﴿أضغاث أحلام﴾ أي تخاليلها جمع ضغث، وهو في الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحزم، ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان وتراها في المنام، والأحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والإضافة على معنى من أي هي أضغاث من أحلام أخرى وجها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول إليها ويعتنى بأمرها وجمعوها، وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان، كما في قولهم : فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك إلا فرساً واحدة وعمامة فردة، أو لتضمنها أشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف، والسنابل السبع الخضر والأخر اليابسات، فتأمل حسن موقع الأضغاث مع السنابل فالله در شأن التنزيل اهـ.

وفي السمين ما نصه : أضغاث خبر مبتدأ مضمرة أي هي أضغاث يعنون ما قصصته علينا، والجملة منصوبة بالقول، والأضغاث : جمع ضغث بكسر الضاد، وهو ما جمع من النبات سواء كان جنساً واحداً أو أجناساً مختلطة، وهو أصغر من الحزمة، وأكبر من القبضة، فمن مجيئه من جنس واحد قوله تعالى : ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ [ص : ٤٤]. روي في التفسير أنه أخذ عثكلاً من نخلة. وفي الحديث : أنه أتى بمريض وجب عليه حد ففعل به ذلك. وقال الزمخشري : وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث، وقال الراغب : الضغث قبضة ريحان أو حشيش أو قبضتان : قلت : وقد تقدم أنه أكبر من القبضة، والباء في يتأويل متعلقة بعالمين، وفي بعالمين لا تعلق لها لأنها زائدة إما في خبر الحجازية أو التميمية، وقولهم ذلك يحتمل أن يكون نفيًا للعلم بالرؤيا مطلقاً، وأن يكون نفيًا للعمل بتأويل الأضغاث منها خاصة دون المنام الصحيح، وقال أبو البقاء : أي بتأويل أضغاث الأحلام، ولا بد من ذلك لأنهم لم يدعوا الجهل بتعبير الرؤيا اهـ.

قوله : ﴿وقال الذي نجا﴾ أي بعد أن جلس بين يدي الملك، وقال له : إن في السجن رجلاً عالماً بتعبير الرؤيا اهـ خازن.

قوله : ﴿وادكر﴾ فيه وجهان، أحدهما : أنه جملة حالية إما من الموصول، وإما من عائده وهو فاعل نجا. والثاني : أنه عطف على نجا فلا محل له لنسقه عن ما لا محل له اهـ سمين.

قوله : (فيه إبدال التاء) أي تاء الافتعال الزائدة، لأنه من الذكر، وقوله : (وإدغامها) أي الدال المنقلبة عن التاء، وقوله (في الدال) النسخة التي كتب عليها المحشي في الدال بعد قلبها دالاً، وعلى كل حال ففي العبارة قلب إذ الدال المنقلبة عن التاء مدغم فيها لا مدغمة اهـ شيخنا.

وفي السمين : والعامية على اذكر بدال مهملة مشددة وأصلها إذ تكرر افتعل من الذكر، فوقعت تاء الافتعال بعد الدال، فأبدلت دالاً فاجتمع متقاربان فأبدل الأول من جنس الثاني وأدغم، وقرأ الحسن بذيال معجمة ووجهها بأنه إبدال للتاء من جنس الأول وأدغم، وكذا الحكم في مذكر كما سيأتي في سورته إن شاء الله تعالى اهـ.

في الأصل دالاً وإدغامها في الذال أي تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين حال يوسف ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ فَأَرْسَلُونَهُ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلُوهُ فَاتَى يوسف فقال يا ﴿يُوشَفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُكُكِدٍ خُضِرَ وَأُخْرَ يَأْكُسِتَ لَعَلِّي أَزْجِعَ إِلَى النَّاسِ﴾ أي الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ تعبيرها ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ متتابعة وهي

قوله: ﴿بعد أمة﴾ بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة وهي المدة الطويلة، وقرأ الأشهب العقيلي: بكسر الهمزة وفسروها بالنعمة أي بعد نعمة أنعم بها عليه، وهي خلاصة من السجن ونجاته من القتل. وقرأ ابن عباس، وزيد بن علي، وقتادة، والضحاك، وأبو رجاء أمه بفتح الهمزة وتخفيف الميم وهاء منونة، والأمة هو النسيان يقال أمه يأمة أمها، وأمها بفتح الميم وسكونها والسكون غير مقيس اهـ سمين.

قوله: (حين) وهو ستان أو سبع أو تسع، وسمي الحين من الزمان أمة لأنه جماعة أيام، والأمة الجماعة اهـ من الخازن.

قوله: (حال يوسف) أي من كونه عالماً بتعبير الرؤيا، ومن وصيته له بقوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ﴾ بلفظ الجمع. إما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة المعبرين، أو أراد الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم اهـ خازن. وفي الشهاب: ﴿أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي أخبركم بمن عنده تأويله، أو أدلكم عليه أو أخبركم إذا سأله عنه اهـ.

قوله: ﴿فَأَرْسَلُونَهُ﴾ أي إلى من عنده علمه أو إلى السجن اهـ بيضاوي.

قوله: (فأرسلوه) إشارة إلى أن في الكلام حذف جمل ثلاث وجملة مجيء الرسول ليوسف في السجن أربع مرات: الأولى في قوله: ﴿فَأَرْسَلُونَهُ يوسف﴾، والثانية في قوله: ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك﴾، والثالثة في قوله: ﴿وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم﴾ الخ، والرابعة في قوله: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ الخ يعلم ذلك كله من صنيع الشارح اهـ شيخنا. قوله: (الكثير الصدق) وصفه بذلك لأنه قد جربه في السجن في تعبیر الرؤيا وفي غيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَفْتِنَا﴾ أي بين لنا في سبع بقرات أي في رؤيا ذلك اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لعلني أرجع إلى الناس﴾ أي أعود إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد، إذ قيل: إن السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها أو فضلك ومكانتك، وإنما لم يبت الكلام فيهما، لأنه لم يكن جازماً بالرجوع، فربما اخترمته المنية دونه ولا يعلمهم اهـ بيضاوي. وفي المصباح: بته بتاً من بابي ضرب وقتل قطعه، وفي المطاوع فانبث كما يقال فانقطع وانكسر اهـ.

قوله: ﴿قال تزرعون﴾ الخ حاصل تفسيره أنه أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصصة.

تأويل السبع السمان ﴿فَأَحْصَيْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ أي اتركوه ﴿فِي سُبُلِهِ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي السبع المخصبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجذبات صعبا وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات أي تأكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِتُونَ﴾ تدخرون ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي السبع المجذبات ﴿عَامٌ

والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وأول ابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة اهـ يضاوي.

قوله: (أي ازرعوا) حملة على الأمر ليناسب قوله ﴿فَذَرُوهُ﴾، وإلا فالمناسب إبقاؤه على الخبرة، لأنه إخبار عن حالتهم التي ستحصل، ولأنه تفسير للرؤيا والتفسير إخبار لا الزام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿دَابَّ﴾ قرأ حفص بفتح الهمزة والباقون بسكونها. وهما لغتان في مصدر دأب يدأب أي داوم على الشيء ولازمه، وهذا كما قالوا ضأن وضأن ومعز ومعز بفتح العين وسكونها، وفي انتصابه وجهان، أحدهما: وهو قول سيويه أنه منصوب بفعل مقدر تقديره تدأبون دأباً. والثاني: أنه مصدر واقع موقع الحال، فيكون فيه الأوجه المعروفة إما المبالغة، وإما وقوعه موقع الصفة، وإما على حذف مضاف أي دائبين، أو ذوي دأب أو جعلهم نفس الدأب مبالغة اهـ سمين.

وأصل معنى الدأب التعب، ويكنى به عن العادة المستمرة، لأنها تنشأ عن مداومة العمل اللازم له التعب اهـ شهاب.

قوله: (وهي تأويل السبع السمان) أي والسبع الخضر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿تَأْكُلُونَ﴾ هذه نصيحة منه لهم خارجة عن التعبير اهـ يضاوي. وما يجوز أن تكون شرطية أو موصولة اهـ سمين.

قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سَبْلِهِ﴾ أي وبقصبه ليكون القصب علماً للدواب اهـ خازن.

وفي المصباح: وسنبل الزرع فنعل بضم الفاء والعين الواحدة سنبلة والسبل مثله الواحدة سبلة مثل قصب وقصبه، وسنبل الزرع أخرج سنبله وأسبل أخرج سبله اهـ.

قوله: (لئلا يفسد) عبارة أبي السعود فذروه في سنبله ولا تدرسوه كيلاً يأكله السوس، كما هو شأن غلال مضر ونواحيها اهـ.

قوله: (فادرسوه) يقال درس يدرس ككتب يكتب فعلاً ومصدراً كما يقتضيه صنيع القاموس.

قوله: (وهي تأويل السبع العجاف) أي والسبع اليابسات أيضاً. قوله: (أي تأكلونه فيهن) أي فالإسناد مجازي تطبيقاً بين المعبر والمعبر به اهـ يضاوي.

وفي أبي السعود: وإسناد الأكل إليهن مع أنه حال الناس فيهن مجازي، كما في نهاره صائم، وفيه تلويح بأنه تأويل لأكل العجاف السمان، واللام في لهن ترشح لذلك، فكأن ما ادخر في السنابل من الجبوب شيء قد هبىء وقدم لهن، كالذي يقدم للنازل، وإلا فهو في الحقيقة للناس فيهن اهـ.

قوله: (تدخرون) أي للبذر، والإحصان الإحراز، وهو يقال لجعل الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع اهـ خازن.

فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ ﴿بِالْمَطَرِ﴾ ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ﴿الْأَعْنَابِ﴾ وَغَيْرَهَا لَخَصْبِهِ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ الرُّسُولَ وَأَخْبِرَهُ بِتَأْوِيلِهَا ﴿أَتَتُونِي بِهِ﴾ أَيُّ بِالَّذِي خَبَرَهَا ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أَيُّ يَوْسُفَ ﴿أَرْسُولُ﴾ وَطَلَبَهُ

قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ الخ هذه بشارة منه لهم زائدة على تعبير الرؤيا، ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجذب بالخصب على العادة الإلهية حيث يوسع على عباده بعد تضييقه عليهم اهـ بياضوي .

قوله: ﴿فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ﴾ من الغيث على أن الألف منقلبة عن ياء، أو من الغوث على أنها منقلبة عن واو، والغيث مصدر غاث الله البلاد يغيثها غيثاً إذا أنزل بها الغيث وهو المطر، والغوث الفرج وزوال الهم والكرب وعلى هذا يكون فعله رباعياً . يقال: استغاث الله فأغاثه أي أنقذه من الكرب الذي هو فيه كالقحط اهـ زاده .

وفي السمين: قوله ﴿النَّاسُ﴾ يجوز أن تكون الألف عن واو وأن تكون عن ياء إما الغوث وهو الفرج وفعله رباعي يقال: أغاثنا الله من الغوث، وإما من الغيث وهو المطر، يقال: غيثن البلاد أي مطرت وفعله ثلاثي يقال: غاثنا الله من الغيث اهـ .

وفي المصباح: أغاثه إغاثه إذا أعانه ونصره فهو مغيث، والغوث اسم منه، واستغاث به فأغاثه وأغاثهم الله برحمته كشف شدتهم، وأغاثنا المطر من ذلك فهو مغيث وأغاثنا الله بالمطر والاسم الغياث بالكسر اهـ .

وفيه أيضاً: الغيث المطر وغاز الله البلاد غيثاً من باب ضرب أنزل بها الغيث، ويبنى للمفعول فيقال غيثن الأرض تغاث وغاز الغيث الأرض غيثاً من باب ضرب أيضاً نزل بها، وسمي النبات غيثاً تسمية باسم السبب، ويقال رعينا الغيث اهـ .

قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ بالياء والتاء سبعيتان وعلى كليهما فالصاد مكسورة وبابه ضرب، كما في المصباح والقاموس، وقوله: ﴿الْأَعْنَابِ﴾ أي يعصرونها خمراً أي ويعصرون غيرها كالزيتون زيتاً والسمسم دهنأ اهـ خازن .

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَتُونِي بِهِ﴾ مرتب على محذوف ذكره الشارح بقوله: لما جاءه الرسول أي حين جاءه الرسول وكان عليه أن يقدمه فيقول: فجاءه الرسول فأخبره بتأويلها، فقال الملك الخ اهـ شيخنا .

وعبارة الخازن: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَتُونِي بِهِ﴾، وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنة الملك، وعرف أن الذي قاله كائن لا محالة . قال: اتتوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة، فرجع الساقى إلى يوسف وقال له: أجب الملك، فذلك ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرُّسُولُ﴾ الخ اهـ .

قوله: (أي بالذي عبرها) يستعمل بالتخفيف والتشديد، والأول أفصح اهـ شيخنا .

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرُّسُولُ﴾ مرتب على محذوف أي: فذهب الرسول لطلبه، فلما جاءه الخ اهـ شيخنا .

للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً إظهار براءته ﴿آتَجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَعَلَّهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿النِّسْوَةِ﴾ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي سَيَدِي ﴿يَكِيدُهُنَّ عَلِيمٌ﴾ فرجع فأخبر الملك فجمعهم ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكن ﴿إِذْ رَاوَدْتُهُنَّ يَوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إلیكن ﴿قُلْتُ حَسْبُ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوٍّ﴾ قَالَتْ أَمَرْتُ الْعَزِيزَ الْفَنَّ حَصْحَصَ ﴿وَضَحَّ﴾ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٠﴾ في قوله:

قوله: ﴿قَالَ﴾ (قاصداً إظهار براءته الخ) عبارة البيضاوي: إنما تأني وتوقف في الخروج، وقدم سؤال النسوة والفحص على حاله لتظهر براءة ساحته، ويعلم أنه سجن ظلماً فلا يقدر الحاسد على أن يتوسل به إلى تقبيح أمره، وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتوقى مواضعها. وعن النبي ﷺ: «لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة»، وإنما قال: فأسأله ما بال النسوة ولم يقل فأسأله أن يفتش عن حالهن تهيباً للملك على البحث وتحقيق الحال اهـ.

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وهو الملك، وقوله: ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ العامة على كسر النون، وضمها عاصم في رواية أبي بكر عنه وليست بالمشهورة، وكذلك قرأها أبو حيوة، وقرىء اللائي بالهمز وكلاهما جمع للتي والخطب الأمر والشأن الذي فيه خطر، وهو في الأصل مصدر خطب يخطب، وإنما يخطب في الأمور العظام اهـ سمين.

وفي المختار: الخطب الأمر تقول ما خطبك. قال الأزهري: أي ما أمرك، وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه خطوب اهـ. وكانت النسوة أربعين كما تقدم.

قوله: ﴿إِنْ رَبِّي﴾ (سيدي الخ) عبارة الخطيب: إن ربي أي الله بكيدهن عليم حيث قلن أطع مولاتك، وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله تعالى عليه، وأنه بريء مما عيب به، والوعيد لهن على كيدهن وقيل: المراد بربي الملك وجعله رباً لنفسه لكونه مربياً له، وفيه إشارة إلى كون ذلك الملك عالماً بكيدهن ومكرهن اهـ.

قوله: (فجمعهم) وكانت زليخا معهن اهـ خازن.

قوله: ﴿إِذْ رَاوَدْتُهُنَّ﴾ هذا الظرف منصوب بقوله ما خطبك، لأنه في معنى الفعل، إذ المعنى ما فعلتن وما أدرتن به في ذلك الوقت اهـ سمين.

وخاطبهن جميعاً، والمراد امرأة العزيز وحدها ليكون أستر لها، وقيل: خاطبهن لأنهن قلن ليوسف أطع مولاتك، فكان هذا بمنزلة مراودتهن اهـ من الخازن.

قوله: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً له من أن يتصف بالعجز عن خلق بشر عفيف مثل هذا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ أي خيانة في شيء من الأشياء اهـ.

قوله: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ﴾ الخ لما علمت أن هذه المناظرات والتفحصات إنما هي بسببها كشف الغطاء صرحت بما هو الواقع، وقالت: الْآنَ حصحص الحق أي انكشف، ولما علمت زليخا أن يوسف راعى جانبها حيث قال: ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ الخ ولم يذكرها مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جهتها كافات على ذلك باعترافها بأن الذنب منها بقولها: أنا رادوته عن نفسه الخ اهـ زاده.

﴿هي راودتني عن نفسي﴾ فأخبر يوسف بذلك فقال ﴿ذَلِكَ﴾ أي طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ثم تواضع لله فقال ﴿وَمَا أُبَرِّئُ

والآن منصوب بما بعده، وحصحص معناه تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل. قال بعضهم: هو مأخوذ من الحصاة، والمعنى بانت حصاة الحق من حصاة الباطل، كما تتميز حصص الأراضي وغيرها. وقيل: بمعنى ثبت واستقر. وقال الراغب: حصحص الحق وذلك بانكشاف ما يغمره، وحصص وحصحص نحو كف وكفكف، وحصه قطعه إما بالمباشرة، وإما بالحكم. والحصاة: القطعة من الجملة وتستعمل استعمال النصيب اهـ سمين.

قوله: (وضح) أي اتضح. وفي المصباح: وضح يوضح من باب وعد وضوحاً انكشف وانجلي اهـ.

قوله: (فأخبر يوسف) أي أخبر الرسول يوسف بذلك أي: بجواب النسوة المذكور، وقول زليخا ما ذكر وهو معطوف على مقدر أي فجاء الرسول إلى يوسف فأخبره بذلك فقال يوسف ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ الخ اهـ شيخنا.

وهذه هي المرة الثالثة من مرات مجيء الرسول ليوسف في السجن. قوله: (فقال) أي يوسف ذلك أي طلب البراءة بقوله ﴿ارجع إلى ربك فاسأله﴾ الخ أي: قال هذا القول، وهو في السجن لأن خروجه سيذكر في قوله: ﴿وقال الملك﴾ الخ هكذا قد جرى الشارح على أن قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ من كلام يوسف، وعليه أكثر المفسرين، وجرى بعضهم على أنه من كلام زليخا. وفي أبي السعود: وقيل: إن هذا من كلام امرأة العزيز، والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام أنني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة، وجئت بما هو الحق الواقع، وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت إن كل نفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي أي إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور لمن استغفر من ذنبه واعترف به رحيم له، فعلى هذا يكون تأنيبه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه ملاقاته الملك، وأمره بين ففعل ما فعل حتى تتبين نزاهته، وأنه إنما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليلتقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاحلال وقد وقع اهـ.

قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ (العزيز) أي قطفير زوج زليخا الذي هو وزير الملك الكبير اهـ.

قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ يجوز أن تكون الباء ظرفية قال الزمخشري: أي مكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة، ويجوز أن تكون الباء لحال إما من الفاعل على معنى وأنا غائب عنه خفي عن عينيه، وإما من المفعول على معنى وهو غائب عني خفي عن عيني اهـ سمين.

قوله: ﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أي لا ينفذه ولا يمضيه ولا يسدده، أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة اهـ بضاوي.

أي: فهداية الكيد على الأول مجاز عن تنفيذه، وعلى الوجه الثاني المراد لا يهدي الخائنين بسبب كيدهم، فأوقع الهداية المنفية على الكيد، وهي واقعة عليهم تجوزاً للمبالغة، لأنه إذا لم يهد

نَفْسِيَّ ﴿ مِنْ الزَّلْزَلِ ﴾ ﴿ إِنَّ النَّفْسَ ﴾ الْجَنَسِ ﴿ لَأَمَّارَةٌ ﴾ كَثِيرَةُ الْأَمْرِ ﴿ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا ﴾ بِمَعْنَى مِنْ ﴿ رَجَمَ رَبِّي ﴾ فَعَصَمَهُ ﴿ إِنَّ رَبِّيَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتَنِي بِهَذَا أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي ﴾ أَجْعَلُهُ خَالِصاً لِي دُونَ شَرِيكِ فَجَاءَهُ الرَّسُولُ وَقَالَ أَجِبَ الْمَلِكُ فَقَالَ وَودع أهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ولبس ثياباً

السبب علم منه عدم هداية مسببه بالطريق الأولى اهـ شهاب .

ولعل المراد منه أنني لو كنت خائناً لما خلصني الله من هذه الورطة ، وحيث خلصني منها ظهر أنني كنت بريئاً مما نسبوني إليه اهـ كرخي .

قوله : (ثم تواضع لله) أي قال القول المذكور تواضعاً لله ، وإلا فيستحيل في حقه أن تأمره نفسه بالسوء لعصمته اهـ شيخنا .

قوله : ﴿ مَا أَبْرَأَ نَفْسِي ﴾ هذه الجملة حال من قوله ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾ الخ أي : من عامله المقدر أي : طلبت البراءة ليعلم الخ والحال أنني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي ولا براءتها الخ اهـ شيخنا .

قوله : (الجنس) أي الذي في ضمن جميع الأفراد ، ولو عبر باستغراق لكان أظهر ، فالاستثناء متصل . وما في قوله ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ واقعة على نفس من النفوس ، فلذلك كانت بمعنى من كما قال فقوله فعصمه فيه مراعاة لفظ ما لا معناها ، وإلا لقال فعصمها اهـ شيخنا .

قوله : (كثيرة الأمر) أي لصاحبها بالسوء هو لفظ جامع لكل ما يهيم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، والسيئة الفعلة القبيحة . واختلفوا في النفس الأمانة بالسوء ما هي ، فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم أن النفس الإنسانية واحدة ولها صفات منها : الأمانة بالسوء ، ومنها اللوامة ، ومنها المطمئنة . فهذه الثلاث مراتب هي صفات لنفس واحدة ، فإذا دعت النفس إلى شهواتها ومالت إليها فهي النفس الأمانة بالسوء ، وإذا منعتها النفس اللوامة ولامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ، فتحصل عند ذلك الندامة على ذلك العمل القبيح ، وهذا من صفات النفس المطمئنة . وقيل : إن النفس أمانة بالسوء بطبعها ، فإذا زكت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة اهـ خازن .

قوله : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتَنِي بِهِ أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي ﴾ وذلك أنه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه طلب حضوره إليه ، فقال : ﴿ أَتَنْتَنِي بِهِ ﴾ يعني بيوسف أستخلصه لنفسي أي : أجعله خالصاً لنفسي . والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك ، وإنما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه ، لأن عادة الملوك أن ينفردوا بالأشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركون فيها أحد من الناس ، وإنما قال الملك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره وإحسانه إلى أهل السجن وحسن أدبه وثباته عند المحن كلها ، فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه ، وإذا أراد الله تعالى أمراً هياً أسبابه ، فألهم الملك ذلك فقال ﴿ أَتَنْتَنِي بِهِ ﴾ الخ اهـ خازن .

قوله : (ودعا لهم) وقال في دعائه : اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ، ولا تغم عنهم الأخبار ، وقوله (ثم اغتسل) أي ولما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء اهـ خازن .

حساناً ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل؟ قال اجمع الطعام وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام

قوله: (ودخل عليه) أي فسلم يوسف على الملك بالعربية، فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له يوسف بالعبرانية فقال له: وما هذا اللسان أيضاً؟ قال يوسف: هذا لسان آبائي. وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، ولم يعرف هذين اللسانين، وكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به، وزاد عليه بالعربية والعبرانية، فأعجب الملك أمره مع صغر سنه، إذ كان عمره يومئذ ثلاثين سنة، فأجلسه إلى جنبه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ أي كلم الملك يوسف، لأن مجالس الملوك لا يحسن لأحد أن يبدأ بالكلام فيها، وإنما يبدأ به الملك اهـ خازن.

وفي أبي السعود: والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك. أي: فلما كلمه يوسف إثر مجيئه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ معطوف على ما قدره الشارح بقوله: (فجاءه الرسول) الخ وهو ثمان جمل قد اختصر الكلام بحذفها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ يقال: اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة، وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد، وقيل: المكانة المنزلة والجاه، والمعنى قد عرفنا أمانتك ومنزلتك وصدقك وبرائك مما نسبت إليه، ومكين كلمة جامعة لكل ما يحتاج إليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا اهـ خازن.

وفي المصباح: مكن فلان عند السلطان مكانة وزان ضخم ضخامة عظم عنده وارتفع، فهو مكين، ومكنته من الشيء جعلت له عليه سلطاناً وقدرة، فتمكن منه واستمكن قدر عليه وله مكنة أي قوة وشدة، وأمكنته منه بالآلف مثل مكنته وأمكنني الأمر سهل وتيسر اهـ.

قوله: (فماذا ترى أن نفعل قال اجمع الطعام الخ) أي قال ذلك في سياق تعبير الرؤيا للملك مشافهة بعد التعبير السابق وهو في السجن، فقد روي أن الملك قال ليوسف عليه السلام: أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاهاً، قال: نعم أيها الملك، ورأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل، فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبناً، فبينما أنت تنظر إليهن وقد أعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا ييسه، فخرج من حمئه أي طينه الأسود سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضرع ولا أخلاف، ولهن أنياب وأضراس، وأكف كأكف الكلاب، وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان فافترسن السمان اقتراس السبع، فأكلن لحومهن، ومزقن جلودهن، وحطمن عظامهن، ومشمشن مخهن، فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل، ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن. إذا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات أخر سود يابسات في منبت واحد، عروقهن في الثرى والماء، فبينما أنت تقول في نفسك أي شيء هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد أصولهن في الثرى والماء، إذ هبت الريح فردت أوراق الياابسات السود على الخضر المثمرات، فاشتعلت فيهن النار فأحرقتهن فصرن

في سنبله فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك فقال: ومن لي بهذا؟ ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ﴾ ﴿٥٥﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها وقيل: كاتب حاسب

سوداً، فهذا ما رأيت أيها الملك، ثم انتهت مذعوراً. فقال الملك: والله ما أخطأت فيها شيئاً، فما شأن هذه الرؤيا، وإن كانت عجباً فما هي بأعجب مما سمعت منك، وما ترى من تأويل رؤياي أيها الصديق؟ قال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام الخزائن بقصبه وسنبله، فإنه أبقي له، فيكون ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب، وتأمّر الناس أن يرفعوا الخمس من زرعهم أيضاً، فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، وتأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة، ويجتمع عندك من الكنوز والأموال ما لم يجتمع لأحد من قبلك. فقال الملك: ومن لي بهذا، ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه؟ فعند ذلك قال يوسف: ﴿اجْعَلْنِي﴾ الخ اهـ خازن.

وفي القرطبي: ومن لي بتدبير هذه الأمور، ولو جمعت أهل مصر جميعاً ما طاقوا ذلك، ولم يكونوا فيه أمناء فقال يوسف عند ذلك: ﴿اجْعَلْنِي﴾ الخ اهـ.

قوله: (في سنبله) أي وقصبه أيضاً اهـ خازن.

قوله: (فقال ومن لي بهذا) أي وأي شخص يتكفل لي بهذا الأمر ويعينني عليه.

قوله: ﴿قال اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ يعني على خزائن الطعام والأموال، وأراد بالأرض أرض مصر. أي: اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ أَرْضِكَ التي تحت يدك، وقال الربيع بن أنس: اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ خَرَاJ مصر ودخلها إني حفيظ عليم. أي: حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها. وقيل: معناه إني حاسب كاتب، وقيل: حفيظ لما استودعني، عليم لما وليتني. وقيل: حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأتيني. وقال الكلبي: حفيظ تقديره في السنين المخصبة للسنين المجدبة، عليم بوقت الجوع حين يقع. فعند ذلك قال الملك: ومن أحق بذلك منك، وولاه ذلك.

روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أخي يوسف لو لم يقل ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك سنة».

فإن قلت: كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الإمارة والولاية مع ما ورد من النهي عنهما من كراهة طلبهما، لما صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها» أخرجاه في الصحيحين؟ قلت: إنما يكره طلب الإمارة إذا لم يتعين عليه طلبها، فإذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهة فيه، فأما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان واجباً عليه طلب الإمارة لأنه مرسل من الله والرسول أعلم بمصالح الأمة من غيره، وإذا كان مكلفاً برعاية المصالح، ولا يمكنه ذلك إلا بطلب الإمارة وجب عليه طلبها، وقيل: إنه لما علم أنه سيحصل قحط وشدة إما بطريق الوحي من الله أو بغيره، وربما أفضى ذلك إلى هلاك معظم الخلق وكان في طلب الإمارة إيصال الخير والراحة إلى المستحقين وجب عليه طلب الإمارة لهذا السبب.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بعد الضيق والحبس، وفي القصة: أن الملك توجه وولاه مكان العزيز

فان قلت: كيف مدح يوسف نفسه بقوله ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]؟ قلت: إنما يكره تزكية النفس إذا قصد به الرجل التواضع والتفاخر والتوصل به إلى غير ما يحل، فهذا هو القدر المذموم في تزكية النفس، أما إذا قصد بتزكية النفس ومدحها إيصال الخير والنفع إلى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم، بل يجب عليه ذلك. مثاله: أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به، فإنه يجب عليه أن يقول أنا عالم، ولما كان الملك قد علم من يوسف أنه عالم بمصالح الدين ولم يعلم أنه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف بقوله: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ على أنه عالم بما يحتاج إليه في مصالح الدنيا أيضاً مع كمال علمه بمصالح الدين اهـ خازن.

قوله: (وقيل كاتب حاسب) لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ يجوز في هذه اللام أن تكون متعلقة بمَكَّنَّا على أن يكون مفعول مَكَّنَّا محذوفاً تقديره مَكَّنَّا ليوسف الأمور، أو على أن يكون المفعول به حيث كما سيأتي، ويجوز أن تكون زائدة عند من يرى ذلك اهـ سمين.

قوله: ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا﴾ تفسير للتمكين اهـ خازن.

وفي السمين: قوله: ﴿يَتَّبِعُوا﴾ هذه جملة حالية من يوسف، ومنها يجوز أن يتعلق بيبسأ، وأجاز أبو البقاء أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من حيث، وحيث يجوز أن يكون ظرفاً بيبسأ، ويجوز أن يكون مفعولاً به وقد تقدم تحقيقه في الأنعام اهـ.

قوله: (بعد الضيق والحبس) أي حصل له التمكين بعد الصبر على الضيق في وضعه في الحبس ورق العبودية، واتهامه فيما هو بريء منه وحبسه وغير ذلك اهـ كرخي.

قوله: (وفي القصة أن الملك الخ) قال ابن عباس وغيره: لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الإمارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياواقيت طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع، وجعل له ثلاثين فراشاً وستين مأدبة، وضرب له عليه حلة من استبرق، وأمره أن يخرج فخرج متوجاً لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه، فانطلق حتى جلس على ذلك السرير، ودانت ليوسف الملوك، وفوض الملك الأكبر إليه ملكه، وعزل قبطير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه. وقال الزمخشري: إن يوسف قال للملك: أما السرير فأشد به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي، فقال له الملك: قد وضعت إجلالاً لك وإقراراً بفضلك، قال ابن إسحاق: قال ابن زيد: وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها ليوسف وسلم له سلطانه كله، وجعل أمره وقضاه نافذاً حتى بمملكته، ثم هلك قطيفر عزيز مصر في تلك الليالي، فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه، فلما دخل يوسف عليها قال لها: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟ قالت له: أيها الصديق لا تلمني فإنني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك، فغلبتني نفسي وعصمك

وعزله ومات بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له

الله . قالوا: فوجدها يوسف عذراء فأصابها، فولدت له ولدين ذكرين إفرائيم وميشا، وهما ابنا يوسف، واستولى يوسف على ملك مصر، وأقام فيها العدل، وأحبه الرجال والنساء، فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير، فبنى الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدة، وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدة بهول وشدة لم ير الناس مثله . وقيل: إنه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار، فلما دخلت سنة القحط كان أول من أصابه الجوع الملك، فجاع نصف الليل فنادى: يا يوسف الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أول أوان القحط، فهلك في السنة الأولى من سني القحط كل ما أعدوه في السنين المخصبة، فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الأولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا أخذه منهم، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منها شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والأنعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية إلا احتوى عليها، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة، وباعهم في السنة الخامسة بالضيايع والعقار حتى أتى عليها كلها، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا ملكه، فصاروا جميعهم عبيداً ليوسف عليه السلام، فقال أهل مصر: ما رأينا كالיום ملكاً أجمل ولا أعظم من يوسف، فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني، فما ترى في هؤلاء؟ قال الملك: الرأي رأيك ونحن لك تبع، قال: فإنني أشهد الله وأشهدك أنني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم . وقيل: إن يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الأيام، فقيل له: أتجوع ويبيدك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف إن شبت أن أنسى الجائع، وأمر يوسف طباطب الملك أن يجعل غذاءه نصف النهار، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع، فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار . وقال مجاهد: ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس، ومات الملك في حياة يوسف . أما العزيز فلم يثبت إيمانه بيوسف فذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك مكنا ليوسف﴾ [يوسف: ٢١] الخ اهـ خازن .

وفي العرائس القدسية: أمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل ألا تنظر إلى عبيدي وإمائي من أهل مصر وغيرهم كيف يأكلون رزقي ويعبدون غيري، اهبط فقد سلطت عليهم الجوع والقحط سبع سنين . فهبط جبريل فصاح في الهواء: يا أهل مصر جوعوا سبع سنين، فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون الجوع الجوع . قيل: لم يكن في تلك السنين اليابسة مطر، ولا نبات، ولا ريح تهب، ولا نهر يجري، ولا حمار ينهق، ولا ثور يصيح، ولا دابة تحمل، ولا طير يفرخ اهـ .

قوله: (ومات) أي العزيز بعد أي بعد عزله . قوله: (فزوجه امرأته) قال وهب بن منبه: تزوجها يوسف بعد ما ذهب مالها، وعمي بصرها بكاء على يوسف، فصارت تتكفف الناس، فمنهم من يرحمها، ومنهم من لا يرحمها، وكان يوسف يركب في كل أسبوع في موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه، فقيل لها: لو تعرضت له لعله كان يسعفك بشيء، فلما ركب في موكبه قامت فنادت بأعلى

الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ ودخلت سنة القحط وأصاب أرض كنعان والشام ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمانه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ﴾

صوتها: سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم، فقال يوسف: ما هذه؟ فقدمت إليه فعرفها، فرق لها وبكى بكاء شديداً، ثم دعاها للزواج فأجابت، وأمر بها فهيئت وأصلح شأنها، ثم زفت إليه، فقام يوسف يصلي ويدعو الله تعالى، وقامت وراءه، فسأل الله تعالى أن يعيد إليها شبابها وجمالها وبصرها فردّ الله عليها ذلك حتى عادت أحسن ما كانت يوم راودته إكراماً ليوسف عليه السلام لما عف عن محارم الله تعالى، فأصابها فإذا هي عذراء، فعاشا في أرغد عيش.

وروي أن الله ألقى في قلب يوسف عليه السلام محبتها أضعاف ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأنك لا تحبيني كما كنت أول مرة؟ فقالت: لما ذقت محبة الله تعالى شغلني ذلك عن كل شيء أهد من القرطبي.

قوله: (فوجدتها عذراء) وذلك لأن العزيز كان حصوراً لا يأتي النساء. قوله: (ولدين) وهما إفرائيم وميشا هـ خازن.

وميشا هو جد يوشع بن نون، وولدت له أيضاً بنتاً كما سيأتي في هذا التفسير وهي رحمة زوجة أيوب عليه السلام هـ خطيب.

قوله: (ودانت) أي خضعت له الرقاب أي رقاب الملوك هـ.

قوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ يعني نخضع بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا هـ خازن.

قوله: ﴿وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ﴾ لام قسم وقوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم المحسنون ففي الكلام إظهار في مقام الإضمار للتوصل إلى وصفهم بالإيمان والتقوى بعد وصفهم بالإحسان هـ شيخنا.

قوله: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ الخ وكانوا عشرة، وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين، والعربات ثغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشياه، فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال: بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام، فتجهزوا إليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون إليه من الطعام، فخرجوا حتى قدموا مصر، فدخلوا على يوسف فعرفهم. قال ابن عباس، ومجاهد: بأول نظرة نظر إليهم عرفهم. وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه وهم له منكرون، يعني: لم يعرفوه هـ خازن.

قوله: (ليمتاروا) يقال مار أهله يميّزهم ميّراً، وامتار لهم إذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر إليهم هـ شيخنا.

وفي المصباح: مارهم ميّراً من باب باع أتاهاهم بالميرة بكسر الميم، وهي الطعام وامتارها لنفسه هـ.

أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَكُمُ مَكْرُوءٌ﴾ لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم، قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبس ليتسلى به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم ﴿قَالَ

قوله: (لما بلغهم الخ) من جملة المرتب عليه. قوله: ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ فكان عليه أن يضمه لقوله: ﴿ودخلت سنو القحط﴾ الخ بأن يقول ودخلت سنو القحط، وأصاب أرض كنعان والشام وبلغهم الخ، وجمع ما فعله يوسف معهم في هذه القصة بالوحي كما قاله بعض المفسرين اهـ شيخنا.

قوله: (لا يعرفونه لبعد عهدهم به الخ) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين أن ألقوه في الحب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة، فلذلك أنكره. وقال عطاء: إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك، وكان على رأسه تاج الملك. وقيل: لأنه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير، وفي عنقه طوق من ذهب، وكل واحد من هذه الأسباب مانع من حصول المعرفة، فكيف وقد اجتمعت فيه اهـ خازن.

قوله: (ما أقدمكم) أي: أي شيء أقدمكم؟ وقوله: (فقالوا للميرة) أي قدمنا للميرة أي لأخذها وقوله: (فقال لعلكم عيون) أي: جواسيس تطلعون على عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا اهـ شيخنا.

قوله: (في البرية) نسبة للبر ضد البحر اهـ شيخنا.

قوله: (ليتسلى به عنه) فلما تمت المحاورة المذكورة قال لهم: فمن يعلم أن الذي تقولون حق؟ قالوا: أيها الملك إنا ببلاد غربة لا نعرف فيها أحداً قال: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين، فأنا أكتفي بذلك منكم. قالوا: إن أبانا يحزن لفراقه. قال: فاتركوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به فافترعوا فيما بينهم، فأصاب القرعة شمعون، وكان أحسنهم رأياً في يوسف في واقعة الحب فخلفوه عنده اهـ خازن.

قوله: ﴿ولما جهَّزهم﴾ أي هيا لهم جهازهم، ففي المصباح: وجهزت المسافر بالثقل هيأت له جهازه وجهاز السفر أهبطه وما يحتاج إليه في قطع المسافة بالفتح والكسر لغة قليلة اهـ.

فكأن في الآية تضميناً ضمن جهاز معنى أكرم أي: ولما أكرمهم بجهازهم أي بتحصيله لهم اهـ.

وفي الخازن: قال ابن عباس: حمل لكل واحد منهم بعيراً من الطعام، وأكرمهم في النزول، وأحسن ضيافتهم، وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم اهـ.

قوله: (وفي لهم) يقرأ بالتخفيف والتشديد، وكان لا يعطي أحداً أكثر من حمل بعير وإن كان عظيماً للمساواة بين الناس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بأخ لكم﴾ لم يقل بأخيكم بالإضافة مبالغة في عدم تعرفه بهم، ولذلك فرقوا بين مررت

أَتُؤْتِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَيْكُمُ ﴿٥٩﴾ أَي بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٠﴾﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي﴾ أي ميرة ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ ﴿٦١﴾ نهي أو عطف على محل (فلا كيل) أي تحرموا ولا تقربوا ﴿قَالُوا سَوَّوْذُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجهتهد في طلبه منه ﴿وَلِنَّا لَفَعْلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ذلك ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾ وفي قراءة لفتيته: غلماناه ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمُ﴾ التي بها ثمن

بغلامك وبغلام لك، فإن الأول يقتضي عرفانك بالغلام، وإن بينك وبين مخاطبك نوع عهد، والثاني لا يقتضي ذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال اتنوني﴾ أي إذا رجعتم لمتاروا مرة أخرى، وفي الخطيب: وكان لا يبيع أحدا ممن يطلب الطعام أكثر من حمل بعير لثلا يضيق الطعام على الباقيين اهـ.

قوله: ﴿ألا ترون﴾ غرضه ترغيبهم في العود إليه مرة أخرى. قوله: ﴿وأنا خير المنزلين﴾ أي للضيف أي خير المضيفين.

قوله: ﴿فإن لم تأتوني به﴾ أي إذا عدتم مرة أخرى، وقوله: ﴿فلا كيل لكم عندي﴾ الخ، وهذا نهاية التخويف لأنهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام ولا يمكن إلا من عنده، فإذا منعهم من العود فقد ضيق عليهم، فلذلك قالوا سواود الخ اهـ خازن.

قوله: (أي ميرة) أي الفكيل في الآية بمعنى الكيل وهو الميرة وسيأتي أنها الطعام اهـ شيخنا. قوله: ﴿ولا تقربون﴾ في القاموس: قرب ككرم، وقرب كسمع قرباً وقرباً بالضم، وقرباناً بالكسر دنا فهو قريب للواحد والجمع اهـ.

فالمعنى هنا ولا تدنوا مني أي من بلادي، أي: لا تدخلوها فضلاً عن وصولكم إليّ اهـ شيخنا. قوله: (نهي) أي فلا ناهية، والفعل معزوم بحذف النون، وهذه النون نون الوقاية، وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً. وقوله: (أو عطف على محل فلا كيل) أي: وهو الجزم لأنه جواب الشرط، فلا نافية على الاحتمال الثاني، وناهية على الأول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإننا لفاعلون﴾ أي لا نتوانى فيه اهـ.

وقوله: (ذلك) أي المرادة والاجتهاد اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة، وقوله: ﴿لفتيانه﴾ وكلاهما جمع فتى كإخوة وإخوان في جمع أخ الأول للقلة والثاني للكثرة اهـ كرخي.

وقوله: (علمانه) وهم الكيالون اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ فقد وكل بكل رجل واحداً من غلماناه يدس فيه البضاعة التي اشترى بها الطعام الذي في هذا الرحل اهـ شيخنا.

واختلفوا في السبب الذي من أجله ردّ يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم، فقيل: لأجل أنهم إذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم ردت إليهم علموا أن ذلك من كرم يوسف وسخائه،

الميرة وكانت دارهم ﴿فِي رَحْلِهِمْ﴾ أَوْعَيْتَهُمْ ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَيْهِمْ﴾ وفرغوا أَوْعَيْتَهُمْ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ إِنْ لَمْ تَرْسَلْ أَخَانًا إِلَيْهِ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ﴾ بالنون والياء ﴿وَلِنَأْتِيَنَّكُمْ لَخِفِظُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ مَا ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقد

فيعينهم ذلك على الرجوع سريعاً، وقيل: إنه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال، لأن الزمان كان زمان قحط وشدة، وقيل: إنه رأى أن في أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لوماً لشدة حاجتهم إليه، وقيل: أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه مئة ولا عيب، وقيل: أراد أن يريهم برّه وكرمه وإحسانه إليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك أدعى إلى العود إليه، وقيل: إنما فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها في رحالهم لأنهم أنبياء وأولاد أنبياء، وهذا ما جرى عليه الجلال. وقيل: أراد برد البضاعة إليهم أن يكون ذلك عوناً لأبيه ولإخواته على شدة الزمان اهـ خازن.

قوله: (وكانت دراهم). وحكى الضحاك عن ابن عباس أنها كانت النعال والأدم. والرحال: جمع رحل وهي الأوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره اهـ خازن.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي ولعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع اهـ البيضاوي.

قوله: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ﴾ أي رجع تسعة منهم لما تقدم أن يوسف احتبس عنده شمعون رهينة على أن يأتيه بنيامين. قوله: ﴿مَنْعَ مَنَا الْكَيْلِ﴾ أي حكم بمنعه بعد هذه المرة إن لم يذهب معنا بنيامين، وقوله: إليه أي: إلى العزيز، وقوله: ﴿نَكْتَلُ﴾ أي نرفع المانع من الكيل، ونكتل ما نحتاج إليه، وقوله: (بالنون والياء) أي: يكتل لنفسه وينضم اكتياله إلى اكتيالن والقرءاتان سبعيتان اهـ من البيضاوي.

ونكتل مجزوم في جواب الأمر، وأصله نكتيل بوزن نغتم، فتحركت الياء التي هي عين الكلمة، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين، فوزنه الآن نقتل وبحسب الأصل نفتعل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قَالَ﴾ أي يعقوب هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل يعني: كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم، وإنكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي حفظه، وقتلتم ﴿وَلِنَأْتِيَنَّكُمْ لَخِفِظُونَ﴾، فما فعلتم؟ فلما لم يحصل الأمن والحفظ هنالك، فكيف يحصل هاهنا؟ وظاهر الكلام يدل على أنه أرسله معهم، وإنما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف، لأنه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما شاهد بينهم وبين يوسف، أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا، فأرسله معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه إلى ذلك اهـ خازن.

وأصل آمنكم أأمنكم بهمزتين، فقلبت الثانية ألفاً على القاعدة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ﴾ منصوب على أنه نعت مصدر محذوف أو على الحال منه أي: إلا

فعلتم به ما فعلتم ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ وفي قراءة حافظاً تمييز كقولهم لله دره فارساً ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن يمن بحفظه ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَا مِمَّا نَبَغِي﴾ ما استفهامية، أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا، وقرئ بالفوقانية خطاباً ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَذِهِ بِضْعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نأتي بالميرة لهم

اثماناً كاثماني لكم على أخيه شبه ائتمانه لهم على هذا بائتمانه لهم على ذاك اه سمين. وقوله: ﴿من قبل﴾ متعلق بكما أمتكم، والمضاف إليه محذوف أي من قبل هذا الزمان، وقوله: ﴿وقد فعلتم به ما فعلتم﴾ أي: فختتم العهد اه شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة، وقوله: (تمييز) أي على كل من القراءتين، وقوله: (كقولهم الخ) تنظير على القراءة الثانية. قوله: (فأرجو الخ) عبارة البيضاوي: فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين اه.

قال كعب الأحبار: لما قال يعقوب ذلك قال الله له: لأردن عليك كليهما حيثما توكلت علي واستحفظتني عليه اه.

قوله: ﴿ولما فتحوا﴾ أي بحضرة أبيهم، وقوله: ﴿متاعهم﴾ أي رحالهم أي: الأوعية التي وضعوا فيها الميرة، وقوله: ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ أي التي دفعوها له وهي ثمن الميرة اه.

قوله: (ما استفهامية) أي: في محل نصب مفعول مقدم اه سمين.

قوله: (أعظم من هذا) فقد أحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا، فلا نطلب وراء ذلك إحساناً اه بيضاوي.

وفي الخازن: وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم، وحثوا يعقوب على إرسال بنيامين معهم، فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم قالوا: أي شيء تطلب بعد هذا العيان من الإحسان والإكرام؟ أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن، وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم اه.

قوله: (وقرئ) أي شاذاً، وقوله: (خطاباً ليعقوب) أي: أي تطلب وراء هذا الإحسان، أو أي شيء تطلب من الدليل على صدقنا اه بيضاوي.

والأول أنسب بقول الشارح، وكانوا ذكروا له الخ اه شيخنا.

قوله: (وكانوا ذكروا له إكرامه لهم) عبارة الخازن: عند قوله: (فلما رجعوا إلى أبيهم) قالوا: يا أبانا إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة، لو كان رجلاً من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا رجعتم إلى مصر فاقرووه مني السلام، وقولوا له: إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا، ثم قال لهم يعقوب: أين شمعون؟ قالوا ارتهنه ملك مصر وأخبروه بالقصة، ثم قالوا يا أبانا منع منا الكيل وفيه قولان.

أحدهما: أنهم لما أخبروا يوسف بأخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لأبيهم وأخيهم المتخلف

وهي الطعام ﴿وَتَحْفَظْ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ﴾ لأخيها ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ﴿١٥﴾ سهل على الملك لسخائه ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنِي بِوَجْهٍ إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكَيْلٌ﴾ ﴿١٦﴾ شهيد وأرسله معهم ﴿وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿وَمَا أَغْنَى﴾ أدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ بقولي ذلك ﴿مِنَ

عند أبيهم، فمنعهم من ذلك حتى يحضر. فقولهم: منع منا الكيل إشارة إليه، وأراد بالكيل الطعام لأنه يكال.

القول الثاني: أنه سيمنع منا الكيل في المستقبل، وهو إشارة إلى قول يوسف، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون. وقال الحسن: يمنع منا الكيل إن لم نحمل معنا أخانا، وهو قوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿فَأَرْسَلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿هَذِهِ بَضَاعَتُنَا﴾ استئناف موضح لقولهم ما نبغي اهـ بوضاوي.

قوله: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ معطوف على محذوف أي نستعين بها ونمير أهلنا اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: فنرجع بها إليه بأخيها فيظهر له نصحننا وصدقنا ونمير أهلنا الخ اهـ.

قوله: ﴿وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ﴾ أي ما يكال للبعير أي لصاحبه وهو حمل بعير أي: ونزداد لأجل أخيها على أحمالنا حمل بعير، وقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الحمل الذي نزاده كيل يسير هين على الملك، لأنه قد أحسن إلينا وأكرمنا بأكثر من ذلك اهـ خازن.

قوله: ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ جواب القسم، إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتني به اهـ بوضاوي.

وقوله: جواب القسم أي المدلول عليه بقوله موثقاً، وفي الخازن: والموثق العهد المؤكد باليمين. وقيل: هو المؤكد بإشهاد الله عليه، ودخلت اللام في قوله: ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ لأجل اليمين، والتقدير حتى تحلفوا بالله لتأتني به اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾ تقول العرب: أحيط بفلان إذا هلك أو قارب هلاكه، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، والتقدير لتأتني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم، أو من أعم العلل أي: لا تمتنعون من الإتيان به لعله إلا للإحاطة بكم اهـ خازن.

قوله: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ فقالوا في حلفهم بالله رب محمد لتأتنيك به، وقوله (بذلك) أي: بأن يأتوا به.

قوله: ﴿مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ وكانت أبواب مصر إذ ذاك أربعة اهـ خازن.

قوله: (لئلا تصيبكم العين) عبارة الخازن: إنما أمرهم بذلك، لأنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا قد أعطوا جمالاً وقوة وامتداد قامته، وكانوا أولاد رجل واحد، فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين، فإن العين حق، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين. وقد زعم بعض الطبائعين المثبتين للعين تأثيراً أن العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعيون فيهلك أو

اللَّهِمَّ زَائِدَةٌ ﴿شَيْءٌ﴾ قدره عليكم وإنما ذلك شفقة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قال تعالى ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي

يفسد. قالوا: ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعث قوة سمية من الأفاعي والعقارب تتصل بالمددوغ فيهلك، وإن كان غير محسوس لنا، فكذا العين، ومذهب أهل السنة أن المعيون إنما يفسد أو يهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى، أجرى الله تعالى أن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر اهـ خازن.

وفي البيضاوي: إنما أمرهم بذلك لأنهم كانوا ذوي شوكة وأبهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك، فخاف عليهم أن يدخلوا جملة واحدة فيعانون، ولعل لم يوصهم بذلك في المرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ، وكان الداعي إليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين، والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في دعوته: اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل نفس هامة وعين لامة اهـ.

والعوذة بضم العين وبالدال المعجمة كالرقية لفظاً ومعنى، وهذا الحديث رواه البخاري وأصحاب السنن عن ابن عباس قال ابن الأثير: الهامة واحدة الهوام وهي الحيات وكل ذي سم يقتل، وتطلق الهوام على كل ما يدب من الحيوان. واللامه: ذات اللمم وهو الضرر من ألم، ولم يقل ملمة للزدواج والمشاكله بهامة، ويجوز أن يكون على ظاهره من لمه بمعنى جمعه أي جامعة للشر على المعيون اهـ شهاب.

قوله: ﴿من الله﴾ أي من قضائه وهو حال من شيء لأنه في الأصل وصف له أي من شيء كائن من الله أي من قضائه، ويشير له قول الشارح قدره عليكم، وقوله (زائدة) أي: في المفعول، وقوله: (قدره عليكم) أي: فإن قدر عليكم موتاً فهو يصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين، فإن المقدر كائن، ولا ينفع حذر من قدر اهـ خازن.

وقوله: ﴿وإنما ذلك أي القول المذكور شفقة. وفي أبي السعود: ولم يزد عليه السلام إلغاء الحذر بالمرة. كيف لا وقد قال تعالى: ﴿ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال تعالى: ﴿خذوا حذرکم﴾ [النساء: ٧١] بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة، بل هو تدبير في الجملة، وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير، وإن ذلك ليس بمدافعة للقدر، بل هو استعانة بالله وهرب منه إليه اهـ.

قوله: ﴿ولما دخلوا﴾ أي المدينة بخلاف الدخول الآتي، فالمراد به دخولهم محل الملك، وقوله: ﴿من حيث أمرهم﴾ أي من الأبواب المتفرقة، فقول الشارح أي متفرقين حل معنى اهـ شيخنا.

وفي جواب لما هذه وجهان، أحدهما: أنه الجملة المنفية من قوله: ﴿ما كان يغني عنهم﴾، وفيه حجة لمن يدعي كون لما حرفاً لا ظرفاً، إذ لو كانت ظرفاً لعمل فيها جوابها، إذ لا يصلح للعمل سواء. لكن ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها. والثاني: أن الجواب هو قوله: ﴿أوى إليه أخاه﴾. قال أبو البقاء: وهو جواب لما الأولى والثانية، كقولك لما جئتني ولما كلمتك أحببتي، وحسن ذلك أن

متفرقين ﴿مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي قضائه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضْنَهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَأَنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِلْهَامَ اللَّهِ لِأَصْفِيائِهِ﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى﴾ ضم

دخولهم على يوسف عليه السلام يعقب دخولهم من الأبواب. يعني: أن آوى جواب للأولى والثانية، وهو واضح اهـ سمين.

قوله: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي﴾ أي دخولهم متفرقين، ففاعل يغني ضمير التفرق المدلول عليه بالكلام المتقدم اهـ من السمين.

وفي البيضاوي: ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له اهـ.

وقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مفعول يغني على زيادة من و ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ حال منه مقدم عليه. وفي الكرخي: قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ يحتمل النصب بالمفعولية والرفع بالفاعلية. أما الأول: فهو كقولك: ما رأيت من أحد، والتقدير ما رأيت أحداً، فتقدير الآية هنا أن تفرقهم ما كان يغني من قضاء الله شيئاً، وأما الثاني: فكقولك ما جاءني من أحد، وتقديره: ما جاءني أحد، فيكون التقدير هنا ما كان يغني عنهم من الله شيء مع قضائه اهـ.

وقول الشارح أي قضائه أي مقضيه أي: الذي أراد وقوعه، فقد نسبوا للسرقة، وأخذ منهم بنيامين وتضاعفت المصيبة على يعقوب، وقوله: ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ الخ حمله الشارح كغيره على الانقطاع حيث فسر إلاً ولكن على عادته، وقوله: وهي إرادة دفع العين في التعبير تسمح، إذ الحاجة التي أفادها ونفع فيها تفرقهم في الدخول إنما هي دفع العين عنهم لا نفس إرادة يعقوب، فإنها لم تندفع فالبارة في المعنى من قبيل إضافة الصفة للموصوف، فكأنه قال: وهي دفع العين الذي أراده يعقوب وتقرير انقطاع الاستثناء أن المستثنى منه شيء قضاه فكأنه قال وهي دفع العين الذي أراده يعقوب وتقرير انقطاع الاستثناء أن المستثنى منه شيء قضاه الله وأراده، والمستثنى شيء لم يرده الله وهو إصابة العين لهم، فهذا لم يرده الله ولم يقضه، إذ لو أراده لوقع مع أنه لم يقع ولم يحصل، هذا تقرير الانقطاع. وإما مفاد الاستثناء فهو أن يقال ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾، وهي إصابة العين، فإن التفرق في الدخول أغناها أي دفعها بحسب الظاهر، وفي نفس الأمر إنما دفعها عدم إرادة الله تعالى لها. ومحصل الكلام أن يلاحظ ظاهر الحال في تقرير مفاد الاستثناء، ويلاحظ حقيقة الحال ونفس الأمر في تقرير كونه منقطعاً كما تقرر، وقوله: ﴿قَضَاهَا﴾ صفة لحاجة ومعنى قضاهاً أرادها، فإن يعقوب أراد دفع العين عنهم. وفسر البيضاوي قوله ﴿قَضَاهَا﴾ بأنه أظهرها بقوله المذكور ووصاهم بها. قوله: ﴿لِتَعْلِمِنَا إِيَّاهُ﴾ أشار به إلى أن ما مصدرية، ويصح أن تكون موصولة، والمعنى: وإنه لذو علم للشيء الذي علمناه، والمعنى: أننا لما علمناه هذه الأشياء حصل له العلم بتلك الأشياء اهـ خازن.

قوله: ﴿إِلْهَامَ اللَّهِ لِأَصْفِيَائِهِ﴾ في نسخة لأوليائه.

قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ أي في محل حكمه ﴿آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾. قال المفسرون: لما دخل إخوة يوسف على يوسف قالوا: أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به،

﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقية عنده ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاع من ذهب مرصع بالجواهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيُّهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا﴾ قد

فقال لهم: أحسستم وأصبتم وستجدون ذلك عندي، ثم أنزلهم وأكرم نزلهم، ثم إنه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلستني معه، فقال لهم يوسف: لقد بقي هذا وحده، فقالوا: كان له أخ فهلك، قال لهم: فأنا أجلسه معي فأخذه فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله، فلما دخل الليل أمر لهم بمثل ذلك من الفراش، وقال كل اثنين ينامان على فراش واحد، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه، فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريحه أي ريح أبيه منه حتى أصبح، فلما أصبح قال لهم: إني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثان، فأنا أضمه إليّ فيكون معي في منزلي. ثم إنه أنزلهم وأجرى لهم الطعام، فقال روبيل: ما رأينا مثل هذا، فذلك قوله ﴿أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ يعني ضمه وأنزله معه في منزله. فلما خلا به قال له يوسف: ما اسمك؟ قال: بنيامين. قال: فهل لك من ولد؟ قال: عشرة بنين. قال: فهل لك من أخ لأملك؟ قال: كان لي أخ فهلك. قال يوسف: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك أيها الملك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام إليه وعانقه، وقال له: ﴿إني أنا أخوك﴾ الخ.

وقال كعب: لما قال له يوسف ﴿إني أنا أخوك﴾ قال بنيامين: أنا لا أفارقك. فقال يوسف: قد علمت اغتنام والدي بي، فإذا حبستك عندي ازداد غمه، ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فطيع وأنسبك إلى ما لا يحمد. قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك؟ فإني لا أفارقك. قال يوسف: فإني أؤدس صاعِي في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة لأحتال في ردك بعد إطلاقك. قال: فافعل ما شئت، فذلك قوله تعالى: ﴿فلما جهزهم﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿فلما جهزهم﴾ عبر هنا بالفاء إشارة إلى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم، لأن الغرض منه قد حصل وقد عرفت حالهم بخلاف المرة الأولى، كان المطلوب طول مدة إقامتهم ليتعرف الملك حالهم اهـ شيخنا.

قوله: (هي صاع من ذهب) وكان يشرب فيه الملك، فيسمى سقاية باعتبار أول حاله، وصاعاً باعتبار آخر أمره، لأن الصاع آلة الكيل اهـ شيخنا.

قوله: (مرصع بالجواهر) أي مركب عليه جوهر. وفي المختار: الترصيع التركيب، وتاج مرصع بالجواهر، وسيف مرصع أي محلى بالرصائع، وهي حلق يحلى بها الواحدة رصيعه اهـ.

قوله: (نادى مناد) أي: مراراً كثيرة بدليل التفعيل، وكان ذلك النداء مع رفع الصوت اهـ شيخنا.

قوله: (بعد انفصالهم عن مجلس يوسف) فأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وخرجوا من العمارة، ثم

﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقَدُونَ﴾ هـ ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ

أرسل خلفهم من استوقفهم وجبسههم اهـ خازن.

كما يشير له التعبير بشم التي للتراخي، بل قيل إنهم وصلوا إلى بليس وردوا من عندها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَيْتَهَا الْعِيرَ﴾ العير في الأصل كل ما يحمل عليه من الإبل والحمير والبغال سمي بذلك لأنه يعير أي يذهب ويجيء، والمراد منه أصحاب الإبل ونحوها، فهو مجاز مرسل علاقته المجاورة كما قاله السمين، وأشار الشارح للمراد منه بقوله القافلة اهـ.

وفي المصباح: العير بالكسر اسم للإبل التي تحمل الميرة في الأصل، ثم غلب على كل قافلة اهـ.

قوله: ﴿إِنكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فإن قلت: هل كان هذا النداء بأمر يوسف أم لا؟ فإن كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وتشريف رتبته من النبوة والرسالة أن يتهم أقواماً وينسبهم إلى السرقة كذباً مع علمه ببراءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا إليها؟ قلت: ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة.

أحدها: أن يوسف لما أظهر لأخيه أنه أخوه قال: لست أفارقك. قال: لا سبيل إلى ذلك إلا بتدبير حيلة أنسبك فيها إلى ما لا يليق. قال: رضيت بذلك، فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام، بل قدرضي به فلا يكون ذنباً.

الثاني: أن يكون المعنى إنكم لسارقون ليوسف من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعارض، وفي المعارض مندوحة عن الكذب.

الثالث: يحتمل أن يكون المنادي ربما قال ذلك على سبيل الاستفهام، وعلى هذا التقدير لا يكون كذباً.

الرابع: ليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الأقرب إلى ظاهر الحال، لأنهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم غلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها، فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم اهـ خازن.

قوله: ﴿و﴾ (قد) ﴿أَقْبَلُوا﴾ أي والحال أنهم أي إخوة يوسف اقبلوا عليهم أي على جماعة الملك المؤذن وأصحابه أي التفتوا إليهم وخطبهم بما ذكر اهـ شيخنا.

قال أصحاب الأخبار: لما وصل الرسل إلى إخوة يوسف قالوا لهم: ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف إليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا: بلى وما ذاك؟ قالوا: فقدنا سقاية الملك، ولا نتهم عليها غيركم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي عطفوا على المؤذن وأصحابه اهـ خازن.

قوله: ﴿مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ ما استفهامية مبتدأ، وذا اسم موصول خبرها اهـ شيخنا أي: أي شيء ضاع منكم؟ والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه اهـ بياضوي.

حَمَلٌ بَعِيرٌ ﴿٧٢﴾ مِنَ الطَّعَامِ ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ بِالْحَمْلِ ﴿زَعِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ كَفِيلٌ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قَسَمَ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُغِثَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ مَا سَرَقْنَا قَطْ ﴿قَالُوا﴾ أَيُّ الْمُؤَذِّنِ وَأَصْحَابِهِ ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أَيُّ السَّارِقِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ فِي قَوْلِكُمْ مَا كُنَّا سَارِقِينَ وَوَجَدَ فِيكُمْ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مَبْتَدَأُ خَبَرِهِ ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يَسْتَرْقِ ثُمَّ أَكَّدَ بِقَوْلِهِ ﴿فَهُوَ﴾ أَيُّ السَّارِقِ

قوله: (صاع الملك) أي فالصاع والصواع لغتان معناهما واحد، وهو آلة الكيل، وتقدم أنه هو السقاية اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿صواع الملك﴾ هو المكيال وهو السقاية المتقدمة سماها تارة كذا وتارة كذا وإنما اتخذ هذا الإناء مكيالاً لعزة ما يكال به في ذلك الوقت. وفيه قراءات كثيرة كلها لغات في هذا الحرف ويذكر ويؤنث، فالعامة صواع بزنة غراب والعين مهملة. وقرأ ابن جبير والحسن كذلك إلا أنه بالغين المعجمة، وقرأ يحيى بن يعمر كذلك إلا أنه حذف الألف وسكون الواو، وقرأ زيد بن علي صواع كذلك إلا أنه فتح الصاد جعله مصدراً لصاع يصوع صوعاً، وقرأ أبو حيو، وابن جبير، والحسن صواع بكسر الصاد، وقرأ أبو هريرة، ومجاهد صاع بزنة ناب وألفه كآلفه في كونها منقلبة عن واو مفتوحة، وقرأ أبو رجاء صوع بزنة فرس، وقرأ عبد الله بن عون كذلك إلا أنه ضم الصاد، فهذه ثمان قراءات متواترها واحدة اهـ.

قوله: ﴿حمل بعير﴾ (من الطعام) أي يكون جعلاً له اهـ بيضاوي.

وقوله: ﴿وأنا به﴾ الخ هذا قول المؤذن وحده فهو الذي كفل وضمن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بالله﴾ الخ قال المفسرون: قد حلفوا على أمرين، أحدهما: أنهم ما جاؤوا لأمر الفساد في الأرض والثاني: أنهم ما جاؤوا سارقين، وإنما قالوا هذه المقالة لأنه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم، وهو أنهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة، حتى بلغ من أمرهم أنهم سدوا أفواه دوابهم لئلا تؤذي زرع الناس، ومن كانت هذه صفته فالفساد في حقه ممتنع، وكونهم غير سارقين لأنهم قد كانوا ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، ولم يستحلوا أخذها، ومن كانت هذه صفته فليس بسارق اهـ خازن.

قوله: ﴿لقد علمتم﴾ الخ فيه معنى القسم، فهو تأكيد للقسم قبله اهـ شيخنا.

قوله: (ووجد) أي الصاع فيكم أي عندكم. قوله: ﴿قالوا جزاؤه﴾ أي قال إخوة يوسف جزاؤه الخ، فأفتوا بشريعتهم، وجزاؤه على حذف مضاف أي جزاء سرقة من وجد، على حذف مضاف أيضاً أي: استرقاق من وجد في رحله يشير إلى تقديره كلام الشارح بقوله يسترق، والمراد أنه يسترق سنة ثم يخلى سبيله فهذه شريعتهم اهـ شيخنا.

قوله: (خبره) ﴿من وجد﴾ أي فهو إخبار بالمفرد، لأن من اسم موصول وما بعدها صلته اهـ شيخنا. وفي السمين: قوله: ﴿جزاؤه من وجد﴾ فيه أوجه.

أحدها: أن يكون جزاؤه مبتدأ، والضمير للسارق ومن شرطية أو موصولة مبتدأ ثان، والفاء

﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش أوعيتهم ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ لثلاثتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كَذْنَا لِيُوسُفَ﴾

جواب الشرط أو مزيدة في خبر الموصول لشبهه بالشرط، ومن وما في حيزها على وجهيها خبر المبتدأ الأول.

والثاني: أن يكون جزاؤه مبتدأ، والهاء تعود للمسروق، ومن وجد في رحله خبره، ومن بمعنى الذي، والتقدير وجزاء الصواع الذي وجد في رحله.

الثالث: أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه اهـ.

قوله: (ثم أكد) أي الكلام المذكور وهو قوله ﴿جَزَاؤُهُ مِنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ﴾ بقوله، فهذه الجملة بمعنى التي قبلها اهـ شيخنا.

قوله: (أي السارق) أي استرقاقه جزاؤه أي جزاء سرقة اهـ.

قوله: (وكانت) أي هذه الطريقة التي أجابوا بها سنة أي طريقة وشريعة آل يعقوب لفظة آل زائدة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ (الجزاء) أي المذكور بقوله: ﴿جَزَاؤُهُ مِنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ﴾، والمراد به استرقاق السارق، وقوله: ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ من جملة كلامهم أي نحكم أو نفتي باسترقاق كل سارق، لأنه شرعنا المقرر فيما بيننا.

قوله: (فصرفوا) أي فردوا وارجعوا من المكان الذي لحقهم فيه جماعة الملك، وتقدم أنهم وصلوا إلى خارج مصر. وقيل: إلى بلبس اهـ شيخنا.

قوله: (ففتشها) ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال أهل التفسير: إن إخوة يوسف لما أقرؤا أن جزاء السارق أن يسترق سنة، قال أصحاب يوسف: لا بد من تفتيش أوعيتهم واحداً واحداً. قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر في وعاء إلا استغفر الله مما قذفهم به، حتى لم يبق إلا رحل بنيامين قال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقال إخوة يوسف: والله لا نتركك حتى تنظر في رحله، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه اهـ خازن.

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ في الضمير المنصوب قولان.

أحدهما: أنه عائد على الصواع، لأن فيه التذكير والتأنيث كما تقدم، وقيل: بل لأنه حمل على معنى السقاية. قال أبو عبيدة: يؤنث الصواع من حيث يسمى سقاية ويذكر من حيث هو صواع.

والثاني: أن الضمير عائد على السرقة وفيه نظر، لأن السرقة لا تستخرج إلا بمجاز اهـ سمين.

فلما خرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوة يوسف رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له: أي شيء الذي صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا، يا بني راحيل ما زال لنا منك

علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

بلاء متى أخذت هذه الصواع، فقال بنيامين: بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية، إن الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا: فأخذ بنيامين رقيقاً. وقيل: إن المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيشهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين اهـ خازن.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ (الكيد) أي الحيلة وهي استفتاء يوسف من إخوته. كدنا أي علمنا كما قال الشارح، فاللام زائدة. وعبارة الخازن: يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف، وهذا إشارة إلى الحكم الذي ذكره إخوة يوسف حكماً به ليوسف، والمعنى كما ألهمنا إخوة يوسف أن جزاء السارق أن يسترق، كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه ليضمه إليه على ما حكم به إخوته اهـ.

وفي أبي السعود ما يقتضي أن اللام للتعليل ونصه: كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه اهـ.

قوله: (علمناه الاحتيال) أي الطريق السابق وهو استفتاء إخوته، فالمراد من هذا الكيد هو أنه تعالى ألقى في قلب إخوة يوسف أن حكموا بأن السارق يسترق، وصار ذلك سبباً لتمكن يوسف عليه السلام من إمساك أخيه عند نفسه، واعلم أن الكيد يشعر بالحيلة والخديعة، وذلك في حق الله تعالى محال، إلا أنه قد تقدم أصل معتبر في هذا الباب، وهو أن أمثال هذه الألفاظ في حق الله تعالى تحمل على نهاية الأغراض لا على بداياتها، فالكيد: السعي في الحيلة والخديعة ونهايته إيقاع الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه ولا سبيل له إلى دفعه، فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى اهـ كرخي.

وفي الخازن: ولفظ الكيد معناه الحيلة والخديعة وهذا في حق الله تعالى محال، فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، فنقول: الكيد هنا جزاء المكيد يعني كما فعلوا بيوسف فعلنا بهم، فالكيد من الخلق الحيلة، ومن الله التدبير بالحق، والمعنى كما ألهمنا إخوة يوسف بأن حكموا أن جزاء السارق أن يسترق، كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه ليضمه إليه على ما حكم به إخوته. وقال ابن الأعرابي: الكيد التدبير بالباطل وبالحق، فعلى هذا يكون المعنى: كذلك دبرنا ليوسف وقيل: صنعنا ليوسف اهـ.

وجميع ما وقع من يوسف بينه وبين إخوته بالوحي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ (يوسف الخ) بمنزلة التعليل، وقوله: ﴿لِيَأْخُذَ﴾ لام الجحود اهـ شيخنا.

قوله: (لأن جزاءه) أي السارق عنده الخ أي: وهذه الطريقة لا توصله إلى أخذ أخيه فما توصل إلا بطريقة وشريعة إخوته اهـ.

قوله: (مثلي المسروق) أي مثلي قيمته؛ فالكلام على حذف كما صرح به الخازن. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء منقطع كما يعلم من تقرير الشارح إذ الأخذ بدين الملك لا يشمل المراد بقوله:

اللَّهُ ﴿أَخَذَهُ بِحُكْمٍ أَبِيهِ أَي لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ أَخْذِهِ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ بِإِلْهَامِهِ سُؤَالَ إِخْوَتِهِ وَجَوَابِهِمْ بَسْتَهُمْ﴾ ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ بِالْإِضَافَةِ وَالتَّنْوِينِ فِي الْعِلْمِ كِيُوسُفُ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ مِنْ الْمَخْلُوقِينَ ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾ أَعْلَمُ مِنْهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أَي يُوسُفُ وَكَانَ سَرَقَ لِأَبِي أُمِّهِ صِنْماً مِنْ ذَهَبٍ فَكَسَرَهُ لثَلَاثَ عِبَدِهِ ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ عَلَى مَا قَرَّرَهُ الشَّارِحُ، فَالْمَعْنَى ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾، وَلَكِنْ أَخَذَهُ بِشَرِيعَةِ يَعْقُوبَ أَهْـ شَيْخَنَا.

قوله: (بحكم أبيه) أي بشريعة أبيه. قوله: (وجوابهم بستتهم) أي شريعتهم. قوله: (بالإضافة والتنوين) سبعيتان. قوله: ﴿وَفَوْقَ﴾ خبر مقدم، وعليهم: مبتدأ مؤخر. قوله: (اعلم منه) أي من كل ذي علم منهم حال أي: حال كون العليم من جملة المخلوقين، وقوله: ﴿حَتَّى يَنْتَهِيَ﴾ لا يحتاج إليه بعد التقييد بالمخلوقين، بل لا يصح. وفي الخازن: وفي الآية دليل على أن إخوة يوسف كانوا علماء، وكان يوسف أعلم منهم اهـ.

قوله: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ﴾ لما أخرج الصاع من رحل بنيامين افتضح الإخوة ونكسوا على رؤوسهم، فقالوا تبرئة لساحتهم: ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ الخ. يعنون: أن هذه الواقعة ليست ببيعة منه، فإن أخاه الذي هلك كان سارقاً أيضاً، ونحن لسنا على طريقتهما، لأنهما من أم أخرى اهـ زاده.

وأما بكلمة ان لعدم تحققهم لها بمجرد خروج السقاية من رحله، وأما قولهم لأبيهم إن ابنك سرق فبناء على الظاهر ومدعى القوم، ويسرق لحكاية الحال الماضية، والمعنى إن كان سرق فليس ببدع لسبق مثله من أخيه اهـ شهاب.

فيكون جواب الشرط محذوفاً والمذكور دليلاً اهـ.

قوله: (وكان سرق لأبي أمه صنماً الخ) عبارة الخازن. واختلفوا في السرقة التي نسبوها إلى يوسف عليه الصلاة والسلام، فقال سعيد بن جبير، وقتادة: كان لجده أبي أمه صنم وكان يعبد، فأخذه يوسف سراً وكسره وألقاه في الطريق والجيف لثلاث عبيده، وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يوماً فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل، وقال سفيان بن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاه سائلاً، وقال وهب: كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء. وذكر محمد بن إسحاق أن يوسف كان عند عمته ابنة إسحاق بعد موت أمه راحيل، فحضنته عمته وأحبته حباً شديداً، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه، فقال لأخته: يا أختاه سلمى إليّ يوسف، فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة واحدة، فقالت: لا أعطيك. فقال: والله ما أنا بتاركه عندك. فقالت: دعه عندي أياماً أنظر إليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك، فعمدت إلى منطقة كانت لإسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد إسحاق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر، ثم قال: لقد فقدت منطقة إسحاق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف، وقال: إنه بسلام لي تعين يوسف، فقال يعقوب: إن كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته عندها حتى ماتت، ولذلك قال إخوته إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون هذه السرقة. قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال

انفتوحات الإلهية/ج٤/م٥

نَفْسِهِ. وَلَمْ يَبْدُهَا ﴿يُظْهِرُهَا﴾ لَهْمُ ﴿وَالضَّمِيرُ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ﴾ قَالَ ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ﴿مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ لَسَرَقْتُمْ أَخَاكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ وَظَلَمْتُمْ لَهُ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴿عَالَمٌ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿تَذْكُرُونَ فِي أَمْرِهِ﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴿يَحِبُّهُ أَكْثَرُ مَنْا وَيَتَسَلَّى بِهِ

كلها ما يوجب السرقة، ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب اهـ.

قوله: (لثلا يعبده) أي يدوم على عبادته. قوله: (والضمير للكلمة) وهي قوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾، فصح قوله التي في قوله الخ، لأن قوله: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ مشتمل على قوله: أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا، وعلى هذا يكون في الكلام رجوع الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وفيه أيضاً إطلاق الكلمة على الكلام والأول سائغ في مقام التفسير كما هنا، والثاني سائغ في اللغة اهـ شيخنا.

وفي الخازن: في هاء الكناية ثلاثة أقوال، بأحدها: أن الضمير يرجع للكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى: قال يعني يوسف ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. والثاني: أن الضمير يرجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: فقد سرق أخ له من قبل، وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس، فعلى هذا القول يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجبه عليها. والثالث: أن الضمير يرجع إلى الحجة، فيكون المعنى على هذا القول فأسر يوسف الاحتجاج عليهم في إدعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم. قال: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ يعني منزلة عند الله ممن رميتهم بالسرقة اهـ.

قوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ أي منزلة في السرقة من غيره، ونصبه على التمييز. والمعنى: أَنْتُمْ شَرُّ مَنْزِلَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّنْ رَمَيْتُمُوهُ بِالسَّرِقَةِ فِي صَنِيعِكُمْ بِيُوسُفَ، لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقة، ففي الكلام تقديم وتأخير تقديره: قال في نفسه أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَأَسْرَهَا أَي هَذِهِ الْكَلِمَةُ. وتبع فيه أبا البقاء ولم يرتضه الحلبي، ورجعه إلى الحزاة التي حصلت من قولهم فقد سرق أخ له من قبل. قال شهاب الدين: ومثل هذا ينبغي أن لا يقال، فإن القرآن ينزه عنه اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي بحقيقة ما تصفون أي تذكرون اهـ.

قوله: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ الخ قال أصحاب الأخبار والسير: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصاع من رحل أخيه بنيامين غضب روبيل لذلك، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، وكان روبيل إذا غضب لم يقدّم لغضبه شيء، وكان إذا صاح ألقّت كل حامل حملها إذا سمعت صوته، وكان مع هذا إذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه، وكان أقوى الإخوة وأشدّهم. وقيل: هذا صفة شمعون بن يعقوب، وقيل إنه قال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ قالوا: عشرة. قال: اكفوني أَنْتُمْ الْأَسْوَاقُ، وَأَنَا أَكْفِيكُمْ الْمَلِكُ، أَوْ اكفوني أَنْتُمْ الْمَلِكُ وَأَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسْوَاقُ، فدخلوا على يوسف قال روبيل: أيها الملك لتردن علينا أخاناً أو لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا وضعت حملها، وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه، فقال يوسف لابن له صغير: قم إلى جنب هذا فمسه أو خذ بيده، فأتى له، فلما مسه سكن غضبه، فقال لإخوته: من مسني منكم؟ قالوا: لم يصبك منا أحد، فقال روبيل: إن هذا بذّر من بذّر يعقوب. وقيل: إنه غضب ثانياً، فقام إليه يوسف فوكزه

عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخَذَ أَحَدُنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرْنِكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ في أفعالك ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول أي نعوذ بالله من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَطَلِمُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾ يئسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا﴾ اعتزلوا

برجله وأخذ يداً من يديه فوق على الأرض وقال لهم: أنتم يا معشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم، فلما رأوا ما نزل بهم، ورأوا أن لا سبيل إلى الخلاص خضعوا وذلوا، وقالوا: يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً، يعني في السن، ويحتمل أن يكون كبيراً في القدر لأنه نبي من أولاد الأنبياء اهـ خازن.

قوله: (استعبده) أي استرقه واستملكه بمقتضى حكم السرقة على مقتضى شريعة يعقوب كما تقدم. وقوله ﴿مكانه﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه منصوب على الظرفية والعامل فيه خذ. والثاني: أنه ضمن خذ معنى اجعل فيكون مكانه في محل المفعول الثاني، وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿من المحسنين﴾ (في أفعالك) وقيل: من المحسنين إلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة إلينا، وقيل: إذا رددت بنيامين إلينا، وأخذت أحداً مكانه كنت من المحسنين اهـ خازن.

قوله: ﴿معاذ الله﴾ أي نعوذ بالله أي نتعوذ بالله تعوذاً هذا هو مقتضى حل الاعراب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا إذا﴾ إن أخذنا غيره إنما قدر معنى الشرط، لأن إذا حرف جواب وجزاء اهـ كرخي.

قوله: ﴿لظالمون﴾ بأخذه فيه جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة ولا هدمت أصلاً، فإن قيل: هذه الواقعة من أولها إلى آخرها تزوير وكذب، فكيف يجوز ليوسف مع رسالته الإقدام على هذا التزوير وإيذاء الناس من غير ذنب، لا سيما وهو يعلم أنه إذا حبس أخاه عنده بهذه التهمة، فإنه يعظم حزن أبيه ويشتد غمه، فكيف يليق بالرسول المعصوم المبالغة في التزوير إلى هذا الحد؟ فالجواب: لعله تعالى أمره بذلك تشديداً للمحنة على يعقوب ونهاه عن العفو والصفح وأخذ البديل، كما أمر تعالى صاحب موسى بقتل من لو بقي لطغى وكفر قاله ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب، وجزم صاحب الكشف بأن هذه الواقعة كانت بوحى اهـ كرخي.

قوله: (يئسوا) أي فالسين والتاء زائدتان للمبالغة كما في البيضاوي، وقوله: ﴿منه﴾ أي من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوه وقيل: أيسوا من أخيه أن يرد إليهم اهـ خازن.

وفي السمين: فلما استيأسوا استفعل هنا بمعنى فعل المجرد. يقال: يئس واستيأس بمعنى نحو عجب واستعجب، وسخر واستسخر. وقال الزمخشري: وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مرّ في استعصم اهـ.

قوله: (اعتزلوا) أي اعتزلوا مجلسه وانحازوا على حدة نجياً أي: حالة كونهم متناجين أي متحدثين في التشاور في أمر هذه القضية، وخلص من باب قعد كما في المصباح اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: ﴿نجياً﴾ حال من فاعل خلصوا أي اعتزلوا في هذه الحالة مناجين، وإنما

﴿يَحْيَا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره أي ينجي بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَيْدُهُمْ﴾ سنأروبل أو رأياً يهوداً ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوثِقًا﴾ عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ في أخيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل ﴿فَلَنْ أَتْبَحَ﴾ أفارق ﴿الْأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِـ أَبِي﴾ بالعودة إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم ﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ تيقنا من مشاهدة

أفردت الحال وصاحبها جمع، إما لأن النجى فعيل بمعنى فاعل كالعشير، والخليط بمعنى المعاشر والمخالط كقوله: ﴿وقربناه نجياً﴾ أي مناجياً، وهذا في الاستعمال يفرد مطلقاً يقال: هم خليلك وعشيرك أي مخالطوك ومعاشروك، وإما لأنه صفة على فعيل بمنزلة صديق وبابه فوجد لأنه بزنة المصادر كالصهيل والرحيل والذميل، وإما لأنه مصدر بمعنى التناجي كما قيل النجوى بمعناه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ [الإسراء: ٤٧] وحيث يكون فيه التأويلات المذكورة في رجل عدل وبابه اهـ.

قوله: (أو رأياً) أو لتنوع الخلاف. قوله: (في أخيكم) أي في رده. قوله: ﴿ما﴾ (زائدة) أي: فمن متعلقة بالفعل بعدها. وقوله: (وقيل مصدرية الخ)، والتقدير وتفريطكم من قبل أي كائن من قبل أي: وتفريطكم في أمر يوسف كائن من قبل تفريطكم في بنيامين، أو من قبل أخذكم العهد في شأن بنيامين اهـ شيخنا.

قوله: (مبتدأ) فيه مسامحة، إذ المبتدأ إنما هو المصدر المأخوذ مما بعدها بواسطتها، واعترض هذا الاعراب بأن الظروف المنقطعة عن الإضافة لا تقع خبراً، ويجب أن محل ذلك ما لم يتعين المضاف إليه كما هنا. كما في البيضاوي. قوله: ﴿فلن أبرح﴾ (أفارق) ﴿الأرض﴾ يشير إلى أن أبرح هنا تامة ضمنت معنى أفارق، فالأرض مفعول به ولا يجوز أن تكون تامة من غير تضمين، لأنها إذا كانت كذلك كان معناها ظهر وأذهب، ومعنى الظهور لا يليق، والذهاب لا يصل إلى الطرف المخصوص إلا بواسطة في تقول ذهبت في الأرض، ولا يجوز ذهبت الأرض، وقد جاء شيء لا يقاس عليه، واعلم أنه لا يجوز في أبرح أن تكون ناقصة لأنه لا ينتظم من الضمير الذي فيها ومن الأرض مبتدأ وخبر، ألا ترى أنك لو قلت: أنا الأرض لم يجز من غير في بخلاف أنا في الأرض اهـ كرخي.

ومراد كبيرهم من هذا الكلام الالتجاء إلى الله في إقامة عذره إلى والده يعقوب اهـ خازن.

قوله: ﴿أو يحكم الله لي﴾ في نصبه وجهان، أظهرهما: عطفه على يأذن. الثاني: أنه منصوب باضممار أن في جواب النفي وهو قوله: ﴿فلن أبرح﴾ أي لن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله، كقولهم: لألزمك أو تقضيني حقي أي: إلا أن تقضيني. قال أبو حيان: ومعناها ومعنى الغاية متقاربان. قال شهاب الدين: والمعنى على الثاني بل سياق المعنى على عطفه على يأذن، فإنه غي الأمر بغايتين، إحداهما: خاصة وهي إذن أبيه، والثانية: عامة لأن إذن أبيه له في الانصراف من حكم الله اهـ كرخي.

قوله: ﴿فقولوا يا أبانا﴾ الخ أمرهم بهذه المقالة مبالغة في إزالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم، لأنهم كانوا متهمين عنده بسبب وقعة يوسف اهـ خازن.

الصاع في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَافِظِينَ﴾ ﴿٨١﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَالْعِيرَ﴾ أي أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ في قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَنَّمَا﴾ ففعلتموه اتهمهم لما سبق

قوله: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ إنما قالوا هذه المقالة ونسبوه إلى السرقة، لأنهم شاهدوا الصواع، وقد أخرج من متاعه، فغلب على ظنهم أنه سرقه، فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الأمر لا في حقيقة الحال، ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ أي بقولنا حين سألونا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اهـ شيخنا.

قوله: (حين إعطاء الموثق) أي برده. قوله: (ولو علمنا أنه يسرق الخ) عبارة البيضاوي: وما كنا للعواقب عالمين، فلم ندر حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق، أو أنك تصاب به كما أصبت بيوسف اهـ.

وعبارة الكرخي: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾. قال مجاهد، وقتادة: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا، ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا، وإنما قلنا ونحفظ أخانا يعني مما لنا إلى حفظه منه سبيل. وقال ابن عباس: ما كنا لليلة ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين، وقيل: معناه أن حقيقة الحال غير معلومة لنا، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله، فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم ذلك اهـ.

قوله: (أي أصحاب العير) حمل العير هنا على الدواب نفسها، وهذا هو المعنى الحقيقي لها كما سبق، فاحتاج إلى تقدير المضاف، وفيما سبق حملها على المعنى المجازي وهو نفس أصحابها، فاستغنى عن تقدير المضاف اهـ شيخنا.

قوله: (وهم قوم كنعان) وكانوا جيران يعقوب اهـ خازن.

قوله: ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾ هذا آخر الكلام الذي علمه لهم أخوهم الكبير اهـ خازن.

وفي الكرخي: قوله: ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يعني سواء نسبتنا إلى التهمة أو لم تنسبنا فنحن صادقون، وليس غرضهم أن يثبتوا صدق أنفسهم، لأن هذا يجري مجرى إثبات الشيء بنفسه، بل الإنسان إذا قدم ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده وأنا صادق في ذلك. يعني: فتأمل فيما ذكرناه من الدلائل والبيانات اهـ.

قوله: (فرجعوا) أي التسعة، وأشار بهذا إلى أن قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ الخ مرتب على هذا المحذوف اهـ شيخنا.

قوله: (وقالوا له ذلك) أي الذي علمه لهم، ومن جملة ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾. وفي الخازن ما نصه: يعني ولم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا اخراج الصواع، وقد أخرج من متاعه. وقيل: معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا، وهذه ليست بشهادة إنما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق بزعمهم، فيكون المعنى أن ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه، لا أننا نشهد عليه بالسرقة وقيل: قال لهم يعقوب هبوا أنه سرق فما يدري هذا الملك أن السارق يؤخذ بسرقة إلا بقولكم، وكان

منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيوسف وأخيه ﴿جَمِيعًا﴾ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴿بِحَالِي﴾ الْحَكِيمُ ﴿فِي صُنْعِهِ﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ ﴿تَارِكًا خُطَابَهُمْ﴾ وَقَالَ يَتَكَلَّفُونَ الْآلَفَ بَدَلَ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ أَيَّ يَا حَزَنِي ﴿عَلَى يُوسُفَ وَأَيُّضَتَ عَيْنَاهُ﴾ انمحق سوادهما وبدل بياضاً

الحكم كذلك عند الأنبياء قبله، وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب إخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك؟

وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصاً بما إذا كان المسروق منه مسلماً، فلهذا أنكر عليهم إعلام الملك بهذا الحكم لظنه أنه كافر اهـ.

قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ الخ هذا الاضطراب لا بد له من كلام قبله متقدم عليه يضرب بهذا عنه، والتقدير ليس الأمر كما ذكرت حقيقة ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ الخ اهـ سمين.

قوله: ﴿أَمْرًا﴾ وهو حمل أخيكم إلى مصر لطلب نفع عاجل، فآل أمركم إلى ما آله، وقيل: معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق ما سرق اهـ خازن.

قوله: ﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف وهو ما قدره الشارح، والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا جزع، وقيل: من جميل الصبر أن لا تتحدث بمصيبتك ولا تزكي نفسك اهـ خازن.

قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ الخ إنما قال يعقوب هذه المقالة، لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحتته علم أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل، لأنه إذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع إلى الفرج. وقيل: إن يعقوب علم بما جرى عليه وعلى بنيه من أول الأمر، وهو رؤيا يوسف وقوله: ﴿يَا بَنِي لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، فلما تنهى الأمر قال: عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً اهـ خازن.

قوله: (وأخويه) أي بنيامين وكبيرهم، وعبرة الخازن: بهم يعني يوسف وبنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر اهـ.

قوله: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين، فحينئذ ساء حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهاج حزنه على يوسف، فعند ذلك أعرض عنهم ﴿وَقَالَ: يَا أَسْفَى﴾ الخ اهـ خازن.

ولم يسترجع يعقوب بأن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، لأن الاسترجاع خاص بهذه الأمة اهـ شيخنا.

قوله: (الآلف بدل من ياء الإضافة) أي فهي اسم لأنها بدل من اسم، والأصل يا أسفي بكسر الفاء وفتح الياء ففتحت الفاء فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولذلك تكتب هذه الآلف ياء لأنها منقلبة عنها والأسف: أشد الحزن، وإنما تجدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة، لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الأول، وقيل: إن يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة، فكان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين، فلما حصل فراق

من بكائه ﴿مِنَ الْحُزَنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربته ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا

بنيامين زاد حزنه عليه وجدد حزنه على يوسف، لأن يوسف كان أصل المصيبة. وقد اعترض بعض الجاهل على يعقوب في قوله: ﴿يا أسفى على يوسف﴾، فقال: هذه شكاية وإظهار جزع فلا يليق بعلى منصبه ذلك، وليس الأمر كما قال هذا الجاهل المعترض، لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام شكاً إلى الله لا منه، فقوله: ﴿يا أسفى على يوسف﴾ معناه يا رب ارحم أسفى على يوسف. وقيل: إن يعقوب لما عظمت مصيبتيه بلاؤه وقويت محتته قال: يا أسفى على يوسف أي أشكو إلى الله شدة أسفى على يوسف، ولم يشك إلى أحد من الخلق بدليل قوله: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ اهـ خازن.

فمعنى يا أسفى أشكو إلى الله أسفى اهـ.

قوله: ﴿وابيضت عيناه﴾ أي عمي من الحزن. قال مقاتل: لم يبصر شيئاً ست سنين، وقيل: إنه ضعف بصره من كثرة البكاء، وذلك أن الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج منها اهـ خازن.

قوله: (انمحق سوادهما) ظاهر في أنه على حقيقته، كم قيل، والتزمه بعضهم بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ. وقوله: (من بكائه) البكاء بالمد رفع الصوت، وبالقصر نزول الدمع من غير صوت، والمناسب هنا الثاني، لكن الرسم لا يساعد عليه لثبوت ياء بعد الألف فيقتضي أنه ممدود إذ لو كان مقصوراً لكان بعد الألف هاء فقط كما لا يخفى اهـ شيخنا.

وهذه التفرقة منقولة عن المختار وهي أحد قولين، والقول الآخر الذي جرى عليه المصباح والقاموس أنه لا فرق بين الممدود والمقصود في أن كلا يستعمل في رفع الصوت بالبكاء، وفي سيلان الدمع من غير صوت تأمل. قوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مكظوم ممتلىء من الحزن ممسك عليه لا يبثه. قال قتادة: هو الذي يردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيراً اهـ.

وفي المصباح: كظمت الغيظ كظماً من باب ضرب، وكظوماً أمسكت على ما في نفسك منه على صفح أو غيظ، وفي التنزيل: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وربما قيل كظمت على الغيظ وكظمني الغيظ فأنا كظيم ومكظوم، وكظم البعير كظوماً لم يجتر اهـ.

قوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ أي: قالوا ذلك تسلية له، فإن قلت: كيف حلفوا على شيء لم يعلموا حقيقته؟ قلت: بنوا ذلك على الأمر الأغلب الظاهر اهـ خازن.

وإنما قدر الشارح أداة النفي، لأن القسم المثبت لا يجاب إلا بفعل مؤكد بالنون أو اللام أو بهما، فلما رأينا الجواب هنا خالياً منهما علمنا أن القسم على النفي أي أنه جوابه منفي لا مثبت، فلذلك قدر النفي، ولذلك قال بعض الحنفية: لو قال والله أجيتك غداً كان المعنى على النفي فيبحث بالمجيء لا بعده اهـ شيخنا.

وعبارة البضاوي: أي لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعاً عليه، فحذفت لا لأنه لا يلتبس بالإثبات، فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات كان على النفي انتهت. أي: لأنه لو كان مثبتاً كان باللام ونون التوكيد عند البصريين أو بأحدهما عند الكوفيين، فلو قيل: والله أحبك كان المراد لا أحبك وهو من قبيل التورية اهـ زاده.

﴿تَقْتَوُا﴾ تزال ﴿تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفاً على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الموتى ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ هو الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبت إلى الناس ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع

قوله: ﴿حتى تكون حرَضًا﴾ في المصباح: حرض حرَضاً من باب تعب أشرف على الهلاك فهو حرض اهـ.

قوله: (يستوي فيه الواحد وغيره) أي: المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث. تقول: هو حرض وهما حرض وهم حرض وهن حرض اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال﴾ (لهم) أي قال يعقوب لهم عندما رأى قولهم وغلظتهم عليه ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾. أصل البث إثارة الشيء وتفريقه، وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر، قال ابن قتيبة: البث أشد الحزن، وذلك لأن الإنسان إذا ستر الحزن وكتمه كان همّاً، وإذا ذكره لغيره كان بثاً، فالبث: أشد الحزن، والحزن الهم، فعلى هذا يكون المعنى إنما أشكو حزني العظيم وحزني القليل إلى الله لا إليكم.

قال ابن الجوزي: روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب: ما الذي أذهب بصرك، وما الذي قوس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل فقال له: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكو إلى غيري، فقال: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو».

فإن قلت: هل في هذا ما يقدر في عصمة الأنبياء؟ قلت: لا. وإنما عوتب يعقوب بهذا، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وإنما يطلب من الأنبياء من الأعمال على قدر منصبهم وشريف رتبهم، ويعقوب عليه الصلاة والسلام من أهل بيت النبوة والرسالة، ومع ذلك قد ابتلي كل واحد من آبائه بمحنة فصبر، إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أُلقي في النار صبر ولم يشك إلى أحد، وإسماعيل ابتلي بالذبح فصبر وفوض أمره إلى الله، وإسحاق ابتلي بالعمى فصبر ولم يشك إلى أحد، ويعقوب ابتلي بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء عليهما، وهو مع ذلك صابر لم يشك إلى أحد شيئاً مما نزل به، وإنما كانت شكايته إلى الله بدليل قوله: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾، فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل في الدنيا والدرجات العلى في الآخرة، مع من سلف له من آبائه إبراهيم وإسحاق عليهما الصلاة والسلام. وأما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب عتاباً ولا عقوبة، لأن ذلك ليس إلى اختيار الإنسان، فلا يدخل تحت التكليف بدليل أن النبي ﷺ بكى على ولده إبراهيم عند موته وقال: «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وما نقول إلا ما يرضي ربنا» فهذا القدر لا يقدر الإنسان على دفعه عن نفسه، فصار مباحاً لا حرج فيه على أحد من الناس اهـ خازن.

قوله: (حتى يبت) تفريع على النفي أي: فيبت أي يذكر وينشر على الناس لعدم القدرة على كتمة

الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق هو حي، ثم قال ﴿يَبْنَئِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَأْتَسُوا﴾ تقنطروا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ رحمته

من أجل عظمه، فعلى هذا الظاهر أن البث بمعنى الميثوث اهـ شيخنا.

قوله: (إلى غيره) أي: وإن كان غيري يبيته إلى غير الله، فأنا قد أقدرني الله على كتمه عن غيره فلا أبته إلا له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أنه تعالى من رحمته وإحسانه يأتي بالفرج من حيث لا أحسب، وفيه إشارة إلى أنه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه إليه.

روي أن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب: أيها الملك الطيب ريحه، الحسن صورته، الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا. فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته، فلذلك قال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وقيل: معناه وأعلم أن رؤيا يوسف حق وصدق، وأنا وأنتم سنسجد له. وقال السدي: لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف، فعند ذلك قال يعقوب: ﴿يَا بَنِي أَذْهَبُوا﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (وهي حي) أي لكنه لم يعرف مكانه ولا أين هو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التحسس طلب الخبر بالحساسة وهو قريب من التجسس بالجيم، وقيل: إن التحسس بالحاء يكون في الخير، وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس، وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس. قال ابن عباس: التمسوا، وقال ابن الأنباري: يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان، وهنا قال من يوسف وأخيه، كأنه أقيمت من مقام عن، قال: ويجوز أن يقال إن من للتبعض، ويكون المعنى تحسسوا خبراً من أخبار يوسف وأخيه.

روي عن عبد الله بن زيد بن أبي فروة أن يعقوب عليه السلام كتب كتاباً إلى يوسف عليه السلام حين حبس عنده بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد، فإننا أهل بيت وكل بنا البلاء، أما جدي إبراهيم فشدد يدهاء ورجلاه وألقي في النار فصبر لأمر الله، وأما عمي إسماعيل فابتلي بالغرابة في صغره فصبر لأمر الله، وأما أبي إسحاق فابتلي بالذبح ووضع السكين على فقهائه فقدها الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إليّ فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عينا، ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه، وكنت أتسلى به وإنك حبسته وزعمت أنه سرق، وإننا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته إليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك. فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكأؤه وقل صبره وأظهر نفسه لإخوته على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، فذلك قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي أَذْهَبُوا﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿وَأَخِيهِ﴾ لم يقل وأخويه، لأنه كان يعلم أن الثالث مقيم بمصر، فليس حاله مجهولاً عنده بخلاف يوسف وبنيامين اهـ شيخنا.

قوله: (اطلبوا خبرهما) أي بالحاسة، لأن التحسس طلب الخير بالحاسة كالبصر، والسمع، وهو

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرُّ﴾ الجوع ﴿وَجِئْنَا بِضَعَّةٍ مُرْجَحَةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفاً أو غيرها ﴿فَأَوْفٍ﴾ أتم ﴿لَنَا الْكِيلَ وَنَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة عن رداءة

يستعمل في الخير والشر كالتجسس بالجيم على التحقيق اهـ شيخنا.

وفي السمين: وقيل بالحاء في الخبر والجيم في الشر، ولذلك قال هنا فتحسسوا، وفي الحجرات ولا تجسسوا وليس كذلك، فلذلك قرئ بالجيم هنا أيضاً اهـ.

قوله: (تقنطوا) بكسر النون وضمها وفتحها، فيأتي قنط من باب جلس ودخل وطرب وسلم، فيقال في مصدره قنوط وقنط وقناطة اهـ شيخنا.

عن المختار ونصه: القنوط اليأس، وبابه جلس ودخل وطرب وسلم فهو قنط وقنوط وقناط، فأما قنط يقنط بالفتح فيهما، وقنط بالكسر فيهما، فإنما هو من الجمع بين اللغتين اهـ.

قوله: (رحمته) يعني أنه استعير الروح للرحمة، وإيضاحه أن الروح مصدر بمعنى الرحمة، وأصله استراحة القلب من غمه، والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ الخ يعني أن المؤمن يصبر عند البلاء وينتظر الفرج والرحمة، فينال به خيراً، ويحمد الله عند الرخاء، والكافر بضد ذلك اهـ خازن.

قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ فيه حذف واختصار تقديره: فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر، فلما دخلوا عليه الخ اهـ خازن وقد أشار لهذا الشارح.

قوله: ﴿مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرُّ﴾ الخ فان قيل: إذا كان يعقوب أمرهم أن يتحسسوا أمر يوسف وأخيه، فلم عدلوا إلى الشكوى وطلبوا إيفاء الكيل؟ أجيب: بأن المتحسس يتوصل إلى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدة الحاجة مما يرقق القلب، فقالوا: نختبره بهذه الأمور، فإن رقق قلبه لنا ذكرنا المقصود وإلا شكونا اهـ زاده.

وفي أبي السعود: وإنما لم يبدووا بما أمروا به استجلاباً للرأفة والشفقة ليعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو اهـ.

قوله: (مدفوعة) أي مردودة يردها كل بائع على المشتري لرداءتها، وفي القاموس: زجاء ساقه ودفعه كزجاء وأزجاء، وبضاعة مزجاة قليلة أو لا يتم صلاحها اهـ.

وفي المصباح: زجيته بالثقل دفعته برفق، والريح تزجي السحاب تسوقه رقيقاً. يقال: أزجاء بوزن أرضاء، وزجاء بالثقل كزكاه اهـ.

قوله: (زيوفاً) أي معيبة، وقوله: (أو غيرها) عطف على دراهم وأو لتنويع الخلاف فقيل: إنها كانت صوفاً وسمناً. وقيل: كانت نعالاً. وقيل غير ذلك اهـ شيخنا.

وفي المصباح: زافت الدراهم تزيف زيفاً من باب سار ردأت، ثم وصفت بالمصدر فقيل درهم

بضاعتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ يشيهم، فرق عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيناً ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يَوْسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف ﴿قَالُوا﴾ بعد أن

زيف وجمع على معنى الاسمية، فقيل زيوف مثل فلس وفلوس، وربما قيل زائف على الأصل، ودراهم زيف مثل راعع وركع، وزيفتها تزيفاً أظهرت زيفها، قال بعضهم: الدراهم الزيوف هي المطلية بالزئبق المعقود بمزاوجة الكبريت، وكانت معروفة قبل زماننا وقدرها مثل سنج الميزان اهـ.

قوله: ﴿فَأَوْفَ لَنَا الْكِيلَ﴾ أي ولا تنقصه في مقابلة رداءتها يعني أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد، فإننا نريد أن نقيم لنا الناقص مقام الزائد اهـ خازن.

قوله: (بالمسامحة) وقيل: برد أخينا بنيامين اهـ خازن.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ لم يقولوا يجزيك بل عدلوا إلى الظاهر لشكهم في إيمانه، بل لتيقنهم كفره على عادة ملوك مصر في ذلك الوقت، فعبروا بهذه العبارة المحتملة اهـ شيخنا.

قوله: (وأدركته الرحمة) عطف تفسير. قوله: (ورفع الحجاب) قيل: هو اللثام الذي كان يتلثم به، وقيل: هو الستر الذي كان يكلمهم من ورائه، وقيل هو تاج الملك الذي أوجب لبسه له عدم معرفتهم له. وفي الخازن: وروي عن ابن عباس أن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه، وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق مثلها، ولسارة مثلها فعرفوه بها، وقالوا: أأنك لأنت يوسف اهـ.

قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اختلفوا في السبب الذي من أجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول. فقال ابن إسحاق: ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرأفة على إخوته، فباح بالذي كان يكتم. وقيل: إنه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبه ببيعه من مالك بن ذعر، وفي آخره وكتب يهودا، فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا: أيها الملك إنه كان لنا عبداً فبعناه منه، فغاض ذلك يوسف وقال: إنكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم، فلما ذهبوا بهم ليقتلوههم قال يهودا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا، فكيف إذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم، ثم قالوا: إن كنت فاعلاً فابعت بأماعتنا إلى أبينا، فإنه بمكان كذا وكذا، فذلك حين أدركته الرحمة والرأفة عليهم فبكى وقال هذا القول. وقيل: إن يوسف لما قرأ كتاب أبيه إليه فلم يتمالك أن بكى وقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه، وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة، ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف، وما أقبح ما قدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفرقه من أبيه، وهذا كما يقال للمذنب: هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت لم يرد بهذا نفس الاستفهام، ولكنه أراد تفضيع الأمر وتعظيمه، ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله إليهما من المكروه، واعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥] اهـ خازن.

قوله: (من هضمكم له) الهضم: الظلم وهو من باب ضرب اهـ شيخنا.

عرفوه لما ظهر من شمائله مثبتتين ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصْصِرْ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه

وفي المختار: هضم حقه هضماً من باب ضرب، واهتضمه ظلمه فهو هضيم ومهتضم أي مظلوم وتهضمه مثله اهـ.

وفي الخازن: فإن قلت: الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر، فما الذي فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة، فإنهم لم يسعوا في حبسه، ولا أرادوا ذلك؟ قلت: إنهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف نغصوا عليه عيشه، وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف، وقيل: إنهم قالوا له لما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منك يا بني راحيل خيراً اهـ.

قوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ظرف لفعلتم أي فعلتم وقت جهلكم، وهذا يجري مجرى العذر لهم يعني أنكم إنما قدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين بما يؤول إليه أمر يوسف من الخلاص من الجب، وولاية الملك والسلطنة اهـ خازن.

قوله: (من شمائله) بالياء جمع شمال بالكسر بمعنى الحق، وقوله: أي طالبين التثبت والتحقيق فالاستفهام للتقرير اهـ شيخنا.

قوله: (وإدخال ألف بينهما الخ) أي: فالقراءات أربعة وكلها سبعة اهـ شيخنا.

وبقي خامسة سبعة أيضاً وهي أنك بهمزة واحدة اهـ سمين.

قوله: ﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ يجوز أن يكون أنت مبتدأ ويوسف خبره، والجملة خبر أن دخلت عليهما لام الابتداء، ويجوز أن يكون فصلاً، ولا يجوز أن يكون توكيداً لاسم إن لأن هذه اللام لا تدخل على التوكيد اهـ سمين.

قوله: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ إنما لم يقل هو أنا بل عدل إلى هذا الظاهر تعظيماً لما نزل به من ظلم أخوته وما عوضه الله من النصر والظفر والملك، فكأنه قال: أنا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بأن ألقيتُموني في الجب، ثم بعتُموني بأبخس الأثمان، ثم صرت إلى ما ترون، فكان تحت إظهار الاسم هذه المعاني كلها، ولهذا قال: ﴿وهذا أخي﴾ مع أنهم يعرفونه، لأنه قصد أيضاً أنه المظلوم كما ظلمتموني، ثم صرت أنا وهو إلى ما ترون اهـ خازن.

قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ أي الحال والشأن، وقوله: ﴿مَنْ يَتَّقِ﴾ قرأ قبل بإثبات الياء وصللاً ووقفاً، والباقون بحذفها فيهما: فأما قراءة الجماعة فواضحة لأنه مجزوم، وأما قراءة قبل فاختلف الناس فيها على قولين: أجودهما: أن اثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب. والثاني: أنه مرفوع غير مجزوم ومن موصولة والفعل صلتهما، فلذلك لم تحذف لاه اهـ سمين.

قوله: (على ما يناله) أي من البلاء. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الرابط بين جملة الشرط وبين جوابها إما العموم في المحسنين، وإما الضمير المحذوف أي المحسنين منهم، وإما لقيام

وضع الظاهر موضع المضمّر ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ﴾ فضلك ﴿اللّٰهُ عَلَيْنَا﴾ بالملك وغيره ﴿وَإِنْ﴾ مخففة أي إنا ﴿كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾ ﴿١١﴾ آثمين في أمرك فأذلنا لك ﴿قَالَ لَا تَغْرِيبَ﴾ عتب ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ

أل مقامه، والأصل محسنهم فقامت أل مقام ذلك الضمير اه سمين .

قوله: (وغيره) كالصبر والعقل والصفح والحلم اه خازن .

قوله: ﴿لَخٰطِئِينَ﴾ يقال: خطيء إذا كان عن عمد، وأخطأ إذا لم يكن عن عمد، ولهذا قيل هنا خاطئين ولم يقل مخطئين اه خازن .

ولهذا قال الشارح آثمين اه شيخنا .

قوله: ﴿لَا تَغْرِيبَ عَلَيْكُمْ﴾ في المصباح: ثرب عليه يثرب من باب ضرب عتب ولام بالمضارع بياء الغيبة سمي رجل من العمالقة، وهو الذي بنى مدينة النبي ﷺ، فسميت المدينة باسمه . قال السهيلي: وثرب بالتشديد مبالغة وتكثير ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَغْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ والثرب وزان فلس شحم رقيق على الكرش والإمعاء اه .

وقوله: (عتب) أي لا تعبير ولا توبيخ أي: لا أوبخكم ولا أقرعكم اليوم اه خازن .

والعتب: بسكون التاء لأنه من باب نصر وضرب، وفي المختار: عتب عليه وجد وبابه ضرب ونصر اه .

وقال الرازي: التثريب التعبير والاستقهاء في اللوم، والمعنى على ما جنح إليه المصنف أي لا تعداد للذنوب ولا توبيخ عليكم، يقال: ثرب فلان على فلان إذا بكته بفعله وعدد عليه ذنوبه اه كرخي .

قوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ خبر ثان أو متعلق بالخبر، فالوقف عليه وقوله: ﴿يَغْفِرُ اللّٰهُ﴾ الخ استئناف . هذا هو الظاهر من صنيع الجلال، وقيل: إنه معمول ليغفر بعده، فالوقف على ﴿قوله عليكم﴾، والاستئناف بقوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ الخ اه شيخنا .

وفي السمين: وعليكم يجوز أن يكون خبراً للاً، واليوم يحتمل أن يتعلق بما تعلق به هذا الخبر أي: لا تثريب مستقر عليكم اليوم، ويجوز أن يكون عليكم خبر لا واليوم خبرها أيضاً، ولا يجوز أن يتعلق كل من الظرف والجار بتثريب، لأنه يصير مطولاً شبيهاً بالمضاف، ومتى كان كذلك أعرب، ونون نحو لا خيراً من زيد عندك اه .

قوله: ﴿يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ﴾ جملة دعائية وهو بمنزلة التعليل اه .

قوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي: فإنه يغفر الصغائر والكبائر ويفضل على التائب، ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا: إنك تدعونا بالبكرة والعشي إلى الطعام، ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك، فقال: إن أهل مصر كانوا ينظرون إليّ بعين العبودية ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي

الرَّحِيمِ ﴿١٦﴾ وسألهم عن أبيه فقالوا ذهب عيناه فقال ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقى في النار كان في عنقه في الجب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال إن فيه ريحاً ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي ﴿فَأَلْقَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ يصير ﴿بَصِيرًا وَأَتَوْفَّ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت عن عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿إِنِّي لَأَجْدُرِيحَ يُوسُفَ﴾ أوصلته إليه الصبا بإذنه تعالى مسيرة ثلاثة أيام

وأنى من حفدة إبراهيم عليه السلام اهـ بيضاوي .

قوله: (وسألهم عن أبيه) أي عن حاله فقال: ما حال أبي بعدي اهـ خازن .

قوله: (فقالوا ذهب عيناه) أي: بصرهما .

قوله: ﴿بِقَمِيصِي﴾ يجوز أن يتعلق بما قبله على أن الباء معدية كهي في ذهب به، وأن تكون للحال فتعلق بمحذوف أي: اذهبوا معكم قميصي وهذا نعت له أو بيان أو بدل اهـ سمين .

قوله: (حين ألقى في النار الخ) وذلك أنه لما جرد من ثيابه وألقى فيها عرياناً أتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم، فلما مات ورثه إسحاق، فلما مات ورثه يعقوب وجعله في قصبة من فضة وسد رأسها وعلقها في عنق يوسف حفظاً من العين، فلما ألقى في الجب عرياناً أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص من القصبة وألبسه إياه اهـ خازن .

قوله: (بإرساله) أي إلى أبيه وقال، أي جبريل ليوسف: إن فيه ريحها الخ، ولهذا قال يوسف ﴿يَأْتِ بِبَصِيرًا﴾ اهـ .

قوله: ﴿يَأْتِ﴾ (يصير) ﴿بَصِيرًا﴾ كقولك جاء إلينا محكماً بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيراً، أو يأت إليّ وهو بصير، وينصره قوله: ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قاله في الكشف اهـ كرخي .

قوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للأهل أي بنسائكم وذرائكم ومواليكم اهـ كرخي .

قوله: (خرجت من مصر) أي خرجت من مصر ووصلت إلى العريش، ثم خرجت منه متوجهة إلى أرض كنعان، والعريش: بلدة معروفة آخر بلاد مصر وأول بلاد الشام وهذا أحد قولين، والثاني أنها خرجت من نفس مصر اهـ من الخازن .

وفي المختار: وفصل من الناحية وخرج منها وبابه جلس اهـ .

قوله: (من بنيه وأولادهم) هذا يقتضي أن أولاده لم يذهبوا إلى مصر جميعاً، بل بقي بعضهم وعبرة الخازن: من أولاد بنيه اهـ فلم يذكر بنيه .

وعبرة زاده: من ولد ولده اهـ .

قوله: ﴿إِنِّي لَأَجْدُرِيحَ يُوسُفَ﴾ أي: أدركه بحاسة الشم أي أشمه اهـ شيخنا .

وفي الكلام حذف المضاف أي: ريح قميص يوسف . أي ريح الجنة من قميص يوسف، فالإضافة لأدنى ملابسة . وعبرة الخطيب: قال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح

أو ثمانية أو أكثر ﴿لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ﴾ تسفهون لصدقتموني ﴿قَالُوا﴾ له ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ خطئك ﴿الْفَكْدِيرِ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿جَاءَ﴾

الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنة من ذلك القميص. قال أهل المعاني: إن الله تعالى أوصل إليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المحنة من المكان البعيد، ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدين من الأخرى في مدة ثمانين سنة، وذلك يدل على أن كل سهل فهو في مدة المحنة صعب، وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهل اهـ.

قوله: (أوصلته إليه الصبا) في المصباح: الصبا بوزن العصا الريح تهب من مطلع الشمس اهـ.

وهذا مشكل لأن ريح الصبا تقابل الذهاب إلى الشام، وإذا كانت تقابله فكيف تحمل الريح من القميص الذي معه إلى جهة الشام، فمقتضى العادة أن التي حملته هي الدبور، لأنها هي التي تذهب من جهة مصر إلى الشام تأمل. قوله: (أو أكثر) قيل: عشرة. وقيل: شهر كما في القرطبي. قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ﴾ من المعلوم أن لولا حرف امتناع لوجود، وأن ما يليها مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، وجوابها هنا محذوف قدره الشارح بقوله لصدقتمون، وأما الخبر فلم يتعرض لتقديره، وتقدير الكلام لولا تفنيديكم لي موجود لصدقتمون أي: امتنع تصديقيكم لي لوجود تفنيديكم لي، وأصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأي اهـ شيخنا.

وفي السمين: التفنيد الإفساد يقال: فندت فلاناً أي أفسدت رأيه ورددته اهـ.

وفي المختار: الفند بالتحريك الكذب، وهو أيضاً ضعف الرأي من الهرم والفعل منه أفند، والتفنيد اللوم وتضعيف الرأي اهـ.

وفي القاموس: الفند بالتحريك الخرق وإنكار العقل لهرم أو مرض والخطأ في القول والرأي، والكذب كالإفناد، ولا تقل عجوز مفندة لأنها لم تكن ذات رأي أبداً وفنده تفنيداً كذبه وعجزه وخطأ رأيه كأفنده اهـ.

وفي المصباح: سفه سفهاً من باب تعب، وسفه بالضم سفاهة فهو سفيه، والأنثى سفية، والجمع فيهما سفهاء، والسفه نقص في العقل وسفهته تسفيهاً نسبت به إلى السفه اهـ.

وفي الكرخي: وقال في الكشف: التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرق وإنكار العقل من الهرم، يقال: شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة، لأنها لم تكن في شببتها ذات رأي فتفند في كبرها، لأن نقصان عقلها ذاتي لا حادث من عارض الهرم اهـ.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ (له) أي قال أولاد أولاده وأهله الذين عنده، لأن أولاده لصلبه كانوا غائبين عنه، وقوله: ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ يعني من ذكره يوسف ولا تنساه، لأنه كان عندهم أن يوسف كان قد مات وهلك، ويرون أن يعقوب قد لهج بذكره، فلذلك ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾، والضلال الذهاب عن طريق الصواب اهـ خازن.

قوله: (على بعد العهد) سيأتي في هذا الشارح نفسه أن المدة كانت ثمانين سنة، أو أربعين سنة، أو ثمانين سنة اهـ.

الْبَشِيرُ ﴿يَهُودَا بِالْقَمِيصِ، وَكَانَ قَدْ حَمَلَ قَمِيصَ الدَّمِ فَأَحْبَبَ أَنْ يَفْرَحَهُ كَمَا أَحْزَنَهُ﴾ ﴿أَلْقَنَهُ﴾ طَرَحَ الْقَمِيصِ ﴿عَلَى وَجْهِهِ، فَأَرْتَدَّ﴾ رَجَعَ ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿أَخْرَ ذَلِكَ إِلَى السَّحَرِ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِجَابَةِ أَوْ إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَى

قوله: (زائدة) فتستعمل زائدة بعد لما كما هنا، وكما في سورة العنكبوت في قوله: ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً﴾ [العنكبوت: ٣٣] اهـ شيخنا .

قوله: (فأحب أن يفرحه) أي فقال لإخوته: إني ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم فأنا أذهب بهذا القميص فأفرحه كما أحزنته، فحمله وخرج به حافياً حاسراً يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه، وكانت المسافة ثمانين فرسخاً اهـ الخازن .

فقد سبق العير وفارقهم من حين خروجهم من العريش وعلمه يعقوب في نظير هذه البشارة كلمات كان ورثها عن أبيه إسحاق، وهو عن أبيه إبراهيم وهي: يا لطيفاً فوق كل لطيف الطف بي في أموري كلها كما أحب، ورضني في دنياي وآخرتي اهـ شيخنا .

قوله: ﴿فارتد بصيراً﴾ أي لما انتعش فيه من القوة، وفي نصب بصيراً وجهان، أحدهما أنه حال أي رجع في هذه الحالة . والثاني: أنه خبرها بمعنى صار عند بعضهم، وبصيراً من بصر بالشيء كظريف من ظرف، وقيل: هو مثال مبالغة كعليم وفيه دلالة على أنه لم يذهب بصره بالكلية اهـ سمين .

قوله: ﴿إني أعلم من الله﴾ الخ إما مقول القول أو مستأنف، والمقول محذوف تقديره ما قلته لكم من قولي ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا﴾ الخ، ومن قولي ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ الخ اهـ شيخنا .

قوله: ﴿ما لا تعلمون﴾ أي من حياة يوسف، وأن الله يجمع بيننا اهـ خازن .

وتقدم للشارح تفسير هذا بقوله: من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي .

قوله: ﴿قالوا يا أبانا﴾ الخ أي قالوا ذلك اعتذاراً عما حصل منهم اهـ خازن .

قوله: ﴿استغفر لنا﴾ أي اطلب لنا غفر ذنوبنا اهـ .

قوله: (آخر ذلك) أي الاستغفار إلى السحر فلما انتهى إلى وقت السحر قام إلى الصلاة متوجهاً إلى الله، فلما فرغ منها رفع يديه وقال: اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه، واغفر لأولادي ما أتوا إلي وإلى أخيهم يوسف، فأوحى الله إليه أنني قد غفرت لك ولهم أجمعين، وقوله: (أو إلى ليلة الجمعة) . قال وهب: كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفاً وعشرين سنة، وقال طاوس: آخر الاستغفار إلى وقت السحر من ليلة الجمعة، فوافق ذلك ليلة عاشوراء، وقال الشعبي: سوف أستغفر لكم ربي قال: حتى أسأل يوسف، فإن كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي اهـ من الخازن .

وفي البيضاوي: ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائماً يدعو، وقام يوسف خلفه يؤمن، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد

مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ في مضربه ﴿ءَاوَى﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وأمه أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ فدخلوا وجلس

موافقهم بعدك على النبوة، وهذا إن صح فهو دليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم اهـ.

قوله: (ثم توجهوا إلى مصر الخ) عبارة الخازن: قال أصحاب الأخبار: إن يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع إخوته إلى أبيه مائتي راحلة وجهازهم ليأتوا بيعقوب وجميع أهله إلى مصر، فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج إلى مصر، فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة، وقال مسروق: كانوا ثلاثة وسبعين، فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجيء أبيه وأهله، فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجند، وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنه يهودا، فلما نظر إلى الخيل والناس قال: يا يهودا هذا فرعون مصر؟ قال: لا بل هذا ابنك يوسف، فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام، فقال له جبريل: خلّ يعقوب يبدأ بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان. وقيل: إنهما نزلا وتعانقا، وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالديه، وبكيا. وقيل: إن يوسف قال لأبيه: يا أبت بكيت عليّ حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى، ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك اهـ.

وفي البيضاوي: وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذرية والهملى اهـ.

وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف اهـ من القرطبي. فقد بورك فيهم كثيراً حتى بلغوا هذا العدد في مدة موسى مع أن بينه وبين يوسف أربعمائة سنة، كما في التحبير، وفي العرائس القدسية، فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجند، لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خز وقصب، فزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفاً، ولما صعد يعقوب عليه السلام ومعه أولاده وحفدته ونظر إلى الصحراء مملوءة بالفرسان مزينة بالألوان، فنظر إليهم متعجباً فقال جبريل: انظر إلى الهواء فإن الملائكة قد حضرت سروراً بحالك كانوا باكين محزونين مدة لأجلك، وهاجت الفرسان بعضهم في بعض، وصهلت الخيول، وسبحت الملائكة، وضربت بالطبول والبوقات، فصارت كأنه يوم القيامة اهـ.

قيل: وكان دخولهم يوم عاشوراء اهـ شهاب.

قوله: (في مضربه) في المصباح ضربت الخيمة نصبتها والموضع المضرب مثال مسجد اهـ.

قوله: (أو خالته) واسمها ليا. قال في الخازن: وهذا هو المعتمد لموت أمه راحيل في نفاسها بينيامين اهـ.

وهذا مبني على أنه تزوج راحيل في حياة أختها ليا، وكان ذلك جائزاً في شريعته، وبقيت ليا حتى أدركت اجتماع يعقوب بيوسف، وتقدم أن هذا قول ضعيف، وأن الراجح أن ليا ماتت قبل أن يتزوج راحيل، وعلى هذا فلعله كان لهما اخت ثالثة تزوجها يعقوب بعدهما، وأدركت هذه القضية اهـ شيخنا.

يوسف على سريريه ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى الْمَرْثِ﴾ السرير ﴿وَحَرَّوْا﴾ أي أبواه وإخوته ﴿لَهُمْ سُجَّدًا﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَتَابَعْتُ هَذَا

وقيل: إن الله أحيا له أمه ونشراها من قبرها حتى سجدت ليوسف تحقيقاً لرؤياه اهـ من الخازن.

قوله: ﴿ادخلوا مصر﴾ وهذا الدخول غير الأول إذ ذاك إلى المحل الذي ضربه خارج البلد، وهذا الدخول إلى نفس مصر، فبعد أن تم التلاقي والسلام قال لهم: ادخلوا مصر أي للإقامة بها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن شاء الله آمنين﴾ أي من المكاره، والمشية متعلقة بالدخول مع الأمن، لأن المقصود اتصافهم بالأمن في دخولهم، ونظيره قولك للغازي: ارجع سالماً غانماً إن شاء الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقاً، ولكن مقيداً بالسلامة والغنمة مكيفاً بهما. والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذو الحال قاله في الكشف اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: آمنين من القحط وأصناف المكاره اهـ.

وفي الخازن: قيل إن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد إلا بجوارهم، فقال لهم يوسف: ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهلكم اهـ.

قوله: (أجلسهما معه) والرفع النقل إلى العلو اهـ خازن.

قوله: ﴿وخروا له سجداً﴾ قال البيضاوي: والرفع مؤخر عن الخور، وإن قدم لفظاً للاهتمام بتعظيمه لهما اهـ.

وبعد ذلك يحتمل أن السجود كان خارج البلد عند أول اللقاء، وهذا هو الظاهر إذ هذا وقت التحية، ويحتمل أنه كان بعد دخول البلد حين دخلوا عليه وهو على السرير وفيه نوع بعد، لأن الظاهر أنهم كانوا صحبتته فيبعد أن يحيوه حيثئذ اهـ شيخنا.

قوله: (سجود انحناء الخ) فإن قلت: كيف استجاز يوسف أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى منصباً في النبوة والشيخوخة؟ قلت: يحتمل أن الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه، ثم في معنى هذا السجود قولان، أحدهما: أنه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا إشكال فيه حيثئذ. والثاني: أنه كان على حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الأرض، وهذا مشكل لأن هذه الصورة لا ينبغي أن تكون إلا لله تعالى. وأجيب: عن هذا الإشكال بأن السجود كان في الحقيقة لله على سبيل الشكر، وإنما كان يوسف كالقبلة لهم كما سجدت الملائكة لآدم، ويدل على صحة هذا التأويل قوله: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً﴾، فظاهر هذا يدل على أنهم لما صعدوا السرير خروا سجداً لله، ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود، لأن ذلك أبلغ في التواضع، فإن قلت: يدفع صحة هذا التأويل قوله ﴿رأيتم لي ساجدين﴾، وقوله: ﴿خروا له سجداً﴾ فإن الضمير يرجع إلى أقرب المذكورات وهو يوسف. قلت: يحتمل أن يكون المعنى وخروا لله سجداً لأجل يوسف واجتماعهم به، وقيل: يحتمل

تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴿إِلَيَّ﴾ إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴿لَمْ يَقُلْ مِنَ الْجَبِّ تَكْرَمًا﴾
لثلاثا يخجل إخوته ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ البادية ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ﴾ أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه وأقام عنده أبوه أربعاً وعشرين سنة

أن الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية، وهي أن إخوة يوسف ربما حملتهم الأنفة والتكبر عن السجود على سبيل التحية والتواضع، لا على سبيل العبادة، وكان ذلك جائزاً في ذلك الزمان، فلما جاء الإسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه اهـ خازن.

قوله: ﴿وقال يا أبت هذا﴾ أي السجود ﴿تأويل رؤياي﴾ يعني: تصديق الرؤيا في حال الصغر، فمن قبل صفة لرؤياي أي: رؤياي الكائنة من قبل أي: من قبل الحوادث التي وقعت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿حقاً﴾ أي صدقاً حيث وجدت في الخارج طبق ما في النوم. قوله: ﴿وقد أحسن بي﴾ أي أنعم علي يقال: أحسن بي وإلي بمعنى اهـ خازن.

قوله: ﴿إذا أخرجني﴾ تعليل لما قبله. وقوله: ﴿لم يقل من الجب تكرماً لثلاثا يخجل إخوته﴾ أي ولقوله لا تثريب عليكم اليوم، أو لأن مصيبة السجن كانت عنده أعظم لطول مدتها ولمصاحبتها الأوباش وأعداء الدين فيه، بخلاف مصيبة الجب لقصر مدتها، ولكون المؤنس له فيها جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة اهـ كرخي.

وفي الخازن: إنما ذكر انعام الله عليه في إخراجه من السجن وإن كان الجب أصعب منه استعمالاً للأدب والكرم، لثلاثا يخجل إخوته بعد أن قال لهم ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن كانت سبباً لوصوله إلى الملك. وقيل: إن دخوله الجب كان بحسد إخوته، ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه، وكان ذلك من أعظم نعمه عليه اهـ.

وخجل من باب طرب كما في المختار.

قوله: ﴿وجاء بكم من البدو﴾ يعني من البادية. والبدو: وهو البسيط من الأرض يبدو الشخص فيه من بعد يعني: يظهر، والبدو: خلاف الحضر. والبادية: خلاف الحاضرة، وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية اهـ خازن.

وفي القرطبي: وقيل كان يعقوب تحول إلى البادية وسكنها، وإن الله تعالى لم يبعث نبياً من أهل البادية اهـ.

قوله: ﴿أفسد﴾ في المختار: نزغ الشيطان بين القوم أفسد وبابه قطع اهـ.

وفي الخازن: وأصل النزغ الدخول في أمر لإفساده اهـ.

قوله: ﴿إن ربي لطيف﴾ ضمنه معنى مدبر فعده باللام اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: لطيف لما يشاء أي: من أحوال خلقه. أي: لطيف التدبير له، إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها اهـ.

أو سبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تآقت نفسه إلى الملك الدائم فقال ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَأُطِرَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ﴾ متولي مصالححي ﴿ فِي الدُّنْيَا

يعني أن اللطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأمور المدبر لها والمسهل لصعابها ولنفوذ مشيئته، فإذا أراد شيئاً سهل أسبابه أطلق عليه اللطيف، لأن ما يلفظ يسهل نفوذه اهـ شهاب.

قوله: (وكانت مدة فراقه الخ) عبارة الخازن: واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها، فقال سلمان الفارسي، وعبد الله بن شداد بن الهاد: أربعون سنة. وقال أبو صالح، عن ابن عباس: اثنان وعشرون سنة. وقال سعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي: ست وثلاثون سنة. وقال قتادة: خمس وثلاثون سنة. وقال عبد الله بن سودون: سبعون سنة. وقال الفضيل بن عياض: ثمانون سنة. حكى هذه الأقوال كلها ابن الجوزي، وزاد غيره عن الحسن أن يوسف كان عمره حين أُلقي في الحب سبع عشرة سنة، وأقام في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة، وأقام مع أبيه وإخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة، وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة اهـ.

قوله: (سنة) راجع للثلاثة قبله. قوله: (فوصى يوسف أن يحمله الخ) عبارة الخازن: فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يحمله جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه إسحاق في الأرض المقدسة بالشام، فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمر به أبوه، فحمل جسده في تلбот من ساج حتى قدم به الشام، فوافق ذلك موت عيصو أخي يعقوب، وكان قد ولدا في بطن واحد، فدفنا في قبر واحد، وكان عمرهما مائة وسبعة وأربعين سنة، فلما دفن يوسف أباه رجع إلى مصر. قالوا: فلما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بأبيه وإخوته، وعلم أن نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم سأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة، فقال: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي﴾ الخ اهـ.

قوله: (عند أبيه) أي إسحاق. وقوله: (فمضى بنفسه) أي زيادة في الامتثال. قوله: (ولما تم أمره) أي ملكه. وقوله: (وعلم أنه) أي أمره الذي هو ملكه، وقوله: (إلى الملك الدائم) وهو نعيم الآخرة. وقوله: (فقال) أي في طلب الملك الدائم، فطلب ما يوصل له وهو الموت على الإسلام، فالطلب حاصل بقوله: ﴿ توفني﴾ الخ، وأما ما قبله فهو تقديم ثناء على الله على الدعاء على ما هو الأدب في الدعاء أن يقدم الداعي على دعائه ثناء على الله تعالى اعترافاً بنعمه عليه، ثم يسأل مطلوبه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ من الملك﴾ أي بعضه من للتبويض، والمراد بذلك البعض ملك مصر إذ لم يملك جميع أقطار الأرض إلا أربعة: اثنان مسلمان اسكندر وسليمان بن داود، واثنان كافران بختنصر وشداد بن عاد. وكذا هي للتبويض في قوله ﴿ من تأويل الأحاديث﴾. وفي السمين: ومن في من الملك وفي من تأويل للتبويض، والمفعول محذوف أي شيئاً عظيماً من الملك، فهي صفة لذلك المحذوف، وقيل: زائدة، وقيل لبيان الجنس، وفاطر يجوز أن يكون نعتاً لرب، ويجوز أن يكون بدلاً أو بياناً أو منصوباً باضممار أعني أو نداء ثانياً اهـ.

وَالْآخِرَةُ تَوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصِّلِحِينَ ﴿١٠١﴾ من آبائي فعاش بعد ذلك أسبوعاً أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى

والملك عبارة عن الاتساع في الشيء المقدور لمن له السياسة والتدبير اهـ خازن.

قوله: ﴿توفني﴾ أي: اقبضني إليك مسلماً، واختلفوا هل هو طلب الوفاة في الحال أم لا على قولين، أحدهما: أنه سأل الله الوفاة في الحال. قال قتادة: لم يسأل نبي من الأنبياء الموت إلا يوسف. قال أصحاب هذا القول: وأنه لم يأت عليه أسبوع حتى توفي. والقول الثاني: أنه سأل الوفاة على الإسلام إذا جاء أجله، ولم يتمن الموت في الحال. وقال الحسن: إنه عاش بعدها سنين كثيرة، فعلى هذا القول يكون معنى الآية ﴿توفني﴾ إذا توفيتني على الإسلام، فهو طلب لأن يجعل الله وفاته على الإسلام، وليس في اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال. قال بعض العلماء: وكلا القولين محتمل، لأن اللفظ صالح للأمرين، ولا يبعد من الرجل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه أن الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الزوال، وأن نعيم الآخرة باق دائم لا نفاذ له ولا زوال، ولا يمنع من هذا قوله ﷺ: «لا يتمن أحدكم الموت لضرب نزل به، فإن تمنى الموت عند وجود الضر ونزول البلاء مكره والصبر أولى» اهـ خازن.

فإن قلت: كيف قال يوسف ذلك مع علمه بأن كل نبي لا يموت إلا مسلماً؟ فالجواب: إما أنه حصل له حالة غلب عليه الخوف فيها، فذهل عن ذلك العلم في تلك الساعة، أو أنه دعا بذلك مع علمه إظهاراً للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة، وتعليماً لغيره. وهذه حالة زائدة على الإسلام الذي هو ضد الكفر، والمطلوب ههنا هو الإسلام بهذا المعنى اهـ كرخي.

وفي الخطيب: فإن قيل: الأنبياء عليهم السلام يعلمون أنهم يموتون على الإسلام لا محالة، فكان هذا الدعاء طلب تحصيل الحاصل، وهو لا يجوز وأجيب: بأن حال كمال المسلم أن يسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر عليه قلبه ويرضى بقضاء الله وتطمئن النفس وينشرح الصدر وينفسح القلب في هذا الباب، وهذه حالة زائدة على الإسلام الذي هو ضد الكفر، والمطلوب ههنا الإسلام بهذا المعنى، فإن قيل: إن يوسف عليه الصلاة والسلام كان من أكابر الأنبياء والصالح أول درجة المؤمنين، فالواصل إلى الغاية كيف يليق به أن يطلب البداية؟ أجيب: بأن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يعني بأن يلحقه بآبائه إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب، والمعنى ألحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم اهـ. وأشار لهذا الجلال بقوله ﴿من آبائي﴾.

قوله: (ومات) وقد خلف من امرأة العزيز ولدين وبتاً، فالولدان افرائيم وميشا، والبنت رحمة تزوجها أيوب اهـ خازن.

ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعد يوسف مصر، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام اهـ أبو السعود.

قوله: (وتشاح المصريون) أي أهل مصر في قبره أي في المحل الذي يدفن فيه، فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلتهم لأجل بركته حتى هموا أن يقتتلوا، ثم اصطلحوا على أن يدفنوه في أعلى

النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في كيده أي عزمه عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على

النيل، أي: في أقصاه من جهة الصعيد، لأجل أن يجري الماء عليه ويتفرق عنه بعد ذلك إلى جميع البلاد وتعم بركته الكل، فجعلوه في صندوق من مرمر، وهو نوع من الرخام أعلاه وأجوده، ودفنوه في الجانب الأيمن من النيل، فأخصب وأجذب الجانب الآخر، فنقل إلى الجانب الأيسر فأخصب وأجذب الجانب الأيمن، فدفنوه في وسط النيل أي: البحر، وقدره بسلسلة فأخصب الجانبان فبقي أربعمئة سنة، فلما أمر الله موسى بالخروج من مصر أمره بأخذ يوسف معه، ودفنه في الأرض المقدسة بقرب آبائه، فلم يهتد إلى مكانه، فدلته عليه عجوز قيل إنها بنت ولد يعقوب، وشرطت عليه أن تكون معه في الجنة، فضمن لها ذلك، وشرطت عليه أيضاً أن يدعو لها بأن ترجع شابة كلما هرمت، فدعا لها، فكانت كلما وصلت في السن خمسين سنة رجعت بنت ثلاثين، وعاشت ألفاً وستمئة سنة، فحملة موسى ودفنه بالأرض المقدسة فهو الآن هناك اهـ شيخنا.

قوله: (المذكور من أمر يوسف) أي: قصته وما جرى له مع إخوته وما صار إليه من الملك بعد الرق اهـ من الخازن.

وذلك: مبتدأ، ومن أنباء الغيب خبره، ونوحيه حال، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً أو حالاً من الضمير في الخبر اهـ سمين.

وقوله: ﴿نُوحِيهِ﴾ بمعنى الماضي، وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوته ﷺ، لأنه كان أمياً لم يقرأ الكتب، ولم يلق العلماء، ولم يسافر إلى غير بلده الذي نشأ فيه، ومع ذلك أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن تركيب وأفصح عبارة، فعلم أن آتيانه ﷺ بها بوحي من الله اهـ خازن.

قوله: (وما كنت لديهم) تعليل لكل من الخبرين. قوله: ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ وهو إلقاء في الجب. قوله: ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أي: يحتالون في إهلاكه والجملة حال. قوله: (من جهة الوحي) إذ قال في موضع آخر: ما كنت تعلمها الخ، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي، فيكون معجزاً لأن محمداً ﷺ لم يطالع الكتب، ولم يأخذ عن أحد من البشر، وما كانت بلده بلد العلماء، فآتيانه بهذه القصة الطويلة على وجه لم يقع فيها تحريف ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم، كيف لا يكون معجزاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ الخ هذا تسلية له عن إعراضهم، وذلك أن اليهود وقرشاً سألوه عن قصة يوسف، فأخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة، ومع ذلك لم يسلموا، فحزن فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ الآية اهـ خازن.

قوله: ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ جملة معترضة بين ما وخبرها، وجواب لو محذوف لدلالة ما تقدم عليه اهـ سمين.

إيمانهم ﴿يُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَا تَشَاءُ لَهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَكَايُنْ﴾ وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك يعنونها ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ

وفي المصباح: حرص عليه حرصاً من باب ضرب إذا اجتهد، والاسم الحرص بالكسر، وحرص على الدنيا من باب ضرب أيضاً، وحرص حرصاً من باب تعب لغة إذا رغب رغبة مذمومة اهـ.

قوله: ﴿عليه﴾ أي: على تليخه. قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: قاطبة، وهذا كالتعليل لما قبله، لأن الوعظ العام ينافي أخذ الأجر من البعض. لأنه لا يختص بهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿وَكَايُنْ﴾ مبتدأ ومن آية تمييز، وهذا تسلية أخرى له ﷺ. أي: لا تتعجب من إعراضهم عنك، فإن إعراضهم عن هذه الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى أغرب وأعجب من إعراضهم عنك اهـ شيخنا.

وقوله: وكم يشير به إلى أن كايُن بمعنى كم التكريرية الخبرية، وإن وردت للاستفهام، والآية هنا بمعنى الدليل الدال على ما ذكر اهـ شهاب.

وقوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة لآية، وقوله: ﴿يَمُرُّونَ﴾ خبر المبتدأ وهو كايُن أي: وآيات كثيرة كائنة في السموات كالكواكب والأرض يمرُّون عليها وهم عنها. أي: والحال أنهم معرضون عنها اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: ويجوز أن يكون في السموات والأرض خبراً ويمرون عليها صفة آية اهـ.

وفي أبي السعود: وكايُن أي كأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في السموات والأرض أي: كائنة فيهما من الأجرام الفلكية وما فيهما من النجوم وتغير أحوالها، ومن الجبال والبحار، وسائر ما في الأرض من العجائب الفاتنة للحصر يمرُّون عليها أي: ويشاهدونها ولا يعجزون بها وقرىء برفع الأرض على الابتداء ويمرون خبره وقرىء بنصبها على معنى ويطؤون الأرض يمرُّون عليها، وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها، والمراد ما يرون فيها من آثار الأمم الهالكة، وغير ذلك من الآثار والعبر اهـ.

قوله: (بعبادة الأصنام) متعلق بمشركون على أن الباء سببية، ولذا قال بعبادة الأصنام أي: بسبب عبادتهم الأصنام اهـ.

قوله: (يعنونها) أي يعنون بالشريك في قولهم إلا شريكاً الخ الأصنام.

قوله: ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ﴾ أي: في الدنيا. قوله: (نقمة تغشاهم) عبارة البيضاوي: غاشية من عذاب الله أي: عقوبة تغشاهم وتشلهم اهـ.

عَنْشِيَّةٌ ﴿نَقْمَةً تَغْشَاهُمْ﴾ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيهِمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴿فَجَاءَ﴾ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ بوقت إتيانها قبله ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله ﴿أَدْعُوا إِلَى﴾ دين ﴿اللَّهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعْتِي﴾ آمن بي عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار لأنهم أعلم

ومن عذاب الله صفة لغاشية، وهم لا يشعرون بإتيانها غير مستعدين لها اهـ.

قوله: (بوقت إتيانها) أي: الساعة، وقوله: (قبله) أي: قبل إتيانها، وهذا ظرف للنفي أي: انتفى شعورهم بها قبل إتيانها.

قوله: (حجة واضحة) وقيل: البصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل اهـ خازن.

قوله: (بما قبله) وهو قوله: ﴿على بصيرة﴾، فالتقدير أنا ومن اتبعني كائنات على بصيرة، فهذا كلام مستأنف، فالوقف على قوله: ﴿إلى الله﴾ هذا ما جرى عليه الشارح في الإعراب، وقيل: إن قوله: (أنا فاعل) بأدعو ومن اتبعني معطوف عليه، الكلام جملة واحدة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿أدعو إلى الله﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً وهو الظاهر، وأن يكون حالاً من الياء، وعلى بصيرة حال من فاعل أدعو أي: أدعو كائناتاً على بصيرة، وقوله: ﴿ومن اتبعني﴾ عطف على فاعل أدعو، ولذلك أكد بالضمير المنفصل، ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أي: ومن اتبعني يدعو أيضاً، ويجوز أن يكون على بصيرة خبراً مقدماً، وأنا مبتدأ مؤخراً، ومن اتبعني عطف عليه، ويجوز أن يكون على بصيرة وحده حالاً، وأنا فاعل به، ومن اتبعني عطف عليه أيضاً، ومفعول أدعو يجوز أن لا يرد، ويجوز أن يقدر أي: ادعو الناس. وقرأ عبد الله هذا سبيلي بالتذكير وقدم أنه يذكر ويؤنث اهـ سمين.

قوله: ﴿سبحان الله﴾ أي وأسبح سبحان الله. قوله: (من جملة سبيله) راجع لقوله: ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾، فيحتذد يكونان معطوفين على قوله: ﴿أدعو إلى الله﴾ الواقع تفسيراً لسبيله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الخ رد على أهل مكة حيث قالوا: هلا بعث الله ملكاً بذلك، والمعنى كيف يتعجبون من إرسالنا إياك مع أن سائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحاللك اهـ خازن.

قوله: ﴿يوحى﴾ العامة على يوحى بالياء من تحت مبنياً للمفعول، وقرأ حفص نوحى بالنون مبنياً للفاعل اعتباراً بقوله: ﴿وما أرسلنا﴾، وكذلك قرأ ما في النحل وما في أول الأنبياء، ووافقه الاخوان على قوله نوحى إليه في الأنبياء على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، والجملة صفة لرجالاً، ومن أهل القرى صفة ثانية، وكأن تقديم هذه الصفة على ما قبلها أكثر استعمالاً، لأنها أقرب إلى المفرد، وقد تقدم تحريره في المائدة اهـ سمين.

وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ كيف كانت عَقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴿أَيَّ آخِرِ أَمْرِهِمْ مِنْ إِهْلَاكِهمْ بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُمْ﴾ ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ بالياء والتاء أي يا أهل مكة هذا فتو منون ﴿حَتَّى﴾ غاية لما دل عليه وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أي فتراخي نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾ يئس ﴿الرُّسُلُ وَظَنُوا﴾ أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده والتخفيف أي ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى﴾ بنونين مشدداً

قوله: (لجفائهم) مقابل لقوله لأنهم أعلم، وقوله: (وجهلهم) مقابل لقوله: وأحلم. قوله: (أي آخر أمرهم) تفسير للعاقبة، وقوله: (من إهلاكهم) بيان لآخر أمرهم الذي هو عاقبتهم قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ إنما أضاف الدار إلى الآخرة، مع أن المراد بالدار هي الجنة وفي نفس الآخرة، لأن العرب قد تضيف الشيء إلى نفسه، كقولهم: حق اليقين، والحق هو اليقين نفسه اهـ خازن.

وعبارة البيضوي: ولدار الحال أو الساعة أو الحياة الآخرة انتهت فعليها ليس في الكلام إضافة الشيء إلى نفسه.

قوله: (يا اهل مكة) راجع لقراءة التاء، وقوله: هذا أي أن دار الآخرة خير.

قوله: (غاية لما دل عليه) أي: للمقدر الذي دل عليه ﴿وما أرسلنا﴾ الخ، وبينه بقوله أي: فتراخي نصرهم، وانظر ما وجه دلالة ما ذكر عليه، ويمكن أن يقال وجه الدلالة من قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الخ، فإن هذا يشعر بعصيان قومهم وتراخي نصرهم عليهم. وعبارة البيضوي: غاية لمحذوف دل عليه الكلام أي لا يعرهم تمادي أيامهم، فإن من قبلهم، أمهلوا حتى أيس الرسل الخ. وفي السمين: ليس في الكلام شيء يكون حتى غاية له، فمن ثم اختلف الناس في تقدير شيء يصح جعله معي بحتى، فقدرة الزمخشري ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾، فتراخي نصرهم حتى، وقدرة القرطبي وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً، ثم لم نعاقب أمتهم بالعقاب حتى إذا، وقدرة ابن الجوزي وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً فدعوا قومهم فكذبوهم وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا، وأحسنها ما قدمته اهـ.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) سبعيتان: قوله: (أي ظن الأمم) والظن على هذا الاحتمال على حقيقته، قوله: (أن الرسل أخلفوا) بالبناء للمفعول أي: أخلفهم الله وعده إياهم بالنصر، فمعنى كذبوا بالتخفيف أخلفوا أي: أخلف الله وعدهم بالنصر، وعلى قراءة التخفيف يكون الظن على بابه كما يقتضيه صنيع الجلال حيث نبه على أنه في قراءة التشديد بمعنى اليقين، وسكت عنه على قراءة التخفيف، فيقتضي أنه باق على أصله تأمل. قوله: (من النصر) بيان لما. قوله: ﴿جاءهم﴾ جواب إذا. قوله: (بنونين) أي: مضارع نجى كعلم على التشديد، ومضارع أنجى كأكرم على التخفيف، وقد اشتمل كلامه على ثلاث قراءات، لكن الأولى وهي التشديد مع النونين شاذة ليست للسبعة ولا للعشرة، وهي قراءة الحسن، وأما اللتان بعدها فسبعيتان اهـ شيخنا.

ومخففاً وينون مشدداً ماض ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١١٠﴾ المشركين ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل ﴿عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُنْتَفَى﴾ يختلق ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١١﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

قوله: (وينون مشدداً) أي: جيمه مع ضم النون وتحريك الياء، فقوله: (ماض) أي: مبني للمفعول، ومن نشاء نائب فاعل هذه ومفعول به على اللتين قبلها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لقد كان﴾ لام قسم، ولما قال في أول السورة ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ وفي آخرها ﴿لقد كان﴾ الخ دلّ على أن هذه القصة من أحسن القصص، وأن فيها عبرة لمن اعتبر اهـ خازن.

قوله: ﴿في قصصهم﴾ تقدم أن القصص مصدر قص إذا تتبع الأثر والخبر، والمراد هنا المقصوص المحكي بدليل القراءة الشاذة قصصهم بكسر القاف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عبرة لأولي الأبواب﴾ المراد بها التأمل والتفكير. وفي الخازن: معنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، والمراد منه التأمل والتفكير. ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقائه فيه وإخراجه من السجن وتمليك مصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع قادر على إعزاز محمد ﷺ، وإعلاء كلمته، وإظهار دينه، وأن الإخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الإخبار عن الغيوب، فكانت معجزة له ﷺ اهـ.

وعبارة الكرخي: ووجه الاعتبار بقصصهم أنه قال في أول السورة: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾، ثم قال ههنا: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الأبواب﴾، وذلك تنبيه على أن حسن هذه القصة إنما هو لأجل حصول العبرة منها ومعرفة الحكمة والقدرة، فإن قيل: لم قال عبرة لأولي الأبواب مع أن قوم محمد ﷺ كانوا ذوي عقول وأحلام، وقد كان الكثير منهم لم يعتبر؟ فالجواب: أن جميعهم كانوا متمكنين من الاعتبار، والمراد من وصف هذه القصة بكونها عبرة كونها بحيث يعتبر بها العاقل كما مرت الإشارة: انتهت.

قوله: (أصحاب العقول) أي: السليمة اهـ كرخي.

قوله: (هذا القرآن) أي: المتقدم ذكره في قوله: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تصديق﴾ أي مصدق الخ، وهذه أخبار أربعة أخبر بها عن كان المحذوفة التي قدرها الشارح اهـ شيخنا. قوله: ﴿وتفصيل كل شيء﴾ إذ ما من أمر ديني إلا وله مستند في القرآن بوسط أو بغير وسط اهـ بضاوي.

قوله: (في الدين) من الحلال والحرام والحدود والأحكام والقصص والمواعظ والأمثال، وغير ذلك اهـ خازن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد

مدنية إلا. ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ الآية. ﴿ويقول الذين كفروا لست برسلاً﴾ الآية، أو مدنية إلا ﴿ولو أن قرآنًا﴾ الآيتين وهي ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية

﴿المر﴾ الله أعلم بممراده بذلك ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿أَيُّتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي القرآن مبتدأ خبره ﴿الْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي العمدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية الخ) الحاصل أنهم اختلفوا فيها على قولين: قيل: مكية، وقيل: مدنية، وقال بعضهم: المدني منها قوله: ﴿هو الذي يريكم البرق﴾ [الرعد: ١٢] إلى قوله: ﴿له دعوة الحق﴾ [الرعد: ١٤] اهـ خازن.

ومن فضائل هذه السورة أن قراءتها عند المحتضر تسهل خروج روحه.

قوله: ﴿تلك آيات﴾ يجوز في تلك أن يكون مبتدأ، والخبر آيات الكتاب، والمشار إليه آيات السورة، والمراد بالكتاب السورة، وقيل: إشارة إلى ما قص عليه من أنباء الرسل، وهذه الجملة لا محل لها إن قيل ﴿المر﴾ كلام مستقل أو قصد به مجرد التنبيه، وفي محل رفع على الخبر إن قيل ﴿المر﴾ مبتدأ ويجوز أن يكون تلك خبراً لـ ﴿المر﴾ وآيات الكتاب بدل أو بيان، وقد تقدم تقرير هذا بليضاح أول الكتاب وأعدته تطرية اهـ سمين.

قوله: (هذه الآيات الخ) إشارة إلى أن تلك بمعنى هذه المشار بها للحاضر، والمشار إليه آيات هذه السورة أو القرآن، وهذا ما جرى عليه في الكشاف وجمهور المفسرين، وجرت طائفة على أن الإشارة بتلك لما مضى من أنباء الرسل المتقدم آخر السورة السابقة اهـ كرخي.

وقوله: المشار بها للحاضر أي: باعتبار أنها لتلاوة بعضها، والبعض الآخر في معرض التلاوة وصارت كالحاضرة أو لثبوتها في اللوح أو مع الملك اهـ شهاب.

قوله: ﴿الله الذي رفع﴾ الخ هذا شروع في ذكر دلائل من العالم العلوي، وقوله: ﴿وهو الذي مد

جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين ﴿الْأَيَّاتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿يَلْقَا﴾

الأرض ﴿الخ شروع في ذكر دلائل من العالم السفلي اهـ خازن.

قوله: ﴿ترونها﴾ في الضمير المنسوب وجهان، أحدهما: أنه عائد على عمد وهو أقرب مذكور، وحيث أن تكون الجملة في محل جر صفة لعمد. والثاني: أن الضمير عائد على السموات، ثم في هذه الجملة وجهان أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها، والثاني: أنها في محل نصب على الحال من السموات، والتقدير رفعها مرئية لكم، وقرأ أبي ترونها بالتذكير مراعاة للفظ عمد أو هو اسم جمع، وهذه القراءة رجح بها الزمخشري كون الجملة صفة لعمد اهـ سمين.

قوله: (أي العمد) إشارة إلى أن ترونها صفة للعمد، وقوله: (جمع عماد) أي: على غير قياس، والقياس أن يجمع على عمد بضم العين والميم، وقيل: إن عمد جمع عماد في المعنى أي: أنه اسم جمع لا جمع صناعي، وقوله: (وهو) أي: هذا النفي صادق الخ: وذلك برجوع النفي للصفة والموصوف معاً، وهذا هو أصح القولين، وقيل: إن لها عمداً على جبل قاف، وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة، وهذا قول مجاهد وعكرمة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿بغير عمد﴾ هذا الجار في محل نصب على الحال من السموات أي: رفعها خالية من عمد، ثم في هذا الكلام وجهان، أحدهما: انتفاء العمد والرؤية جميعاً أي: لا عمد فلا رؤية يعني لا عمد لها، فلا ترى، وإليه ذهب الجمهور. والثاني: أن لها عمداً ولكن غير مرئية، والعمامة على فتح العين والميم وهو اسم جمع، وعبارة بعضهم أنه جمع نظراً إلى المعنى دون الصناعة، وقرأ أبو حيوة، ويحيى بن وثاب عمد بضمتين، ومفرده يحتمل أن يكون عماداً كشهاب وشهب، وكتب، وأن يكون عموداً كرسول ورسول، وقد قرئ في السبع في عمد ممددة بالوجهين اهـ.

قوله: (وهو الاسطوانة) بضم الهمزة والطاء وتسمى عموداً وسارية.

قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ثم هنا لمجرد العطف لا للترتيب لأن الاستواء على العرش غير مرتب على رفع السموات اهـ سمين.

قوله: (استواء يليق به) هذا مذهب السلف قوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: ذللها لما أراد منهما، فالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها اهـ بياضوي.

قوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فسرہ الشارح بيوم القيامة. وفي الشهاب: روي عن ابن عباس: كل منهما يجري إلى وقت معين، فإن الشمس تقطع الفلك في سنة، والقمر في شهر لا يختلف جري واحد منهما كما في قوله: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ [يس: ٣٨] الآيتين. قيل: وهذا هو الحق في تفسير الآية اهـ.

قوله: ﴿يدبر الأمر﴾ أي: أمر العالم العلوي والسفلي اهـ خازن.

ويدبر ويفصل حالان من الضمير في استوى. وقوله: (يقضي أمر ملكه) أي: يمضيه وينفذه

رَبِّكُمْ ﴿بِالْبَعَثِ﴾ ﴿تُوقَتُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾ ﴿بَسَطَ﴾ ﴿الْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ ﴿خَلَقَ﴾ ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ ﴿جِبَالًا ثَوَابِتَ﴾ ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ﴿مِنْ كُلِّ نَوْعٍ﴾ ﴿يُغْشَى﴾ ﴿يُغْطَى﴾ ﴿الَّيْلَ﴾ ﴿بِظُلُمَتِهِ﴾ ﴿النَّهَارُ إِنَّمَا فِي﴾

كالإحياء والإماتة والخلق والرزق والإيجاد والإعدام، ويدخل فيه انزال الوحي، وبعث الرسل وتكليف العباد ونحو ذلك، وحمل التدبير على العموم أولى من حمله على نوع من أحوال العالم، كما جرى عليه جمع من المفسرين اهـ كرخي.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ الخ أي: لأن من قدر على هذه الأشياء قادر على إحياء الإنسان بعد موته اهـ خازن.

قوله: (بالبعث) أي: بسببه.

قوله: ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ أي: بسطها طولاً وعرضاً لتثبت عليها الأقدام ويتقلب عليها الحيوان اهـ بيضاوي.

قال الأصم: المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه، فقوله: ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ يشعر بأنه تعالى جعل الأرض حجماً عظيماً لا يقع البصر على منتهاه اهـ كرخي.

وفي الجامع الصغير حديث رواه عن البيهقي، عن ابن عباس ولفظه: «أول بقعة وضعت من الأرض موضع البيت ثم مدت منها الأرض، وأن أول جبل وضعه الله تعالى على وجه الأرض أبو قبيس ثم مدت منه الجبال» اهـ.

قوله: (ثوابت) أي: تمسكها عن الاضطراب. قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ يجوز فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يتعلق بجعل بعده أي: وجعل فيها زوجين اثنين من كل صنف من أصناف الشجرات وهو ظاهر. والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من اثنين، لأنه في الأصل صفاته. والثالث: أن يتم الكلام على قوله: ﴿مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾، فيتعلق بجعل الأول على أنه من عطف المفردات يعني أنه عطف على معمول جعل الأولى تقديره أنه جعل في الأرض كذا وكذا من كل الشجرات. قال أبو البقاء: ويكون جعل الثاني مستأنفاً، ويغشى الليل قد تقدم الكلام فيه وهو مستأنف أو حال من فاعل الأفعال قبله اهـ سمين.

قوله: ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ هذا بيان لأقل مراتب التعدد، وإلا فالتعدد قد يكون بأكثر من ذلك، وقوله: (من كل نوع) متعلق باثنين أي: اثنين من كل نوع، فالشجرات جنس وأنواعها الرمان وغيره، وفي كل نوع اختلاف باللون وبالصغر والكبر وبالطعم والريح وغير ذلك اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وجعل فيها زوجين اثنين أي: اثنينية حقيقية، وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر، وأكد به الزوجين لثلا يفهم أن المراد بذلك الشفعان، إذ يطلق الزوج على المجموع، ولكن اثنينية ذلك اعتبارية أي: جعل من كل نوع من أنواع الشجرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين: إما في اللون كالأبيض والأسود، أو في الطعم كالحلو والحامض، أو في القدر كالكبير والصغير، أو في الكيفية كالحر والبارد وما أشبه ذلك. قوله: ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ أي: يغشى النهار

ذَٰلِكَ ﴿الْمَذْكُورُ﴾ ﴿لَا يَنْبُتُ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿فِي صَنِيعِ اللَّهِ﴾ ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ﴾ بقاع مختلفة ﴿مُتَجَوِّزَاتٌ﴾ متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الربيع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَعَلَتْ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْتَصِرَ وَزَرْعٌ﴾ بالرفع عطفاً على جنات والجر على أعناب وكذا قوله ﴿وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ﴾ جمع صنو وفي النخلات يجمعها أصل واحد وتشعب فروعها

بالليل، كما أشار لذلك بقوله: (بظلمته) فالمفعول الأول هو الليل اهـ شيخنا.

ومعنى تغشية هذا بذلك الاتيان به مكانه أي: الاتيان به بدله. وفي أبي السعود: يغشي الليل والنهار أي: يستر النهار بالليل، والتركيب وإن احتمل العكس أيضاً بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الأول، فإن ضوء النهار أيضاً ساتر لظلمة الليل، إلا أن الأنسب بالليل أن يكون هو الغاشي، وعد هذا في تضاعيف الآيات السفلية، وإن كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهراً باعتبار أن ظهوره في الأرض، فإن الليل إنما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل أصلاً اهـ.

قوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع، وبالسبب على المسبب، والفكر هو تصرف القلب في طلب الأشياء. وقال صاحب المفردات: الفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يكون له صورة في القلب، ولهذا روي تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله، إذ الله منزّه أن يوصف بصورة اهـ خازن.

قوله: (وسبخ) أي: لا ينبت وهو بفتح الباء وكسرهما وسكونها، كما يؤخذ من المصباح ونصه: سبخت الأرض سبخاً من باب تعب، فهي سبخة بكسر الباء، وإسكانها تخفيف، وأسبخت بالألف لغة ويجمع المكسور على لفظة سبخات مثل كلمة وكلمات ويجمع الساكن على سبخ مثل كلبة وكلاب، وموضع سبخ، وأرض سبخة بفتح الباء أيضاً أي: ملحة اهـ.

قوله: (وهو) أي: الاختلاف من دلائل قدرته تعالى. قوله: ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ جمع عنب. قوله: (بالرفع) ومتى رفع هذا ترفع الكلمات الثلاث بعده، ونخيل صنوان وغير صنوان، ومتى جر تجر الثلاثة المذكورة بعده، فهما قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

وفي السمين: وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص بالرفع في الأربعة، والباقون بالخفض، فالرفع في زرع ونخيل للنسق على قطع، وفي صنوان لكونه تابعاً لنخيل وغير لعطفه عليه اهـ.

قوله: ﴿وَنَخِيلٌ﴾ النخل والنخيل بمعنى الواحد نخلة اهـ مختار. لكن النخل يذكر ويؤنث، والنخيل مؤنث لا غير كما في المصباح.

قوله: (جمع صنو) أي: في الكثرة، وجمعه في القلة أصناء كحمل وأحمال، والعامة على كسر الصاد. وقرأ المسلمي، وابن مصرف، وزيد بن علي بضمها وهو لغة قيس وتميم كذئب وذؤبان، وقرأ الحسن وقتادة بفتحها وهو اسم جمع لا جمع تكسير، لأنه ليس من أبنيته فعلاً بالفتح، ونظير صنوان بالفتح السعدان اهـ سمين.

﴿وَعَبْرٌ صُنْوَانٌ﴾ منفردة ﴿يُسْقَى﴾ بالتاء أي الجنات وما فيها والياء أي المذكور ﴿يَمَاءٌ وَجِدْرٌ وَتَفْضُلٌ﴾ بالنون والياء ﴿بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من

قوله: (وهي النخلات الخ) تفسير للصنوان الذي هو الجمع، فالصنو المفرد واحد هذه النخلات اهـ شيخنا.

وفي السمين: والصنو الفرع يجمعه وفروعاً آخر أصل واحد والمثل، وفي الحديث: «عم الرجل صنو أبيه» أي: مثله، أو لأنهما يجمعهما أصل واحد اهـ.

وفي المختار: إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد، فكل واحدة منهن صنو، والاثنان صنوان بكسر النون، والجمع صنوان برفعها اهـ.

قوله: (بالتاء) ومتى قرىء بالتاء جاز يفضل وتفضل، ومتى قرىء بالياء تعين نفضل بالنون لا غير، فالقراءات ثلاثة لا أربعة كما يوهمه كلامه وكلها سبعة اهـ شيخنا.

قوله: (وما فيها) هذا يناسب قراءة الجبر، إذ هي الحاكمة بأن الزرع وما بعده من الجنات ويبعده من قراءة الرفع فعليها يقال وما بعدها بدل وما فيها، وقوله أي: (المذكور) أي: من الجنات وما بعدها. قوله: ﴿بماء واحد﴾ ومع ذلك تراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وقد يكون من أصل واحد، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الكل بتقدير الفاعل المختار، لا بسبب الاتصالات الفلكية اهـ كرخي.

وفي الخازن: والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام، وقيل في حده جوهر سيال به قوام الأرواح اهـ.

قوله: (بالنون والياء) أي: قرأ بالياء التحتية حمزة، والكسائي ليطابق قوله يدبر والباقون بنون العظمة وأنت خبير بأن القراء يتبعون فيما اختاروه من القراءات الأثر، لا الرأي، فإنه لا مدخل له فيها اهـ كرخي.

قوله: (في الأكل) المراد بالأكل ما يؤكل منها وهو الثمر والحب، فالثمر من النخيل والأعناب، والحب من الزرع كأنه قال: ونفضل الحب والثمر بعضهما على بعض طعماً وشكلاً ورائحة وقدراً وحلاوة وحموضة وغضاضة، وغير ذلك من الطعوم، وفضلها أيضاً في غير ذلك كاللون والنفع والضر، وإنما اقتصر على الأكل لأنه أعظم المنافع. وفي الخازن: قال مجاهد: هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد، وقال الحسن: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعاً متجاورات، وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها، وتخرج هذه نباتها، وتخرج هذه سباخها وملحها وخبيثها، وكل يسقى بماء واحد كذلك الناس خلقوا من آدم، فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم وتخضع وتخضع، وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع، وقال الحسن: والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان. قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] اهـ.

دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآ يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون ﴿وَلِإِنْ تَعَجَّبَ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾

قوله: (بضم الكاف وسكونها) وفي المصباح: الأكل بضمين، وإسكان الثاني للتخفيف المأكول اهـ.

قوله: (وهو من دلائل قدرته) عبارة البيضاوي: وذلك أيضاً مما يدل على الصانع الحكيم، فإن اختلافها مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار اهـ.

قوله: (يتدبرون) أي: يستعملون عقولهم بالتفكر فيها خص هذا بالعقل والأول بالتفكر، لأن الاستدلال باختلاف النهار أسهل، ولأن التفكير في الشيء سبب لتعقله والسبب مقدم على المسبب، فناسب تقديم التفكير على التعقل اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلِإِنْ تَعَجَّبَ﴾ بتحقيق الباء وادغامها في الفاء قراءتان سبعيتان اهـ خطيب.

والعجب: تغير النفس برؤية المستبعد في العادة. وقال القرطبي: العجب تغير النفس بما تخفى أسبابه، وذلك في حق الله تعالى محال اهـ كرخي.

قوله: (من تكذيب الكفار لك) أي: مع أنك كنت مشتهراً بينهم موصوفاً عندهم بالصادق الأمين، فلما جئت بالرسالة كذبوك اهـ.

قوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه خير مقدم، وقولهم مبتدأ مؤخر، ولا بد من حذف صفة لتتم الفائدة أي: فعجب أي: عجب أو غريب ونحوه. والثاني: أنه مبتدأ، وسوغ الابتداء ما ذكرته من الوصف المقدر، ولا يضر حينئذ كون خبره معرفة اهـ سمين.

قوله: (حقيق بالعجب) أي: بأن تتعجب منه. قوله: (منكرين) حال. قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يجوز في هذه الجملة الاستفهامية وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنها منصوبة المحل لحكايتها بالقول. والثاني: أنها في محل رفع بدلاً من قولهم، وبه بدأ الزمخشري، وعلى هذا فقولهم بمعنى مقولهم، ويكون بدل كل من كل، لأن هذا هو نفس قولهم، وإذا هنا ظرف محض، وليس فيها معنى الشرط والعامل فيها مقدر يفسره لفي خلق جديد. تقديره: أئذا كنا تراباً نبعث أو نحشر، ولا يعمل فيها خلق جديد، لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل فيها أيضاً كنا، لإضافتها إليها. واختلف القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافاً منتشراً، وهو في أحد عشر موضعاً في تسع سور من القرآن، ولا بد من تعيينها. فأولها ما في هذه السورة، والثاني والثالث في الإسراء بلفظ واحد ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩ و ٩٨] والرابع في المؤمنون ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] والصفات: [١٦] والخامس: في النمل ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَأَبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧] السادس: في العنكبوت ﴿أَتُنْكُمُ اللَّاتُونَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَتُنْكُمُ اللَّاتُونَ الرِّجَالُ﴾ [العنكبوت: ٢٨] السابع: ألم السجدة ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠] والثامن والتاسع: في الصافات ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]

أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٥﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم وفي الهمزتين في الموضوعين التحقيق وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني وأخرى عكسه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦﴾ ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿فَبَلَّ الْأَحْسَنَةَ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَّتْ

والعاشر: في الواقعة ﴿أَنَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لِمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧] والحادي عشر: في النازعات ﴿أَنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠] ﴿أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً﴾ [النازعات: ١١] فهذه هي المواضع المختلف فيها ثم الوجه في قراءة من استفهم في الأول والثاني قصد المبالغة في الإنكار، فأتى به في الجملة الأولى، وأعادها في الثانية تأكيداً له، والوجه في قراءة من أتى به مرة واحدة حصول المقصود به، لأن كل جملة مرتبطة بالأخرى، فإذا أنكر في إحداها حصل الإنكار في الأخرى اهـ من سمين.

قوله: (لأن القادر الخ) علة لقوله: (فعجب) أي: إنما كان قولهم المذكور عجباً أي: حقيقاً بالعجب، لأن القادر الخ اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: فعجب قولهم أي: ﴿منكرين البعث أَنَذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ أي: بعد الموت ﴿أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: نعاد خلقاً جديداً بعد الموت كما كنا قبله ولم يعلموا أن القادر الخ اهـ.

قوله: (وما تقدم) أي: من رفع السموات بغير عمد وغيره من الأمور المتقدمة. قوله: (وفي الهمزتين في الموضوعين الخ) من هنا إلى قوله وتركها أربع قراءات، قوله: (وفي قراءة) الخ ثلاث قراءات، لأنه حينئذ يجوز في الهمزتين التحقيق من غير ألف بينهما، ويجوز تسهيل الثانية بإدخال ألف وعدم الإدخال، ولا يجوز تحقيقهما مع إدخال الألف. قوله: (وأخرى عكسه) فيه قراءتان، لأنه على هذه القراءة يصح تحقيقهما بالإدخال وعدمه، ولا يجوز تسهيل الثانية أصلاً فمجموع القراءات تسعة وكلها سبعة اهـ شيخنا.

قوله: (وتركها) أي: الألف أي: ترك إدخالها، وقوله: (وأخرى) أي: وفي أخرى. قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ خبره الموصول أي: أولئك المنكرون بقدرته تعالى على البعث ﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾، فإن إنكارهم لقدرته كفر به عز وجل. وأولئك مبتدأ خبره قوله: ﴿الْأَغْلَالُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ﴾ وقوله: (وأولئك) أي الموصوفون بما ذكر من الصفات أصحاب النار الخ اهـ من أبي السعود. والأغلال جمع غل بالضم، وهو طرق من حديد يجعل في العنق اهـ خازن.

قوله: (ونزل في استعجالهم العذاب) عبارة الخطيب: ولما كان ﷺ يهددهم تارة بعذاب يوم القيامة، وتارة بعذاب الدنيا قالوا له: فجئنا بهذا العذاب، وطلبوا منه إظهاره وإنزاله على سبيل الطعن، وإظهار أن الذي يقوله كلام لا أصل له، نزل ويستعجلونك أي: استهزاء وتكديماً، والاستعجال طلب التعجيل، وهو تقديم الشيء قبل وقته الذي قدر له انتهت.

وفي الخازن: الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، وذلك أن مشركي مكة كانوا الفتحاحات الإلهية ج ٤/م ٧

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ أَلْمُتْلُكُ﴾ جمع المثلة بوزن السمرة أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدٌ﴾

يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاء منهم وهو قولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية اهـ.

قوله: ﴿قبل الحسنه﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بالاستعجال ظرفاً له. والثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال مقدرة من السيئة، قاله أبو البقاء اهـ سمين.

قوله: (الرحمة) أي: بتأخير العذاب عنهم. قوله: ﴿وقد خلت﴾ يجوز أن تكون حالاً، وهو الظاهر، وأن تكون مستأنفة، والعامه على فتح الميم وضم المثلة الواحدة مثله كسمرة وسمرات، وهي العقوبات الفاضحة سميت بذلك لما بين العقاب، والمعاقب عليه وهو الذنب من المماثلة في أن كلا منهما مدموم، وقرأ ابن مصرف بفتح الميم وسكون الثاء قيل: وهي لغة الحجاز في مثله، وقرأ ابن وثاب بضم الميم وسكون الثاء، وهي لغة تميم، وقرأ الأعمش ومجاهد بفتحهما، وعيسى بن عمر، وأبو بكر في رواية بضمهما اهـ سمين.

قوله: (جمع المثلة) والمثلة نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلاً يرتدع غيره به اهـ خازن.
قوله: (بوزن السمرة) بضم الميم وهي شجرة الطلع أي: الموز، وفي المصباح: السمر وزان رجل وسبع شجر الطلع، وهو نوع من العضاه الواحدة سمرة اهـ.

وفيه أيضاً: الطلع الموز الواحدة طلحة مثل: تمر وتمررة، والطلع من شجر العضاه الواحدة طلحة أيضاً اهـ.

وفي المختار: العضاه ككتاب كل شجر يعظم وله شوك، وواحداه عضاهة وعضة بحذف الهاء الأصلية كما حذفت من الشفة اهـ.

وفي المصباح: العضاه وزان كتاب من شجر الشوك كالطلع والعوسج، واستثنى بعضهم القتاد والسدر، فلم يجعله من العضاه. والهاء أصلية، وعضه البعير، عضهاً من باب تعب رعى العضاه، واختلفوا في الواحد وهو عضه بكسر العين وفتح الضاد فقليل بالهاء وهي أصلية أيضاً، ومنهم من يقول اللام المحذوفة هاء، وربما ثبتت مع هاء التأنيث، فيقال: عضهه وزان عنبه اهـ.

قوله: ﴿لذو مغفرة﴾ المراد بها هنا الإمهال وتأخير العذاب، كما أشار بقوله: (ولا الخ) اهـ شيخنا.

قال أبو السعود: والمعنى إن ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين، بل يمهلهم بتأخيرها وإن ربك لشديد العقاب فيعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال. وعنه عليه الصلاة والسلام: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا لأحد العيش، ولولا وعيده وعذابه لاتكل كل أحد اهـ.

قوله: ﴿على ظلمهم﴾ حال من الناس والعامل فيها قال أبو البقاء: مغفرة بمعنى أنه العامل من صاحبها اهـ سمين.

الْعَقَابِ ﴿٦﴾ لَمَنْ عَصَاهُ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كَالْعَصَا وَالْيَدِ وَالنَّاقَةِ قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ مخوف للكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿٧﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَفِيضُ﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾ من

والمعنى حال كونهم ظالمين أنفسهم بالمعاصي، فيجوز العفو قبل التوبة، لأن قوله ﴿لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ أي: حال اشتغالهم بظلم أهـ كرخي.

قوله: ﴿ويقول الذين كفروا﴾ وهم المستعجلون، وإنما عدل عن الاضمار إلى الموصول ذماً لهم بكفرهم بآيات الله التي تخر لها الجبال حيث لم يرفعوا لها رأساً ولم يعدوها من جنس الآيات، وقالوا ﴿لولا﴾ الخ أهـ أبو السعود.

قوله: (هـ) لا فلولا تخصيصه أهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى) أي: إزالة لرغبته في حصول مقترحهم، فإنه كان شدد الرغبة في إيجاب مقترحاتهم لشدة التفاته إلى إيمانهم أهـ خطيب.

قوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾ خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. وهاد بإثبات الباء وحذفها في الوقف سبعيتان، وبحذفها في الرسم لا غير، وبحذفها في الوصل لا غير أهـ شيخنا.

قوله: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ الخ شروع في بيان ما يدل على كمال عمله وقدرته وشمول قضائه وقدره، تنبيهاً على أنه تعالى قادر على إنزال ما اقترحوه، وإنما لم ينزله لعلمه بأن اقترحهم للعناد دون الاسترشاد، وأنه قادر على هدايتهم، وإنما لم يهدهم لسبق قضائه عنهم بالكفر أهـ بيباوي.

قال الشيخ: ويعلم هنا متعدية لواحد، لأنه لا يراد بها النسبة إنما المراد تعلق العلم بالمفردات. قلت: وإذا كانت كذلك كانت عرفانية. وقوله: ﴿ما تحمل﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون ما موصولة اسمية والعائد محذوف أي: تحمله. والثاني: أن تكون مصدرية فلا عائد. والثالث: أن تكون استفهامية وفي محلها وجهان، أحدهما: أنها في محل رفع بالابتداء، وتحمل خبره والجملة متعلقة للعلم. والثاني: أنها في محل نصب مفعول تحمل قاله أبو البقاء، وهو أولى لأنه لا يحوج إلى حذف عائد لاسيما عند البصريين، فإنهم لا يجيزون زيد ضربت ولم يذكر الشيخ غير هذا، ولم يتعرض لهذا الاعتراض وما في قوله: ﴿وما تفيض الأرحام وما تزداد﴾ محتملة للأوجه المتقدمة وغاض وازداد سمع تعديهما ولزومهما، ولك أن تدعي حذف العائد على القول بتعديهما وأن تجعلها مصدرية على القول بمصدريتها أهـ سمين.

قوله: (من ذكر الخ) بيان لما، وقوله: (غير ذلك) كحسن وقبيح، وطويل وقصير، وتام وناقص، فالمعنى يعلم حمل أو ما تحمله أي: يعلم حقيقته وصفته أهـ كرخي.

قوله: ﴿ما تفيض﴾ (تنقص) ﴿الأرحام﴾ الخ هذا ما عليه أكثر المفسرين، وحيثنذ فما موصولة في

مدة الحمل ﴿وَمَا تَزِدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿بَقْدَرٍ وَحَدٍّ لَا يَتَجَاوِزُهُ﴾ ﴿عَلَيْهِ الْغَيْبِ﴾
وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم ﴿الْمُتَعَالِ﴾ ﴿بِالْقَهْرِ بَيَاءً وَدُونَهَا﴾ ﴿سَوَاءٌ﴾
يَنْكُرُ﴾ في علمه تعالى ﴿مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر على خلقه ﴿بِالْإِثْلِ﴾

الموضعين، فإذا قلنا: إنها مصدرية، فالمعنى أنه تعالى يعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك، ولا من أوقاته وأحواله اهـ كرخي.

وفي الخازن: وما تغيض يعني: وما تنقص الأرحام وما تزداد قال أهل التفسير: غيض الأرحام الحيض هو غذاء الولد في الرحم، فإذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد وينمو، فالنقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم، والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم. وقيل: إذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة، فإن رأت خمسة أيام دماً وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام، والنقصان في الغذاء زيادة في مدة الحمل. وقيل: النقصان السقط، والزيادة زيادتها على تسعة أشهر، فأقل مدة الحمل ستة أشهر، وقد يولد لهذه المدة ويعيش اهـ.

قوله: (من مدة الحمل) بأن تنقص عن تسعة أشهر، وقوله: ﴿وَمَا تَزِدَادُ﴾ بأن تزيد على تسعة أشهر، قوله: (منه) أي: من المذكور وهو مدة الحمل. قوله: ﴿عِنْدَهُ﴾ هذه عندية علم يعني: أنه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على أكمل الوجوه اهـ خازن.

وعبارة الكرخي: قوله: (بقدر وحد لا يتجاوزه) يشير إلى أن المراد بالعندية العلم بكمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين، ويحتمل أن يكون المراد بالعندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السرمدية، ويدخل في هذه الآية أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم، وهي من أدل الدلائل على بطلان قول المعتزلة اهـ.

قوله: (ما غاب) أي: عنا وما شوهد أي: لنا. قوله: (العظيم) أي: الذي يصغر كل كبير بالإضافة إلى عظمته وكبريائه اهـ خازن.

فهو تعالى يتمتع أن يكون كبيراً بحسب الجنة والمقدار، فوجب أن يكون بحسب القدرة الإلهية والمتعال المنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته كما أفاده الشيخ المصنف اهـ كرخي.

قوله: (بياء ودونها) قراءتان سبعيتان. أي: في كل من الوصل والوقف، وأما في الرسم فمحذوفة لا غير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ﴾ في سواء وجهان، أحدهما: أنه خبر مقدم، ومن أسر ومن جهر هو المبتدأ، وإنما لم يثن الخبر، لأنه في الأصل مصدر وهو هنا بمعنى مستو، وقد تقدم الكلام فيه أول هذا الموضوع، ومنكم على هذا حال من الضمير المستتر في سواء لأنه بمعنى مستو. والثاني: أنه مبتدأ، وجاز الابتداء به لوصفه بقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ اهـ سمين.

قوله: (في علمه) متعلق بسواء، والتقدير من أسر القول الخ مستو في علمه تعالى، أي: من أنه يعلم الجميع، وقوله ﴿مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ﴾ أي: في نفسه، فلم يظهر عليه أحداً، ومن جهر به أي: أظهر

بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه في سربه أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾ ﴿لَمْ﴾ للإنسان ﴿مُعَقَّبَتْ﴾ ملائكة تعتقبه ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمره من الجن

عليه غيره وفي الخازن: المعنى سواء ما أضمرته القلوب وما نطقت به الألسنة، وسواء من أقدم على القبائح سرّاً في ظلمات الليل، ومن أتى بها ظاهراً بالنهار، فإن علمه تعالى محيط بالكل اهـ.

قوله: ﴿وسارب﴾ أي: ومن هو سارب، فلا بد من هذا التقدير، لأن الاستواء لا بدّ له من متعدد، وقوله: (ظاهر بذهابه الخ) عبارة الخازن: وسارب بالنهار أي: ذاهب في سربه ظاهراً، والسرب بفتح فسكون الطريق، وقال القتيبي: السارب المتصرف في حوائجه اهـ.

قوله: (في سربه) بفتح السين وسكون الراء معناه الطريق كما قال الشارح. هكذا ضبطه الخازن والبغوي وغيرهما. وفي المصباح: سرب في الأرض سروباً من باب قعد ذهب، وسرب الماء سروباً، وسرب المال سروباً من باب قتل رعى نهراً بغير راع فهو سارب، وسرب تسمية بالمصدر، والسرب أيضاً الطريق، ومنه يقال حل سربه أي: طريقه، والسرب بكسر النفس وهو واسع السرب أي: رخي البال، ويقال واسع الصدر بطيء الغضب، والسرب بفتحيتين بيت في الأرض لا منفذ له وهو الوكر اهـ.

قوله: (للإنسان) أي: مؤمن أو غيره.

قوله: ﴿معقبات﴾ أي: ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار، فإذا صعدت ملائكة الليل عقبها ملائكة النهار ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، ثم يعرج الذين كانوا من قبل فيسألهم الله تعالى ويقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون. وهم خمسة بالليل وخمسة بالنهار: اثنان يكتبان الحسنات والسيئات الأول عن اليمين، والثاني عن الشمال، وواحد موكل بناصية العبد، فإذا تواضع لله رفعه وإن تكبر وضعه، وآخر موكل بعينه يحفظهما من الأذى، والخامس موكل بفمه يمنع عنه الهوام، فهؤلاء خمسة أملاك موكلون بالعبد في ليلة وخمسة غيرهم في نهاره، فانظر إلى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك أيها العبد المسكين اهـ خازن.

وفي الخطيب: إنهم عشرون لكل إنسان عشرة بالليل وعشرة بالنهار، وهو الذي في شرح الجوهرة. وفي معقبات الاحتمالان، أحدهما: أن يكون جمع معقبة بمعنى معقب والتاء للمبالغة كعلامة ونسابة أي: ملك معقب، ثم جمع هذا كعلامات ونسابات. والثاني: أن يكون معقبة صفة لجماعة ثم جمع هذا الوصف كجمل وجمال وجماليات اهـ من السمين.

قوله: (تعتقبه) أي: تعتقب حفظه. قوله: ﴿من بين يديه﴾ يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لمعقبات، ويجوز أن يتعلق بمعقبات. ومن: لا ابتداء الغاية، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير الذي في الظرف الواقع خبراً، والكلام على هذه الأوجه تام عند قوله ﴿ومن خلفه﴾، ويجوز أن يتعلق بحفظونه أي: يحفظونه من بين يديه ومن خلفه.

فإن قلت: كيف يتعلق حرفان متحدان لفظاً ومعنى بعامل واحد، وهما من الداخلة على بين يديه ومن الداخلة على أمر الله، فالجواب: أن من الثانية مغايرة للأولى في المعنى كما ستعرفه اهـ سمين.

قوله: (أي بأمره) أشار إلى أن من بمعنى الباء، وهي للسبب أي: بسبب أمر الله، وتدل له قراءة

وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسليهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ لمن أَرَادَ الله بهم سوءاً ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي غير الله ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَالِ﴾ يمنعهم عنهم ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ﴾ الْبَرْقَ ﴿خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق

علي بن أبي طالب، وابن عباس، وزيد بن علي، وعكرمة بأمر الله، وقيل: يحفظون عمله بإذن الله فحذف المضاف وهو عمل. قال ابن الأنباري: كلمة من معناها الباء وتقديره يحفظونه بأمر الله وإعانتة، والدليل عليه أنه لا بد من المصير إليه، لأنه لا قدرة للملائكة، ولا لأحد من الخلق أن يحفظ أحداً من أمر الله ومما قضاه الله عليه أوهي على بابها. قال أبو البقاء: من أمر الله أي: من الجن والإنس، فتكون على بابها يعني أنه يراد بأمر الله نفس ما يحفظ منه كمردة الإنس والجن، فتكون من لا ابتداء الغاية اهـ.

واستظهر السفاقي الأول اهـ كرخي.

ومن هذا تعلم أن في عبارة الشارح تليقاً. قوله: (من الجن وغيرهم) أي: في نومه ويقظته فتحفظه من الجن والإنس والهوام. قال كعب الأحبار: لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لاختطفتكم الجن. وقال ابن عباس في معنى هذه الآية: يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار، قال ابن جريج: معنى يحفظونه أي: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، وهذا على قول من يقول إن الآية في الملكين القاعدين على اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات اهـ خازن.

قوله: (من الحالة الجميلة) وهي الطاعة. وعبارة البيضاوي: إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة انتهت.

قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ﴾ العامل في إذا محذوف لدلالة جوابها عليه تقديره لم يرد أو وقع أو نحوهما، كما أشار إليه في التقرير. أي: لم يرد السوء الذي أَرَادَهُ الله ولا يعمل فيها جوابها، لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال اهـ كرخي.

قوله: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: فلا رد. قوله: ﴿مِنْ﴾ (زائدة) أي: في المبتدأ وقوله: ﴿وَالِ﴾ أي: ناصر يلي أمرهم.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ﴾ الخ لما خوف الله تعالى على عباده بقوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه، فقال: هو الذي الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿الْبَرْقَ﴾ وهو لمعان يظهر من خلال السحاب اهـ خازن.

قوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ حالان من الكاف في يريكم أي: حال كونكم خائفين وطامعين، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله ذكره أبو البقاء. ومنعه الزمخشري لعدم اتحاد الفاعل يعني: أن فاعل الإرادة وهو الله تعالى غير فاعل الخوف والطمع وهو ضمير المخاطبين، فاختلف فاعل الفعل المعلن وفاعل

﴿السَّحَابُ أُنْفَالٌ﴾ بالمطر ﴿وَيُسَيِّحُ الرَّعْدُ﴾ هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَيَسْبَحُ﴾ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴿أَيَ اللَّهِ﴾ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فتحرقه، نزل في رجل بعث إليه

العله، وهذا يمكن أن يجاب عنه بأن المفعول في قوة الفاعل، فإن معنى يريكم يجعلكم راثين فتخافون وتطمعون اهـ سمين.

قوله: (للمسافرين من الصواعق) أي: وللمقيمين الذين يضرهم المطر كمن يجفف التمر والزبيب والقمح، ومن جملة الخوف منه أن يكون في غير مكانه أو في غير زمانه اهـ خازن.

قوله: ﴿وينشئ السحاب﴾ السحاب: الغيم المنسحب في الهواء اهـ بيضاوي.

والسحاب: اسم جنس واحده سحابة، فلذلك وصف بالجمع وهو الثقال جمع ثقيلة ككرامة وكرام، وقوله (بالمطر) متعلق بالثقال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الرعد﴾ جرى الشارح هنا على أنه نفس الملك، فالرعد اسم الملك الذي يسوق السحاب، وقوله: (يسوقه) أي: بآلة من نار، وقوله: ﴿بحمده﴾ الباء للملابسة في محل نصب على الحال، كما أشار له الشارح، والمسموع لنا هو نفس صوته إذا سبح التسبيح المذكور، وقيل: هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب أي: الصوت الذي يتولد عند الضرب اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال أكثر المفسرين: إن الرعد اسم الملك الذي يسوق السحاب، والمسموع منه تسبيحه، وقوله: ﴿والملائكة﴾ من عطف العام على الخاص. قيل: المراد بهؤلاء الملائكة أعوان ملك السحاب جعل الله تعالى مع الملك الموكل بالسحاب المسمى بالرعد أعواناً من الملائكة، وقيل: المراد جميع الملائكة وهو أولى اهـ.

قوله: (أي يقول سبحان الله وبحمده) فإذا سبح لم يبق ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح، فعندها ينزل القطر قاله ابن عباس رضي الله عنهما اهـ كرخي.

قوله: ﴿من خيفته﴾ أي: هيئته وجلاله. قوله: (وهي) أي: مفردها نار تخرج الخ، وقيل: هي الصوت الشديد النازل من الجو، ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت اهـ خازن.

وفي الكرخي: واعلم أن أمر الصاعقة عجيب جداً، لأنها نار تتولد في السحاب، وإذا نزلت من السحاب فرمها غاصت في البحر وأحرقت الحيتان، قال محمد بن علي الباقر: الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذكور اهـ.

قوله: (نزل في رجل) من طواغيت العرب بعث إليه النبي ﷺ نفرأ من أصحابه يدعونه إلى الله تعالى ورسوله فقال لهم: أخبرونا من رب محمد هذا الذي يدعوني إليه فهل هو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من نحاس؟ فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا أكفر قلباً ولا أجراً على الله تعالى من هذا الرجل، فقال: «ارجعوا إليه» فرجعوا فلم يزددهم على مقالته الأولى شيئاً، بل قال أخبث منها فرجعوا، إلى النبي ﷺ فقال لهم: «ارجعوا إليه» فرجعوا فيبينما هم عنده يدعونه

النبي ﷺ من يدعوه، فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو، أو فضة، أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ القوة أو الأخذ ﴿لَمْ﴾ تعالى ﴿دَعْوَةُ الْغَىِّ﴾ أي كلمته وهي لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ﴾ مما

وينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة، وأحرقت الكافر وهم جلوس عنده، فرجعوا ليخبروا النبي ﷺ فبادرهم وقال لهم: «احترق صاحبكم»، فقالوا: من أين علمت؟ قال: «قد أوحى إليّ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء» اهـ خازن.

وفي المصباح: رعدت السماء رعداً من باب قتل، ورعوداً لاح منها الرعد اهـ.

قوله: (من يدعوه) أي: نفرأ يدعونه إلى الإيمان بالله اهـ شيخنا.

قوله: (بقحف رأسه) في المختار القحف بكسر القاف عظم الرأس الذي فوق الدماغ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَهُمْ يَجَادِلُونَ﴾ هذه الجملة مستأنفة أو في محل الحال من من وأعاد عليها الضمير جمعاً باعتبار معناها اهـ سمين.

قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ أي: المماحلة والمكايذة لأعدائه من محل بفلان إذا كاده وعرضه للهلاك، ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيلة، ولعل أصله المحل بمعنى القحط، وقيل: فعال من المحال بمعنى القوة، فالميم أصلية، وقيل: أصله مفعول من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس، ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعول من حال يحول إذا احتال اهـ يضاوي.

وقوله: (وقيل مفعول) أي: والميم على هذا زائدة، وقوله: (أعل) على غير قياس إذ القياس فيه صحة الواو كمحور ومروود ومقود لأن شرط قلب الواو ألفاً فتح ما قبلها اهـ شهاب.

وفي القاموس: والمحال ككتاب الكيد وروم الأمر بالحيل والتدبير والقدرة والجبال والعذاب العقاب والعدواة، والمعادلة كالمماحلة والقوة والشدة والهلاك والهلاك، ومحل به مثلث الحاء محلاً ومحالاً بسعاية إلى السلطان، ومحاله مباحلة ومحالاً قاواه حتى يتبين أيهما أشد اهـ.

وجملة وهو شديد المحال حال من الجلالة الكريمة ويضعف استئنافها اهـ سمين.

قوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ من اضافة الموصوف لصفته أي: الدعوة الحق المطابقة للواقع اهـ شيخنا.

ومعنى كونها له تعالى أنه شرعها وأمر بها وجعلها افتتاح الإسلام بحيث لا يقبل بدونها. قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ مبتدأ خبره لا يستجيبون. قوله: (بالياء) هذه متواترة، قوله: (والتاء) هذه شاذة لا من السبعة، ولا من العشرة، وعليها فيقرأ كباسط بالتونين، ويكون في قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ التفات اهـ شيخنا.

قوله: (وهم الأصنام) وفي نسخة وهي الأصنام، وهذا تفسير للذين، وحينئذ عائد الموصول محذوف أي: يدعونهم، وأما الواو فليست عائدة عليه، إذ هو عبارة عن الأصنام المعبودة كما عرفت،

يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبَسِطَ﴾ أي كاستجابة باسط ﴿كَفَّيَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ على شفير البئر يدعوهم ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ أي فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ضياع ﴿وَلِيَّهِ يَسْجُدُونَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكُرْهَا﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿و﴾ يسجد ﴿ظَلَّلَهُمْ بِالْغُدُورِ﴾

والواو راجعة للكفار العابدين. قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾ أي: لا يجيبون، فالسين والتاء زائدتان، وقوله: ﴿كَبَسِطَ كَفِيَهُ﴾ مضاف لمفعوله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا﴾ (استجابة) ﴿كَبَسِطَ﴾ الخ أشار إلى أن الكلام على تقدير حذف مصدر مضاف إلى المفعول، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] وفاعل المصدر محذوف أي: كإجابة من بسط كفيه إليه اهـ كرخي.

وعبارة الخازن: أي إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بغطشه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه، فكذلك ما يدعوهم جماد لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع اجابته، ولا يقدر على نفعهم. والمعنى أنه تعالى شبه من يعبد الأصنام بالرجل العطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد، فهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعو بلسانه، فلا يأتيه أبداً، وهذا معنى قول مجاهد. وعن عطاء: كالعطشان الجالس على شفير البئر، فلا يبلغ إلى قعر البئر ليجر الماء، ولا الماء يرتفع إليه فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغه اهـ.

قوله: (على شفير البئر) أي: حرفه وحافته. وقوله: (يدعوه) أي: الماء. وقوله: ﴿لِيَبْلُغَ﴾ متعلق ببسط وفاعل ليبلغ ضمير الماء، قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ في هو ثلاثة أوجه، أحدها: أنه ضمير الماء والهاء في ببالغه للضم أي: وما الماء ببالغ فيه. والثاني: أنه ضمير الفم، والهاء في ببالغه للماء أي: وما الفم ببالغ الماء إذ كل واحد منهما لا يبلغ الآخر على هذه الحال، فنسبة الفعل إلى كل واحد وعدمها صحيحان. الثالث: أن يكون ضمير الباسط والهاء في ببالغه للماء وما باسط كفيه إلى الماء ببالغ الماء اهـ سمين.

قوله: (أي: فاه) تفسير باعتبار المحل، إذ الضمير في محل جر بالإضافة وفي محل نصب من حيث إنه مفعول باسم الفعل وقوله: (فكذلك ما هم) أي: ليس الأصنام بمستجيبين لهم أي: للكفار والعابدين، فما نافية وهم واقع على الأصنام اهـ شيخنا.

قوله: (عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء) الأول هو الظاهر إذ يعضده قوله: قبله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ فإن معناه يعبدون، والثاني قول ابن عباس وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال، لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: يضل عنهم إذا احتاجوا إليه فلا ينفعهم اهـ خازن.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ أي: سجوداً حقيقياً من في السموات من الملائكة والأرض أي: ومن في الأرض من الإنس والجن، وقوله: ﴿طَوْعًا﴾ يرجع لمن في السموات والأرض، فقول الشارح كالمؤمنين أي: من الثقلين أي: وكالملائكة، وقوله: ﴿وَكُرْهَا﴾ راجع لمن في الأرض فقط، وطوعاً

البكر ﴿وَالْأَصَالُ﴾ العشايا ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه

وكرهاً حالان من من أي: حالة كونهم طائعين وراضين بالسجود، وحال كونهم كارهين أي: غير راضين به، وظلالهم أي: ظلال من له ظل منهم، وهو الإنس لا الجن ولا الملك، إذ لا ظل لهما ومعنى سجود الظل سجوده حقيقة تبعاً لصاحبه، وقوله: ﴿بِالْغَدُوِّ﴾ متعلق بسجد التي في صدر الآية، وقوله: (البكر) جمع بكرة، وهي أول النهار، وقوله: ﴿وَالْأَصَالُ﴾ جمع أصيل وهو من بعد العصر إلى الغروب، وقوله: (العشايا) جمع عشية كهدية وهدايا، والعشية بمعنى الأصيل هذا وجه في تفسير الآية. ولهم وجه آخر وهو أظهر وهو أن المراد بالسجود الانقياد والذل والخضوع، والطوع الناشئ عن اختيار كالصادر من الإنسان، والكره الناشئ عن غير اختيار كالصادر من الجماد، ومعنى انقياد الظلال مطاوعتها لما أراد الله منها كطولها تارة وقصرها أخرى اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: ﴿وَالله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ في معنى هذا السجود قولان، أحدهما: أن المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض، ثم على هذا القول ففي هذه الآية وجهان.

أحدهما: أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد منه الخصوص، فقوله: ﴿وَالله يسجد من في السموات﴾ يعني الملائكة، ومن في الأرض يعني المؤمنين ﴿طوعاً وكرهاً﴾ يعني: من المؤمنين من يسجد طوعاً وهم المؤمنون المخلصون لله تعالى العبادة، وكرهاً يعني: المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم، فإن سجودهم لله على كره منهم، لأنهم لا يرجون على سجودهم ثواباً، ولا يخافون على تركه عقاباً، بل سجودهم وعبادتهم خوفاً من المؤمنين.

الوجه الثاني: وهو حمل اللفظ على العموم، وعلى هذا ففي اللفظ إشكال وهو أن جميع الملائكة والمؤمنين من الإنس يسجدون لله طوعاً، ومنهم من يسجد له كرهاً كما تقدم، وأما الكفار من الجن والإنس فلا يسجدون لله البتة، فهذا وجه الاشكال. والجواب عنه أن المعنى أنه يجب على كل من في السموات ومن في الأرض أن يسجد لله، فعبّر عن الوجوب بالوقوع والحصول. وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية، وكل من في السموات من ملك، ومن في الأرض من إنس وجن، فإنهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم، ويدل عليه قول تعالى: ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

والقول الثاني: في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع، فكل من في السموات والأرض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار، لأن قدرته ومشيتته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون له، وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّاهُمْ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾، الغدو والغدوة والغداة من أول النهار، وقيل: إلى نصف النهار، والغدوة بالضم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والأصال: جمع أصيل وهو العشية، والأصال العشايا جمع عشية، وهي ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. قال المفسرون: إن ظل كل شخص يسجد لله سواء ظن المؤمن والكفار، وقال مجاهد: ظل المؤمن يسجد لله طوعاً وهو طائع، وظل الكافر يسجد لله كرهاً وهو كاره، وقال الزجاج: جاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير الله، وظله يسجد لله، قال ابن الأنباري: لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولاً وأفهاماً

لا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ أي غيره ﴿أُولِيَّةَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ﴾ نفعاً ولا ضرراً ﴿وتركتهم مالكمها استفهام توبيخ﴾ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ سَتَوَى الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَالنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ﴾ أي خلق

تسجد بها وتخضع، كما جعل للجبال أفهاماً حتى سبحت مع داود. وقيل: المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب إلى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها، وإنما خص الغدو، والآصال بالذكر، لأن الظلال تعظم وتكثر من هذين الوقتين، وقيل: لأنهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما انتهت بالحرف.

قوله: ﴿قُلْ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ الخ لما قرر أن جميع الكائنات تنقاد له إجلالاً عاد إلى الرد على المشركين بأن أمر رسوله أن يسألهم سؤال تقرير فقال له: ﴿قُلْ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ولما تعين لهم أن يجيبوا بالإقرار بأن لا رب سواه كلف رسوله أن يجيب هو عنهم بذلك تنبيهاً على أنهم يقرون بذلك، فكأنه حكاية لاعترافهم به، ثم ألزمهم الحجة فقال: قل أبعد إقراركم هذا تتخذون من دونه أولياء، ثم ضرب مثلاً للذين يعبدون الأصنام وللذين يعبدون الله، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي﴾ الخ اهزاده.

وقوله: ﴿مَنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما والمتولي أمورهما اه يضاوي والاستفهام للتقرير اه شيخنا.

قوله: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ﴾ كأن في الكلام تقديرًا بين الهمزة والفاء تقديره قل أقررتم بالجواب المذكور فاتخذتم الخ، وفي أبي السعود: والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة أي: أعلمتم أن ربهما هو الله الذي ينقاد لأمره من فيهما كافة فاتخذتم الخ اه.

قوله: (وتركتهم مالكمها) أي: مالك النفع والضرر، وفي نسخة مالكمها أي: الأصنام. وقوله: (استفهام توبيخ) راجع للثاني، وهو قوله ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ﴾ الخ، وأما الأول فقد علمت أنه للتقرير اه شيخنا.

قوله: ﴿أَمْ هَلْ يَسْتَوِي﴾ هذه أم المنقطعة فتقدر ببل، والهمزة عند الجمهور، وببل وحدها عند بعضهم، وقد تقدم ذلك محرراً، وقد يتقوى بهذه الآية من يرى تقديرها ببل فقط بوقوع هل بعدها، فلو قدرناها ببل والهمزة لزم اجتماع حرفي معنى، فنقدرها ببل وحدها، ولقائل أن يقول لا نسلم أن هل هذه استفهامية، بل بمعنى قد، وإليه ذهب جماعة، فقد ثبت مجيئها بمعنى قد إن لم تجامعها الهمزة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى الْإِنْسَانُ﴾ [الإنسان: ١] أي: قد أتى فنا أولى، والسماع قد ورد بوقوع هل بعد أم وبعده، فمن الأول هذه الآية، ومن الثاني ما بعدها من قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾. وقوله: ﴿يَسْتَوِي﴾ قرأه الأخوان، وأبو بكر عن عاصم بالياء من تحت، والباقون بالتاء من فوق، والوجهان واضحان باعتبار أن الفاعل مجازي التأنيث، فيجوز في فعله التذكير والتأنيث كظائر له مرت، والجملة في قوله: ﴿خَلَقُوا﴾ صفة لشركاء اه سمين.

وقوله: ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ جمعها لأن الكفر أنواع متعددة والإيمان شيء واحد، فلذلك أفرد النور

الشركاء بخلق الله ﷻ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام إنكار أي ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لعباده ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال ﴿أَنْزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار ملئها ﴿فَاتَّخَذَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ عالياً عليه هو ما على وجهه من قدر

وقوله: (لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري، فهو بمعنى النفي، وهذا راجع للاستفهامين ﴿هل يستوي الأعمى﴾ الخ أم ﴿هل تستوي﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم جعلوا﴾ أي: بل أجعلوا الله شركاء خلقوا كخلقة الخ المعنى: أنهم ما اتخذوا الله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه الخلق عليهم، فيقولوا: هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها، ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدر على ما يقدر عليه الخلق فضلاً عما يقدر عليه الخالق اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فتشابه الخلق﴾ تفريع على الصفة، وهي قوله ﴿خلقوا كخلقة﴾ التي هي منفية في المعنى، وقوله: (فاعتقدوا) تفريع على قوله: فتشابه الخ، وقوله: (عبادتهم) أي: الأصنام (بخلقهم) أي: بسبب خلقهم كخلق الله، وهذا كله في حيز النفي كما علمت اهـ شيخنا. قوله: (أي ليس الأمر كذلك) راجع لقوله أم جعلوا الخ، النفي في الحقيقة راجع لقوله: خلقوا كخلقه، وقوله: أي: ليس الأمر وهو أنهم خلقوا كخلق الله كذلك، أي: ثابتاً في الواقع أي: آلهتهم لم تخلق كخلق الله، وحينئذ لا تستحق العبادة إذ لا يستحقها إلا الخالق اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: والمعنى: أن هذه الأشياء التي زعموا أنها شركاء لله ليس لها خلق يشبه خلق الله، حتى يقولوا إنها تشارك الله في الخالقية، فوجب أن لا تشاركه في الإلهية، بل هؤلاء المشركون يعلمون بالضرورة أن هذه الأصنام لم يصدر عنها فعل ولا خلق ولا أثر البتة، وإذا كان كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله في الإلهية محض سفه وجهل اهـ.

قوله: (لا شريك له فيه) أي: الخلق. قوله: ﴿وهو الواحد القهار﴾ يحتمل أن يكون من مقلول القول، وأن يكون جملة مستأنفة اهـ شهاب.

قوله: (ثم ضرب) الضرب بالتبيين كما سيأتي في الشارح في قوله: (كذلك يضرب الله الأمثال) حيث قال بيبين، وقوله: (مثلاً) المراد به الجنس، إذ المذكور للحق مثلاً، وهما الماء الصافي والجوهر الصافي، وللباطل مثلاً زبد الماء وزبد الجوهر اهـ شيخنا، والمثل الوصف. ففي المصباح: ضرب الله مثلاً أي: وصفاً اهـ.

وفي القاموس: والمثل بالتحريك الحجة والحديث والصفة، ومنه مثل الجنة وتمثل بالشيء ضربه مثلاً اهـ.

قوله: ﴿فسالت أودية﴾ أي: أنهار جمع واد، وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه، واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها، لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها أي: بقدرها أي: بمقدارها الذي علم الله تعالى أنه نافع غير ضار، أو بمقدارها في الصغر والكبر اهـ بيضاوي.

وعبارة الخازن: ﴿أودية﴾ جمع واد، وهو المنفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء، ف قوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره سال في الأودية، فهو كما يقال جرى النهر، والمراد جرى الماء في النهر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه بقدرها. قال ابن جريج: الصغير بقدره والكبير بقدره، وقيل: بمقدار ملئها، وإنما نكر أودية لأن المطر إذ نزل لا يعم جميع الأرض ولا يسيل في كل الأودية، بل ينزل في أرض دون أرض، ويسيل في واد دون واد، لهذا السبب جاء هذا بالتنكير. قال العلماء: والأرض ثلاثة أنواع، وكذلك الناس، لأنهم منها خلقوا.

فالنوع الأول: من أنواع الأرض الطيبة التي تنتفع بالمطر، فتنبت به العشب فتنتفع الناس به، والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك، وكذلك النوع الأول من الناس من يبلغه الهدى والعلم فيحيي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره، فينتفع به وينفع غيره.

النوع الثاني: من أنواع الأرض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدة لغيرها، وهي إمساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب، وكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة، ولكن ليس لهم أفهام باقية، فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيء المحتاج إليه المتعطش لما عندهم من العلم، فيأخذه منهم فينتفع به هو وغيره.

النوع الثالث: من أنواع الأرض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء، كذلك النوع الثالث من الناس لهم قلوب حافظة وأفهام ثاقبة، فإذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينفعون غيرهم اهـ.

قوله: ﴿بقدرها﴾ الباء للملابسة، وقوله: (ملئها) أي: يملؤها كل واحد بحسبه صغراً وكبراً اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿بقدرها﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بسالت. والثاني: أنه متعلق بمحذوف، لأنه صفة لأودية. وقرأ العامة بفتح الدال، وزيد بن علي، والأشهب، وأبو عمرو في رواية بسكونها، وقد تقدم ذلك في البقرة، واحتمل بمعنى حمل فافتعل بمعنى المجرد، وإنما نكر الأودية وعرف السيل: لأن المطر ينزل في البقاع على المناوبة فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض، وتعريف السيل لأنه قد فهم من الفعل قبله وهو فسالت، وهو لو ذكر لكان نكرة، فلما أعيد أعيد بلفظ التعريف نحو: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل اهـ.

قوله: ﴿زبد﴾ الزبد وضر الغليان اهـ بيضاوي.

والوضر بفتحيتين وبالضاد المعجمة والراء المهملة وسخ الدسم ونحوه وهو مجاز عما يعلو الماء من الغشاء، وإنما خصه بالغليان وهو اضطراب الماء وشدة حركته، لأن الغشاء يحصل مع ذلك في الغالب اهـ شهاب.

وقال زاده: وضر الغليان أي الخبث والوسخ المجتمع بسبب الغليان غالباً اهـ.

وفي الخازن: الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحب، وكذلك ما يعلو على القدر عند

ونحوه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ بالثناء والياء ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ابْتِغَاءً﴾ طلب ﴿حَلِيَةً﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ ينتفع به كالأواني إذا أذيت ﴿زَيْدٌ مِثْلُ﴾ أي مثل زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكبير ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي مثلهما ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ﴾ من

غليانها، والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبداً رابياً يعني عالياً مرتفعاً فوق الماء طافياً عليه، وههنا تم المثل ثم ابتداء بمثل آخر فقال: ﴿ومما توقدون﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿ومما توقدون﴾ الخ هذا خبر مقدم. زبد: مبتدأ مؤخر أي: وزبد مثله كائن مما توقدون الخ. وعبرة السمين: وهذا الجار خبر مقدم، ومبتدؤه زبد، ومثله صفة المبتدأ، والتقدير ومن الجواهر التي هي كالنحاس والذهب والفضة زبد أي: خبث مثله أي: مثل زبد الماء، ووجه المماثلة أن كلا منهما ناشئ من الاكدار، انتهت.

قال الشهاب: وهذه جملة أخرى معطوفة على الجملة الأولى لضرب مثل آخر اهـ.

ومن ابتدائية وما فسرهما الشارح بالجواهر، وهذا خبر مقدم، وزبد مبتدأ مؤخر أي: وزبد مثل زبد السيل كائن وناشئ من الجواهر التي توقدون عليها النار اهـ شيخنا.

وفي المصباح: وقدت النار وقدأ من باب وعد ووقوداً، والوقود بالفتح الحطب وأوقدتها إيقاداً، ومنه على الاستعارة ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾ [المائدة: ٦٤] أي: كلما دبوا مكيدة وخديعة أبطلها، وتوقدت النار اتقدت، والوقد بفتحيتين النار نفسها، والموقد موضع الوقود مثل المجلس لموضع الجلوس، واستوقدت النار استوقدتها يتعدى ولا يتعدى اهـ.

وفي الخازن: الإيقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء المذوب اهـ.

قوله: ﴿بالتاء والياء﴾ سبعيتان. قوله: ﴿في النار﴾ متعلق بتوقدون أو حال من الضمير في عليه، وقوله: ﴿ابتغاء﴾ حلية أو متاع علة لتوقدون أي: توقدون طلباً لأن تحصلوا منه حلياً يتزين به أو متاعاً أي: شيئاً يتمتع به وتقضى به الحوائج، كالأواني من النحاس وآلة الحرث والحرب من الحديد وغير ذلك، فالمراد بالزينة ما يتزين به وبالمتاع ما يتمتع أي: ينتفع به اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿ابتغاء حلية﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه مفعول من أجله. والثاني: أنه مصدر في موضع الحال أي: مبتغين حلية مفعول في المعنى أو متاع نسق على حلية اهـ.

قوله: ﴿إذا أذيت﴾ أي: الجواهر فهو متعلق بقوله: ابتغاء. قوله: ﴿مثله﴾ أي: في كونه يصعد ويعلو على أصله، وقوله: ﴿الكبر﴾ هو منفاخ الحداد، وأما الكور فهو موقد النار أي: مكان إيقادها اهـ شيخنا.

وفي المصباح: الكبر بالكسر زق الحداد الذي ينفخ به، ويكون من جلد غليظ ذي حافات وجمعه كبيرة مثل عنبه وأكيار، قال ابن السكيت: سمعت أبا عمرو يقول: الكور بالواو المبني بالطين، والكبر بالياء الزق، والجمع أكيار مثل حمل وأحمال اهـ.

قوله: ﴿المذكور﴾ أي: من الأمور الأربعة مثلين للحق وهما الماء والجوهر، ومثلين للباطل وهما

السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمُكُّهُ﴾ يبقى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ زماناً كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق في بعض الأوقات والحق ثابت باق ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ

الزبدان. وقوله: ﴿يَضْرِبُ﴾ أي يبين الحق والباطل أي: الإيمان والكفر، وهما على تقدير مضاف كما قدره الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَأَمَّا الزبد﴾ أي: بقسميه كما أشار له الشارح وقوله: (من السيل) أي: الناشئ، والحاصل من السيل الخ، وهذان مثالان للباطل وقوله: ﴿وَأَمَّا﴾ الخ بيان لمثلي الحق، فالكلام على اللف والنشر المشوش، وقوله: (من الجواهر) بيان لما. قوله: ﴿جفاء﴾ حال، وقوله: (مرمياً به) أي: يرميه الماء إلى الساحل، ويرميه الكبير فلا ينتفع به اهـ شيخنا.

وفي السمين: والجفاء: قال ابن الأنباري المتفرق يقال: جفأت الريح السحاب أي: قطعتة وفرقتها، وقيل: الجفاء ما يرمي به السيل يقال: جفأت القدر بزبدتها تجفأ من باب قطع، وجفأ السيل بزبدته، وأجفأ وأجفل باللام. وفي همزة جفأ وجهان، أظهرهما: إنها أصل لثبوتها في تصارييف هذه المادة كما رأيت. والثاني: أنها بدل من واو وكأنه مختار أبي البقاء، وفيه نظر، لأن مادة جفا يجفو لا يليق معناها هنا، والأصل عدم الاشتراك اهـ.

قوله: (يضمحل) أي: كما أشير له في الآية بقوله: ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾، وقوله: (وإن علا الخ) كما أشير له فيها بقوله: زبداً رابياً بقوله: ﴿زبد مثله﴾، وقوله: (والحق ثابت) كما أن الماء ثابت لا يرمى زبده، والجواهر ثابت لا ينفيه الكبير كما نفى خبثه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ﴾ أي: مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الأمثال في كل باب اظهارةً لكمال اللطف والعناية في الإرشاد والهداية، وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأکید لقوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ﴾ الحق والباطل، إما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الأول، أو يجعل ذلك إشارة إليهما جميعاً، وبعد أن بين شأن كل من الحق والباطل حالاً ومآلاً أكمل بيان شرع في بيان حال أهل كل منهما مآلاً تكميلاً للدعوة وترغيباً وترهيباً، فقال ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ وقت أن دعاهم إلى الحق الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ بيان لأهل الحق، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ الخ بيان لأهل الباطل.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ الخ ابتداء كلام وهو خبر مقدم، والحسنى مبتدأ مؤخر، وهذا الاعراب أحسن من الآخر الذي قال به الزمخشري، وهو أن قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ الخ متعلق بيضرب، وقوله: ﴿الحسنى﴾ نعت لمصدر محذوف أي: الاستجابة الحسنى، والذين معطوف على الذين قبله، وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ﴾ استئناف كلام في ذكر ما أعد لغير المستجيبين، وكلام الشارح أوفق بالأول حيث فسر الحسنى بالجنة اهـ.

لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافَتْدَرًا يَوْمَ ﴿١٨﴾ من العذاب ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذه بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَنَسَّ اللَّهُ هَٰؤُلَاءِ﴾ الفرائض هي . ونزل في حمزة وأبي جهل ﴿أَفَنُ يَكْفُرُ إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فآمن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْيَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به، لا ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ﴾ يتعظ ﴿أُولَئِكَ الْأَكْبَبِ﴾ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر أو كل عهد ﴿وَلَا يَتَّقُونَ اللَّهَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ﴾

قوله: ﴿والذين﴾ مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار: الأول: قوله: ﴿لو أن لهم﴾ الخ، والثاني: قوله: ﴿أولئك لهم﴾ الخ، والثالث: قوله: ﴿وماؤاهم جهنم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لو أن لهم﴾ أي: يتمنون أن لهم الخ، وقوله: ﴿به﴾ أي: بالمذكور مما في الأرض ومثله. قوله: ﴿سوء الحساب﴾ من إضافة الصفة للموصوف أي: الحساب السيئ وهو أي: الحساب السيئ المؤاخذه بكل ما عملوه الخ. قوله: ﴿في حمزة وأبي جهل﴾ أي: في شأنهما ومع هذا فالأولى حمل الآية على العموم، وإن كان السبب خاصاً، والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه، وإنما شبه الكافر والجاهل بالأعمى، لأن الأعمى لا يهتدي لرشده، وربما وقع في مهلكة، وكذا الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهالك اهـ خازن.

قوله: ﴿أفمن يعلم﴾ في هذا التركيب المذهبان المتقدمان من أن الفاء مؤخرة من تقديم أو عاطفة على محذوف هو مدخول الهمزة، والتقدير أيستوي المؤمن والكافر أفمن يعلم الخ والاستفهام للانكار كما أشار له الشارح أي: والاستبعاد أي: ومع ذلك يبعد استواءهما. قوله: ﴿العقول﴾ أي: الكاملة.

قوله: ﴿الذين يوفون﴾ مبتدأ وخبره قوله: ﴿أولئك لهم عقيب الدار﴾، أو بدل من أولي الألباب، أو نعت له، وقوله: ﴿أولئك لهم عقيب الدار﴾ مستأنف اهـ شيخنا.

وحاصل ما ذكر لهم من الصفات هنا ثمانية، الأولى: قوله: ﴿يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾، فعطفه على ما قبله من قبيل التوكيد، والأخيرة هي قوله: ﴿ويدروون بالحسنة السيئة﴾ [الرعد: ٢٢] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿المأخوذ عليهم﴾ أي: بأن يؤمنوا إذا وجدوا في الخارج ولا يكفروا، وقوله: ﴿أو كل عهد﴾ أي: فريضة بدليل ما يأتي له بأن يؤدوا الفرائض ويجتنبوا المحرمات اهـ شيخنا. وفي البيضاوي: ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف ببروبيته حين قالوا بلى، أو ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه اهـ.

أي: من الأوامر والنواهي، فالعهد على هذا ما ألزمه الله تعالى على كل أمة بالكتب الإلهية على السنة الرسل اهـ زاده.

قوله: ﴿بترك الإيمان﴾ راجع للأول في تفسير العهد، قوله: ﴿أو الفرائض﴾ راجع للثاني.

قوله: ﴿ما أمر الله﴾ مفعوله محذوف تقديره ما أمرهم به، وأن يوصل بدل من الضمير المجرور اهـ شهاب أي: بوصله.

﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢١﴾
تقدم مثله ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿أَتَقَاتُوا﴾ طلب ﴿وَجَوَرِهِمْ﴾ لا غيره
من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ﴾ يدفعون
﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢٢﴾ أي العاقبة المحمودة

قوله: (من الإيمان) بيان لما ومعنى وصل الإيمان أن يؤمنوا بجميع الكتب والرسل ولا يفرقوا بين
أحد منهم، وقوله: (والرحم) قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي،
فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته. وقال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني
وصله الله ومن قطعني قطعته الله» اهـ خازن.

قوله: (وغير ذلك) كالتوادم مع الناس بعبادة المريض وتشجيع الجنابة وغير ذلك اهـ شيخنا.
وعبارة الكرخي: قوله: (وغير ذلك) أي: من جميع أبواب البر كعبادة المريض وإجابة الدعوة
قالوا: حتى الإحسان للهرة والدجاجة. قال الفضيل: لو أحسن الإنسان الإحسان كله وكان عنده
دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين اهـ.

قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يخافونه مع التعظيم والإجلال اهـ شيخنا.
فلا يعصونه فيما أمر به اهـ.

قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أي: على ما يقتضيان
حبسها عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً له وهو الظاهر، وأن يكون حالاً أي: مبتغين
والمصدر مضاف لمفعوله اهـ سمين.

والكلام على حذف مضاف أي: ابتغاء ثوابه ورضاه. قوله: (لا غيره) بالجذر، وقوله: (من
أعراض الدنيا)، وفي نسخة أعراض بالغيث المعجزة أي: كأن يصير ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته
على تحمل النوازل، أو لأجل أن لا يعاب على الجزع أو لأجل أن لا تشمت به الأعداء اهـ خازن.

قوله: ﴿وَأَنفَقُوا﴾ أي: نفقة واجبة ومندوبة اهـ خازن.

قوله: ﴿وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون
السيئة الحسنة فتمحوها اهـ بضاوي.

وقوله: (يدفعونها بها) كدفع شتم غيرهم بالكلام الحسن، وإعطاء من حرمهم، وعفو من ظلمهم
ووصل في قطعهم اهـ زاده.

قوله: (كالجهل) أي: السفه والتعدي. قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ قوله: (لهم) خبر مقدم، وعقبي
الدار مبتدأ مؤخر، والجملة خبر عن المبتدأ الأول، ويجوز أن يكون لهم خبراً أولئك عقبي فاعلاً
بالاستقرار، وقوله: ﴿جَنَاتِ عَدْنٍ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من عقبي، وأن يكون بياناً، وأن يكون خبر
الفتوحات الإلهية/ج ٤/٨٣

في الدار الآخرة هي ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَازْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة يقولون ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾

مبتدأ مضمّر كما قدره الشارح، وأن يكون مبتدأ خبره يدخلونها اه سمين.

قوله: ﴿عَقِبَى الدَّارِ﴾ أشار الشارح إلى أن النعت محذوف أي: العقبى المحموده، وأن الإضافة على معنى في، وقوله: (هي) (جنات عدن) الضمير راجع للعقبى، فالعقبى المحموده هي الجنة والدار الآخرة أعم منها، لأنها تشمل الجنة والنار، والدليل على هذا النعت المحذوف قوله: في المقابل ولهم سوء الدار اه شيخنا.

وقيل: المراد بالدار دار الدنيا وعقباها أي: عاقبتها هي الجنة اه.

وفي الخطيب: والعقبى الانتهاء الذي يؤدي إليه الابتداء من خير أو شر اه.

قوله: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾ في المصباح: عدن بالمكان عدناً وعدوناً من بابي ضرب وقعد أقام، ومنه جنات عدن أي جنات إقامة، واسم المكان معدن مثال مجلس، لأن أهله يقيمون عليه الصيف والشتاء، أو لأن الجوهر الذي خلقه الله فيه عدن به اه.

قوله: (هم) ﴿وَمَنْ﴾ الخ تقديره ليس ضرورياً في صحة العطف لوجود الفصل بالضمير المنصوب، فتقدير هذا المرفوع للإيضاح اه شيخنا.

قوله: ﴿مَنْ آبَائِهِمْ﴾ أي: أصولهم وأن علوا ذكوراً كانوا أو إناثاً اه شيخنا.

ومن آبائهم في محل نصب على الحال من من صلح ومن لبيان الجنس اه سمين.

قوله: ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: اللاتي متن في عصمتهم. قوله: (وإن لم يعملوا) أي: الفرق الثلاث. قوله: (أو القصور) القصر كما في الخطيب خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ألف باب مصارعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب سلام الخ اه.

قوله: (أول دخولهم) الضمير للموصوفين بما تقدم لا للملائكة أي: أن دخول الملائكة عليهم ليس مستمراً كل يوم، بل هو في أول دخولهم، وقوله: (للهنئة) علة لقوله: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ أي: يدخلون عليهم ليهتوهم اه شيخنا.

والتقييد بأول دخولهم لم نره لغيره من المفسرين، بل في كلام غيره ما يدل على عدمه. وعبارة الخازن: قال مقاتل: إن الملائكة يدخلون في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات، معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ انتهت.

قوله: ﴿يَقُولُونَ سلام عليكم﴾ أشار إلى أن قوله: ﴿سلام﴾ مرفوع بالابتداء، ﴿وعليكم﴾: الخبر، والجملة محكية بقول محذوف كما قدره، وهو في معنى قائلين على أنه حال محذوفة وهذا بشارة بدوام السلامة المستفاد من العدول إلى الجملة الاسمية اه كرخي.

بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢٤﴾ عقباكم ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ يَقُطَّعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٢٥﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾

وفي الخازن: ﴿سلام عليكم﴾ دعاء لهم من الملائكة أي: سلمكم الله بما صبرتم من الآفات اهـ.

قوله: (هذا الثواب) ﴿بما صبرتم﴾ أشار إلى أنه خبر مبتدأ محذوف، وهذا مع قوله: ﴿فنعلم عاقبة الدار﴾ من جملة مفعول الملائكة. وفي القرطبي عن عبد الله بن سلام، وعلي بن الحسين رضي الله عنهم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فتقول: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم. فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر. قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معاصي الله، وصبرناها على البلاء والمحن في الدنيا. قال علي بن الحسين: فتقول لهم الملائكة ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾، أي: نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها عملتم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه، فالعقبى على هذا اسم، والدار هي الدنيا. وقال أبو عمران الجوني: فنعم عقبى الدار الجنة عن النار، وعنه عقبى الدار الجنة عن الدنيا اهـ.

وقوله: الجنة عن النار بضم الجيم وكذا ما بعده.

قوله: ﴿والذين ينقضون﴾ الخ لما ذكر الله تعالى السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات، ونقض العهد ضد الوفاء به، وقوله: ﴿من بعد ميثاقه﴾ أي: من بعدما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول اهـ من الخازن.

فعهد الله قوله: لست بربكم وميثاقه الاعتراف بقولهم بلى اهـ شهاب.

وفي الكرخي: ﴿من بعد ميثاقه﴾ أي: من بعد أوثقوه به من الإقرار والقبول، فإن قيل: العهد لا يكون إلا مع الميثاق فما فائدة اشتراطه بقوله: ﴿من بعد ميثاقه﴾؟ فالجواب: لا يمتنع أن يكون المراد بالعهد هو ما كلف العبد به، والمراد بالميثاق الأدلة، لأنه تعالى قد يؤكد العهد بدلائل آخر سواء كانت تلك المؤكدات دلائل عقلية أو سمعية اهـ.

قوله: ﴿ما أمر الله به﴾ الخ تقدم الشارح تفسيره بالإيمان والرحم وغير ذلك اهـ شيخنا.

قوله: (وهي جهنم) أي: العاقبة السيئة.

قوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ الخ جواب عما يرد على قوله: ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾، وهو أن من نقض عهد الله لو كانوا ملعونين في الدنيا ومعذبين في الآخرة لما فتح الله عليهم أبواب النعم واللذات في الدنيا، وتقرير الجواب ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والإيمان، بل هو متعلق بمجرد مشيئته تعالى، قدر يضيق على المؤمن امتحاناً لصبره وتكفيراً لذنوبه، ويوسع على الكافر استدراجاً اهـ زاده.

يضيقه لمن يشاء ﴿وَفَرِحُوا﴾ أي أهل مكة فرح بطر ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ ﴿٢٦﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ ﴿٢٧﴾ رجع إليه ويبدل من من ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي وعده ﴿أَلَا

قوله: ﴿ويقدر﴾ يقال: قدر أي: قتر وضيق على عياله اهـ شيخنا.

وفي المصباح: وقدر الله الرزق يقدره بكسر الدال ويقدره بضمها. وقرأ السبعة ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له بالكسر فهو أفصح اهـ.

قوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ مستأنف لبيان فتح أفعالهم مع ما وسعه عليهم اهـ شهاب.

وليس معطوفاً على صلة الذين قبله كما قيل أعني يتقصون، لأنه يستلزم تخلل الفاصل بين أبعاض الصلة وهو الخبر، وأيضاً هو ماض وما قبله مستقبل اهـ زاده.

قوله: (فرح بطر) أي: لا فرح سرور بفضل الله تعالى اهـ كرخي.

وعبارة الخازن: يعني لما بسط الله عليهم الرزق أشروا وبطروا، والفرح لذة تحصل في القلب عند حصول المشتهى، وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا والركون إليها حرام اهـ.

قوله: ﴿في﴾ (جنب حياة) ﴿الآخرة﴾ أشار إلى أن في للمقايسة وهي الداخلة بين مفعول سابق وفاضل لاحق، وإلى أنه في موضع الحال، والتقدير وما الحياة القريبة كائنة في جنب الآخرة وبالنسبة إليها، ولا يجوز أن يكون ظرفاً للحياة ولا للدنيا، لأنهما لا يكونان في الآخرة اهـ كرخي.

قوله: (فلا تغني عنه الآيات شيئاً) أي: فلا تعتنوا وتهتموا بطلبها، لأن مجيئها لا يفيدكم شيئاً، فينبغي لكم أن تهتموا وتطلبوا الهداية اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: فلا تغني عنه الآيات شيئاً يعني: وإن أنزلت كل آية، فإن ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد وشدة الشكيمة، والغلو في الفساد فلا سبيل له إلى الاهتداء، وحينئذ فلا يرد كيف طابق هذا الجواب قولهم: ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ اهـ.

وفي زاده: ما وجه كون قوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ الخ جواباً عن طلب الكفرة نزول آية، وتقرير الجواب أنه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم: وذلك لأن الآيات الباهرة التي ظهرت على يد الرسول بلغت في الكثرة وقوة الدلالة إلى حالة يستحيل فيها أن تصير مشتبهة على العاقل، فطلب آيات أخرى بعد ذلك موقع في غاية التعجب والاستنكار، فكأنه قال لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم، فلا سبيل إلى اهتدائهم، وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من أناب بما جئت به، بلى بأدنى منه من الآيات اهـ.

قوله: (ويبدل) أي: بدل كل، وعبارة السمين: قوله: ﴿الذين آمنوا وتطمئن﴾ يجوز فيه خمسة

يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنَّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ أَي قلوب المؤمنين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره

أوجه، أحدها: أن يكون مبتدأ خبره الموصول الثاني. وما بينهما اعتراض. والثاني: أنه بدل من من أناب. الثالث: أنه عطف بيان له. الرابع: خبر مبتدأ مضمر. الخامس: أنه منصوب بإضمار فعل اهـ. قوله: ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ عبر بالمضارع، لأن الطمأنينة تتجدد بعد الإيمان حيناً بعد حين اهـ شهاب.

وفي الكرخي: المضارع قد لا يلاحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال، فيدل إذ ذاك على الاستمرار ومنه الآية اهـ. وهذا ينفع في مواضع كثيرة.

قوله: (تسكن) ﴿قلوبهم﴾ أي: عن القلق والاضطراب، وقوله: ﴿بذكر الله﴾ أي: لذكر الله أي: عند ذكر الله، أي: عند ذكر وعده بالخير والثواب، فالكلام على حذف مضاف كما قدره. وعبرة الشهاب: ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أي: لا تضطرب للمكاره لأنسها بالله واعتمادها عليه اهـ.

وفي أبي السعود: وقيل: تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته. كقوله تعالى: ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣] أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو بذكره تعالى أنسابه وتبتلاً إليه اهـ.

قوله: ﴿ألا بذكر الله﴾ أي: بذكره وحده دون غيره من الأمور التي تميل إليها النفوس من الدنيويات اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿تطمئن القلوب﴾ أي: بذكر وعده، كما قال الشارح فلا يخالف ما في سورة الأنفال من قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢] والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب، وهو ضد الطمأنينة فيترأى التنافي بين الآيتين، وحاصل دفعه أن الوجل عند ذكر الوعيد العقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب اهـ من الخازن.

أو المراد هناك وجلت من هيئته واستعظامه، وهو لا ينافي اطمئنان الاعتماد والرجاء اهـ شهاب..

وفي الكرخي: فإن قيل: أليس قال في سورة الأنفال ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢] والوجل ضد الاطمئنان، فكيف وصفهم هنا بالاطمئنان؟ فالجواب: أنهم إذا ذكروا العقوبات ولم يأمنوا أن يتوبوا عن المعاصي فهناك الوجل، وإذا ذكروا ما وعد الله به من الثواب والرحمة سكنت قلوبهم، كما أشار إليه في التقرير، أو أن المراد أن علمهم بكون القرآن معجزاً يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد ﷺ نبياً حقاً من عند الله، وأن شكهم في أنهم أتوا بالطاعات كاملة يوجب حصول الوجل في قلوبهم اهـ.

قوله: (خبره) ﴿طوبى﴾ فيه مسامحة، لأن الخبر جملة طوبى لهم، فطوبى: مبتدأ. ولهم: خبر، والجملة خبر المبتدأ، وجاز الابتداء بطوبى إما لأنها علم لشيء بعينه، وإما لأنها نكرة في معنى الدعاء كسلام عليك، وويل له اهـ سمين.

﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ ﴿٢٩﴾ مرجع ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوهُ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا

قوله: (مصدر) أي: كبشرى ورجعى وزلفى، فالمصدر قد يجيء على وزن فعلى، وقوله: (من الطيب) فهو يأتي وأصله طيبى قلبت الياء واواً لوقوعها ساكنة إثر ضمة، كما قلبت في موقن وموسر من اليقين واليسر اهـ شيخنا.

قوله: (أو شجرة في الجنة) أصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دار وغرفة في الجنة غصن منها لم يخلق الله لوناً ولا زهرة إلا وفيها منها غير لون السواد فليس فيها، وينبع من أصلها عINAN الكافور والسلسبيل، كل ورقة منها تظل أمة. ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها فتنبت الحلل والحلي، وتفتق عما يركب كالفرس الملجمة وكالحلة والجذعة من الإبل اهـ خازن.

وفي السمين: وهل هي اسم لشجرة بعينها أو اسم للجنة بلغة الهند أو الحبشة خلاف مشهور اهـ.

قوله: ﴿وحسن مآب﴾ عطف على طوبى.

قوله: (وكما أرسلنا الأنبياء قبلك) عبارة الخطيب: أي مثل إرسال الرسل الذين قدمنا الإشارة إليهم في آخر سورة يوسف، وفي غيرها ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ أي: جماعة كثيرة انتهت.

وعبارة السمين: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ الكاف في محل نصب كنظائرها. قال الزمخشري: مثل ذلك الإرسال أرسلناك إرسالاً له شأن، وقيل: الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله: ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾ [الرعد: ٢٧] أي: كما هدى الله من أناب كذلك أرسلناك. وقال ابن عطية: الذي يظهر لي أن المعنى كما أجرينا العادة بأن الله يضل ويهدي لا بالآيات المقترحة. فكذلك أيضاً فعلنا في هذه الأمة أرسلناك إليها بوحى لا بالآيات المقترحة، وقال أبو البقاء: كذلك الأمر كذلك فجعلها في موضع رفع. وقال الحوفي: الكاف للتشبيه في موضع نصب أي: كفعلنا الهداية والاضلال، والإشارة بذلك إلى ما وصف به نفسه من أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء اهـ.

قوله: ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ أي: إلى أمة. قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ جملة في محل جر صفة لأمة ولتتلو متعلق بأرسلناك، وقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة استئنافية، وأن تكون حالية، والضمير في وهم عائد على أمة من حيث المعنى، ولو عاد على لفظها لكان التركيب وهي تكفر، وقيل: الضمير عائد على أمة وعلى أمم، وقيل: على الذين قالوا لولا أنزل اهـ سمين.

قوله: ﴿مَنْ قَبْلُهَا﴾ الضمير راجع للأمة باعتبار لفظها، والضميران بعده راجعان لها باعتبار معناها اهـ شيخنا.

قوله: (والضميران بعده) أي: وهما وقوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ كما مر في كلام السمين تأمل. قوله: (لما أمروا بالسجود له) كما ذكر في سورة الفرقان بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] اهـ شيخنا.

بالسجود له وما الرحمن ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ﴿٣٠﴾ ونزل لما قالوا له إن كنت نبياً فسير عنا جبال مكة واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس ونزرع وابعث لنا آبائنا الموتى يكلمونا أنك نبي ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّ بِهِ الْمَوْتُ﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا

فهذه الآية متقدمة على ما هنا في النزول وإن تأخرت عنها في المصحف والتلاوة. وعبارة الخطيب هناك وإذا قيل أي: من أي: قائل كان لهم أي: لهؤلاء الذين يتقبلون في نعمه اسجدوا أي: اخضعوا بالصلاة وغيرها للرحمن أي: الذي لا نعمة لكم إلا منه قالوا وما الرحمن متجاهلين في معرفته فضلاً عن معرفة نعمته معبرين بأداة ما لا يعقل. وقال ابن العربي: إنما عبروا بذلك إشارة إلى جهلهم بالصفة دون الموصوف، ثم عجبوا من أمره بذلك منكرين عليه بقولهم: أنسجد لما تأمرنا فعبروا عنه بعد التجاهل في أمره والإنكار على الداعي إليه أيضاً بأداة ما لا يعقل وزادهم أي: هذا الأمر الواضح المقتضي للإقبال والسكون شكراً للنعمة وطمعاً في الزيادة نفوراً أي عن الإيمان والسجود انتهت.

قوله: ﴿هو ربي﴾ أي: الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو ربي، وقوله: ﴿متاب﴾ أي: توبتي ومرجعي اهـ كرخي.

قوله: (فسير عنا) أي: انقلها عنا أي: بقرآنك أي: اقرأ عليها حتى تسير عنا، واقرأ على الأرض قرآنك حتى تشقق عن الأنهار والعيون، واقرأ قرآنك على موتانا حتى يحيوا ويكلمونا بصدقك اهـ شيخنا.

فقوله: ﴿سيرت به الجبال﴾ أي: بسبب تلاوته عليها، وكذا يقال في قطعت به وكلم به اهـ. وعبارة الخازن: نزلت في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبي ﷺ، فأتاهم. وقيل: إنه مرَّ بهم وهم جلوس، فدعاهم إلى الله عز وجل فقال عبد الله بن أمية: إن سرك أن تتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفسح، فإنها أرض ضيقة لمزارعنا، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه، أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان الريح كما زعمت، فلست أهون على ربك من سليمان، وأحي لنا جدك قصياً فإن عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولو أن قرآنًا﴾ الخ اهـ كلم.

قوله: (وابعث) أي: أحي لنا الخ.

قوله: ﴿أو قطعت به الأرض﴾ أي: شققت من خشية الله تعالى عند قراءته فجعلت أنهاراً أو عيوناً اهـ خطيب.

قوله: ﴿أو كلم به الموتى﴾ تذكير كلم خاصة دون الفعلين قبله، لأن الموتى تشتمل على المذكر الحقيقي والتغليب له، فكان حذف التاء أحسن، والجبال والأرض ليسا كذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ أي: بل لله القدرة على كل شيء، وهو اضرب عما تضمنته لو من

يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره وإن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسْ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ مخففة أي أنه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ بصنعهم أي كفرهم ﴿قَارِعَةً﴾ داهية تفرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجذب

معنى النفي أي: بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات، إلا أن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلبين له شكيمتهم اهد بيضاوي.

قوله: (وإن أوتوا) بالمد أي آتاهم النبي ﷺ أو الله تعالى ما اقترحوا أي: طلبوا. قوله: (لما أراد الصحابة) أي: أحبوا اظهار أي: وجود ما اقترحوا، فقالوا: يا رسول الله اطلب لهم ما اقترحوا عسى أن يؤمنوا اهد شيخنا.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَبْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أفلم يعلموا على لغة هوازن، أو قوم من النخع، أو على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه معناه، لأن الآيس من الشيء عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك، ويؤيده قراءة علي، وابن عباس، وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين أفلم يتبين بطريق التفسير اهد كرخي. وأبو السعود.

وفي المختار: واليأس: القنوط، وقد يش من الشيء من باب فهم، وفيه لغة أخرى يش يئس بالكسر فيهما وهو شاذ، ويش أيضاً بمعنى علم في لغة النخع، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَبْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اهد.

وفيه أيضاً: أيس من الأمر لغة في يش وبابهما فهم اهد.

وفي السمين: أصل اليأس قطع الطمع في الشيء والقنوط منه، واختلف الناس ههنا فقال بعضهم: هو هنا على بابه، والمعنى أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان الكفار من قریش، وذلك أنهم لما سألوا هذه الآيات طمعوا في إيمانهم وطلبوا نزول بهذه الآيات ليؤمن الكفار، وعلم الله أنهم لا يؤمنون فقال: أفلم ييأس الذين آمنوا إيمانهم، قال الكسائي اهد.

والهمزة داخله على محذوف أي: أغفلوا عن كون الأمر جميعاً لله فلم يعلموا اهد أبو السعود.

قوله: (أي أنه) أي: الشأن. قوله: (إلى الإيمان من غير آية) ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم، وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، والمعنى أنه تعالى لم يهد جميع الناس لعدم مشيئته ذلك اهد كرخي.

قوله: ﴿تُصِيبُهُمْ﴾ خبر يزال، وقوله: ﴿بِمَا صَنَعُوا﴾ الباء سببية وما مصدرية كما أشار له الشارح. قوله: (تفرعهم) أي: تهللكهم وتستأصلهم. وفي المختار: قرع الباب من باب قطع، والقارعة الشديدة من شدائد الدهر وهي الداهية. قوله: ﴿أَوْ تَحُلْ﴾ يجوز أن يكون فاعله ضمير الخطاب أي: تحل أنت يا محمد، وأن يكون ضمير القارعة وهذا أبين وأظهر أي: تصيبهم قارعة أو تحل القارعة،

﴿أَوْ تَحُلْ﴾ يا محمد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿٣١﴾ وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزى بك وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمَلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿٣٢﴾ أي هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا. دل على هذا

وموضعها نصب عطف على خبر يزال. وقرأ ابن جبير، ومجاهد يحل بالياء من تحت، والفاعل على ما تقدم إما ضمير القارعة، وإنما ذكر الفعل لأنها بمعنى العذاب، أو لأن التاء للمبالغة والمراد قارع، وأما ضمير الرسول، وقرئ أيضاً من ديارهم جمعاً وهي واضحة اهـ سمين.

قوله: ﴿قَرِيبًا﴾ أي: مكاناً قريباً من دارهم، وهو الحديبية كما ذكره بعد اهـ شيخنا.

وقوله: (وقد حل بالحديبية) أي: في السنة السادسة، ومنعوه من دخول مكة، وصالحوه على أن يمكنوه من الدخول في السنة التي بعدها، وقد دخل في السابعة، واعتمر وفتح مكة في الثامنة، وحج في العاشرة مرة، ولم يحج غيرها اهـ شيخنا.

وقوله: (وقد حل بالحديبية) تفسير لقوله: ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا﴾، وقوله: (حتى أتى فتح مكة) تفسير لقوله ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾. وفي أبي السعود: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله ﷺ يبعثها، وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم، فالإصابة والحلول حيثئذ من أحوالهم، ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ خطاباً لرسول الله ﷺ مراداً به حلوله بالحديبية، والمراد بوعده الله ما وعد به من فتح مكة اهـ.

قوله: ﴿فَأَمَلَيْتُ﴾ الاملاء أن يترك مدة طويلة من الزمان في دعة وأمن اهـ خازن.

قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: كان عقابي على أي حالة. هل كان ظلماً لهم أو كان عدلاً، وبيّن الشارح جوابه بقوله: أي: هو واقع موقعه أي: هو عدل.

قوله: ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني: أفمن هو حافظها ورازقها وعالم بها، وبما علمت من خير وشر، ويجازيها بما كسبت، فيثيبها إن أحسنت ويعاقبها إن أساءت، وجوابه محذوف تقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه، ومن كان عاجزاً عن نفسه فهو عن غيره أعجز، وهي الأصنام التي لا تضر ولا تنفع اهـ خازن.

ويظهر منه أن الباء في قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بمعنى مع ومن وموصولة وصلتها هو قائم، والموصول مبتدأ وخبره محذوف تقديره كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع، ودل على هذا المحذوف قوله: ﴿وَجْعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾، ونحوه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢] تقديره كمن قسا قلبه يدل عليه، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، وإنما حسن حذفه كون الخبر مقابلاً للمبتدأ، وقد جاء مبيناً كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى اهـ سمين. والاستفهام إنكاري، وجوابه محذوف

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمَوْهُمْ﴾ له من هم ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تُبَيِّنُونَهُ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار أي لا شريك له إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل

قدره بقوله: (لا)، وقوله: ﴿رَقِيبٌ﴾ أي: مطلع وعالم، وقوله: ﴿دَلٌّ﴾ (على هذا) أي: المذكور من الأمرين وهما: الخبر المحذوف، وكون الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿وَجَعَلُوا﴾ يجوز أن يكون استئنافاً، وهو الظاهر جيء به للدلالة على الخبر المحذوف كما تقدم تقريره وقيل الواو للحال. والتقدير: أ فمن هو قائم على كل نفس موجودة، والحال أنهم جعلوا له شركاء فأقيم الظاهر وهو الله مقام المضمّر تقريراً للإلهية وتصريحاً بها. وقيل: وجعلوا عطف على استهزاء بمعنى: ولقد استهزؤوا وجعلوا. وقال أبو البقاء: هو معطوف على كسبت أي: وجعلهم الله شركاء اه سمين.

قوله: ﴿قُلْ سَمَوْهُمْ﴾ أي: صفوهم وبينوا أوصافهم، فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون به الشراكة اه يضاوي.

قوله: (من هم)؟ أي: عينوا حقيقتهم من أي جنس ومن أي نوع، وفي الكلام حذف أي: وما أسماؤهم، وقوله: ﴿أَمْ تَبَيِّنُونَهُ﴾ في قوة قوله: ولا يمكنكم أن تبينوا حقيقتهم إذ لا حقيقة لهم في نفس الأمر، وإلا لعلمها الله، واللازم باطل لعدم وجودها في نفس الأمر. وقوله: ﴿أَمْ بَظَاهِرٌ﴾ في قوة قوله: لكنكم يمكنكم تسميتهم بأسماء باطلة خالية عن المسميات في نفس الأمر، فهذا لم يقدر الشارح أم الثانية ببل والهمزة كما قدر التي قبلها، بل قدرها ببل وحدها، وذلك لأن المعنى في الأولى على النفي فقدّر الهمزة التي للاستفهام الإنكاري، وفي الثانية على الثبوت كما علمت. وفي ذكرها على اليبضاوي قال الطيبي: في هذه الآية احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان.

أولها: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ كمن ليس كذلك احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لها.

ثانيها: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ من وضع المظهر موضع المضمّر للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه أحد في اسمه.

ثالثها: ﴿قُلْ سَمَوْهُمْ﴾ أي: عينوا أسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني، كما تقول إن كان الذي تدعيه موجوداً فسمه، لأن المراد بالاسم العلم.

رابعها: ﴿أَمْ تَبَيِّنُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ احتجاج من باب نفي الشيء أعني العلم بنفي لازمه وهو المعلوم وهو كناية.

خامسها: أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكير. المعنى أتقولون بأفواهكم من غير روية وأنتم ألباء فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه.

سادسها: التدرج في كل من الاضرابات على ألطف وجه، وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالاعجاز وليس من كلام البشر اه.

قوله: (استفهام إنكار) أي: الاستفهام المفاد بالهمزة التي قدرت بها أم إنكاري. قوله: (عن

تسمونهم شركاء ﴿يُظْهِرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ رُبُّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَبِيرَةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿مِنْ وَاقٍ﴾ مانع ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف أي فيما نقص عليكم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثُلَهَا﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَائِمٌ﴾ لا يفنى ﴿وِظْلُهَا﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها

ذلك) أي: الشريك. قوله: ﴿أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافوراً أهد بياضوي.

قوله: (بظن باطل) أي: بسبب ظن باطل أي: ظنكم ألوهيتها، وقوله: (في الباطن) أي: نفس الأمر. وقوله: ﴿بَلْ زِينٍ﴾ إضراب عن محاجتهم بالكلية فكأنه يقول لا يفيد فيهم الاحتجاج أهد شيخنا.

وفي الشهاب: قوله: ﴿بَلْ زِينٍ﴾ الخ إضراب عن الاحتجاج عليهم، فكأنه قيل دع ذا فإنه لا فائدة فيه لأنهم زين لهم ما هم عليه من المكر والتمويه أهد.

والمزين هو الله تعالى لأنه هو الفاعل المختار على الإطلاق لا يقدر أحد أن يتصرف في الوجود إلا بإذنه، فتزين الشيطان إلقاء الوسوسة فقط ولا يقدر على إضلال أحد وهدايته إلا الله تعالى، ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله: ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أهد خازن.

قوله: ﴿وَصُدُّوا﴾ بضم الصاد مبنياً للمفعول وبفتحها مبنياً للفاعل قراءتان سبعيتان، فالأولى معناها ومنعوا عن طريق الهدى، والثانية بمعنى أنهم منعوا الناس عنه، وقد يستعمل صدّ لازماً بمعنى أعرض أي: أعرضوا عنه. قوله: ﴿هَادٍ﴾ بثبوت الياء وحذفها وفقاً لسبعيتان وفي الرسم محذوفة لا غير كالوصل.

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ الخ لهم: خبر مقدم، وواق: مبتدأ مؤخر، ومن زائدة فيه، وقوله: من الله متعلق به مقدم عليه. والتقدير، وما واق من الله أي: من عذابه كائن لهم أهد شيخنا.

وإعراب واق إعراب المنقوص فهو بحركة مقدرة على الياء المحذوفة أهد.

قوله: (صفة) ﴿الْجَنَّةِ﴾ أي: التي هي مثل في الغرابة، وقوله: (أي): فيما أي: كائن فيما نقص أي: نقصه أي: تقرؤه وتتلوه عليكم. وقوله: ﴿تَجْرِي﴾ الخ تفسير لذلك المحذوف. وقيل: إن قوله: ﴿تَجْرِي﴾ هو نفس الخبر أهد من بياضوي.

وجه الأخير أن المثل هنا بمعنى الصفة، فهو كقولك صفة زيد أنه طويل، ويجوز أن يكون تجري مستأنفاً أهد من السمين.

قوله: ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ أي: بحسب نوعه، فكل شيء أكل يتجدد غيره لا بحسب شخصه، إذ عين المأكول لا ترجع، وقوله: ﴿وِظْلُهَا﴾ مبتدأ حذف خبره، كما أشار له الشارح. قوله: ﴿عَقْبَى الَّذِينَ﴾

﴿تِلْكَ﴾ أي الجنة ﴿عُقْبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ﴾ كذكر الرحمن وسا عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾

اتقوا﴾ أي: مآلهم ومنتهى أمرهم اهـ بـبضاوي.

قوله: ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ أي: التوراة والإنجيل. وقوله: (كعبد الله بن سلام) أي: وكعب الأخبار. وقوله: (من مؤمني اليهود) أي: ومن النصارى، وهم أي مؤمنو النصارى ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، وثمانية باليمن، واثنان وثلاثون بالحبيشة اهـ بـبضاوي.
وعبارة الخازن: في المراد بالكتاب هنا قولان.

أحدهما: أنه القرآن والذين أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله ﷺ، والمراد أنهم يفرحون بما يتجدد من الأحكام، والتوحيد، والنبوة، والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن، ومن الأحزاب يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ من الكفار واليهود والنصارى من ينكر بعضه، وهذا قول الحسن وقتادة. فإن قلت: إن الأحزاب من الكفار وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن فكيف قال: ومن الأحزاب من ينكر بعضه؟ قلت: إن الأحزاب لا ينكرون جملته لأنه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله وإثبات قدرته وعلمه وحكمته، وهم لا ينكرون ذلك أبداً.

والقول الثاني: المراد بالكتاب التوراة والإنجيل، والمراد بأهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون من نجران، وثلاثون من الحبيشة، وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه، ومن الأحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصرى وسائر المشركين من ينكر بعضه. وقيل: كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن، فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما كرر الله تعالى لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب﴾ يعني مشركي مكة من ينكر بعضه، وذلك لما كتب رسول الله ﷺ كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله تعالى ﴿وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي﴾، وإنما قال: ومن الأحزاب من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن انتهت.

قوله: (كذكر الرحمن) فالمشركون يعتقدون أن لا رحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب، فلذلك قالوا: وما الرحمن لما قيل لهم اسجدوا للرحمن. وقوله: (وما عدا القصص) أي: من الأحكام المخالفة لما عندهم فينكرها اليهود، وأما القصص كقصة يوسف وغيرها فيسلمونها لموافقته لما عندهم اهـ شيخنا.

إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ ﴿٣٦﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ و﴿لِي﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ ﴿٣٧﴾ من قبلك مانع من عذابه. ونزل لما عيره بكثرة النساء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾

قوله: (مرجعي) أي: في الآخرة للجزاء.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ (الإنزال) أي: إنزال الكتب السابقة ﴿أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ حالان أي: حاكماً بين الناس عربياً أي: بلغة العرب ليسهل عليهم فهمه وحفظه اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: أي كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب، وهو القرآن عربياً بلسانك ولسان قومك، وإنما سمي القرآن حكماً لأن فيه جميع التكاليف والأحكام والحلال والحرام والنقض والإبرام، فلما كان القرآن سبباً للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة. وقيل: إن الله تعالى لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكماً لذلك المعنى انتهت.

قوله: (بين الناس) أي: فيما يقع لهم من الحوادث الفرعية، وإن خالفت ما في الكتب القديمة، إذ لا يجب توافق الشرائع اهـ شيخنا.

قوله: (من ملتهم) كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما حولت عنها اهـ بياضوي.

وفي الخازن: ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ قال جمهور المفسرين: إن المشركين دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة آبائه، فتوعد الله تعالى على اتباع أهوائهم في ذلك. وقال ابن السائب: المراد به متابعة آبائهم في الصلاة لبيت المقدس بعدما جاءك من العلم يعني: بأنك على الحق، وأن قبلتك هي الحق. وقيل: ظاهر الخطاب فيه للنبي ﷺ، والمراد به غيره. وقيل: هو حث للنبي ﷺ على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به، ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين، لأن من هو أرفع منزلة وأعظم قدراً وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره ممن دونه بطريق الأولى اهـ.

قوله: (لما عيره) أي: عابوه فقالوا إنه ليس له همة إلا في النساء، ويزعم أنه رسول الله، ولو كان كذلك لكان مشغولاً بالزهد وترك الدنيا. فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا النَّحْشَ﴾، فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة، وسبعمائة سرية، وكان لأبيه داود مائة امرأة، ولم يقدح ذلك في نبوتهما. فكيف يجعلون هذا قادحاً في نبوتك اهـ خازن.

وفي الكرخي: اعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعاً من الشبهات في إبطال النبوة.

فالشبهة الأولى: قولهم ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] وهذه الشبهة ذكرها الله تعالى في سورة أخرى.

والشبهة الثانية: قولهم الرسول الذي يرسله الله إلى الخلق لا بد وأن يكون من جنس الملائكة، كما قالوا لولا أنزل عليكم ملك، وقالوا لو ما تأتينا بالملائكة.

أولاداً وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كِتَابٍ﴾ مكتوب فيه تحديده ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ بالتخفيف

الشبهة الثالثة: عابوا رسول الله ﷺ بكثرة الزوجات وقالوا: لو كان رسولاً من عند الله لما اشتغل بالنسوة، بل كان معرضاً عنهنّ مشغلاً بالنسك والزهد. فأجاب الله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ وهذا أيضاً يصلح أن يكون جواباً عن الشبهة المتقدمة، فقد كان سليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة ممهرة وسبعمائة سريّة، ولداود مائة.

والشبهة الرابعة: قولهم لو كان رسولاً من عند الله لكان أي شيء طلبناه من المعجزات أتى به ولم يتوقف. فأجاب الله تعالى عنه ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾.

الشبهة الخامسة: أنه ﷺ كان يخوفهم بنزول العذاب وظهور النصرة له ولقومه فلما تأخر ذلك توسلوا بتأخره للطعن في نبوته وصدقه، فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ يعني أن نزول العذاب على الكفار وظهور الفتح والنصر للأولياء قضى الله بحصولها في أوقات معينة، ولكل حادث وقت معين، ولكل أجل كتاب، فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث. وتأخر تلك المواعيد لا يدل على كونه كاذباً.

الشبهة السادسة: قالوا لو كان صادقاً في دعوى الرسالة لم ينسخ الأحكام التي نص الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدمة كالطهارة والإنجيل، لكنه نسخها وحرّمها كما في القبلّة، ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل، فوجب أن لا يكون نبياً حقّاً فأجاب الله تعالى عنه ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ أي يديمه أهـ.

قوله: ﴿وذرية﴾ وقد كان لمحمد ﷺ سبعة أولاد: أربع إناث وثلاثة ذكور، وكانوا في الترتيب في الولادة هكذا: القاسم، فزينة، فرقية، ففاطمة، فأم كلثوم، فعبد الله ويلقب بالطيب والظاهر، فأبراهيم وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، وماتوا جميعهم في حياته إلا فاطمة فعاشت بعده ستة أشهر أهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما كان لرسول﴾ الخ جواب لشبهة أخرى أوردوها وهي طلب المعجزات على وفق مقترحهم، وتقرير الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في إثبات النبوة، وقد أتاهم بمعجزات كثيرة فما بالهم يقترحون عليه غيرها، مع أن إتيان المعجزات ليس مفوضاً إليه بل إلى مشيئته تعالى أهـ خازن.

قوله: (مربوبون) أي: مهوون ومغلوبون أي: محكوم عليهم ومتصرف فيهم بتدبير أمرهم. وفي المصباح: ورب زيد الأمر رباً من باب رد إذا ساسه وقام بتدبيره أهـ.

وفيه أيضاً: ساس زيد الأمر يسوسه سياسة دبره وقام بأمره أهـ.

قوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ رد لاستعجالهم الآجال والأعمار وإتيان المعجزات والعذاب، فقد كان يخوفهم بذلك فاستعجلوه عناداً، فرد الله عليهم بقوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ أهـ خازن.

وشرح الشارح الأجل بالمدة، فالمراد بها أزمان الموجودات، فلكل موجود زمان يوجد فيه

والتشديد فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه

محدود لا يزداد عليه ولا ينقص. وقوله: ﴿كتاب﴾ المراد به صحف الملائكة التي تنسخها من اللوح المحفوظ، وقوله: (مكتوب فيه تحديده) أي: تحديد الأجل الذي هو الزمان، وقوله: (منه) أي: من الكتاب الذي هو صحف الملائكة وقوله: (من الأحكام) فيمحو الحكم المنسوخ ويثبت الحكم الناسخ، وقوله: (وغیرها) كالأرزاق والآجال، وقوله: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ عندية علم، والكتاب هو المذكور أولاً بقوله: كتاب على القاعدة في أن النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عيناً، وقد عرفت أن المراد به صحف الملائكة، والمراد بأمه على هذا أصله الذي نسخ منه وهو اللوح المحفوظ. وقوله: (الذي لا يغير منه شيء) مبني على أحد قولين، وهو: أن اللوح المحفوظ لا يقع فيه تغيير ولا تبديل ولا محو ولا إثبات، وقوله: (وهو) أي: أم الكتاب والتذكير باعتبار كونها أصلاً. وقوله: (ما كتبه في الأزل) أي: كتب فيه أي: أمر القلم أن يكتب فيه في الأزل، والمراد بالأزل هنا على هذا ما قبل وجود العالم وإن كان حادثاً، لأن أول ما خلق الله القلم ثم أمره أن يكتب في اللوح المحفوظ كل شيء، وهذا أحد تقريرين للمفسرين. والآخر: أن المراد بالكتاب في قوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ اللوح المحفوظ، وقوله: ﴿يمحو الله منه ما يشاء﴾ الخ مبني على أن اللوح المحفوظ يقع فيه التغيير والتبديل والمحو والاثبات، وهو القول الآخر. وقوله: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ المراد بالكتاب هو الذي سبق ذكره وهو اللوح المحفوظ، وبأمه أصله وهو تعلق العلم القديم وتعلق الإرادة التنجيزي القديم، فهذا ليس فيه تغيير ولا تبديل وهو أم أي: أصل لسائر الكتب لأنها مترتبة ومبنية عليه، وعلى هذا فقوله: (وهو ما كتبه في الأزل) والمراد بالكتابة في الأزل القضاء، والتقدير الأزليان وهما يرجعان لتعلقي العلم والإرادة الأزليان، فليتأمل. وفي القرطبي: لكل أجل كتاب أي: لكل أمر قضاه الله كتاب عند الله قاله الحسن، وقيل: المعنى لكل مدة كتاب مكتوب وأمر مقدور ولا تقف عليه الملائكة وعنده أم الكتاب أي: أصل ما كتب من الآجال وغيرها. وقيل: أم الكتاب اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل، وقد قيل: إنه يجري فيه التبديل. وسئل ابن عباس عن أم الكتاب، فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون، ولا تبديل في علم الله وهو قول كعب الأحبار اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿لكل أجل﴾ أي: لكل مدة ووقت من المدد والأوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة، فإن الشرائع كلها لإصلاح أحوالهم في المبدأ والمعاد، ومن قضية ذلك أن تختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الأوقات، كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال المرضى بحسب الأوقات ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ أي: ينسخ ما يشاء نسخه من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة، أو يبقيه على حاله غير منسوخ، أو يثبت ما يشاء إثباته مطلقاً أعم منهما ومن الانشاء ابتداء، أو يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتب كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء، ويثبت الباقي أو يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة، أو يمحو الرزق ويزيد فيه، أو يمحو الأجل أو السعادة أو الشقاوة ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي: أصله وهو اللوح المحفوظ إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو اهـ.

وفي الخازن: فإن قلت: مذهب أهل السنة أن المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن إلى

شيء وهو ما كتبه في الأزل ﴿وَلِنْ مَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَلِنَسْأَلَنَّكَ الْبَلْغُ﴾ لا عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَاللَّهُ

يوم القيامة، فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات؟ قلت: المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئاً ولا يثبت شيئاً إلا ما سبق به علمه في الأزل، وعليه يترتب القضاء اهـ.

قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ الخ جواب لشبهة أخرى من طرفهم حاصلها أنهم قالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر كاستقبال بيت المقدس، ثم يأمرهم غداً بخلافه كاستقبال الكعبة، وما ذلك إلا لكونه يقوله من تلقاء نفسه، فأجابهم الله بقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (فيه) أي: في الكتاب، وهذا متعلق بيبث، وقوله: (من الأحكام) كاستقبال بيت المقدس والعدة بحول، فهذان الحكمان محاهما باستقبال الكعبة والعدة بأربعة أشهر وعشر، وقوله: (وغيرها) أي: غير الأحكام الفرعية كالعمر حيث يزيد بالصدقة والسعادة والشقاوة اهـ شيخنا.

قوله: (وهو ما كتبه في الأزل) هو علم الله أو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير، والأم أصل الشيء والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أمأله. ومنه أم الرأس للدماغ، وأم القرى لمكة. ويؤيد الأول قول ابن عباس: الكتاب اثنان: كتاب يمحو الله ما يشاء فيه، وكتاب لا يغير وهو علم الله والقضاء المبرم، وأما نحو خبر صلة الرحم تزيد في العمر فمحمول على زيادة البركة أو على زيادة ما في اللوح المحفوظ لا ما في أم الكتاب اهـ كرخي.

قوله: (أي فذاك) مبتدأ خبره محذوف قدره غيره بقوله: شافيك من أعدائك ودليل على صدقك، والجملة جواب الشرط. وقوله: ﴿أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ شرط ثان لعطفه على الشرط قبله، وجوابه أيضاً محذوف، وكان على الشارح التنبيه عليه. وتقديره: فلا تقصير منك ولا لوم عليك، وقوله: ﴿فَلِنَسْأَلَنَّكَ الْبَلْغُ﴾ تعليل لهذا المحذوف، ولعل الشارح سكت عن التنبيه على حذف جواب الشرط الثاني، لأنه قد ذكر ما يدل عليه بخلاف الذي قبله فلم يذكر له دليل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ استفهام إنكاري، والواو للعطف على المقدر أي: انكروا نزول ما وعدناهم أو شكوا أو لم ينظروا في ذلك ولم يروا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿نَنْقُصُهَا﴾ حال من فاعل نأتي أو من مفعوله اهـ سمين.

أي: نفتحها أرضاً بعد أرض أفلا يعتبرون فيتعظون اهـ خازن.

وعبرة الكرخي: قوله: (بالفتح على النبي ﷺ) بلداً بعد بلد بما ينقص من أطراف المشركين، ويزيد في أطراف المؤمنين. وقال قوم: هو خراب الأرض. أي: أو لم يروا نأتي الأرض نخربها ونهلك أهلها أفلا تخافون أن يفعل بكم ذلك. وعن ابن عباس أيضاً: ننقصها من أطرافها المراد موت أشرافها وكبرائها وعلمائها وذهاب الصلحاء. قال الواحدي: وهذا القول وإن احتمله اللفظ إلا أن اللائق بهذا

يَحْكُمُ ﴿١﴾ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ ﴿٢﴾ لَأَمْعَقَبَ ﴿٣﴾ لَا رَادَ ﴿٤﴾ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ بِأَنْبِيَائِهِمْ كَمَا مَكَرُوا بِكَ ﴿٦﴾ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴿٧﴾ وَلَيْسَ مَكْرُهُمْ كَمَكْرِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى ﴿٨﴾ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴿٩﴾ فَيَعْدِلُ لَهَا جَزَاءَهَا وَهَذَا هُوَ الْمَكْرُ كُلُّهُ لِأَنَّهُ يَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

الموضوع هو الوجه الأول، ويمكن أن يقال هذا الوجه أيضاً لائق بهذا الموضوع لأن قوله: ﴿أو لم يروا أننا﴾ نحدث في الدنيا من الاختلافات خراباً بعد عماره، وموتاً بعد حياة، وذلك بعد عز، ونقصاً بعد كمال، وإذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة، فما الذي يؤمنهم أن الله يقلب الأمر على هؤلاء الكفرة، ويصيرهم ذليلين بعد عزهم، ومقهورين بعد فرحهم، فناسب هذا الكلام ما قبله اهـ.

قوله: ﴿والله يحكم﴾ في الالتفات من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة، وتربية المهابة، وتحقيق بالإشارة إلى العلة ما لا يخفى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا معقب لحكمه﴾ أي: لا راد له، وحقيقة المعقب هو الذي يتعقب الشيء بالابطال، ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يتعقب غريمه بالطلب، والمعنى أنه حكم للإسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار، وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع النفي النصب على الحال أي: يحكم نافذاً حكمه خالياً من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد بتغيير ولا نقص اهـ بوضاوي وخازن.

قوله: ﴿وهو سريع الحساب﴾ فيحاسبهم بعد زمن قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل، وأخرجهم من ديارهم في الدنيا، فلا تستبطىء عقابهم، فإنه آت لا محالة وكل آت قريب اهـ شهاب.

وفي الخازن: ﴿وهو سريع الحساب﴾. قال ابن عباس: يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر، فمجازاة الكفار بالانتقام منهم، ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب إليهم اهـ.

قوله: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ تسلياً له ﷺ، والمكر إيصال المكروه للممكور به خفية من حيث لا يشعر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فله المكر جميعاً﴾ تعليل لمحذوف تقديره فلا عبرة بمكرهم ولا تأثير له، فحذف هذا اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليقه بقوله: ﴿فله المكر جميعاً﴾ أي: لا تأثير لمكرهم أصلاً إذ هو عبارة عن إيصال المكروه إلى الغير من حيث لا يشعر به، وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته، وإنما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير ظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة إلى من مكروا بهم عين ولا أثر، وأن المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون اهـ من أبي السعود.

قوله: (وليس مكرهم كمكره) إذ معناه أن مكر الماكرين مخلوق له ولا يضر إلا بإرادته فإثباته لهم باعتبار الكسب، ونفيه عنهم باعتبار الخلق فلا يرد كيف أثبت لهم مكرًا ثم نفاه عنهم بقوله: ﴿فله المكر جميعاً﴾، وفيه تسلياً للنبي ﷺ، وأمان له من مكرهم اهـ كرخي.

قوله: (لأنه تعالى) ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ أشار إلى أن اكتساب العباد معلوم لله تعالى، الفتوحات الإلهية/ج٤/٩٣

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ المراد به الجنس وفي قراءة الكفار ﴿لِمَنْ عَقَى الدَّارَ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع، وإذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك، فكان الكل من الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: (فيعد) أي يهيء.

وقوله: (وهذا) أي: علمه بالمكسوب واعداد جزائه وهو المكر كله اهـ شيخنا.

قوله: (لك) أي: خطاباً وشفاهاً.

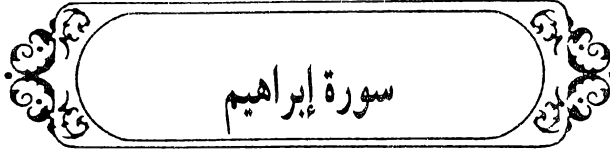
قوله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي وما يغني عن شاهد يشهد عليها اهـ بيضاوي.

وقوله: ما يغني عن شاهد الخ جعل إظهار المعجزات الدالة على رسالته شهادة وهو فعل، والشهادة قول فأشار إلى أنه استعارة لأنه بغنى عن الشهادة بل هو أقوى منها اهـ شهاب.

﴿وكفى﴾ فعل ماض. والباء زائدة لتزيين اللفظ، والله فاعل، وشهيداً تمييز، وبينكم متعلق به. وقوله: (على صدقي) أي: حيث خلق المعجزات على يدي، وقوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ الخ معطوف على الله فهو فاعل أيضاً وقوله: ﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أي: التوراة والانجيل، وقوله: (من مؤمني اليهود) ككعب الأحبار، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أي: السماوي، فإنهم يعرفونه كابن سلام، وسلمان وغيرهما، وعلم الكتاب: مرتفع بالظرف فإنه معتمد على الموصول، ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره، وإنما قلنا ويجوز لأن الأجود أن الظرف إذا اعتمد يعمل عمل الفعل، كقولك: مررت بالذي في الدار أخوه فاعل، كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه اهـ كرخي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مكية إلا ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا﴾ الآيتين وهي إحدى
أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك هذا القرآن ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ
مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ ويبدل من إلى النور ﴿إِلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (الآيتين) أي: إلى النار.

قوله: ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ﴾ أي: بدعائك إياهم إلى اتباع ما تضمنه الكتاب من التوحيد وغيره اهـ
شهاب.

قوله: ﴿من الظلمات إلى النور﴾ المراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل، والمراد
بالنور الإيمان. قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: وفيه دليل على أن طرق الكفر والبدعة
كثيرة، وطريق الحق ليس إلا واحداً، لأنه تعالى قال: ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، فعبر
عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع، وعبر عن الإيمان والهدى بالنور وهو لفظ
مفرد، وذلك يدل على أن طرق الكفر والجهل كثيرة، وأما طريق العلم والإيمان فليس إلا واحداً اهـ
خازن.

قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ فسر الإذن بالأمر، وعلى هذا فيكون المعنى لتأمرهم بالخروج من الظلمات
إلى النور، وبعضهم فسره بالتوفيق والتيسير. وفي السمين: قوله: ﴿بِإِذْنِ﴾ يجوز أن يتعلق بالإخراج
أي: بتسهيله وتيسيره، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل تخرج أي: مأذوناً لك اهـ.
والاحتمال الثاني: هو اللائق بكلام السيوطي أي: حال كونك مأذوناً من ربك أي: مأموراً
بالإخراج. قوله: (ويبدل) أي: بإعادة العامل، فالإيمان يعبر عنه بالنور وبالصرط، لأنه نور في نفسه
وطريق للخلود في الجنة المؤبد اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (ويبدل من إلى النور) إلى صراط أي: بإعادة الجار وهو إلى، ولا يضر
الفصل بقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بين المبدل منه والبدل، لأن بإذن معمول للعامل في المبدل منه وهو

صَرِطَ ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ ﴿١﴾ المحمود ﴿اللَّهِ﴾ بالجبر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره ﴿الَّذِي لَمْ يَأْمَرْ بِالْأَلْبَانِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة

لتخرج، وأجاز الزمخشري أن يكون مستأنفاً كأنه قيل: إلى أي نور؟ فقيل: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾، وإضافة الصراط إلى الله تعالى لأنه المظهر له، وأفهم بتخصيص الوصفين أنه لا يزل سالكه ولا يخيب قاصده. وفي كلام الشيخ إشارة إلى أن العزيز هو القادر الغني عن جميع الحاجات، والحميد المستحق للحمد العالم المغني، لأن أول العلم بالله العلم بكونه تعالى قادراً، ثم بعد ذلك يعلم كونه عالمًا، ثم بعد ذلك يعلم كونه غنياً، فلذلك قدم ذكر العزيز على ذكر الحميد اهـ.

قوله: (بدل) أي: من العزيز، والحميد نعت للعزيز، وهذا على القاعدة أن نعت المعرفة إذا تقدم على المنعوت يعرب بحسب العوامل، ويعرب المنعوت بدلاً أو عطف بيان، والأصل ﴿إلى صراط الله العزيز الحميد الذي﴾ الخ، فالصفات ثلاث تقدم منها اثنتان وبقيت الثالثة مؤخرة اهـ شيخنا.

قوله: (وما بعده) وهو الذي وأما له ما في السموات وما في الأرض فصلة وكذا يقال في قوله: (خبره الذي الخ) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وويل للكافرين﴾ ووعد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور بالويل، وهو نقيض الوأل وهو أي: الوأل النجاة اهـ أبو السعود.

وقوله: وهو نقيض الوأل بالهمز، وفي المختار: الموثل الملجأ وقد وأل إليه أي: لجأ وبابه وعد ووؤلاً بوزن وجود اهـ.

ثم قال: والويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لانماعت من حره اهـ.

﴿وويل للكافرين﴾ جملة دعائية، وويل: مبتدأ سوغ الابتداء به قصد الدعاء وللکافرين خبره، وقوله: ﴿من عذاب﴾ بيان للويل فمن بيانية، فالمعنى وعذاب شديد كائن للكافرين. وقيل: إن الويل بمعنى التأوه فمن للتعدية، ولذلك قال أبو السعود: من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله: ﴿دعوا هنالك ثبورا﴾ [الفرقان: ١٣] اهـ.

قوله: (نعت) أي: للكافرين، وهذا الاعراب معترض لما فيه من الفصل بين النعت والمنعوت بأجنبي، وهو قوله: ﴿من عذاب شديد﴾ الذي هو بيان للمبتدأ الأجنبي من الخبر، وعلى هذا الاعراب يكون قوله: ﴿أولئك﴾ الخ مستأنفاً، والأولى أن يعرب الذين يستحبون الخ مبتدأ، ويكون قوله: ﴿أولئك﴾ الخ خبره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي: يطلبون لها عدولاً وانحرافاً عن الحق ليقدحوا فيه، فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير اهـ بياضوي.

﴿أَوَلَيْكَ فِي صَلاَئِكَ بَعِيدٌ﴾ عن الحق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِ لِئَلَّا يَكُونَ لَهُمْ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ التسع وقلنا له ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل

قوله: ﴿بَعِيدٌ﴾ (عن الحق) عبارة أبي السعود: في ضلال عن طريق الحق، بعيد: بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية، والبعد وإن كان من أحوال الضلال إلا أنه قد وصف به وصفه مجاز للمبالغة، كجد جده وداهية دهياء، ويجوز أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد، فإن الضال قد يضل عن الطريق مكاناً قريباً، وقد يضل بعيداً. وفي جعل الضلال محيطاً بهم إحاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة اهـ.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ﴾ شمل هذا العموم محمداً صلى الله عليه وسلم، وحينئذ يقال إنه مرسل بلغة قومه وهم قريش، وإن كانت لغاتهم فيها نوع اختلاف مع أنه مرسل إلى الخلق كافة، أي: رسالته عامة لقومه وغيرهم، وإذا كانت لغته العربية فهي لغة قريش، فكيف غيره يفهم لغته من الأعاجم؟ ويجاب بأنه هو لغته عربية، ونوابه يخاطبون غير العرب بلغاتهم، فيحصل الفهم ولو بالواسطة اهـ شيخنا.

والأولى أن يحمل القوم على من أرسل إليهم الرسول أيأ كان، وهم بالنسبة لغير سيدنا محمد خصوص عشيرة رسولهم، وبالنسبة إليه كل من أرسل إليه من سائر القبائل وأصناف الخلق، وهو ﷺ كان يخاطب كل قوم بلغتهم، وإن لم يثبت أنه تكلم باللغة التركية، لأنه لم يتفق أنه يخاطب أحداً من أهلها ولو خاطبه لكلهم بها تأمل. قوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ من زائدة في المفعول، وقوله: ﴿إِلَّا بِلِسَانٍ﴾ أي: إلا ملتبساً. قوله: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ الخ فيه التفات عن التكلم إلى الغيبة اهـ.

وهو استئناف إخبار، ولا يجوز نصبه عطفاً على ما قبله، لأن المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى، والرسول أرسلت للبيان لا للإضلال. قال الزجاج: لو قرئ بنصبه على أن اللام لام العاقبة جاز اهـ سمين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ الخ شروع في تفصيل ما أجمله في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ﴾ الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي: ملتبساً بها. وقوله: (التسع) تقدم منها ثمانية في الأعراف، وهي قوله: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ الخ. وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ الخ، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ الخ، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ الخ، وواحدة في يونس وهي المذكورة في قول: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ﴾ أن مفسرة والضابط موجود، وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وأرسلنا فيه معنى قلنا، فكان على الشارح أن يفسرها بأي: التفسيرية، ويقول أي: أخرج ويكون تفسيراً لأرسلنا. وأما تقديره القول المذكور فليس بياناً لشيء مقدر في الكلام عاملاً في أن أخرج، وإنما هو إيضاح معنى اهـ شيخنا.

﴿مَنْ أَلْظَلَمْتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى الثُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَدَكَّرْتُمْ بِآيَتِنِ﴾ بنعمه ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ﴾
التذكير ﴿لَا يَنْتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾
المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة إن مولوداً يولد في بني

وفي الكرخي: قوله: (وقلنا له) ﴿أَنْ أَخْرَجْ﴾ أشار إلى أَنَّ أن تفسيرية لكونها على تقدير القول
المقدر، ولا حاجة لذلك لأن في الإرسال معنى الوحي كما مرّ نظائره، ويصح كما في الكشف كونها
مصدرية: أي: بإخراج قومك، وهذه الباء المقدرة للتعدية والباء في آياتنا للحال اهـ.

قوله: (بنعمه) أشار إلى أن المراد ﴿بأيام الله﴾ نعمه، ووجهه أن العرب تتجاوز بنسبة الحدث إلى
الزمان مجازاً فتضيفه إليه، كقولهم: نهاره صائم وليله قائم ومكر الليل، ويترجح تفسير أيام الله ببلائه
ونعمائه اهـ كرخي.

وفي تفسير ابن جرير بأيام الله أي: بأنواع عقوباته الفاضية، ونعمه الباطنة التي أفاضها على
القرون السالفة واللاحقة، فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه اهـ.

وفي القاموس: وأيام الله نعمه ويوم أي يوم شديد وآخر يوم في الشهر اهـ.

وفي المختار: وربما عبروا عن الشدة باليوم اهـ.

قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ أي: دلالات لكل صبار شكور أي: لأنه إذا سمع بما نزل على من
قبله من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر اهـ بيضاوي.

وفي الكرخي: قوله: (على الطاعة) أي: وعلى البلاء. وقوله: ﴿شَكُورٍ﴾ أي: كثير الشكر،
والتعبير عنهم بذلك للإشعار بأن الصبر عنوان المؤمن أي: لكل من يليق به كمال الصبر والشكر
والإيمان، ويصير أمره إليها لا لمن اتصف بها بالفعل، وتخصيص الآيات بهم لأنهم المتفعلون بها لأنها
خافية عن غيرهم، فإن التبيين حاصل بالنسبة إلى الكل، وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر
أعني البلاء على متعلق الشكر. أعني. النعماء، وكون الشكر عاقبة الصبر اهـ.

قوله: ﴿وَ﴾ (اذكر) أي: اذكر يا محمد لقومك ما ذكر لعلهم يعتبرون. قوله: ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ بمعنى
الإنعام، وقوله: ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ﴾ ظرف لها بالمعنى المذكور أو بدل اشتمال منها كذلك اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ الخ أحوال ثلاثة من آل فرعون، أو من ضمير المخاطبين اهـ بيضاوي.

وفي السمين: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ حال أخرى من آل فرعون، وفي البقرة دون واو، لأنه قصد به
التفسير، فالسوم هنا غير السوم هناك اهـ.

وقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ بمعنى يذيقونكم، وقوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ الخ عطف خاص، وفي أبي
السعود: إنما عطفه على يسومونكم إخراجاً له عن مرتبة العذاب المعتاد، وقوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾
نساءكم أي: ييقونهن في الحياة مع الذل، ولذلك عدّ من جملة البلاء اهـ.

وفي الكرخي: فإن قيل: استحياء النساء كيف يكون ابتلاء؟ قلنا: كانوا يستخدمونهن

إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ أعلم ﴿رَبِّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبَنَّكم دل عليه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لقومه ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ﴾ عن خلقه

بالاستعباد، ويفردونهن عن الأزواج، وذلك من أعظم المضار اهـ.

قوله: (يستبقون) أي: بلا قتل. قوله: (بعض الكهنة) جمع كاهن وهو المخبر عن المغيبات المستقبل، وأما العرف فهو المخبر عن الأمور الماضية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ﴾ أي: ابتلاء واختبار، فالله تعالى يختبر عباده تارة بالنعم وتارة بالشدائد، كما قال: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلم يرجعون﴾ [الأعراف: ١٦٨] فحينئذ كان على الشارح أن يقول في تفسير بلاء أي: ابتلاء واختبار بالنعم أو بالعذاب. قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنْ﴾ من كلام موسى أيضاً، وتأذن بمعنى أذن كوعد بمعنى أوعد غير أنه أبلغ لما في الفعل من التكلف والمبالغة اهـ بياضوي.

وهذا معطوف على نعمة الله أو على إذ أنجاكم، فالتقدير واذكر إذ قال موسى لقومه اذكروا إذ تأذن ربكم، أو اذكروا نعمة الله عليكم حين تأذن ربكم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لئن شكرتم﴾ معمول لقول مقدر أي: وقال ﴿لئن شكرتم﴾ النخ أو معمول لتأذن، لأنه يجري مجرى قال اهـ بياضوي.

وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم. وفي الخازن: ﴿لئن شكرتم﴾ يعني يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح ﴿لأزيدنكم﴾ يعني: نعمة إلى نعمة، ولأضعفن لكم ما آتيتكم. قيل: بشكر الموجود عند المفقود، وقيل: لئن شكرتم بالطاعة، لأزيدنكم في الثواب، وأصل الشكر تصور النعمة واظهارها، وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه، وتوطين النفس على هذه الطريقة.

وهنا دقيقة وهي أن العبد إذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه، وأنواع فضله وكرمه وإحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعم، وذلك يوجب المزيد، وبذلك يتأكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه، وهو أن يشغله حب النعم عن الالتفات إلى المنعم، وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدينا من فضله وكرامة وإحسانه وإنعامه اهـ.

قوله: (دلّ عليه) أي: على هذا الجواب المحذوف، وإنما حذف هنا وصرح به في جانب الوعد، لأن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد اهـ بياضوي.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ إن تكفروا الخ لعله عليه السلام إنما قال هذا عندما عين منهم دلائل العناد ومخايل الإصرار على الكفر والفساد، وتيقن أنه لا يتفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ جواب الشرط محذوف أي: فما ضررتم بالكفر إلا أنفسكم حيث

﴿حَيْدٌ﴾ محمود في صنعه بهم ﴿أَلَرَأَيْتُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قوم نوح وعاد قوم هود ﴿وَتَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوا﴾ أي الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على زعمكم

حرمتموها من مزيد الإنعام وعرضتموها للعذاب الشديد اهـ بيضاوي .

قوله: ﴿جميعاً﴾ أي: من الثقلين . قوله: ﴿فإن الله لغني﴾ أي: عن شكركم وإيمانكم . ﴿حميد﴾ أي: مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذوات المخلوقين اهـ بيضاوي . قوله: ﴿ألم يأتكم﴾ من كلام موسى أيضاً أو كلام مبتدأ من الله اهـ بيضاوي .

قوله: ﴿والذين من بعدهم﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لا يعلمهم﴾ الخ خبره، والجملة اعتراض بين المفسر بفتح السين، وهو ﴿نبأ الذين من قبلكم﴾، وتفسيره وهو ﴿جاءتهم رسلهم﴾ الخ، أو ﴿الذين من بعدهم﴾ عطف على ما قبله وهو قوم نوح، أو الذين من قبلكم، وقوله: ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ اعتراض كما ذكر اهـ بيضاوي بياضاح .

وعبارة السمين: ﴿والذين من بعدهم﴾ يجوز أن يكون عطفاً على الموصول الأول، أو على المبدل منه، وأن يكون مبتدأ وخبره لا يعلمهم إلا الله، وجاءتهم خبر آخر، وعلى ما تقدم يكون لا يعلمهم حالاً من الذين أو من الضمير المستكن في من بعدهم لوقوعه صلة اهـ .

قوله: ﴿جاءتهم رسلهم﴾ الخ مستأنف في جواب سؤال كأنه قيل: وما خبرهم أي: ما قصتهم وما شأنهم . فقال: ﴿جاءتهم رسلهم﴾ الخ . وهذا في المعنى تفسير لنبا الذين من قبلهم اهـ شيخنا . قوله: ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ في معنى الأيدي والأفواه قولان .

أحدهما: أن المراد به هاتان الجارحتان المعلومتان، ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن عباس: عضوا على أيديهم غيظاً أو عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم . وقال مجاهد، وقتادة: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به . يقال: رددت قول فلان في فيه أي كذبتة، وقال الكلبي: يعني أن الأمم ردوا أيديهم إلى أفواه أنفسهم يعني: إنهم وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة منهم إلى الرسل أن اسكتوا، وقال مقاتل: ردوا أيديهم على أفواه الرسل بسكوتهم بذلك . وقيل: إن الأمم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية، فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم، كما يفعل الذي غلبه الضحك .

القول الثاني: أن المراد بالأيدي والأفواه غير الجارحتين فقليل: المراد بالأيدي النعم، ومعناه ردوا ما لو قبلوه لكان نعمة عليهم، يقال لفلان: عندي يد أي نعمة . والمراد بالأفواه تكذيبهم الرسل، والمعنى كذبهم بأفواههم وردوا قولهم . وقيل: إنهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا . يقال: فلان رد يده إلى فيه إذا أمسك عن الجواب فلم يجب، وهذا القول فيه بعد لأنهم قد جاؤوا بالكذب، وهو أن الأمم ردوا على رسلهم ﴿وقالوا إنا كفرنا﴾ الخ اهـ خازن .

قوله: ﴿ليعضوا عليها﴾ بفتح العين وضمها . وفي المصباح: عضضت اللقمة وبها وعليها عضاً

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ ﴿٩﴾ موقع في الريبة ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفَى اللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى

أمسكتها بالأسنان، وهو من باب تعب في الأكثر، لكن المصدر ساكن، ومن باب نفع لغة قليلة، وفي أفعال ابن القطاع من باب قتل اهـ.

قوله: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾ إن مخففة من الثقيلة وأدغمت نونها في نون إِنَّا الذي هو اسمها، ويصح أن تكون المشددة، فلما اتصلت بنون الضمير اجتمع ثلاثة أمثال فحذفت واحدة منهن لتوالي الأمثال والمحذوف، إما الثانية من نوني إن المشددة، وإما نون الضمير وكذا يقال في قوله: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾. قوله: (في زعمكم) أي: وإلا فهم لم يعترفوا برسالة رسلهم وإلا لكانوا مؤمنين اهـ خازن.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾ انظر كيف هذا مع جزمهم بالكفر أو لا إلا أن يقال كانوا فرقتين، إحداهما جزمت بالكفر، والأخرى شكت أو يقال المراد بقولهم ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ﴾ أي: المعجزات والبينات، ويقولهم مما تدعوننا إليه الإيمان والتوحيد. وحاصله: أن كفرهم بالمعجزات وشكهم في التوحيد فلا تخالف اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: فإن قيل: إنهم لما ذكروا أنهم كافرون برسالتهم كيف ذكروا بعد ذلك أنهم شاكون مرتابون في صحة قولهم؟ فالجواب: كأنهم قالوا إنا كنا كافرين برسالتكم، وإن لم ندع هذا الجزم واليقين فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في صحة نبوتكم، وعلى هذا التقدير فلا سبيل إلى الاعتراف بنبوتكم اهـ.

وعبارة الخازن: إنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل، فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك، فقالوا: إن لم تدع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكرين مرتابين في ذلك انتهت.

قوله: ﴿مِمَّا تَدْعُونَنَا﴾ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، فهو مسند لواو الجماعة، ونا مفعول به، وهذا بخلاف ما في سورة هود من قوله: ﴿مِمَّا تَدْعُونَا﴾ فإن ذلك مسند لفرد وهو ضمير صالح عليه السلام فهو مرفوع بضممة مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر يعود على صالح تقديره أنت، وأنا مفعول به اهـ شيخنا.

قوله: (في الريبة) وهي قلق النفس ولا تطمئن إلى الشيء اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ أي: جواباً لقولهم ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ﴾ الخ، وهو استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال، كأنه قيل: فماذا قالت رسلهم؟ فأجيب: بأنهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء أفى الله شك الخ، وأدخلت همزة الإنكار على الظرف، لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي: إنما ندعوكم إلى الله، وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة وظهور دلالتها عليه، وأشار إلى ذلك بقوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾ [الأنعام: ١٤ ويوسف: ١٠١ وفاطر: ١ والزمر: ٤٦ والشورى: ١١] اهـ أبو السعود.

وفي السمين: يجوز في شك وجهان: أظهرهما: أنه فاعل بالجار قبله، وجاز ذلك لاعتماده على الاستفهام. والثاني: أنه مبتدأ وخبره الجار، والأول أولى بل كان ينبغي أن يتعين لأنه يلزم من

طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ﴾ من زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُنَادٍ﴾ ما ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّمَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ

الثاني الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو المبتدأ بخلاف الأول، فإن الفاصل ليس أجنبياً إذ هو فاعل والفاعل كالجزء من رافعه اهـ.

قوله: (عليه) أي: على توحيده. قوله: ﴿فَاطِرُ﴾ الخ من جملة الدلائل على التوحيد، وقوله: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ جملة حالية أي: يدعوكم إلى الإيمان بإرساله إيانا لا أنا ندعوكم إليه من تلقاء أنفسنا، كما يوهمه قولكم مما تدعوننا إليه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لِيَغْفِرَ﴾ اللام متعلقة بالدعاء أي: لأجل غفران ذنوبكم، ويجوز أن تكون اللام للتعدي كقولك دعوتك لزيد اهـ سمين.

قوله: (من زائدة) هو مبني على ما أجازته الأخفش وأبو عبيدة من زيادتها في الإيجاب، وجمهور البصريين لا يجيزون زيادتها إلا في النفي إذا جرت نكرة، ومن ثم جعلها بعضهم للبدل أي: بدل عقوبة ذنوبكم، ويحتمل أن يضمن يغفر معنى يخلص أي: يخلصكم من ذنوبكم، ويكون مقتضاه غفران جميع الذنوب، وهو أولى من دعوى زيادتها. وقوله: (أو تبعية الخ) أي: بعض ذنوبكم، وهو ما بينهم وبين الله تعالى من حقوقه سبحانه وتعالى دون المخلوق اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ الخ معلق في المعنى كما تقتضيه الآية على الإيمان، ومعلوم أن الإيمان لا يترتب عليه تأخير الموت، فلذلك أجاب الشارح عن هذا بقوله: (بلا عذاب)، فالتأخير المترتب على الإيمان إنما هو تأخير العذاب أي: نفي العذاب الذي يصيب الكفرة في الدنيا كالخسف وغيره عنهم إذا آمنوا اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: لا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا، ولو شاء الله أن يبعث إلى البشر رسلاً لبعث من جنس أفضل منهم. وقوله: ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية، أو على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البيّنات والحجج، واقترحوا عليهم آية أخرى تعتأ ولجأوا في الكفر اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿تُرِيدُونَ﴾ يجوز أن يكون صفة ثانية لبشر وحمل على معناه لأنه بمنزلة القوم والرهط، كقوله: أبشر يهدوننا، وأن يكون مستأنفاً. وقوله: ﴿أَن تَصُدُّونَا﴾. العامة على تخفيف النون وهي نون الضمير ونون الرفع محذوفة للناسب، وقرأ طلحة بالتشديد على ثبوت نون الرفع وادغامها في نون الضمير، وفيه تخريجان، أحدهما: أن أن مخففة من الثقيلة لا ناصبة. والثاني: أنها المصدرية وأهملت حملاً لها على ما المصدرية اهـ سمين.

قوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ﴾ الخ سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى اهـ بيضاوي.

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١١﴾ بِالنَّبِوءَةِ ﴿وَمَا كَانَتْ﴾ مَا يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بِأَمْرِهِ لِأَنَّا عبيد مريبون ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ يَتَّقُوا بِهِ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أَي لَا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ على أذاكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ﴾ لتصيرن ﴿فِي مَلْتَنَّا﴾

قوله: ﴿وما كان﴾ الخ جواب لقولهم فأتونا الخ. ولنا: خبر كان مقدم، وأن تأتيكم بسلطان اسمها مؤخر، وبإذن الله حال، والباء للملابسة اهـ.

قوله: (بأمره) أي: أمره لنا بالإتيان أي: إذنه لنا فيه، وفسر غيره الأمر بالإرادة، وهو أوضح. وقوله: (مريبون) أي: مقهورون. قوله: ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ أي: في الصبر على معاداتكم، وعمموا الأمر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً اهـ بياضوي.

فقوله: ﴿المؤمنون﴾ أي: الرسل وأتباعهم، وقوله ﴿وما لنا﴾ الخ فيه التفات عن الغيبة إلى التكلم اهـ شيخنا.

قوله: (أي لا مانع لنا) أي: لا عذر لنا في عدم التوكل عليه، وأشار بهذا إلى أن الاستفهام انكاري، وعبرة البياضوي: أي أي عذر لنا في أن لا نتوكل على الله اهـ.

وفي القرطبي: ما استفهام في موضع رفع بالابتداء، ولنا الخبر، وما بعدها في موضع الحال، والتقدير: أي: شيء لنا في ترك التوكل على الله والحال أنه قد هدانا الخ اهـ.

فقول الشارح أي لا مانع لنا من ذلك المانع فيه بمعنى العذر، ومن بمعنى في أي: لا عذر لنا في ذلك أي في عدم التوكل. قوله: ﴿سبلنا﴾ بسكون الباء وضمها سبعيتان أي: طرقة التي نعرفه بها، ونعلم أن الأمور كلها بيده اهـ بياضوي.

وعبرة أبي السعود: ﴿وقد هدانا﴾ أي: والحال أنه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا أي: أرشد كلامنا سبيله ومنهاجه الذي شرع له، وأوجب عليه سلوكه في الدين، وحيث كانت أذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل، قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة: ولنصبرن على ما آذيتُمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه اهـ.

قوله: ﴿ولنصبرن على ما آذيتُمونا﴾ جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم اهـ بياضوي.

قوله: (على أذاكم) إشارة إلى أن ما مصدرية وهو الأرجح لعدم الحاجة إلى رابط ادعى حذفه على غير قياس، ويجوز أن تكون موصولة اسمية، والعائد محذوف على التدرج، إذ الأصل آذيتُمونا به، ثم جذفت الباء فوصل الفعل إليه بنفسه اهـ كرخي.

قوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي: فليدوموا ويشبثوا على التوكل عليه، والتوكل الأول بمعنى استحداث التوكل وإنشائه، فالتوكلان مختلفان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا لرسولهم﴾ الخ لعل هؤلاء القائلين هم المتمردون العريقون في الكفر

ديننا ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَكُلُّكُمْ لَظْلِمٌ مِّنْكُمْ﴾ الكافرين ﴿وَلَسْتُ بِكُمْ بِالْأَرْضِ﴾ أرضهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي مقامه بين يدي ﴿وَخَافَ وَعَبَدَ﴾ بالعذاب ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر

من أولئك الأمم الكافرة الذين تقدمت مقاتلتهم الشيعة في قوله: ﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ [إبراهيم: ٩] الخ ولذلك لم يقل وقالوا الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (لتصيرن) جواب عما يقال إن العود يقتضي سبقة التلبس بما يعاد اليه، والرسل لم يسبق منهم تلبس بدين الكفرة أصلاً لاستحالة في حقهم. وحاصل الجواب أن المراد بالعود الصيرورة أي: لتصيرن داخلين في ملتنا اهـ شيخنا.

قوله: (ديننا) أي: الشرك. قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى الرسل، أي: بعد هذه المخاطبات والمحاورات اهـ خازن.

قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين اهـ بيضاوي. وهو بمعنى ما قاله الشارح: وذلك مبتدأ خبره لمن خاف اهـ سمين.

قوله: (أي مقامه بين يدي) أي: موقفه عندي في القيامة أشار إلى أن المقام اسم مكان. وفي السمين: ومقامي فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مقحم وهو بعيد إذ الأسماء لا تقحم. الثاني: أنه مصدر مضاف للفاعل. قال الفراء: مقامي مصدر مضاف لفاعله أي: قيامي عليه بالحفظ. الثالث: أنه اسم مكان. قال الزجاج: مكان وقوفه بين يدي للحساب كقوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ [الرحمن: ٤٦] اهـ.

قوله: ﴿وخاف وعبد﴾ (بالعذاب) أو عذابي الموعود للكفار، على أن يكون الوعيد بمعنى الموعود، وهذا الآية تدل على أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده، لأن العطف يقتضي التغير اهـ كرخي.

وقوله: ﴿وعبد﴾ أثبت الباء هنا، وفي (ق) في موضعين كل كذب الرسل فحق وعيد، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وصلّا وحذفها وفقاً. ورش عن نافع، وحذفها الباقون وصلّا ووقفاً اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ وذلك أنهم لما أيسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا عليهم بالعذاب اهـ خازن.

والعامة على استفتحوا فعلاً ماضياً، وفي ضميره أقوال، أحدها: أنه عائد على الرسل الكرام، ومعنى الاستفتاح الاستنصار كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩] وقيل: طلب الحكم من الفتح. الثاني: أن يعود على الكفار أي: استفتح أمم الرسل عليهم كقوله: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [الأنفال: ٣٢]. وقيل: عائد على الفريقين، لأن كلا طلب النصر على صاحبه، وقيل: يعود على قريش لأنهم في سني الجذب استمطروا فلم يمتطروا، وهو على هذا مستأنف، وأما على غيره من الأقوال فهو عطف على قوله: فأوحى إليهم ربهم. وقرأ ابن عباس،

﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق ﴿مِّن وَرَائِهِ﴾ أي أمامه ﴿جَهَنَّمَ﴾ يدخلها ﴿وَسُقَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقيح والدم ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ يزدرده لقبحه وكراهته ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ﴾ بعد

ومجاهد وابن محيصن واستفتحوا بكسر التاء الثانية على لفظ الأمر أمراً للرسول بطلب النصرة، وهي مقوية لعوده في المشهورة على الرسل . والتقدير قال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا اهد سمين .

وفي القاموس : والفتح كالفتاحة بضم الفاء وكسرهما الحكم بين الخصمين اهـ .

قوله : ﴿وخاب﴾ معطوف على مقدر أي : فنصروا وسعدوا وربحوا وخاب كل جبار عنيد . يعني : وخسر . وقيل : هلك كل جبار ، والجبار في صفة الإنسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عليّة لا يستحقها ، وهو صفة ذم في حق الإنسان ، وقيل : الجبار الذي لا يرى فوقه أحداً ، وقيل : الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه . والعنيد : المعاند للحق ومجانبه ، قاله مجاهد . وقال ابن عباس : هو المعرض عن الحق ، وقال مقاتل : هو المتكبر . وقال قتادة : هو الذي يأبى أن يقول لا إله إلا الله ، وقيل : هو المعجب بما عنده ، وقيل : هو الذي يعاند ويخالف اهـ خازن .

قوله : (معاند للحق) أشار إلى أن فعلاً بمعنى فاعل كالخليط بمعنى المخالط اهـ كرخي .

قوله : ﴿من ورائه جهنم﴾ جملة في محل جر صفة لجبار ، ويجوز أن تكون الصفة وحدها الجار ، وجهنم فاعل به ، وقوله : ﴿ويسقى من ماء﴾ صفة معطوفة على الصفة قبلها عطفت جملة فعلية على اسمية ، فإن جعلت الصفة هي الجار وحده وعلقته بفعل كان من عطفت فعلية على فعلية ، وقيل : عطفت على محذوف أي : يلقي فيها ويسقى اهـ سمين .

وعلى هذا جرى الجلال حيث قدر يدخلها . قوله : (أي أمامه) فالوراء يستعمل في الضدين اهـ شيخنا .

وفي السمين : وراء هنا على بابها . وقيل : بمعنى أمام فهو من الأضداد ، وبهذا عنى الزمخشري بقوله : من بين يديه ، وقال ثعلب : هو اسم لما تورأى عنك سواء كان خلفك أو قدامك اهـ .

قوله : ﴿صديد﴾ عطف بيان أو بدل من ماء . قوله : (ما يسيل الخ) وقال محمد بن كعب القرظي : هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر اهـ خازن .

قوله : ﴿يتجرعه﴾ أي : يكلف تجرعه ويقهره عليه ، وقوله : (مرة الخ) أخذه من صيغة التفعّل . وفي السمين : قوله : ﴿يتجرعه﴾ يجوز أن تكون الجملة صفة لماء ، وأن تكون حالاً من الضمير في يسقى ، وأن تكون مستأنفة وتجرع تفعّل ، وفيه احتمالات ، أحدها : أنه مطاوع جرعته بالتشديد نحو علمته فتعلم . والثاني : أن يكون للتكلف نحو تحلم أي : يتكلف جرعته ولم يذكر الزمخشري غيره . الثالث : أنه دال على المهلة نحو تفهمته أي : يتناوله شيئاً فشيئاً بالجرع كما يتفهم شيئاً بالتفهم . الرابع : أنه بمعنى جرعته المجرد نحو عدوت الشيء وتعديته اهـ .

ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ قوي متصل ﴿مَثَلٌ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ ويبدل

وفي أبي السعود: ﴿يتجرعه﴾ قيل هو صفة لماء أو حال منه، والأظهر أنه استئناف مبني على السؤال، كأنه قيل: فماذا يفعل به؟ فقيل: يتجرعه أي: يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش، واستيلاء الحرارة عليه. يكاد يسيغه أي: لا يقارب أن يسيغه فضلاً عن الإساغة، بل يغص به فيشربه بعد التي واللتيا جرعة غب جرعة، فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش وأخرى بشربه على تلك الحال، فإن السوخ انحدر الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس، ونفيه لا يوجب نفياً ما ذكر جميعاً. وقيل: لا يكاد يدخله في جوفه. وعبر عنه بالإساغة لما أنها المعهودة في الأشربة وهي حال من فاعل يتجرعه، أو من مفعوله، أو منهما جميعاً اهـ.

وفي الخازن: قال بعض المفسرين: إن كاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه، وقال صاحب الكشاف: دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه، فكيف تكون الإساغة. وقال بعضهم: ولا يكاد يسيغه أي: يسيغه بعد إبطاء، لأن العرب تقول: ما كدت أقوم أي: قمت بعد إبطاء، فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة. وقال ابن عباس: معناه لا يجيزه، وقيل: معناه يكاد لا يسيغه ويسيجه ليغلي في جوفه.

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ويسقى من ماء صديد يتجرعه﴾ قال: «يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره. كما قال: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾ [محمد: ١٥] وقال: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفات﴾ [الكهف: ٢٩] أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب. وقوله: وقعت فروة رأسه إنما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها اهـ.

قوله: (أي أسبابه) عبارة الخازن: يعني أن الكافر يجد ألم الموت وشدته من كل مكان من أعضائه، وقال إبراهيم السهمي: حتى من تحت كل شعره من جسده، وقيل: يأتيه الموت من قدميه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته ومن يمينه ومن شماله، وما هو بميت فيستريح. وقال ابن جريج: تعلق نفسه عند حنجرتة فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة اهـ.

قوله: (بعد ذلك العذاب) أشار إلى أن الضمير في ورائه للعذاب المتقدم، وقيل: عائد على كل جبار كما في السمين، وفي البيضاوي: ﴿ومن ورائه﴾ أي: من بين يديه عذاب غليظ أي: يستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه، وقيل: هو الخلود في النار، وقيل: حبس الأنفاس اهـ.

قوله: (متصل) أي: متصل ببعضه ببعض لا ينقطع ولا يفتر.

قوله: ﴿مثل الذين كفروا بربهم﴾ هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله، وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا، وقوله: ﴿أعمالهم كرماد﴾ جملة من مبتدأ وخبر في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: وما ذلك المثل اهـ خازن.

لكن جرى الشارح على غير هذا حيث قال: ويبدل منه أي: بدل اشتمال أو بدل كل، وعليه فيكون الكلام جملة واحدة. وفي السمين: قوله: ﴿مثل الذين كفروا﴾ فيه أوجه، أحدها: وهو مذهب

منه ﴿اعْمَلُوا الصَّالِحَةَ كَصَلَةِ وَصَدَقَةٍ فِي عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا﴾ ﴿كَرَمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباءً منثوراً لا يقدر عليه، والمجرور خبر المبتدأ ﴿لَا يَقْدُرُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي لا يجدون له ثواباً لعدم شرطه ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ﴾ الهلاك ﴿الْبَعِيدُ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ

سيبويه أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا، وتكون الجملة من قوله أعمالهم كرماد مستأنفة جواباً لسؤال مقدر، كأنه قيل: كيف مثلهم؟ فقيل: كيت وكيت. والثاني: أن يكون مثل مبتدأ وأعمالهم مبتدأ ثان وكرماد خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول. الثالث: أن يكون مثل مبتدأ وأعمالهم بدل منه بدل اشتمال وكرماد الخبر اهـ.

قوله: (الصَّالِحَةُ كَصَلَةِ الْخَيْرِ) عبارة الخازن: اختلفوا في هذه الأعمال ما هي؟ فقيل: هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة، وصلة الأرحام، وفك الأسير، وإقراء الضيف، وبرّ الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح، فهذه الأعمال وإن كانت أعمال برّ لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره، لأن كفره أحبطها وأبطلها كلها. وقيل: المراد بالأعمال عبادتهم الأصنام التي طلبوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة، ووجه خسرانهم أنها اتعبوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها، فصارت وبالاً عليهم. وقيل: أراد بالأعمال الأعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله، فإنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباءً لا ينتفع به اهـ.

قوله: ﴿كَرَمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ أي: حملته وأسرعت الذهاب به اهـ بيضاوي.

والرماد: معروف وهو ما سحقت النار من الأجرام، وجمعه في الكثرة على رمد وفي القلة على أرمم اهـ سمين.

قوله: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ في الإسناد تجوز كما أشار له الشارح. وفي البيضاوي: العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة، كقولهم نهاره صائم وليله قائم. شبهت صنائعهم جمع صنعة من الصدقة، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وعنت الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى وتوحيده برماد طيرته الريح العاصف انتهت.

وجه الشبه أن الريح العاصف تطير الرماد، وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى له أثر، فكذلك كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لا يبقى لها أثر اهـ زاده.

وقد بين مقصوده ومحصله بقوله: ﴿لَا يَقْدُرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾. قوله: (أي لا يجدون له ثواباً) عبارة أبي السعود: أي: لا يرون له أثراً من ثواب أو تخفيف عذاب، كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل اهـ.

قوله: (لعدم شرطه) وهو الإيمان. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما دلّ عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسابانهم أنهم على شيء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب، أو عن فعل الثواب اهـ أبو السعود.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ﴿١٩﴾ متعلق بخلق ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿٢٠﴾ بدلكم ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ﴿٢١﴾ شديد ﴿وَبَرَزُوا﴾ خرجوا أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقيق وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّقْتَدُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الأولى للتبيين

قوله: (متعلق بخلق) أي: على أن الباء للسببية أو المصاحبة أي: خلقاً ملتبساً بالحق أي: الحكمة وليس عبثاً أو خلقاً بسبب ولأجل الحق أي: الحكمة اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: وبالحق متعلق بخلق على أن الباء سببية، أو بمحذوف على أنها حالية إما من الفاعل أي: محققاً وإما من المفعول أي: ملتبسة بالحق اهـ.

قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يعني أيها الناس، ويأت بخلق جديد سواكم أطوع لله منكم، والمعنى الذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على إفناء قوم وإماتتهم وإيجاد خلق آخرين سواهم، لأن القادر لا يصعب عليه شيء، وقيل: هذا خطاب لكفار مكة يريد يمينكم يا معشر الكفار ويخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع اهـ خازن.

وفي البيضاوي: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يعدمكم ويخلق خلقاً آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقاً للسموات والأرض استدلالاً به عليه، فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تحقيقهم، ثم أوجدتهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قادر أن يبدلهم بخلق آخر، ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز أي: بمعتذر أو متعسر، فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، ومن هذا شأنه كان حقيقاً بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه يوم الجزاء.

قوله: ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ أي: الإذهاب الاتيان.

قوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يعني وخرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم، والبراز بالفتح الفضاء، وبرز حصل في البراز، وذلك بأن يظهر بذاته كلها، والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا إلى الفضاء، ومن برز حصل في البراز، وأورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال، لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق كائن لا محالة، فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود اهـ خازن.

قوله: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ أي: في الرأي، وقوله: ﴿تَبَعًا﴾ أي: في الدين الاعتقاد اهـ خازن.

أي: وفي تكذيب ارسل والاعراض عن نصيحتهم، وقوله: (جمع تابع) كخدم، قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ أي: في هذا اليوم والاستفهام للتوبيخ اهـ.

قوله: (من الأولى للتبيين) أي: للشيء الذي بعدها، فقدم البيان على المبين. والتقدير مغنون عنا بعض شيء هو أي: ذلك البعض عذاب الله. وعبارة السمين: في من ومن أوجه، أحدها: أن من الأولى للتبيين. والثانية للتبعيض تقديره مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله قاله الزمخشري. الثاني: أن يكونا للتبعيض معاً بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله. أي: مغنون

والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ أي المتبوعين ﴿لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُم﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ﴾ زائدة ﴿مَحِيصٍ﴾ ملجأ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾

عنا بعض عذاب الله قاله الزمخشري أيضاً. الثالث: أن من في من شيء مريدة، ومن في من عذاب الله تتعلق بمحذوف لأنها في الأصل صفة لشيء، فلما تقدمت نصبت على الحال اهـ.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي: جواباً عن معاتبة الأتباع واعتذاراً عما فعلوا بهم لو هداها الله للإيمان في الدنيا لهديناكم ولكن ضللنا فأضللناكم أي: اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿سواء علينا﴾ الخ فيه قولان، أحدهما: أنه من كلام المستكبرين. والثاني: أنه من كلام المستكبرين والضعفاء معاً، وجاءت كل جملة مستقلة من غير عاطف دلالة على أن كلاً من المعاني مستقل بنفسه كاف في الاخبار، وقد تقدم الكلام في التسوية والهمزة بعده في أول البقرة اهـ سمين.

وقوله: ﴿سواء﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿أَجْرَعْنَا﴾ مبتدأ مؤخر أو بالعكس أي: مستو علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص ملجأ ومهرب من العذاب من الحيص، وهو العدول على وجهة الفرار، وهو يحتمل أن يكون مكاناً كالبيت ومصدراً كالغيب، ويجوز أن يكون قوله: ﴿سواء علينا﴾ من كلام الفريقين، ويؤيده ما روي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام، فلا ينفعهم. فيقولون: تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا الخ اهـ بيضاوي.

وفي المصباح: وجزع الرجل جزعاً من باب تعب فهو جزع وجزوع مبالغة إذا ضعف عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً وأجزعه غيره اهـ.

وفي المختار: حاص عنه عدل وحاد وبابه باع، وحيوصاً ومحيصاً ومحاصاً وحيصاً بفتح الياء يقال ما عنه محيص، أي: محيد ومهرب والانحياص مثله اهـ.

قوله: (زائدة) أي: في المبتدأ. وقوله: (ملجأ) أي: محل نهرب فيه.

قوله: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر﴾ يعني فرغ منه أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيها خطيباً. قال مقاتل: يوضع له منبر في النار من نار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم: ما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ الخ اهـ خازن.

وروى القرطبي أنهم يقولون له اشفع لنا، فإنك أضللتنا فيقوم خطيباً ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ الخ اهـ شهاب.

قوله: (وأدخل الخ) عبارة البيضاوي: أي أحكم وفرغ منه اهـ.

وهو معنى قول الشارح، وأدخل الخ أو المراد بالأمر قضاء الله وحكمه في أهل الموقف اهـ.

قوله: ﴿وعد الحق﴾ أي: وعداً من حقه أن ينجز أو وعداً أنجزه اهـ بيضاوي.

وفي السمين: يجوز أن يكون من اضافة الموصوف لصفته أي: الوعد الحق، وأن يراد بالحق الفتوحات الإلهية ج ٤/ ١٠٣

بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ زائدة ﴿سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْوَموني وَلَوْ مُوًّا أَنْفُسَكُمْ﴾ على إجابتي ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ بفتح الياء

صفة الباري تعالى أي: وعدكم الله تعالى وعده، وأن يراد بالحق البعث والجزاء على الأعمال، فتكون إضافة صريحة اهـ.

قوله: (فصدقكم الخ) أشار إلى أن في الكلام إضماراً من وجهين، الأول: التقدير إن الله وعدكم وعد الحق فصدقكم، ووعدتكم فأخلفتكم، وحذف لدلالة الحال على صدق ذلك الوعد لأنهم شاهدوه. والثاني: قوله: وعدتكم فأخلفتكم الوعد يقتضي مفعولاً ثانياً، وحذف للعلم به تقديره ووعدتكم أن لا جنة ولا نار ولا حشر ولا حساب اهـ كرخي.

قوله: (أنه) أي: ما ذكر من البعث والجزاء غير كائن أي: غير واقع. قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ أي: تبين خلف وعدي فجعل تبين خلف وعده كإخلافه منه اهـ يضاوي.

قوله: ﴿من﴾ (زائدة) أي: في اسم كان، وقوله: أقهركم المقام للفاء كما عبر بها البيضاوي. قوله: ﴿إِلَّا﴾ (لكن الخ) أي: فلا استثناء منقطع. وفي السمين: فيه وجهان، أظهرهما: أنه استثناء منقطع لأن دعاءه ليس من جنس السلطان وهو الحجة البينة. والثاني: أنه متصل لأن القدرة على حمل الإنسان على الشيء تارة تكون بالقهر وتارة تكون بتقوية الداعية في قلبه بإلقاء الوسوس إلىه، فهو نوع من التسلط اهـ.

قوله: ﴿دعوتكم﴾ أي بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان اهـ يضاوي.

قوله: ﴿فاستجبتم لي﴾ أي: أجبتُموني. عبارة البيضاوي: أسرعتم في إجابتي فلا تلوموني بالوسوسة، فان من صرح بالعداوة لا يلام بأمثال ذلك اهـ.

وعبارة الخازن: يعني ما كان مني إلا الدعاء وإلقاء الوسوسة، وقد سمعتم دلائل الله جاء تكلم الرسل، وكان من الواجب عليكم ألا تلتفتوا إلي ولا تسمعوا قلبي، فلما رجعت قلبي على الدلائل الظاهرة، فكان اللوم بكم أولى لمتابعتكم لي من غير حجة ولا دليل. ما أنا بمصرخكم يعني بمغيثكم ولا منقذكم، وما أنتم بمصرخي يعني بمغيثي ولا منقذي مما أنا فيه. إني كفرت بما أشركتموني من قبل يعني: كفرت بجعلكم إياي شريكاً له في عبادته، وتبرأت من ذلك، والمعنى: أن إبليس جحد ما يعتقد الكفار فيه من كونه شريكاً لله وتبرأ من ذلك انتهت.

قوله: (على إجابتي) أي: ومخالفة ربكم. قوله: (بمغيثكم) أي: من العذاب، وقوله: ﴿بمصرخي﴾ أي: بمغيثي من العذاب. وفي المصباح: صرخ يصرخ من باب قتل صراحاً فهو صارخ، وصريخ إذا صاح وصرخ فهو صارخ إذا استغاث، واستصرخته فأصرخني استغثت به فأغاثني فهو صريخ أي: مغيث ومصرخ على القياس اهـ.

قوله: (بفتح الياء وكسرها) سبعيتان والأصل بمصرخين لي جمع مصرخ كمسلمين جمع مسلم.

وكسرها ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا. قال تعالى ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَأَدْخِلْ آلَ فِرْعَانَ الْمَكَّنِئَاتِ﴾ من الملائكة وفيما تجرى من تحيها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا يَأْذَنُ رَبُّهُمْ فَيُهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي لا إله إلا

فياء الجمع ساكنة، وياء الإضافة كذلك فحذفت اللام للتخفيف واننون للإضافة، فالتقى ساكنان وهما الياءان، فأدغمت ياء الجمع في ياء الإضافة، ثم حركت ياء الإضافة بالفتح على القراءة الأولى طلباً للخفة وتخلصاً من توالي ثلاث كسرات، وكسرت على الثانية على أصل التخلص من التقاء الساكنين أو إتباعاً لكسرة الخاء اهـ.

قوله: ﴿إني كفرت﴾ أي: الآن أي: جحدت وأنكرت بما أشركتموني، وقوله: (بإشراككم إياي مع الله) أي: من الإطاعة حيث أطعتموني كما أطعتموه، قوله: ﴿من قبل﴾ متعلق بأشركتموني، والمعنى تبرأت منه واستنكرته اهـ بياضوي بإيضاح.

قوله: (بإشراككم إياي مع الله) أي: في الطاعة، لأنهم كانوا يطيعونه في أعمال الشر كما يطاع الله في أعمال الخير، فالإشراك استعارة بتشبيه الطاعة به وتنزيلها منزلته، أو لأنهم لما أشركوا الأصنام ونحوها باتباعه لهم في ذلك، فكانهم أشركوه اهـ شهاب.

وفي السمين: ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان اهـ.

قوله: (قال تعالى) ﴿إن الظالمين﴾ الخ وقيل: إنه من بقية كلام إبليس اهـ بياضوي.

قوله: ﴿وأدخل الذين آمنوا﴾ الخ لما شرح الله عز وجل حال الكفار الأشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الأجر الجزيل الدائم بقوله: ﴿وأدخل﴾ الخ: أي: أدخلتهم الملائكة اهـ خازن.

قوله: ﴿يأذن ربهم﴾ متعلق بأدخل، وهذا تعظيم لذلك الأجر، وكذا قوله: ﴿نحيثهم﴾ الخ اهـ من الخازن.

قوله: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً﴾ لما شرح الله عز وجل أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلاً فيه حكم هذين القسمين، فقال تعالى: ﴿ألم تر﴾، أي: بعين قلبك فتعلم علم يقين بإعلامي إياك، فعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب فيه للنبي ﷺ، ويدخل معه غيره، ويحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس، فيكون المعنى ألم تر أيها الإنسان كيف ضرب الله مثلاً يعني شهباً، والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة لتبيين أحدهما من الآخر وتصويره. وقيل: هو على قول سائر المفسرين تشبيه شيء بشيء آخر اهـ خازن.

وفي الخطيب: والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالأول اهـ.

قوله: ﴿كيف ضرب الله مثلاً﴾ أي: وضعه وبينه، وكيف منصوب على الحال من المفعول الذي هو مثلاً، والتقدير: ألم تر ضرب الله مثلاً حالة كونه كيف: أي: حال كونه مسؤولاً عن حاله من

الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أَكْثَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رِيحًا﴾ بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه في كل وقت ﴿وَيَصْرِيحُ﴾ يبين ﴿اللَّهُ الْأَمْتَالُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ

غرابته وأحكامه وتوضيحه ونحو ذلك . قوله: (ويبدل منه الخ) يقال عليه أنه لا معنى لقولك ضرب الله كلمة طيبة إلا بضم مثلاً إليه، فمثلاً هو المقصود بالنسبة، فكيف يبدل منه غيره، وهذا بناء على ظاهر قول النحاة إن المبدل منه في نية الطرح، وهو غير مسلم. وهذا الوجه مبني على تعدي ضرب لمفعول واحد اهـ شهاب .

قوله: (ويبدل منه) أي: للتفسير وهو بدل كل . قوله: (أي لا إله إلا الله) وقيل: كل كلمة حسنة كالنسيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة قاله الزمخشري اهـ كرخي .

قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ نعت لكلمة، هذا بناء منه على أن ضرب متعد لواحد بمعنى اعتمد مثلاً ووضعه، فإن كان بمعنى صبر فهو متعد لاثنتين كلمة المفعول الأول، ومثلاً المفعول الثاني بمعنى جعلها مثلاً، وعلى هذا كشجرة خبر مبتدأ محذوف أي: هي كشجرة طيبة كما قاله ابن عطية، وأجازه الزمخشري، وبالأول بدأ الزمخشري اهـ كرخي .

قوله: ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ الحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير، واختلفوا في مقداره هنا فقال مجاهد، وعكرمة: الحين هنا سنة كاملة، لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة . وقال سعيد بن جبير، وقتادة، والحسن: ستة أشهر يعني من وقت طلوعها إلى حين صرامها . وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً . وقال علي بن أبي طالب: ثمانية أشهر يعني: أن مدة حملها باطناً وظاهراً ثمانية أشهر، وقيل: أربعة أشهر من حين ظهور حملها إلى إدراكها . وقال سعيد بن المسيب: شهران يعني من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها . وقال الربيع بن أنس: كل حين يعني كل غدوة وعشية، لأن ثمر النخلة يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً وصيفاً وشتاءً، فتؤكل منها الجمار والطلع والبلح والبسر والمتصف والرطب، وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطري الرطب، فأكلها دائم في كل وقت اهـ خازن .

قوله: (كذلك الخ) بيان لتقرير وجود الصفات الثلاث التي في جانب المشبه به في جانب المشبه، فوجه الشبه الاشتراك في مطلق هذه الثلاث، وإن كانت هي في النخلة حسية، وفي الكلمة معنوية اهـ شيخنا .

قوله: (وعمله يصعد إلى السماء) قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالابدان اهـ كرخي .

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني وتقريب لها من الحس اهـ بضاوي .

حَيْثَ ﴿﴾ هي الحنظل ﴿﴾ اجْتَنَّتْ ﴿﴾ استوصلت ﴿﴾ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿﴾ مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة ﴿﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴿﴾ هي كلمة التوحيد ﴿﴾ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿﴾ أي في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبیهم فيجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين ﴿﴾ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لا ندري كما في الحديث ﴿﴾ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿﴾ ﴿﴾ أَلَمْ تَرَ ﴿﴾ تنظر ﴿﴾ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ﴿﴾ أي شكرها ﴿﴾ كُفْرًا ﴿﴾ هم كفار قريش ﴿﴾ وَأَحْلَوْا ﴿﴾ أنزلوا ﴿﴾ قَوْمَهُمْ ﴿﴾ بإضلالهم إياهم

قوله: ﴿﴾ ومثل كلمة خبيثة ﴿﴾ الخ تغيير الأسلوب حيث لم يقل: وضرب الله مثلاً كلمة خبيثة الخ للإيذان بأن ذلك غير مقصود بالضرب والبيان اهـ أبو السعود.

قوله: (هي كلمة الكفر) أي: كل ما دلّ على الكفر من الكلام. قوله: ﴿﴾ اجتنب ﴿﴾ صفة لشجرة، ومعنى اجتنبت قلعت جثتها أي: شخصها وذاتها من فوق الأرض، والجثة شخص الإنسان قاعداً قائماً. يقال: اجتنبت الشيء إذا قلعته فهو افتعال من لفظ الجثة، وجثت الشيء قلعته اهـ سمين.

والمعنى على التشبيه أي: كأنها اجتنبت، وكأنها غير ثابتة بالكلية، وكأنها ملقاة على وجه الأرض، وقوله: ﴿﴾ ما لها من قرار ﴿﴾ بمنزلة التعليل، وذلك لأنها لا تغوص في الأرض، بل عروقتها في وجه الأرض، ولا غصون لها تصعد إلى جهة السماء بل ورقها يمتد على الأرض كشجر البطيخ، وثمرها رديء. وفي الحقيقة تسميتها شجرة مجاز، لأن الشجر ما له ساق، والنجم ما لا ساق له وهي من النجم فتسميتها شجرة للمشاكلة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿﴾ يثبت الله ﴿﴾ الخ راجع للمثل الأول، وقوله: ﴿﴾ ويضل الله ﴿﴾ الخ راجع للمثل الثاني. قوله: ﴿﴾ بالقول الثابت ﴿﴾ (أي: الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحياة الدنيا، فلا يزولون إذا افتتنوا في دينهم كزكريا، ويحيى، وجرجيس، وشمعون، وكالذين فتنهم أصحاب الأخدود، وفي الآخرة فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف، ولا تدهشهم أهوال القيامة اهـ بيضاوي).

قوله: ﴿﴾ في الحياة الدنيا ﴿﴾ أي: فلا يزولون عن دينهم إذا افتتنوا، ويأمنون فيها من الأسر والقتل وغير ذلك مما يعصمه الإسلام اهـ.

قوله: (لما يسألهم الملكان) الخ فيقولان في السؤال: من ربك، وما دينك، وما كنت تقول في هذا الرجل المبعوث؟ فيقول في الجواب: ربي الله، وديني الإسلام، وأشهد أن هذا الرجل عبد الله ورسوله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿﴾ ويفعل الله ما يشاء ﴿﴾ أي: من تثبيت بعض وإضلال آخرين من غير اعتراض عليه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿﴾ أَلَمْ تَرَ ﴿﴾ تعجيب لرسول الله ﷺ ولكل أحد مما صنع الكفرة من الأباطيل التي لا تكاد تصدر عن له أدنى إدراك اهـ أبو السعود.

قوله: (أي شكرها) بأن وضعوا الكفر مكانه، أو بدلوا نفس النعمة كفرًا، فإنهم لما كفروها

﴿ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ الهلاك ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ عطف بيان ﴿ يَصَلُّونَهَا ﴾ يدخلونها ﴿ وَيُسَكِّ الْقَرَارُ ﴾ المقر هي ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ شركاء ﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ دين الإسلام ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ تَمَتَّعُوا ﴾ بدنياكم قليلاً ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ ﴾ مرجعكم ﴿ إِلَى النَّارِ ﴾ ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

سلبت عنهم فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها، كأهل مكة خلقهم الله، وأسكنهم حرمه، وجعلهم قوام بيته، ووسع عليهم أبواب رزقه، وشرفهم بمحمد ﷺ، فكفروا ذلك ففحطوا سبع سنين، وأسروا وقتلوا يوم بدر، وصاروا أذلاء مسلوبين من النعمة موصوفين بالكفر اهـ بيبضاوي.

وفي الكرخي: قوله: (أي: شكرها) أي: شكر نعمته كمحمد وما جاء به، وهذا أحد الوجهين في الآية، وهو أنه على حذف مضاف، والثاني: أنهم بدلوا نفس النعمة كفراً، فالتبديل على الأول تغيير في الوصف، والنعمة باقية لكنها موصوفة بالكفران، وعلى الثاني تغيير في الذات والنعمة زائلة مبدلة بالكفر اهـ ملخصاً من الكشف اهـ.

قوله: ﴿ وَأَحْلُوا ﴾ أي: بعض قريش وهو قبيلتان منهم، وهما بنو المغيرة، وبنو أمية وقومهم هم بقية قريش اهـ من الخازن.

وفي البيضاوي: وعن عمر وعلي هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر، وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين اهـ.

قوله: ﴿ قومهم ﴾ أي: اتباعهم بإضلالهم أي: بسببه. قوله: ﴿ دار البوار ﴾ في المصباح: بار الشيء يور بوراً بالضم هلك، وبار الشيء بواراً كسد على الاستعارة، لأنه إذا ترك صار غير منتفع به فأشبه الهالك من هذا الوجه اهـ.

قوله: ﴿ يصلونها ﴾ حال منها أو من القوم أي: داخلين فيها مقاسين لحرها اهـ بيبضاوي.

وأشار بقوله: مقاسين لحرها إلى أن المراد دخول مخصوص، وإلا فمطلق الدخول قد استفيد من قوله ﴿ وَأَحْلُوا قومهم ﴾. وفي المصباح: صلى الله بالنار وصلبها صلى من باب تعب وجد حرها، والصلاة وزان كتاب حر النار، وصلبت اللحم أصله من باب رمى شويته اهـ.

قوله: ﴿ وجعلوا لله أنداداً ﴾ سبعيتان أي: ليضلوا بأنفسهم، وهذا على الفتح أو ليضلوا غيرهم، وهذا على الضم وليس الضلال والإضلال وغرضهم من اتخاذ الأنداد، لكن لما كان نتيجة جعل كالغرض اهـ بيبضاوي ومحصله أن اللام للعاقبة.

وفي أبي السعود: وليس ذلك غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد، لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة والتبعية اهـ.

قوله: (بدنياكم) أو بعبادتكم الأوثان، فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها، وفي التهديد بصيغة الأمر بقوله: قل تمتعوا إيدان بأن المهتد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهتد به اهـ بيبضاوي.

قوله: (قليلاً) أخذه من المعنى والسياق، وإلاً فمادة التمتع لا تدل على القلة بحسب اللغة.

قوله: ﴿ قل لعبادي ﴾ الخ مفعول قل محذوف يدل عليه جوابه أي: قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا

يُقيموا الصَّلَاةَ وَنُفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ ﴿٣١﴾ فِئْدَاءٍ ﴿٣٢﴾ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣٣﴾ مَخَالَةَ أَيِ صَدَاقَةٍ تَنْفَعُ ، هو يوم القيامة ﴿٣٤﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

وقوله: يقيموا وينفقوا مجزومان في جواب الأمر أي: إن قلت لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا الخ يقيموا وينفقوا هـ شيخنا .

وفي البيضاوي: ويجوز أن يقدر بلام الأمر ليصح تعلق القول بهما هـ .

أي: ليقموا الصلاة يعني بالواجبة، وإقامتها إتمام أركانها هـ خازن .

وعبادي يقرأ بثبوت الياء مفتوحة وبحذفها لفظاً لا خطأً، والقراءتان سبعيتان ويجريان في خمسة مواضع من القرآن هذا. وقوله في سورة الأنبياء: ﴿أَنْ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وقوله في العنكبوت: ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] وقوله في سبأ: ﴿قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣] وقوله في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] هـ شيخنا .

قوله: ﴿وَيَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ قيل: أراد بهذا الانفاق إخراج الزكاة الواجبة، وقيل: أراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه إخراج الزكاة الانفاق في جميع وجوه البر، وقوله: ﴿سِرًّا﴾ يعني ينفقوا أموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل: أراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية إخراج الزكاة الواجبة هـ خازن .

وسراً وعلانية منصوبان على المصدرية أي: انفاق سر وعلانية، أو على الحال أي ذوي سر وعلانية هـ بيضاوي .

قوله: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ فسرهُ الشارح بالفداء، وهو قول أبي عبيدة، وأبقاه البيضاوي على ظاهره حيث قال لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو ما يفدي به نفسه هـ .

قوله: ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ صنيع الجلال يقتضي أن الخلال مفرد، وفي القرطبي أنه جمع خلة بالضم مثل قلة وقلال، فإن قلت: كيف نفى الخلة في هذه الآية، وفي آية البقرة مع أثباتها في آية الزخرف بقوله: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]؟ قلت: الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة وشهوة النفس، والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله، ألا تراه أثبتتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم، وقيل: إن ليوم القيامة أحوالاً مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله، وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض إذا كانت المخالفة لله تعالى في محبته هـ خازن .

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ذكر لها الموصول سبع صلوات تشتمل على عشرة أدلة على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته هـ شيخنا .

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني من السحاب. سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع، وقيل: أن المطر ينزل من السماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض، فأخرج به

الْشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ ﴿٣٢﴾ السَّفِينِ ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بِالرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ ﴿وَبِأَمْرِئِهِ﴾ بِإِذْنِهِ
 ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ جَارِيَيْنِ فِي فَلَكِهِمَا لَا يَفْتَرَانِ
 ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴿وَالنَّهَارَ ﴿٣٤﴾﴾ لِتَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ ﴿وَوَاتَّكُم مِّنْ كُلِّ مَاءٍ
 سَائِلْمَةٌ﴾ عَلَى حَسَبِ مَصَالِحِكُمْ ﴿وَلِإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ بِمَعْنَى إِعْنَامِهِ ﴿لَا تُحْصَوْهَا﴾ لَا تَطِيقُوا

أي: بذلك الماء من الثمرات رزقاً لكم. الثمر: اسم يقع على ما يحصل من الشجر. وقد يقع على
 الزرع أيضاً بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] وقوله:
 ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بيان للرزق أي: رزقاً هو الثمرات اهـ خازن.

قوله: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ المراد بها ما يشمل المطعوم والملبوس، وهو بيان للمفعول الذي هو رزقاً
 أو حال هو منه، ويحتمل عكس ذلك اهـ بيضاوي.

وقوله: عكس ذلك بأن يجعل من الثمرات هو المفعول ويجعل رزق حالاً. قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ
 الْفُلْكَ﴾ لما ذكر الله تعالى إني أعطيهم بإنزال المطر وإخراج الثمر لأجل الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على
 عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لأجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات
 وغيرها من بلد إلى بلد آخر، فهي من تمام نعمة الله تعالى على عباده، وسخر لكم الأنهار ذللاً لكم
 تجرونها حيث شئتم، ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزروع والثمرات، ولا في الشرب أيضاً
 ذكر نعمته على عباده في تسخير الأنهار وتفجير العيون، لأجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على
 عباده اهـ خازن.

وفي أبي السعود: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ بأن أقدركم على صنعتها واستعمالها بأن ألهمكم كيفية
 ذلك اهـ.

قوله: ﴿دَائِبَيْنِ﴾ الدأب: العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة، ودأب في السير داوم عليه.
 والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان دائماً فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر
 الدهر. وقيل: يدأبان في سيرهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وإصلاح النبات والحيوان، لأن الشمس
 سلطان النهار وبها يعرف فصول السنة، والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور، وكل ذلك
 بتسخير الله عز وجل وإعناؤه على عباده اهـ خازن.

وفي المختار: دأب في عمله جد وتعب وبابه قطع وخضع فهو دأب بالألف لا غير، والدائبان
 الليل والنهار، والدأب بسكون الهمزة العادة والشأن وقد يحرك اهـ.

قوله: (في فلكهما) أي: محلها ومقرهما وهو السماء الرابعة للشمس وسماء الدنيا للقمر،
 وقوله: لا يفتران من باب دخل أي: لا يضعفان بسبب الجري ولا ينكسران اهـ شيخنا.

قوله: (لتبتغوا) أي: تطلبوا بالسعي في الكسب من فضله أي: بعض إحسانه.

قوله: ﴿وَاتَّكُم﴾ الخ أي: فلم يقتصر على النعم المتقدمة، بل أعطاكم ما لا يمكن عده اهـ
 خازن.

قوله: ﴿مِنَ كُلِّ مَاءٍ سَائِلْمَةٌ﴾ أي: كل نوع أو كل صنف سألتموه. أي: شأنه أن تسألوه

عدها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ كَذَّابٌ﴾ الكافر ﴿لَظَلُمْتُ كَفَّارًا﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ﴾ ﴿مَكَّةَ﴾ مكة ﴿وَإِنِّي أَخَافُ﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ﴾ مكة ﴿وَإِنِّي أَخَافُ﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ﴾ مكة ﴿وَإِنِّي أَخَافُ﴾ اذكر

لاحتياجكم إليه، وإن لم تسألوه بالفعل، كما يشير لهذا قوله: (على حسب مصالحكم). وفي السمين: العامة على إضافة كل إلى ما، وفي من قولان، أحدهما: إنها زائدة في المفعول الثاني أي: آتاكم كل ما سألتموه، وهذا إنما يتأتى على قول الأخفش. والثاني: أن تكون تبغيضية أي: آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظراً لكم ولمصالحكم، وعلى هذا فالمفعول محذوف تقديره: وآتاكم شيئاً من كل ما سألتموه، وهو رأي سيوييه، وما يجوز فيها أن تكون موصولة اسمية أو حرفية أو موصوفة، والمصدر واقع موقع المفعول أي: مسؤولكم، فإن كانت مصدرية فالضمير في سألتموه عائد على الله تعالى وعائد الموصول أو الموصوف محذوف أي: سألتموه إياه.

قوله: (على حسب مصالحكم) أشار بهذا إلى جواب كيف قال ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ والله لم يعطنا كل ما سألناه، ولا بعضاً من كل فرد مما سألناه، وإيضاحه أنه أعطانا بعضاً من جميع ما سألناه لا من كل فرد فرد، ولكن لما كان البعض المذكور وهو الأكثر من جميع ما سألناه وهو الأصلح الأنفع لنا في معاشنا ومعادنا بالنسبة إلى البعض الذي منعه لمصلحتنا أيضاً كان كأنه أعطانا جميع ما سألناه. وقيل: أعطى جميع السائلين بعضاً من كل فرد مما سألهم جميعهم، وإيضاحه أن يكون قد أعطى هذا شيئاً مما سألهم ذاك، وأعطى ذاك شيئاً مما سألهم هذا على ما اقتضته الحكمة والمصلحة في حقهما، كما أعطى النبي ﷺ الرؤية ليلة المعراج، وهي مسؤول موسى عليه الصلاة والسلام، وما أشبه ذلك اهـ. من الانموذج اهـ كرخي.

قوله: (بمعنى إنعامه) هذا لا يتعين بل ابقاؤه على ظاهره أظهر. وفي السمين: النعمة هنا بمعنى المنعم به اهـ.

قوله: (عدها) أي: عد أنواعها فضلاً عن أفرادها، فإنها غير متناهية اهـ بياضوي.

قوله: (الكافر) وقال ابن عباس: يريد أبا جهل، وقوله ﴿لَظَلُمْتُ كَفَّارًا﴾ يعني لنفسه كفار بنعمة ربه،. وقيل: الظلوم الشاكر لغير من أنعم عليه، فيضع الشكر في غير موضعه. كفار جحود لنعم الله تعالى عليه، وقيل: ظلوم في الشدة يشكو ويجزع. كفار في النعمة ويجمع ويمنع اهـ خازن.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ﴾ (اذكر) أي: اذكر يا محمد لقومك لعلمهم يعتبرون، فيرجعوا عن كفر هذه النعم التي كان سببها خليل الله إبراهيم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هَذَا الْبَلَدُ﴾ فسر الشارح هنا بمكة، وفسرها في سورة البقرة بالمكان، فيقتضي أن هذا الدعاء وقع مرتين: مرة قبل بنائها، ومرة بعده، ولذلك كتب الكرخي هناك ما نصه: ونكر البلد هنا وعرفه في إبراهيم، لأن الدعوة هنا كانت قبل جعل المكان بلداً، فطلب من الله أن يجعل ويصير بلداً آمناً، وثم كانت بعد جعله بلداً اهـ.

وفي السمين: قال الزمخشري: فإن قلت: أي فرق بين قوله اجعل هذا بلداً آمناً وبين قوله: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾؟ قلت: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا

فجعله حراماً لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿وَاجْتَنِبْنِي﴾ بعدني ﴿وَبَنِي﴾ عن ﴿أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿رَبِّ إِيَّاهُنَّ﴾ أي الأصنام ﴿أَضَلَّلَنْ كَثِيرًا مِّنْ

يخافون. وفي الثاني: أن يخرج من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً اهـ.

قوله: (ولا يختلى خلاه) أي: لا يقطع خلاه بالقصر أي: حشيشه الرطب. وفي المختار: والخلاء مقصور الرطب من الحشيش، الواحدة: خلاه وخليت الخلا قطعته واختليته أيضاً اهـ.

قوله: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِي﴾ يقال جنبه شراً واجنبه إياه ثلاثياً ورباعياً، وهي لغة نجد، وجنبه إياه مشدداً وهي لغة الحجاز هو المنع، وأصله من الجانب. وقال الراغب: وقوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِي﴾ من جنبته عن كذا أي: أبعدته منه، وقيل: من جنبت الفرس، وكأنه سأله أي يبعده عن جانب الشرك بالطف من أسباب خفية وأن نعبد على حذف حرف الجر أي: عن أن نعبد اهـ سمين.

وفي القاموس: والجنب معركة أن يجنب فرساً إلى فرسه في السباق، فإذا فاز المركوب تحول إلى المجنوب اهـ.

وفي المصباح: وجنب الرجل الشر جنوباً من باب قعد أبعدته عنه، وجنبته بالثقل مبالغة اهـ. وفي المختار: وجنبه الشيء من باب نصر، وجنبه الشيء تجنباً بمعنى أي: نحاه عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ اهـ.

قوله: ﴿وَبَنِي﴾ أي: من صليبي، وقوله: ﴿عَنْ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ استشكل بأن عبادتها كفر، والأنبياء معصومون من الكفر بإجماع الأمة، فكيف حسن منه هذا السؤال؟ وأجيب: بأنه كان في حالة خوف أذهلته عن علم ذلك، فإن الأنبياء أعرف بالله من جميع الناس، فخوفهم أكثر من خوف غيرهم، فهو دعاء لنفسه في مقام الخوف، أو قصد به الجمع بينه وبين بنيه ليستجاب لهم ببركته اهـ كرخي.

وفي الشهاب قوله: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِي﴾ المراد طلب الثبات والدوام على ذلك اهـ.

قوله: ﴿رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَّلَنْ﴾ الخ تعليل لقوله: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِي﴾، وأما إعادة النداء بقوله ﴿رَبِّ إِيَّاهُنَّ﴾ فلتأكيد النداء وكثرة الابتهاال والتضرع اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ﴿رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَّلَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أي: فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن اهـ.

قوله: ﴿إِيَّاهُنَّ أَضَلَّلَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أفاد أن الضمير في إيهن وأضللن عائد على الأصنام، لأنها جمع تكسير غير عاقل، ونسبة الإضلال إليها مجاز من باب نسبة الشيء إلى سببه اهـ كرخي.

أي: فهذا مجاز لأن الأصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيئاً حتى تفضل من عبدها، إلا أنه لما حصل الضلال بعبادتها أضيف إليها، كما تقول: فتنهم الدنيا وغرتهم، وإنما فتنوا بها وغروا بسببها اهـ خازن.

النَّاسِ ﴿عِبَادَتِهِمْ لَهَا﴾ ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ﴿مَنْ أَهْلُ دِينِي﴾ ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

قوله: ﴿ومن عصاني﴾ شرط ومحله رفع بالابتداء، والجواب: فإنك غفور رحيم. والعائد محذوف أي: له اهـ سمين.

قوله: (هذا) أي: قوله ﴿ومن عصاني﴾ الخ. وفي الخازن: قال السدي: معناه ومن عصاني ثم تاب فإنك غفور رحيم. وقال مقاتل: ومن عصاني فيما دون الشرك فإنك غفور رحيم، وشرح ابن الأنباري هذا فقال: ومن عصاني فخالفتني في بعض الشرائع وعقد التوحيد فإنك غفور رحيم، إن شئت أن تغفر له، وهذا إذا كان مسلماً. وذكر وجهين آخرين، أحدهما: أن هذا كان قبل أن يعلمه الله أنه يغفر الشرك كما استغفر لأبويه، وقد تقرر أن ذلك غير محذور، فلما عرف أنهما غير مغفور لهما تبرأ منهما. والوجه الآخر: قوله: ﴿ومن عصاني﴾ أي: بإقامته على الكفر ﴿فإنك غفور رحيم﴾. يعني: إنك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله من الكفر إلى الإسلام وتهديه إلى الصواب.

فإن قلت: قد توجه على هذه الآية إشكالات وهي من وجوه، الأول: أن إبراهيم دعا ربه أن يجعل مكة آمناً، ثم إن جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها.

الوجه الثاني: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من عبادة الأصنام، وإذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبي عن عبادتها.

الوجه الثالث: أن إبراهيم سأل ربه أيضاً أن يجنب بنيهِ عن عبادة الأصنام، وقد وجد من بنيهِ كثير ممن عبد الأصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قلت: الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه. فالجواب عن الوجه الأول من وجهين، أحدهما: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء، والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب، وهذا موجود بحمد الله، فلم يقدر أحد على تخريب مكة. وأورد على هذا ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخَرَّبُ الكعبة ذُو السَّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبْشَةِ» أخرجاه في الصحيحين. وأجيب عنه بأن قوله: ﴿اجعل هذا البلد آمناً﴾ يعني إلى قرب القيامة وخراب الدنيا، وقيل: هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين. الوجه الثاني: أن يكون المراد اجعل هذا البلد ذا أمن وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم، وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن في بلدهم، كما أخبر الله تعالى بقوله: «وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ وَأَهْلُ مَكَّةَ آمَنُونَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى أَنْ مِنَ التَّجَا إِلَى مَكَّةَ آمَنَ مِنْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَحَتَّى إِنْ الْوَحُوشُ إِذَا كَانَتْ خَارِجَةً عَنِ الْحَرَمِ اسْتَوْحِشَتْ، وَإِذَا كَانَتْ دَاخِلَ الْحَرَمِ اسْتَأْنَسَتْ لِعِلْمِهَا أَنَّهُ لَا يَهْجِئُ أَحَدٌ فِي الْحَرَمِ، وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْأَمْنِ حَاصِلٌ بِحَمْدِ اللَّهِ بِمَكَّةَ وَحَرَمِهَا».

وأما الجواب عن الوجه الثاني: فمن وجهين أيضاً، الأول: إن دعاء إبراهيم لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت، فهو كقوله: ﴿واجعلنا مسلمين لك﴾ [البقرة: ١٢٨]. الوجه الثاني: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإن كان يعلم إن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه دعا بهذا الدعاء هضماً للنفس واثباتاً للعجز والحاجة والفاقة إلى فضل الله ورحمته، وإن أحداً لا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه

رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿يَوَادُّ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان

الله به، فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء .

وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات، فالجواب عنه من وجوه، الوجه الأول: أن إبراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد منهم أحد صنماً قط. الوجه الثاني: أنه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء، ولا شك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أُجيبَ فيهم. الوجه الثالث: قال الواحدي: دعا لمن أذن الله في أن يدعو له، فكأنه قال: وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم، لأن دعاء الأنبياء مستجاب، وقد كان من نسله من عبد الصنم، فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص. الوجه الرابع: أن هذا مختص بالمؤمنين من أولاده، والدليل عليه أنه قال في آخر الآية ﴿فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه اه بحروفه .

قوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ الخ هذه القصة كانت بعدما وقع له من الالتقاء في النار، وفي تلك لم يسأل ولم يدع، بل اكتفى بعلم الله بحاله، وفي هذه قد دعا وتضرع، ومقام الدعاء أعلى وأجل من مقام تركه اكتفاء بعلم الله كما قاله العارفون، فيكون إبراهيم قد ترقى وانتقل من طور إلى طور من أطوار الكمال اهـ.

قوله: (مع أمه هاجر) وسبب هذا الإسكان إن هاجر كانت جارية لسارة، فوهبتها لإبراهيم، فولدت منه إسماعيل، فغارت سارة منهما لأنها لم تكن قد ولدت قط، فأنشده الله أن يخرجهما من عندها، فأمره الله تعالى بالوحي أن ينقلهما إلى أرض مكة، وأتى له بالبراق فركب عليه هو وهاجر والطفل فأتى من الشام ووضعهما في مكة ورجع من يومه، وكان يزورهما على البراق في كل يوم من الشام اهـ شيخنا .

قوله: ﴿بَوَادٍ﴾ أي وواد، والوادي المنخفض بين الجبلين، وقوله: غير ذي زرع أي لا يصلح للإنبات، لأنه أرض حجرية لا تنبت شيئاً اهـ شيخنا .

قوله (الذي كان قبل الطوفان) أشار بهذا إلى أن إطلاق البيت عليه في ذلك الوقت باعتبار ما كان قبل الطوفان وأما وقت دعائه فلم يكن، وإنما كان تلال من رمل، وأما البيت فقد رفع إلى السماء من حين الطوفان، ولو جعل التجوز باعتبار ما يؤول لكان صحيحاً أيضاً اهـ شيخنا .

وفي الخازن: فإن قلت: كيف قال ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ولم يكن هناك بيت محرم، وإنما بناه إبراهيم بعد ذلك؟ قلت: يحتمل أن الله عز وجل أوحى إليه، وأعلمه أن له هناك بيتاً قد كان في سالف الزمان، وأنه سيعمر، فلذلك قال عند بيتك المحرم. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك، أنه سيحدث في هذا المكان اهـ.

وفي البيضاوي: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ أي الذي حرمت التعرض له والتهاون به، ولم يزل معظماً ممنعاً تهابه الجبابرة أو منع من الطوفان، فلم يستول عليه، ولذلك سمي عتيقاً أي أعتق منه، ودعا بهذا

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ قلوباً ﴿بَيْنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ تميل وتحن ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: لو قال: أفئدة الناس لحنن إليه فارس والروم والناس كلهم ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

الدعاء أول ما قدم فعله قال ذلك باعتبار ما كان وما سيؤول إليه اهـ.

وقوله: ودعا بهذا الدعاء أي المقيد بعندية البيت أول ما قدم إليه مع أنه لم يكن ذا ذاك بيتاً، لأنه رفع وقت الطوفان، وإنما بناه إبراهيم بعد ذلك كما تضمنه قوله فعله قال ذلك باعتبار ما كان أي قبل الطوفان، فإنه رفع وقته كما مر، أو باعتبار ما سيؤول إليه من بناء إبراهيم له اهـ زكريا وشهاب.

قوله: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اللام لام كي، وهي متعلقة بأسكنت أي: ما أسكنتهم بهذا الوادي الخالي من كل مرتفع ومرتق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم، وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات من إسكانهم، ثم والمقصود من الدعاء توفيقهم لها. وقيل اللام لام الأمر، والمراد الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة، وسأل من الله أن يوفقهم لها اهـ بضاوي.

وقوله: (إلا لإقامة الصلاة الخ) أي أن الجار والمجرور متعلق بأسكنت المذكور بدليل قوله (وتوسطه الخ). وعلى هذا فالحصر مستفاد من السياق، لأنه لما قال ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ نفى أن يكون إسكانهم لأجل الزراعة، ولما قال ﴿عند بيتك المحرم﴾ أثبت أنه مكان عبادة، فلما قال ﴿لِيُقِيمُوا﴾ أثبت أن الإقامة عنده للعبادة، وقد نفى كونها للكسب، فجاء الحصر مع ما في تكرير ربنا من الإشارة إلى أنه هو المقصود، فلا حاجة إلى ما قيل إنه متعلق بأسكنت مقدر مؤخر غير الأول، وأن الحصر مستفاد من تقديره مؤخراً كما رجحه بعض الشراح اهـ شهاب.

قوله: ﴿تهوي إليهم﴾ قرأ العامة تهوي بكسر الواو بمعنى تسرع وتطير شوقاً إليهم، وأصله أن يتعدى باللام، وإنما تعدى بالي لأنه ضمن معنى تميل. وقرأ أمير المؤمنين علي، وزيد بن علي، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، ومجاهد بفتح الواو وفيه قولان، أحدهما: أن إلى زائدة أي تهوهم. والثاني: أنه ضمن معنى تنزع وتميل، ومصدر الأول على هوى بضم الهاء وفتحها، ومصدر الثاني على هوى كفتى وجوى اهـ سمين.

قوله: (تميل وتحن إليهم) أي لزيارة بيتك لا لذواتهم وأعيانهم، كما قاله ابن عباس، وفي هذا بيان أن حنين الناس إليهم إنما هو لطلب حج البيت، لا لأعيانهم. وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم الله حج البيت، ودعاء لسكان مكة من ذريتهم، لأنهم يرتفقون بمن يأتي إليهم من الناس لزيارة البيت، فقد جمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته اهـ خازن.

وفي المختار: الحنين الشوق وتوقان النفس، وقد حن إليه يحن بالكسر حنيئاً فهو حانّ والحنان الرحمة، وقد حن عليه يحن بالكسر حناناً ومنه قوله تعالى: ﴿وحناناً من لدنا﴾ [مريم: ١٣] اهـ.

قوله: (لحنن إليه فارس الخ) أي: للحج. وعبارة الخطيب: وقال سعيد بن جبير: لحننن إليه اليهود والنصارى والمجوس اهـ.

قوله: ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ أي: بعضها. قوله: (وقد فعل بنقل الطائف إليه) هذا إجابة لقوله

يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ نسر ﴿وَمَا نُثْمِرُ وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٣٨﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم ﴿الْحَمْدُ

﴿وارزقهم من الثمرات﴾ ، وأما إجابة قوله : (فاجعل أفئدة النخ) ، فقد حصلت بجرهم ، وذلك أنه لما جاء بإسماعيل وأمه وضعهما عند البيت مكان زمزم ، وليس بمكة أحد ولا بناء ولا ماء ، ثم قام إبراهيم منطلقاً فتبعته هاجر فقالت : أين تذهب وتركني بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء؟ فلم يلتفت ، فقالت : الله أمرك بذلك؟ قال : نعم . فقالت : إذا لا يضيعني . ثم رجعت فانطلق إبراهيم ثم رفع يديه إلى السماء وقال : رب إنني أسكنت حتى بلغ يشكرون ، وترك عندها جراباً من تمر وسقاء من ماء ، فلما نفذ الماء عطشت هي وابنها ، فجاء جبريل وضرب موضع زمزم بعقبه أو بجناحه ، فخرج الماء فجعلت تشرب منه ، فمكثوا كذلك حتى مرت بهم قبيلة من جرهم كانوا ذاهبين إلى الشام فعطشوا ، فرأوا الماء عندها ، فقالوا لها : تأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت : نعم ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم ، فلما شب إسماعيل تعلم منهم العربية ، وكان أنفسهم وأعجبهم ، فزوجوه بامرأة منهم وماتت أمه بعدما تزوج اهـ خازن .

وفي البيضاوي : أنهم لما أتوها قالوا لها : أشركينا في مائك نشرك في ألباننا ففعلت اهـ .

وقول الخازن : فقد حصلت بجرهم النخ بيان لأول آثار هذا الدعاء ، وقد استمر قصد الحجاج والعمار لهذا البيت كل عام إلى آخر الزمان .

قوله : ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ أي : تعلم السر كما تعلم العلن علماً لا تفاوت فيه ، والمعنى أنك تعلم أحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم منا بنا ، فلا حاجة إلى الدعاء والطلب إنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك وتخشعاً لعظمتك وتذلاً لعزتك وافتقاراً إلى ما عندك . وقيل : معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع ، وما نعلن يعني من البكاء ، وقيل : ما نخفي يعني الحزن المتمكن في القلب ، وما نعلن يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حيث قالت لإبراهيم : إلى من تكلنا؟ قال : إلى الله قالت : إذا لا يضيعنا اهـ خازن .

قوله : (يحتمل أن يكون) أي : قوله : ﴿وما يخفي على الله﴾ النخ من كلامه تعالى أو من كلام إبراهيم عليه السلام ، وقد قيل : بكل منهما . فإن قيل بالأول فهو اعتراض بين كلامي إبراهيم ، وإن قيل بالثاني ففيه وضع الظاهر موضع المضمّر ، وهو ما عليه الأكثرون تصديقاً لإبراهيم عليه السلام اهـ كرخي .

قوله : ﴿الحمد لله﴾ النخ هذا قاله إبراهيم في وقت آخر لا عقب ما تقدم من الدعاء ، لأن الظاهر أنه عليه السلام دعا بذلك الدعاء المتقدم أول ما قدم بهاجر وابنها وهي ترضعه ، ووضعها عند البيت وإسحاق لم يولد في ذلك الوقت اهـ زاده .

وفي الكرخي : وزمان الدعاء والحمد مختلف ، فإن الدعاء في طفولية إسماعيل ولم يكن إسحاق حينئذ . وحاصله مع الايضاح أن هذا الدليل يقتضي أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنما ذكر هذا الكلام في زمان آخر لا عقيب ما تقدم من الدعاء ، فاندفع ما قيل إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنما دعا بهذا

لِلَّذِي هَبَّ لِي ﴿عَلَى﴾ مع ﴿الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ ولد وله مائة واثنى عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ ﴿وَجَعَلْ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ من يقيمها وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفاراً ﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ المذكور ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل، وقيل

الدعاء عندما أسكن هاجر وابنها إسماعيل في ذلك الوادي، وفي ذلك الوقت لم يكن ولد إسحاق فكيف قال ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾ اهـ.

قوله: ﴿على الكبر﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن على على بابها من الاستعلاء المجازي. والثاني: أنها بمعنى مع قال الزمخشري: ومحل هذا الجار النصب على الحال من الياء في وهب لي اهـ سمين.

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ﴾ أي: مجيب الدعاء. كان إبراهيم قد دعا ربه، فسأله الولد بقوله: رب هب لي من الصالحين، فلما استجاب الله دعاءه قال: ﴿الحمد لله﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿مقيم الصلاة﴾ أي مواظباً عليها اهـ يضاوي.

قوله: ﴿وَجَعَلْ﴾ (اجعل) ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أشار بهذا إلى أن ومن ذريتي معطوف على ياء المتكلم. وفي السمين: قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على المفعول الأول لاجعني أي: واجعل بعض ذريتي يقيم الصلاة، وهذا الجار في الحقيقة صفة لذلك المفعول والمحذوف أي وبعضاً من ذريتي اهـ.

قوله: ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَائِي﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، وورش والبزي بإثبات الياء وصللاً ووقفاً، والباقون بحذفها وصللاً ووقفاً، وقد روى بعضهم إثباتها وقفاً أيضاً اهـ سمين.

قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي﴾ فإن قلت طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة له من ذلك الذنب، وقد ثبتت عصمة الأنبياء من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له؟ قلت: المقصود منه الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه، والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته اهـ خازن.

قوله: (هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله) أي: لأن المنع لا يعلم إلا بتوقيف، فلعله لم يجد منعاً، فظن جوازه أو كان ذلك بشرط الإسلام، وهو جواب القائل كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين، والاستغفار للكافر حرام اهـ كرخي.

قوله: (وقرىء) أي: شاذاً في هذه، والتي بعدها، وقوله: وولدي بالثنية فهو بفتح الواو واللام والdal، وقرىء أيضاً ولدي بضم الواو وسكون اللام وكسر الدال جمع ولد، ورسم الشارح يحتمل القراءتين، فالقراءات الشاذة ثلاث اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ العامة على والدي بالألف بعد الواو وتشديد الياء، وابن حسين كذلك إلا أنه سكن الياء أراد والده وحده كقوله: (واغفر لأبي). وقرأ الحسين بن علي، ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين ولولدي دون ألف ثنية ولد، ويعني بهما إسماعيل وإسحاق، وأنكرها الجحدري

أسلمت أمه وقرىء والدي مفرداً وولدي ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿الْحِسَابُ﴾ قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب

بأن في مصحف ولأبوي فهي مفسرة لقراءة العامة. وروي عن ابن يعمر أنه قرأ ولولدي بضم الواو وسكون اللام وفيها تأويلان، أحدهما: أنه جمع ولد كأسد في أسد، وأن يكون لغة في الولد كالحزن والحزن والبخل والبخل، وقد قرىء بذلك في مريم، والزخرف، ونوح في السبعة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى اهـ.

قوله: (يثبت) أي يوجد فهو مستعار في القيام على الرجل، كقولهم: قامت الحرب على ساقها اهـ بيضاوي.

وفي الخازن: يوم يقوم الحساب يعني: يوماً يبدو ويظهر فيه الحساب، وقيل: أراد يوم يقوم الناس فيه للحساب، فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوماً عند السامع، وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة، والله تعالى لا يرد دعاء خليفه إبراهيم، ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة اهـ.

قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح السين وكسرهما قراءتان سبعيتان، وكذا يقال في قوله الآتي فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اهـ شيخنا.

والغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور، وقيل: حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ، وهذا في حق الله محال، فلا بد من تأويل الآية، فالمقصود منه أنه تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم، ففيه وعيد وتهديد للظالم وإعلام له بأنه لا يعامله معاملة الغافل عنه، بل ينتقم منه ولا يتركه مغفولاً عنه. قال سفيان بن عيينة: فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم.

فإن قلت: قد تعالى الله وتنزه وتقدس عن السهو والغفلة، فكيف يحسبه رسول الله ﷺ وهو أعظم الناس معرفة به أنه يكون غافلاً، حتى قيل له ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافلاً عما يعمل الظالمون﴾؟ قلت: إن كان المخاطب به رسول الله ﷺ ففيه وجهان، أحدهما: التثيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً فهو قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا بآخِرَ﴾ [الأنعام: ١٤] وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦] أي اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان. الوجه الثاني: أن المراد بالنهي عن حسبانته غافلاً الإعلام بأنه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء، وأنه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم. والمعنى ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عنهم، ولكنه يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير، وإن كان المخاطب غير النبي ﷺ فلا إشكال فيه ولا سؤال، لأن أكثر الناس غير عارفين بصفات الله، فمن جوز أن يحسبه غافلاً فلجهله بصفاته اهـ خازن.

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ الخ استئناف وقع تعليلاً للنهي السابق أي: دم على ما أنت عليه من عدم حسبانته تعالى غافلاً عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما استوجبه من العذاب الأليم، لأن تأخيره للتشديد والتغليظ أو لا تحسبنه تاركاً لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها إنما ذلك لأجل هذا، أو لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من أن التأخير إنما هو لهذه الحكمة وإيقاع

﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى، يقال شخص بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين حال ﴿مُقْنِعِي﴾ رافعي ﴿رُؤُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم

التأخير عليهم، مع أن المؤخر إنما هو عذابهم لتحويل الخطب وتفطيع الحال ببيان أنهم متوجهون إلى العذاب موجهون لأمر ما أه أبو السعود.

قوله: ﴿ليوم﴾ أي لأجل يوم، فاللام للعلة. وقيل: بمعنى إلى التي للغاية، وقرأ العامة يؤخرهم بالياء لتقدم الله الكريم، وقرئ يؤخرهم بنون العظمة، وتشخيص صفة ليوم ومعنى شخوص البصر حدة النظر وعدم استقراره في مكانه، ويقال شخص سمعه وبصره وأشخصهما صاحبهما، وشخص بصره أي لم يطرف جفنه، ويقال شخص من بلده أي بعد، والشخص سواد الإنسان المرئي من بعيد أه سمين.

وفي المختار: وشخص بصره من باب خضع فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف أه. قوله: ﴿تشخص فيه الأبصار﴾ أي تشخص أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما ترى أه بضاوي.

وقوله: أي تشخص أبصارهم يعني أن أَل للعهد لا عوض عن المضاف إليه. قيل: ولو حمل على العموم كان أبلغ في التهويل وأسلم من التكرير، ووجهه أن قوله ﴿لا يرتد إليهم﴾ في ذكره فائدة، وإن كان لا يسلم من التكرير رأساً وكان المصنف اختاره لأنه المناسب لما بعده أه شهاب.

وعبارة أبي السعود: أي ترتفع فيه أبصار أهل الموقف، فيدخل في زمرة الكفرة المعهودون دخولاً أولاً أي: تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم من هول ما يرونه أه.

قوله: ﴿مهطعين مقنعي رؤوسهم﴾ حالاً من المضاف المحذوف. إذ التقدير أصحاب الأبصار، أو تكون الأبصار دلت على أربابها، فجاءت الحال من المدلول عليه، قاله أبو البقاء أه سمين.

وفي المختار: أھطع الرجل إذا مد عنقه وصوب رأسه وأھطع في عدوه أسرع أه.

وفي السمين: والإقناع رفع الرأس وإدامة النظر من غير التفات إلى غيره، قاله الفتبي أه.

وفي القاموس: وأقنعه أرضاه، ورأسه نصبه ورفع أو لا يلتفت يميناً ولا شمالاً وجعل طرفه موازياً أه.

قوله: (مسرعين) أي إلى الداعي، وهو إسرافيل حيث يدعو إلى الحشر. وعبارة المحلي في سورة ق: واستمع يا مخاطب يوم ينادي المنادي هو إسرافيل من مكان قريب من السماء، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء أه.

وقوله: (هو إسرافيل)، وقيل: هو جبريل والنافخ إسرافيل: قال الشهاب: وهو الأصح كما دلت عليه الآثار أه.

قوله: ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ في محل نصب على الحال أيضاً من الضمير في مقنعي، ويجوز الفتوحات الإلهية/ج/٤/١١م

﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية من العقل لفزعهم ﴿وَأَنْذِرْ﴾ خوف يا محمد ﴿النَّاسِ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبُّ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَتَسْجِعُ الرُّسُلُ﴾ فيقال لهم توبيخاً ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾

أن يكون بدلاً من مقنعي كذا قاله أبو البقاء. يعني: أنه يحل محله، ويجوز أن يكون استثناءً والطرف في الأصل مصدر، والطرف أيضاً الجفن يقال: ما طبق طرفه أي جفنه على الآخر، والطرف أيضاً تحريك الجفن اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ يجوز أن يكون استثناءً وأن يكون حالاً، والعامل فيه إما يرتد وإما ما قبله من العوامل، وأفرد هواء وإن كان خبراً عن جمع، لأنه في معنى فارغة، ولو لم يقصد ذلك لقليل أهوية ليطابق الخبر مبتدأ اهـ سمين.

وفي الكرخي: وفي كلام الشيخ المصنف إشارة إلى جواب ما قيل كيف أفرد هواء وهو خبر لجمع، وإيضاحه، أنه لما كان معنى هواء هنا فارغة منحوتة أفرد كما يجوز أفراد فارغة، لأن تاء التأنيث تدل على تأنيث الجمع الذي في أفثدتهم، ومثله أحوال صعبة وأحوال فاسدة ونحو ذلك اهـ.

قوله: (خالية من العقل لفزعهم) عبارة البيضاوي: هواء أي خالية من الفهم لفرط الحيرة والدهشة، ومنه يقال للأحمق وللجبان فيه هواء، أي: لا رأي فيه ولا قوة اهـ.

وفي الخازن: ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ قال قتادة: خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، ومعنى الآية ﴿أَفْتَدَتْهُمْ﴾ خالية فارغة لا تعي شيئاً ولا تعقل من شدة الخوف. وقال سعيد بن جبير: ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي مترددة تهوي في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه، ومعنى الآية أن القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته اهـ. وفي المختار الهواء ممدوداً ما بين السماء والأرض، والجمع أهوية وكل خال هواء اهـ.

قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ مفعول ثان لأنذر على حذف المضاف أي أنذرهم أهواله وعظائمه فهو مفعول به لا مفعول فيه. إذ لا إنذار في ذلك اليوم، وإنما الإنذار يقع في الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه إظهار في مقام الإضمار، وقوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: أخر العذاب عنا وردنا إلى الدنيا، وأمهلنا إلى حد من الزمان قريب اهـ بيضاوي.

وعبارته أصرح من عبارة الشارح، وقوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي مدة من الزمان نستدرك فيها ما فاتنا اهـ.

وقوله: ﴿نَجِبَ دَعْوَتَكَ﴾ جواب الأمر اهـ.

قوله: (فيقال لهم) أي من قبل الله أو الملائكة. وعبارة أبي السعود: هذا على إضمار القول معطوف على فيقول، أي فيقال لهم توبيخاً وتبكيثاً: ألم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا أقسمتم إذ ذاك اهـ.

أَقْسَمْتُمْ ﴿حَلَفْتُمْ﴾ مِّن قَبْلُ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ مَالَكُمْ مِّن زَائِدَةٍ ﴿زَوَالٍ﴾ ﴿عَنِهَا إِلَى الْآخِرَةِ﴾
 ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ فِيهَا ﴿فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِالْكَفْرِ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمْ﴾
 كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴿مِنَ الْعُقُوبَةِ﴾ فَلَمْ تَنْزَجِرُوا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بَيْنَا ﴿لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ فَلَمْ
 تَعْتَبِرُوا ﴿وَقَدْ مَكَّرُوا﴾ بِالنَّبِيِّ ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حَيْثُ أَرَادُوا قَتْلَهُ أَوْ تَقْيِيدَهُ أَوْ إِخْرَاجَهُ ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ﴾
 مَكْرُهُمْ ﴿أَيَّ عِلْمِهِ أَوْ جَزَائِهِ﴾ ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿كَانَ مَكْرَهُمْ﴾ وَإِنْ عَظُمَ ﴿لَيَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾
 الْمَعْنَى لَا يَعْأُ بِهِ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَالْمَرَادُ بِالْجِبَالِ هُنَا قِيلَ حَقِيقَتُهَا وَقِيلَ شُرَائِعُ الْإِسْلَامِ
 الْمَشْبَهَةُ بِهَا فِي الْقَرَارِ وَالثَّبَاتِ وَفِي قِرَاءَةِ بَفَتْحِ لَامٍ لَتَرْوُلَ وَرَفَعَ الْفِعْلَ فَإِنْ مَخْفَفَةٌ وَالْمَرَادُ تَعْظِيمُ

والاستفهام تقريرى، وعبرة الشهاب: أي فيقال لهم أطلبتهم الآن هذا ولم تطلبوه إذ أقسمتم،
 والقاتل هو الله أو الملائكة اهـ.

قوله: (حلفتكم) كما حكى الله عنهم بقوله في سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ﴾
 اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ ﴿[النحل: ٣٨] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ جواب القسم، وإنما جاء بلفظ لقوله ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾، ولو جاء بلفظ
 المقسمين لقل ما لنا اهـ سمين.

قوله: ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ معطوف على أقسمتم. قوله: ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمْ﴾ فاعله محذوف أي حالهم
 وقوله: (كيف) معمول لفعلنا بهم، وقول الشارح (من العقوبة) تفسير لكيف، ولا يصح أن تكون كيف
 فاعلاً بالفعل الذي قبلها، لأن الاستفهام له الصدارة اهـ شيخنا.

وعبرة السمين: قوله: ﴿وَبَيَّنَّا لَكُمْ﴾ فاعله مضمرة لدلالة الكلام عليه أي: حالهم وخبرهم
 وهلاكهم، وكيف نصب بفعلنا وجملة الاستفهام ليست معطوفة لتبين، لأنه من الأفعال التي لا تعلق،
 ولا جائز أن يكون كيف فاعلاً لأنها إما شرطية أو استفهامية، وكلاهما لا يعمل فيه ما تقدمه. وقال
 بعض الكوفيين: إن جملة كيف فعلنا بهم هو الفاعل، وهم يجيزون أن تكون الجملة فاعلاً، وقد تقدم
 هذا قريباً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجَنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] اهـ.

قوله: ﴿وَقَدْ مَكَّرُوا﴾ أي أهل مكة، وقوله: ﴿مَكْرَهُمْ﴾ مضاف لفاعله، وكذا يقال فيما بعده.
 قوله: (حيث أرادوا قتله الخ) كما ذكر في سورة الأنفال بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال:
 ٣٠] الخ وقوله: (أو تقييده) أي حبسه. قوله: ﴿لَتَرْوُلَ﴾ اللام لام الجحود، والفعل منصوب بأن
 مضمرة وجوباً بعدها اهـ.

قوله: (لا يعبأ به) في المختار: وما عبأ به أي: ما بالى به وبابه قطع اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة، وقوله: (فإن مخففة) أي: واللام الداخلة على الفعل هي اللام
 الفارقة التي هي لام الابتداء، وقوله والمراد الخ أي على هذه القراءة الثانية اهـ شيخنا.

قوله: (وقيل المراد الخ) مقابل لقوله سابقاً حيث أرادوا قتله الخ، وقوله: (ويناسبه الخ) أي:

مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُ الْجِبَالُ هَدًا﴾ وعلى الأول ما قرئ وما كان ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدْوَاهُ رُشْلَةٌ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُرِّيَّتًا﴾ ﴿مَنْ عَصَاهُ أَدْرَكَ﴾ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ

القبيل المذكور على الثانية أي: على القراءة الثانية، وهي قراءة الإثبات، وقوله: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي يتشقق منه أي: من قولهم المذكور في تلك الآية المحكي بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [الأنبياء: ٢٦] ووجه المناسبة إثبات الزوال للجبال في المحلين، وقوله: (وعلى الأول) أي التفسير الأول للمكر، وفي نسخة وعلى الأولى أي القراءة الأولى، وهي كسر اللام الأولى، وفتح الثانية التي هي قراءة نصب الفعل، وقوله (ما قرئ) أي الذي قرئ، وقوله: (وما كان بدل منه)، وهذه القراءة شاذة أي قرئ شاذاً وما كان مكرهم الخ، وهذا القراءة تناسب قراءة نصب السابقة اهـ شيخنا.

لكن قوله: (وعلى الأول الخ) لا يتقيد بالقيد الثاني وفي تفسير المكر، بل قراءة وما كان تناسب قراءة إن على أنها نافية من حيث النفي في كل سواء فسر المكر بكفرهم أو بتدبيرهم الذي اجتمعوا له في دار الندوة اهـ.

قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ الخ تفريع على ولا تحسبن الله الخ، فكأنه قيل: وإذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقيه من الشدائد، وبما يسألونه من الرد إلى الدنيا، وبما أجبناهم به وقرعناهم به من عدم تأملهم في أحوال من سبقهم من الأمم الذين أهلكتناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم بإهلاكهم، فدم أنت على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلافتنا رسلنا وعدنا اهـ أبو السعود.

ومخلف مفعول ثانٍ لتحسب، ووعدته مفعول ثانٍ لمخلف قدم على الأول، والأصل مخلف رسله وعده فقدم الثاني إيذاناً بأنه لا يخلف الوعد أصلاً اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿مخلف وعده﴾ العامة على إضافة مخلف إلى وعده، وفيها وجهان، أظهرهما: أن مخلف يتعدى لاثنتين كفعله، فقدم المفعول الثاني، وأضيف إليه اسم الفاعل تخفيفاً. والثاني: أنه متعد لواحد وهو وعده، وأما رسله فمتصوب بالمصدر فإنه ينحل بحرف مصدري وفعل تقديره مخلف ما وعد رسله، فما مصدرية لا بمعنى الذي، وقراءة جماعة مخلف وعده رسله بنصب وعده وجر رسله فصلاً بالمفعول بين المتضايين وهي كقراءة ابن عمر قتل أولادهم شركائهم اهـ.

قوله: (اذكر) ﴿يَوْمَ﴾ أي اذكر يا محمد لقومك المنكرين للبعث يوم تبدل الخ. أي اذكر لهم ما يقع فيه لعلهم ينزجرون، وقوله: ﴿تَبْدِلُ الْأَرْضُ﴾ أي هذه الأرض المشاهدة، وقوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ معطوف على الأرض أي وتبدل هذه السماوات بغيرها، وفي الآية حذف أي: وتبدل السماوات غير السماوات لدلالة ما قبله عليه وتقديم تبديل الأرض لقربها هنا، ولكون تبديلها أعظم أثراً بالنسبة إلينا اهـ من الكرخي.

وفي هذا التبديل قولان للمفسرين، أحدهما: أنه تبديل ذاتهما فتبدل هذه الأرض بأرض بيضاء نقية كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يقع فيها خطيئة. هكذا نقل الخازن هذا القول، فتعلم منه أن الجلال قد جرى عليه حيث قال نقية، ولفظ نقية لم يذكر إلا في هذا القول، وقد علمت أن المراد نقية من

غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴿٤٨﴾ هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث

المعاصي، وحينئذ فينتجه سؤال الصديقة له ﷺ بقولها: أي الناس يومئذ لأنه إذا كان التبديل لذات الأرض فيسأل عن مقر الخلق وقت ذهاب ذاتها الأولى، وتبديل السموات على هذا القول هو تبديلها بسموات من ذهب. والقول الثاني: أن المراد تبديل صفتيهما مع بقاء ذاتيهما فتغير صفة الأرض بأن تندك جبالها، وتسوى وهداتها وأوديتها، وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها، فلا يبقى عليها شيء إلا ذهب، وتغير صفة السموات بأن تتناثر كواكبها، وتكسف شمسها، ويخسف قمرها اهـ من الخازن.

وبه تعلم أن الشارح جار على القول الأول فقط، وليس فيه إشارة إلى القولين. وعبرة القرطبي: يوم تبدل الأرض غير الأرض. غير نعت لمحدوف، والتقدير أرضاً غير الأرض واختلف في كيفية تبديل الأرض، فقال كثير من الناس: إن تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها، ومد أرضها رواه ابن مسعود رضي الله عنه خروجه ابن ماجة.

وذكره ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال: حدثني ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وزيد في سعتها كذا وكذا، وذكر الحديث.

وروي مرفوعاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تبدل الأرض غير الأرض يبسطها ويمدها مد الأديم لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يوم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في الثانية في مثل مواضعهم من الأولى ظهرها وبطنها» ذكره القنوي. وتبديل السموات تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها قاله ابن عباس. وقيل: اختلاف أحوالها فمرة كالمهل، ومرة كالدهان حكاه ابن الأنباري. وقد ذكرنا هذا الباب مبيناً في التذكرة، وذكرنا ما للعلماء في ذلك، وأن الصحيح إزالة عين هذه الأرض حسبما ثبت عن النبي ﷺ، فقد جاءه خبر من أحناف اليهود فقال: السلام عليك يا محمد وذكر الحديث، وفيه فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون المحشر» وذكر الحديث.

وخرج عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط» خروجه ابن ماجة بإسناد مسلم هذا.

وخرجه الترمذي عن عائشة، وأنها هي السائلة قال: هذا حديث حسن صحيح، فهذه الأحاديث تنص على أن السموات والأرض تبدل وتزال، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر.

وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد». وقال حاتم: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ قال: تبدل الأرض خبزاً يأكل منها الخلق يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]. وقال ابن مسعود: إنها تبدل

بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة، وقال ابن عباس: بأرض من فضة بيضاء، وقال علي رضي الله عنه: تبدل الأرض يومئذ من فضة والسماء من ذهب، وهذا تبديل للعين اهـ.
وعبارته في التذكرة بعد ما ذكر هذه الأحاديث التي ذكرها هنا نصها.

فصل

هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل وتزال، ويخلق الله أرضاً أخرى تكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس إن تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية أكامها ونسف جبالها ومد أرضها. ثم قال: وذكر أبو الحسن شبيب بن أهيم بن حيدرة في كتاب الإفصاح أنه لا تعارض بين هذه الآثار، وأن الأرض والسموات تبدلان كرتين. أحدهما هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق، فتنتثر أولاً كواكبها وتكسف شمسها وقمرها وتصير كالمهل، ثم تكشف عن رؤوسهم، ثم تسير الجبال، ثم تموج الأرض، ثم تصير البحار نيراناً، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر، فتصير الهيئة غير الهيئة والبنية غير البنية، فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض وبدلت السماء سماء أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] وبدلت الأرض أي مدت مد الأديم العكاظمي، وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر على ظهرها وفي بطنها، وتبدل أيضاً تبديلاً ثانياً، وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الأرض التي يقال لها الساهرة يحاسبون عليها. وهي أرض عفراء وهي البيضاء من فضة لم يسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط وهو لا يسع جميع الخلق، وإن كان قد روي أن مسافته ألف سنة صعوداً، وألف سنة هبوطاً، وألف سنة استواء، ولكن الخلق أكثر من ذلك، فيقوم من فضل على الصراط على متن جهنم وهي كإهالة جامدة وهي الأرض التي قال عبد الله أنها أرض من نار يعرق فيها البشر، فإذا حوسب الناس عليها أعني الأرض المسماة بالساهرة، وجاوزا الصراط وحصل أهل الجنان من وراء الصراط في الجنان، وأهل النيران في النار، وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون بدلت الأرض كقرصة النقي فأكلوا من تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة أي قرصاً واحداً يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة. وإدامهم زيادة كبد ثور الجنة وزيادة كبد النون اهـ.

ثم رأيت له في موضع آخر من التذكرة ما يقتضي أن الخلائق وقت تبديل الأرض يكونون في أيدي الملائكة رافعين لهم عنها ونصه: وذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة عن ابن عباس والضحاك فقال: إن الخلائق إذا جمعوا في صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جلّ جلاله بملائكة السماء الدنيا أن يتولّوهم فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين إنساً وجناً ووحشاً وطيراً، وحولوهم إلى الأرض الثانية أي التي تبدل وهي أرض بيضاء من فضة نورانية، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات، ثم إن الله تعالى يأمر بملائكة السماء الثانية فيحذقون بهم حلقة واحدة، وإذا هم مثلهم عشرون مرة، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة، فإذا هم مثلهم ثلاثون ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء

الصحيحين، وروى مسلم حديث «سئل النبي ﷺ أين الناس يومئذ؟ قال: على الصراط» ﴿وَبَرَزُوا﴾ خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾ ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد تبصر ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود والأغلال

الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فيكونون أكثر منهم بأربعين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فيكونون مثلهم خمسون مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة، وهم مثلهم ستون مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مثلهم سبعون مرة، والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام، ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان، وإلى الصدور، وإلى الحقوين، وإلى الركبتين، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام، ومنهم من يصيبه البلة بكسر الموحدة وتشديد اللام كالعاطش إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق، وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مد أحدهم يده لنا لها وتضاعف حرها سبعين مرة قال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيتها يوم القيامة لاحتقرت الأرض وذاب الصخر ونشفت الأنهار، فبينما الخلائق يمجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله حيث يقول ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ الخ اهـ.

فتحصل من مجموع كلامه أن تبديل هذه الأرض بأرض أخرى من فضة يكون قبل الصراط، وتكون الخلائق إذ ذاك مرفوعة في أيدي الملائكة، وأن تبديل الأرض بأرض من خبز يكون بعد الصراط، وتكون الخلائق إذ ذاك على الصراط، وهذه الأرض خاصة بالمؤمنين عند دخولهم الجنة تأمل. وقوله: فيما تقدم وأدامهم زيادة كبد ثور الجنة الخ. ذكر في موضع آخر من التذكرة ما نصه: وإدامهم يومئذ ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً، وهذا الثور هو الذي كان يأكل من أطراف الجنة ينحر لهم يومئذ، وزيادة كبد الحوت قطعة منه كالأصبع. عن كعب الأحبار قال: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها: إن لكل ضيف جزوراً وإني أعطيتكم اليوم حوتاً وثوراً فيجزران لأهل الجنة تأمل: قوله: (أين الناس يومئذ) أي يوم تبدل الأرض. قوله: ﴿وَبَرَزُوا﴾ معطوف على تبدل، فهو بمعنى المضارع أي: واذكر يوم يبرز الخلائق جميعاً من القبور ليستوفوا جزاء أعمالهم هذه هي علة الخروج كما سيأتي في الشرح أن قوله ﴿ليجزي﴾ الخ متعلق ببرزوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وترى المجرمين﴾ معطوف على تبدل، وقوله: ﴿مقرنين﴾ حال، وقوله: ﴿سرايلهم﴾ حال ثانية، وقوله: وتغشى معطوف على الحال. قوله: (مشدودين مع شياطينهم) عبارة البضاوي: قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والأعمال، كقوله: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ [التكوير: ٧] أو قرنوا مع الشياطين، أو مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة، أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال، وهو يحتمل أن يكون تمثيلاً لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم اهـ.

قوله: ﴿في الأصفاذ﴾ جمع صدف بفتحتيْن وهو القيد، والأغلال جمع غل بضم الغين وهو طوق من حديد اهـ شيخنا.

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ قمصهم ﴿مِنْ قَطْرَانٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَقَشَّى﴾ تعلقو ﴿وَجُوهَهُمْ﴾ ﴿النَّارُ﴾ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق ببرزوا ﴿اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ أي أنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ وَلِيَعْلَمُوا ﴿بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَجَجِ﴾ ﴿أَمَّا هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلَهُ وَحْدٌ وَلِذْكَرٌ﴾ يادغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول .

وفي الأصفاد متعلق بمقرنين: وقيل: بمحذوف على أنه حال أو صفة لمقرنين، والمقرن من جمع في القرن وهو الحبل الذي يربط به . وفي التفسير: أن كل كافر يقرن مع شيطانه في سلسلة، والأصفاد جمع صفد وهو الغل والقيد يقال: صفده يصفده صفداً من باب ضرب قيده، والاسم الصفد وصفده مشدد للتكثير اهـ سمين .

قوله: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ المراد أنه تطلّى جلودهم حتى يكون الطلاء كالقميص، وذلك ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه نتن ريحه وإسراع النار في جلودهم اهـ بياضوي .

وفي السمين: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال إما من المجرمين، وإما من المقرنين، وإما من ضميره، ويجوز أن تكون مستأنفة وهو الظاهر، والسراويل الثياب، وسربلته: أي ألبسته السربال . والقطران ما يستخرج من شجر فيطبخ ويطلّى به الإبل الجرب ليذهب جربها لحدته وفيه لغات: قطران بفتح القاف وكسر الطاء وهي قراءة العامة، وقطران بزنة سكران، وبها قرأ عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقطران بكسر القاف وسكون الطاء بزنة سرحان، ولم يقرأ بها فيما علمت، وقرأ جماعة من قطر بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء آن بوزن عان وجعلوها كلمتين، والقطر النحاس . والآني اسم فاعل من أنى يأتي أي تناهي في الحرارة، كقوله: ﴿وبين حميم آن﴾ [الرحمن: ٤٤] وعن عمر رضي الله عنه ليس بالقطران ولكنه النحاس اهـ .

قوله: (لاشتعال النار) اللام بمعنى في أي أبلغ في اشتعالها .

قوله: ﴿وتغشى وجوههم﴾ أي وقلوبهم أيضاً اهـ بياضوي .

قوله: (متعلق ببرزوا) أي والجمل التي بينهما اعتراض كما في السمين . قوله: (في قدر نصف نهار الخ) أي فلا يشغله حساب عن حساب اهـ .

قوله: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ الخ فيه من المحسنات رد العجز على الصدر، فقد افتتحت هذه السورة بقوله: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١] الخ اهـ شيخنا .

قوله: (أي أنزل لتبليغهم) أي إلى ما فيه رشدهم ونفعهم . أي: أنزل لايصالهم للخير، وقوله: ﴿ولينذروا به﴾ معطوف على ما يفهم من المعنى، وهو ما ذكره الشارح بقوله (لتبليغهم) اهـ شيخنا .

ومحصل صنيعة أن البلاغ مصدر بمعنى اسم الفاعل أي: هذا مبلغ وموصل للناس إلى مراتب السعادة اهـ .

قوله: (بما فيه من الحجج) الباء سببية اهـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون

﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن والإضافة بمعنى من ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة ﴿رُبَّمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿يُودُّ﴾ يتمنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيأتي في الشارح أن الحجر واد بين المدينة والشام، وقوله: (تسع وتسعون آية) أي إجماعاً، وقوله (مكية) أي إجماعاً أيضاً أهـ من الخازن.

قوله: (هذه الآيات) أي آيات هذه السورة. قوله: (عطف) أي للتغاير اللفظي أي: إنما ساغ العطف، وإن كان المراد من الكتاب والقرآن واحداً لأجل التعدد في الاسم وقوله: (بزيادة) صفة أي مع زيادة صفة وهي مبين أهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: وتكثير القرآن للتفخيم، وكذا تعريف الكتاب أهـ.

وفيه إشارة إلى التغاير بين المتعاطفين، وانهما مقصودان بالذات، فلذا عطف أحدهما على الآخر فالمقصود الوصفان أهـ شهاب.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) سبعيتان.

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بهذا الكتاب والقرآن فهذا مرتبط بما قبله أهـ. وقوله: (يوم القيامة) ظرف ليود. قوله: ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ لو مصدرية والتعبير عن متمنهم بالغيبة نظراً للإخبار عنهم ولو نظر لصدوره منهم لقليل لو كنا أهـ زاده.

وفي السمين: قوله: ﴿لَوْ كَانُوا﴾ يجوز في لو وجهان، أحدهما: أن تكون الامتناعية وحينئذ يكون جوابها محذوفاً تقديره لو كانوا مسلمين لسروا بذلك، أو تخلصوا مما هم فيه، ومفعول يود محذوف على هذا التقدير أي: ربما يود الذين كفروا النجاة دل عليه الجملة الامتناعية. والثاني: أنها مصدرية عند من يرى ذلك، كما تقدم تقديره وحينئذ يكون هذا المصدر المؤول هو المفعول للودادة أي: يودون كونهم مسلمين إن جعلناها كافة، وإن جعلناها نكرة كانت لو وما في حيزها بدلاً من ما أهـ.

كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ورب للتكثير فإنه يكثر منهم تمنى ذلك، وقيل للتقليل فإن الأحوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة ﴿ذَرَهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَرَتَمَتُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيَلْهَمُ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ زَائِدَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا

قوله: (ورب) أي التي هي حرف جر في الأصل، وقد كفت عن الجر هنا بدخول ما الزائدة المهيئة لها للدخول على الأفعال، لكنها إذا كفت بها لا تدخل إلا على الماضي، والمسوغ لذلك أن هذا المضارع بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع من حيث إنه من أخبار الله، وهي صدق لا تتخلف، وقوله: (للتكثير) أي: بالنظر للمرات من التمني فلا ينافي القيل الآخر، لأنها للتقليل من حيث أزمان الإفاقة أي: فأزمان إفاقتهم قليلة بالنسبة لأزمان الدهشة وهذا لا ينافي أن التمني يقع كثيراً في تلك الأزمان القليلة بالنسبة لأزمان الدهشة فلا تخالف بين القولين اهـ شيخنا.

وفي السمين: وما في ربما تحتمل وجهين، أحدهما: أنها المهيئة بمعنى أن رب مختصة بالأسماء، فلما جاءت ما هيأت دخولها على الأفعال. والثاني: أن ما نكرة موصوفة بالجملة الواقعة بعدها، والعائد على ما محذوف تقديره رب شيء يوده الذين كفروا اهـ.

قوله: (تدهشهم) في المختار: دهش الرجل تحير وبابه طرب، ودهش أيضاً على ما لم يسم فاعله فهو مدهوش وأدهشه الله اهـ.

قوله: ﴿ذَرَهُمْ﴾ هذا الأمر لا يستعمل له ماضٍ إلا قليلاً استغناء عنه بترك، بل يستعمل منه المضارع نحو ونذرهم في طغيانهم ومن مجيء الماضي قوله ﷺ: «ذروا الحبشة ما وذرتكم»، ويأكلوا مجزوم على جواب الأمر، وقد تقدم أن ترك ووذر يكونان بمعنى صير، فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفاً أي: ذرهم مهملين، ولا يصح أن يكون يأكلوا هو الثاني ولا حالاً إذ كان يجب رفعه اهـ سمين.

قوله: (اترك الكفار) أي كفار مكة. قوله: ﴿يَأْكُلُوا﴾ مجزوم بحذف النون في جواب الأمر، وكذا يتمتعوا، وأما يلهمهم، فكذا ذلك لكن بحذف الياء لأنه معتل ومسند للمفرد وهو الأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَيَلْهَمُ﴾ الهاء الأولى من بنية الفعل، والثانية مفعول به، والقراءات هنا ثلاث: كسر الهاء الثانية والميم وضمهما، وكسر الهاء، وضم الميم. وأما الهاء الأولى فمكسورة لا غير اهـ شيخنا وقوله: (يشغلهم) من باب قطع. قوله: (بطول العمر) الباء بمعنى اللام كما عبر بها غيره، وعبرة أبي السعد: ويلهمهم الأمل والتوقع لطول الأعمال وبلوغ الأوطار واستقامة الأحوال اهـ.

وفي المصباح: أملته أملاً من باب طلب ترقبته، وأكثر ما يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله اهـ.

قوله: (وهذا) أي قوله ﴿ذَرَهُمْ﴾ الخ. فهذه الآية منسوخة بآية القتال اهـ.

قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ الخ لما هدد المكذبين المعاندين بقوله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بيّن هنا

وَلَهَا كِتَابٌ ﴿١﴾ أَجَلٌ ﴿٢﴾ مَعْلُومٌ ﴿٣﴾ مَحْدُودٌ لِأَهْلَاقِهَا ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ ﴿٥﴾ زَائِدَةٍ ﴿٦﴾ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٧﴾ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ ﴿٨﴾ وَقَالُوا ﴿٩﴾ أَيُّ كَفَّارٍ مِثْلُ هَٰذَا لِلَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ ﴿١٠﴾ الْقُرْآنَ

أن تأخير العذاب ليس مبنياً على الإهمال، بل إنما أمهلهم ليلبغوا الأجل المقدر لتعذيبهم، فقال: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿من﴾ زائدة أي في المفعول. قوله: (أريد أهلها) أي أريد بها أهلها فالمجاز في الظرف، ويصح أن يكون بالحذف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا ولها كتاب معلوم﴾ الجملة الحالية، والمعنى وما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا في حال أن يكون لها كتاب أي أجل مؤقت لها كما هو أبو السعود.

ثم قال: أو الجملة صفة، لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار، فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة أي: ما أهلكنا قرية من القرى إلا قرية لها كتاب معلوم، فليس فيه فصل بين الصفة والموصوف إلا كما توهم اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ فيه أوجه، أحدها: وهو الظاهر أنها واو الحال ثم لك اعتباران أحدهما: أن تجعل الحال وحدها الجار والمجرور ويرتفع كتاب به فاعلاً، والثاني أن يجعل الجار خبراً مقدماً وكتاب مبتدأ حال لازمة. الوجه الثاني: أن الواو مزيدة وهذا يتقوى بقراءة ابن أبي عبله إلا لها بإسقاطها، والزيادة ليست بالسهلة. الثالث: أن الواو داخلية على الجملة الواقعة صفة تأكيداً. قال الزمخشري: والجملة واقعة صفة لقرية، والقياس أن لا تتوسط هذه الواو بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ [الشعراء: ٢٠٨] وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما تقول: جاءني زيد عليه ثوبه، وجاءني وعليه ثوبه.

قوله: ﴿من أمة﴾ فاعل تسبق ومن مزيدة للتأكيد وحمل على لفظ أمة في قوله ﴿أجلها﴾، فأفرد وأنت وعلى معناها في قوله ﴿وما يستأخرون﴾ فجمع وذكر وحذف متعلق يستأخرون تقديره عنه للدلالة عليه ولوقوعه فاصلة اهـ سمين. والسين في يستأخرون زائدة كما أشار له الشارح.

قوله: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ نادوا به النبي ﷺ على التهكم. ألا ترى إلا ما نادوه له وهو قولهم: إنك لمجنون، ونظير ذلك قول فرعون: ﴿إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧] والمعنى إنك لتقول قول المجانين حتى تدعي أن الله تعالى نزل عليك الذكر أي: القرآن اهـ بياضوي.

وفي الكرخي: قوله: (في زعمه) أشار به إلى أن في الآية حذفاً أي يا أيها الذي تدعي أنك نزل عليك الذكر، وأشار به إلى جواب كيف وصفوه بالمجنون مع قولهم نزل عليه الذكر أي: القرآن المستلزم ذلك لاعترافهم بنبوته، أو إنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية لا اعتراًفاً، كما قال فرعون لقومه: ﴿إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧] اهـ.

والحاصل أنهم قالوا مقاليتين تعنتاً الأولى: ﴿يا أيها الذي﴾ الخ، والثانية: ﴿لو ما تأتينا﴾ الخ،

في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿لَوْ مَا﴾ هلا ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٢﴾ في قولك إنك نبي هذا القرآن من عند الله، قال تعالى ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿الْمَلَكَةِ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

وقد رد الله عليهم المقالتين على سبيل اللف والنشر والمشوش، فقوله: ﴿ما نزل﴾ الخ رد للثانية، وقوله ﴿إنا نحن﴾ الخ رد للأولى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نزل عليه الذكر﴾ العامة على نزل مشدداً مبنياً للمفعول، وقرأ زيد بن علي نزل شيئاً مبنياً للفاعل اهـ سمين.

قوله: (في زعمه) أي لأنهم لا يعتقدون نزوله عليه إنما هو بحسب زعمه على اعتقادهم الفاسد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لو ما تأتينا﴾ الخ لو ما حرف تحضيض كهلا، وتكون أيضاً حرف امتناع لوجود، وذلك كما أن لولا مترددة بين هذين المعنيين، وقد عرف الفرق بينهما، وهو أن التحضيضية لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمرأ والامتناعية لا يليها إلا الأسماء لفظاً وتقديراً عند البصريين، واختلف فيها هل هي بسيطة أم مركبة، فقال الزمخشري: لو ركبت تارة مع لا وتارة مع ما لمعنيين، وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتحضيض. واختلف أيضاً في لو ما هل هي أصل بنفسها أو فرع من لولا، وإن الميم مبدلة من اللام اهـ سمين.

قوله: (هلا) ﴿تأتينا الملائكة﴾ أي لتخبرنا بصدقك. قوله: (قال تعالى) أي رداً عليهم في المقالتين، وأشار بهذا إلى أن آخر كلامهم ﴿إن كنت من الصادقين﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما تنزل الملائكة﴾ قرأ أبو بكر ما تنزل التاء وفتح النون والزاي المشددة مبنياً للمفعول الملائكة مرفوع لقيامه مقام فاعله، وهو موافق لقوله: ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥]، ولأنها لا تنزل بضم إلا بأمر الله تعالى فغيرها هو المنزل لها وهو الله تعالى. وقرأ الأخوان وحفص ما تنزل بنونين متواليتين، الأولى منهما: مضمومة. والثانية: مفتوحة وكسر الزاي المشددة مبنياً للفاعل المعظم نفسه، وهو الباري تعالى، والملائكة نصباً مفعولاً به، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ [الأنعام: ١١١] ويناسب قوله قبل ذلك: ﴿وأهلكنا﴾ وقوله بعده: ﴿إنا نحن نزلنا﴾ وما بعده من ألفاظ التعظيم، والباقون من السبعة ما تنزل بفتح التاء والنون والزاي المشددة، والملائكة مرفوعة على الفاعلية، والأصل تنتزل بتاءين فحذفت إحداهما وهو موافق لقوله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ [القدر: ٤]، وقرأ زيد بن علي ما تنزل الملائكة مبنياً للفاعل، والملائكة مرفوعة على الفاعلية، وهو كقوله: ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء: ١٩٣] اهـ سمين.

قوله: (إلا بالحق) أي إلا تنزلاً ملتبساً بالحق أي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قوله: ﴿إلا بالحق﴾ يجوز تعلقه بالفعل قبله أو بمحذوف على أنه حال من الفاعل أو المفعول أي ملتبس بالحق، وجعله الزمخشري نعتاً لمصدر محذوف أي إلا تنزلاً ملتبساً بالحق اهـ.

بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾ أي حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم إن، أو فصل ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شَيْعٍ﴾ فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ﴾

قوله: أيضاً: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لا بما قلتم واقترحتم من اخبارها لكم بصدقه، وقوله: (بالعذاب) أي بعذابكم اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (بالعذاب) أي أو بالحكمة، ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً تشاهدونها وتشهد لكم بصدق النبي ﷺ، لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [الاحقاف: ٣] ولا حكمة أيضاً في معالجتكم بالعقوبة، فإن منكم من ذراريكم من سبقت كلمتنا بالإيمان، وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ أي: لو أنزلت عليهم الملائكة بالعذاب لم ينظروا ولم يؤخروا ساعة، وإذا حرف جواب وجزاء لأنه جواب لهم وجزاء الشرط سقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم. قال صاحب النظم: إذا مركبة من إذ وأن وهي اسم بمنزلة حين تقول أتيتك إذ جئتني أي حين جئتني، ثم ضم إليها أن فصار إذ إن ثم استقلوا الهزمة فحذفوها، فصار إذن، ومجيء لفظة أن دليل على إضمار فعل بعدها. والتقدير: وما كانوا إذ كان ما طلبوا اهـ.

قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي وليس إنزاله عليك بزعمك كما اعتقدوا أنه مختلق من عنده اهـ شيخنا.

قوله: (تأكيد) أي لفظ نحن تأكيد لاسم إن أو فصل أي ضمير فصل، وفيه أن ضمير الفصل لا يكون إلا بين اسمين لا بين اسم وفعل كما هنا، وفيه أيضاً أن ضمير الفصل لم يعهد إلا ضمير غيبة اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (أو فصل) هو خلاف قول جمهور النحاة، لأن شرط ضمير الفصل عندهم أن يقع بعد مبتدأ، أو ما أصله المبتدأ، وجوز الجرجاني وقوعه قبل فعل، فلعل الشيخ المصنف تبعه اهـ.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ بخلاف سائر الكتب المنزلة، فقد دخل فيها التحريف والتبديل بخلاف القرآن، فإنه محفوظ من ذلك لا يقدر أحد من جميع الخلق الإنس والجن أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة، وفي كيفية حفظه خلاف. قال بعضهم: حفظه الله بأن جعله معجزاً مبيناً لكلام البشر، فعجز الخلق عن الزيادة والنقصان فيه لأنهم لو فعلوا زيادة أو نقصاً لظهر ذلك لكل عاقل، فلم يقدر أحد على ذلك. وقال بعضهم: أعجز الله الخلق عن إبطاله بوجه من الوجوه، فقيض الله العلماء لحفظه والذب عنه إلى آخر الدهر اهـ خازن.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ الخ لما أسأؤوا في الأدب وخاطبوه عليه السلام خطاب السفاهة حيث قالوا له إنك لمجنون سلاه الله وقال: إن عادة الجهال مع الأنبياء كانت هكذا، وكانوا يصبرون على أذى الجهال ويستمرون على الدعوة والإنذار، فاقتد بهم أنت في ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم

قبلك ﴿أي رسلاً إلا أنه لم يذكر الرسل لدلالة الإرسال عليه اهـ زاده.

قوله: ﴿فِي شِيعِ الْأَوَّلِينَ﴾ نعت للمفعول المحذوف الذي قدره الشارح والإضافة من قبيل إضافة الموصوف لصفته، والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه إذا تبعه أي أصله الشيع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار، والمعنى نبأنا رجالاً فيهم وجعلناهم رسلاً فيما بينهم اهـ بياضوي.

وقوله: (من قبيل) إضافة الموصوف لصفته كقوله: ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] والأصل في الشيع الأولين، والبصريون يؤولون مثله على حذف المضاف إليه أي: في شيع الأمم الأولين اهـ زاده.

وفي المصباح: الشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة اسماً لجماعة مخصوصة، والجمع شيع مثل سدره وسدر والأشباع جمع الجمع اهـ.

قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ من زائدة في الفاعل، وفيه أن الإتيان قد مضى، فلذلك قدر الشارح كان لتدل على أن المعنى على المضى اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ قال الزمخشري: هذا حكاية حال ماضية، لأن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو في موضع الحال، ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال، وهذا الذي ذكره هو الأكثر في لسانهم، لكنه قد جاءت ما مقارنة للمضارع المراد به الاستقبال، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥] اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون حالاً من مفعول يأتيهم، ويجوز أن تكون صفة لرسول، فيكون في محلها وجهان: الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار الموضع، وإذا كانت حالاً فهي حال مقدرة اهـ.

قوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ الخ في المختار: السلك بالكسر الخيط وبالفتح مصدر سلك الشيء في الشيء، فانسلك أي أدخله فيه فدخل وبابه نصر. قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾. وأسلك لغة ولم يذكر في الأصل سلك الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل، وأظنه سهواً عن ذكره لأنه مما لا يترك قصداً اهـ.

قوله: (أي مثل ادخالنا التكذيب) أي المأخوذ من الاستهزاء.

قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾. في محل النصب على الحال، ويجوز أن لا يكون لها محل من الإعراب، لأنها بيان لقوله ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾ جملة مستأنفة اهـ سمين.

قوله: ﴿مِنْ تَعْذِيْبِهِمْ﴾ الخ بيان لسنة الأولين.

وهؤلاء مثلهم ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سدت ﴿أَبْصَرْنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ يخيل إلينا ذلك ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل، والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوث، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَرَبَّيْنَاهَا﴾ بالكواكب

قوله: ﴿ولو فتحنا عليهم﴾ أي على كفار مكة أي لهم. قوله: ﴿فظلوا فيه﴾ يقال ظل فلان يفعل كذا إذا فعله بالنهار. وفي هذا الضمير قولان، أحدهما: أنه للملائكة، والمعنى لو كشفنا عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بآياً في السماء مفتوحاً، والملائكة تصعد منه لما آمنوا. والقول الثاني: أنه للمشركين، والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون إلى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا، وللقالوا ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ أهد خازن.

قوله: ﴿إنما سكرت﴾ بالتخفيف والتشديد سبعيتان، فعلى التخفيف يقال سكرت النهر سكرأ من باب قتل سدده والسكر بالكسر ما يسد به أهد مصباح.

وقوله: (والتشديد) أي لأجل التكرير والمبالغة أهد زاده.

قوله: ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ أي سحر محمد عقولنا كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات، وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على البت بأن ما يروونه لا حقيقة له، بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر أهد بيضاوي.

وفي الكرخي: وإيضاح ذلك أنهم قالو كلمة إنما وهي تفيد الحصر في المذكور آخرأ، فيكون الحصر في الأبصار لا في التسكر، فكأنهم قالوا: سكرت أبصارنا لا عقولنا، ونحن وإن كنا نتخيل بأبصارنا هذه الأشياء، لكننا نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه أي لا حقيقة له، ثم قالوا: بل نحن كأنهم أضربوا عن الحصر في الأبصار، وقالوا: بل جاوز ذلك إلى عقولنا بسحر صنعه لنا أهد.

قوله: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾ جعلنا يجوز أن يكون بمعنى خلقنا، فيتعلق به الجار، وأن يكون بمعنى صيرنا فيكون مفعوله الأول بروجاً ومفعوله الثاني الجار فيتعلق بمحذوف أهد سمين.

قوله: ﴿بروجاً﴾ أي منازل ومحال وطرقاً تسير فيها الكواكب السبعة أهد شيخنا.

قوله: (وهي منازل الكواكب) أي محال نزولها وسيرها، وقوله: (المريخ) بكسر أوله، كما في المختار وهو كوكب في السماء الخامسة، وقوله: (والزهرة) بضم أوله وفتح ثانية، وقوله (وعطارد) بفتح العين ويمنع الصرف لصيغة منتهى الجموع، وقوله: (وزحل) يمنع الصرف للعلمية والعدل كعمر أهد شيخنا.

وفي القاموس: أن عطارد يصرف ويمنع من الصرف أهد.

﴿لِلنَّظِيرِ﴾ ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ﴿إِلَّا﴾ لکن ﴿مِنْ أَسْرَقَ أَسْعَ﴾ خطفه ﴿فَاتَّبَعُوا شَهَابٌ مُبِينٌ﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يثقبه أو يخبله ﴿وَالْأَرْضَ

قوله: ﴿لِلنَّظِيرِ﴾ أي بأبصارهم أو بصائرهم اهـ خازن.

وفي السمين والنظر عيني، وقيل قلبي وحذف متعلقه ليعم اهـ.

قوله: ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ (بالشهب) وذلك أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات فيدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، ولما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات أجمعها اهـ خازن.

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي من دخوله.

قوله: ﴿إِلَّا مِنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ﴾ أي من غير دخول، وهذا وجه الانقطاع والسمع بمعنى المسموع، وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا إلى السماء فيسترقوا السمع من الملائكة، وقوله: (خطفه) بفتح الخاء وكسر الطاء، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ خُطِفَ الْخُطْفَةُ﴾ [الصافات: ١٠١] وبابه فهم اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿إِلَّا﴾ لکن تبع في كون هذا الاستثناء منقطعاً أبا البقاء، والمعربون على أنه متصل، والتقدير إلا ما استرق السمع، فإنها لا تحفظ منه ومن في موضع نصب على القولين، وقال الحوفي: في موضع جر على البدل من كل شيطان ورد بأن ما قبل إلا موجب، والبدل لا يكون في الموجب.

وأجيب: بأن قوله ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ الخ في معنى النفي كقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤] وأجاز أبو البقاء أن تكون من في موضع رفع على الابتداء وفأتبعه الخبر وجاز دخول الفاء لأن من بمعنى الذي أو شرطية، وحينئذ يكون من باب الاستثناء المنقطع اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿إِلَّا مِنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ﴾ محله النصب على الاستثناء المتصل إن فسر الحفظ بمنع الشياطين من التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة، أو المنقطع إن فسر ذلك بالمنع من دخولها والتصرف فيها اهـ.

قوله: ﴿فَاتَّبَعُوا شَهَابٌ﴾ أي لحقه وتبعه. قوله: (كوكب يضيء) تفسير للشهاب كما في المختار، وأما المبين فمعناه البين الواضح الظاهر، وما جرى عليه الشارح أحد قولين للمفسرين، وهو أن الذي ينزل على الشيطان نفس الكوكب فيصبيه ثم يرجع مكانه، والقول الثاني: أن الشهاب الذي يصيب الشيطان شعلة نار تنفصل من الكوكب وتسميتها بالشهاب تجوز لانفصالها منه اهـ من الخازن.

وصنيع البيضاوي يقتضي أن الشهاب بمعنى الشعلة هو الحقيقة والكثير، وبمعنى الكوكب هو القليل: ونصه: والشهاب شعلة نار ساطعة، وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق اهـ.

والسنان طرف الرمح اهـ.

قوله: (يحرقه) بضم أوله وسكون ثانية وكسر ثالثة مخففاً، وبضم أوله وفتح ثانية وكسر ثالثة

مَدَدْنَاهَا ﴿بَسَطْنَاهَا﴾ ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبلاً ثوابت لثلاثاً تتحرك بأهلها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ ﴿مَعْلُومٌ مَقْدَرٌ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشًا﴾ بالياء من الثمار والحبوب ﴿وَوَجَعَلْنَا لَكُمْ مِّنْ لَّكُمْ لَكُمْ بِرَزْقَيْنَ﴾ ﴿مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَنْعَامِ فَإِنَّمَا يَرْزُقُهُمُ اللَّهُ﴾ ﴿وَلِئِنْ﴾ ما ﴿مِّنْ﴾ زائدة

مشدداً، وقوله: (أو يثقبه) أي ينفذ منه، وقوله: (أو يخبله) بفتح الأول وسكون الثاني وكسر الثالث مخففاً اهـ شيخنا.

وفي المصباح: خبلته خبلاً من باب ضرب فهو مخبول إذا أفسدت عضواً من أعضائه، أو أذهبت عقله، والخبال بفتح الخاء يطلق على الفساد والجنون اهـ.

قوله أيضاً: (يحرقه) أي فمنهم من يحرق أي يحرق وجهه أو جنبه أو يده، ومنهم من يثقبه، ومنهم من يخبله فيصير غولاً في الوادي يضل الناس اهـ خازن.

قوله: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا﴾ الأرض نصب على الاشتغال ولم يقرأ بغيره، لأنه أرجح من حيث العطف على جملة فعلية قبلها، وهي قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾. وقال الشيخ: ولما كانت هذه الجملة بعدها جملة فعلية كان النصب أرجح من الرفع. قلت: لم يعدوا هذا من القرائن المرجحة للنصب، وإنما عدّوا عطفها على جملة فعلية قبلها لا عطف جملة فعلية عليها، ولكنه القياس إذ يعطف فيه فعلية على مثلها بخلاف ما لو رفعت إذ يعطف فعلية على اسمية، لكنهم لم يعتبروا ذلك اهـ سمين.

قوله: (بسطناها) أي على الماء، وقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ أي جعلنا ووضعنا. وقوله: (جبلاً ثوابت) أي رواصي جمع راسية كما في المختار. قوله: (لثلاثاً تتحرك بأهلها) وذلك أن الله لما خلق الأرض على الماء ماجت واضطربت كالسفينة فأمسكها بالجبال اهـ شيخنا. قوله: ﴿مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يجوز من أن تكون تبعية وهو الصحيح وأن تكون مزيده عند الكوفيين والأخفش اهـ سمين.

قوله: (معلوم مقدر) أي عند الله فيعلم القدر الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم، فيكون إطلاق الوزن عليه مجازاً، لأن الناس لا يعرفون مقادير الأشياء إلا بالوزن اهـ خازن.

قوله: ﴿مَعَايِشٌ﴾ جمع معيشة وهي ما يعيش به الإنسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك اهـ خازن.

قوله: (بالياء) وذلك لأنها في المفرد أصلية، لأن مفردة معيشة من العيش، فالياء أصلية والمد في المفرد لا يقلب همزاً في الجمع إلا إذا كان زائداً في المفرد كما قال ابن مالك:

والمذزيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالفلائد اهـ شيخنا.

وهذا في قراءة الجمهور، وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل، وقد ذكر في الأعراف وهي شاذة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (أي من العبيد الخ) أي فأنتم تنتفعون بهذه الأشياء وخلقتم الفتوحات الإلهية/ج/٤م/١٢

﴿شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ على حسب المصالح ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ تلقح السحاب فيمتليء ماء ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿مَاءً﴾ مطراً

لمنافعكم ولستم برازقين لها، وإنما الرازق للجميع هو الله، وهذا في غاية الامتنان اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ومن لستم﴾ يجوز في من خمسة أوجه: أحدها: وهو قول الزجاج إنه منصوب بفعل مقدر تقديره وأغنيا من لستم له برازقين كالعبيد والدواب والوحوش. الثاني: أنه منصوب عطفاً على معاش أي: وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين من الدواب المنتفع بها. الثالث: أنه منصوب عطفاً على محل لكم. الرابع: أنه مجرور عطفاً على الكاف المجرورة باللام، وجاز ذلك من غير إعادة الجار على رأي الكوفيين وبعض البصريين، وقد تقدم تحقيقه في البقرة عند قوله: وكفر به والمسجد الحرام. الخامس: أنه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف أي: ﴿ومن لستم له برازقين﴾ جعلنا فيها معاش، وسمع من العرب ضربت زيدا وعمرو برفع عمرو مبتدأ محذوف الخبر أي وعمرو ضربته، ومن يجوز أن يراد بها العقلاء أي: ومن لستم له برازقين من مواليكم الذين تزعمون أنكم ترزقونهم وإن يراد بها غيرهم أي: من لستم له برازقين من الدواب، وإن كنتم تزعمون أنكم ترزقونهم، وإليه ذهب جماعة من المفسرين، ويجوز أن يراد بها النوعان وهو حسن لفظاً ومعنى اهـ.

قوله: (من العبيد) أي والخدم وغيرهم من كل من تظنون أنكم ترزقونه ظناً كاذباً فاسداً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من﴾ (زائدة) أي في المبتدأ وعندنا خبره وخزائنه فاعل به لاعتماده على النفي، ويجوز أن يكون عندنا خبراً لما بعده والجملة خبر الأول، والأول أولى لقرب الجار من المفرد، وذكر الخزائن تمثيل لكمال قدرته شبه قدرته على كل شيء بالخزائن المودوعة فيها الأشياء المعدة لإخراج كل شيء بحسب ما اقتضته حكمته تعالى، وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

والخزائن جمع خزانة وهي المكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ، والمراد مفاتيحها كما قال الشارح، والمراد أنه لا يتوصل إلى شيء منها إلا بإقذار الله وإعطائه اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قال ابن الخطيب: وتخصيص قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ بالمطر تحكم محض، لأن قوله ﴿وإن من شيء﴾ يتناول جميع الأشياء إلا ما خصه الدليل. وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر، وهو تأويل قوله ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ اهـ.

قوله: ﴿إلا بقدر معلوم﴾ يجوز أن يتعلق بالفعل قبله، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من المفعول أي إلا ملتبساً بقدر اهـ سمين.

قوله: ﴿وأرسلنا الرياح﴾ جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع المرور اهـ خطيب.

قوله: أيضاً ﴿لواقح﴾ أي حوامل، لأنها تحمل الماء إلى السحاب فهي ملقحة. يقال: ناقة ملقحة إذا حملت الولد، وقال ابن مسعود يرسل الله الريح فتحمل الماء فتمجه في السحاب، ثم تمر به

﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَا أُنْتَه لَكُمْ بِخَزَائِنِ﴾ أي ليست خزائنه بأيديكم ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون نرث جميع الخلق ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ أي من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ﴾ في

فندره كما تدر الملقحة ثم تمطره وقال أبو عبيد: يبعث الله الريح المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركاماً ثم يبعث اللواقح فتلقحه اه خطيب.

قال أبو بكر بن يعيش: لا تقطر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمل فيها الرياح الأربعة، فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمععه والجنوب تدره والدبور تفرقه اه خازن.

قوله: ﴿لواقح﴾ حال مقدرة من الرياح وفي اللواقح أقوال، أحدها: أنها جمع ملقح، لأنه من ألحق بملقح فهو ملقح فجمع ملقح فحذفت الميم تخفيفاً. يقال: ألحقت الريح السحاب كما يقال ألحق الفحل الأنثى وهذا قول أبي عبيدة. والثاني: أنها جمع لاقح يقال لاقحت الريح إذا حملت الماء، وقال الأزهرى: حوامل تحمل السحاب كقولك: ألحقت الناقة فلحقت إذا حملت الجنين في بطنها فشبهت الريح بها. الثالث: أنها جمع لاقح على النسب كلابن وتامر أي ذات لقاح قاله الفراء اه سمين.

وفي المختار: ألحق الفحل الناقة والريح السحاب، ورياح لواقح ولا تقل ملاقح وهو من النوادر اه.

وفي القاموس: وألحقت الرياح الشجر فهي لواقح وملاقح اه.

قوله: (تلحق السحاب) أي تمج الماء فيه. قوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أي جعلناه لكم سقياً أي معداً لسقي أنفسكم وأراضيكم ومواشيكم اه زاده.

قوله: ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ﴾ نحن يجوز أن يكون مبتدأ ونحیی خبره، والجملة خبر إنا. ويجوز أن يكون تأكيداً لنا في إنا، ولا يجوز أن يكون فصلاً لأنه لم يقع بين اسمين، وقد تقدم نظيره. وقال أبو البقاء: لا يكون فصلاً لوجهين، أحدهما: أن بعده فعلاً، والثاني: أنه معه اللام. قلت: الوجه الثاني غلط، فإن لام التوكيد لا يمتنع دخولها على الفصل كما نص على ذلك النحاة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ [آل عمران: ٦٢] فقد جوزوا فيه الفصل مع اقترانه باللام اه سمين.

قوله: (نرث جميع الخلق) أي فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل مالك، ويبقى جميع ملك المالكين لنا. والوارث: هو الباقي بعد ذهاب غيره، والله تعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين أمتعنهم في الدنيا بما آتاهم، فإذا أفنى جميع الخلائق رجع الذين كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز إلى ماله على الحقيقة وهو الله تعالى اه خازن.

يعني: أن الوارث من يخلف الميت في تملك تركته وهو مستحيل في حقه تعالى لأنه مالك للموجودات بأسرها أصالة لا خلافة، فوجب جعله مستعاراً لمعنى الباقي بعد فناء خلقه تشبيهاً له بوارث الميت في بقاءه بعد فناءه اه زاده.

صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ بخلقه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلَٰصِلٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ طين أسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ ﴿٢٦﴾ متغير ﴿وَالْجَانَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل خلق آدم ﴿مِنْ تَارٍ السَّمُومِ﴾ ﴿٢٧﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ في المسام ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ

قوله: ﴿من صلصال﴾ من: لا ابتداء الغاية أو للتبعيض، وهذا الطور آخر أطوار آدم الطينية، وأول ابتدائه أنه كان تراباً متفرق الأجزاء، ثم بل فصار طيناً، ثم ترك حتى أتن واسود فصار حمأ مسنوناً أي: متغيراً ثم ييس فصار صلصالاً اهـ قرطبي.

وعلى هذه الأطوار والأحوال تخرج الآيات الواردة في أطواره الطينية كآية خلقه من تراب وآية بشرأ من طين، وهذه الآية التي نحن فيها اهـ.

قوله: (إذ نقر) أي صدم وضرب بجسم آخر، والصلصال هنا بمعنى المصلصل كالزلزال بمعنى المزلزل، ويكون فعلاً أيضاً مصدرأ نحو الزلزال وفي وزن هذا النوع أعني ما كررت فاءه وعينه خلاف، فقيل: وزنه ففعف كررت الفاء والعين ولا لام للكلمة قاله الفراء، وغيره وهو غلط لأن أقل الأصول ثلاثة فاء وعين ولام، والثاني: أن وزنه ففعل وهو قول الفراء، والثالث: أن أصله فعل بتشديد العين وأصله صلل، فلما اجتمع ثلاثة أمثال أبدل الثاني من جنس فاء الكلمة وهو مذهب كوفي. وخص بعضهم هذا الخلاف بما إذا لم يختل المعنى بسقوط الثالث، نحو لملم وككبك، فإنك تقول فيهما لم وكب، فلو لم يصح المعنى بسقوطه نحو سمسف فلا خلاف في أصالة الجميع، والرابع: أن وزنه ففعل بتكرير اللام فقلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة اهـ سمين.

قوله: ﴿من حمأ﴾ من ابتدائية. قوله: (متغير) أي متغير الرائحة من طول مكثه حتى يتخمر اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: أي متين من سنتت الحجر على الحجر إذا حككته به، فإن ما يسيل بينهما يكون متيناً ويسمى سنيئاً.

قوله: ﴿والجان خلقناه﴾ منصوب على الاشتغال اهـ سمين.

قوله: (وهو إبليس) وقيل: إن الجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، وهما نوعان يجمعهما وصف الاستتار عنا. وفي الجن مسلمون وكافرون، وهم يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم، وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ولا يموتون إلا إذا مات إبليس أبوهم اهـ خازن.

قوله: (هي نار لا دخان لها) وعن أبي صالح: السموم نار لا دخان لها، والصواعق تكون منها، وهي نار تكون بين السماء وبين الحجاب، فإذا أحدث الله أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت به، فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب اهـ خطيب.

قوله: (تنفذ في المسام) أي تدخل فيها الشدة لطفها وقوة حرارتها، فإذا دخلت في الإنسان قتلته اهـ خازن.

والمسام هي ثقب البدن جمع سم بكسر السين على غير قياس كمحاسن جمع حسن اهـ شيخنا.

قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلَاحٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حياً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿فَفَعَّلُوا لَمْ سَجِدِينَ﴾ سجدوا تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من ﴿أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَتَّيَلَّسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك

وفي السمين: والسموم ما يقتل من إفراط الحر من شمس أو ريح أو نار، لأنها تدخل في المسام فتقتل، وقيل: السموم ما كان ليلاً والحرور ما كان نهاراً. وقال ابن عباس: نار لا دخان لها، وقيل: هو من باب إضافة الموصوف اهـ.

قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي، والنفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لإمسакها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ، وإنما هو تمثيل لإضافة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها، فإذا كملت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمري ﴿فَفَعَّلُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾ من زائدة أو تبعية أي نفخت فيه روحاً هي بعض الأرواح التي خلقتها أي أدخلتها وأجرتها فيه. قوله: (وإضافة الروح إليه) كما يقال: بيت الله وناقة الله وعبد الله اهـ خازن.

قوله: ﴿فَفَعَّلُوا﴾ الفاء في جواب إذا، وقعوا فعل أمر من وقع يقع أي: اسقطوا وخرؤا، وحذفت الواو من الأمر.

قوله: (بالانحناء) أي لا بوضع الجبهة على الأرض الذي هو السجود الحقيقي، إذ هذا لا يكون إلا الله، وهذا أحد قوليه تقدم ذكرهما في سورة البقرة. والثاني أن المراد السجود الحقيقي وكان جائزاً إذ ذاك أو أن المراد من قوله ﴿لَهُ﴾ أي لجهته بأن تسجدوا لله متوجهين لآدم كالقبلة تشريفاً له اهـ شيخنا.

قوله: (فيه تأكيدان) أي للمبالغة وزيادة الاعتناء. وعبرة الكرخي: فيه تأكيد لزيادة تمكين المعنى وتقريره في الذهن، ولا يكون تحصيلاً للحاصل، لأن نسبة أجمعون إلى كلهم كنسبة كلهم إلى أصل الجملة أو أجمعون يفيد معنى الاجتماع.. وسئل المبرد عن هذه الآية فقال: لو قال فسجدوا الملائكة احتمل أن يكون سجد بعضهم، فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم عند هذا بقي احتمال، وهو أنهم هل سجدوا دفعة واحدة، أو سجد كل واحد في وقت، فلما قال أجمعون ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة اهـ. وهو إيضاح لما سبق اهـ.

قوله: (كان بين الملائكة) يشير بهذا إلى وجه الاستثناء، وأنه متصل باعتبار التغليب، ولذلك لم يفسر إلا ولكن على عادته في المنقطع اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل، إما لأنه كان جنياً مفرداً مغموراً بألوف من الملائكة، فعلاً منهم تغليياً، وإما لأن من الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم، وقوله ﴿أَبَى﴾ أن يكون

﴿أَلَا﴾ زائدة ﴿تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ ﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾

مع الساجدين استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء، فإن مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد، ويقول ﴿أبى الخ﴾ علم أنه مع الإباء الاستكبار أو منقطع، فيتصل به ما بعده أي لكن إبليس أبى أن يكون معهم اهـ.

قوله: ﴿قال﴾ (تعالى) ﴿يا إبليس﴾ الخ ظاهره يقتضي أن الله تعالى تكلم مع إبليس بغير واسطة، لأن إبليس قال في الجواب لم أكن لأسجد لبشر خلقته، فقوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة، فقول بعض المتكلمين إنه تعالى أوصل هذا الخطاب إلى إبليس على لسان بعض رسله ضعيف. فإن قيل: كيف يعقل هذا مع أن مكالمة الله تعالى بغير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب، فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة؟ فالجواب: أن مكالمة الله تعالى إنما تكون منصباً عالياً إذا كانت على سبيل الإكرام والإعظام، فأما إذا كانت على سبيل الإهانة والاذلال فلا اهـ كرخي.

قوله: (ما منعك) حل معنى حملة عليه مراعاة الآية الأخرى المذكورة، وإلا فما استفهامية مبتدأ ولك خبرها، والاستفهام للتوبيخ والتقريع. وعبارة البيضاوي: أي غرض لك في أن لا تكون مع الساجدين انتهت. وعليها فليست لا زائدة اهـ.

قوله: ﴿أن لا﴾ أي: من أن لا وقوله (زائدة) أي: بدليل ما في سورة ص ﴿ما منعك أن تسجد﴾ [ص: ٧٥]، وعلى عدم زيادتها يكون المقدر في أي ما عذر في أن لا تكون اهـ.

قوله: (لا ينبغي لي أن أسجد) أي: لا يصح مني ولا يليق بحالي، فاللام لتأكيد النفي اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لبشر خلقته من صلصال﴾ أي وخلقته من نار، وهي أشرف من الطين المتغير المتنن، لأنها نيرة والطين كثيف مظلم اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وحاصل كلامه أن كونه بشراً يشعر بكونه جسمًا كثيفاً وهو كان روحانياً لطيفاً، فكأنه يقول البشر جسماني كثيف أدون حالاً من الروحاني اللطيف، فكيف يسجد الأعلى للأدنى، وأيضاً فآدم مخلوق من صلصال تولد من حملاً مسنون، وهذا الأصل في غاية الدناءة، وأصل إبليس هي النار، وهي أشرف العناصر، فكأن أصل إبليس أشرف من أصل آدم، والأشرف يقبح أن يؤمر بالسجود للأدون، فهذا مجموع شبه إبليس اهـ.

قوله: ﴿قال فاخرج منها﴾ الفاء في جواب شرط مقدر أي: فحيث عصيت وتكبرت فاخرج منها اهـ.

قوله: (أي من الجنة الخ) إشارة للخلاف في قصة امتناع إبليس من السجود هل كانت قبل دخول آدم الجنة، أو وهو فيها كما هو مذكور في كتب السير؟ وقوله: ﴿رجيم﴾ في المصباح: الرجيم بفتح الحاء، والرجم القبر سمي بذلك لما يجتمع عليه على الأحجار، ورجمته رجماً من باب قتل ضربته بالرجم اهـ.

مطروود ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِكَّ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [٣٥] الجزء ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [٣٦] أي الناس ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ [٣٧] ﴿ إِكَّ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [٣٨] وقت النفخة الأولى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [٣٩] أي بإغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿ لَا أُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ المعاصي ﴿ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٤٠]

وفي القاموس: الرجم اللعن والشتم والطرود والهجران اهـ.

قوله: (مطروود) أي: عن الرحمة.

قوله: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ﴾ قيل إن أهل السماء يلعنون إبليس كأهل الأرض فهو ملعون فيهما، وقوله: ﴿ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾. فإن قلت: هل ينقطع اللعن عنه في الآخرة كما هو مقتضى الغاية؟ قلت: لا بل يزداد عذاباً إلى اللعنة التي عليه، فكأنه قيل: وإن عليك اللعنة فقط إلى يوم الدين، ثم تزداد بعد ذلك معها عذاباً دائماً مستمراً لا ينقطع اهـ خازن.

وفي الكرخي: وتحديد اللعنة بيوم الدين لأنه يناسب أيام التكليف، وأما قوله: ﴿ فَأُذِنَ لَهُمْ ﴾ [الاعراف: ٤٤] الآية، فبمعنى آخر غير الطرد والابعاد، وهو التعذيب الذي تنسى عنده هذا، وهذا جواب ما يقال كيف غي اللعنة بيوم الدين مع أنه أثبت في بقوله: ﴿ فَأُذِنَ لَهُمْ ﴾ أن لعنة الله على الظالمين [الاعراف: ٤٤] أو لأنه أبعد غاية يصير بها الناس في كلامهم للتأييد، كقوله تعالى: ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٨] اهـ.

قوله: ﴿ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يجوز أن يتعلق بالاستقرار في عليك، ويجوز أن يتعلق بنفس اللعنة اهـ سمين.

قوله: ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أي: يوم القيامة، وأراد بهذا السؤال أنه لا يموت أبداً لأنه إذا أمهل إلى يوم البعث الذي هو وقت النفخة الثانية لا يموت بعد ذلك لانقطاع الموت من حين النفخة الأولى، فعلم أنه إذا أمهل إلى يوم البعث أمهل إلى الأبد، فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو وقت النفخة الأولى فتموت فيها ثم تبعث مع الناس، فمدة موته أربعون سنة وهي ما بين النفختين، ولم تكن إجابة الله له في الامهال إكراماً له، بل زيادة في شقاوته وعذابه اهـ خازن.

وفي البضاوي: أراد بهذا السؤال أن يجد فسحة في الاغواء ونجاة عند الموت إذ لا موت بعد وقت البعث، فأجابه إلى الأول دون الثاني اهـ.

قوله: (والباء للقسم) واختار البضاوي في الأعراف: كونها للسببية، ونقل كونها للقسم بصيغة التمرير، لأنه وقع في مكان آخر. قال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ [ص: ٨٢] والقصة واحدة، إلا أن أحدهما إقسام بصفة ذاته، والثاني إقسام بفعله، والفقهاء قالوا الإقسام بصفات الذات صحيح، واختلفوا في القسم بصفات الأفعال ومنهم من فرق بينهما، ولأن جعل الاغواء مقسماً به غير متعارف اهـ كرخي.

قوله: ﴿ لَا أُزَيِّنَ لَهُمْ ﴾ الضمير في لهم لذرية آدم، وإن لم يجر لهم ذكر للعلم بهم اهـ سمين.

قوله: ﴿ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ أي: أحملنهم على الغواية التي هي الكفر بدليل تفسير المستثنى بالمؤمنين

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي المؤمنين ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين ﴿وَلِإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي من تبعك معك ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾

قوله: ﴿المخلصين﴾ أي: الذين أخلصوا في طاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي اهـ
بيضاوي.

قوله: ﴿قال هذا صراط علي﴾ أي على حفظه ومراعاته، وقوله: ﴿مستقيم﴾ نعت اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: أي: على رعايته كالحق الذي تجب مراعاته في تأكيد ثبوته، وتحقيق وقوعه.
فالكلام على التشبيه عند أهل السنة كما في قوله تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم: ٤٧] إذ لا تجب رعاية الأصلح عندنا اهـ.

وفي أبي السعود: قال: ﴿هذا صراط علي﴾ أي: حقّ عليّ أن أراعيه مستقيم لا عوج فيه، والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه، أو للإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إليّ من غير اعوجاج وضلال، والأظهر أن ذلك ردّ لما وقع في عبارة إبليس حيث قال: ﴿لأفعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا آتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ [الأعراف: ١٦] الآية، اهـ.

قوله: ﴿إن عبادي﴾ وهم المشار إليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان. أي: قوة وقدرة، وذلك أن إبليس لما قال ﴿لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾، أوهم بذلك أن له سلطاناً على غير المخلصين، فبين الله تعالى أنه ليس له سلطان على أحد من عبيده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين. قال أهل المعنى: ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أن تلقهم في ذنب يضيق عنهم عفوي، وهؤلاء صفوة الله الذين هداهم واختارهم من عباده ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ يعني: إلا من اتبع إبليس من الغاوين، فإن له عليهم سلطاناً بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به اهـ خازن.

وفي مع كونه تحقيقاً لما قاله اللعين تفخّم لشأن المخلصين، وبيان لمنزلتهم ولانقطاع محالٍ للإغواء عنهم، وأن إغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان، بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم اهـ أبو السعود.

قوله: (قوة) أي: قوة توقعهم بها في الكفر، فلا ينافي أن له عليهم قوة تزيين المعاصي غير الكفر اهـ.

قوله: ﴿لها سبعة أبواب﴾ أولها جهنم: ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقوله: ﴿لكل باب﴾ الخ يعني لكل دركة قوم يسكنونها، والجزء بعض الشيء، وجزأته جعلته أجزاء والمعنى: أن الله تعالى يجزيء أتباع إبليس سبعة أجزاء، فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار، والسبب فيه أن مراتب الكفر مختلفة، فلذلك اختلفت مراتبهم في النار. قال الضحاك: في الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار، يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها، وفي الثانية

منها ﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٌ﴾ تجري

النصارى، وفي الثالثة اليهود، وفي الرابعة الصابئون، وفي الخامسة المجوس، وفي السادسة أهل الشرك، وفي السابعة المنافقون اهـ خازن.

وفي الخطيب: تنبيه تخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع فرق، وقيل: جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل، لأنها مصادر السيئات، فكانت مواردها الأبواب السبعة، ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية، والنية من أعمال القلب زادت الأعضاء واحداً، فجعلت أبواب الجنان ثمانية اهـ.

قوله: (أطباق) في المصباح: الطبق من أمتعة البيت جمعه أطباق مثل سبب وأسباب. وطباق أيضاً مثل جبل وجبال، وأصل الطبق الشيء على مقدار الشيء مطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له، ومنه يقال أطبقوا على الأمر بالألف إذا اجتمعوا عليه متوافقين غير متخالفين اهـ.

قوله: ﴿لكل باب﴾ أي طبقة منها أي: حالة كون الباب من تلك السبعة، وقوله: ﴿ومنهم﴾ نعت لجزء قدم عليه فيعرب حالاً، والتقدير لكل باب كائن منها جزء حالة كونه منهم أي من الغاوين، والمراد بالجزء الحزب أي الطائفة والفريق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي مستغرقون فيهما خالدون لكل واحد جنة وعين، أو لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] اهـ أبو السعود.

وقال ابن عباس: المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك بالله سبحانه والكفر به، وبه قال جمهور الصحابة والتابعين وهو الصحيح، لأن المتقي هو الآتي بالتقوى ولو مرة واحدة، كما أن الضارب هو الآتي بالضرب ولو مرة، والقاتل هو الآتي بالقتل ولو مرة واحدة، فكما أنه ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضارباً وقاتلاً أن يكون آتياً بجميع أنواع الضرب والقتل، فكذلك ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقياً أن يكون آتياً بجميع أنواع التقوى، لأن الآتي بفرد واحد من أفراد التقوى يكون آتياً بالتقوى، لأن كل فرد من أفراد الماهية يجب كونه مشتملاً على تلك الماهية، وبهذا التحقيق استدلوا على أن الأمر لا يفيد التكرار، وإذا ثبت ذلك فأجمعت الأمة على أن التقوى عن الكفر شرط في حصول الحكم بدخول الجنة. وقال الجبائي وجمهور المعتزلة: المتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصي؛ قالوا لأنه اسم مدح لا يتناول إلا من كان كذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَعُيُونٌ﴾ قال الرازي: يحتمل أن يكون المراد منها ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ [محمد: ١٥] الآية. ويحتمل أن يكون المراد من هذه العيون منابع مغيرة لتلك الأنهار. فإن قيل: هل كل واحد من المتقين مختص بعيونه أو تجري تلك العيون بعضها إلى بعض. أجيب: بأن كل واحد من الوجهين محتمل، فيجوز أن يختص كل واحد بعين ينتفع هو بها، ومن يختص به من الحور والوالدان، ويكون ذلك على قدر حاجاتهم، وعلى حسب شهواتهم، ويحتمل أن تجري من بعضهم إلى بعض لأنهم يطهرون عن الحقد والحسد اهـ خطيب.

فيها ويقال لهم ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿آمِنِينَ﴾ من كل فرع ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ حقد ﴿إِخْوَانًا﴾ حال من هم ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ حال أيضاً أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا﴾

قوله: ﴿بسلام﴾ في محل نصب على الحال من الواو في ادخلوها أي بسلام من الله على المعنى الأول، ومن بعضكم على بعض على المعنى الثاني، وقوله (أي سلموا) راجع للمعنى الثاني. أي: ليسلم بعضكم على بعض سلام التحية. وقوله: (ادخلوا) دخول على قوله ﴿آمِنِينَ﴾ أي: أن قوله آمنين معمول لهذا المحذوف، لكنه ليس محتاجاً إليه للتصريح به في الآية، فكان عليه أن يعربه أي آمنين حالاً من الواو في ادخلوها شيخنا.

وفي الكرخي: وآمنين حال أخرى، وهي بدل من الأولى أي: بدل كل من كل، أو بدل اشتمال لأن الأمن مشتمل على التحية أو بالعكس، فإن قيل: إن الله تعالى حكم قبل هذه الآية بأنهم في جنات وغيون، وإذا كانوا فيها فكيف يقال لهم ادخلوها؟ فالجواب: أنهم لما ملكوا جنات كثيرة، فكلما أرادوا أن ينتقلوا من جنة إلى أخرى قيل لهم: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ اهـ.

قوله: (من كل فرع) أي ومن زوال هذا النعيم.

قوله: ﴿من غل﴾ الغل: الحقد الكامن في القلب، ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد، فكل هذه الخصال المذمومة داخلية في الغل، لأنها كامنة في القلب وروي أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى الجنة، وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد اهـ خازن.

قوله: (حال من هم) أي ضمير صدورهم المضاف إليه، وجاز لأن المضاف جزء المضاف إليه، والعامل فيها معنى الإلصاق، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل ادخلوها على أنها حال مقدرة، قاله أبو البقاء، ولا حاجة له بل هي حال مقارنة اهـ كرخي.

قوله: ﴿على سرر﴾ جمع سرير وهو مجلس رفيع عال موطأ للسرور، وهو مأخوذ منه لأنه مجلس سرور. وقال ابن عباس: أي علي سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية اهـ خازن.

قوله: (حال أيضاً) أي من الضمير في إخواناً، ويجوز كونه صفة لإخواناً. وقال أبو البقاء: يجوز أن يتعلق بنفس إخواناً لأنه بمعنى متصافين أي متصافين على سرر، وفيه نظر من حيث تأويل جامد يمشق بعيد منه اهـ كرخي.

قوله: (لدوران الأسرة) جمع سرير (بهم) أي: أنهم إذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم به بحيث يصير راکبه مقابلاً بوجهه لمن كان عنده، وقفاه إلى الجهة التي يسير لها السرير، وهذا أبلغ في الأنس والإكرام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة، ويجوز أن تكون حالاً من

نَصَبْتُ ﴿تَعْبُ﴾ وَمَا هُمْ بِمُتَحَرِّجِينَ ﴿٤٨﴾ أَبْدَأُ ﴿٤٩﴾ نَبِيٌّ ﴿٥٠﴾ خَبِرَ يَا مُحَمَّدُ ﴿عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَ﴾

الضمير في متقابلين اهـ كرخي .

قوله: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي﴾ بفتح الياء فيهما وسكونها فيهما سبعيتان، وأنا تأكيد لاسم أن، أو ضمير فصل، أو مبتدأ خبره ما بعده، والجملته خبر أن اهـ شيخنا .

قوله: (للمؤمنين) أي للعصاة منهم .

قوله: ﴿وَأَنْ عَذَابِي﴾ أي إن عذبت، وقوله ﴿هُوَ الْعَذَابُ﴾ إما ضمير فصل أو مبتدأ، ولا يصح أن يكون تأكيداً، لأن الظاهر لا يؤكد بالضمير اهـ شيخنا .
تنبيه

في هذه الآية لطائف .

الأولى: أنه سبحانه وتعالى أضاف العباد إلى نفسه، وهذا تشريف عظيم . ألا ترى أنه قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿سَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] .

الثانية: أنه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيدات بألفاظ ثلاثة . أولها: قوله ﴿أَنِي﴾، وثانيها: ﴿أَنَا﴾، وثالثها: إدخال الألف واللام على قوله ﴿الْغَفُورَ الرَّحِيمَ﴾، ولما ذكر العذاب لم يقل إني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك، بل قال ﴿وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ .

الثالثة: أنه أمر رسوله ﷺ أن يبلغ إليهم هذا المعنى، فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة

والرابعة: أنه لما قال ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي﴾ كان معناه نبيء كل من كان معترفاً بعبوديتي، وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع، كذلك يدخل فيه المؤمن العاصي، فكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأسكن منها عنده تسعة وتسعين، وأرسل في خلقه رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار» .

وعنه عبادة رضي الله تعالى عنه قال: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه إلى قتلها» .

وعنه ﷺ أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال: «اتضحكون وبين أيديكم النار» فنزل ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، ولما بالغ تعالى في تقرير النبوة ثم أرفده بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر تعالى عقبه أحوال القيامة ووصف الأشقياء والسعداء أتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم السلام ليكون سماعها مرغباً في العبادة الموجبة للفوز بدرجات الأولياء، محذراً عن المعصية الموجبة لاستحقاق دركات الأشقياء، وافتتح من ذلك بقصة إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الخ اهـ خطيب .

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِمْ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ لِلْعَصَاةِ ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ الْمُؤَلَّمِ ﴿وَيَنْتَهُمُ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وَهُمْ مَلَائِكَةُ اثْنَا عَشَرَ أَوْ عَشْرَةٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ جَبْرِيلُ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أَيْ هَذَا اللَّفْظُ ﴿قَالَ﴾ إِبْرَاهِيمُ لَمَا عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْأَكْلَ فَلَمْ يَأْكُلُوا ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خَائِفُونَ ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ تَخَفْ ﴿إِنَّا﴾ رَسُلُ رَبِّكَ ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ ذِي عِلْمٍ كَثِيرٍ هُوَ إِسْحَاقُ كَمَا ذَكَرَ

وقد ذكر هنا أربع قصص: قصة إبراهيم، ثم قصة لوط، ثم قصة شعيب، ثم قصة صالح وسيأتي تفصيلها هـ شيخنا.

قوله: ﴿وَنَبِّهَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هذا معطوف على ما قبله أي: وأخبر يا محمد عبادي عن ضيف إبراهيم، وأصل الضيف الميل، يقال: أضفت إلى كذا إذا ملت إليه والضيف من مال إليك نزولاً بك، وصارت الضيافة متعارفة في القرى، وأصل الضيف مصدر، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في غالب كلامهم، وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله ليبشروا إبراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط هـ خازن.

قوله: (وهم ملائكة) أي على صور غلمان حسان، وقوله: (منهم جبريل) أي: على كل من الأقوال الثلاثة هـ شيخنا.

قوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ إِذْ إما معمول لفعل مقدر أي: اذكر وإما ظرف على بابهِ والعامل فيه محذوف تقديره خبر ضيف أو نفس ضيف. وتوجيه ذلك أنه لما كان في الأصل مصدرًا اعتبر ذلك فيه، ويدل على اعتبار مصدريته بعد الوصف به عدم مطابقتها لما قبله تشبيهًا وجمعًا وتأنيثًا في الأغلب، ولأنه قائم مقام وصف، والوصف يعمل أو أنه على حذف مضاف أي: أصحاب ضيف إبراهيم أي: ضيفته، فالمصدر باقٍ على حاله، فلذلك عمل هـ كرخي.

قوله: (أي هذا اللفظ) أي قالوا هذا اللفظ وهو لفظ سلاماً يعني قالوه تحية لإبراهيم، ولم تذكر هنا تحيته لهم، وقد ذكرت في سورة هود، فالقصة هنا مختصرة. وفي الشهاب ما نصه: يجوز في سلاماً أن يكون منصوباً بفعل مقدر مضارع أو ماضٍ، ويجوز نصبه بقالوا أي اذكروا سلاماً، ولم يذكر هنا رد السلام ولا بقية القصة اختصاراً، وتقدمت مبسوطه في سورة هود هـ.

قوله: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي لأن العادة أن الضيف إذا لم يأكل مما قدم له يكون خائفاً خصوصاً وقد دخلوا عليه بغير إذنه، وفي غير وقت دخول الضيفان هـ شيخنا.

قوله: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ العامة على فتح التاء من وجل كشرب يشرب والفتح قياس فعل، إلا أن العرب آثرت الكسر في بعض الأفعال إذا كانت فاؤه واواً. وقرأ الحسن لا توجل مبنياً للمفعول من الإيجال، وقرئ لا تأجل، والأصل توجل كقراءة العامة إلا أنه أبدل من الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها، وإن لم تتحرك، وقرئ أيضاً لا تواجل من المواجهة هـ سمين.

قوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل، فإن المبشر لا يخاف منه هـ بيضاوي.

في هود ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَّ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ حال أي مع مسه إياي ﴿فِيمَ﴾ فبأي شيء ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ استفهام تعجب ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ الآيسين ﴿قَالَ وَمَنْ أَيُّ لَا يَقْنَطُ﴾ بكسر النون وفتحها ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ الكافرون ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ كافرين أي قوم

قوله: ﴿أبشرتموني﴾ قرأ الأعرج بشرتموني بإسقاط أداة الاستفهام، فيحتمل الإخبار، ويحتمل الاستفهام، وإنما حذفت أداته للعلم بها اهـ سمين.

قوله: ﴿فيم تبشرون﴾ بم متعلق بتبشرون، وقدم وجوباً لأن له صدر الكلام، وقرأ العامة بفتح النون مخففة على أنها نون الرفع، ولم يذكر مفعول التبشير، وقرأ نافع بكسرها والأصل تبشرون فحذفت الياء اكتفاء عنها بالكسرة اهـ سمين.

قوله: (استفهام تعجب) أي من أن يولد له مع مس الكبر إياه، أو إنكار لأن يبشر به في مثل هذه الحالة، وكذلك قوله ﴿فيم تبشرون﴾ أي فبأي أعجوبة تبشرون، أو فبأي شيء تبشرون، فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء اهـ بياضوي.

وقوله: (أي) فبأي أعجوبة الخ. الأول: على أن الاستفهام للتعجب والثاني: على أنه للإنكار اهـ شهاب.

إذ لا وجه للاستفهام عن المبشر به بعدما بينوه بأنه غلام عليهم، فلذلك حمل الاستفهام في قوله: ﴿فيم﴾ على التعجب أو الإنكار اهـ زاده.

قوله: ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ يعني بالصدق الذي قضاه الله بأن يخرج منك ولداً تكثر ذريته، وهو إسحاق اهـ خازن.

وفي البياضوي: قالوا: ﴿بشركناك بالحق﴾ أي: بما يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه، أو بطريقة هي حق، وهي: قول الله تعالى وأمره ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ أي: الآيسين من ذلك، فإنه تعالى قادر على أن يخلق بشراً من غير أبوين، فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر؟ وكان تعجب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة، ولذلك قال: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ المخطئون طريق المعرفة، فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] اهـ.

قوله: (بكسر النون وفتحها) سبعيتان. وفي المختار: القنوط اليأس، وبابه جلس ودخل وطرب وسلم، فهو قانط وقنوط اهـ. قرىء شاذاً بضم النون كما في السمين.

قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: زيادة على البشارة فإنها يكفي فيها واحد أي: فما شأن كثرتم، فإن الظاهر أن لكم شأناً آخر غير البشارة اهـ شيخنا.

وفي البياضوي: أي: فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة، ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة، لأنهم كانوا عدداً، والبشارة لا تحتاج إلى عدد، ولذلك اكتفى بالواحد في

لوط لإهلاكهم ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ لإيمانهم ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمُنَ﴾

بشارة زكريا ومريم عليهما السلام، أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال لإزالة الوجع، ولو كانت البشارة تمام المقصود لابتدأوه بها اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه مستثنى متصل على أنه مستثنى من الضمير المستكن في مجرمين بمعنى أجرموا كلهم، إلا آل لوط، فإنهم لم يجرموا، ويكون قوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ استئناف إخبار بنجاتهم بكونهم لم يجرموا، ويكون الإرسال حيثنذ شاملاً للمجرمين ولآل لوط لإهلاك أولئك وإنجاء هؤلاء. والثاني: أنه استثناء منقطع، لأن آل لوط لم يندرجوا في المجرمين البتة. قال الشيخ: وإذا كان استثناء منقطعاً فهو مما يجب فيه النصب، لأنه من الاستثناء الذي لا يمكن توجه العامل إلى المستثنى فيه، لأنهم لم يرسلوا إليهم إنما أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة، ويكون قوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بآل لوط، لأن المعنى لكن آل لوط ننجيهم اهـ سمين.

والمراد بآل لوط أشياعه وأتباعه من أهل دينه اهـ خازن.

قوله: (لإيمانهم) أي: فالاستثناء منقطع على هذا.

قوله: ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أنه استثناء من آل لوط. قال أبو البقاء: والاستثناء إذا جاء بعد الاستثناء كان الاستثناء الثاني مضافاً إلى مبتدأ، كقولك: له عندي عشرة إلا أربعة إلا درهماً، فإن الدرهم يستثنى من الأربعة فهو مضاف إلى العشرة، فكأنك قلت أحد عشر إلا أربعة أو عشرة إلا ثلاثة.

الثاني: أنها مستثناة من الضمير المجزور في لمنجهم. وقد منع الزمخشري الوجه الأول قائلاً لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم، كما في قول المطلق: أنت طالق ثلاثة إلا اثنتين إلا واحدة، وفي قول المقر لفلان على عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهماً فأما في الآية فقد اختلف الحكماء لأن آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين، وإلا أمراته قد تعلق بقوله لمنجهم، فكيف يكون استثناء من استثناء اهـ كرخي.

قوله: ﴿قَدَرْنَا﴾ ضمن معنى العلم، فلذلك علق باللام فكسرت إن، وإسناد التقدير لهم مجاز من حيث أنهم رسل الله وواسطة بينه وبين خلقه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قدرنا قضينا، وإنما أسندت الملائكة القدر لأنفسهم، وإن كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه، كما تقول خاصة الملك: نحن أمرنا نحن فعلنا، وإن كانوا قد فعلوه بأمر الملك اهـ.

وفي السمين: وقوله: ﴿أَنَّهُ﴾ كسرت إن من أجل اللام التي في خبرها، وهي معلقة لما قبلها، لأن فعل التقدير قد يعلق أجراً له مجرى العلم إما لكونه بمعناه، وإما لأنه مترتب عليه، قال الزمخشري: فإن قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله: ﴿قَدَرْنَا إِنَّا﴾ والتعليق من خصائص أفعال

الْعَنِيدِ ﴿٦٠﴾ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ لِكُفْرِهَا ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أَي لُوط ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿لَا أَعْرِفُكُمْ﴾ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ أَي قَوْمِكَ ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿يَشْكُونَ وَهُوَ الْعَذَابُ﴾ ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿فِي قَوْلِنَا﴾ ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَقْطِيعُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَتَّبِعَ أَذْبَرَهُمْ﴾ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لثَلَا يَرَى عَظِيمَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦١﴾

القلوب؟ قلت: لتضمن فعل التقدير معنى العلم قال الشيخ: وكسرت إنها اجراء لفعل التقدير مجرى العلم. قلت: وهذا لا يصلح علة لكسرها، وإنما يصلح علة لتعليقها الفعل قبلها، والعلة في كسرها ما قدمته من وجود اللام ولولاها لفتحت اهـ.

قوله: ﴿لَمَنِ الْغَابِرِينَ﴾ في المختار: غبر الشيء بقي وغبر أيضاً مضى، وهو من الأضداد وبابه دخل اهـ.

قوله: (لكفرها) أي: فالاستثناء منقطع.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ الخ في الكلام حذف أي: فخرجوا من عند إبراهيم وسافروا من قريته إلى قرية لوط، وكان بينهما أربعة فراسخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي لوطاً) أي: فلفظة آل زائدة بدليل: ولقد جاءت رسلنا لوطاً. وهذه القصة مختصرة هنا وتقدمت في سورة هود مبسطة اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ هم الملائكة الذين ضافوا إبراهيم.

قوله: ﴿مُنْكَرُونَ﴾ أي: تنكركم نفسي وتجزع منكم، فأخاف أن تصيبوني بمكرهه، ولا أعرف غرضكم ولا من أي القبائل أنتم اهـ شيخنا.

وعبارة البيضوي: قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: ما جئناك بما تنكرنا لأجله، بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك ويشفيك من عدوك، وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترتون فيه قبل مجيئه اهـ.

قوله: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الباء للملابسة، والحق بمعنى المتيقن أي: ملتبسين أو ملتبساً أنت به لإبصارك له، ولو حمل على الخبر اليقين كان قوله: ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ مكرراً اهـ شهاب.

قوله: ﴿فَأَسْرَ﴾ أي: سر في الليل، فقوله: ﴿بِقِطْعٍ﴾ أي: فيه أي في جزء من الليل، وقوله بأهلك وهم بنتاه، فلم يخرج من قريته إلا هو وبنتاه اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: في سورة هود فخرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم اهـ.

قوله: (امش خلفهم) أي: لأجل أن تطمئن عليهم وتعرف أنهم ناجون اهـ شيخنا.

قوله: (لثلا يرى عظيم ما ينزل بهم) أي فيرتاع اهـ خازن.

وربما أدى إلى موته. وفي الكرخي: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: إلى ورائه إذا سمع الصيحة

وهو الشام ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾ وهو ﴿أَنْتَ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ حال أي يتم استئصالهم في الصباح ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط مرداً حسناً وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ حال طمعاً في فعل الفاحشة بهم ﴿قَالَ﴾

لئلا ترتاعوا من عظيم ما نزل بهم، فيكون لا يلتفت من التفات البصر لا من لفته عن الشيء يلفته إذا ثناه ولواه اهـ.

قوله: ﴿حيث تؤمرون﴾ أي: إلى حيث كما قدره البضاوي: وهو الشام تفسير لحيث، وقوله: ﴿تؤمرون﴾ أي: يأمركم جبريل اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿حيث تؤمرون﴾. حيث على بابها من كونها ظرف مكان مبهم، ولإيهامها تعدى إليها الفعل من غير واسطة على أنه قد جاء في الشعر تعديته إليها بفي. وزعم بعضهم أنها هنا ظرف زمان مستدلاً بقوله: ﴿بِقَطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾، ثم قال: ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾. أي: في ذلك الزمان وهو ضعيف، ولو كان كما قال لكان التركيب وامضوا حيث أمرتم، على أنه لو جاء التركيب هكذا لم يكن فيه دلالة اهـ.

قوله: (أوحينا) ﴿إليه﴾ أشار به إلى أن قضينا ضمن معنى أوحينا، فعدي به، وهو إلى، وذلك مفعول القضاء والأمر بدل منه أو عطف بيان اهـ كرخي.

قوله: (وهو) ﴿أَنْ دَابِرَ﴾ الخ أشار به إلى أن الجملة خبر مبتدأ محذوف، والأكثر على أنه بدل من ذلك أو من الأمر إذا جعلته بياناً أي: ذلك الأمر مبهم بينه أن دابر هؤلاء، وقيل: على حذف الجار أي: بأن دابر؛ قاله الفراء اهـ كرخي.

قوله: (حال) أي: من الضمير المستقر في مقطوع، وإنما جمع بتقدير جعله حالاً من الضمير المذكور حملاً على المعنى، فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء أي: فيكون مقطوع بمعنى مقطوعين. وقدره الفراء وأبو عبيدة إذا كانوا مصبحين، فإن كان تفسير معنى فصيح، وأما الأعراب فلا ضرورة تدعو إلى هذا التقدير، أو هو حال من هؤلاء، والعامل معنى الإضافة لا معنى الإشارة إذ الإشارة ليست في حال الدخول إلى الصبح اهـ كرخي.

قوله: ﴿وجاء أهل المدينة﴾ الخ تقدم أن هذا المجيء قبل قول الملائكة فأسر بأهلك، فما في سورة هود على الترتيب الواقعي، وما هنا على خلافه، والواو لا تفيد ترتيباً اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وذكر القصة في هود بترتيب الوقوع، وهنا آخر ذكر مجيئهم عن قول الرسل بل جئناك مع تقدمه ليستقل الأول ببيان كيفية نصره الصابرين، والثاني بتساوي الأمم اهـ.

قوله: (مدينة سدوم) من إضافة المسمى إلى الاسم أي: المدينة المسماة بسدوم بسين مهملة فذال معجمة، وأخطأ من قال مهملة مدينة من مدائن قوم لوط اهـ زكريا. على وزن فَعُول بفتح الفاء اهـ شهاب.

قوله: ﴿يستبشرون﴾ أي: يبشر بعضهم بعضاً بأضياف لوط، والاستبشار إظهار الفرح والسرور اهـ خازن.

لوط ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ ضَيَّفُوا فَلَا تَفْضَحُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُون﴾ ﴿١٧﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْمَلَائِكَةِ﴾ عن إضافتهم ﴿قَالَ هَؤُلَاءَ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٨﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن، قال تعالى ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي وحياتك ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ

قوله: ﴿فلا تفضحون﴾ يعني فيهم. يقال: فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه اهـ خازن.

وفي المختار: فضحه فافتضح أي: كشف مساوئه وبابه قطع، والاسم الفضيحة والفضوح أيضاً بضميتين اهـ.

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي: في ركوب الفاحشة، ولا تخزون ولا تذلون من الخزي وهو الهوان، أو ولا تخجلون فيهم من الخزية، وهي الحياء اهـ بياضوي.

قوله: ﴿عن العالمين﴾ أي: عن تضييف أحد من الغرباء وادخاله قريتنا. وعبارة البياضوي: ﴿أو لم تنهك عن العالمين﴾ عن أن تجير منهم أحداً، وتمنع بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يتعرضون لكل واحد، وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وإنزالهم اهـ.

قوله: ﴿هؤلاء بناتي﴾ يجوز فيه أوجه، أحدهما: أن يكون هؤلاء، مفعولاً بفعل مقدر أي: تزوجوا ﴿هؤلاء بناتي﴾ بيان أو بدل. الثاني: أن يكون هؤلاء بناتي مبتدأ وخبراً، ولا بد من شيء محذوف تتم به الفائدة أي: فتزوجوهن. الثالث: أن يكون هؤلاء مبتدأ، وبناتي بدل أو بيان، والخبر محذوف أي: هن أظهر لكم كما جاء في نظيرها اهـ سمين.

قوله: (فتزوجوهن) أي: إن أسلمتم، أو أنه كان في شريعته يحل تزوج الكافر بالمسلمة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لعمرك﴾ بفتح اللام وفتح العين لغة في العمر بضميتين، فهما بمعنى واحد، وهو مدة عيش الإنسان أي: مدة حياته في الدنيا، لكن لم يرد القسم في كلام العرب إلا بالضبط الأول أي: فتح اللام وفتح العين المهمة اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿لعمرك﴾ مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، وإنهم وما في حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمي أو يميني أنهم، والعمر والعمر بالفتح والضم هو البقاء إلا أنهم التزموا الفتح في القسم. قال الزجاج: لأنه أخف عليهم وهم يكثررون القسم بعمرك اهـ.

وفي الكرخي: وفي الدر المنثور للشيخ المصنف: أخرج ابن مردويه، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ». قال: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ وعمرك بفتح العين وسكون الميم لغة في العمر بضمهما وهو اسم لمدة عمارة بدن الإنسان بالحياة والروح اهـ.

قوله: ﴿إنهم لفي سكرتهم﴾ أي: غوايتهم وشدة غلمتهم التي أزلت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم، والصواب الذي يشار به إليهم يعمهون يتحIRON، فكيف يستمعون نصحك، وقيل: الضمير لقريش والجملة اعتراض اهـ بياضوي.

يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ يترددون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ وقت شروق الشمس ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾ ﴿٧٤﴾ طين طبخ بالنار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ للناظرين المعبرين ﴿وَلِئَآئِهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لِسَبِيلِ مُقِيمٍ﴾ ﴿٧٦﴾

أي في خلال قصة قوم لوط اهـ.

و ﴿يعمهُون﴾: حال إما من الضمير المستكن في الجار أو من الضمير المجرور بالإضافة، والعامل إما نفس سكرة لأنها مصدر، وإما معنى الإضافة اهـ سمين. وعمه من باب تعب كما في المختار.

قوله: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ حال من مفعول أخذتهم أي: داخلين في الإشراق، والضمير في عاليها وسافلها للمدينة. وقال الزمخشري: لقرى قوم لوط، ورجح الأول بأنه تقدم ما يعود عليه لفظاً بخلاف الثاني اهـ سمين.

قوله: (وقت شروق الشمس) أي: طلوعها. قيل: كان ابتداء العذاب حين أصبحوا وكان تمامه حين أشرقوا، فلذلك قال أولاً مقطوع مصبحين، وقال ههنا مشرقين اهـ زاده.

قوله: ﴿فَجَعَلْنَا﴾ مرت على أخذ الصيحة، وعبرة الخطيب: ثم بين سبحانه وتعالى ما تسبب عن الصيحة معقباً لها بقوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ الخ اهـ. والمراد بعاليها وجه الأرض وما عليه، وقوله: (بأن رفعها جبريل) أي من الأرض السفلى اهـ شيخنا.

قوله: (أي قراهم) وكانت أربعة فيها أربعمائة ألف مقاتل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي على من كان منهم خارجاً عن قراهم بأن كان غائباً في سفر أو غيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ (المذكور) أي: من قصة إبراهيم وقصة لوط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي: المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قوله: ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ متعلق بمحذوف على أنه صفة لآيات، والوجود أن يتعلق بنفس آيات، لأنها بمعنى العلامات، والتوسم: تفعل من الوسم، والوسم أصله التثبت والتفكر مأخوذ من الوسم، وهو التأثير بجديدة في جلد البقر أو غيره. وقال ثعلب: الواسم الناظر إليك من فرقك إلى قدمك، وفيه معنى التثبت، وقيل: أصله استقصاء التعرف يقال: توسمت أي تعرفت مستقصياً وجوه التعرف، وقيل: هو تفعل من الوسم وهو العلامة اهـ.

قوله: ﴿لِسَبِيلٍ﴾ أي: في سبيل مقيم. أي: ثابت يسلكه الناس ويرون آثار القرى فيه اهـ بيضاوي.

طريق قريش إلى الشام لم تدرس، أفلا يعتبرون بهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنْ﴾ مخففة أي إنه ﴿كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لَطَلِيمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيباً ﴿فَانْفَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَلَا تَهَمَّا﴾ أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿لِإِمَامٍ﴾ طريق ﴿مُبِينٍ﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ

وقوله: (لم تدرس) أي: السبيل يعني آثارها.

قوله: (لعبرة) ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كل من آمن بالله وصدق الأنبياء والرسل عرف أن ذلك إنما كان لانقمام الله من الجهال لأجل مخالفتهم، وأما الذين لا يؤمنون فيحملونه على حوادث العالم وحصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية، وجمع الآيات أولاً باعتبار تعدد ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم، وتعرض قوم لوط لهم، وما كان من إهلاكهم، وقلب المدائن على من فيها، وإمطار الحجارة على من غاب عنها. ووحدها ثانياً باعتبار وحدة قرية قوم لوط المشار إليها بقوله: ﴿وَإِنهَا لَبَسِيلٌ مَّقِيمٌ﴾، فلا يرد كيف جمع الآية أولاً ووحدها ثانياً والقصة واحدة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الخ شروع في قصة شعيب، وذكرت هنا مختصرة، وسيأتي بسطها في سورة الشعراء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أي: أصحاب بقعة الأشجار باعتبار إقامتهم فيها وملازمتهم لها، وكان عامة شجرهم المقل اهـ خازن أي: الدوم.

قوله: (هي غيضة شجر) الغيضة: في الأصل اسم للشجر الملتف، والمراد بها هنا البقعة التي فيها شجر مزدحم، ففي الكلام مجاز من اطلاق اسم الحال على المحل اهـ شيخنا.

وفي المختار: الأيك الشجر الكثير الملتف الواحدة أيكة مثل تمر وتمرة، فمن قرأ ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ فهي الغيضة، ومن قرأ أصحاب ليكة فهي اسم القرية، وقيل: هما مثل مكة وبكة اهـ.

قوله: (بشدة الحر) فسلطه الله عليهم سبعة أيام حتى أخذ بأنفاسهم وقربوا من الهلاك، فبعث الله لهم سحابة كالظلة فالتجؤوا إليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها، فبعث الله عليهم منها ناراً فأحرقتهم جميعاً اهـ خازن.

قوله: ﴿وَإِنَّمَا لِبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ في ضمير التثنية أقوال. أرجحها: عوده على قرى قوم لوط وأصحاب الأيكة، وهم قوم شعيب لتقدمهما ذكراً. وقيل: يعود على لوط وشعيب وشعيب لم يجر له ذكر، ولكن دل عليه ذكر قومه، وقيل: يعود على الخبرين خبر إهلاك قوم لوط، وخبر إهلاك قوم شعيب. وقيل: يعود على أصحاب الأيكة وأصحاب مدين، لأنه مرسل إليهما، فذكر أحدهما مشعر بالآخر اهـ سمين.

وسمي الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع أي: لأن المسافر يأت به حتى يصل إلى الموضع الذي يريد اهـ خازن.

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾ شروع في قصة صالح، وتقدمت في سورة هود بأبسط مما هنا اهـ شيخنا.

أَصْحَابُ الْحَجَرِ ﴿٨٠﴾ واد بين المدينة والشام وهم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٨١﴾ بتكذيبهم صالحاً لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿وَأَيُّنَّاهُمْ عَلَيْنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ لا يتفكرون فيها ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْحِينَ ﴿٨٤﴾ وقت الصباح ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ دفع ﴿عَنَّهُمُ﴾ العذاب ﴿فَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال

قوله: (واد بين المدينة والشام) وآثاره باقية يمر عليها ركب الشام في ذهابه إلى الحجاز اهـ خازن .

قوله: ﴿لأنه تكذيب الخ﴾ بيان لتصحيح الجمع في المرسلين . وعبرة القاضي كالكشفاف: ومن كذب واحداً من الرسل، فكأنما كذب الجميع، وإنما أتى بكلمة التشبيه مع أنهم ما كذبوا سائرهم لأنهم لم يواجهوهم بالتكذيب ولا قصدوهم به، ولكن لزمهم لأن الأنبياء على دين واحد في الأصول، ولا يجوز التفريق بينهم، وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي .

قوله: ﴿وَأَيُّنَّاهُمْ آيَاتِنَا﴾ إنما أضاف الايتاء إليهم، وإن كان لصالح لأنه مرسل إليهم بهذه الآيات . وقوله: (في الناقة) صفة للآيات أي: الكائنة في الناقة، كخروجها من الصخرة، وعظم جثتها، وقرب ولادتها، وغزارة لبنها اهـ خازن .

قوله: (لا يفكرون فيها) أي: فيستدلون على صدقه، وذلك يدل على أن النظر والاستدلال واجب، وأن التقليد مذموم اهـ كرخي .

قوله: ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً﴾ أي: يتخذون منها بيوتاً بقطع الصخر منها وبنائه بيوتاً، وهذا هو المناسب لقول الشارح الآتي من بناء الحصون، وبه قال بعض المفسرين، وقال بعضهم المراد أنهم يتخذون بيوتاً في الجبال ينقرونها بالمعاويل حتى تصير مساكن من غير بنيان اهـ شيخنا .

وعبرة الجلال في سورة الأعراف: ﴿وَبُؤُوكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٤] أسكنكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً تسكنونها في الصيف، وتنتحون من الجبال بيوتاً تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال المقدرة انتهت .

قوله: ﴿بيوتاً﴾ بضم الباء وكسرها سبعيتان اهـ شيخنا .

قوله: ﴿آمنين﴾ حال أي: حال كونهم آمنين عليها من تخريب الأعداء لها ونقب اللصوص لها لشدة إحكامها اهـ شيخنا .

قوله: ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ الخ عبارة هذا المفسر في سورة الأعراف: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ [الأعراف: ٧٨] الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء انتهت .

قوله: (من بناء الحصون وجمع الأموال) ظاهر في أنه بيان لما، وأنها نكرة موصوفة أي شيء يكسبونه والظاهر أنها بمعنى الذي والعائد محذوف أي: الذي يكسبونه، ويجوز أن تكون مصدرية أي: كسبهم اهـ كرخي .

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ لا محالة فيجازى كل أحد بعمله ﴿فَاصْفَحْ﴾ يا محمد عن قومك ﴿الْصَّفْحُ الْجَمِيلُ﴾ ﴿٨٥﴾ أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لكل شيء ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٦﴾ بكل شيء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ﴾ قال ﷺ هي الفاتحة رواه الشيخان لأنها تشنى في كل ركعة ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ﴿٨٧﴾ لا

قوله: ﴿إلا بالحق﴾ أي: إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور، ولذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء دفعاً لفسادهم وإرشاداً لمن بقي إلى الصلاح أو إلا بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال كما ينبيء عنه قوله: قوله: ﴿وإن الساعة لآتية﴾ فينتقم الله تعالى فيها ممن هو كذلك اهـ أبو السعود.

قوله: (فيجازي كل واحد بعمله) يشير إلى أنه بالبناء للمجهول، وعبرة البيضاوي تشير إلى أنه بالبناء للفاعل ونصبها، فينتقم الله لك فيها ممن كذبك اهـ.

قوله: (وهذا منسوخ) هذا أحد قولين. والآخر أنه محكم وأن الأمر بالصفح الجميل لا ينافي قتالهم. ونص البيضاوي: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ ولا تعجل بالانتقام منهم، وعاملهم معاملة الصفوح الحليم، وقيل: هو منسوخ بآية السيف اهـ.

وفي الخطيب: قال الرازي: وهو بعدي لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح، فكيف يصير منسوخاً اهـ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا﴾ الخ قال ابن الجوزي: سبب نزول هذه الآية أن سبع قوافل أقبلت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البزر والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها، وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله هذه الآية، وقال: قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل، ويدل على صحة هذا قوله: ﴿لا تمدن عينيك﴾ [الحجر: ٨٨، وطه: ١٣١] الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿سبعاً﴾ أي: سبع آيات من المثنائي أي: هي المثنائي فبعد البسملة آية منها تكون الآية الأخيرة ﴿صراط الذين﴾ [الفاتحة: ٧] إلى آخرها، وعلى مقابلة تكون السابعة ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاتحة: ٧]، ويكون رأس الآية التي قبلها ﴿أنعمت عليهم﴾ [الفاتحة: ٧] اهـ شيخنا.

قوله: (لأنها تشنى) أي تكرر في كل ركعة. عبارة غيره: لأنها تشنى في كل صلاة بقراءتها في كل ركعة، وهذا أحد الوجوه في سبب تسميتها بالمثنائي. وقيل: وجه التسمية أنها مقسومة بين العبيد وبين الله نصفين، فنصفها الأول ثناء على الله، ونصفها الثاني دعاء. وقيل: سميت مثنائي لأن كلماتها مثناة مثل قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾. ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين﴾، فكل هذه الألفاظ مثناة. وقيل: لأنها نزلت مرتين مرة بمكة بالمدينة معها سبعون ألف ملك. وقيل: لاشتغالها على الثناء على الله، وهو حمده وتوحيده وملكه، وهذا كله على القول بأن بالسبع المثنائي هو الفاتحة، وقيل: المراد بها السبع الطوال أولها سورة البقرة وآخرها مجموع الأنفال وبراءة، فهما كالسورة الواحدة، ولهذا لم يفصل بينهما ببسملة، وسميت هذه السبع مثنائي لأن القصص

مَدَنَ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ﴿٨٨﴾ أَصْنَافًا ﴿٨٩﴾ مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴿٩٠﴾ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴿٩١﴾ وَآخِضْ جَنَاحَكَ ﴿٩٢﴾ أَلَنْ جَانِبِكَ ﴿٩٣﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ ﴿٩٦﴾ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ ﴿٩٧﴾ أَلَمْ يُبَيِّنْ ﴿٩٨﴾ الْبَيِّنَ الْإِنذَارَ ﴿٩٩﴾ كَمَا أُنْزِلْنَا ﴿١٠٠﴾ الْعَذَابَ ﴿١٠١﴾ عَلَى الْمُفْتَسِمِينَ ﴿١٠٢﴾ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ ﴿١٠٤﴾ أَيْ

والأحكام والحدود ثنيت فيها، وقيل: المراد بالسبع المثاني الحواميم، وقيل: المراد بها جميع القرآن، ويكون عطف قوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ من عطف الرديف، وسوغه التغاير اللفظي وقيل: غير ذلك اهـ من الخازن.

وقوله: وقيل المراد بها جميع القرآن عبارة زاده. وقيل سبع صحائف جمع صحيفة بمعنى الكتاب، فإن القرآن العظيم سبعة أسباع كل سبع صحيفة وكتاب، فعلى هذا القول السبع المثاني هو القرآن كله، ودليل هذا القول قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾ [الزمر: ٢٣] وعلى هذا يكون عطف القرآن على السبع من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف كما يأتي، والمعنى ﴿ولقد آتيناك﴾ ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي: الجامع لهذين الوصفين اهـ.

قوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ هو من عطف الكل على البعض إن أريد بالقرآن المجموع الشخصي، أو من عطف العام على الخاص إن أريد به القدر المشترك الصادق على الكل والبعض اهـ كرخي.

قوله: ﴿لا تمدن عينيك﴾ أي لا تطمح ببصرك طموح راغب إلى ما متعنا به أزواجاً منهم أي: أصنافاً من الكفار، فإنه مستحق بالإضافة إلى ما أوتيته، فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيمًا وعظم صغيراً اهـ يضاوي.

قوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: أجلمهم أي: لأجل عدم إيمانهم كما أشار إليه بقوله: ﴿إن لم يؤمنوا﴾ [الكهف: ٦]. قوله: ﴿ألن جانبك﴾ ﴿للمؤمنين﴾ أي: تواضع لهم، وهذا كناية عن حسن التدبير والشفقة من خفض الطائر جناحه على الفروخ وضمها إليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿كما أنزلنا﴾ متعلق بمحذوف دلّ عليه الانذار، وهو ما قدره الشارح بقوله: أن ينزل عليكم، والماضي بمعنى المستقبل إذ الذي نزل بأهل الكتاب، كما وقع لقريظة والنضير لم يكن واقعاً وقت نزول الآية، لأنها مكية، وما وقع لهم كان بعد الهجرة، وكذا ما وقع للمقتسمين لطرق مكة لم يكن واقعاً نزول الآية، لأنه إنما وقع لهم بعد الهجرة، كيوم بدر. وعلى كل ففي الكلام وقفة أخرى أبداها أبو السعود وهي: أن العذاب المنذر به ينبغي أن يشبه شيء قد وقع يعرفه المُنذَرُونَ حتى يحصل لهم تخويف، والمشبّه به هنا قد علمت أنه غير واقع، فكأنه قال: أنذرهم بعذاب مشابه لعذاب سيقع. وفي الكرخي ما نصه: قوله ﴿كما أنزلنا﴾ العذاب قضيته أن الكاف متعلقة بمحذوف كما قدره، ولا يصح إلا بدلالة المعنى، لأن الله تعالى هو المنزل فهو كما يقول بعض خواص الملك: أمرنا بكذا، وإن كان الأمر هو الملك تقديره أنزلنا إليك إنزالاً مثل ما أنزلنا، فيكون وصفاً لمصدر محذوف أظهر منه ما قدمه الكشف من أن التقدير ولقد آتيناك أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب، وهم المقتسمون فعلقها بآتيالك لأنه بمعنى أنزلنا عليك اهـ.

كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِصِينَ﴾ أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم: في القرآن سحر،

قوله: ﴿على المقتسمين﴾ أي: الذين اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها كأوصاف محمد، وكآية الرجم، فاليهود آمنوا ببعض التوراة وهو ما وافق غرضهم وكفروا ببعضها وهو ما خالف غرضهم، وكذلك النصارى. وقوله: ﴿الذين جعلوا القرآن﴾ بيان للمقتسمين، والمراد بالقرآن القرآن بالمعنى اللغوي، فيصح تفسير الشارح له بكتبهم المنزلة عليهم، فقوله: (حيث آمنوا ببعض) أي: وهو ما وافق شهواتهم، وكفروا ببعض وهو ما خالفها كما علمت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذين جعلوا القرآن﴾ صفة مبينة للمقتسمين. قوله: ﴿عِصِينَ﴾ جمع عضة، وأصلها عضوة من عصى الشاة إذا جعلها أعضاء، وقيل: عضوة أي عضته إذا بهته اهـ بيضاوي.

وفي المختار: قال الكسائي: العضة الكذب والبهتان، وجمعها عضون مثل عزة وعزون. قال الله تعالى: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ قيل: نقصانه الواو وهو من عضوته أي: فرقته، لأن المشركين فرقوا أقاويلهم فيه، فجعلوه كذباً وسحراً وكهانة وشعراً. وقيل: نقصانه الهاء وأصله عضوة، لأن العضة والعضين في لغة قريش السحر. يقولون للساحر عاضه اهـ.

قوله: (وقيل المراد بهم الذين اقتسموا الخ) وكانوا اثني عشر اقتسموا طرق مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول، فأهلكهم الله يوم بدر اهـ بيضاوي.

قوله: (وقال بعضهم) معطوف على اقتسموا، فهو من تنمة القيل لا قول ثالث، فالضمير في بعضهم راجع للذين اقتسموا لا للمفسرين، لكن الذي قاله المقتسمون على هذا القيل إن محمداً ساحر، إن محمداً شاعر، إن محمداً كاهن لا ما ذكره الشارح بقوله. (وقال بعضهم في القرآن الخ)، ولعله نظر للاستلزام، إذ وصف محمد بهذه الأوصاف يستلزم نسبتها للقرآن اهـ شيخنا. وفي القرطبي: واختلف في المقتسمين على أقوال سبعة.

الأول: قال مقاتل والفراء هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقسموا أعقاب مكة وأنقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا ساحر، وربما قالوا شاعر، وربما قالوا كاهن، وسموا المقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماتهم الله شرمية، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكماً على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي ﷺ قال: صدق أولئك.

الثاني: قال قتادة هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله، فجعلوا بعضه شعراً، وبعضه سحراً، وبعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين.

الثالث: قال ابن عباس هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وكذلك قال عكرمة: هم أهل الكتاب، وسموا مقتسمين لأنهم كانوا مستهزئين فيقول بعضهم: هذه السورة لي وهذه لك. وهذا هو القول الرابع.

الخامس: قال قتادة: اقتسموا كتابهم ففرقوه وبددوه.

وبعضهم: كهانة، وبعضهم: شعر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ سؤال توبيخ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿فَأَصْدَعْ﴾ يا محمد ﴿يَمَّا تُوْمَرُ﴾ أي اجهر به وأمضه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ بك بإهلاكنا كلاً منهم بآفة وهم: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث ﴿الَّذِينَ

السادس: قال زيد بن أسلم: المراد قوم صالح تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: ٤٩].

السابع: قال الأخفش: هم قوم أقسموا أيماناً تحالفوا عليها. وقيل: إنهم العاص بن وائل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأبو البخثري بن هشام، والنضر بن الحارث، وأميه بن خلف، وشيبة بن الحجاج ذكره الماوردي اهـ بحروفه.

قوله: (سؤال توبيخ) جواب عن سؤال حاصله أنه أثبت سؤالهم هنا، ونفاه في سورة الرحمن بقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ آنَسَ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٣٩] وحاصل الجواب أن المثبت هنا سؤال التوبيخ والتقريع والتعنيف، والمنفي هناك سؤال الاستعلام اهـ من الخازن.

قوله: (أي اجهر به وأمضه) أي: نفذ. وعبرة الخازن: فاصدع بما تؤمر. قال ابن عباس: أظهر، وقال الضحاك: أعلم، وأصل الصدع الشق والفرق أي: افرق بين الحق والباطل، أمر النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة وتبليغ الرسالة إلى من أرسل إليهم. قال عبد الله بن عبيدة: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه اهـ.

وفي البيضاوي: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً، أو فافرق به بين الحق والباطل، وأصله الإبانة والتمييز. وما: مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أي: بما تؤمر به من الشرائع اهـ.

قوله: (هذا قبل الأمر بالجهاد) أي: فهو منسوخ اهـ.

قوله: ﴿المستهزئين﴾ (بك) وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه ويبالغون في إيذاؤه والسخرية به أي: تولينا إهلاكهم. من كفيت فلاناً المؤنة إذا توليتها له فلم تحوجه إليها اهـ ابن حجر على الهمزية.

قوله: (وهو الوليد بن المغيرة) مرَّ برجل نبال وهو يجر إزاره، فتعلقت شظية من النبل بإزار الوليد، فمنعه الكبير أن يطأ طء رأسه وينزعها، فجعلت تضربه في ساقه فخدشته، فمرض منها فمات. وقوله: (والعاص بن وائل) خرج على راحلته ينتزه، فنزل شعباً فدخلت شوكة في أخمص رجله، فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه. وقوله: (وعدي بن قيس) امتخط قيحاً فقتله أي: صار القيح يجري من أنفه حتى مات. قوله: (والأسود بن المطلب) رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعته عينه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك. وقوله: (والأسود بن عبد يغوث) أصابه مرض الاستقساء فمات به اهـ من الخازن.

يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿٩٦﴾ صفة وقيل مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره، وهو ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ عاقبة أمرهم ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ من الاستهزاء والتكذيب ﴿فَسَيَحْمِلُ﴾ متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل سبحان الله وبحمده ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ المصلين ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٩٩﴾ الموت.

قوله: (صفة) أي: جملة الذين يجعلون صفة المستهزئين.

قوله: ﴿يضيق صدرك﴾ أي: بحسب الطبيعة البشرية، وإن كان مفوضاً لجميع أموره لربه اه شيخنا.

قوله: ﴿مما يقولون﴾ أي: بسبب ما يقولون.

قوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي: فافزع إلى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك، أو فنزله عما يقولون حامداً له على أن هداك للحق اه بيضاوي.

والفاء في جواب شرط مقدر أي: إن ضاق صدرك بما يقولون بمقتضى الطبيعة البشرية، فالتجىء إلى الله فيما نابك بالاشتغال بهذه العبادات اه زاده.

قوله: (المصلين) أي: ففي الكلام مجاز، وقوله: ﴿واعبد ربك﴾ من عطف العام على الخاص.

قوله: (الموت) سمي يقيناً لأنه متيقن الوقوع والنزول لا يشك فيه أحد، وقال أبو حيان: إن اليقين من أسماء الموت اه.

وفي الكرخي: أي المتيقن للحقوق لكل أحد أي: لأنه يقين لا شك فيه، وينزوله يزول كل شك، ووقت العبادة بالموت إعلماً بأنها ليست لها نهاية دون الموت، فلا يرد ما قيل أي فائدة لهذا التوقيت، مع أن كل أحد يعلم أنه إذا مات سقطت عنه العبادات، وإيضاح الجواب أن المراد: واعبد ربك في جميع زمان حياتك، ولا تخل لحظة من لحظات الحياة من العبادة، والله أعلم بمراده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النحل

مكية إلا ﴿وإن عاقبتكم﴾ إلى آخرها. وهي مائة وثمان وعشرون آية

لما استيطأ المشركون العذاب نزل ﴿أَفَأَمَرَ اللَّهُ﴾ أي الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه أي قرب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعْلَىٰ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة: مبتدأ، وقوله: مكية خبر أول، وقوله: (مائة الخ) خبر ثان. قوله: (إلا وإن عاقبتكم الخ) عبارة الخازن: إلا قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتكم﴾ الخ فإنها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس. وفي رواية أخرى عنه أنها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ [النحل: ٩٥] إلى قوله: ﴿تعلمون﴾. وقال قتادة: هي مكية إلا خمس آيات، وقوله: ﴿والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا﴾، وقوله: ﴿قم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾. وقوله: ﴿وإن عاقبتكم﴾ إلى آخر السورة. وزاد مقاتل: قوله: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ [النحل: ١٠٦] الآية، ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة﴾ [النحل: ١١٢]، الآية. وقيل: كان يقال السورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد نعم الله فيها انتهت.

وعبارة الخطيب: وحكى الأصم عن بعضهم أنها كلها مدنية، وتسمى سورة النعم، والمقصود من هذه السورة الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار منزّه عن شوائب النقص، وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحلة لما ذكر من شأنها في دقة الفهم من ترتيب بيوتها ورحبها وسائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها، وجعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة والضارة، وغير ذلك من الأمور ووسمها بالنعم واضح اهـ.

قوله: (العذاب) أي: عذابهم الواقع في القيامة اهـ شيخنا.

وقال قوم: المراد بالأمر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية، وقتل النضر يوم بدر صبراً اهـ خازن.

قوله: (أي قرب) أي قرب مجيئة، والمراد بأمر الله القيامة كما قال الشارح. قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا الرجل

عَمَّا يَشْكُرُونَ ﴿١﴾ به غيره ﴿يُزِلُّ اللَّكَّةَ﴾ أي جبريل ﴿يَالرُّوحِ﴾ بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنْذِرُوا﴾ خوَّفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم

يزعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فنزل ﴿اقترِب للناس حسابهم﴾ [الأنبياء: ١] فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، فنزل ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد جاءت حقيقة، فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا اهـ خازن.

وفي السمين: في أتى وجهان، أحدهما: وهو المشهور أنه ماض لفظاً مستقبلي معنى إذ المراد به يوم القيامة، وإنما أبرز في صورة ما وقع وانقضى تحقيقاً له ولصدق المخبر به. والثاني: أنه على بابه، والمراد به مقدماته وأوائله وهو نصر رسول الله ﷺ اهـ.

قوله: ﴿فلا تستعجلوه﴾ الاستعجال طلب الشيء قبل وقته اهـ خازن.

قوله: ﴿فإنه واقع لا محالة﴾ أي ولا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه اهـ بياضوي.

قوله: ﴿عما يشركون﴾ تنازع فيه العاملان قبله، وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة تحقيراً لشأنهم وحطاً لدرجتهم عن رتبة الخطاب، وفي قراءة سبعة بالتاء اهـ شيخنا. وفي السمين: يحتمل أن ما مصدرية فلا عائد لها عند الجمهور أي: عن إشراكهم به غيره اهـ.

وهذا هو الذي ينتزل عليه تقرير المفسر إذ لا عائد في العبارة على حله، فإن الضمير في به عائد على الله، وكذا في غيره، ويحتمل أن تكون موصولة كما قاله السمين، فيحتاج لتقدير العائد أي عما يشركونه به وما عبارة عن أصنام اهـ.

قوله: (أي جبريل) وعبر عنه بالجمع تعظيماً له. قوله: (بالوحي) أي الموحي به الذي من جملته التوحيد وغيره، فعبر بالروح عن الوحي على طريق الاستعارة التصريحية بجامع أن الروح به إحياء البدن، والوحي به إحياء القلوب من الجهالات اهـ شيخنا.

قوله: (مفسرة) أي للروح الذي هو بمعنى الوحي، وعبارة البياضوي: وأن مفسرة لأن الروح بمعنى الوحي الدال على القول، أو مصدرية في موضع الجر بدلاً من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة، وقوله: رجوع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود انتهت. فقوله: ﴿فاتقون﴾ فيه التفات إلى التكلم بعد الغيبة اهـ.

وفي أبي السعود: فاتقون رجوع إلى مخاطبتهم أي المستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة أي: إذا كان الأمر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الأنبياء، وأمرهم بأن يندروا الناس أنه لا شريك له في الألوهية فاتقون في الإخلال بمضمونه اهـ.

وقال الشهاب: إذا كان الانذار بمعنى التخويف، فالظاهر دخول فاتقون في المنذر به، لأنه هو المنذر به في الحقيقة، وإذا كان بمعنى الاعلام، فالمقصود بالاعلام هو الجملة الأولى وهذا متفرع عليها اهـ.

قوله: (وأعلموهم) فسر الانذار بالاعلام ليلائم إيقاعه على قوله: ﴿أنه لا إله إلا أنا﴾، كقوله:

﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خافون ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي محققاً ﴿تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني إلى أن صيره قوياً شديداً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿ثُمَّ إِنَّهُ﴾ بينها في نفي البعث قائلاً من يحيي العظام وهي رميم

فاعلم أنه لا إله إلا الله، وجاءت الحكاية على المعنى في قوله: ﴿إِلَّا أَنَا﴾، ولو جاءت على اللفظ لكان إلا الله اهـ كرخي.

قوله: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ فيه تنبيه على الأحكام الفرعية بعد التنبيه على الأحكام العلمية بقوله: ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ فقد جمع هذه الآية بين الأحكام الأصلية والفرعية اهـ شيخنا.

قوله: (أي محققاً) أشار إلى أن بالحق في محل نصب على الحال كما في نظائره اهـ كرخي.

قوله: (من الأصنام) أشار بهذا إلى أن ما اسمية موصولة أو موصوعة، لكن كان عليه تقدير العائد بأن يقول عما يشركونه به من الأصنام، وفي البيضاوي: عما يشركون منهما اهـ.

أي: من السموات والأرض أي: عن الشركاء الذين أشركوهم بالله، وهم بعض أهل السماء أو الأرض. وفي زاده عليه ما نصه: قوله: ﴿عَمَا يُشْرِكُونَ﴾ منهما إشارة إلى أن قوله: عما يشركون ليس تكراراً لما ذكر أول السورة، لأنه ذكر أولاً لإبطال قول من يزعم أن الأصنام تدفع ما أراد الله من العذاب، كما أشار إليه هناك بقوله: (فيدفع الخ)، وذكر هنا لكونه نتيجة متفرعة على ما ذكره قبله من دليل الوحداية، كأنه قيل: خالق السموات والأرض كيف يكون له شريك، مع أن ما يتصور أن يكون شريكاً له إما شيء منهما، أو شيء يفتقر إليهما أو شيء لا يقدر على خلقهما اهـ.

قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: غير آدم. قوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ متعلق بخلق، ومن لا ابتداء الغاية، والنطفة القطرة من الماء يقال: نطف رأسه ماء أي قطر. وقيل: هي الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل اهـ سمين.

وفي المصباح: نطف الماء ينطف من باب قتل سال. وقال أبو زيد: نطفت القرية تنطف وتنطف نظفاناً إذا قطرت، والنطفة: ماء الرجل والمرأة وجمعها نطف ونطاف، مثل: برمة وبرم وبرام، والنطفة أيضاً الماء الصافي قل أو كثر ولا فعل للنطفة. أي: لا يستعمل لها فعل من لفظها اهـ.

وفي المختار: أن نطف من باب قتل وضرب. قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مِّبِينٌ﴾ أي: بعد ما قوي واشتد، كما ذكره الشارح. وفي الكرخي: قوله: ﴿فِي نُطْفَةٍ﴾ الخ أشار به إلى أن من لا ابتداء الغاية، وإن انتهاءها محذوف كما قرره، وبه يحصل الجواب عما قيل إن الفاء في قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مِّبِينٌ﴾ تدل على التعقيب، وكونه خصيماً لا يكون عقب خلقه من نطفة. وحاصله: أنه إشارة إلى ما تؤول حاله إليه فأجرى المنتظر مجرى الواقع، وهو من باب التعبير بآخر الأمر عن أوله، كقوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِذَا دُفِنَ زَكَرِيَّا﴾ [يوسف: ٣٦] وقوله: ﴿وَيَنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] أي: سبب رزق، وهو المطر، أو أنه أشار بذلك إلى سرعة نسيانهم مبتدأ خلقهم، وبما تقرر علم أيضاً جواب ما قيل: الفاء تدل على التعقيب ولا سيما وقد وجد معها إذا التي تقتضي المفاجأة، وكونه خصيماً مبيناً لم يعقب خلقه من نطفة إنما توسطت بينهما وسائط كثيرة اهـ.

﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ الإبل والبقر والغنم بفعل مقدر يفسره ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا﴾

قوله: (إلى أن صيره) متعلق بمحذوف أي: واستمر ينقله من طور إلى طور إلى أن صيره قوياً الخ.

قوله: (في نفي البعث) متعلق بخصيم أي: خصيم ومجادل ومنازع في نفي البعث، والأولى إسقاط لفظ نفي بأن يقول في البعث إذ هو يخاصم في البعث بأن ينكره، إلا أن يقال إن في سببية أي: خصماً بسبب نفيه للبعث اهـ شيخنا.

قوله: (قائلاً من يحيي العظام وهي رميم) أشار به إلى ما روي أن أبي بن خلف جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أترى أي: أظن أن الله يحيي هذا بعد ما رم؟ فقال ﷺ: «نعم». وظاهر كلام البيضاوي يدل على تخصيص الآية بذلك القائل، لكن الصحيح في هذا المقام حملها على العموم فكلامه محمول على التمثيل، وما روي على تقدير صحته لا يدل على التخصيص، فإنه لا اعتبار بخصوص السبب إذا اقتضى المقام العموم كما تقرر. والحاصل: أن هذه ذكرت للتقرير والاستدلال على وجود الصانع الحكيم لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم في النفي والكفر اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ لما ذكر الله تعالى أنه خلق السموات والأرض ثم أتبعه بذكر خلق الإنسان ذكر بعده ما ينتفع به الإنسان في سائر ضروراته، ولما كان أعظم ضروراته الأكل واللبس اللذين يقوم بهما بدنه بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الأنعام، فقال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ﴾. قال الواحدي: تم الكلام عند قوله: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾ ثم ابتداء فقال ﴿لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ﴾، ويجوز أيضاً أن يكون تمام الكلام عند قوله ﴿لَكُمْ﴾، ثم ابتداء فقال: فيها دَفءٌ اهـ خازن. وتكون هذه الجملة حالية، وهذا الاحتمال الثاني هو الذي ينطبق عليه كلام الجلال اهـ.

قوله: (جملة الناس) أي مع جملة الناس، وهذا يقتضي أن الخطاب في لكم على أسلوب فلا تستعجلوه في أنه لقريش وأضرابهم، مع أن من المفسرين من ذكر أن في هذه الآية التفاتاً من الغيبة في الإنسان إلى الخطاب في لكم، فيقتضي أن المخاطب مطلق بني آدم المندرجين تحت الإنسان تأمل. قوله: ﴿فِيهَا دَفءٌ﴾ في المختار: الدَفءُ نتاج الإبل وألبانها وما ينتفع به منها، قال الله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ﴾. وفي الحديث: «لنا من دفئهم ما سلموا بالميثاق» وهو أيضاً السخونة اسم من دفء الرجل من باب طرب وسلم، فالذكر دَفآن، والأنثى دَفأى مثل غضبان وغضبي ورجل دَفءٌ بالقصر ودفء بالمد اهـ.

وفي المصباح: دفء البيت يدفأ مهموزاً من باب تعب. قالوا: ولا يقال في اسم الفاعل دَفءٌ وزان كريم بل وزان تعب ودفء الشخص، فالذكر دَفآن والأنثى دَفأى مثل غضبان وغضبي إذا لبس ما يدفئه، ودفؤ اليوم مثل قرب، والدفء وزان حمل خلاف البرد اهـ.

وفي القاموس: والدفء بالكسر ويحرك نقيض حدة البرد كالدفءة والجمع أدفء ودفء كفرح وكرم وتدفأ واستدفأ وأدفاً وأدفاً ألبسه الدفء، والدفآن المستدفء كالدفء، والدفء بالكسر نتاج الإبل وأوبارها والانتفاع بها وما أدفاً من الأصواف والأوبار اهـ.

﴿دَفءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ من النسل والدر والركوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٥﴾ قدم الظرف للفاصلة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تَرِيحُونَ﴾ تردونها إلى مراوحها بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ﴿٦﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ بَلَدَكُمْ لَئِنْ تَكُونُوا بِلْيَافِهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا يَشِقِ الْأَنْفُسُ﴾

فتلخص أن الدفء بوزن حمل يطلق على أمور ثلاثة: على ضد البرودة وهو السخونة، وعلى ما يتدفأ به من الثياب، وعلى ما يتحصل من الإبل من نتاج ولبن ومنافع اهـ.

قوله: (من الأكسية) بيان لما. وقوله: ﴿من أشعارها﴾ بيان للأكسية والأردية، وقوله: ﴿وأصوافها﴾ أي: وأوبارها اهـ.

قوله: ﴿ومنافع﴾ عطف عام على خاص، وقوله: (والركوب) أي: بالنسبة للمجموع، وقوله: ﴿ومنها﴾ أي: من لحومها تأكلون أي: أكلاً معتاداً، فلا ينافي أنه قد يؤكل من غيرها على سبيل التفكه أو التداوي اهـ شيخنا.

قوله: (للفاصلة) أي للحصر.

قوله: ﴿حين تريحون﴾ الإراحة رد الدواب بالعشي إلى مراوحها إي: مأواها بالليل، وقدم الإراحة على التسريح مع أنه خلاف الواقع، لأن الجمال في الإراحة وهو رجوعها إلى البيوت أكثر منه في وقت التسريح، لأن النعم تقبل من المرعى مملوءة البطون حافلة الضروع، فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى المرعى، فإنها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع، ثم تأخذ في التفرق والانتشار إلى الرعي في البرية، فظهر من هذا أن الجمال في الإراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمها. قال أهل اللغة: وأكثر ما تكون هذه الإراحة أيام الربيع إذا سقط الغيث ونبت العشب والكأ، وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت، فامتّن الله تعالى بالتجمل بها كما امتن بالانتفاع بها، لأنه من أغراض أصحاب المواشي، لأن الرعاة إذا سرحوا النعم بالغداة إلى المرعى وروحوا بالعشيء إلى الأبنية والبيوت يسمع للإبل رغاء، وللبقر خوار، وللشياه نغاء يجابو بعضها بعضاً، فعند ذلك يفرح أربابها وتتجمل بها الأبنية والبيوت، ويعظم وقعها عند الناس اهـ خازن.

قوله: ﴿تريحون﴾ مفعوله محذوف لأنه متعد، وقوله: ﴿تسرحون﴾ من باب قطع وخضع ومفعوله محذوف أيضاً اهـ شيخنا.

وفي المصباح: سرحت الإبل سرحاً من باب نفع وسروحاً أيضاً رعت بنفسها، وسرحتها يتعدى ولا يتعدى، وسرحتها بالثقل مبالغة وتكثر اهـ.

قوله: ﴿وتحمل﴾ أي: الانعام، والمراد بها هنا الإبل خاصة. وقوله: ﴿أثقالكم﴾. والأثقال: جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج إليه من آلات اهـ خازن.

قوله: ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه﴾ الخ قال ابن عباس: أريد به اليمن ومصر والشام، ولعله نظر إلى أنها متاجر أهل مكة. وقال عكرمة: أريد مكة ولعله نظر إلى أن أثقالها وأعمالهم عند القفول من متاجرهم أكثر، وحاجاتهم إلى الحمولة أمس، والظاهر أنه عام لكل بلد بعيد اهـ أبو السعود.

بجهدها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ﴾ ﴿٧﴾ بكم حيث خلقها لكم ﴿وَلَا يَنْفِي خَلْقَهَا لغير ذلك كالأكل في الخيل الخيل الثابت بحديث الصحيحين﴾ ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة ﴿وَعَلَى اللَّهِ

قوله: ﴿إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾ الشق: نصف الشيء، والمعنى ﴿لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ﴾ إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها اهـ خازن.

وفي المختار: الشق بالكسر نصف الشيء، والشق أيضاً: المشقة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾ وهذا قد يفتح اهـ.

وفي السمين: والعامّة على كسر الشين، وقرأ أبو حفص عن نافع، وأبي عمرو بفتحها فقيلاً: هما مصدران بمعنى واحد أي: المشقة. وقيل: المفتوح المصدر والمكسور الاسم، وقيل: بالكسر نصف الشيء. وفي التفسير إلا بنصف أنفسهم كما تقول: لن تناله إلا بقطعة من كبذك على المجاز اهـ.

وقوله: (بجهدها) يفتح الجيم.

قوله: ﴿وَالْخَيْلِ﴾ اسم جنس لا واحد له من لفظه، بل معناه وهو فرس وسميت خيلاً لاختيالها في مشيها، وقوله: ﴿وَالْبُغَالِ﴾ جمع بغل وهو المتولد بين الخيل والحمير اهـ شيخنا.

قوله: (مفعول له) أي كل منهما مفعول له، لكن جر الأول باللام لاختلاف الفاعل، لأن فاعل الركوب المخلوقون وفاعل الخلق هو الله ونصب الثاني لاتخاذ الفاعل، لأن المزين هو الله والخالق هو الله اهـ شيخنا.

قوله: (والتعليل بهما) أي: الركوب والزينة، وقوله: (لا ينافي خلقها لغير ذلك) أي: المذكور من الركوب والزينة، وهذا جواب عما قيل هنا. ونص البيضاوي واستدل به على حرمة لحومها، ولا دليل فيه إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلاً، ويدل عليه أن الآية مكية، وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحمر الأهلية حرمت عام خبير اهـ.

وفي الشهاب عليه ما نصه قوله: (واستدل به على حرمة الخ). هو أحد قولين للحنفية، وذكرنا في وجه الاستدلال أن الآية واردة في مورد الامتنان والأكل من أجل منافعتها، والحكيم لا يترك الامتنان بأجل النعم ويمن بأدناها، وأشار المصنف إلى جواب عنه بأن كونه أدنى النعمتين غير مسلم، وأن ذكر بعض المنافع لا ينافي غيرها، والآية وردت للامتنان عليهم بما ألفوه واعتادوه، وهو الركوب والتزين بها لا الأكل اهـ وفي الخازن.

فصل

احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس، وتلا هذه الآية وقال: هذه للركوب، وإليه ذهب الحكم، ومالك، وأبو حنيفة، واستدلوا أيضاً بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب، فلو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر، فلما لم يذكره الله علمنا

تحريم أكله، ولأن الله خص الأنعام بالأكل حيث قال: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وخص هذه بالركوب فقال: ﴿لَتُرْكَبُوهَا﴾ فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل. وذهب جماعة من أهل العلم إلى إباحة لحوم الخيل، وهو قول الحسن، وشريح، وعطاء، وسعيد بن جبير، وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق واحتجوا على إباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة فأكلناه. أخرجه البخاري ومسلم.

وروى الشيخان عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل. وفي رواية قال: أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحوش. ونهى النبي ﷺ عن الحمار الأهلي هذه رواية البخاري ومسلم. وفي رواية أبي داود قال: ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير، وكنا قد أصابتنا مخمصة، فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير، ولم ينهانا عن الخيل. وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك، وإنما خص هاتان المنفعتان بالذكر لأنهما معظم المقصود. قالوا: ولهذا سكت عن حمل الأثقال على الخيل مع قوله في الأنعام: ﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ﴾ ولم يلزم من هذا تحريم حمل الأثقال على الخيل. وقال البغوي: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته، والدليل الصحيح المعتمد عليه في إباحة لحوم الخيل بأن السنة مبينة للكتاب، ولما كان نص الآية يقتضي أن الخيل والبغال مخلوقة للركوب والزينة، وكان الأكل مسكوتاً عنه ودار الأمر فيه على الإباحة والتحريم، ووردت السنة بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير أخذنا به جمعاً بين النصين والله أعلم بمراده اهـ بحروفه.

قوله: ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها الإنسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الإنسان في الغالب على سبيل الاجمال، كالطيور والسباع والوحوش، وقد أشار لهذا الشارح. أو يقال ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أو يقال: ويخلق ما لا تعلمون من السوس في النبات، والدود في الفاكهة اهـ شيخنا.

قوله: (من الأشياء العجيبة) أي من الحيوانات، وأما غيرها فسيذكره بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً النَّخْلَ﴾ هكذا فهم أبو حيان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ أي تفضلاً قصد السبيل على تقدير مضاف أي: وعلى الله بيان قصد السبيل، وهو بيان طريق الهدى من الضلالة اهـ خازن.

وقد أشار له الشارح وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى: وعلى الله بيان السبيل القصد وهو الإسلام، والقصد بمعنى المقصود اهـ شيخنا.

فقول الشارح: المستقيم أخذه من قصد. وفي السمين: والقصد مصدر يوصف به فهو بمعنى قاصد يقال: سبيل قصد وقاصد أي: مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اهـ.

قَصْدُ السَّبِيلِ ﴿ أَي بيان الطريق المستقيم ﴾ وَمِنْهَا ﴿ أَي السبيل ﴾ جَائِرٌ ﴿ حائد عن الاستقامة ﴾ وَلَوْ شَاءَ ﴿ هدايتكم ﴾ لَهَدَيْنَكُم ﴿ إِلَى قصد السبيل ﴾ أَجْمَعِينَ ﴿ فتهتدون إليه باختيار منكم ﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ﴿ تشربونه ﴾ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴿ ينبت بسببه ﴾ فِيهِ تُسْمُوتُ ﴿ ترعون دوابكم ﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

قوله: (أَي بيان الطريق النخ) أي: بإرسال الرسل وإنزال الكتب: قوله: (أَي السبيل) أي: السبيل لا ببقيدته المتقدم، وقوله: ﴿جائِرٌ﴾ صفة لموصوف محذوف أي: سبيل جائر وهو اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر اهـ الخازن.

وفي السمين: قوله: ﴿ومنها جائر﴾ الضمير يعود على السبيل لأنها تؤنث، قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي﴾ [يوسف: ١٠٨]، أو لأنها في معنى سبل فأنث على معنى الجمع، وقيل: الضمير يعود على الخلائق، ويؤيده قراءة عيسى، وما في مصحف عبد الله ومنكم جائر، وقراءة علي فمنكم جائر بالفاء. والجور: العدول عن الاستقامة اهـ.

قوله: ﴿لهذاكم﴾ أي: هداية موصلة بدليل تفرع الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هو الذي أنزل من السماء﴾ الخ لما ذكر نعمته على عباده بخلق الحيوانات لأجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء أي: السحاب، وهو من أعظم النعم على عباده اهـ الخازن.

قوله: ﴿لكم منه شراب﴾ يصح أن يكون مبتدأ وخبراً مستأنفاً أو صفة لماء، ويصح أن يكون قوله ﴿لكم﴾ صفة لماء أي: كائناً لكم. وقوله: ﴿منه شراب﴾ مبتدأ وخبر، ويصح أن يكون ظرفاً متعلقاً بأنزل اهـ شيخنا.

والمعنى: أنا نشرب من ماء المطر، وهذا يوهم أنا لا نشرب من غيره كماء العيون والآبار، ولذا قال الخطيب: فإن قيل: ظاهر هذا أن شربنا ليس إلا من المطر. أجيب: بأنه تعالى لم ينف أن نشرب من غيره، وبتقدير الحصر لا يمتنع أن يكون الماء العذب الذي تحت الأرض من جملة ماء المطر أسكن هناك بدليل قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ [المؤمنون: ١٨] اهـ.

قوله: ﴿ومنه شجر﴾ المراد بالشجر هنا مطلق النبات سواء كان له ساق أو لا اهـ شيخنا. وفي البيضاوي: ومنه شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي، وقيل: كل ما ينبت على الأرض شجر اهـ.

وفي السمين: والشجر هنا كل نبات من الأرض حتى الكلا، وهو مجاز لأن الشجر ما كان له ساق اهـ.

قوله: (ينبت بسببه) أي: فمن الثانية سببية، والأولى ابتدائية اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿فيه﴾ أي: الشجر تسمون اهـ.

وقوله: (ترعون دوابكم) يقال: أسمت السائمة إذا خلقتها ترعى، وسامت إذا رعت حيث شاءت اهـ الخازن.

المذكور ﴿لَايَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ﴾ ﴿١١﴾ في صنعه فيؤمنون ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله والرفع مبتدأ ﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ بالوجهين ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ بالنصب حال والرفع خبر ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

قوله: ﴿يَنْبِت لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ﴾ الخ لما ذكر في الحيوانات تفصيلاً واجمالاً ذكر في الثمار تفصيلاً واجمالاً، فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات، لأن به قوام بدن الإنسان، وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن، وثالث بذكر النخيل لما في ثمرها من الغذاء والتفكه، وأعقبها بالأعناب لأنها تشبه النخل في التغذية والتفكه، ثم ذكر سائر الثمار إجمالاً لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده اهـ خازن.

وفي الكرخي: قوله: ﴿يَنْبِت لَكُمْ بِهِ﴾ أي: بالماء استئناف اخبار عن منافع الماء، كأنه قيل: هل له منفعة غير ذلك؟ فإن قيل: إنه تعالى بدأ في هذه الآية بذكر مأكول الحيوان، وأتبعه بذكر مأكول الإنسان، وفي آية أخرى عكس هذا الترتيب فقال: ﴿كُلُوا وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ﴾ [طه: ٥٤] فما الفائدة فيه؟ فالجواب: إن هذه الآية مبنية على مكارم الأخلاق، وهو أن يكون اهتمام الإنسان بمن يكون تحت يده أكمل من اهتمامه بنفسه، وأما الآية الأخرى فمبنية على قوله ﷺ: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» اهـ.

قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من تعبيضية أي وبعض كل الثمرات أو كلها. إنما يوجد في الجنة وما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ (المذكور) أي من انزال الماء وانبات ما ذكر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قد ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات: خمس بالافراد واثنان بالجمع. قال الكرمانى: ما جاء بلفظ الافراد فلوحة المدلول وهو الله تعالى، وما جاء منها بلفظ الجميع فلمناسبة مسخرات اهـ شيخنا.

وختم هذه الفاصلة بالتفكر لأن النظر في ذلك يعني انبات النبات بالماء يحتاج إلى مزيد تأمل واستعمال فكر. ألا ترى أن الحبة الواحدة إذا وضعت في الأرض ومرت عليها مقدار من الزمان مع رطوبة الأرض، فإنها تنتفخ وينشق أعلاها فيصعد منه شجرة إلى الهواء، وأسفلها تغوص منه عروق في الأرض، ثم ينمو الأعلى ويقوى وتخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الطباع والطعوم والألوان والروائح والأشكال والمنافع، ومن تفكر في ذلك علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال، فضلاً عن أن يشاركه أحسن الأشياء في أحسن صفاته التي هي الألوهية واستحقاق العبادة، تعالى عن ذلك علواً كبيراً اهـ خازن وأبو السعود.

وختم الفاصلة الثانية بالعقل، لأن العلويات أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة اهـ كرخي.

قوله: (بالنصب حال) أي مؤكدة لعاملها وهو سخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بِأَمْرِهِ﴾ متعلق بمسخرات. قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من تسخير الليل وما بعده اهـ شيخنا.

يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ يتدبرون ﴿و﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ ذلله لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ

قوله: ﴿و﴾ (سخر لكم) ﴿ما ذرا﴾ أشار إلى أن وما ذرا معطوف على الليل كما قاله الزمخشري، وقال أبو البقاء: في موضع نصب بفعل محذوف أي: وخلق وأنبت كأنه استبعد تسلط وسخر على ذلك فقدر فعلاً لا تقياً اهـ كرخي.

قوله: (وغير ذلك) كالثمار. قوله: ﴿مختلفاً﴾ حال من ما وألوانه فاعل به. قوله: ﴿لقوم يذكرون﴾ أي أن اختلاف طباعه وأشكاله مع اتحاد مواده إنما هو بصنع حكيم عليم قادر مختار منزّه عن كونه جسماً جسمانياً، وذلك هو الله تعالى اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: ﴿يذكرون﴾ فيرون أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم اهـ. وأفرد آية هنا ليطابق ما ذرا وأن كثر ما صدقه، وكذا في الأولى لأن الاستدلال بإنبات الماء واحد وجمع آيات في الثانية دون الأولى والثالثة، لأن الاستدلال فيها بمتعدد، وجعل العقل فيها والفكر في الأولى، لأن العلويات أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وهو الذي سخر البحر﴾ أي عذباً وملحاً، ولما ذكر الله دلائل قدرته ووحدانيته من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان من نطفة وغير ذلك مع ما تقدم، وذكر إنعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك إنعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة عليهم من الله، ومعنى تسخير البحر لعباده جعله بحيث يتمكن من الانتفاع به إما بالركوب عليه، أو بالغوص فيه، أو الصيد منه، فهذه ثلاث منافع. وبدأ بذكر الأكل لأنه معظم المقصود، لأن به قوام البدن اهـ خازن.

فقول الشارح ذلله أي: سهله وهيأه اهـ شيخنا.

قوله: (والغوص فيه) في المختار: الغوص النزول تحت الماء، وقد غاص في الماء من باب قال، والغواص بالتشديد الذي يغوص في الماء وفعله الغياصة اهـ.

قوله: ﴿لتأكلوا منه﴾ أي: من حيوانه لحماً هو السمك، ووصفه بالطراوة لأنه يسرع إليه الفساد، فينبغي المبادرة إلى أكله، وتسميته لحماً هو مذهب المالكية بخلاف الشافعية والحنفية اهـ شيخنا.

وعلى هذا فلو حلف لا يأكل لحماً لا يحث بأكل السمك اهـ.

ولإظهار قدرته في خلقه خلقه عذباً طرياً في ماء ملح اهـ بيضاوي.

وفي السمين: الطراوة ضد البيوسة أي: غضاً جديداً، ويقال: طريت كذا أي: جددته اهـ.

وفي المصباح: طرو الشيء بالواو وزان قرب فهو طري أي غض بين الطراوة وطريء بالهمز وزان تعب لغة، فهو طريء بين الطراوة، وطراً فلان علينا يطرأ مهموز بفتحيتين طروءاً طلع فهو طاريء، وطراً الشيء يطرأ أيضاً طرأناً مهموز حصل بغتة فهو طاريء، وأطريت العسل بالياء طراء عقده، وأطريت فلاناً مدحته بأحسن ما فيه ويقال بالغت في مدحة وجاوزت الحد. وقال السرقسطي في باب

لَحْمًا طَرِيًّا ﴿١٤﴾ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴿١٥﴾ هِيَ اللُّلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٦﴾ وَكَرَى ﴿١٧﴾ تَبْصُرَ ﴿١٨﴾ أَلْفُلُكُ ﴿١٩﴾ السَّفَنُ ﴿٢٠﴾ مَوَآخِرَ فِيهِ ﴿٢١﴾ تَمَخَّرَ الْمَاءُ أَيْ تَشَقَّ بِجَرِيهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿٢٢﴾ وَتَلْتَبَعُوا ﴿٢٣﴾ عَطْفَ عَلَى لَتَأْكُلُوا، تَطْلُبُوا ﴿٢٤﴾ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٢٥﴾ تَعَالَى بِالتَّجَارَةِ ﴿٢٦﴾ وَلَعَلَّكُمْ ﴿٢٧﴾ تَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ﴿٢٩﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا ﴿٣٠﴾ جِبَالًا ثَوَابِتٌ لَ ﴿٣١﴾ أَنْ ﴿٣٢﴾ لَا ﴿٣٣﴾ تَمِيدُ ﴿٣٤﴾ تَتَحَرَّكُ ﴿٣٥﴾ بِكُمْ وَأَنْهَرَا ﴿٣٦﴾ جَعَلَ فِيهَا ﴿٣٧﴾ وَأَنْهَرَا ﴿٣٨﴾ كَالنَّيْلِ ﴿٣٩﴾ رُسْبَلًا ﴿٤٠﴾ طَرَفًا ﴿٤١﴾ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٤٢﴾ إِلَى مَقَاصِدِكُمْ

الهمز والياء : أطرأته مدحته وأطريته أثنت عليه اهـ.

قوله: ﴿وتستخرجوا منه﴾ أي: البحر وهو الملح فقط، حلية تلبسونها، الحيلة اسم لما يتحلى به وأصله الدلالة على الهيئة كالعمة اهـ سمين.

وفي المصباح: حلي الشيء بعيني وبصدري يحلى من باب تعب حلاوة حسن عندي، وأعجبني، وحليت المرأة حلياً ساكن اللام لبست الحلي وجمعه حلى، والأصل على فعول مثل فلس وفلوس، والحيلة بالكسر الصفة والجمع حلى مقصور وتضم الحاء وتكسر، وحيلة السيف زينته. قال ابن فارس: ولا تجمع وتحلت المرأة لبست الحلى أو اتخذته وحليتها بالتشديد ألبستها الحلى، أو اتخذته لها لتلبسه، وحليت السوق جعلت فيه شيئاً حلواً حتى حلا اهـ.

قوله: ﴿تلبسونها﴾ أي: يلبسها نساؤكم لكم فهي حلية لكم بهذا الاعتبار، وقوله: (هي اللؤلؤ الخ) تفسير للحلية اهـ شيخنا. وفي القاموس: اللؤلؤ الدر، وواحدته بهاء وفيه أيضاً المرجان صغار اللؤلؤ اهـ.

وفي المصباح: والمرجان قال الأزهرى، وجماعة: هو صغار اللؤلؤ، وقال الطرطوشي: هو عروق حمر تطل من البحر كأصابع الكف قال: وهكذا شاهدناه بمغارب الأرض كثيراً اهـ.

قوله: ﴿مواخر﴾ أي جوارى فأصل المخر الجري فقول الشارح أي تشقه أي: بسبب الجري اهـ شيخنا.

وفي المختار: مخرت السفينة من باب قطع ودخل إذا جرت تشق الماء مع صوت، ومنه قوله تعالى: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ أي: جوارى اهـ.

قوله: (عطف على لتأكلوا) أي: وما بينهما اعتراض.

قوله: ﴿والقى﴾ أي: خلق في الأرض، وقوله: ﴿رواسي﴾ صفة لموصوف أي: جبلاً رواسي، ومعنى رواسي ثوابت، كما أشار لذلك الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن تميد﴾ أي: تميل بكم، وفي المختار: ماد الشيء يميل ميلاً من باب باع، ومادت الأغصان والأشجار تمايلت، وماد الرجل تبختر اهـ.

قوله: ﴿وأنهاراً﴾ يصح أن يكون معطوفاً على رواسي، ويكون العامل فيه ألقى بمعنى خلق، وتقدير الشارح جعل ليس بضروري، لكن عذره في ذلك أنه ما كان المتبادر من الإلقاء الطرح وهو غير مناسب تقديره قدر جعل اهـ شيخنا.

وذكر الأنهار عقب الجبال، لأن معظم عيون الأنهار وأصولها تكون من الجبال اهـ خازن.

﴿وَعَلَّمَنَّا﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال وبالنهار ﴿وَيَالْتَجِمُ﴾ بمعنى النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمْ لَا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون ﴿وَلَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

قوله: ﴿وعلامات﴾ جمع علامة ففي المصباح: وأعلمت على كذا بالألف من الكتاب وغيره جعلت عليه علامة، وأعلمت الثوب جعلت له علماً من طراز غيره وهو العلامة، وجمع العلم أعلام مثل سبب وأسباب، وجمع العلامة علامات وعلمت له علامة بالتشديد وضعت له أمانة يعرفها اهـ.
قوله: ﴿وبالنجم﴾ أل للنجم كما أشار له الشارح وهو بفتح النون وسكون الجيم اهـ شيخنا.

قال السدي: أراد بالنجم الثريا، وبنات نعش، والفرقدين، والجدي، فهذه يهتدى بها إلى الطريق والقبلة قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: لتكون زينة للسماء، وعلامة للطرق، ورجوماً للشياطين. ومن قال غير هذه فقد تكلف ما لا علم له به اهـ خازن.

وفي الخطيب: ولما كانت الدلالة من النجم أنفع الدلالات وأعمها وأوضحها براً وبحراً ليلاً ونهاراً نبه على عظمها بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم، لئلا يظن أن المخاطب مخصوص، وليس كذلك فقال تعالى: ﴿وبالنجم﴾ أي: الجنس هم أي: أهل الأرض كلهم، وأولى الناس بذلك المخاطبون وهم قريش، ثم العرب كلها لفرط معرفتهم بالنجوم يهتدون، وقدم الجار تنبيهاً على أن دلالة غيره بالنسبة إليه سافلة. وقيل: المراد بالنجم الثريا والفرقدان بنات نعش والجدي. وقيل: الضمير لقريش لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهوري الاهتداء في مسائرهم بالنجوم اهـ.

قوله: ﴿أفمن يخلق﴾ الخ عبارة الخطيب: ولما ذكر سبحانه وتعالى من عجائب قدرته وبديع خلقه ما ذكر على الترتيب الأحسن والنظم الأكمل، فكانت هذه الأشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحدانيته، وأنه تعالى المنفرد بخلقها جميعاً قال على سبيل الإنكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الأصنام العاجزة التي لا تضر، ولا تنفع ولا تقدر على شيء أفمن يخلق أي: هذه الأشياء الموجودة وغيرها كمن لا يخلق شيئاً من ذلك، بل على إيجاد شيء ما، فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة، ويترك عبادة من يستحقها وهو الله تعالى اهـ.

وفي الكرخي: وهذا من عكس التشبيه، إذ مقتضى الظاهر عكسه، لأن الخطاب لعباد الأوثان حيث سموها آلهة تشبيهاً به تعالى، فجعلوا غير الخالق كالخالق، فخولف في خطابهم لأنهم بالغوا في عبادتها حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة، وصار الخالق فرعاً، فجاء الإنكار على وفق ذلك ليفهموا المراد على معتقدهم، وخاطبهم على معتقدهم لأنهم سموها آلهة وعبدوها، فأجروها مجرى أولي العلم، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥] الآية فلا يرد أن المراد بمن لا يخلق الأصنام، فكيف جيء بمن المختصة بأولي العلم اهـ.
قوله: ﴿لا﴾ أشار به إلى أن الاستفهام للإنكار.

قوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ تذكير إجمالي بنعمة تعالى بعد تعداد طائفة منها، وكان الظاهر

تضبطوها فضلاً عن أن تطبقوا شكرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُمْ وَمَا تَعْلِنُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ يصورون من الحجارة وغيرها ﴿أَمْ تُؤْتُونَ﴾ لا روح فيهم خبر ثان ﴿غَيْرَ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٢١﴾

إيراده عقبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أن تطبقوا شكرها﴾ في نسخة أن تطبقوها شكراً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ عبارة الخطيب، إن الله لغفور لتقصيركم في القيام بشكرها يعني النعمة كما يجب عليكم، رحيم بكم فوسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي اهـ.

قوله: ﴿والله يعلم ما تسرون﴾ أي: يا كفار مكة من المكر بالنبي ﷺ، وقوله: ﴿وما تعلنون﴾ أي: تظهرونه من أذاه فهذا إخبار من الله لهم بأنه عالم بكل أحوالهم سرها وعلايتها، لا يخفى عليه شيء منها اهـ خازن.

وما موصولة فيهما، وعبارة أبي السعود: ﴿والله يعلم ما تسرون﴾ أي: تضمرونه من العقائد والأعمال، وما تعلنون أي: تظهرونه منهما، وحذف العائد لمرعاة الفواصل أي: يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سركم وعلنكم، وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه تعالى بنعوت الالهية ما لا يخفى انتهت.

قوله: ﴿بالتاء والياء﴾ سبعيتان وهو راجع لتدعون، وأما تسرون وتعلنون فقد قرىء فيهما بالوجهين أيضاً، لكن قراءة الياء التحتية شاذة فيهما كما نبه عليه السمين.

قوله: ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ جملة الأوصاف التي ذكرها للأصنام ثلاثة تنافي الألوهية اهـ شيخنا.

فإن قيل: هذا مكرر مع ما تقدم في قوله: أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ قلت: إن المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئاً فقط، والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون لغيرهم وهو الله، فكان هذا زيادة في المعنى فلا تكرار اهـ خازن.

قوله: ﴿خبر ثان﴾ أي: عن قوله: ﴿هم﴾ أي: والأول يخلقون، وقوله: ﴿وما يشعرون﴾ أي: يعلمون خبر ثالث، وكان على الشارح التنبيه عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَيَّانَ يبعثون﴾ أي: الخلق، ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى الأصنام. أي أن الأصنام لا يشعرون متى يبعثها الله تعالى، وبه بدأ القاضي تبعاً للكشاف. قال ابن عباس: إن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها، فتتبرأ من عابديها فيؤمر بالكل إلى النار اهـ كرخي.

وأَيَّانَ منصوب بما بعده لا بما قبله لأنه استفهام وهو معلق ليشعرون، فجملته في محل نصب على إسقاط الخافض هذا هو الظاهر. وفي الآية قول آخر، وهو أن أَيَّانَ ظرف لقوله: ﴿إلهكم إله

أي الخلق فكيف يعبدون إذ لا يكون إلهاً إلا الخالق الحي العالم بالغيب ﴿إِنَّهُمْ كَرِهُوا﴾ المستحق العباداة منكم ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ متكبرون عن الإيمان بها ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بمعنى أنه

واحد يعني: أن الإله يوم القيامة واحد، ولم يدع أحد تعدد الآلهة في ذلك اليوم بخلاف أيام الدنيا، فإنه قد وجد فيها من ادعى ذلك، وعلى هذا فقد تم الكلام على قوله ﴿يشعرون﴾، إلا أن هذا القول مخرج لأيان عن موضوعها، وهو إما الشرط وإما الاستفهام إلى مخض الظرفية بمعنى وقت مضاف للجملة بعده، كقولك: وقت يذهب عمرو منطلق، فوقت منصوب بمنطلق مضاف ليذهب اهـ سمين.

قوله: (وقت يبعثون) فيه إخراج أيان عن موضوعها وهو الشرط أو الاستفهام إلى محض الظرفية، فالظاهر تفسيره بمتى يبعثون كما في الكشاف وغيره، لكنه تسمح في العبارة، وما ذكره حاصل المعنى اهـ شهاب.

قوله: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ هذا نتيجة ما قبله، وقوله: (منكم) متعلق بالعبادة. قوله: ﴿فَالَّذِينَ﴾ مبتدأ وقوله: ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ الجملة خبر، وقوله: ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ حال.

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا نافية وجرم بمعنى بد، وهذا بحسب الأصل، وأما الآن فقد ركب لا مع جرم تركيب خمسة عشر وجعلا بمعنى كلمة واحدة، وتلك الكلمة مصدر كما قال الشراح، أو فعل معناه حق وثبت، وقوله ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ فاعل لا جرم اهـ شيخنا.

وذكر بعضهم أن قوله ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ فاعل بفعل ذلك المصدر المأخوذ من لا جرم، والتقدير حق أي ثبت أن الله يعلم حقاً الخ فحق في كلام الشراح منصوب على المفعول المطلق اهـ.

وفي الشهاب: في هذه اللفظة خلاف بين النحاة، فذهب الخليل وسيبويه والجمهور إلى أن جرم اسم مركب مع لا تركيب خمسة عشر، وبعد التركيب صار معناها معنى فعل وهو حق وما بعدها مرتفع بالفاعلية بمجموع لا جرم لتأويله بالفعل أو بمصدر قائم مقامه وهو حقاً على ما ذكره أبو البقاء، وقيل: هو مركب أيضاً كلا رجل وما بعدها خبر ومعناها لا محالة ولا بد، وقيل: إنه على تقدير جار أي من أن الله الخ اهـ.

قيل: إن لا نافية لكلام مقدر تكلم به الكفرة، وجرم بمعنى حق ووجب اهـ زاده.

وقد تقدم لهذا مزيد بسط في سورة هود. قوله: ﴿بِمَعْنَى أَنَّهُ يَعَاقِبُهُمْ﴾ روي عن الحسين بن علي أنه مرَّ بمساكين قد قدموا كسراً لهم وهم يأكلون، فقالوا: الغداء يا أبا عبد الله، فنزل وجلس معهم وقال: إنه لا يحب المستكبرين، ثم أكل فلما فرغوا قال: قد أجبتكم فأجيبيوني، فقاموا معه إلى منزله فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم فانصرفوا. قال العلماء: وكل ذنب يمكن ستره واخفاؤه إلا التكبر فإنه فسق يلزمه الإعلان وهو أصل العصيان كله. وفي الحديث الصحيح: «إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة تطوهم الناس بأقدامهم لتكبرهم». أو كما قال ﷺ: تصغر لهم أجسامهم في المحشر حين يضرهم تصغيرها، وتعظم لهم في النار حين يضرهم عظمها» اهـ من القرطبي.

يعاقبهم. ونزل في النضر بن الحارث ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّا أَكَاذِيبُ ﴿٢٤﴾ الْأَوَّلِينَ﴾ إضلالاً للناس ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بعض ﴿أَوْزَارِ

قوله: (ونزل في النضر بن الحارث) أي بسببه وكان عنده كتب التواريخ، ويزعم أن حديثه أجمل وأتم ما انزل على محمد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي للكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة، وقيل مبني للمجهول أي: قال المسلمون للذين الخ. وعبرة أبي السعود: والقائل الوافدون عليهم، أو المسلمون أو بعضهم لبعض على طريق التهكم اهـ.

قوله: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ جملة وقت نائب فاعل لقليل، وهذا شروع في ذكر شيء من قبائح المشركين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ جمع أسطورة كأحاديث وأصاحيك وأعاجيب جمع أحداث وأصحوكة وأعجوبة اهـ شيخنا. أي: قالوا المنزل أساطير الأولين، فهو خير مبتدأ محذوف أي ما تدعون نزوله أو المنزل أساطير الأولين، وإنما سموه منزلاً على سبيل التهكم أو على الغرض أي: على تقدير أنه منزل فهو أساطير لا تحقيق فيه اهـ بيضاوي.

قوله: (إضلالاً للناس) تعليل لقولاه.

قوله: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ اللام في ليحملوا لام العاقبة، وذلك أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كان عاقبتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم، وإنما قال كاملة لأن البلاء التي أصابتهم في الدنيا، وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئاً يوم القيامة، بل يعاقبون بكل أوزارهم. قال الإمام فخر الدين الرازي: وهذا يدل على أنه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين إذ لو كان هذا المعنى حاصلًا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة اهـ خازن.

قوله: (لم يكفر منها شيء) أي: بالبلاء التي تلحقهم في الدنيا كما تكفر عن المؤمن، بل تكون عقوبة لأعمالهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩] على أن بعض محققي الصوفية قال: المحن والبلاء للمخطئين عقوبات، وللإبرار مكفرات، وللعارفين درجات، فقد يكون السابق في علمه أن لا ينال العارف تلك الدرجة بعمل بل بمحنة فيوصلها له بذلك، ولو شاء لأوصلها بدون ذلك، ولكن لا يسأل عما يفعل اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ﴾ يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الإيمان مثل أوزار الأتباع. والسبب فيه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». أخرجه مسلم. ومعنى الآية والحديث: أن الرئيس والكبير إذا سنَّ سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها، فإن الله

الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿٢٥﴾ لَأَنَّهُمْ دَعَوْهُمْ إِلَى الضَّلَالِ فَاتَّبَعُوهُمْ فَاشْتَرَكُوا فِي الْإِثْمِ ﴿٢٦﴾ أَلَسَاءَ ﴿٢٧﴾
بِئْسَ ﴿٢٨﴾ مَا يَزُرُّونَ ﴿٢٩﴾ يحملونه حملهم هذا ﴿٣٠﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٣١﴾ وهو نمروذ بنى

تعالى يعظم ثوابه أو عقابه، حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من
الأتباع الذين عملوا السنة الحسنة أو القبيحة، وليس المراد أن الله يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي
يستحقه الأتباع إلى المتبوع، لأن ذلك ليس بعد منه تعالى، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر
أخرى﴾ [الأنعام: ١٦٤ والإسراء: ١٥ وفاطر: ١٨ والزمر: ٧ والنجم: ٣٨] وقوله: ﴿وأن ليس
للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩]. قال الواحدي: ولفظ من في قوله: ﴿ومن أوزار الذين
يضلونهم﴾ ليست للتبعض، لأنها لو كانت للتبعض لنقص عن الأتباع بعض الأوزار، وذلك غير جائز
لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» لكنها للجنس أي: ليحملوا من جنس
أوزار الكفار اهـ خازن.

وهذا خلاف ما قرره الشارح من أنها للتبعض، وتبع الشارح في ذلك البيضاوي، والقرينة عليه
قوله سابقاً كاملة. وعبرة البيضاوي: وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب.
قوله: ﴿بغير علم﴾ يعني أن الرؤساء إنما يقدمون على إضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من
العقاب على ذلك الإضلال، بل يقدمون على ذلك جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد اهـ
خازن.

وفي البيضاوي: بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وفائدتها الدلالة
على أن جهلهم لا يعذرهم إذ كان عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل اهـ.

وفي الكرخي: قوله: ﴿بغير علم﴾ قال الزمخشري: حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم
أنهم ضلال، وعليه جرى القاضي وقال غيره من الفاعل، ورجح هذا بأنه من المحدث عنه، والمسند
إليه الإضلال على جهة الفاعلية، والمعنى أنهم يقدمون على الإضلال جهلاً منهم بما يستحقونه من
العذاب الشديد في مقابله. وأما قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فمعناه وزراً لا مدخل لها
فيه، ولا تعلق لها به بتسبب ولا غيره، ونظير هاتين الآيتين سؤالاً وجواباً قوله تعالى: ﴿ولنحمل
خطاياكم﴾ [العنكبوت: ١٢] إلى قوله: ﴿وأنقلاً مع أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٣] اهـ.

قوله: (فاشتركوا في الإثم) أي في مطلق الإثم، لأن إثم المتبوعين بسبب الإضلال وإثم التابعين
بالمطاوعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألا ساء ما يزرّون﴾ ساء فعل ماض لإنشاء الذم، وما تمييز بمعنى شيئاً أو فاعل ساء،
ويزرّون صفة لما والعائد محذوف أو ما اسم موصول، وقوله ﴿يزرّون﴾ صلة الموصول والعائد
محذوف أي يزرّونه، والمخصوص بالذم محذوف، كما أشار له الشارح اهـ شيخنا.
قوله: ﴿قد مكر الذين﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ اهـ.

قوله: (وهو نمروذ) بضم النون وبالذال المعجمة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وهو
ابن كنعان الجبار، وكان أعظم أهل الأرض تجبراً في زمن إبراهيم عليه السلام اهـ شيخنا.

صرحاً طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَأَفَّ اللَّهُ﴾ قصد ﴿بُنَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها ﴿فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي وهم تحته

قوله: (بنى صرحاً طويلاً الخ) عبارة الخازن: وكان من مكره أنه بنى صرحاً ببابل ليصعد إلى السماء ويقاتل أهلها في زعمه. قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع، وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين، فهبت ريح فقصفته، وألقت رأسه في البحر وخرَّ عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحته، ولما سقط تبلبلت ألسن الناس بالفرع فتكلموا يومئذ بثلاث وسبعين لساناً، فلذلك سميت بابل، وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية. قلت: هكذا ذكره البغوي، وفي هذا نظر لأن صالحاً عليه السلام كان قبلهم، وكان يتكلم بالعربية، وكان أهل اليمن عرباً، منهم جرهم الذين نشأ إسماعيل بينهم وتعلم منهم العربية، وكان قبائل من العرب قديمة قبل إبراهيم. كل هؤلاء عرب، ويدل على صحة هذا قوله: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ [الأحزاب: ٣٣] والله أعلم. وقيل: حمل قوله ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ على العموم أولى، فتكون الآية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر والمكر بالمؤمنين اهـ.

وفي الكرخي: قوله: وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه أي من هدم بناء دين الله حيث شبه حالهم بحال قوم بنوا بنياناً ودعموه، فانهدم البناء وسقط السقف عليهم، ونحوه من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً، وهذا ما اختاره القاضي كالكشفاف، فيكون عاماً في جميع المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر والمكر بالمحققين اهـ.

قوله: (قصد) أي أراد بنيانهم أي تخريب بنيانهم. قوله: (الأساس) تفسير للقواعد وهو بكسر الهمزة جمع أس كرماح جمع رمح، وأما أساس بالفتح فجمعه أسس كعقن بضمين اهـ شيخنا نقلاً عن المختار.

وفي المصباح: أن الحائط بالضم أصله وجمعه أساس مثل قفل وأقفال، وربما قيل أساس مثل عش وعشاش، والأساس مثله، والجمع أسس مثل عناق وعنق، وأسسته تأسيساً جعلت له أساساً اهـ. ويصح أن يقرأ ما في الشارح أساس بفتح الهمزة والمد لما عرفت أن الأس بالضم يجمع على أساس بالكسر كرمح ورماح، وعلى أساس كقفل وأقفال اهـ.

قوله: (فأرسل عليه) أي الصرح أو البنيان أي أرسل عليه الريح من أعلاه، فرمت رأسه في البحر والزلزلة من أسفله فهدمته اهـ شيخنا.

قوله: (فهدمتها) تفريع على الزلزلة، وأما الريح فقصفت رأسه وألقت في البحر كما تقدم اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: فأتى الله بنيانهم من القواعد يعني قصد تخريب بنيانهم من أصله، وذلك بأن أتاهم بريح قصفت بنيانهم من أعلاه، وأتاهم بزلازل قلعت بنيانهم من القواعد وأساسه، هذا إذا حملنا تفسير الآية على القول الأول وهو ظاهر اللفظ. وإن حملنا تفسير الآية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى أنهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها علم أنبياء الله، فأهلكهم الله تعالى وجعل

﴿وَأَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم، وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسول ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَشْفَعُونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي يقول ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَشْفَعُونَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْشُّوَاءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكفر

هلاكلهم مثل هلاك قوم بنو بنياناً شديداً ودعموه، فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم، فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر بآخر فأهلكه الله بمكره. ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه اهـ.

قوله: ﴿من فوقهم﴾ للتأكيد، لأن السقف لا يختر إلا من فوق، وقيل: يحتمل أنهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه، فما قال من فوقهم على أنهم كانوا تحته، وأنه لما خر عليهم أهلكهم وماتوا تحته اهـ خازن.

قوله: ﴿يُخْزِيهِمْ﴾ أي الكفار مطلقاً. وقوله: ﴿ويقول لهم﴾ الخ بيان لقوله ﴿يُخْزِيهِمْ﴾ كما ذكره أبو السعود. قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تَشَاقِقُونَ﴾ المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه، والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان اهـ خازن.

قوله: ﴿تَشَاقِقُونَ﴾ قرأ نافع بكسر النون خفيفة، والأصل تشاقوني بإثبات الياء فحذفها مجتزئاً عنها بالكسرة، والباقون بفتحها خفيفة، ومفعوله محذوف أي تشاقون المؤمنين، أو تشاقون الله بدليل القراءة الأولى، وقد ضعف أبو حاتم هذه القراءة أعني: قراءة نافع، وقرأت فرقة بتشديدها مكسورة والأصل تشاقوني فأدغم، وقد تقدم تفصيل ذلك في أتجاجوني اهـ سمين.

قوله: (تخالفون المؤمنين) أي تعادونهم وتخاصمونهم وتنازعونهم فيهم أي في شأنهم اهـ.

قوله: ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ أي وهم في الموقف اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن الخزي﴾ أي: الذل اليوم منصوب بالمصدر قبله لأنه مقرون بأل، وإذا كان مقروناً بأل عمل عمل فعله. وقوله: ﴿والسوء﴾ أي العذاب اهـ شيخنا.

وإنما يقول المؤمنون هذه يوم القيامة، لأن الكفار كانوا يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا وينكرون عليهم أحوالهم، فإذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق، وأكرموا بأنواع الكرامات، وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب، فعند ذلك يقول المؤمنون إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين اهـ خازن.

قوله: (شماتة) أي: فرحاً. والشماتة: الفرح ببلاء يصيب العدو اهـ شيخنا.

وفي المصباح: شمت به يشمت من باب سلم إذا فرح بمصيبة نزلت به. والاسم الشماتة وأشمت الله به العدو اهـ.

قوله: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ يجوز أن يكون الموصول مجرور المحل نعتاً لما قبله أو بدلاً

﴿فَأَلْقُوا السَّلَٰةَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ فيجازيكم به ويقال لهم ﴿فَادْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئِمَّسْ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾

منه أو بياناً له، وأن يكون منصوباً على الذم أو مرفوعاً عليه أو مرفوعاً بالابتداء والخبر قوله: ﴿فَأَلْقُوا السَّلَمَ﴾ والفاء مزيدة في الخبر قاله ابن عطية، وهذا لا يجيء إلا على رأي الأخفش في إجازته زيادة الفاء في الخبر مطلقاً نحو: زيد فقام أي قام، ولا يتوهم أن هذه الفاء هي التي تدخل مع الموصول المضمن معنى الشرط، لأنه لو صرح بهذا الفعل مع أداة الشرط لم يجز دخول الفاء عليه فما ضمن معناه أولى بالمنع كذا قاله الشيخ وهو ظاهر اهـ سمين .

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان لكنه مع الياء يقرأ بالإمالة في الموضعين اهـ شيخنا .

وفي الخطيب: وقرأ حمزة في هذه الآية وفي الآية الآتية بالياء في الموضعين على التذكير، لأن الملائكة ذكور والباقون بالتاء على التأنيث للفظ، لأن لفظ الجمع مؤنث اهـ .
قوله: ﴿الملائكة﴾ أي عزرائيل وأعوانه اهـ شيخنا .

قوله: ﴿ظالمي أنفسهم﴾ حال من مفعول تتوفاهم، وتتوفاهم يجوز أن يكون مستقبلاً على بابه إن كان القول واقعاً في الدنيا، وأن يكون ماضياً على حكاية الحال إن كان واقعاً يوم القيامة اهـ سمين .
قوله: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ أي في زعمنا واعتقادنا، وقوله: ﴿بلى﴾ أي كنتم تعملون السوء .

قوله: ﴿فادخلوا﴾ أي: ليدخل كل صنف إلى الطبقة التي هي موعود بها اهـ شيخنا .

فأبواب جهنم طباقها كما تقدم في سورة الحجر اهـ .

وإنما قيل لهم ذلك لأنه أعظم في الخزي والغم، وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض، وقوله ﴿المتكبرين﴾ أي الإيمان اهـ خازن .

قوله: ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ أي: قال وفود العرب الذين كانت تبعثهم القبائل إلى مكة ليتفحصوا ويبحثوا عن حال القرآن وحال محمد، فإذا قدموا وصادفوا المسلمين سألوهم وقالوا ﴿ماذا أنزل ربكم؟﴾ قالوا: ﴿خيراً﴾ الخ، وإذا صادفوا الكفار سألوهم وقالوا ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: أساطير الأولين كما تقدم اهـ شيخنا .

قوله: (الشرك) بهمة وصل بحسب الأصل، وإن كان يجب هنا قطعها محافظة على سكون الواو اهـ شيخنا .

قوله: ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ ماذا بتمامها استفهامية مفعول مقدم، فجملة السؤال فعلية وهذا أنسب هنا لأجل كون الجواب فعلية، لأن خيراً مفعول بفعل محذوف . وقوله: ﴿للذين أحسنوا﴾ الخ وقوله: ﴿ولدار الآخرة﴾ الخ الجملتان بيان للخبر المنصوب فهما من مقولهم اهـ شيخنا .

وفي السمين: قوله: ﴿خيراً﴾ العامة على نصبه أي: أنزل خيراً. قال الزمخشري: فإن قلت:

قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْإِيمَانِ ﴿٣٠﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴿٣١﴾ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ ﴿٣٢﴾ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ﴿٣٣﴾ أَيُّ الْجَنَّةِ خَيْرٌ ﴿٣٤﴾ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا قَالَ تَعَالَى ﴿٣٥﴾ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ هِيَ ﴿٣٧﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴿٣٨﴾ إِقَامَةٌ مَبْتُدَأٌ خَيْرٌ ﴿٣٩﴾ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ ﴿٤٠﴾ الْجَزَاءُ ﴿٤١﴾ بِمِيزَانٍ ﴿٤٢﴾ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٣﴾ الَّذِينَ ﴿٤٤﴾

لمن رفع الأول ونصب هذا؟ قلت: فرقاً بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني: أن هؤلاء لما سئلوا لم يتعلموا وأطبّقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للانزال، فقالوا: خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا: هو أساطير الأولين، وليس هو من الانزال في شيء، وقرأ زيد بن علي خيراً، بالرفع أي المنزل خير وهي مؤيدة لجعل ذا موصولة وهو الأحسن لمطابقة الجواب لسؤاله، وأن كان العكس جائزاً اهـ سمين.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ هذه الجملة يجوز فيها أوجه، أحدها: أن تكون منقطعة عما قبلها استئناف إخبار بذلك. الثاني: أنها بدل من خيراً. قال الزمخشري: هي بدل من خيراً حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم تسميته خيراً ثم حكاها. الثالث: أن هذه الجملة تفسير لقوله خيراً، وذلك أن الخير هو الوحي الذي أنزل الله تعالى فيه من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة اهـ سمين.

قوله: ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ الظاهر تعلقه بأحسنوا أي أوقعوا الحسنة في دار الدنيا، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من حسنة، إذ لو تأخر لكان صفة لها ويضعف تعلقه بها نفسها لتقدمه عليها اهـ سمين.

قوله: (حياة طيبة) هي استحقاق المدح والثناء، أو الظفر على الأعداء، أو فتح أبواب المشاهدات والمكاشفات اهـ كرخي.

قوله: (قال تعالى فيها) أي في نعتها وبيانها.

قوله: (هي) بيان للمخصوص بالمدح، فهو من الجملة الأولى، وليس مبتدأ وما بعده خبر كما يعلم من كلام الشارح. وفي السمين: قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ يجوز أن يكون هو المخصوص بالمدح فيجيء فيها ثلاثة أوجه: رفعها بالابتداء والجملة المتقدمة خبرها، أو رفعها خبراً لمبتدأ مضمّر، أو رفعها بالابتداء والخبر محذوف وهو أضعفها، وقد تقدم تحقيق ذلك. ويجوز أن يكون جَنَّاتُ عَدْنٍ خبر مبتدأ مضمّر لا على ما تقدم، بل يكون المخصوص محذوفاً تقديره ولنعم دارهم هي جَنَّاتُ عَدْنٍ، وقدره الزمخشري ولنعم دار المتقين دار الآخرة، ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجملة من قوله ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، ويجوز أن يكون الخبر مضمراً تقديره لهم جَنَّاتُ عَدْنٍ، ودل على ذلك قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ اهـ.

قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ أي الجنات اهـ خازن.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في محل نصب على الحال من ضمير المصدر، أو نعت لمصدر مقدر، أو في محل رفع خبراً لمبتدأ مضمّر أي الأمر كذلك، ويجزي الله المتقين مستأنف اهـ سمين.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ (نعت) عبارة السمين: ﴿وَالَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ﴾ يحتمل ما ذكرناه فيما تقدم، وإذا

نعت ﴿تُؤْتِنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بالناء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي العذاب ﴿وَقَالَ

جعلنا يقولون خبراً فلا بد من عائد محذوف أي يقولون لهم، وإذا لم نجعله خبراً كان حالاً من الملائكة، فيكون طيبين حالاً من المفعول، ويقولون حالاً من الفاعل، وهي يجوز أن تكون حالاً مقارنة إن كان القول واقعاً في الدنيا، ومقدرة إن كان واقعاً في الآخرة انتهت.

قوله: ﴿طَيِّبِينَ﴾ حال من المفعول في تتوفاهم، وقوله (طاهرين من الكفر) أشار به إلى أن المراد به الطهارة القلبية، وهي طهارة القلب من شوائب الكفر والنفاق. وعبارة البيضاوي: طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي، لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم، وقيل: فرحين ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى حضرة القدس انتهت.

قوله: ﴿يقولون﴾ حال من الملائكة اهـ أبو السعود.

وتقدم في عبارة السمين أن هذه الحال يجوز أن تكون مقارنة إن كان القول واقعاً منهم في الدنيا، وأن تكون مقدرة إن كان القول واقعاً في الآخرة اهـ.

قوله: (عند الموت) أي عند قبض أرواحهم، فيأتي للمؤمن ملك يسلم عليه ويبلغه السلام عن الله اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: يقولون لهم عند الموت سلام عليكم أي: لا يلحقكم بعد مكروه، فهي حال مقارنة، واستشهد له من الدر المنثور بما أخرجه مالك، وابن جرير، والبيهقي وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة، ونحوه في الكشف. وقال أبو حيان: الظاهر أن السلام إنما هو في الآخرة، ولذلك جاء بعده ادخلوا الجنة، فهو من قول خزنة الجنة اهـ. وعليه فهي حال مقدرة اهـ.

قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف.

قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ الخ المعنى لا بد لهم من لحوق أحد الأمرين المذكورين، ففي الكلام مجاز لأنهم لما تسببوا في لحوق ما ذكر بهم شبهوا بالمنتظر الشيء له اهـ شيخنا.

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان. قوله: ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ أو مانعة خلو، فإن كلاً من الموت والعذاب يأتيهم، وإن اختلف الوقت، وإنما عبر بأو دون الواو إشارة إلى كفاية كل واحد من الأمرين في تعذيبهم، كما أفاده أبو السعود. قوله: (فأصابهم) معطوف على فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض اهـ سمين.

قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي وأحاط بهم جزاؤه. والحق لا يستعمل إلا في الشر اهـ بيضاوي.

الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴿٣٥﴾ مَنْ أَهْل مَكَّة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَنَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من البحائر والسوائب، فأشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به، قال تعالى ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كذبوا رسلهم فيما جاؤوا به ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٣٦﴾ الإبلاغ البين وليس عليهم هداية ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿وَأَجْتَنِبُوا ظُلُمُوتَ﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ فآمن

يعني أن أصل معناه الاحاطة مطلقاً، لكنه خص في الاستعمال بإحاطة الشر، فلا يقال حاقت به النعمة، بل النقمة اهـ شهاب.

وفي المختار: حاق به الشيء أحاط به وبابه باع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] اهـ.

قوله: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله﴾ الخ هذا كلام صحيح في حد ذاته، لكنهم توصلوا به لما ذكره الشارح بقوله فهو راض به الذي هو باطل عند أهل السنة وغيرهم من المسلمين اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: ﴿وقال الذين أشركوا﴾ أي قالوا ما ذكر على سبيل الاستهزاء، وتوصلوا بهذا القول إلى إنكار النبوة، فقالوا: وإذا كان الأمر كذلك فلا فائدة في بعثة الرسل إلى الأمم؟ والجواب عن هذا أنهم لما قالوا الكل من الله قالوا: فبعثة الرسل عبث، وهذا اعتراض منهم على الله في أحكامه وأفعاله وهو باطل لأنه لا يسأل عما يفعل انتهت.

وعبارة البيضاوي: وقال الذين أشركوا إنما قالوا ذلك استهزاء ومنعاً للبعثة والتكليف متمسكين بأن ما يشاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما، وإنكار لقيح ما أنكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بأنها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم، ولشاء خلافه ملجئاً إليه لا اعتذاراً، إذ لم يعتقدوا قبح أعمالهم، وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين اهـ.

قوله: ﴿من دونه من شيء﴾ من الأولى بيانية، والثانية زائدة لتأكيد الاستغراق، ونحن تأكيد لضمير عبدنا لا لتصحيح العقد لوجود الفواصل، وإن كان محسنأ له اهـ شهاب.

والمعنى: ما عبدنا شيئاً حال كونهم هو دونه أي دون الله أي غيره، وسكت عن من في قوله ﴿ولا حرمننا من دونه من شيء﴾، والظاهر أنهما زائدتان أي: ولا حرمننا شيئاً حال كوننا دونه أي دون الله أي مستقلين بتحريمه اهـ شيخنا.

قوله: (أي كذبوا رسلهم الخ) عبارة البيضاوي: فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله انتهت.

قوله: (الإبلاغ البين) أي: فالإبلاغ مصدر بمعنى الإبلاغ اهـ شهاب.

قوله: ﴿وأن اعبدوا الله﴾ حملها المفسر على المصدرية، ويجوز أن تكون تفسيرية، لأن البعث فيه معنى القول، والوجهان حكاهما السمين اهـ.

قوله: ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ أي: اجتنبوا عبادتها، فالكلام على حذف مضاف كما أشار له الشارح اهـ شيخنا.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فَسِيرُوا﴾ يا كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿رسلهم من الهلاك﴾ ﴿إِنْ تَحَرَّصْ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾ من يريد إضلاله ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ يُضِلُّ﴾

واختلف في الطاغوت فقال بعضهم: كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، وقال الحسن: الطاغوت الشيطان، والمراد من اجتنابه اجتناب ما يدعو إليه مما نهى عنه شرعاً، ولما كان ذلك الارتكاب بأمر الشيطان ووسوسته سمي ذلك عبادة للشيطان اهـ زاده. وهو من الطغيان ويذكر ويؤنث اهـ مصباح.

ويقع على الواحد كقوله تعالى: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ [النساء: ٦٠] وعلى الجمع كقوله تعالى: ﴿أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم﴾ [البقرة: ٢٥٧] والجمع الطواغيت اهـ مختار.

ومن إطلاقه على الجمع ما هنا حيث فسره الشارح بالجمع اهـ.

قوله: ﴿فسيروا في الأرض﴾ في الفاء إشعار بوجوب المبادرة إلى النظر والاستدلال اهـ شهاب. قوله: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ في المصباح: حرص عليه حرصاً من باب ضرب إذا اجتهد، والاسم الحرص بالكسر، وحرص على الدنيا من باب ضرب أيضاً، وحرص حرصاً من باب تعب لغة إذا رغب رغبة مذمومة اهـ.

وفي السمين: قرأ العامة إن تحرص بكسر الراء مضارع حرص بفتحها، وهي اللغة العالية لغة الحجاز، وقرأ الحسن تحرص بفتح الراء مضارع حرص بكسرها وهي لغة لبعضهم اهـ. قوله: ﴿لا تقدر على ذلك﴾ هذا جواب إن، وقوله: ﴿فإن الله﴾ تعليل للجواب اهـ.

قوله: ﴿بالبناء للفاعل وللمفعول﴾ سبعيتان. قوله: ﴿ومالهم﴾ الضمير لمن، وقوله: ﴿من ناصرين﴾ من زائدة في المبتدأ.

قوله: ﴿وأقسموا بالله﴾ أي: حلفوا، وسمي الحلف قسماً لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق ومكذب، وقوله: ﴿(أي غاية النخ) وذلك أنهم كانوا يقسمون بأبائهم وآلهم، فإذا كان الأمر عظيماً أقسموا بالله. والجهد بفتح الجيم المشقة، وبضمها الطاقة وانتصب جهد على المصدرية اهـ أبو حيان من سورة الأنعام.﴾

وفي البيضاوي: وأقسموا بالله عطف على ﴿وقال الذين أشركوا﴾ إيذاناً بأنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده، ولقد رد الله عليهم أبلغ رد فقال: ﴿بلى وعداً عليه﴾ النخ اهـ.

وفي السمين: ظاهره أنه استئناف إخبار، وجعله الزمخشري نسقاً على ﴿وقال الذين أشركوا﴾

اهـ.

﴿أَيَّمَنِهٖم﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ قال تعالى ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أي وعد ذلك وحقه حقاً ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ ﴿لِئِنَّ﴾ متعلق بيبعثهم المقدر ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ ﴿فِي﴾ إنكار البعث ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أي أردنا إيجاده، وقولنا مبتدأ خبره ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفاً على نقول، والآية لتقرير

قوله: ﴿بلى﴾ (يبعثهم) فيه مراعاة معنى من . قوله: (مصدران مؤكدان) أي للجملة المقدرة بعد بلى، وقوله (أي وعد ذلك الخ) كان عليه أن يقول أي وعد ذلك وعداً وحقه حقاً وقدره متعدياً، وكان الأولى تقديره لازماً بأن يقول أي وعد ذلك وعداً وحق حقاً أي ثبت ثبوتاً اهـ شيخنا .
أي لأن حق بمعنى ثبت ووجب لازم لا ينصب المفعول . وفي السمين: قوله: ﴿وعداً عليه حقاً﴾ هذان المصدران منصوبان على المصدر المؤكد أي: وعد ذلك وعداً، وحق حقاً . وقيل: حقاً نعت لوعداً، والتقدير بل يبعثهم وعد بذلك وعداً حقاً، وقرأ الضحاك وعد عليه حق برفعهما على أن وعد خبر مبتدأ مضمراً اهـ .

قوله: ﴿لا يعلمون﴾ (ذلك) أي أنهم يبعثون إما لعدم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها، وإما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناع البعث اهـ بيضاوي .

قوله: ﴿المقدر﴾ أي بعد بلى، وقوله: (من أمر الدين) وهو البعث، وقوله: (بتعذيبهم الخ) متعلق بيبين لكن بتضمينه معنى يميز أي ليبين لهم الذي يختلفون فيه حال كونه مميزاً بين المحق والمبطل بإثابة الأول وتعذيب الثاني اهـ شيخنا .
قوله: (وقولنا مبتدأ) أي وإنما أداة حصر اهـ .

قوله: ﴿كن﴾ من كان التامة أي احدث وابرز من العدم إلى الوجود . قوله: (والآية لتقرير القدرة على البعث) أي مسوقة لهذا المقصد، فالأمر فيها وهو قوله كن كناية عن سرعة الإيجاد عند تعلق الإرادة، وليس هناك أمر حقيقة ولا كاف ولا نون، وإلا لو كان هناك أمر لتوجه أن يقال إن كان الخطاب للشيء حال عدمه فلا يعقل، لأن خطاب المعدوم لا يعقل، وإن كان بعد وجوده ففيه تحصيل الحاصل اهـ شيخنا .

وفي البيضاوي: أن نقول له كن فيكون، وهو بيان لإمكانه وتقرير ذلك أن تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد، والإلزام التسلسل، فكما أمكن له تكوين الأشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال أمكن له تكوينها إعادة بعده اهـ .

وفي أبي السعود: إنما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الإطلاق إبداء وإعادة بعد التنبيه على تحقق البعث، ومنه يظهر كفيته فما كافة وقولنا مبتدأ، وقوله تعالى ﴿لشيء﴾ أي أي شيء كان مما عزَّ وهان متعلق به على أن اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له: قم فقام . وجعلها الزجاج سببية أي لأجل شيء، وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتباره وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا أنه كان شيئاً
الفتوحات الإلهية/ج ٤/م ١٥

القدرة على البعث ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بالأذى من أهل مكة وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿لِنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ننزلهم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ داراً ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة ﴿وَلَنَجْزِيَ الْآخِرَةَ﴾ أي الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لو افقوهم هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فسيرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَتَسْلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك،

قبل ذلك، وقوله: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ ظرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده أن نقول له كن خبر للمبتدأ، فيكون إما عطف على مقدر تفصح عنه الفاء، وينسحب عليه الكلام أي: فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧ وآل عمران: ٤٧]، وإما جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون. وليس هناك قول ولا مقول له، ولا أمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين: إما خطاب المعلوم، أو تحصيل الحاصل، بل هو تمثيل لسهولة تأني المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى، وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الأمر المطاع، فالمعنى إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون اهـ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ، وقوله ﴿هاجروا﴾ أي: انتقلوا من مكة إلى المدينة، وقوله ﴿في الله﴾ في بمعنى لام التعليل والكلام على حذف مضافين كما أشار له الشارح، وقوله ﴿لإقامة﴾ أي لإظهار دينه، وقوله ﴿لنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ خبر اهـ.

قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَ الْآخِرَةَ﴾ أي وللأجر الكائن في الآخرة وهو النعيم الكائن في الجنة التي هي المراد بالآخرة أكبر وأعظم من الأجر الكائن في الدنيا، وهو إسكانهم المدينة اهـ شيخنا.
قوله: ﴿ما للمهاجرين﴾ مفعول يعلمون، وقوله ﴿لو افقوهم﴾ جواب لو اهـ شيخنا.
قوله: ﴿لإظهار الدين﴾ متعلق بالهجرة أي الذين هاجروا لإظهار الدين.

قوله: ﴿وعلى ربهم﴾ وحده يتوكلون، والظاهر والله أعلم أن المعنى على المضى والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار صورة توكلهم البديعة، وفيه ترغيب لغيرهم في طاعة الله عز وجل اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الخ نزلت في مشركي مكة أنكروا نبوة رسول الله ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث إلينا ملكاً اهـ نهر.

قوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ جواب شرط مقدر أي: إن شككتهم فيما ذكر ﴿فاسألوا﴾ الخ، والخطاب لكفار مكة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا تعلمون﴾ (ذلك) أي أن الرسل من البشر. قوله: ﴿أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد﴾ أي لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم بالكتب القديمة، وقد أرسل الله إليهم رسلاً منهم مثل موسى وعيسى وغيرهما من الرسل، وكانوا بشراً مثلهم، فإذا سألوهم فلا بد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشراً فإذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم اهـ خازن.

فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمحذوف أي أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الكتب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ في ذلك فيعتبرون

والمصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف أي أقرب من تصديقكم المؤمنين بمحمد أي: الذين آمنوا به، والمعنى إذا أخبركم أهل الكتاب عن حاله وأخبركم المؤمنون عن حاله كنتم إلى تصديق أهل الكتاب أقرب لاشتراككم معهم في الكفر، فبينكم وبينهم رابطة فاسألوهم عن حاله المقرر في كتبهم، وعن كون الرسل السابقين بشراً أو ملائكة وغير ذلك.

قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فيه ستة أوجه.

أحدها: أنه متعلق بمحذوف على أنه صفة لرجالاً فيتعلق بمحذوف أي رجالاً ملتبسين بالبينات أي: مصاحبين لها، وهو وجه حسن ذكره الزمخشري، ولا محذور فيه.

والثاني: أنه متعلق بأرسلنا ذكره الحوفي والزمخشري وغيرهما، وبه بدأ الزمخشري فقال: يتعلق بأرسلنا داخلاً تحت حكم الاستثناء مع رجالاً أي وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات، كقولك: ما ضربت إلا زيداً بالسوط، لأن أصله ضربت زيداً بالسوط.

الثالث: أن يتعلق بأرسلنا أيضاً إلا أنه على نية التقديم قبل أداة الاستثناء تقديره: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً حتى لا يكون ما بعد إلا معمولين متأخرين لفظاً ورتبة داخلين تحت الحصر لما قبل إلا، حكاه ابن عطية.

الرابع: أنه متعلق بيوحي، كما تقول أوحى إليه بحق ذكره الزمخشري وأبو البقاء.

الخامس: أن يتعلق بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام، كقول الآخر إن كنت عملت لك فأعطني حقي.

السادس: إنه متعلق بمحذوف جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل بم أرسلوا، فقيل: أرسلوا بالبينات والزبر كذا قدره الزمخشري، وهو أحسن من تقدير أبي البقاء، يعني لموافقته للدال عليه لفظاً ومعنى اهـ سمين.

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني أنزلنا عليك يا محمد الذكر هو القرآن، وإنما سماه ذكراً لأن فيه مواعظ وتنبهاً للغافلين لتبين للناس ما نزل إليهم يعني: ما أجمل إليك من أحكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة، والمبين لذلك المجمع هو رسول الله ﷺ، ولهذا قال بعضهم: متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث، لأن القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمع. وقال بعضهم: القرآن منه محكم ومنه متشابه، فالمحكم يجب أن يكون مبنياً والمتشابه هو المجمع يطلب بيانه من السنة. فقوله لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر اهـ خازن.

قوله: (في ذلك) أي فيما نزل إليهم.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجهم كما ذكر في الأنفال ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥) أي من جهة لا تخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (١٦) بفائتين العذاب ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تنقص شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٧) حيث لم يعاجلهم

قوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ﴾ الاستفهام للتوبيخ اهـ والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم. أي: ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ﴾ لهم مضمونه الذي من جملته أنباء الأمم المهلكة بفنون العذاب ولم يتفكروا في ذلك أي لم يتفكروا ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ اهـ أبو السعود.

والسيئات فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه نعت لمصدر محذوف أي: المكرات السيئات، ولم يذكر الزمخشري غيره. الثاني: أنه مفعول به على تضمين مكروا معنى عملوا أو فعلوا وعلى هذين الوجهين فقوله: ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ﴾ مفعول بأمن. الثالث: أنه منصوب بأمن أي: أمنوا العقوبات السيئات، وعلى هذا فقوله أن يخسف الله بدل من السيئات اهـ سمين.

قوله: (المكرات) بفتح الكاف جمع مكرة بسكونها وهي المرة من المكر.

قوله: (يقدروا) بضم الياء ذلك أي الهلاك أي يعتقدوه ويظنوه، واعترض هذا بأن قياس العربية يقدرون بإثبات النون، إذ لا جازم ولم لا تجزم إلا فعلاً واحداً وهو يكونوا. وأجيب: بأنه بدل من يكونوا، والمبدل من المجزوم مجزوم، والمبدل منه في نية الطرح، فكأن المعنى ولم يقدروا ذلك أو يقال سقطت النون تخفيفاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فِي تَقْلُبِهِمْ﴾ حال من المفعول أي: حال كونهم متقلبين في أسفارهم، والتقلب الحركة إقبالاً وإدباراً اهـ شهاب.

قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي على مخافة بأن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا، فيأتيهم الله به، وهم متخوفون أو على أن ينقص شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته. روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا التخوف التنقص، فقال: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم قال شاعرنا أبو بكر يصف ناقته:

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً
كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر رضي الله عنه: عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم اهـ بيضاوي.

وقوله: (الرحل) بالحاء المهملة رحل الناقة، والتامك بالمشثاة الفوقية السنام، والقرد بفتح القاف وكسر الراء المهملة هو المرتفع أو المتراكم، والنبع شجر يتخذ منه القسي، والسفن بفتح السين المهملة وفتح الفاء والنون وهو المبرد والقدوم. يصف ناقته بأنها أثر الرحل في سنامها فأكله وانتقصه كما ينتقص المبرد العود اهـ شهاب.

بالعقوبة ﴿أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجر وجبل ﴿يَنْفَعِيوُا﴾ تتميل ﴿ظَلَّلَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حال أي خاضعين بما يراد

قوله: ﴿أولم يروا﴾ أي بأبصارهم، والاستفهام للتوبيخ، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: ألم ينظروا ولم يروا متوجهين إلى ما خلق الله الخ اهـ أبو السعود.

وقرأ الأخوان تروا بناء الخطاب جرياً على قوله: ﴿فإن ربكم﴾ والباقون بالياء جرياً على قوله: ﴿أفأمن الذين مكروا﴾. وأما قوله: ﴿ألم يروا إلى الطير﴾ فقراءة حمزة أيضاً بالخطاب، ووافقه ابن عامر فيه، فحصل من مجموع الآيتين أن حمزة بالخطاب فيهما، والكسائي بالخطاب الأول والغيبة في الثاني، وابن عامر بالعكس، والباقون بالغيبة فيهما. فأما توجيه الأولى فقد تقدم، وأما توجيه الخطاب في الثانية فجرياً على قوله: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ [النحل: ٧٨] وأما الغيبة فجرياً على قوله: ﴿يعبدون من دون الله﴾ [يونس: ١٨] الخ وأما تفرقة الكسائي وابن عامر بين الموضعين فجمعاً بين الاعتبارين، وإن كلا منهما صحيح اهـ سمين.

قوله: ﴿إلى ما خلق الله﴾ ما عبارة عن أجرام، وقوله: ﴿من شيء﴾ بيان لما، وهو وإن كان مبهماً، والمبهم لا يصلح للبيان لكنه مقيد باعتبار صفته وهي تنفيؤ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من شيء﴾ يعني من جسم قائم له ظل، وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت إلى، لأن المراد منها الاعتبار، والاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر إلى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه ويعتبر به اهـ خازن.

قوله: (له ظل) خرج به الملك والجن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يتفيؤا﴾ أي تنتقل من جانب إلى آخر. وفي السمين: والتفيؤ تفعل من فاء يفيء إذا رجع وفاء قاصر، فإذا أريد تعديته عدي بالهمزة، كقوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ [الحشر: ٧] أو بالتضعيف نحو فياً الله الظل فتفياً، وتفيأ مطاوع فياً فهو لازم. واختلف في الفيء، فقيل: هو مطلق الظل سواء كان قبل الزوال أو بعده، وهو الموافق لمعنى الآية ههنا، وقيل: ما كان قبل الزوال فهو ظل فقط، وما كان بعده فهو ظل وفيء فالظل أعم، وقيل: بل يختص الظل بما كان قبل الزوال والفيء بما بعده، فالفيء لا يكون إلا بالعشي، وهو ما انصرفت عنه الشمس، والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله اهـ.

قوله: ﴿عن اليمين﴾ أي يمين الفلك وهو جهة المشرق، والشمائل أي شمائل الفلك وهي جهات المغرب، وأفرد اليمين باعتبار لفظ ما وجمع الشمائل باعتبار معناها اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال العلماء: إذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فإذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك، فإذا مالت الشمس إلى الغروب كان ظلك عن يسارك. وقال قتادة والضحاك: أما اليمين فأول النهار، وأما الشمال فأخر النهار دائماً اهـ.

قوله: (جمع شمال) أي على غير قياس، والقياس أشمل كذراع وأذرع اهـ شيخنا.

منهم ﴿وَهُرُّ﴾ أي الظلال ﴿دَاخِرُونَ﴾ صاغرون، نزلوا منزلة العقلاء ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا

قوله: (أي عن جانبيهما أول النهار وآخره) أشار إلى أن عن اسم بمعنى جانب، فعلى هذا ينتصب على الطرف، ويجوز أن يتعلق بتتفياً، ومعناها المجاوزة أي تتجاوز الظلال عن اليمين إلى الشمال، أو بمحذوف على أنها حال من ظلالة. وفي ذلك سؤال كيف أفرد الأول وجمع الثاني؟ أجيب بأجوبة.

أحدها: أن الابتداء يقع من اليمين وهو شيء واحد فلذلك وحد اليمين ثم ينتقص شيئاً فشيئاً وحالاً بعد حال فهو بمعنى الجمع، فصدق على كل حال لفظة الشمائل، فتعدد بتعدد الحالات، وإلى قريب منه أبو البقاء.

والثاني: قال الزمخشري: واليمين بمعنى الأيمان يعني أنه مفرد قائم مقام الجمع وحينئذ فهمما في المعنى جمعان، كقوله: ﴿ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٥] أي الأدبار.

الثالث: قال الفراء: كأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من ذوات الظلال، وإذا جمع ذهب إلى كلها، لأن قوله ما خلق الله من شيء لفظه واحد، ومعناه الجمع، فعبّر عن أحدهما بلفظ الواحد، كقوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام: ١] وقوله: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾ [البقرة: ٧] اهـ كرخي.

قوله: (أي عن جانبيهما) هكذا في بعض النسخ بالثنية وهو ظاهر، والضمير لليمين وللشمائل، والجانب الجهة، فأشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي عن جهة اليمين وجهة الشمائل، وفي بعض النسخ عن جانبيهما بصيغة الجمع، وكأنه اعتبر تعدد الشمائل مع اليمين، فيكون المجموع جمعاً. وقوله: (أول النهار وآخره) لف ونشر مرتب، فأول النهار راجع لجهة اليمين وآخره لجهة الشمائل تأمل. قوله: ﴿سجداً لله﴾ حال من ظلالة وسجداً جمع ساجد كشاهد وشهد، وراكَع وركع اهـ سمين.

قوله: ﴿وهم داخرون﴾ حال من الضمير المستتر في سجداً فهي حال متداخلة اهـ كرخي.

قوله: (نزلوا) أي في التعبير عنهم بصيغة جمع العقلاء وهم صاغرون اهـ.

وفي الخازن: فإن قلت: الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل، وأجاز جمعها بالواو والنون؟ قلت لما وصفها الله تعالى بالطاعة والانقياد لأمره، وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل؟ وإجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء اهـ.

قوله: ﴿ولله يسجد﴾ قال العلماء: السجود على نوعين: سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل، وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال. فقوله: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض﴾ يحتمل النوعين. لأن سجود كل شيء بحسبه، فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة، وسجود غيرهم سجود خضوع، وأتى بلفظة ما في قوله: ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾ للتغليب، لأن ما لا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد والحكم للأغلب، كتغليب المذكر على المؤنث، ولأنه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب، بل كانت متناولة للعقلاء خاصة، فأتى بلفظة ما لتشمل الكل، ولفظ الدابة مشتق من الدب، وهو عبارة عن الحركة الجسمانية، فإن دابة

﴿فِى الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي نسمة تدب عليها أي يخضع له بما يراد منه، وغلب في الإتيان بما لا يعقل لكثرتة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته ﴿يَخَافُونَ﴾ أي الملائكة حال من ضمير يستكبرون ﴿رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ حال من هم أي عالياً عليهم

اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب، فيدخل فيه الإنسان، لأنه مما يدب على الأرض، ولهذا أفرد الملائكة في قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ لأنهم أولو أجنحة يطيرون بها، وأفردهم بالذكر وإن كانوا في جملة ما في السموات لشرفهم. وقيل: أراد الله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، فسجدوا الملائكة والمسلمين للطاعة وسجدوا غيرهم تسخيرها لما خلقت له، أو سجدوا ما لا يعقل والجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين إلى السجود لله عند التأمل والتدبر اهـ خازن.

قوله: ﴿من دابة﴾ يجوز أن يكون بياناً لما في الشقين، ويكون في السماء خلق يدبون، ويجوز أن يكون بياناً لما الثانية اهـ نهر.

قوله: (أي يخضع له) نبه بهذا على أن المراد السجود اللغوي والسجود الشرعي فرد منه. وفي المختار: سجد خضع، ومنه سجد الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض وبابه دخل اهـ.

قوله: (بما يراد) كأن الباء بمعنى اللام، ويكون الجار والمجرور بدلاً من الذي قبله قوله: (بما يراد منهم) الباء بمعنى اللام أي لما يريد الله تعالى منهم من طول وقصر وتحول من جانب إلى جانب لا نتعاصى على قدرة الله عز وجل اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (بما يراد) منهم أي من الانقياد لقدرة الله تعالى وإرادته، لأن انقياد الجمادات لقدرة الله تعالى وإرادته كانقياد المأمور به لآمره، والساجد للمسجود له، والخاضع للمخضوع له على سبيل التجوز بالسجود اهـ.

قوله: (في الإتيان) أي التعبير. قوله: (خصهم بالذكر) أي فهو عطف على ما في قوله ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾ عطف خاص على عام، لنكتة هي تفضيلهم وتشريفهم اهـ من النهر. قوله: (تفضيلاً) أي تشريفاً وتعظيماً وإجلالاً لهم. قوله: (عن عبادته) يشير إلى أن الضمير للملائكة لا لما لاختصاصه بأولي العلم، وليس المقام مقام تغليب اهـ شهاب.

قوله: (حال من هم) صوابه حال من ربهم كما يدل عليه ما بعده اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿من فوقهم﴾ يجوز فيه وجهان.

أحدهما: أن يتعلق بيخافون أي يخافون عذاب ربهم كائناً من فوقهم، فقوله: من فوقهم صفة للمضاف المقدة وهو عذاب وهي صفة كاشفة، لأن العذاب إنما ينزل من فوق.

الثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من ربهم أي يخافون ربهم عالياً عليهم علو الرتبة والقدرة قاهر لهم، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١] اهـ.

بالقهر ﴿وَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ به ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ أتى لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَاتَّبَعُوا فَأَرْهَبُونَ﴾ ﴿٥١﴾ خافون دون غيري وفيه التفات عن الغيبة ﴿وَكُلُّهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصِباً﴾ دائماً، حال من الدين، والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تُنْفِقُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار أو

قوله: ﴿اثْنَيْنِ﴾ فيه قولان، أحدهما: أنه تأكيد لإلهين، وعليه أكثر الناس. ولا تتخذوا على هذا يحتمل أن يكون متعدياً لواحد ويكون بمعنى لا تعبدوا، وأن يكون متعدياً لاثنيين على أصله. والثاني منهما محذوف أي لا تتخذوا إلهين اثنين معبوداً. والثاني: أن اثنين مفعول أول، وإنما آخر، والأصل لا تتخذوا اثنين إلهين وفيه بعد، وقال أبو البقاء: هو مفعول ثان، وهذا كالغلط إذ لا معنى لذلك البتة، وكلام الزمخشري هنا يفهم أنه ليس بتأكيد اهـ سمين .

قوله: (تأكيد) أي لفظ اثنين تأكيد لما فهم من إلهين من التشية. قوله: ﴿فِي أَيِّ فَا رَهْبُونِ﴾ إياي منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر أي إياي ارهبوا فارهبون، وقدره ابن عطية ارهبوا إياي فارهبون. قال الشيخ: وهو ذهول عن القاعدة النحوية، وهي أن المفعول إذا كان ضميراً منفصلاً والفعل متعد لواحد وجب تأخير الفعل نحو: إياك نعبد، ولا يجوز أن يتقدم إلا في ضرورة، وقد يجاب عن ابن عطية بأنه لا يقبح في الأمور التقديرية ما يقبح في اللفظية اهـ سمين .

قوله: (وفيه التفات عن الغيبة) وهي قوله وقال الله إلى الحضور، وهو قوله ﴿فِي أَيِّ﴾ لأنه أبلغ في الرغبة من قوله: ﴿فِي أَيِّ فَا رَهْبُونِ﴾، فإن الترهيب في التكلم المتنقل إليه أزيد، والتقدير أنه لما ثبت أن الإله واحد، والمتكلم بهذا الكلام إله ثبت أنه لا إله للعالم إلا المتكلم بهذا الكلام، فحينئذ يحس منه أن يعدل من الغيبة إلى الحضور ويقول ﴿فِي أَيِّ فَا رَهْبُونِ﴾، ثم التفات من التكلم إلى ضمير الغيبة في قوله: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ الخ اهـ كرخي .

قوله: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ الخ معطوف على قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ أو على الخبر أو مستأنف اهـ شهاب .

قوله: (ملكاً وخلقاً وعبيداً) تمييز عن النسبة أي يختص به ما في السموات والأرض ملكاً الخ اهـ كرخي .

قوله: ﴿وَاصِباً﴾ (دائماً) وفي البيضاوي: لازماً. وقال الشهاب: الوصب ورد في كلامهم بمعنى اللزوم والدوام اهـ .

وفي المصباح: ووصب الشيء بصوباً دام، ووصب الدين وجب اهـ .

وفي القاموس: ووصب بالفتح يصب بالكسر وصوباً دام وثبت كأوصب وعلى الأمر واطب اهـ .

قوله: (معنى الظرف) أي الاستقرار المفهوم من الظرف أي: الجار والمجرور: استقر الدين وثبت له حال كونه دائماً اهـ شيخنا .

وهذا الاعراب الذي سلكه المفسر لا يصح إلا إذا جعل الدين فاعلاً بالظرف على مذهب البعض

التوبخ ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ لا يأتي بها غيره، وما شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ﴾
أصابتكم ﴿الضُّرُّ﴾ الفقر والمرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْزَوْنَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا

الذي لم يشترط الاعتماد، وأما على الظاهر من جعل الدين مبتدأ فلا يستقيم، لأن القاعدة أن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، والمبتدأ ليس معمولاً للخبر بل عامل فيه، فحينئذ الأولى أن يجعل حالاً من الضمير المستكن في الظرف كما ذكره الشهاب. والتقدير ثابت له حال كونه واصباً فتأمل. قوله: (والاستفهام للإنكار) أي والفاء للتعقيب، والمعنى أبعد ما تقرر من توحده وكونه المالك الخالق تتقون غيره والمنكر تقوى غير الله، فلذا قدم وأولى الهمزة اهـ شهاب.

وعبارة الكرخي: قوله: (والاستفهام للإنكار) أي أنكم بعد ما عرفتم أن إله العالم واحد، وأن كل ما سواه محتاج إليه في حدوثه وبقائه كيف يعقل أن يكون للإنسان رغبة في غير الله أو رهبة في غير الله اهـ.

قوله: (وما شرطية النخ) والتقدير: وأي نعمة بكم أي نزلت بكم فمن الله أي فهي من الله فالمبتدأ محذوف، وقوله: (أو موصولة) والتقدير والذي نزل بكم من النعم فمن الله أي: فثابت ووارد من الله، فالظرف وهو من الله خبر مبتدأ محذوف على الشرطية وخبر للموصول نفسه على الموصولية اهـ شيخنا.

وفي السمين: يجوز في ما وجهان.

أحدهما: أن تكون موصولة والجار صلتها وهي مبتدأ، والخبر قوله ﴿فمن الله﴾ والفاء زائدة في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط تقديره: والذي استقر يقدر ومن نعمة بيان للموصول، وقدر بعضهم متعلق بكم خاصاً، فقال: وما حال بكم أو نزل بكم وليس بجيد، إذ لا يقدر إلا كوناً مطلقاً.

والثاني: أنها شرطية وفعل الشرط بعدها محذوف، وإليه نحا الفراء وتبعه الحوفي وأبو البقاء: قال الفراء: التقدير وما يكن بكم، وقد ردّ هذا بأنه لا يحذف فعل الشرط إلا بعد إن خاصة في موضعين، أحدهما: أن يكون في باب الاشتغال نحو: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ [التوبة: ٦] لأن المحذوف في حكم المذكور. والثاني: أن تكون إن متلوة بلا النافية وأن يدل على الشرط إما تقدمه من الكلام كقوله:

فطلقها فلست لها بكفء وإلا يعمل مفرقك الحسام
أي: وإن تطلقها فحذف لدلالة قوله فطلقها عليه، فإن لم توجد لا النافية أو كانت الأداة غير إن لم يحذف إلا لضرورة اهـ.

قوله: (أو موصولة) أي بمعنى الذي وصلتها بكم، والعامل فعل استقرار، ومن نعمة تفسير لما وهي مبتدأ والخبر قوله: ﴿فمن الله﴾، والفاء زائدة في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول، فإن استقرار النعمة بهم يكون سبباً للإخبار بأنها من الله لحصولها منه، والتقدير والذي استقر بكم اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإليه تجأرون﴾ من الجوار بوزن الزكام، وهو رفع الصوت بالدعاء في كشف المضار اهـ شيخنا.

تدعون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَسْتَعِزُّوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَشَتَّىٰ لَكُمْ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا

وفي القاموس: جأر كمنع جأراً وجوراً بوزن غراب، رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث، والبقرة والثور صاحاً والنبات جواراً طال، والأرض طال نبتها اهـ.

قوله: (ولا تدعون لغيره) لعله على هذه النسخة ضمن تدعون تلجؤون فعده باللام، وفي نسخة غيره وهي واضحة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ﴾ إذا الأولى شرطية، والثانية فجائية جوابها وفي الآية دليل على أن إذا الشرطية لا تكون معمولة لجوابها، لأن ما بعد إذا الفجائية لا يعمل فيما قبلها اهـ سمين.

قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ﴾ يجوز في منكم أن يكون صفة لفريق، ومن للتبويض. يجوز أن تكون للبيان قاله الزمخشري كأنه قيل: إذا فريق كافر وهم أنتم اهـ سمين.

قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام لام العاقبة أي: فعاقبة إشراكهم بالله غيره كفرهم بالنعمة، وهي كشف الضر عنهم، والمراد بكفرها عدم شكرها بالانقياد لمسديها اهـ شيخنا.

وفي السمين ما نصه: في هذه اللام ثلاثة أوجه، أحدها: أنها لام كي وهي متعلقة بيشركون أي إشراكهم سببه كفرهم به. الثاني: أنها لام الصيرورة أي صار أمرهم إلى ذلك. الثالث: أنها لام الأمر وإليه نحا الزمخشري اهـ.

قوله: ﴿فَتَسْتَعِزُّوا﴾ معمول لقول محذوف أي: قل لهم يا محمد تمتعوا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ الخ لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى أي: يفعلون ما يفعلون من الجوار إلى الله تعالى عند مس الضر، ومن الإشراف به عند كشفه ويجعلون الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي للأصنام التي لا يعلمون أي المشركين أنها تضر أي: من حيث عبادتها ولا تنفع، أي بخلاف المؤمنين، فإنهم يعلمون أنها تضر من حيث عبادتها ولا تنفع. وفي نسخة أنها لا تضر ولا تنفع هي ظاهرة أي: المشركون لا يعلمون سلب الأمرين عنها، ونحن نعلم ذلك اهـ شيخنا.

وعلى هذا فالواو واقعة على المشركين، وعائد الموصول محذوف قدره بقوله: (أنها لا تضر ولا تنفع)، ويحتمل أن الواو واقعة على الأصنام المدلول عليها بما له وتكون هي العائد، ولا تقدير في الكلام أي: ويجعلون الأصنام لا علم لها، ويكون التعبير عنها بواو الجماعة الذكور مجازة لتقولهم فيها إنها آلهة، ويلزم الإله أن يكون من ذوي العلم اهـ.

قوله: (من الحرث) أي الزرع. قوله: (بقولهم) متعلق بيجعلون. قوله: ﴿تَفْتَرُونَ﴾ أي

كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنَّهُ أَمْرَكُمْ بِذَلِكَ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ بقولهم الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُمْ﴾ تنزيهاً له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ هـ أي البنون والجملة في محل رفع أو نصب ويجعل، المعنى يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزّه عن الولد ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونها فيختصون بالأسنى كقوله ﴿فَاسْتَفْتَهُمُ الْبَنَاتَ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا

تكذبون. قوله: (بذلك) أي الجعل المذكور.

قوله: (بقولهم الملائكة بنات الله) قائل ذلك كنانة وخزاعة، ويحتمل أنهم لجعلهم زعموا تأنيهاً وبنوتها، ويحتمل كما قاله الإمام أنهم سموها بنات لاستتارها كالنساء أهـ شهاب.

قوله: (بنات الله) أي ولدها: كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا أَنَّهُمْ مِنْ إِفْكَهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهِ﴾ [الصفافات: ١٥١] فليس المراد بالبنات بناتهم التي يلدونها، لأنهم يعترفون بأنها بناتهم أنفسهم، فلا يضيفونها لله، وإنما البنات التي يضيفونها لله هي الملائكة أهـ شيخنا.

قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ هذه جملة مستأنفة أو في محل النصب على الحال من الواو في يجعلون هذا وقول الشارح والجملة: في محل رفع فيه تساهل، لأن مراده بهذا الوجه أنها مستأنفة، والمستأنفة لا محل لها إلا أن يراد أنها في محل رفع باعتبار جزأها أي: أن كلاً من جزأها في محل رفع، وقوله: (أو نصب ويجعل) مراده به أن لهم معطوف على الله، وما يشتَهُون عطف على البنات، فلا جملة بل الكلام من قبيل عطف المفردات، فتسميتها جملة على هذا الوجه تساهل، وقوله: (المعنى الخ) يناسب الوجه الثاني في كلامه أهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ويجوز في ما يشتَهُون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات، على أن الجعل بمعنى الاختيار، وهو إن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد، لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف أهـ.

وقوله: ضمير الفاعل أي في ويجعلون والمفعول أي في لهم لشيء واحد وهم الكفرة، وقد تقرر في النحو أنه لا يجوز اتحاد ضميري الفاعل والمفعول إلا في باب ظن وأخواتها وما ألحق بها من فقد وعدم، سواء تعدى الفعل إلى ضميره بنفسه أو بحرف الجر، فلا يجوز زيد ضربه أي ضرب نفسه، ولا زيد مرّ به أي مر بنفسه، ويجوز زيد ظنه قائماً زيد فقدّه وعدمه أي: ظن نفسه قائماً وفقدّه نفسه وعدمها أهـ زاده.

قوله: (بالأسنى) أي بالقسم الأسنى أي الأرفع والأشرف أهـ شيخنا.

من السناء بالمد وهو الرفعة والشرف، وأما بالقصر فهو الضوء والنور.

قوله: ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ﴾ الخ الجملة حال من الواو في يجعلون، وقد أشار له الشارح بقوله: فكيف تنسب البنات إليه تعالى، وكذلك جملة يتوارى الخ حال من الواو، أو من قوله ﴿كَظِيمٍ﴾ أهـ من انسمين.

وفي الكرخي: قال الرازي: البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت

السوأي بمعنى القبيحة وهي وأدهم البنات مع احتياجهن إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْمَكِيدُ﴾ في خلقه ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ بِالْمَعَاصِي﴾ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا أي الأرض ﴿مِنْ دَائِرَةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَفْرِخُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾

وفي أبي السعود: حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالي عن الولد، والحال أنهم يتحاشون عنه اهـ.

قوله: ﴿مثل السوء﴾ المثل بمعنى الصفة، والسوء بمعنى السوأي السوأي كموسى، وهو من إضافة الموصوف لصفته كما يعلم من كلام الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (السوأي) بضم السين والقصر بوزن طوبى. قوله: ﴿بظلمهم﴾ الباء سببية وقوله: ﴿وما ترك الخ﴾ أي: ما ترك عليها شيئاً من دابة قط، بل أهلكها بالمرة بشؤم وظلم الظالمين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما ترك عليها من دابة﴾ قيل في طريق هلاك الجميع أنه تعالى يمسك القطر بسبب ظلمهم وانقطاعه يوجب انقطاع النسل، وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء، وذلك يستلزم أن لا يبقى في العالم أحد من الناس، وذلك لأن من المعلوم أنه لا أحد إلا وفي آباءه من يستحق العذاب بسبب ظلمه، فإذا هلكوا فقد انقطع نسلهم، وذلك يستلزم أن لا يبقى شيء من الدواب أيضاً لأنها مخلوقة لمنافع العباد، وإذا لم يبق من ينتفع بها فقد انتهت الحكمة في بقائها فوجب إهلاكها، ووجه انتظام الآية بما قبلها أنه تعالى لما حكى عنهم عظيم كفرهم بين أنه يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة لحكمة توجب ذلك اهـ.

وفي أبي السعود: ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم، وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ٦ و ١٨]، وإيدان بأن ما أتوه من القبائح قد تناهى إلى أمد لا غاية وراءه ما ترك عليها أي على الأرض المدلول عليها بالناس، وبقوله ﴿من دابة﴾ أي ما ترك عليها شيئاً من دابة قط، بل أهلكها بالمرة شؤم ظلم الظالمين، كقوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال: ٢٥].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال لي: والله حتى أن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كان يجعل يهلك في حجره بذنوب ابن آدم أو من دابة ظالمة، وقيل: لو أهلك الآباء لم تكن الأبناء، فيلزم أن لا يكون في الأرض دابة لما أنها مخلوقة لمنافع البشر لقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة: ٢٩] ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم إلى أجل مسمى لإعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا أو يكثر عذابهم اهـ.

قوله: (أي الأرض) وإنما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس أو الدابة عليها اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿مسمى﴾ أي معين عند الله تعالى. قوله: (والضريك في الرئاسة) وهو الأصنام جعلوها

لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلَسِنْتُهُمْ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذْبُ﴾ وهو ﴿أَنْتَ لَهُمُ الْمُسْتَقْنُ﴾ عند الله أي الجنة لقوله: ولئن رجعت إلى ربي وإن لي عنده للحسنى قال تعالى ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنْ هُمْ النَّارُ وَأَنْتُمْ مُفْرَطُونَ﴾ متروكون فيها أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء أي متجاوزون الحد ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ أُمَمِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي أمورهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي

شركاء الله في الألوهية التي هي أعلى أوصاف الرئاسة، وقوله: (وإهانة الرسل) كما أهانوا رسول الله ﷺ وهم يكرهون إهانة رسلهم، ويكرهون الشريك في الرئاسة، ويكرهون البنات. قوله: (مع ذلك) أي الجعل المذكور. قوله: ﴿الْكُذْبُ﴾ العامة على أنه بالنصب مفعول به، وأن لهم الحسنى بدل منه بدل كل من كل، أو على إسقاط الخافض أي بأن لهم الحسنى اهـ سمين.

قوله: (لقوله الخ) استدلال على التقييد بالعندية وهي عندية علم وإكرام في زعمهم. قوله: (قال تعالى) أي رداً عليهم.

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ تركيب مزجي من لفظ جرم ومعناه الفعل أي ثبت أو المصدر أي حقاً كما فسره الشارح بالثاني، وقوله: (أن لهم الخ) فاعل بفعل المصدر المذكور أي حق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مُفْرَطُونَ﴾ في المختار: وفرط القوم سبقهم إلى الماء فهو فارط، والجمع فراط بوزن كتاب وبابه نصر، وأفرطه تركه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ مُفْرَطُونَ﴾ أي متروكون في النار منسيون، وأفراط في الأمر أي جاوز في الحد اهـ.

وفي القاموس: وأفرط فلاناً تركه وتقدمه وجاوز الحد، وأعجل بالأمر، وأنهم مفراطون أي منسيون متروكون في النار أو مقدمون معجلون إليها، وقرئ بكسر الراء أي: مجاوزون لما حد لهم اهـ.

وقول الشارح: متروكون هو هكذا في النسخ الصحيحة، وفي بعض النسخ متروكون بضم الميم وفتح الراء وإسقاط الواو وهو تصحيف لأن فعله ثلاثي، فاسم المفعول منه متروك بفتح الميم والواو لا متروك بضم الميم وحذف الواو. قوله: (أو مقدمون إليها) أي معجلون إليها قبل غيرهم اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة.

قوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ الخ شروع في تسليته ﷺ. وفي زاده سلى رسوله ﷺ فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم، وختم تسليته بما يدل على أنك لم تبعث إلا لتبلغ وتبين للناس ما هو الحق، لا لأن تلتفت إلى سفاهات قومك وتغتم لأجلها، فقال: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الآية، ثم انتقل إلى دلائل ألوهيته وتفرد به، فقال والله أنزل الخ اهـ.

قوله: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ﴾ لفظ اليوم المعرف بآل إنما يستعمل حقيقة في الزمان الحاضر المقارن للتكلم كالآن، وحيثئذ فلفظ اليوم في الآية يحتمل أنه إشارة إلى وقت تزيين الشيطان الأعمال للأمم الماضية، فيحتاج لتأويل بأن يقال إنه على حكاية الحال الماضية حيث عبر عن الزمان الماضي بلفظ

في الدنيا ﴿وَكَمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ عطف على لتبين ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ

اليوم الموضوع للزمن الحاضر، ويحتمل أنه إشارة إلى يوم القيامة فيحتاج إلى تأويل بأن يقال إنه على حكاية الحال الآتية حيث عبر عن الزمان الذي يحصل بما هو موضوع للحاضر المقارن، ويحتمل أن يشار به إلى مدة الدنيا من حيث هي، وعلى هذا فلا حاجة لتأويل أصلاً، لأن مدة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة، فتلخص أن الاحتمالات ثلاثة، وأنه يحتاج للتأويل على الأول والثاني دون الثالث، ونبه الشارح على احتمالين من الثلاثة بقوله: (أي في الدنيا). وعلى هذا فلفظ اليوم مستعمل في أصل معناه وبقوله، (وقيل: المراد الخ) وعلى هذا فلفظ اليوم غير مستعمل في أصل معناه، فاحتاج إلى تصحيح الاستعمال بقوله (على حكاية الحال الآتية). وفي أبي السعود: فهو وليهم قرينهم اليوم أي يوم زين لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية، أو في الدنيا، أو يوم القيامة على طريقة حكاية الحال الآتية، وهي حال كونهم معذبين في النار اهـ.

ومثله في البيضاوي وفي الشهاب عليه قوله: (أي في الدنيا) لما كان اليوم يستعمل معروفاً لزمن الحال كالآن، وليس الشيطان ولياً للأمم الماضية في زمن الحال وجه بأن ضمير وليهم إن عاد للأمم الماضية، فالיום هو زمان تزيين الشيطان لهم أعمالهم، وهو وإن كان ماضياً صور بصورة الحال ليستحضر السامع تلك الصورة العجيبة ويتعجب منها، أو المراد باليوم مدة الدنيا لأنها كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة، أو المراد به يوم القيامة اهـ.

قوله: (متولي أمورهم) أي بإغوائهم. قوله: (لا ولي) أي ناصر، وقوله (وهو عاجز) أي والحال، هذا راجع للقول الثاني كما يدل عليه صنيع الشهاب. قوله: (فكيف ينصرهم) أشار بهذا إلى معنى الولي على القول الثاني في معنى اليوم هو الناصر لا بمعنى المتولي للإغواء، إذ لا إغواء ثمة ولا بمعنى القرين، لأنه في الدرك الأسفل بخلافه على القول الأول، فإن المراد به القرين أو المتولي لاغوائهم اهـ من الشهاب.

قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾ من جملة التسلية. قوله: ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ﴾ وإنما جرّ هذا باللام لاختلاف فاعله مع فاعل الفعل، فإن المنزل هو الله تعالى والمبين هو النبي ﷺ، وإنما نصب اللذان بعده لاتحاد فاعلهما مع فاعل الفعل، لأن الهادي والراحم هو الله كما أنه المنزل اهـ شيخنا.

قوله: (من أمر الدين) كالتوحيد والشرك والجبر والقدر وإثبات المعاد وإحكام الأفعال اهـ كرخي.

قوله: (المذكور) أي الإحياء. قوله: (سماع تدبر) وانصاف، فالمراد سماع القلوب لا سماع الآذان، لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم اهـ كرخي.

مَوْتَهَا ﴿إِنَّا فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَايَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٦﴾ سماع تدبر ﴿وَلِنَّا﴾ ﴿لِكُرْفِي الْأَنْعَمِ لِعَبْرَةٍ﴾ اعتباراً ﴿شَفِيقَكُمُ﴾ بيان للعبرة ﴿يَمَافِي بَطُونِهِ﴾ أي الأنعام ﴿مِنْ﴾ للابتداء متعلقة بنسقيكم ﴿بَيْنَ فَرْثٍ﴾ ثفل الكرش ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون وهو بينهما ﴿سَائِفًا لِلشَّارِبِينَ﴾ ﴿١٧﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ

قوله: ﴿وإن لكم في الأنعام﴾ الظاهر أن في سببية أي: وإن لكم اعتباراً واتعاضاً بسبب الأنعام. أي: بسبب اللبن الذي يخرج من بطونها على الوجه المذكور. قوله: ﴿لعبرة﴾ أي اتعاضاً. وفي البيضاوي: لعبرة أي دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم اهـ.

وهذا إشارة إلى أن العبارة مصدر بمعنى العبور أطلق على ما يعبر إلى العلم مبالغة في كونه سبباً للعبور اهـ زاده.

وفي الشهاب: وأصل معنى العبر والعبور من محل إلى آخر، فاطلاق العبارة على ما يعتبر به لما ذكر لكنه صار حقيقة في عرف اللغة اهـ.

قوله: (بيان للعبرة) أي لمتعلقها وهو المعتبر به. وعبارة السمين: قوله: ﴿نسقيكم﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة مفسرة للعبرة، كأنه قيل: كيف العبارة فليل نسقيكم من بين فرث ودم لبناً خالصاً، ويجوز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف، والجملة جواب لذلك السؤال أي هي أي العبارة نسقيكم، ويكون كقوله تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. وقرأ نافع وابن عامر نسقيكم بفتح النون هنا وفي المؤمنون، والباقون بضمها فيهما اهـ.

قوله: ﴿مما في بطونه﴾ من تبعية أو ابتدائية، وقوله: من بين من هذه مع مجرورها حال من لبناً قدم عليه أو من ما التي قبلها، ويصح أن تكون ابتدائية أيضاً، لكن على جعل الأولى تبعية، فإن جعلت ابتدائية أيضاً تعين جعل مجرور الثاني بدل اشتغال من مجرور الأولى، لثلاثا يتعلق حرفان متحدان لفظاً ومعنى بعامل واحد وهو ممتنع إلا في بدل الاشتغال، فإن المكان مشتمل على ما حل فيه اهـ من السمين.

وتذكير الضمير في بطونه مراعاة للفظ الأنعام وأنه في سورة المؤمنون مراعاة للمعنى، فإن الأنعام جنس اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: الأنعام اسم جمع وقيل جمع نعم اهـ. قوله: (ثفل الكرش) بضم المثلثة وسكون الفاء والكرش: بوزن الكبد والإضافة على معنى في أي الثفل الكائن في الكرش والثفل الروث اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: والفرث الأشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش اهـ. وإذا خرج من الكرش لا يسمى فرثاً اهـ خازن بل يسمى روثاً.

قوله: ﴿لبناً﴾ مفعول ثان لنسقيكم اهـ شيخنا. والأول هو الكاف.

قوله: (وهو بينهما) أي والحال أنه كائن ومستقر بينهما في ابتداء الأمر، وذلك أن الحيوان إذا أكل العلف طبخه الكرش، ثم انقسم إلى أقسام ثلاثة: ثفل وفوقه اللبن وفوقه الدم ثم تسلط الكبد

النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ﴿ ثمر ﴿تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ خمرًا يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها

عليها، فترسل الدم إلى العروق، واللبن إلى الضروع، ويبقى الثفل في الكرش حتى ينزل إلى الخارج
أهـ شيخنا .

وفي الكرخي : قوله : (وهو بينهما) إيضاحه أن الله تعالى خلق اللبن في مكان وسط بين الفرث
والدم، وذلك أن الكرش إذا طحن العلف صار أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً خالصاً لا يشوبه شيء، وأعلاه
دماً، وبينهما حاجز من قدرة الله تعالى، ثم سلط الكبد عليه فتجري الدم في العروق، واللبن في
الضروع، ويبقى الفرث في الكرش، فسبحان من هذه بعض حكمته اهـ .

قوله : (لا يغص به) في المصباح : غصصت بالطعام غصصاً من باب تعب فأنا غاص وغصان،
ومن باب قتل لغة . والغصة بالضم ما غص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه، والجمع غصص
مثل غرفة وغرف، ويتعدى بالهمزة فيقال أغصصته اهـ .
وفي المختار : والغصة الشجا اهـ .

وفي القاموس : والشجا ما اعترض به في الحلق من عظم ونحوه شجي به كرضي شجي اهـ .
قوله : ﴿ومن ثمرات النخيل﴾ خبر . ومن تبعيضية، والمبتدأ محذوف كما قدره الشارح، وقوله :
﴿تتخذون﴾ نعت للمبتدأ المحذوف اهـ شيخنا .
وفي السمين قوله : ﴿ومن ثمرات﴾ فيه أربعة أوجه .

أحدها : أنه متعلق بمحذوف فقدره الزمخشري ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعنان أي من
عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه قال : و ﴿تتخذون﴾ بيان وكشف عن كيفية الإساءة .

الثاني : أنه متعلق بتتخذون، ومنه تكرير للظرف توكيداً نحو زيد في الدار فيها قاله الزمخشري،
وعلى هذا فالهاء في منه فيها ستة أوجه، أحدها : أنها تعود على المضاف المحذوف الذي هو العصير
كما رجع في قوله : أو هم قائلون إلى الأهل المحذوف . الثاني : أنها تعود على معنى الثمرات .
الثالث : أنها تعود على النخيل . الرابع : أنها تعود على الجنس . الخامس : أنها تعود على البعض .
السادس : أنها تعود على المذكور .

الثالث : من الأوجه الأول أنه معطوف على قوله : ﴿في الأنعام﴾ فيكون في المعنى خبراً عن اسم
إن في قوله : ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ التقدير : وإن لكم في الأنعام ومن ثمرات النخيل لعبرة،
ويكون قوله ﴿تتخذون﴾ بياناً وتفسيراً للعبرة كما وقع نسقيكم تفسيراً لها أيضاً .

الرابع : أن يكون خبر المبتدأ محذوف، فقدره الزمخشري ثم يتخذون منه . والسكر بفتحيتين فيه
أقوال، أحدها : أنه من أسماء الخمر . والثاني : أنه في الأصل مصدر ثم سمي به الخمر يقال سكر يسكر
سكراً بفتحيتين، وسكراً بضم فسكون نحو رشد يرشد رشداً ورشداً . الثالث : أنه اسم للخل بلغة
الحبشة، قاله ابن عباس . الرابع : أنه اسم للعصير ما دام حلوأ كأنه سمي بذلك لماله بذلك لو ترك اهـ .

قوله : (سميت بالمصدر) فالسكر مصدر من باب طرب وفرح، فقال : سكر يسكر سكرأ

﴿وَرَزَقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ على قدرته تعالى ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَن﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿أَتَّخِذِي مِنْ

بفتحتين، وهذا أي الامتنان بأخذ السكر منها المقتضي لحله، إذ الامتنان بالشيء يقتضي حله اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وهذا قبل تحريمها جزم به اعتماداً على قوله في السورة إنها مكية إلا ثلاث آيات من آخرها، والمائدة مدنية وتحريم الخمر فيها وهي آخر القرآن نزولاً كما ثبت في الحديث اهـ.

قوله: (والدبس) في المختار: الدبس ما يسيل من الرطب اهـ.

والعادة الآن جارية بإطلاقه على ما يتخذ من العنب، فلعله يستعمل فيهما اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الدبس بالكسر وبكسرتين عسل التمر وعسل النحل، وبالفتح الأسود من كل شيء اهـ.

قوله: (المذكور) أي من إخراج اللبن من بين الفرث والدم، ومن اتخاذ السكر والرزق من الثمرات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ لما ذكر الله تعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من إخراج اللبن من بين فرث ودم، وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، ذكر في هذه الآية إخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة، وهي النحلة. فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾. والخطاب للنبي ﷺ، أو المراد كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته، وأنه الخالق لجميع الأشياء المدبر لها بلطف وحكمته وقدرته اهـ خازن.

قوله: ﴿إِلَى النَّحْلِ﴾ اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء، ويذكر ويؤنث. فمن تأنيثه قوله هنا: ﴿أَن اتَّخِذِي﴾ الخ ومن التذكير أن يقال في غير القرآن أن اتخذ من الجبال الخ ثم كل اهـ شيخنا.

قوله: (وحي الهام) المراد منه الهداية أي أرشدها وعلمها وهداها وفي الخازن: أي سخرها لما خلقها له وألهمها رشدها، وقدر في نفسها هذه الأعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر، وذلك أن النحل تبني بيوتاً على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها، ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الأشكال، لكان فيها فرج خالية ضائعة، ولما حصل المقصود فألهمها الله تعالى أن تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل ولا فرجة خالية ضائعة، وألهمها الله تعالى أيضاً أن يجعلوا عليهم أميراً كبيراً نافذاً لحكم فيهم وهم يطيعونه ويمثلون أمره، ويكون هذا الأمير أكبرهم جثة وأعظمهم خلقة، ويسمى يعسوب النحل يعني ملكهم. كذا حكاه الجوهري. وألهمها الله تعالى أيضاً أن جعلوا على باب كل خلية بواباً لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها، وألهمها أيضاً أنها تخرج من بيوتها فتدور وترعى، ثم ترجع إلى بيوتها ولا تضل عنها، ولما امتاز هذه الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل على ذلك على الإلهام الإلهي اهـ.

الْجِبَالِ يُّوتَا ﴿تَأْوِين إِلَيْهَا﴾ وَمِنَ الشَّجَرِ ﴿بُيُوتًا﴾ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿م﴾ أَيُّ النَّاسِ يَبْنُونَ لَكَ مِنَ الْأَمَاكِنِ وَإِلَّا لَمْ تَأْوِ إِلَيْهَا ﴿ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْلُكِي﴾ ادْخُلِي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طَرَقَهُ فِي طَلَبِ الْمَرْعَى ﴿ذُلَّالًا﴾ جَمَعَ ذُلُولَ حَالٍ مِنَ السَّبَلِ أَيُّ مَسْخَرَةٍ لَكَ فَلَا تَعْسِرُ عَلَيْكَ وَإِنْ تَوَعَّرْتَ وَلَا تَضْلِي عَنِ الْعُودِ مِنْهَا وَإِنْ بَعَدْتَ وَقِيلَ مِنَ الضَّمِيرِ فِي اسْلُكِي أَيُّ مَنَاقِدَةٍ لَمَّا يَرَادُ مِنْكَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هُوَ

قوله: ﴿أَنْ﴾ (مفسرة) أي لما في الإيحاء من معنى القول فما بعدها على هذا لا محل له من الإعراب، وقوله (أو مصدرية) أي فما بعدها في محل نصب على تقدير الجار أي بأن اتخذي اهـ شيخنا .

وفي الكرخي: قوله: ﴿أَنْ﴾ مفسرة أو مصدرية أشار به إلى ما وقع في أن من الخلاف فمن قال: إنها مفسرة وجه ذلك بوجود شرطها وهو وقوعها بعد فعل فيه معنى القول، وهو أوحى كما في: ﴿فَأَوْحِينَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ [المؤمنون: ٢٧] فَإِنَّ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ اتِّفَاقًا، وَبِهَذَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَغَيْرُهُ. وَمَنْ مَنَعَ وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ قَالَ: لَا نَسْلَمُ أَنَّهَا مَفْسُورَةٌ كَيْفَ وَقَدْ انْتَفَى شَرْطُ التَّفْسِيرِ بِأَنْ الْمُرَادُ مِنَ الْإِيحَاءِ فِي الْآيَةِ هُوَ الْإِلْهَامُ اتِّفَاقًا، وَلَيْسَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ، وَحِينَئِذٍ فَهِيَ مُصَدْرِيَّةٌ كَأَنَّهُ قِيلَ: أَوْحَى رَبُّكَ بِاتِّخَاذِ بَعْضِ الْجِبَالِ بُيُوتًا، وَرَدَّ فِي الْمَعْنَى بِأَنْ الْإِلْهَامَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ عَلَى الْمَعْنَى اهـ.

قوله: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمهما سبعيتان وبابه ضرب ونصر كما في المختار. وفي القاموس: وعِشْرَ يَعْرِشُ بَنَى عَرِيشًا كَأَعْرِشَ وَعَرِشَ بِالتَّثْقِيلِ اهـ.

والظاهر أن من بمعنى في إذ لا معنى لكونها تبني من بناء الناس، بل الظاهر أنها تبني في بنائهم، ويكون المراد من بنائهم الكوارة، ومن بنائها بيتها الذي تمج فيه العسل، فإن المشاهد إنها تبني لها بيتاً داخل الخلية من الشمع، ثم تمج فيه العسل شيئاً فشيئاً، والظاهر أن من الموضعين الأولين بمعنى في أيضاً كما صرح به الشهاب، ويكون المراد ببيوتها ما تبنيه من الشمع كما تقدم، فالشمع تارة تبنيه في الجبال، وتارة في الأشجار، وهذا في النحل الوحشي، وتارة تبنيه في الخلايا وهذا في النحل الأهلي، فإن النحل قسمان كما ذكره الخازن اهـ شيخنا .

قوله: (وَلَا لَمْ تَأْوِ إِلَيْهَا) أي إلا يلهمها الله اتخاذ بيوت في الأماكن الثلاثة لم تأو إليها ولم تمج فيها عسلاً، أو المراد وإلا أي ألا تتخذ بيوتاً من الشمع تمج فيها العسل تأوي إليها أي إلى المواضع الثلاثة، بل تكون دائماً متفرقة فلم ينتفع بعسلها، لأن الذي يحملها على إيوائها وسكنها في المواضع الثلاثة هو بيتها الذي تبنيه فيها، فترجع إليها وتتردد إليها لأجل بيتها الذي تبنيه فيها اهـ شيخنا .

قوله: (طَرَقَهُ فِي طَلَبِ الْمَرْعَى) عبارة الخازن: يعني الطرق التي ألهمك الله أن تسلكها وتدخلها فيها لأجل طلب الثمرات انتهت .

قوله: (وَإِنْ تَوَعَّرْتَ) أي صعبت على غيرك، وقوله (وَلَا تَضْلِي) معطوف على فلا تعسر عليك اهـ شيخنا .

قوله: (أَيُّ مَنَاقِدَةٍ لَمَّا يَرَادُ مِنْكَ) عبارة الخازن: يعني مذلة مسخرة لأربابها مطبوعة منقادة لهم،

العسل ﴿تُخْتَلَفُ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها

حتى إنهم ينقلونها من مكان إلى مكان آخر حيث شأوا وأرادوا لا تستعصي عليهم اهـ.

وفي الكرخي: أي منقادة لما يراد منك، ولذا يقسم يعسوبها أعمالها بينها، فبعض يعمل الشمع، وبعض يعمل العسل، وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت، وبعض يبني البيوت فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى اهـ.

قوله: ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَطُونِهَا﴾ التفات وإخبار بذلك، ولو جاء على الكلام الأول لقليل من بطونك اهـ سمين.

قوله: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ﴾ يعني ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من ألوان العسل، وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار يستحيل في بطونها عسلاً بقدرة الله ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب اهـ خازن.

وفي القرطبي: ثم إنها تأكل الحامض والمر والمالح والحشائش الضارة، فيجعله الله تعالى عسلاً حلواً وشفاء وفي هذا دليل على قدرته اهـ.

وفي البيضاوي: مختلف ألوانه من أبيض وأصفر وأحمر بسبب اختلاف سن النحل أو الفصل اهـ.

وقوله: بسبب اختلاف سن النحل، فالأبيض لفتيتها، والأصفر لكهلها، والأحمر لمسنها، ولا يخفى أنه مما لا دليل عليه. وقيل: اختلافه ما يأكل من النور اهـ شهاب.

قوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية، أو مع غيره كما في سائر الأمراض، إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض، ويجوز أن يكون للتعظيم اهـ بيضاوي.

وقوله: (إما بنفسه الخ) إشارة إلى جواب ما يقال من أن تعريف الناس يفيد العموم، فدلّت الآية على أن العسل شفاء من كل داء مع أنه يضر الصفراوي والمحمومين والمحرورين. وتقرير الجواب أن يكون علاجاً للصفراوي إنما يتم ويكمل العسل، فلا يقتضي أن كل شفاء به، ولا أن كل أحد يستشفى به اهـ زاده.

وعبارة الخازن: فيه يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل شفاء للناس، وهذا قول ابن عباس، وابن مسعود إذ الضمير في قوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ يرجع إلى العسل. وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مريض، أو على الخصوص لمرض دون مرض؟ على قوله، أحدهما: أن العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض. قال ابن مسعود: العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور. وفي رواية أخرى عنه: عليكم بالشفاء بين القرآن والعسل. وروى نافع أن ابن عمر ما كانت تخرج له قرحة ولا شيء إلا لطح الموضع بالعسل، ويقرأ: يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس. وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

.....

إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله ﷺ: «اسقه عسلاً» فسقاه ثم جاء فقال: «إني سقيته عسلاً فلم يزد» إلا استطلاقاً فقال له ثلاث مرات. ثم جاءه الرابعة فقال: «اسقه عسلاً» فقال: سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك» فسقاه فبرىء. وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال: إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال، فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب: إن الإسهال يحصل من أنواع كثيرة منها الإسهال الحادث من التخمر والهيضات، وقد أجمع الأطباء في مثل هذا على أنه علاجه بأن يترك الطبيعة وفعلها، فإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية، فأما حبسها فمضر عندهم واستعجال مرض، فيحتمل أن يكون هذا الإسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هبضة، فدواؤه بترك إسهاله على ما هو عليه أو تقويته، فأمره رسول الله ﷺ بشرب العسل فزاده إسهالاً، وزاد عسلاً إلى أن قويت المادة فدفع الإسهال، ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل. فثبت بما ذكرناه أن أمر رسول الله ﷺ لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب، وأن المعترض عليه جاهل بها، ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الأطباء، بل إن كذبوه كذبناهم كفرناهم بذلك، وإنما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم. وقوله ﷺ: «صدق الله وكذاب بطن أخيك» يحتمل أنه ﷺ علم بنور الوحي الإلهي أن العسل الذي أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك، فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال: صدق الله فيما وعد به يعني من أن فيه شفاء، وكذب بطن أخيك يعني في استعجالكم الشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده ومراد رسوله ﷺ. فإن قالوا: كيف يكون الشفاء للناس وهو يضر بأصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش؟ قلت: في الجواب عن هذا الاعتراض أيضاً إن قوله ﴿فيه شفاء للناس﴾ خرج مخرج الأغلب، وأنه في الأغلب شفاء ولم يقل إنه شفاء لكل الناس ولكل داء لكنه في الجملة دواء وأن نفعه أكثر من مضرته، وقلّ معجون من المعاجين إلا وتمامه به، والأشربة المتخذة من العسل نافعة لأصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جداً. والقول الثاني: إنه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي، وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعين القرآن، لأنه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلال هو هدى ورحمة للناس، والقول الأول أصح لأن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب المذكورات، وأقربها قوله: ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ وهو العسل، فهو أولى أن يرجع الضمير إليه لأنه أقرب مذكور اهـ.

وفي القرطبي: اختلف العلماء في قوله ﴿فيه شفاء للناس﴾ هل هو على عمومه أم لا؟ فقالت طائفة: هو على العموم في كل حال ولكل أحد فروي عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً حتى الدمل إذا خرج طلى عليه عسلاً. وحكى النقاش عن أبي وجزة أنه كان يكتحل بالعسل ويستنشق بالعسل ويتداوى بالعسل. وروي أن عوف بن مالك الأشجعي قرص، فقيل له: ألا نعالجك؟ فقال: اتنوني. بما كان الله تعالى يقول: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾ [ق: ٩] ثم قال: اتنوني بعسل، فإن الله تعالى يقول ﴿فيه شفاء للناس﴾ وأتوني بزيت فإن الله تعالى يقول: ﴿من شجرة مباركة﴾ [النور: ٣٥] فجيء له بذلك كله فخلطه جميعاً ثم شربه فبرىء. ومنهم من قال إنه على العموم

بضميمته إلى غيره أقول وبدونها بنيته وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه، رواه الشيخان ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ في صنعه تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَنفُخُ فِيكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أي أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾

إذا خلط بخل ويطبخ فيأتي شراباً ينتفع به في كل حالة من كل داء، وقالت طائفة: إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة، وفي كل إنسان، وليس هذا بأول لفظ خصص، فالقرآن مملوء منه، ولغة العرب يأتي فيها العام كثيراً بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام، ومما يدل على أنه ليس على العموم أن شفاء نكرة في سياق الإثبات ولا عموم فيها بإتفاق أهل اللسان ومحقق أهل الأصول اهـ.

قوله: (قيل لبعضها) أي الأوجاع وقوله (أو لكلها) أي الأوجاع. قوله: (أقول وبدونها بنيته) أي بنية الشفاء الجازمة أن الله تعالى يخلق الشفاء عند استعماله إخباره تعالى بذلك اهـ كرخي.

قوله: (استطلق) في المختار: استطلق بطنه مشى عليه اهـ.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعاً أنه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه اهـ بياضوي.

قوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ﴾ الخ معطوف على مقدر أي: فمنكم من يبقى على قوة جسده وعقله حتى يموت، ومنكم من يرد الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي أخسه) يعني أردأه وأضعفه وهو الهرم. قال بعض العلماء: عمر الإنسان له أربع مراتب. أولها: سن النشوء والنماء وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد، ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل، ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الأربعين إلى ستين سنة. وفي هذه المرتبة يشرع الإنسان في النقص لكنه يكون نقصاً خفيفاً لا يظهر، ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر، وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أرذل العمر خمس وسبعون سنة، وقيل: ثمانون سنة. وقال قتادة: تسعون سنة.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». وفي رواية أخرى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهذه الدعوات: «اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات». وقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ يعني أن الإنسان يرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان قد علم بسبب الكبر. قال ابن عباس: لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له. وقال ابن قتيبة: معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً لشدة هرمه. وقال الزجاج: وإن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفاً فيصير جاهلاً بعد أن كان عالماً ليترككم من قدرته أنه قادر على إمامته وإحيائه، وأنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل، وأنه قادر على إحيائه بعد إمامته

قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصّر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ على ما يريده ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿فَمَا آَلَيْتَ فَضِيلُوا﴾ أي الموالي ﴿يَرَادَى رِزْقُهَا عَنْ مَالِكَةٍ أَيْمَنُتُمْ﴾ أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين ممالئكمهم ﴿فَهَؤُلاءِ﴾ أي الممالك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء، المعنى ليس لهم

فيكون ذلك دليلاً على صحة البعث بعد الموت. قال ابن عباس: ليس هذا في المسلمين، لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة. وقال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً وقال في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] هم الذين قرأوا القرآن. وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ﴾ [التين: ٥] يريد الكافر. ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] اهـ خازن.

قوله: (والخرف) من باب طرب فهو بفتحتين، وهو فساد العقل من الكبر اهـ مختار.

قوله: ﴿لَكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ اللام لام التعليل وكي حرف مصدر ونصب، ولا نافية وشيئاً تنازعه الفعل والمصدر فأعلمنا المصدر على المذهب البصري، وأضمرنا في الفعل أي لأجل عدم وانتفاء علمه بالأشياء التي كان يعلمها قبل هذه الحالة، فيرجع إلى مبدئه في عدم المعرفة ويصير كالطفل اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿لَكَيْلَا يَعْلَمَ بعد علم شيئاً﴾ أي فيصير إلى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم اهـ.

وأشار إلى أن اللام هنا للصيرورة والعاقبة. وقوله: (في النسيان وسوء الفهم) إشارة إلى أن كونه غير عالم بعد علمه كناية عن النسيان، لأن الناسي يعلم الشيء ثم ينساه وهذه صفة الأطفال اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قوله: ﴿لَكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ في هذه اللام وجهان، أحدهما: أنها لام التعليل وكي بعدها مصدرية ليس إلا وهي ناصبة بنفسها للفعل بعدها، وهي منصوبها في تأويل مصدر مجرور باللام، متعلقة ببرد. وقال الحوفي أنها لام كي وكي للتأكيد وفيه نظر، لأن اللام للتعليل وكي مصدرية لا إشعار لها بالتعليل، والحالة هذه وأيضاً فعملهما مختلف. والثاني: أنها لام الصيرورة اهـ.

قوله: (لم يصّر بهذه الحالة) أي الرد المذكور.

قوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ﴾ الخ أي فاضل وفاوت بينكم في الرزق فبسط على واحد، وضيق على واحد، وقتر على واحد، وقلل على واحد، وكما فضل بعضهم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضهم على بعض في الخلق، والخلق العقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك، فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله، وهذا مما تقضيه الحكمة الإلهية والقدرة الربانية اهـ خازن.

قوله: (أي الموالي) أي السادة. قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ معطوف على المنفي أي: لم يردوه عليهم رداً بحيث يشركونهم فيه اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ في هذه الجملة أوجه، أحدها: أنها على حذف أداة

شركاء من مماليتهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض ممالك الله شركاء له ﴿أَفَنِعْمَ اللَّهُ يَخْدُوكَ﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْوَابِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد

الاستفهام تقديره أنهم فيه سواء، ومعناه النفي أي ليسوا مستوين فيه. الثاني: أنها إخبار بالتساوي بمعنى أن ما يطعمونه ويلبسونه لماليتهم إنما هو رزقي أجريته على أيديهم فهم فيه سواء. الثالث: قال أبو البقاء: إنها واقعة موقع فعل، ثم جَوَزَ في ذلك الفعل وجهين، أحدهما: أنه منصوب في جواب النفي تقديره: فما الذين فضلوا برادِّي رزقهم على ما ملكت أيماهم فيستوا. والثاني: أنه معطوف على موضع برادِّي فيكون مرفوعاً تقديره فما الذين فضلوا يردون فما يستون اهـ.

قوله: ﴿أَفَنِعْمَ اللَّهُ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل أي يشركون به فيجحدون نعمته اهـ أبو السعود.

وعبارة البضاوي: ﴿أَفَنِعْمَ اللَّهُ يجحدون﴾ حيث يتخذون له شركاء، فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض ما أنعم عليهم ويجحدوا أنه من عند الله تعالى أو حيث أنكروا مثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله عليهم بإيضاحها اهـ.

قوله: (يكفرون) أشار إلى أن الجحد بمعنى الكفر، فعدى بالباء، وإلا فالباء زائدة لأن الجحد لا يتعدى بالباء اهـ كرخي.

قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي من نوعكم وجنسكم أزواجاً أي: زوجات ففصلهن بقوله (حواء وسائر النساء الخ) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بَنِينَ﴾ لم يذكر البنات لكرهتهم لهن فلم يمتنَّ عليهم إلا بما يحبونه، وقوله: ﴿وَحَفَدَةً﴾ الحفيد ولد الابن ذكراً أو أنثى، وولد البنت كذلك، وتخصيصه بولد الذكر، وتخصيص ولد الأنثى بالسبط عرف طارئ على أصل اللغة، فقلوه: (أولاد الأولاد) أي أولاد البنين ذكوراً كانوا أو إناثاً، وأولاد البنات كذلك، فيعم في كل من المضاف والمضاف إليه لما هو معلوم أن لفظ الولد يشمل الذكر والأنثى بخلاف لفظ الابن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع في الطاعة. ومنه قوله في الدعاء: وإليك نسعى ونحفد أن نسرع إلى طاعتك، فهذا أصله في اللغة. ففي المختار: الحفد السرعة وبابه ضرب وحفداً أيضاً بفتح الفاء، ومنه قولهم في الدعاء: وإليك نسعى ونحفد، وأحفده حملة على الحفد، وبعضهم يجعل أحفد لازماً. والحفد بفتحيتين الأعوان والخدم، وقيل: ولد الولد واحدهم حافد اهـ.

وقال أيضاً: السبط هو ولد الولد اهـ.

ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود، والنخعي: أختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أنهم أصهاره فهو بمعنى الأول، فعلى هذا القول يكون معنى الآية ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين﴾ وبنات تزوجوهن فيجعل لكم بسبيهم الأختان والأصهار. وقال الحسن، وعكرمة

الأولاد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفِيَءَ الْبَطْلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبَنِعَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ بإشراكهم ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا﴾ بدل من رزقاً ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ يقدرُونَ على

والضحاك: هم الخدم. وقال مجاهد: هم الأعوان وكل من أعانك فقد حفدك، وقال عطاء: هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه، وقيل هم أهل المهنة الذين يمتنون ويخدمون الكبار، وقيل: الأولاد الذين يعينون الرجل على عمله. وقال ابن عباس: هم ولد الولد. وفي رواية عنه أنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه، وكل هذه الأقوال متقاربة، لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك. وبالجمله فالحفدة غير البنين لأن الأصل في العطف المغيرة اهـ خازن.

قوله: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي من اللذائذ والحلالات. ومن للتبعيض، فإن المرزوق في الدنيا أنموذج منها اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أَفِيَءَ الْبَطْلِ﴾ بالفاء في المعنى داخله على الفعل وهي للعطف على مقدر أي: أيكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله بالباطل يؤمنون دون الله تعالى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أَفِيَءَ الْبَطْلِ﴾ أي بنفعه فإنهم يزعمون ذلك على ما حكى عنهم بقوله تعالى: ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس: ١٨] وهذا استفهام توبيخ وتقريع، وقوله: ﴿ويعبدون﴾ معطوف على يفكرون، فهو من جملة الموبخ عليه اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿أَفِيَءَ الْبَطْلِ يَوْمَنُونَ﴾ وهو أن الأصنام تنفعهم، أو أن الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب، وبنعمة الله هم يكفرون حيث أضافوا نعمته إلى الأصنام أو حرّموا ما أحل الله لهم، وتقديم الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل اهـ.

قوله: ﴿وبنعمت الله هم يكفرون﴾ أي بإضافتها إلى غيره قاله هنا بزيادة هم، وفي العنكبوت بدونها لأن ما هنا اتصل بقوله: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم﴾ الخ وهو بالخطاب، ثم انتقل إلى الغيبة فقال: ﴿أَفِيَءَ الْبَطْلِ يَوْمَنُونَ وبنعمت الله هم يكفرون﴾ فلو ترك هم لالتبست الغيبة بالخطاب بأن تبدل الياء تاء اهـ كرخي.

قوله: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ﴾ ما عبارة عن الأصنام فهي مفردة لفظاً جمع معنى، فقوله ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ فيه مراعاة لفظها، وقوله ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ فيه مراعاة معناه وهو معطوف على ما لا يملك فهو من الصلة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يجوز في الجملة وجهان: العطف على صلة ما والإخبار عنهم بنفي الاستطاعة على سبيل الاستثناء، ويكون قد جمع الضمير العائد على ما باعتبار معناها، إذ المراد بذلك آلهتهم، ويجوز أن يكون الضمير عائداً على العابدين اهـ.

قوله: (بالمطر) أي يأنزله، وقوله: (بالنبات) أي بإخراجه، قوله: (بدل من رزقاً) على أن رزقاً

شيء وهو الأصنام ﴿فَلَا تَضَرُّوْا لِلّٰهِ الْاَمْثَالَ﴾ لا تجعلوا لله أشباهاً تشركونهم به ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صفة تميزه من

اسم عين بمعنى المرزوق، وفي هذا الإعراب نظر، لأن البدل إما للتوكيد أو البيان. وشيئاً لا يصلح لواحد منهما، فالأولى أن يكون معمولاً لرزقاً على أنه اسم مصدر بمعنى إرزاق أهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿شيئاً﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب على المصدر أي لا يملك لهم ملكاً أي شيئاً من الملك. والثاني: أنه بدل من رزقاً أي لا يملك لهم شيئاً، وهذا غير مفيد، إذ من المعلوم أن الرزق شيء من الأشياء، ويؤيد ذلك أن البدل يأتي لأحد معنيين البيان أو التأكيد، وهذا ليس فيه بيان لأنه أعم ولا تأكيد الثالث: أنه منصوب برزقاً على أنه اسم مصدر، واسم المصدر يعمل عمل المصدر على خلاف في ذلك. ونقل مكي أن اسم المصدر لا يعمل عند البصريين إلا في الشعر. قلت: وقد اختلفت النقلة عن البصريين، فمنهم من نقل المنع، ومنهم من نقل الجواز، وقد ذكر الفارسي انتصابه برزقاً كما تقدم، ورد عليه ابن الطراوة بأن الرزق اسم المرزوق كالرعي والطحن، ورد على ابن الطراوة بأن الرزق بالكسر أيضاً مصدر، وقد سمع فيه ذلك. قلت: وظاهر هذا أنه مصدر بنفسه لا اسم مصدراً. وقوله: ﴿من السموات﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه متعلق بيملك، وذلك على الإعرابين الأولين في نصب شيئاً. والثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه صفة لرزقاً الثالث: أنه يتعلق بنفس رزقاً إن جعلناه مصدراً أهـ.

قوله: (تشركوهم به) فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال أهـ بوضاوي.

وتشركوهم هكذا في كثير من النسخ ولا وجه له، إذ فيه حذف النون من غير مقتض، وفي بعض النسخ وكتب عليه الكرخي فتشركوهم به، وهو ظاهر، فيكون منصوباً في جواب النهي، وفي بعضها تشركونهم به وهو ظاهر أيضاً، فتكون الجملة نعتاً لأشباهاً أهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ (أن لا مثل له) وقيل: المعنى إن الله يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب المثل فضرب مثلاً لنفسه ولمن عبد من دونه، فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ الخ فمثل ما يشرك به بالمملوك عاجز عن التصرف رأساً، ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالاً كثيراً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء أهـ بوضاوي.

وفي الخازن: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ الآية. لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الأمثال لقلة علمهم، فضرب هو لنفسه مثلاً فقال تعالى: ﴿مِثْلَكُمْ﴾ في إشراككم بالله الأوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز التصرف وبين آخر كريم مالك قادر قد رزقه الله تعالى مالاً، فهو يتصرف فيه كما يشاء، فصريح العقل يشهد بأنه لا تسوية بينهما، ولا يجوز في التعظيم والإجلال، فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية، فكيف يجوز للعاقل يسوي بين الله تعالى الخالق القادر على الرزق والإفضال، وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء. وقال عطاء في قوله تعالى: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ هو أبو جهل بن هشام، ومن رزقناه رزقاً حسناً هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه أهـ.

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي ذكر وبين ووضح مثلاً للدلالة على وحدانيته تعالى ونفي الشرك أهـ

شيخنا.

الحرَّ فإنه عبد الله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ بعدم ملكه ﴿وَمَنْ﴾ نكرة موصوفة أي حرّاً ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي يتصرف فيه كيف يشاء والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي العبيد العجزة والحر المتصرف لا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾

قوله: (صفة تميزه من الحر فإنه عبد الله) جواب سؤال تقديره لم قال ﴿عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء﴾، وكل عبد فهو مملوك وغير قادر على التصرف؟ وإيضاح ذلك أنه ذكر المملوك ليحصل الامتياز بينه وبين الحر، لأن الحر قد يقال إنه عبد الله، وأما قوله ﴿لا يقدر على شيء﴾ فللتمييز بينه وبين المكاتب والعبد المأذون له، لأنهما يقدران على التصرف استقلالاً أهد كرخي.

قوله: ﴿على شيء﴾ أي من التصرفات. قوله: ﴿من رزقناه﴾ يجوز في من هذه أن تكون موصولة وأن تكون موصوفة. واختاره الزمخشري كأنه قيل وحرّاً رزقناه ليطابق عبداً، ومحلهما النصب عطفاً على عبداً. وقد تقدم الكلام في المثل الواقع بعد ضرب أهد سمين.

والعدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال وحرّاً مالكا للأموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسمه لتوخي تحقيق العدل بأن الأحرار أيضاً تحت ربة عبوديته سبحانه وتعالى، وأن مالكيهم لما يملكونه ليس إلا بأن يرزقهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين، فإن العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك. فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين أهد أبو السعود.

قوله: ﴿حَسَنًا﴾ أي حلالاً لملكه له، وقوله ﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾ يجوز أن يكون منصوباً على المصدر أي: انفاق سر وجهر، ويجوز أن يكون حالاً أهد سمين.

قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي في التعظيم والإجلال، ولم يقل يستويان نظراً إلى تعدد أفراد كل قسم، وقول الشارح: أي العبيد والحر لم يجمع الحر فيه كما جمع العبيد لعله لكون مثلاً لله، فتأدب في عدم جمع مثاله كما أنه تعالى واحد لا جمع فيه ولا تعدد أهد شيخنا.

وفي السمين: إنما جمع الضمير في يستوون وإن تقدمه اثنان، لأن المراد جنس العبيد الأحرار المدلول عليهما بعبداً وبمن رزقناه. وقيل: على الأغنياء والفقراء المدلول عليهما بهما أيضاً اعتباراً بمعنى من، فإن معناها جمع فراعى معناها بعد أن راعى لفظها أهد.

قوله: (العجزة) جمع عاجز ككامل وكملة وفاسق وفسقة أهد شيخنا.

قوله: (لا) أي لا جواب إلا أن يقال لا أي لا يستوون أهد كرخي.

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي على تبين الحق وإيضاحه وعلى غيره من النعم وحمداً لله نفسه، لأنه المستحق لجميع المحامد لأنه المنعم المتفضل على عباده، وهو الخالق الرازق، لا هذه الأصنام التي عبدها هؤلاء، فإنها لا تستحق الحمد لأنها جمادات عاجزة لا يد لها على أحد ولا معروف فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله تعالى لا لغيره، فيجب على جميع العباد حمد الله تعالى لأنه أهل الحمد والثناء الحسن أهد خازن.

أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ولد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقل ﴿عَلَى مَوْلَانَهُ﴾ ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوْجِّهُهُ﴾ يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿يَخْتَرُ﴾ بنجح، وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي الأبكم المذكور ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الثاني

قوله: (فيشركون) أي يعبدون غير الله مع قوة هذه الحجة وظهورها ونهاية وضوحها اهـ كرخي .

قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي للدلالة على بعد ما بين رتبة المؤمن والكافر اهـ شيخنا .

قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ أي والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه أينما يأت بخير، فحذف هذا الآخر المقابل المتصف بالصفات الأربع للدلالة عليه بقوله ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ﴾ الخ . فالأمر بالعدل يستلزم الصفات الثلاث الأول، ولذلك قال الشارح أي ومن هو ناطق هذا مقابل الأبكم، وقوله (نافع) هذا مقابل لا يقدر على شيء، ويستلزم أن يكون خفيفاً على مولاه، وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مستلزم الوصف الرابع، وهو أنه أينما يوجهه يأت بالخير اهـ شيخنا .

قوله: (ولد أخرس) هذه هو حقيقة الأبكم فهو أخص من مطلق الأخرس إذ ينفرد عن الأبكم فيمن طرأ خرسه اهـ شيخنا .

قوله: (لأنه لا يفهم) أي الكلام الذي يلقي إليه، ولا يفهم أي لا يفهم غيره بالكلام اهـ شيخنا .

لكن هذا لا يناسب تفسير الأبكم بالأخرس، لأن الأخرس يفهم بالسمع وبالإشارة ويفهم بالإشارة، فالأولى تفسيره بما في الخطيب ونصه: وروى ثعلب عن ابن الأعرابي الأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر اهـ .

وفي القاموس: البكم محرك الخرس كالبكامة أو مع عي وبله أو أن يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر، وبكم كفرح فهو أبكم وبكيم، والجمع بكم وبكم ككرم امتنع عن الكلام تعمد اهـ .

قوله: ﴿أَيْنَمَا يُوْجِّهُهُ﴾ أينما: اسم شرط جازم، ويوجهه فعل الشرط وفاعله مستتر فيه يعود على المولى، والضمير البارز مفعول يعود على الأبكم . وقوله: ﴿لَا يَأْتِ﴾ لا نافية ويأت جواب الشرط مجزوم بأينما وعلامة جزمه حذف الباء، وقوله: (منه) عائداً على أينما لأنها عبارة عن مكان اهـ شيخنا .

قوله: (بنجح) بوزن قفل أي بمطلوب وقضاء حاجة اهـ شيخنا .

وفي القاموس: النجاح بالفتح، والنجح بالضم الظفر بالشيء نجحت الحاجة كمنع أي تيسرت وسهلت اهـ .

قوله: ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ معطوف على الضمير المستتر في يستوي والشرط موجود وهو الفصل بالضمير المنفصل وهو لفظ هو اهـ شيخنا .

قوله: (ويحث عليه) من باب رد . قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الجملة الاسمية معطوفة

المؤمن؟ لا، وقيل هذا مثل لله، والأبكم للأصنام، والذي قبله في الكافر والمؤمن ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه لأنه

على الصلة وهي يأمر بالعدل فهي من جملة الصلة، لكن فيه خلاف الحسن، والأحسن أنها في محل نصب على الحال اهـ شيخنا.

قوله: (وهو الثاني) أي الرجل الثاني المؤمن أي الذي هو مثل المؤمن بدليل قوله (فيما قبله)، وهذا مثل الكافر اهـ شيخنا.

قوله: (وقيل هذا) أي من يأمر بالعدل. قوله: (والذي قبله) وهو قوله ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ ومن رزقناه الخ اهـ شيخنا.

فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر، لأنه لما كان محروماً من عبادة الله تعالى وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء. وقيل: إن الكافر لما رزقه الله مالاً فلم يقدم فيه خيراً صار كالعبد الذي لا يملك شيئاً، ولأن المؤمن لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والإنفاق في وجوه البر صار كالحر المالك الذي ينفق سراً وجهراً في طاعة الله وابتغاء مرضاته. وقيل: كلا المثلين للمؤمن والكافر، فالمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، والكافر هو الأبكم الثقيل لا يأت بخير، فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر. وقيل: هي على الخصوص، والذي يأمر بالعدل رسول الله ﷺ وهو على صراط مستقيم، والذي هو أبكم هو أبو جهل، وقيل: الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان، وكان له مولى يأمره بالإسلام، وذلك المولى يأمر عثمان بالإمسك عن الإنفاق في سبيل الله، فهو الذي لا يأت بخير، وقيل: المراد بالأبكم الذي لا يأت بخير أبي بن خلف، وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون اهـ خازن.

قوله: (وقيل هذا مثل لله الخ) أفاد أن هذا مثل ثان لإبطال قول عبدة الأوثان، وتقريره أنه لما تقرر في أوائل العقول أن الأبكم العاجز لا يساوي في الفضل والشرف الناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية فلأن نحكم بأن الجماد لا يكون مساوياً لرب العالمين في المعبودية أولى اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها أنه مثل نفسه بالذي ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، ومعلوم أن أحداً لا يكون كذلك إلا إذا كان كاملاً في العلم والقدرة، فبين بقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كونه كاملاً في العلم، وبين كمال قدرته بقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: (أي علم ما غاب) أي خفي فيهما. قوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ وهو إماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين، وتبديل صور الأكوان أجمعين اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ أي: وما أمر قيام الساعة في سرعته وسهولته إلا كلمح البصر إلا كرجع الطرف من أعلى الحدة إلى أسفلها، أو هو أقرب، أو أمرها أقرب منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة، بل في الآن الذي تبدأ فيه، فالله تعالى يحيي الخلق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن جزء غير متقسم، وأو للتخيير أو بمعنى بل. وقيل: معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله

بلفظ كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴿الجملة حال﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ ﴿بمعنى الاسماع﴾ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿القلوب﴾ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ هـ على ذلك فتؤمنون ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ أي الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن وبسطها أن يقعن ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعاً تسكنون فيه

كالشيء الذي يقولون فيه ﴿كلمح البصر﴾ أو هو أقرب مبالغة في استقراؤه اهـ.

وعبارة الخازن: ﴿أو هو أقرب﴾، وذلك لأن لمح البصر يحتاج إلى زمان وحركة، والله إذا أراد شيئاً يوجده في أسرع من لمح البصر. قال: الزجاج ليس المراد أن الساعة تأتي في لمح البصر، بل المراد بيان سرعة تأثير القدرة متى تعلقت الإرادة بشيء اهـ.

قوله: ﴿إلا كلمح البصر﴾ لمح البصر انطباق جفن العين وفتحها، والجفن طرف العين. اهـ خازن.

وفي البيضاوي: ﴿إلا كلمح البصر﴾ إلا كرجع الطرف من أعلى الحدة إلى أسفلها اهـ.

وهذا يقتضي أن اللوح معناه اغماض العين، والذي في كتب اللغة أن معناه فتح العين والابصار بها، ففي المصباح: لمحت الشيء لمحاً من باب نفع نظرت إليه باختلاس البصر، وألمحته بالألف لغة، ولمحته بالبصر صوبته إليه، ولمح البصر امتد إلى الشيء اهـ.

قوله: ﴿لا تعلمون﴾ أي لا تعرفون شيئاً، وقوله: ﴿الجملة حال﴾ أي من الكاف في أخرجكم اهـ.

قوله: ﴿وجعل لكم السمع﴾ الجملة ابتدائية أو معطوفة على ما قبلها، والواو لا تقتضي ترتيباً فلا ينافي أن هذا الجعل قبل الإخراج من البطون، ونكتة تأخيرها أن السمع ونحوه من آلات الإدراك إنما يعتد به إذا أحس وأدرك، وذلك بعد الإخراج اهـ زاده.

وقدم السمع على البصر لأنه طريق تلقي الوحي، أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدراً في الأصل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ألم يروا﴾ أي أهل مكة أي ينظروا بأبصارهم، وقوله: ﴿إلى الطير﴾ جمع طائر وقوله: ﴿مسخرات﴾ حال. قوله: ﴿ففي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ الجو: الفضاء الواسع بين السماء والأرض وهو الهواء. قال كعب الأحبار: إن الطير ترتفع في الجو مسافة اثني عشر ميلاً ولا ترتفع فوق ذلك اهـ خازن.

قوله: ﴿عند قبض أجنحتهن﴾ هذا يقتضي أن الطير في حال كونها في الجو تقبض أجنحتها أي تضمها إلى جنبها، وهذا خلاف المشاهد، فالأولى ما في البيضاوي ونصه: ما يمسكهن فيه إلا الله فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها اهـ.

قوله: ﴿من بيوتكم﴾ ابتدائية اهـ شهاب.

قوله: ﴿سكناً﴾ يجوز أن يكون مفعولاً أول على أن الجعل بمعنى التصيير، والمفعول الثاني أحد

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ وَمِنْ أَصْوَابِهَا أَي الغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أي الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أي المعز ﴿أَثْنًا﴾

الجارين قبله، ويجوز أن يكون الجعل بمعنى الخلق فيتعدى لواحد، وإنما وحد السكن لأنه بمعنى ما يسكنون فيه قاله أبو البقاء. وقد يقال إنه في الأصل مصدر، وإليه ذهب ابن عطية، فتوحيدة واضح إلا أن الشيخ منه كونه مصدرًا ولم يذكر وجه المنع وكأنه اعتمد على قول أهل اللغة إن السكن فعل بمعنى مفعول كالقبض، والنفض بمعنى المقبوض والمنفوض اهـ سمين.

قوله: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا﴾ وذلك بعض الناس كالسودان، فإنهم يتخذون خيامهم من الجلود اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ويجوز أن يتناول المتخذة من الصوف والوبر والشعر، فإنها من حيث إنها ثابتة على جلودها يصدق عليها أنها من جلودها اهـ.

واعلم أن المساكن على قسمين، أحدهما: ما لا يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما. والقسم الثاني: ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهو الخيام، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (كالخيام) جمع خيم بوزن فلس، وهو جمع خيمة، وقوله: (والقباب) جمع قبة وهي دون الخيمة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تستخفونها﴾ أي تجدونها خفيفة ويخف عليكم حملها يوم ظعنكم يعني في يوم سيركم ورحيلكم في أسفاركم، ويوم إقامتكم يعني ويخف عليكم حملها أيضاً في إقامتكم وحضركم، والمعنى لا يثقل عليكم حملها في الحالين اهـ خازن.

قوله: ﴿يوم ظعنكم﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو بفتح العين، والباقون بإسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر، وزعم بعضهم أن الأصل الفتح والسكون تخفيف لأجل حرف الحلق كالشعر والشعر اهـ سمين.

قوله: ﴿ومن أصوافها﴾ معطوف على من جلود الأنعام، وقوله ﴿أثناً﴾ معطوف على بيوتاً أي: وجعل لكم من أصوافها أثناً، فيكون مما عطف فيه جار ومجرور ومنصوب على مثليهما نحو: ضربت في الدار زيداً وفي الحجرة عمراً وهو جائز اهـ شهاب.

وإنما ذكر الأصواف والأوبار والأشعار ولم يذكر القطن والكتان، لأنهما لم يكونا ببلاد العرب اهـ كرخي.

قوله: ﴿أثناً﴾ الأثاث متاع البيت الكثير، وأصله من أث أي كثر وتكاثر، وقيل للمال: أثاث إذا كثر قال ابن عباس: أثناً يعني مالا. وقال مجاهد: متاعاً. وقال القتيبي: الأثاث المال أجمع من الإبل والغنم والعبيد والمتاع. وقال غيره: الأثاث متاع البيت من الفرش والأكسية ونحو ذلك، فإن قلت: أي فرق بين الأثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف، والعطف يوجب المغايرة، فهل من فرق؟ قلت:

متاعاً لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿وَمَتَلَعَا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَّا حِينَ﴾ يبلى فيه ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَالًا﴾ جمع ظل تقيكم حرس الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَانًا﴾ جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ قمصاً

الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغيره ذلك، فيدخل فيه جميع أصناف المال، والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة، فظهر الفرق بين اللفظين اهـ خازن.

وأنهما من قبيل عطف الخاص على العام، ويشهد له صنيع القاموس ونصه: والأثاث متاع البيت بلا واحد أو المال أجمع، والواحدة أثانة اهـ.

ثم قال: والمتاع ما تمتعت به من الحوائج والجمع أمتعة اهـ.

وفي السمين: وقال الخليل: الأثاث والمتاع واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظيهما اهـ.

قوله: (كبسط) بضم الباء والسين وقد تسكن السين تخفيفاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يبلى فيه﴾ أي يبلى ذلك الأثاث فيه أي الحين.

قوله: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد، وهي ظلال الأبنية والجدران والأشجار، وجعل لكم من الجبال أكناناً جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالأسراب والغيران ونحوهما، وذلك لأنه إما إن يكون الإنسان غنياً أو فقيراً، فإذا سافر احتاج في سفره إلى ما يقيه من شدة الحر والبرد، فأما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليسكن فيها، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتات﴾، وأما الفقير فيستكن بظلال الأشجار والحيطان والكهوف والجبال ونحوها، وإليه الإشارة بقوله: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ ولأن بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم إلى الظلال وما يدفع شدة الحر وقوته أكثر، فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم بها لأن النعمة عليهم فيها اهـ خازن.

قوله: (والغمام) جمع غمامة وهي السحاب اهـ شيخنا.

قوله: (جمع كن الخ) في المختار: الكن السترة والجمع أكنان. قال تعالى: ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ والأكنة: الأغطية قال تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ [الأنعام: ٢٥] والإسراء: ٤٦ الواحد كنان. وقال الكسائي: كن الشيء ستره وبابه ردّ اهـ.

والقاموس: الكن بالكسر وقاء كل شيء وستره كالكنة والكنان بكسرهما، والكن البيت جمعه كنان وأكنة وكنه كناً وكنوناً، وأكنه وكننه واكنته ستره واستكن استتر كاتن، والكنة بالضم جناح يخرج من حائط أو سقيفة فوق باب الدار أو ظلة هنالك أو مخدع اهـ.

قوله: ﴿سرابيل﴾ جمع سربال. قوله: (أي والبرد) هو ما عليه أكثر المفسرين من أنه من حذف المعطوف للعلم به، أو اكتفي بأحد الضدين لأهميته عندهم، لأن الحر على أهل الحجاز أشد من البرد ونظيره بيدك الخير أي الشر، لأن الخبر مطلوب العباد من ربهم دون الشر أو لتقدم وقاية البرد في قوله تعالى: ﴿لکم فیہا دفء﴾ [النحل: ٥] اهـ كرخي.

﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ أي والبرد ﴿وَسَرَّيْلَ تَقِيكُمْ بِأَسَكِّكُمْ﴾ حربكم أي الطعن والضرب فيها كالدرع والجواشن ﴿كَذَلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُنْتَرِ نِعْمَتُهُ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿سَتَلِمُوكَ﴾ توحّدونه ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ الإبلاغ البين وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي يقرون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

قوله: (كالدرع) جمع درع، والمراد به درع الحديد فيذكر ويؤنث، وأما درع المرأة بمعنى قميصها فمذكر لا غير. وقوله: (والجواشن) عطف تفسير، فالجواشن عطف تفسير، فالجواشن بمعنى الدروع اهـ شيخنا.

وفي شيخ الإسلام على البيضاوي: والجواشن جمع جوشن وهو الدرع أيضاً قاله الجوهري وغيره فعطفه على الدروع عطف تفسير اهـ ومثله شهاب.

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه التفات وجواب الشرط محذوف أي: فلا لوم عليك وهذا تسليّة له ﷺ اهـ شيخنا.

والتعبير بالتولي إشارة إلى أن الأصل فطرة الإسلام وخلافها عارض متجدد، وقوله: (أعرضوا) إشارة إلى أن تولوا فعل ماضٍ مسند إلى ضمير الغائب ففيه التفات، ويصح أن يكون مضارعاً حذفت منه إحدى التاءين وأصله تتولوا فهو على الظاهر، إلا أنه قيل عليه إنه لا يظهر حينئذ ارتباط الجزاء بالشرط إلا بتكلف، ولذا لم يلتفت إليه المصنف، ومعنى أن تولوا أن داموا على التولي لظهور توليهم اهـ شهاب.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) مراده أن هذه الآية منسوخة الحكم وهو لا يظهر إلا لو قدر جواب الشرط فأعرض عنهم ولا تقاتلهم مع أن أكثر المفسرين قدره بقوله: فلا عتب عليك ولا مؤاخذه في عدم إيمانهم، لأنك بلغت ما أمرت بتبليغه وهدايتهم من الله لا إليك، وهذا لا ينافي أن يكون مأموراً بقتالهم تأمل.

قوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾ قال السدي: نعمة الله يعني محمداً ﷺ أنكروه وكذبوه، وقيل: نعمة الله هي الإسلام وهي من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، ثم إن كفار مكة أنكروه وجحدوه. وقال مجاهد وقتادة: نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بأنها من عند الله، ثم قيل صدقوا وامثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا. قال الكلبي: لما ذكر الله هذه النعم قالوا هذه النعم كلها من الله لكنها بشفاعة آلهتنا، وقيل: هو قول الرجل فلان كان كذا ولولا فلان لما كان كذا. وقيل: إنهم يعترفون بأن الله أنعم بهذه النعم، ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونها عليها اهـ خازن.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾ أي لا يشكرونها بالتوحيد وجيء بثم في قوله: ﴿ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾ للدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة، لأن من عرف النعمة حقاً أن يعترف لا أن ينكر اهـ سمين.

﴿وَاذْكُرْ﴾ يَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴿هُوَ نَبِيُّهَا يَشْهَدُ لَهَا وَعَلَيْهَا وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿فِي الْإِعْتِذَارِ﴾ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ لَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ الْعَتَبَىٰ أَيُّ الرُّجُوعِ إِلَىٰ مَا يَرْضَىٰ اللَّهُ ﴿وَإِذَا رَمَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كَفَرُوا ﴿الْعَذَابِ﴾ النَّارِ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ الْعَذَابِ ﴿وَلَا هُمْ

قوله: ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي وأقلهم الجاهلون بأنها أي النعمة منه كما سيأتي، فلا يرد السؤال ما معنى: قوله: ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ مع أنهم كلهم كافرون. وأجيب أيضاً بأنه إنما قيل وأكثرهم، لأنه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة كالصبي وناقص العقل، فأراد بالأكثر البالغين الأصحاء أو أن المراد بالكافر الجاحد المعاند، فقال: وأكثرهم لأنه كان فيهم من لم يكن معانداً بل جاهلاً يصدق الرسول ولم يظهر له كونه نبياً حقاً من عند الله، أو أنه ذكر الأكثر وأراد الجميع، لأن أكثر الشيء يقوم مقام الكل. قوله: ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [لقمان: ٢٥] وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: (ذكر) ﴿يوم نبعت﴾ أي نحى ونخرج من القبور. أي: يوم نجى من كل أمة شهيداً، ويرجع إلى معنى نجى ونأتى، كما سيأتي في قوله: ﴿وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ [النحل: ٨٩] اهـ شيخنا.

قوله: (يشهد عليها) أي بالكفر ولها أي بالإيمان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ فيه أوجه. أحدها: لا يؤذن لهم في الاعتذار كقوله تعالى: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٦]. ثانيها: لا يؤذن لهم في كثرة الكلام. ثالثها: لا يؤذن لهم في الرجوع إلى دار الدنيا، وإلى التكليف. رابعها: لا يؤذن لهم في حالة شهادة الشهود، بل يسكت أهل الجمع ليشهد الشهود، فإن قيل: ما معنى ثم ههنا؟ أجيب: بأن معناها أنهم يمتحنون أي يتلون بغير شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو أهم منها، وأنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة، ولا إدلاء بحجة اهـ خطيب.

قوله: ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا تزال عتابهم وهي ما يعتبون عليها ويلامون يقال: استعتبت فلاناً يعني أعتبته أي: أزلت عتابه واستفعل بمعنى أفلع غير مستنكر قالوا: استنديت فلاناً وأدنيته بمعنى واحد، وقيل: السين على بابها من الطلب، ومعناه أنهم لا يسألون أن يرجعوا عما كانوا عليه في الدنيا، فهذا استعتاب معناه طلب عتابهم. وقال الزمخشري: ولا هم يسترضون أي: لا يقال لهم أرضوا ربكم، لأن الآخرة ليست بدار عمل اهـ سمين.

وفي الخطيب: ولا هم يستعتبون أي لا تزال عتابهم وهي ما يعتبون عليها ويلامون يقال: استعتبت فلاناً بمعنى أعتبته أي: أزلت عتابه اهـ.

وفي المختار: عتب عليه وجد وبابه ضرب ونصر ومعتباً أيضاً بفتح التاء والتعجب كالتعجب والاسم المعتبة بفتح التاء وكسرهما. قال الخليل: العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة وعاتبه معاتبه وعتاباً وأعتبه سره بعد ما ساءه، والاسم منه العتبي واستعتب وأعتب بمعنى واستعتب أيضاً طلب أن يعتب تقول: استعتبه فأعتبه أي استرضاه فأرضاه اهـ.

قوله: (إلى ما يرضي الله) أي من العبادات.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَى﴾ أي أبصر. وقوله: ﴿شركاءهم مفعول﴾ به والإضافة لأدنى ملابسة باعتبار

يُظْهِرُونَ ﴿٨٥﴾ يمهلون عنه إذا رأوه ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ نعبدهم ﴿مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي قالوا لهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ في قولكم إنكم عبدتمونا كما في آية أخرى ﴿مَا كَانُوا إِلَّا يَانَا يَعْبُدُونَ﴾

ادعائهم شركتها لله وكذا يقال في قولهم ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾ أي الذين اخترعنا شركتها الله في العبادة وادعيناها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَلا يخفف عنهم﴾ أي فهو لا يخفف، فالكلام على حذف المبتدأ وقول الشارح العذاب تفسير للضمير المستكن في الفعل. وفي السمين: هذه الفاء وما في حيزها جواب إذا، ولا بد من إضمار مبتدأ بعد هذه الفاء أي: فهو لا يخفف لأجل أن تكون الجملة اسمية، ويصح اقترانها بالفاء لأن المضارعية لا يصح قرننها بها اهـ.

قوله: (وغيرها) كالأصنام. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي الكفار ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ﴾ أي نعبدهم أو نطيعهم، ولعلمهم قالوا ذلك طمعاً في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿فَالْقُوا﴾ أي شركائهم إليهم القول إنكم لكاذبون، فإن تكذيبهم إياهم فيما قالوا ليس إلا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه، وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم، لأن الأوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام، بل كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن، أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً لله تعالى عن الشريك والشياطين وإن كانوا راضين بعبادتهم لهم، لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والإلجاء، كما قال إبليس وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل إنما عبدتم أهواءكم، اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَالْقُوا﴾ أي الشركاء إليهم أي إلى الكفار، وقوله: ﴿وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي الكفار ففاعل ألْقُوا في المحلين مختلف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (في قولكم إنكم عبدتمونا) أي بل عبدتم أهواءكم، والمعنى أنه تعالى يخلق الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام فيلقوا إليهم أي يقولون لهم إنكم لكاذبون، فإن قيل: إن المشركين لم يقولوا ذلك، بل أشاروا إلى الأصنام فقالوا: هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ، وقد كانوا صادقين في كل ذلك، فكيف قالت الأصنام إنكم لكاذبون؟ فالجواب: من وجوه أصحها: أن المراد من قولهم هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا أي إن هَؤُلَاءِ هم الذين كنا نقول إنهم شركاء لله في المعبودية، فالأصنام كذبوهم في إثبات هذه الشركة، فإن قلت: كيف أثبت للأصنام نطقاً هنا ونفاه عنها في قوله في الكهف فدعوهم فلم يستجيبوا لهم؟ فالجواب: أن المثبت لهم هنا النطق بتكذيب المشركين في دعوى عبادتهم لها، والمنفي عنهم في الكهف النطق بالإجابة إلى الشفاعة لهم ودفع العذاب عنهم فلا تنافي اهـ كرخي.

قوله: (ما كانوا) أي ما كان الكفار إيانا يعبدون. وهذا قول رؤسائهم، وقوله: (سيكفرون

سيكفرون بعبادتهم ﴿وَأَلْفَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ أي استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن الهتهم تشفع لهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ بصددهم الناس عن الإيمان ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هو نبينهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَتْلُونَا﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهَدَىٰ﴾

بعبادتهم) أي سينفونها في الآخرة بقولهم: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ [القصص: ٦٣] وهذا التفسير للشارح المحلي كما سيأتي في سورة مريم اهـ شيخنا.

قوله: (أي استسلموا) أي انقادوا بعد أن كانوا في الدنيا متكبرين عن حكمه تعالى، لكن الانقياد في هذا اليوم لا ينفعهم لانقطاع التكليف فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يجوز أن يكون مبتدأ، والخبر زدناهم وهو واضح. وجوز ابن عطية أن يكون الذين كفروا بدلاً من فاعل يفترون، ويكون زدناهم مستأنفاً، ويجوز أن يكون الذين كفروا نصباً على الذم أو رفعاً عليه فيضمير الناصب أو المبتدأ وجوباً اهـ سمين.

قوله: (قال ابن مسعود) أي في تفسير العذاب الزائد عقارب أي هو عقارب النخ. قوله: ﴿وبما كانوا يفسدون﴾ ما مصدرية أي بسبب كونهم مفسدين بصددهم الناس اهـ خطيب.

فقول الشارح بصددهم متعلق بيفسدون، ولم يبين كون ما مصدرية وقد عرفته اهـ.

قوله: ﴿ويوم نبعث﴾ الخ تكرير لما سبق لزيادة التهديد اهـ أبو السعود.

وعبارة الخطيب: ثم كرر سبحانه وتعالى التحذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما أفهمته الآية السابقة، وهو أن الشهادة تقع على الأمم لا لهم وتكون بحضرتهم، فقال: ﴿ويوم نبعث﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿وجئنا بك﴾ أي وجئنا شهيداً على هؤلاء أي: قومك هكذا قال الجلال وسنده قوله سابقاً، ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ الخ ومثله في ذلك البيضاوي وفي الشهاب عليه. وقيل المراد بهؤلاء الأنبياء لعلمهم بعقائدهم واستجماع شرعه لقواعدهم، لا الأمم، لأن كونه شهيداً على أمته علم مما تقدم، فالآية مسوقة لشهادته على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فتخلو من التكرار. ورد بأن المراد بشهادته على أمته تركيته وتعديله لهم، وقد شهدوا على تبليغ الأنبياء وهذا لم يعلم مما مر وهو الوارد في الحديث اهـ شهاب.

وعبارة أبي السعود: على هؤلاء الأمم وشهادتهم كقوله: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١] اهـ.

قوله: ﴿ونزلنا عليك﴾ أي في الدنيا فهذا مستأنف. قوله: ﴿تبياناً﴾ يجوز أن يكون في موضع الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله وهو مصدر، ولم يجيء من المصادر على هذه الزنة إلا لفظان

من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ الموحدين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث ﴿وَيَتَأَيَّ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة، خصه بالذكر اهتماماً به ﴿وَيَتَوَكَّرُ عَلَى الْفَحْشَاءِ﴾ الزنا ﴿وَالْمُكَرِّ﴾ شرعاً من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتماماً كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل

هذا والتلقاء، وفي الأسماء كثير نحو التمساح والتمثال اه سمين .

قوله: (بياناً) أي بياناً بليغاً فالتبيان أخص من مطلق البيان على القاعدة أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى اه شيخنا .

قوله: ﴿لكل شيء﴾ (يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة) إما بتبيينه في نفس الكتاب، أو بإحالاته على السنة لقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] أو بإحالاته على الاجماع كما قال تعالى: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ [النساء: ١١٥] الآية . أو على القياس كما قال: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢] والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس، فهذه أربعة طرق لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها، كلها مذكورة في القرآن مكان تبياناً لكل شيء، فاندفع ما قيل كيف قال الله تعالى: ﴿نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾، ونحن نجد كثيراً من أحكام الشريعة لم يعلم من القرآن نصاً، كعدد ركعات الصلاة، ومدة المسح، والحجض، ومقدار حد الشرب، ونصاب السرقة وغير ذلك. ومن ثم اختلف الأئمة في كثير من الأحكام اه كرخي .

قوله: ﴿للمسلمين﴾ متعلق ببشرى وهو متعلق من حيث المعنى بهدى ورحمة أيضاً اه سمين .

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ﴾ أي فيما نزله تبياناً لكل شيء وهدى وبشرى وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجديد والاستمرار اه أبو السعود .

وعبارة البيضاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي بالتوسط في الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك، والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملاً كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب، وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير اه .

قوله: (أو الإنصاف) في المصباح: أنصفت الرجل إنصافاً عاملته بالعدل والقسط، والاسم النصف بفتحتين لأنك أعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك وتناصف القوم أنصف بعضهم بعضاً اه .

قوله: (إعطاء) ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي التصدق على ذي القربى أي: فهو مصدر مضاف لمفعوله، ولم يذكر متعلقات العدل والإحسان والبغي ليعم ما يعدل فيه ويحسن به إليه، ويبغي فيه، وكذلك لم يذكر المفعول الثاني للإيتاء، ونص على الأول حضاً عليه لادلائه بالقرابة فإن إيتاءه صدقة وصلة . قال ﷺ: «إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم» اه كرخي .

قوله: (بالأمر والنهي) أي فجعله يعظكم حال من فاعل يأمر وفاعل ينهى، كما أشار له السمين . قوله: (تتعظون) أي تتنبهون فعلم أنه ليس المراد منه الترجي والتمني فإن ذلك محال على الله

في الذال، وفي المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والإيمان وغيرها ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ

تعالى، فوجب أن يكون معناه أنه تعالى يعظكم لإرادة أن تذكروا طاعته اهـ كرخي.

قوله: (وهذه أجمع آية الخ) وبسببها أسلم عثمان بن مظعون رضي الله عنه، ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين، ولعل إيرادها عقب قوله: ﴿ونزلنا عليك﴾ الكتاب للتنبيه عليه اهـ بياضوي.

قوله: (للخير والشر) أي أنها ما تركت خيراً إلا أمرت به، ولا شراً إلا زجرت عنه. قاله الحسن البصري اهـ كرخي.

قوله: (من البيع) جمع بيعة أي المعاهدة على أمر شرعي اهـ شيخنا.

والبيع بكسر الباء جمع بيعة بفتحها مثل ضيعة وضيع وفي الخازن: لما ذكر الله تعالى الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الاجمال على سبيل التفصيل وبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد، لأنه أكد الحقوق فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة. وقيل: المراد منه كل ما يلتزمه الإنسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضاً، لأن الوعد من العهد وقيل: العهد ههنا هو اليمين. قال القتيبي: العهد يمين وكفارته يمين، فعلى هذا يجب الوفاء به إذا كان فيه صلاح. أما إذا لم يكن فيه فلا يجب الوفاء به لقوله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه» فيكون قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من العام الذي خصصته السنة. وقال مجاهد، وقناة: نزلت في حلف أهل الجاهلية، ويشهد لهذا التأويل قوله: ﷺ: «كل حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة» اهـ.

قوله: ﴿بعد توكيدها﴾ أي تغليظها بزيادة الأسماء والصفات، وهذا القيد لموافقة الواقع حيث كانوا يؤكدون أيمانهم في المعاهدة بما ذكر حينئذ، فلا مفهوم له فلا يختص النهي عن النقص بحالة التوكيد، بل نقض اليمين منهى عنه مطلقاً اهـ من أبي السعود.

أو يراد بالتوكيد القصد، ويكون احترازاً عن لغو اليمين، وهي الصادرة من غير قصد للحلف. وفي القرطبي: وإنما قال بعد توكيدها فرقاً بين اليمين المؤكدة بالعزم وبين لغو اليمين اهـ.

قوله أيضاً: ﴿بعد توكيدها﴾ متعلق بفعل النهي، والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو، وفيه لغة أخرى أكد يؤكد بالهمزة، ومعناه التقوية. وهذا كقولهم: ورخت الكتاب وأرخته، وليست الهمزة بدلاً من واو كما زعم أبو إسحاق لأن الاستعمالين في المادتين متساويان، فليس ادعاء كون أحدهما أصلاً أولى من الآخر. وتبع مكى الزجاج في ذلك، ثم قال: ولا يحسن أن يقال الواو بدل من الهمزة، كما لا يحسن أن يقال في أحد إن أصله وحد، فالهمزة بدل من الواو يعني أنه لا قائل بذلك، ولذلك تبعه الزمخشري أيضاً وتوكيدها مصدر مضاف لمفعوله اهـ سمين.

جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴿٩١﴾ بالوفاء حيث حلفتُم به، والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقْعَلُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ تهديد لهم ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزَلَهَا﴾ ما غزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنْكَثْنَا﴾ حال جمع نكث وهو ما ينكث أي يحل إحكامه وهي امرأة حمقاء من مكة كانت

أي: بعد توكيدكم لها. قوله: ﴿كَفِيلًا﴾ أي شاهداً بتلك البيعة، فإن الكفيل مراعاة لحال المكفول به رقيب عليه اهـ بيضاوي.

وقوله: (شاهداً) يعني أن الكفيل هنا ليس بالمعنى المتبادر، بل بمعنى الشاهد إما على التشبيه فهو استعارة أو باستعماله في لازم معناه فهو مجاز مرسل، والعبارة محتملة لهما. والظاهر أن جعلهم مجازاً أيضاً لأنهم لما فعلوا ذلك والله مطلع عليهم فكانهم جعلوه شاهداً اهـ من الشهاب.

قوله: (والجملة) أي جملة، ﴿وقد جعلتم الله﴾ الخ حال إما من فاعل تنقضوا، وإما من فاعل المصدر، وإن كان محذوفاً، واعلم أن قوله: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ عام دخله التخصيص بقوله عليه الصلاة والسلام: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر. عن يمينه» اهـ كرخي.

قوله: ﴿أَنْكَاثًا﴾ (حال) عبارة السمين: أنكاثاً: يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه حال من غزلها والأنكاث جمع نكث بمعنى منكوث أي منقوض. والثاني: أنه مفعول ثانٍ بتضمين نقضت معنى صيرت. وجوز الزجاج فيه وجهاً ثالثاً وهو النصب على المصدرية، لأن معنى نقضت نكثت فهو مطابق لعامله في المعنى اهـ.

قوله: (جمع نكث) بكسر النون كأحمال جمع حمل، وفي المصباح: نكث الرجل العهد نكثاً من باب قتل نقضه ونبذه فانتكث مثل نقضه فانتقض، ونكث الكساء وغيره نقضه أيضاً والنكث: بالكسر ما نقض ليغزل ثانياً والجمع أنكاث مثل حمل وأحمال اهـ.

قوله: (وهي امرأة حمقاء) واسمها ريطة بنت سعد بن تميم قرشية اهـ بيضاوي.

وريطة: بفتح الراء المهملة وسكون الياء التحتية وفتح الطاء المهملة هو علم لامرأة معروفة، فالمشبه به معين على هذا. قال جار الله: إنها اتخذت مغزلاً قدر ذراع وسناره مثل الأصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواربها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن اهـ شهاب.

وفي الكرخي: قوله: (وهي امرأة الخ)، والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه من غير تعيين، لأن القصد بالأمثال صرف المكلف عن الفعل إذا كان قبيحاً، والدعاء إليه إذا كان حسناً، وذلك يتم بدون التعيين، إذ لا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به موجوداً في الخارج اهـ.

قوله: (حمقاء) أي قليلة العقل، ففي المختار: الحمق بسكون الميم وضمتها قلة العقل، وقد حمق من باب ظرف فهو أحمق، وحمق أيضاً بالكسر حمقاً فهو حمق، وامرأة حمقاء وقوم نسوة حمق وحمقى اهـ.

تغزل طول يومها ثم تنقضه ﴿تَتَخَذُونَ﴾ حال من ضمير تكونوا أي لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَنُكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه، أي فساداً وخديعة ﴿يَبْتَئِكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَنْ﴾ أي لأن ﴿تَكُونُ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر ﴿يَهْ أُمَّةٌ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَتْلُوَكُمْ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِهِ﴾ أي بما أمر من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي أو بكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا

قوله: (كانت تغزل) أي الصوف والوبر اهـ.

قوله: ﴿تَتَخَذُونَ﴾ أي تصيرون ودخلاً هو المفعول الثاني أي لا تصيروا أيمانكم فساداً وخديعة اهـ شيخنا.

قوله: (في اتخاذكم) ﴿أيمانكم﴾ الكلام على حذف مضاف أي في حال اتخاذكم أي لا تشابهوها في مطلق الافساد والنقض في حال اتخاذكم الخ.

قوله: (هو ما يدخل في الشيء) أصل الدخول العيب والعيب ليس من الشيء الذي يدخل فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَنْ تَكُونُ أُمَّةٌ﴾ متعلق بتتخذون أي: لا تتخذوا أيمانكم بينكم أي: لا تصيروها خديعة لأجل أن تكون أمة الخ أي: لأجل وجدانكم أمة الخ اهـ شيخنا.

أو متعلق بمحذوف كما قدره الشرح بقوله أن تنقضوها. وفي السمين: قوله: ﴿أَنْ تَكُونُ﴾ أي بسبب أن تكون أو مخافة أن تكون، وتكون يجوز أن تكون تامة، فتكون أمة فاعلها، وأن تكون ناقصة فتكون أمة اسمها وهي مبتدأ، وأربى خبره، والجملة في محل نصب على الحال على الوجه الأول، وفي محل الخبر على الوجه الثاني. وجوز الكوفيون أن تكون أمة اسمها وهي عماد أي: ضمير فصل، وأربى خبر تكون، والبصريون لا يجيزون ذلك لأجل تنكير الاسم، فلو كان الاسم معرفة لجاز ذلك عندهم اهـ.

قوله: (أي لأن) تكون الخ أشار به إلى أن النصب على وجه التعليل أي لأجل أن تكون، ومثله ما ذكره السمين من قوله: أي بسبب أن تكون الخ اهـ. قوله: (وكانوا) أي قريش يحالفون الحلفاء جمع حليف ككرماء وكريم، وقوله: (أكثر منهم) أي من الحلفاء أي إذا وجدوا جماعة أكثر من الذين حالفوهم أولاً وأعز منهم نقضوا الحلف الأول وعاهدوا أولئك الأكثر والأعز، وقوله: (حلف أولئك). في المختار: الحلف بكسر الحاء وسكون اللام العهد يكون بين القوم اهـ.

وفي المصباح: وبينهما حلف وحلفة بالكسر أي عهد اهـ.

قوله: (لينظر المطيع) أي ليظهر لكم المطيع الخ، وقوله: (أو يكون) معطوف على بما أمر به، وعليه فالضمير عائد على المصدر المنسبك من أن تكون، وقوله: (أتفون) أي أتفون بالعهد من وفي في شيخنا.

وعبارة البيضاوي: أي يختبركم بكون أمة أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة

﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْزَمَنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبيكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ لتجاوزوا عليه ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كرره تأكيداً ﴿فَنَزَلَ فَذَمُّ﴾ أي أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بِعَذْبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذَوُّقُوا السَّوَاءَ﴾ أي العذاب ﴿يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٩٤﴾ في الآخرة ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا

رسوله، أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم انتهت.

قوله: (سؤال تبيكيت) أي لا سؤال استفسار وتفهم وهو المنفي في غير هذه الآية اهـ شهاب.

قوله: (كرره تأكيداً) عبارة البيضاوي: هذا تصريح بالنهي عنه بعد التضمنين تأكيداً ومبالغة في قبح المنهي عنه انتهت.

ولما كان اتخاذ الأيمان دخلاً قيداً للمنهي عنه كان منهيّاً عنه ضمناً فصرح به هنا لما ذكر اهـ شهاب.

وعلى هذا فهو تأسيس لا تأكيد، وفي الكرخي: قوله: ﴿كرره﴾ أي النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظم ما يرتكب منه كذا في الكشاف. وقال أبو حيان: لم يتكرر النهي، وإنما الذي سبق إخبار بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلاً معللاً بشيء خاص هو أن تكون أمة هي أربى من أمة، وجاء النهي بقوله: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم﴾ استثناءً للنهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم. أي: في كل حال فيشمل جميع الصور من الخديعة في المبالغة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك اهـ.

قوله: ﴿دخلاً بينكم﴾ يعني خديعة وفساداً بينكم لتغروا بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويأمنون إليكم ثم تنقضوها اهـ خازن.

قوله: ﴿فنزّل قدم﴾ منصوب بإضمار أن في جواب النهي اهـ سمين.

وإفراد القدم وتنكيرها للإيذان بأن زلل قدم واحدة أي قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم، فكيف بأقدام كثيرة اهـ أبو السعود.

قوله: (محجة الإسلام) المحجة الطريق الواضح اهـ شيخنا.

قوله: (عليها) أي محجة الإسلام. قوله: (أي العذاب) أي الدينوي بدليل ما بعده اهـ أبو السعود.

قوله: (أي بصدكم) من صد اللازم أي امتناعكم، وقوله: (أو بصدكم الخ) من صد المتعدي أي منعكم من غيركم اهـ شيخنا.

وفي المصباح: صدده عن كذا صدّاً من باب قتل منعه وصرفته، وصددت عنه أعرضت، وصد من كذا يصد من باب ضرب وضحك اهـ.

قوله: (لأنه) أي الغير يستن أي يقتدي بكم.

قَلِيلًا ﴿٩٥﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ ذلك فلا تنقضوا ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلَنْجَزِيَنَّ﴾ بالياء والنون ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

قوله: ﴿ولا تشتروا بعهد الله﴾ الباء داخله على المتروك . قوله: (بأن تنقضوه) أي العهد، وقوله: (لأجله) أي الثمن القليل . قوله: ﴿إنما عند الله﴾ ما اسم إن وبينها الشارح بالثواب، فإن عاملة لا مهملة لكون ما " اة بها اسماً موصولاً بمعنى الذي وصلتها عند الله، وجملة هو خير لكم خبر إن اهـ شيخنا

وفي رسم إن هذه اختلاف بين المصاحف العثمانية، ففي بعضها وصلها بما، وفي بعضها فصلها عنها كما ذكره ابن الجزري بقوله:

وخلف الأنفال ونحل وقعا اهـ.

قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ جواب الشرط محذوف كما قدره الشارح، وقوله: (ذلك) أي أن ما عند الله خير، وقوله: ﴿عندكم﴾ الخ بمنزلة التعليل للخيرية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما عندكم ينفد﴾ مبتدأ وخبر والنفاذ والفناء والذهاب يقال: نفذ بكسر العين ينفذ بفتحها نفاداً ونفوداً وأما نفداً بالمعجمة ففعله نفذ بالفتح ينفذ بالضم، ويقال أنفذ القوم إذ فني زادهم اهـ سمين .

قوله: ﴿باق﴾ يصح الوقف عليه بثبوت الياء وبحذفها مع سكون القاف وهما سبعيتان . قوله: ﴿وليجزين﴾ لام قسم، وقوله (بالياء)، والفاعل ضمير يعود على الله وقوله (والنون) وعليه ففيه التفات اهـ شيخنا .

قوله: (على الوفاء بالعهود) عبارة البيضاوي: صبروا على الفاقة وأذى الكفار أو مشاق التكاليف انتهت .

قوله: ﴿أجرهم﴾ مفعول ثان ليجزي، وقوله: ﴿بأحسن﴾ نعت لمحذوف أي بعمل أحسن، والباء بمعنى على، كما ذكره الخطيب متعلقة بيجزي، ولما ورد على هذا المعنى أن الجزاء لا يختص بعمل الأحسن كالواجب، بل يكون عليه وعلى الحسن كالمندوب، أجاب الشارح عنه بأن أفعال التفضيل ليس على بابه، بل المراد به الحسن، وهو ما ترجح فعله على تركه، فيشمل الواجب والمندوب هذا مراد الشارح . وهناك تفسير آخر وهو أن أحسن نعت لمحذوف تقديره بجزاء أحسن من عملهم الذي كانوا يعملونه في الدنيا، والباء صلة ييجزي اهـ شيخنا .

والقولان في البيضاوي ونصه: ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم اهـ.

وفي زاده عليه: قوله: بما ترجح فعله إشارة إلى جواب ما يقال من أن كلمة ما مصدرية، وأحسن أفعال تفضيل . فيفهم منه أن لا يجازي المرء بمقابلة أعماله الحسنة، وهو خلاف ما يدل عليه قوله

يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ أحسن بمعنى حسن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قيل هي حياة الجنة وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ [الزلزلة: ٧] وتقدير الجواب أن أحسن هنا ليس للتفضيل، بل بمعنى الحسن الذي يترجح فعله على تركه من الواجبات والمندوبات، سلمنا أنه للتفضيل، لكن لا نسلم أن الموصوف بأحسن هو العمل، بل الموصوف به هو الجزاء المقدر وإضافة أحسن بمعنى من اهـ.

أو أن المعنى لنجزهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم على معنى لنعطينهم في مقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيه في ما مقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل لا أنا نعطي الأجر بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزي الحسن منها بالأجر الحسن، والأحسن بالأحسن، وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتراف ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع، ونظمه في سلك الصبر الجميل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ ترغيب للمؤمنين في الاتيان بكل ما كان من شرائع الإسلام، وفيه سؤال وهو أن لفظة من في قوله ﴿من عمل﴾ تفيد العموم، فما الفائدة في ذكر الذكر والأنثى؟ والجواب: أن هذه الآية للوعد بالخيرات والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة، فأتى بذكر الذكر والأنثى للتأكيد وإزالة لوهم التخصيص اهـ كرخي.

قوله: ﴿من ذكر﴾ من للبيان فتتعلق بمحذوف أي أعني من ذكر، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل عمل، وقوله: ﴿وهو مؤمن﴾ جملة حالية أيضاً اهـ سمين.

قوله: (بالقناعة أو الرزق الحلال) عبارة الخازن: حياة طيبة. قال سعيد بن جبير، وعطاء: هي الرزق الحلال، وقال مقاتل: يعني العيش في الطاعة، وقيل: هي حلاوة الطاعة، وقال الحسن: هي القناعة، وقيل: رزق يوم بيوم، واعلم أن عيش المؤمن في الدنيا وإن كان فقيراً أطيب من عيش الكافر وإن كان غنياً، لأن المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله وذلك بتقديره تعالى وتدبيره، وعرف أن الله تعالى محسن كريم متفضل لا يفعل إلا الصواب، فكان المؤمن راضياً عن الله وراضياً بما قدره الله له ورزقه إياه، وعرف أن مصلحته في ذلك القدر الذي رزقه، فاستراحَتْ نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك. وأما الكافر والجاهل بهذه الأصول الحريص على طلب الرزق، فيكون أبداً في حزن وتعب وعناء وحرص وكد، ولا ينال من الرزق إلا ما قدر له، فظهر بهذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره. وقال السدي: الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر، لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها. وقال مجاهد، وقتادة: في قوله ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ هي الجنة، ورواه عوف عن الحسن قال: لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة، لأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وملك بلا هلاك، وسعادة بلا شقاوة، فثبت بهذا أن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة، ولقوله في سياق الآية: ﴿ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾، لأن ذلك الجزاء لا يكون إلا في الجنة انتهت بالحرف.

قوله: ﴿ولنجزيهم﴾ راعى معنى من، فجمع الضمير بعد أن راعى لفظها، فافرد في فلنحيينه

يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ بطاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ أي الله ﴿مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً﴾

وما قبله، وقرأ العامة ولنجزينهم بنون العظمة مراعاة لما قبله، وقرأ ابن عامر في رواية بياء الغيبة، وهذا ينبغي أن يكون على إضمار قسم ثان، فيكون من عطف جملة قسمية على قسمية مثلها حذفنا وبقي جواباهما اه سمين.

قوله: (أي أردت قراءته) هذا على مذهب الاكثرين من الفقهاء والمحدثين من أن الاستعاذة تطلب القراءة، وذهب جماعة من الصحابة والتابعين، وعليه مالك وجماعة وداود الظاهري إلى أن الاستعاذة بعد القراءة تمسكاً بظاهر الآية. ووجه ما قاله الجمهور أن تقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها، ووجه مقابله ان القارئ يستحق ثواباً عظيماً، وربما حصلت الوسوسة في قلبه هل حصل له ذلك الثواب أو لا؟ فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوسوس وبقي الثواب خالصاً. وقوله: ﴿فاستعذ بالله﴾ الأمر للاستحباب، وذهب عطاء إلى وجوب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها اه خازن.

قوله: ﴿فاستعذ بالله﴾ أي فاسأل الله أن يعيدك من وسوسه لثلاثيوسوسك في القراءة، وفيه دليل على أن المصلي يستعذ في كل ركعة، لأن الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياساً، وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه إيدان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل اه بياضوي.

قوله: ﴿أي قل أعوذ بالله﴾ الخ هذا بيان للأفضل، وإلاً فأصل السنة يحصل بأي صيغة كانت من صيغ الاستعاذة اه.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال: «قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ» اه بياضوي.

والمراد بالقلم الذي نسخ به من اللوح المحفوظ ونزل به جبريل دفعة إلى السماء الدنيا، ولم يرد القلم الأعلى فإنه مقدم الرتبة على اللوح بالنص اه شهاب.

قوله: ﴿إنه ليس له سلطان﴾ تعليل لمحدوف هو جواب الأمر تقديره: فإن استعذت كفيت شره اه شيخنا.

قوله: (تسلط) أشار به إلى أن السلطان هنا مصدر بمعنى التسلط، وهو الاستيلاء والتمكن بالقهر اه شهاب.

قوله: ﴿على الذين يتولونه﴾ مقابل لقوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾، قوله: ﴿والذين هم به مشركون﴾ مقابل لقوله ﴿على الذين آمنوا﴾ اه شيخنا.

قوله: (أي بالله) إشارة إلى أن الضمير راجع لربهم، والباء للتعدية، ويصح أن يكون الضمير

مَكَاتٍ آيَةٍ ﴿بَنَسْخَهَا وَإِنْزَالَ غَيْرَهَا لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِلُّ قَالُوا﴾ أي الكفار للنبي ﷺ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقوله من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ وَفَائِدَةُ النسخ﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بنزل ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهْدًى وَبُشْرًى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنُ﴾ ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه قال تعالى ﴿لِسَانٌ﴾ لغة

للسيطان، والباء للسببية، ورجح باتحاد الضمائر فيه اهـ شهاب.

قوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ الخ وذلك أن المشركين من أهل مكة قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ما هذا إلا مفتري يتقوله من تلقاء نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى: وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكماً آخر اهـ خازن.

قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ﴾ أي من المصالح، فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه، وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه اهـ بيضاوي.

وفي السمين: في هذه الجملة وجهان، أظهرهما: أنها اعتراضية بين الشرط وجوابه. والثاني: أنها حالية وليس بظاهر اهـ.

قوله: (حقيقة القرآن) وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته، وقوله: (وفائدة النسخ) كالتخفيف على العباد اهـ شيخنا.

قوله: (روح القدس) بضم الدال وسكونها سبعيتان والقدس الطهارة، والمراد به اسم المفعول والإضافة من إضافة الموصوف لصفته أي الروح المقدس أي المطهر اهـ شيخنا.

قوله: (متعلق بنزل) أي على أن الباء للملابسة اهـ شيخنا.

قوله: (بإيمانهم) متعلق بثبت أي: ليثبتهم على الإيمان به أي: بالله بسبب إيمانهم بالقرآن. وفي الكرخي: قوله (بإيمانهم به) أي على إيمانهم، فإنهم يعلمون أن في النسخ مصالح اهـ.

قوله: ﴿وَهْدًى وَبُشْرًى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ هذان معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتاً وهداية وبشارة، وفيه تعريض بحصول أضرار ذلك لغيرهم اهـ بيضاوي.

وفي السمين: ﴿وَهْدًى وَبُشْرًى﴾ يجوز أن يكونا عطفاً على محل ليثبت فينصبان، أو على لفظه باعتبار المؤول فيجران اهـ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ أي علماً مستمراً اهـ خطيب.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ﴾ إنما أداة حصر أي: لا يعلم محمداً القرآن إلا بشرٌ أي: لا جبريل كما يدعي اهـ شيخنا.

قوله: (وهو قين) أي حداد، وكان رومياً. وفي نسخة قن أي عبد اهـ شيخنا.

واسمه جبر بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة، وهو غلام عامر بن الحضرمي، وقيل: يعنون

﴿الَّذِي يُلْجِدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يعلمه ﴿أَعْجَمِي وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانُ عَكْرُوثٍ مُثِيرٍ﴾ ﴿١٠٣﴾
 ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ مؤلم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن بقولهم هذا من قول البشر

جبراً ويساراً كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، وكان الرسول ﷺ يمر عليهما
 ويسمع ما يقرآنه. وقيل: يعنون عائشاً غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب.
 وقيل: يعنون سلمان الفارسي اهـ بيضاوي ..

وفي المختار: القين الحداد وجمعه قيون، والقين أيضاً العبد، والقينة الأمة مغنية كانت أو غير
 مغنية والجمع القينات اهـ.

قوله: (يدخل عليه) أي في مكة ليسمع منه قراءة الإنجيل اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى) أي ردأ لهذه المقالة الشيعة.

قوله: (لغة) ﴿الذي﴾ الخ أي كلامه، فاللغة بمعنى الكلام فصح تذكيراً لخبر. قوله: (يميلون
 إليه) أي يضيفون وينسبون إليه أنه يعلمه. وعبرة البيضاوي: لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن
 الاستقامة إليه مأخوذ من لحد القبر اهـ.

أي لأنه حفرة مائلة عن وسطه اهـ شهاب.

قوله: ﴿أعجمي﴾ الأعجمي الذي لم يتكلم بالعربية، وقال الراغب: الأعجم من في لسانه
 عجمة عربياً كان أو غير عربي اعتباراً بقلّة فهمه، والأعجمي منسوب إليه اهـ سمين.

قوله: ﴿لسان﴾ أي كلام عربي. قوله: (فكيف يعلمه أعجمي) عبارة الخازن: ووجه الجواب هو
 أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة من الإتيان بفصيح الكلام، ومحمد ﷺ جاءكم بهذا
 القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عنه، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة، فكيف يقدر من هو أعجمي على
 مثله، وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي تشيرون إليه، فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به
 محمد ﷺ وحي أوحاه الله إليه ليس هو من تعليم الذي تشيرون إليه، ولا هو أتى به من تلقاء نفسه، بل
 هو وحي من الله عز وجل. ويروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه انتهت.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي في علمه تعالى لا يهديهم الله إلى الإيمان في
 الخارج، وهذا شروع في تهديدهم.

قوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ إنما أداة حصر، وقوله ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فاعل، وقوله بقولهم
 متعلق بالكذب، وقوله ﴿هَذَا﴾ من قول البشر فيه اكفاء أي: وبقولهم إنما أنت مفتر لأنهم كذبوا كذبتين
 كما تقدم. ويدل على هذا الحذف أيضاً قوله بعد ذلك رد لقولهم إنما أنت مفتر أي: ولقولهم أيضاً إنه
 من قول البشر، ففي عبارته احتباك، وقوله (بالتكرار) أي بين الكذب والكاذبون، وبين الموصول وهو
 الذين لا يؤمنون، واسم الإشارة وهو أولئك إذ ما صدقهما واحد. وقوله: وإن كان عليه أن يقول وإنما
 لما عرفت من أن إنما أداة حصر فإن فيها جزء كلمة ليس لها شيء من المعاني، وقوله (وغيرهما) وهو

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والتأكيد بالتكرار وإن وغيرهما رد لقوهم إنما أنت مفتر ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ﴾ على التلغظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ومن مبتدأ أو شرطية والخبر أو الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ

اسمية الجملة وضمير الفصل وتعريف الطرفين اه شيخنا.

قوله: (والتأكيد) مبتدأ، وقوله (رد النخ) خبر.

قوله: ﴿كفر﴾ أي تلفظ بالكفر أو فعل فعلاً مكفراً سواء كان مختاراً في ذلك أو مكرهاً عليه فالاستثناء متصل اه شيخنا.

وفي الخازن: نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، وذلك أن الكفار أخذوه وأباه وهو ياسر وأمه، وهي سمية، وأخذوا أيضاً صهيياً وبلالاً وخباباً فعذبوهم ليرجعوا عن الإيمان. فأما سمية أم عمار فربطوها بين بعيرين وضربها أبو جهل بحربة في فرجها فماتت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين في الإسلام. وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرهاً فإنهم قالوا له: اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره، فأخبر النبي ﷺ بأن عماراً كافر، فقال: كلا إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى مقدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. فأتى عمار وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله نلت منك وذكرت، فقال: «كيف وجدت قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان، فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه، وقال: «إن عادوا لك فقل لهم ما قلت» فنزلت هذه الآية. قال العلماء: أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وخباب، وصهيب، وبلال، وعمار، وأبو ياسر وأمه سمية، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله من أذى المشركين بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه وعشيرته، وأخذ الآخرون وألبسوا أدرع الحديد، وأجلسوهم في حر الشمس بمكة، وأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول: أحد أحد، حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه. وقتل ياسر وسمية وقال خباب: لقد أوقدوا لي ناراً ما أطفاها إلاً ودك ظهري اه.

وفيما فعله عمار دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه، وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازاً للدين كما فعله أبوه، ولما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: ما تقول في؟ قال: أنت أيضاً فخلاه، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله. قال: ما تقول في؟ قال: أنا أصم فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له» اه بيضاوي.

قوله: (على التلغظ بالكفر) أي أو على الفعل المكفر. قوله: (والخبر أو الجواب النخ) كان الأولى تقدير هذا قبل الاستثناء لأنه هو المستثنى منه. وعبرة السمين: في هذا الاستثناء أوجه إلى أن قال الثاني أنه مستثنى من جواب الشرط، أو من خبر المبتدأ المقدر تقديره فعليهم غضب من الله إلا من أكره، ولذلك قدر الزمخشري جزاء الشرط قبل الاستثناء وهو استثناء متصل، لأن الكفر يكون بالقول من غير اعتقاد كالمكره، وقد يكون والعياذ بالله اعتقاداً فاستثنى الصنف الأول اه.

قوله: (لهم وعيد) كان الأولى أن يقدره بالفاء، فيقول: فلهم وعيد شديد، لأن الجملة الاسمية

صَدْرًا ﴿١٠٦﴾ لَهُ أَي فَتَحَهُ وَوَسَّعَهُ بِمَعْنَى طَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ الْوَعِيدُ لَهُمْ ﴿يَأْتُهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اخْتَارُوهَا ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ لَوْلَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ ﴿عَمَّا يَرَادُ بِهِمْ﴾ لَا جَرَمَ ﴿حَقًّا﴾ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿لَمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَيَّدَةِ عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذَّيَرِ هَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا

إذا وقعت جواباً للشرط يجب اقترانها بالفاء اهـ شيخنا .

قوله: (دل على هذا) أي على جوابه، ولكن من شرح أي جواب من في قوله: ﴿ولكن من شرح الخ﴾ فالإشارة إلى قوله ﴿فعليهم غضب من الله﴾ اهـ من الكرخي .

قوله: ﴿ولكن من شرح﴾ الاستدراك واضح، لأن قوله إلا من أكره قد سبق الوهم إلى الاستثناء مطلقاً فاستدرك هذا، وقوله ﴿مطمئن﴾ لا ينفي ذلك الوهم ومن إما شرطية أو موصولة، ولكن متى جعلت شرطية فلا بد من اضممار مبتدأ قبلها، لأنه لا يليها الجمل الشرطية قاله الشيخ، وإنما لم تقع الشرطية بعد لكن، لأن الاستدراك لا يقع في الشروط كذا قيل وهو ممنوع اهـ سمين .

قوله: ﴿صدراً﴾ (له) الضمير راجع لمن وقوله: (طابت به) أي بالكفر . قوله: ﴿فعليهم﴾ فيه مراعاة معنى من فجمع ولو راعى لفظها لأفرد وقال فعليه .

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ خبره بأنهم أي حاصل وثابت بسبب انهم الخ . وقوله: ﴿لهم﴾ متعلق بالوعيد اهـ شيخنا .

وفي السمين: والإشارة بذلك إلى ما ذكر من الغضب والعذاب . قوله: ﴿القوم الكافرون﴾ أي في علمه أي لا يهديهم إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم عن الزيغ اهـ بيضاوي .

قوله: ﴿هم الخاسرون﴾ أي حيث ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب المخلد اهـ بيضاوي .

وفي الخازن: يعني أن الإنسان إنما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة، فإذا أدخل النار بان خسارانه وظهر غيبه، لأنه ضيع رأس ماله وهو الإيمان، ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر اهـ .

والموجب لخسرانهم أن الله تعالى وصفهم بست صفات تقدمت، الأولى: أنهم استوجبوا غضب الله بقوله: ﴿فعليهم غضب من الله﴾ . الثانية: أنهم استحقوا عذابه العظيم . الثالثة: أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة . الرابعة: أنه حرّمهم من الهداية . الخامسة: أنه طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم . السادسة: أنه جعلهم من الغافلين اهـ .

قوله: ﴿ثم إن ربك﴾ الخ نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة، وكان أخا أبي جهل من الرضاة، وقيل: كان أخاه من أمه، وفي أبي جندل بن سهل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبد الله بن أسد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا . وقال الحسن، وعكرمة: نزلت في عبد الله بن أبي سرح

﴿فَتَنُوا﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر وفي قراءة بالبناء للفاعل أي كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَهِدُوا وَصَبْرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي الفتنة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم إن الأولى دل عليه خبر الثانية اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِمُحَدِّدٍ﴾ تحتاج ﴿عَنْ

كان قد أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب، فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بقتله فاستجاره عثمان، وكان أخاه لأمه، فأجاره رسول الله ﷺ فأتى به فأسلم وحسن إسلامه. وهذا القول إنما يصح إذا قلنا إن هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة، فتكون من الآيات المدنية في السور المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك اهـ خازن.

وتقدم له في أول السورة ما نصه. وقال قتادة: هي مكية إلا خمس آيات، وهي قوله: ﴿والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا﴾ [النحل: ٤١] وقوله: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ وقوله: ﴿وإن عاقبتهم﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة. وزاد مقاتل: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ [النحل: ١٠٦] الآية ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة﴾ [النحل: ١١٢] اهـ.

قوله: ﴿للذين هاجروا﴾ متعلق بمحذوف هو خبر إن أي لغفور رحيم للذين هاجروا. هذا معنى قوله الآتي، وخبر إن الأولى الخ اهـ شيخنا. وعبارة السمين: في خبر إن هذه ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه قوله ﴿لغفور رحيم﴾ و﴿وإن ربك﴾ الثانية واسمها تأكيد للأولى واسمها، فكأنه قيل: ثم إن ربك لغفور رحيم، وحيث يجوز في قوله ﴿للذين﴾ وجهان أن تتعلق بالخبرين على سبيل التنازع أو بمحذوف على سبيل البيان، كأنه قيل: الغفران والرحمة للذين هاجروا. والثاني: أن الخبر هو نفس الجار بعدها كما تقول إن زيداً لك أي هو لك لا عليك بمعنى هو ناصرهم لا خاذلهم. قال معناه الزمخشري.

الثالث: أن خبر الأولى مستغنى عنه بخبر الثانية يعني أنه محذوف لفظاً لدلالة ما بعده عليه اهـ.

قوله: (وتلفظوا) عطف مسبب على سبب. قوله: (وفي قراءة) أي سبعة بالبناء للفاعل، وعليها فيحتمل أن الفعل لازم فيكون فتنوا بمعنى افتتنوا كما ذكره بقوله أي كفروا، ويحتمل أنه متعدي كما قال أو فتنوا الناس عن الإيمان، كما وقع لبعضهم أن عبده أسلم فعذبه وعاقبه حتى رده عن الإيمان وأرجعه للكفر ففتنه عن الإيمان أي رده عنه اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وفي قراءة لابن عامر بفتح الفاء والتاء بالبناء للفاعل أي كفروا. أي فتنوا أنفسهم حين أظهروا ما أظهروا من كلمة الكفر أو فتنوا الناس عن الإيمان أي بعدما عذبوا المؤمنين، كالحضرمي أكره مولاة جبراً حتى ارتد، ثم أسلما وهاجروا. فالقولان مبنيان على عود الضمير، فقاتل الأول أعاده على المؤمنين، وقائل الثاني أعاده على المشركين اهـ.

قوله: (أي الفتنة) أي أو بعد الثلاثة اهـ كرخي.

قوله: (وخبر إن الأولى) أي التي في قوله: ﴿ثم إن ربك﴾ الخ، والثانية هي التي في قوله: ﴿إن ربك الخ﴾ اهـ شيخنا.

نَفْسَهَا ﴿لَا يَهْمُهَا غَيْرُهَا وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءً ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهَمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾
شَيْئاً ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ وَيَبْدُلُ مِنْهُ ﴿قَرْيَةً﴾ هِيَ مَكَّةُ وَالْمَرَادُ أَهْلُهَا ﴿كَانَتْ أَمْنَةً﴾ مِنَ الْغَارَاتِ

قوله: (اذكر) ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ أي اذكره لقومك لعلهم يعتبرون. قوله: ﴿تَجَادُلُ﴾ (تحتاج) أي
تخاصم وتسعى في خلاصها اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ أي ذاتها اهـ بيضاوي.

وهذا جواب عما يقال شرط المتضايفين تغايرهما وهما متحدان في قوله ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾، فأجاب
بأن المراد هنا بالنفس المضافة الذات اهـ زكريا.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ أي ذاته لخلاصها، فالنفس الأولى لمجموع الذات
وصاحبه، وإيضاحه أن النفس تقال للروح وللجوهر القائم بذاته المتعلق بالجسم تعلق التدبير ولجملة
الإنسان ولعين الشيء وذاته، كما يقال نفس الذهب والفضة محبوبة أي ذاتهما، فالمراد بالنفس الأولى
الإنسان، وبالثانية ذاته، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهيمه شأن غيره كل يقول
نفسي، فاندفع السؤال ما معنى إضافة النفس إلى النفس مع أن النفس لا نفس لها انتهت.

وعبارة الخازن: النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس أخرى، فما معنى قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ
تَجَادُلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ قلت: إن النفس قد يراد بها ذات الإنسان، وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته،
فالنفس الأولى هي مجموع ذات الإنسان وحقيقته، والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها أيضاً،
والمعنى يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهيمه غيره. ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل
منهم، كقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات.

وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى
يخاصم الروح الجسد فيقول الروح: يا رب لم يكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين
أبصر بها فضعف عليه العذاب. فيقول الجسد: يا رب أنت خلقتني كالخشبة ليس لي يد أبطش بها، ولا
رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لساني، وبه أبصرت
عيني، وبه مشيت رجلاي، فيضرب الله لهم مثلاً أعمى ومقعداً دخلاً حائط يعني بستاناً فيه ثمار،
فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعداً لا يتناوله، فحمل الأعمى المقعد فأصاب الثمر فغشيهما العذاب اهـ.

وفي القرطبي: فنادى المقعد الأعمى ائت فاحملني آكل وأطعمك، فدنا منه فحمله فأصابوا من
الثمر، فعلى من يكون العذاب؟ قالوا: عليهما. قال: عليكما جميعاً العذاب ذكره الثعلبي اهـ.

قوله: (لا يهيمها) من أهمه الأمر أقلقته وأحزنه. أي لا تعتنني بأمر غيرها، بل تقول نفسي نفسي،
كما في البيضاوي. وفي المصباح: وأهمني الأمر بالألف أقلقني وهمني هما من باب رد مثله اهـ.

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فيه مراعاة معنى النفس. وفي الكرخي: وهم لا يظلمون شيئاً في
أجورهم أو بالعقاب بلا ذنب وهذا أولى لأن انتفاء النقص من أجورهم علم من قوله ﴿تُوفَى﴾ اهـ.

قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي وجعلها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم وأبطرتهم النعمة
فكفروها فأنزل الله بهم نعمته اهـ بيضاوي.

لا تهاج ﴿مُطْمِئِنَّةٌ﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتَ بِتَنْعَمِ اللَّهِ﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ فقحطوا سبع سنين

والمثل عبارة عن قول يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره، وقال مقاتل: وأكثر المفسرين إن هذه الآية نزلت في المدينة وهو الصحيح، لأن الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة، فضر بها الله مثلاً لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم من الجوع والخوف، ويشهد لصحته أن الجوع المذكور في هذه الآية في قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ كان من البعوث والسرايا التي كانت للنبي ﷺ يبعثها في قول جميع المفسرين، لأن النبي ﷺ لم يؤمر بالقتال وهو بمكة، وإنما أمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة، فكان يبعث البعوث والسرايا حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة، والله أعلم بمراده اهـ خازن.

قوله: (هي مكة) وقيل: هي المدينة آمنت برسول الله ﷺ، ثم كفرت بأنعم الله لقتل عثمان، وما حدث بها بعد رسول الله ﷺ من الغش، وهذا قول عائشة وحفصة زوجي النبي ﷺ. وقيل: إنه مثل مضروب لأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى اهـ قرطبي.

قوله: (لا تهاج) من أهاج الغابر أثاره، وأهاج الطير أقلقته وفرقه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رَغَدًا﴾ يقال: رغد العيش بالضم رغادة اتسع ولان، فهو رغد ورغد رغداً من باب تعب لغة، فهو راغد، وهو في رغد من العيش أي رزق واسع، وأرغد القوم بالألف أخصبوا. والرغيدة: الزبد اهـ مصباح.

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي من نواحيها من البر والبحر. قوله: ﴿بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس اهـ بياضوي.

ويحتمل أنه جمع نعماء بفتح النون والمد وهي بمعنى النعمة. وفي المصباح: والنعماء وزان الحمراء مثل النعمة وجمع النعمة نعم مثل سدره وسدر، وأنعم أيضاً مثل أفلس وجمع النعماء أنعم مثل البأساء يجمع على أبؤس اهـ.

قوله: (بتكذيب النبي) الباء سببية. قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ أي أثرهما وسماه الله لباساً لأنه ظهر عليهم من الهزال وصفرة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس، وأصل الذوق بالضم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء اهـ قرطبي.

قوله: (فقحطوا سبع سنين) وذلك أن الله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين، فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله ﷺ، حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع، ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ في ذلك وقالوا به: ما هذا دأبك عاديته الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ للناس في حمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون اهـ.

وفي القرطبي: فأرسلوا له أبا سفيان بن حرب في جماعة فقدموا عليه بالمدينة وقال له أبو

﴿وَالْخَوْفُ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿يَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿فَكُلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿وَلَا

سفيان: يا محمد إنك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، فدعا لهم رسول الله ﷺ وأذن للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون اهـ خازن.

قوله: (بسرايا النبي) الباء سببية. وفي الخازن: الخوف يعني خوف بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كان يبعثها للإغارة، وكان يطيف بهم ويغير على من حولهم من العرب، فكان أهل مكة يخافونهم اهـ.

قوله: ﴿بما كانوا﴾ ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي: بسبب صنعهم أو بسبب الذي كانوا يصنعونه اهـ سمين.

قوله: ﴿وهم ظالمون﴾ أي كافرون. والجملة حالية.

قوله: ﴿فكلوا مما رزقكم الله﴾ مفرع على نتيجة التمثيل أي: وإذا استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وما حل بهم بسبب ذلك، فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم وكلوا واشربوا الخ اهـ أبو السعود.

وهذا مبني على أن الخطاب للكفار كما هو أحد قولين، والآخر أن الخطاب للمؤمنين كما قال الشارح. وعبرة الخازن: قال ابن عباس: فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله يريد الغنائم حلالاً طيباً يعني أن الله أحل الغنائم لهذه الأمة وطيبها ولهم ولم تحل لأحد قبلهم. وقيل: الخطاب للمشركين من أهل مكة لما اشتكوا إلى رسول الله ﷺ، وأذن للناس أن يحملوا الطعام إليهم كما مر حكاها الواحدي: انتهت بتقديم وتأخير.

قوله: ﴿حلالاً طيباً﴾ حال أي كلوا من رزق الله حال كونه حلالاً طيباً، وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿تعبدون﴾ أي تطيعون.

قوله: ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ الخ لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرمات ليعلم أن ما عداها حل لهم، ثم أكد ذلك بالنهاي عن التحريم والتحليل بأهوائهم، فقال: ﴿ولا تقولوا الخ﴾ بـبضوي.

قوله: ﴿فمن اضطر﴾ أي دعت ضرورة المخصصة إلى تناول شيء من ذلك غير باغٍ على مضطر آخر ولا عاد متعد قدر الضرورة وسد الوثق، فالله لا يؤاخذ به ذلك اهـ شهاب.

وقيل: معناه غير باغٍ على الوالي ولا متعد على الناس بالخروج لقطع الطريق، فعلى هذا لا يباح تناول شيء من المحرمات في سفر المعصية اهـ زاده.

تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ۚ أَي لوصف ألسنتكم ﴿الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقْلِحُونَ﴾ لهم ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في آية ﴿وعلى الذين هادوا حرما كل ذي ظفر﴾ إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ﴾ الشرك ﴿بِجَهَنَّمَ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿إِنَّ

قوله: ﴿ولا تقولوا﴾ لا ناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل، وقوله: ﴿هذا حلال﴾ مفعول به لتقوموا، وقوله: (لما) تصف اللام تعليلية، وما مصدرية كما أشار له الشارح، ومعنى تصف تذكر، قوله: ﴿لتفتروا﴾ الخ بدل من التعليل الأول. والتقدير ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لأجل وصف ألسنتكم الكذب أي لجريانه عليها وتعودها به وهو معنى قوله: ﴿لتفتروا﴾ الخ اهـ شيخنا. وفي الكرخي: والمعنى لا تحللوا ولا تحرموا قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة، فإن قيل: حمل الآية عليه يؤدي إلى التكرار لأن قوله ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ عين ذلك. فالجواب: أن قوله ﴿تصف ألسنتكم﴾ ليس فيه بيان أنه كذب على الله فأعاد قوله ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ ليحصل فيه هذا البيان الزائد، ونظائره في القرآن كثيرة: وهو أنه تعالى يذكر كلاماً ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة، وإليه أشار في التقرير، ويجوز أن ينتصب مفعولاً به للقول، ويكون قوله ﴿هذا حلال﴾ بدلاً من الكذب عينه أو يكون مفعولاً بمضمر أي فتقولوا هذا حلال وهذا حرام، ولما تصف علة أيضاً. والتقدير: ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم وهذا مبالغة في كذبهم كأنه حقيقة الكذب مجهولة توصف وتعرف بكلامهم اهـ. قوله: (لما لم يحله) أي لشيء لم يحله الله ولم يحرمه، واللام بمعنى في أي لا تقولوا في شأن شيء لم يحله الله ولم يحرمه هذا حلال الخ اهـ شيخنا.

قوله: (بنسبة ذلك) أي التحليل والتحريم. قوله: ﴿لا يفلحون﴾ أي لا في الدنيا ولا في الآخرة بدليل ما بعده والوقف هنا، وقوله: ﴿متاع قليل﴾ مبتدأ خبره محذوف كما قدره الشارح اهـ شيخنا.

قوله: (وعلى الذين هادوا) الخ لما بين ما يحل ويحرم لأهل الإسلام أتبعه ببيان ما خص اليهود بتحريمه فقال: ﴿وعلى الذين هادوا﴾ الخ اهـ زاده. وتحريم الشيء إما لضرر فيه وإما لبغي المحرم عليهم، فقوله: ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ الخ إشارة للقسم الأول وقوله: ﴿وعلى الذين هادوا﴾ الخ إشارة للقسم الثاني اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من قبل﴾ متعلق بحرمانا أو قصصنا أي من قبل تحريمنا على أهل ملتك ما عدا ذلك من المحرمات اهـ زاده.

قوله: ﴿ثم إن ربك﴾ الخ لما بالغ في تهديد المشركين على أنواع قبائحهم من إنكار البعث والنبوة وكون القرآن من عند الله وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرمه يبين أن أمثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة إذا ندموا على ما فعلوا وآمنوا اهـ زاده.

قوله: ﴿للذين﴾ متعلق بمحذوف دل عليه خبر إن الآتية، والتقدير: ثم إن ربك غفور رحيم

رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴿أَيُّ الْجِهَالَةِ أَوْ التَّوْبَةِ﴾ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لَهُمْ ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١٩﴾ بِهِمْ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً﴾ إِمَاماً قَدَوَةً جَامِعاً لَخِصَالِ الْخَيْرِ ﴿فَأَنَّا﴾ مُطِيعاً ﴿لِلَّهِ خَافِئاً﴾ مَائِلاً إِلَى الدِّينِ الْقِيمِ ﴿وَلَوْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ أَجَنَّهُ﴾ اصْطَفَاهُ ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِيهِ﴾ التَّفَاتِ عَنِ الْغَيْبَةِ ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هِيَ الشَّاءُ الْحَسَنُ فِي كُلِّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ﴿وَلَنَّمْ فِي الْآخِرَةِ لَمَنَّ﴾

للذين عملوا السوء اهـ شيخنا .

قوله: ﴿بجهالة﴾ قال الزمخشري: في موضع الحال من فاعل عملوا أي جاهلين غير عارفين بالله تعالى وبعقابه أي غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم . وعن السلف: كل من عصى الله فهو جاهل اهـ كرخي .

وفي الخازن: بجهالة أي بسبب جهل منهم بقدر ما يترتب على ذلك السوء من العقاب، فكل عمل سوء لا يصدر إلا من الجاهل بالعاقبة، لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح اهـ .

وفي البيضاوي: بجهالة أي بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله تعالى وبعقابه وعدم التدبر في العواقب والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره اهـ .

قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ حكى ابن الجوزي عن ابن الأنباري أنه قال: إن هذا مثل قول العرب: فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث التناهي في المعنى الذي يصفونه به، والعرب توقع الأسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩] وإنما ناداه جبريل وحده، وإنما سمي إبراهيم ﷺ أمة لأنه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والأخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشعر:

وليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد
ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال، أحدها: قول ابن مسعود: الأمة معلم الخير يعني أنه كان معلماً للخير يأتم به أهل الدنيا . الثاني: قال مجاهد أنه كان مؤمناً وحده، والناس كلهم كفار، فلهذا المعنى كان أمة وحده، ومنه قوله ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل: «يبعث الله أمة وحده» وإنما قال فيه هذه المقالة، لأنه كان فارق الجاهلية، وما كانوا من عبادة الأصنام . الثالث: قال قتادة ليس: من أهل دين إلا وهم يتولونه ويرضونه، وقيل: الأمة فعلة بمعنى مفعولة، وهو الذي يؤتم به، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام إماماً يقتدى به دليله قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] وقيل إنه عليه الصلاة والسلام هو السبب الذي لأجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق، وهو من باب إطلاق المسبب على السبب، وقيل: إنما سمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمة لأنه قام مقام أمة في عبادة الله اهـ خازن .

وحاصل ما ذكر له من الصفات هنا تسعة بل عشرة . إذ قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الخ يرجع لوصف إبراهيم وتعظيمه بأن محمداً ﷺ أمر باتباعه اهـ شيخنا .

قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ يجوز تعلقه باجتنابه وبهدهاء على قاعدة التنازع اهـ سمين .

قوله: (فيه التفات عن الغيبة) إذ كان مقتضاها أن يقال وآتاه أي: الله المذكور في قوله: ﴿فَأَنَّا﴾

الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ الَّذِينَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿١٢٣﴾ ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴿١٢٤﴾ يَا مُحَمَّد ﴿١٢٥﴾ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ ﴿١٢٦﴾ دِينِ ﴿١٢٧﴾ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٨﴾ كَرَّرَ رَدًّا عَلَى زَعْمِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ ﴿١٢٩﴾ إِنَّمَا جُعِلَ

لِللَّهِ ﴿١٣٠﴾ وَنَكْتَةُ الْإِلْتِفَاتِ زِيَادَةُ الْاعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ أَهـ شَيْخُنَا.

قوله: (هي الثناء الحسن) أي السيرة الحسنة في كل أي عند كل أهل الأديان، فجميع الملل يترضون عن إبراهيم ولا يكفر به أحد أهـ شَيْخُنَا.

وعبارة البيضواي: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ بأن حبه إلى الناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويشنون عليه، ورزقه أولاداً طيبة وعمراً طويلاً في السعة والطاعة، وأنه في الآخرة لمن الصالحين لمن أهل الجنة، كما سأل ذلك بقوله: ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] انتهت.

قوله: ﴿ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ﴾ الخ أن يجوز أن تكون المفسرة وأن تكون المصدرية، فتكون مع منصوبها مفعول الإيحاء أهـ سمين.

قال أبو السعود: والمراد بالاتباع في الأصول والعقائد، وأكثر الفروع دون الشرائع المتبدلة بتبدل الأعصار أهـ.

وفي الكرخي: إنما جاز اتباع الأفضل المفضول لسبقه إلى القول والعمل به. قال القرطبي: وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول فيما يؤدي إلى الصواب ولا درك على الفاضل في ذلك، فإن النبي ﷺ أفضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد أمر بالافتداء بهم قال تعالى: ﴿فَبَهْدَاهُمَ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقال هنا: ﴿ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أهـ.

قال الزمخشري: في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله ﷺ وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الكرامة وأجل ما أوتي من النعمة اتباع رسول الله ﷺ ملته من جهة أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي امتن الله عليها بها أهـ.

قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء عليهم السلام من أملت الكتاب إذا أمليته، وهو الدين بعينه، لكن باعتبار الطاعة له. وتحقيق ذلك أن الوضع الهي مهما نسب إلى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب إلى من يقيمه ويعمل به يسمى ديناً. قال الراغب: الفرق بينهما أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها، والمراد بملته عليه السلام الإسلام الذي عبر عنه آنفاً بالصراط المستقيم أهـ أبو السعود.

قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم فهو حال من المضاف إليه والشرط موجود وهو أن المضاف كالجزء من المضاف إليه من حيث صحة الاستغناء بالثاني عن الأول، إذ يصح أن يقال أن اتبع إبراهيم حنيفاً أهـ شَيْخُنَا.

قوله: (كرر) أي قوله: ﴿وَمَا كَانَ﴾ الخ، وقوله: (على زعم اليهود والنصارى الخ) فيه شيء لأن

السَّبْتِ ﴿فَرَضَ تَعْظِيمَهُ﴾ عَلَى الَّذِينَ اُخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿عَلَى نَبِيِّهِمْ وَهُمْ الْيَهُودُ أَمْرُوا أَنْ يَتَفَرَّغُوا لِلْعِبَادَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالُوا لَا نَرِيدُهُ وَاخْتَارُوا السَّبْتَ فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ فِيهِ ﴿وَلِنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

اليهود والنصارى ليسوا مشركين حين يرد عليهم بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وإنما يصلح رداً على المشركين حيث زعموا أنهم كانوا على ملة إبراهيم، فيلزمهم أن يكون مشركاً، فرد عليهم بقوله ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ﴾ كأنه جواب عما يقال إنه عليه السلام لما أمر بمتابعة إبراهيم فكيف خالفه باختيار يوم الجمعة، فإن الظاهر أن إبراهيم قد اختار في شرعه تعظيم يوم السبت بشهادة أن قوم موسى يعظمونه اهـ زاده.

وقال أبو السعود: هذا رد على اليهود، فإنهم كانوا يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم كان محافظاً عليه أي ليس السبت من ملة إبراهيم التي أمرت باتباعها حتى يكون بينك وبين بعض المشركين علاقة في الجملة، وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة اهـ.

قوله: (فرض تعظيمه) يعلم من هذا أن المراد بالسبت هو اليوم المعلوم. قوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ اُخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي خالفوا نبيهم حيث أمرهم أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه وترك الأشغال فيكون عيداً، فخالفوا كلهم واختاروا السبت، فأذن الله تعالى لهم فيه وشدد عليهم بتحريم الاصطياد عليهم، فليس المراد بالاختلاف أن بعضهم رضي، وبعضهم لم يرض، بل المراد به امتناع الجميع ويشير له قول الشارح على نبيهم اهـ شيخنا.

وفي معنى الآية قول آخر: إن الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم، فعلى هذا القول يكون معنى قوله: ﴿إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ﴾ أي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود، فأحلّه بعضهم فاصطادوا فيه فعذبوا ومسحوا قرده وخنازير في زمن داود عليه الصلاة والسلام، وقد تقدمت القصة في سورة الأعراف، وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيئاً وهم الناهون، والقول الأول أقرب إلى الصحة اهـ خازن.

قوله: (على نبيهم) قال الإمام فخر الدين الرازي: يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختلفوا السبت، فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك، أي: لأجله وليس معنى قوله ﴿اُخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أن اليهود اختلفوا، فمنهم من قال بالسبت، ومنهم من لم يقل به، لأن اليهود كانوا متفقين على ذلك. وزاد الواحد على هذا فقال: وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم: معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة، لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء، وقال آخرون: الأحد أفضل لأن الله ابتداء فيه بخلق الأشياء وهذا غلط، لأن اليهود لم يكونوا فرقتين في السبت، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل اهـ خازن.

قوله: (يوم الجمعة) أي كما هو ملة إبراهيم اهـ كرخي.

قوله: (واختاروا السبت) وقالوا: لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض اهـ بيضاوي.

أي لأنه تعالى لما خلق ما ذكر في ستة أيام بدأ الخلق في يوم الأحد وأتمه في يوم الجمعة، فكان

﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة ﴿ادْعُ﴾

يوم السبت يوم الفراغ، وقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الأعمال في السبت، وقالت النصارى يوم الأحد مبدأ الخلق فنجعله عيداً لنا، وقلنا نحن يوم الجمعة يوم التمام والكمال، فهو أحق بالسرور والتعظيم اهـ شهاب.

وأيضاً فإن الله عز وجل خلق في يوم الجمعة أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر، وفيه تاب عليه، فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب، ولأن الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الأمة وادخره لهم ولم يختاروه لأنفسهم. قال بعض العلماء: بعث الله تعالى موسى عليه السلام بتعظيم يوم السبت، ثم نسخ بيوم الأحد في شريعة عيسى عليه السلام، ويوم الأحد بيوم الجمعة في شريعة محمد ﷺ أفضل الأنبياء اهـ خازن.

قوله: (من أمره) أي السبت، وعبرة الخازن: يعني في أمر السبت اهـ. ويحتمل أن الضمير عائد على ربك.

قوله: (بأن يثيب الطائع) أي بتعظيم السبت، وهم الفريق الذي لم يصطد ولم يصنع الحيلة. وقوله: (ويعذب العاصي) أي بانتهاك حرمة السبت بالاصطياد فيه والتحيل على الصيد اهـ من الخاون. وفي المصباح: أطاعه إطاعة أي انقاد له وطاعه طوعاً من باب قال، وبعضهم يعديه بالحرف فيقول طاع له، وفي لغة من باب باع وخاف، والطاعة اسم منه والفاعل من الرباعي مطيع، ومن الثلاثي طائع وطيع اهـ.

قوله: (بانتهاك حرمة) أي السبت أي تضييعها، والحرمة بمعنى الاحترام وهو العظيم.

قوله: ﴿ادْعُ﴾ (الناس) هو المفعول المحذوف لادع دلالة على التعميم، ففيه إشارة إلى عموم بعثته عليه الصلاة والسلام، ويجوز أن لا يكون المفعول مراداً أي افعل الدعاء اهـ كرخي.

وكان المعنى: وخطب الناس في دعائك لهم بالحكمة الخ. وفي الخازن: يعني ادع إلى دين ربك يا محمد، وهو دين الإسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني: وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب بحيث لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف. وقيل: إن الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام.

القسم الأول: هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثابتة الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها، فهؤلاء هم المشار إليهم بقوله ﴿ادْعُ﴾ إلى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية النفسية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها حتى ينتفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم.

القسم الثاني: وهم أصحاب النظر السليم والخلقة الأصلية، وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال، ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان فهم وسط الأقسام، وهم المشار إليهم بقوله:

الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواظبه أو القول الرفيق ﴿وَحَدِّثْ لَهُم بِآيَاتِي﴾ أي بالمجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ فيجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال. ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال ﷺ وقد رآه: والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك ﴿وَلِنْ عَاقِبَتُهُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُمْ﴾ أي الصبر ﴿خَيْرٌ

﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾ أي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة.

القسم الثالث: وهم أصحاب جدال وخصام ومعاندة، وهؤلاء هم المشار إليهم بقوله: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ يعني حتى ينقادوا إلى الحق ويرجعوا إليه، وقيل: المراد بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظة حسنة، وقيل: المراد بالحكمة النبوة أي ادعهم بالنبوة والرسالة، والمراد ﴿بالموعظة الحسنة﴾ الرفق واللين في الدعوة. ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق، فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير: هذا منسوخ بآية السيف اهـ.

قوله: (أو القول الرفيق) أي الذي فيه رفق ولين ومصادق هذا قوله: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩]. قوله: (أي بالمجادلة التي هي أحسن) أي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر، والمقدمات التي هي أشهر، فإن ذلك أنفع في تسكين شرهم اهـ بيبضوي.

قوله: (كالدعاء) وفي نسخة بالدعاء. قوله: (والدعاء إلى حججه) أي إلى الإيمان بها. قوله: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ فما عليك إلا البلاغ. وفي إيثار الفعلية في الضالين والاسمية في مقابلتهم إشارة إلى أنهم غيروا الفطرة وبدلوها بإحداث الضلال ومقابلوهم استمروا عليها، وتقديم أرباب الضلال، لأن الكلام وارد فيهم اهـ كرخي.

قوله: (وهذا) أي قوله ﴿جادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي: ولا تقاتلهم بل اقتصر على المجادلة، وغرض الشارح أن هذا منسوخ لكونه فهم أن المراد جادلهم ولا تقاتلهم، وبعضهم قال: لا حاجة إلى دعوى النسخ إذ الأمر بالمجادلة ليس فيه تعرض للنهي عن المقاتلة اهـ شيخنا.

قوله: (ونزل) أي بالمدينة لما قتل حمزة أي في السنة الثالثة في أحد، وكان عم النبي ﷺ وأخاه من الرضاع وقريبه من الأم أيضاً، وكان أكبر من النبي ﷺ بستين، وقوله: (ومثل به) التمثيل التشويه أي مثل به المشركون فقطعوا أنفه وأذنيه وذكره وأنثيه وفجروا بطنه، وقوله: (وقد رآه) جملة حالية أي فشق عليه جداً، وقوله: لأمثلن اللام جواب قسم محذوف صرح به في عبارة غيره، ففي كلام الشارح اختصار للحديث. ولقطة: أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن الخ، ويدل لذلك قول الشارح وكفر عن يمينه، وهذا القول من النبي ﷺ كأنه كان باجتهاد منه وعليه فلينظر هل قوله تعالى: ﴿وَلِنْ عَاقِبَتُهُمْ﴾ الخ لهذا الاجتهاد أو تنبيه على خطئه تأمل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلِنْ عَاقِبَتُهُمْ﴾ الخ اختلف العلماء في هذه الآية هل هي منسوخة أو لا؟ على قولين.

لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَفَّ اللَّهُ عَنْهُمْ وَكَفَرُ عَنْ يَمِينِهِ، رواه البزار ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

أحدهما: أنها نزلت قبل براءة فأمر النبي ﷺ أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال، ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد مطلقاً، وذلك قول ابن عباس والضحاك.

القول الثاني: قال بعضهم: الأصح أنها محكمة لأن الآية واردة في تعليم حسن الأدب في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة، وهذه الأشياء لا تكون منسوخة ولا تعلق لها بالنسخ والله أعلم اهـ خازن.

وفي البيضاوي: وفيه دليل على أن المقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوزه اهـ.

قوله: ﴿ولئن صبرتم﴾ الخ لما حث على العفو تعريضاً بقوله: ﴿وإن عاقبتهم﴾ حث عليه تصريحاً على الوجه الآكد بقوله: ﴿ولئن صبرتم﴾ الخ اهـ من البيضاوي.

قوله: (عن الانتقام) أي تركتموه بالكلية. قوله: ﴿لهو﴾ بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان. قوله: (أي الصبر) أشار إلى أن الضمير عائد على المصدر الدال عليه الفعل مقيداً بالإضافة اهـ كرخي. قوله: (فكف) أي عن التمثيل بهم. قوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي لأجلهم أي لأجل عدم إيمانهم اهـ.

وفي زاده: لما كان السبب الحامل على الغضب والانتقام لا يخلو عن أمرين، أحدهما فوات نفع في الماضي، والآخر توقع ضرر في المستقبل نهى عن الالتفات إلى السبب الأول بقوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي على الكافرين بسبب إعراضهم عنك واستحقاقهم للعذاب الدائم، وعن الالتفات إلى السبب الثاني بقوله: ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ اهـ.

قوله: (أي الكفار) وقيل: المعنى لا تحزن على قتلى أحد، فإنهم أفضوا إلى رحمة الله تعالى اهـ خازن.

قوله: (لحرصك) متعلق بالمنهي عنه، والمعنى أن الحزن الذي سببه حرصك على إيمانهم لا نرتكبه ولا تفعله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تك في ضيق﴾ أي ضيق صدر، فهو من الكلام المقلوب الذي أمن فيه الالتباس، لأن الضيق وصف، فهو يكون في الإنسان ولا يكون الإنسان فيه، وفيه لطيفة أخرى هي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به قاله هنا بحذف النون، وفي النمل بإثباتها تشبيهاً لها بحروف العلة، وخص ما هنا بحذفها موافقة لقوله قبل: ﴿ولم يك من المشركين﴾، ولسبب نزول هذه الآية، لأنها نزلت تسلياً لرسول الله ﷺ حين قتل عمه حمزة ومثل به فقال ﷺ: «لأفعلن بهم ولأصنعن»، فأنزل الله تعالى: ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ الآية. فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغة في التسلي، وإثباتها في النمل جاء على القياس، ولأن الحزن ثم دون الحزن هنا، وإلى ذلك أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿في ضيق﴾ بفتح الضاد وكسرها سبعيتان. وفي المصباح: ضاق الشيء ضيقاً من باب

يَتَكْرَهُونَ ﴿١٢٧﴾ أَي لَا تَهْتَم بِمَكْرِهِمْ فَأَنَا نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿١٢٩﴾ الْكَفْرَ وَالْمَعَاصِيَ
﴿١٣٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣١﴾ بِالطَّاعَةِ وَالصَّبْرِ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ .

سار، والاسم الضيق بالكسر وهو خلاف اتسع فهو ضيق، وضاق صدره حرج فهو ضيق أيضاً أهـ.
قوله: (أَي لَا تَهْتَم بِمَكْرِهِمْ) أشار إلى أن ما مصدرية. وعبرة السمين: ﴿مما يمكرون﴾ متعلق
بضيق. وما مصدرية أو بمعنى الذي والعائد محذوف، انتهت.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص، وسائر المناهي، ﴿والذين
هم محسنون﴾ يعني بالعفو عن الجاني، وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني إن أردت أيها
الإنسان أن أكون معك بالعون والفضل والرحمة، فكن من المتقين المحسنين، وفي هذا إشارة إلى
التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. قال بعض المشايخ: كمال الطريق صدق مع الحق وصلاح مع
الخلق، وكمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل أن يعمل به. وقيل لهرم بن حيان عند
الموت: أوصني. فقال: إنما الوصية في المال ولا مال لي، ولكنني أوصيك بخواتيم سورة النحل والله
أعلم أهـ خازن.

قوله: (بِالطَّاعَةِ وَالصَّبْرِ) أي فالإحسان بمعنى جعل الشيء جميلاً لا ضد الإساءة، وقوله:
(بِالْعَوْنِ وَالصَّبْرِ) متعلق مع الذين أهـ كرخي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الاسراء

مكية إلا ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الآيات الثمان ،
وهي مائة وعشر آيات أو إحدى عشرة آية

﴿سُبْحَنَ﴾ أي تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف والإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة سبحان ، وسورة بني إسرائيل اه خطيب .

قوله : (الآيات الثمان) آخرها قوله تعالى : ﴿سلطانا نصيراً﴾ [الإسراء : ٨٠] ويرد على هذا أن الآية الأخيرة من الثمانية وهي قوله : ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ [الإسراء : ٨٠] الخ نزلت لما أمر ﷺ بالهجرة على ما يأتي في كلامه ، ولهذا جزم البيضاوي بأنها كلها مكية وحكى القول الذي فيه الاستثناء بقليل ، وبقي أقوال أخرى في المدني ، منها ذكرها الخازن . قوله : (مائة) خبر ثان لسورة .

قوله : ﴿سبحان﴾ مصدر سماعي لسبح المشدد ، أو اسم مصدر له ، أو مصدر قياسي لسبح المخفف ، فإنه يقال سبح في الماء ، وفيه معنى البعد والتنزيه فيه بعد عن النقائص ، وعلى كل فهو علم جنس للتنزيه والتقديس منصوب بفعل مقدر أي : سبحت سبحان ، وقوله (أي تنزيه) الذي الخ . أي تنزيهه عن صفة العجز عن هذا الأمر العجيب الخارق للعادة وهو الإسراء المذكور ، وكما أن المقصود التنزيه فالتعجب أيضاً مقصود أي تعجبوا أو اعجبوا من قدرة الله تعالى على هذا الأمر الغريب اه شيخنا .

وفي الكرخي : قال النحويون : سبحان اسم علم للتسبيح ، وانتصابه على أنه مفعول مطلق بفعل مضمر تقديره أسبح الله سبحانه أي : تسبيحاً وهو التقديس ، والتنزيه والتباعد من السوء في الذات والصفات والأفعال والأسماء والأحكام من سبح في الماء ، وقُدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد يصدر به لتنزيه فاعل ما بعده عن النقائص . وحاصله : ما أبعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص ، ولذا لا يستعمل إلا فيه تعالى اه .

قوله : ﴿أسرى﴾ يقال : أسرى وسرى بمعنى سار في الليل ، وهما لازمان . لكن مصدر الأول الإسراء ، ومصدر الثاني السرى بضم السين كهدى ، فالهمزة ليست للتعدي إلى المفعول ، وإنما جاءت التعدية هنا من الباء ومعنى أسرى به صيره سارياً في الليل ، وقوله : ﴿بعبداه﴾ أي بروحه وجسده على المعتمد اه شيخنا .

سير الليل وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالشمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأْتَنَّا﴾

وقال بعبده دون نبيه أو حبيبه لثلا تفضل به أمته كما ضلت أمة المسيح حيث ادعته إلهاً، أو لأن وصفه بالعبودية المضاف إلى الله تعالى أشرف المقامات والأوصاف اهـ كرخي .
قوله: (نصب على الظرف) أي لأسرى اهـ كرخي .

قوله: (وفائدة ذكره) أي الليل أي مع أنه معلوم من ذكر الإسراء، وقوله (الإشارة الخ) أي فالتنوين للتقليل أي في جزء قليل من الليل، قيل: قدر أربع ساعات، وقيل: ثلاث، وقيل: أقل من ذلك، وهذا بخلاف ما لو قيل أسرى بعبده الليل، فإن التركيب مع التعريف يفيد استغراق السير لجميع أجزاء الليل اهـ شيخنا .

وفي الكرخي: قوله: (الإشارة) بتنكيره إلى تقليل مدته، وذلك لأن التنكير قد يكون للتقليل والتقليل والتبعض متقاربان، فاستعمل في التبعض ما هو للقليل اهـ . وقوله: (مدته) أي السير .

قوله: ﴿من المسجد﴾ من ابتدائية، وكان الإسراء به ببذنه في اليقظة بعد البعثة، وكان قبلها في المنام، كما أنه رأى فتح مكة سنة ست وتحقق سنة ثمان اهـ كرخي .

والحكمة في إسرائه إلى بيت المقدس دون العروج به من مكة لأنه محشر الخلائق فيطؤه بقدمه ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أثر قدمه، أو لأنه مجمع أرواح الأنبياء، فأراد الله تعالى أن يشرفهم بزيارته ﷺ، وليخبر الناس بصفاته فيصدقوه في الباقي اهـ كرخي .

قوله: (أي مكة) عبر بذلك ليصدق بكل من القولين المحكيين هنا، وهو أنه هل كان تلك الليلة نائماً في المسجد أو في بيت أم هانئ بنت عمه ﷺ؟ وفي الحقيقة لا خلاف بين القولين لأنه على القول الثاني احتملته الملائكة من بيتها، وجاؤوا به إلى المسجد وشقوا صدره هناك، ثم ركب البراق من باب المسجد ففي الحقيقة ما حصل الإسراء إلا من المسجد، فلا حاجة لما عبر به الشارح . وكان المسجد الحرام إذا ذاك في حول الكعبة بقدر المطاف الآن، وكانت دور مكة حوله تفتح إليه ثم وسعه الملوك، وأول من وسع فيه عمر بن الخطاب، فكانوا يشترون دور مكة ويدخلونها فيه، لكن لم يثبت هل وقفوا تلك الزيارات أو لا، ولم يثبت أن المسجد الأصلي الذي هو الكعبة وما حولها بقدر المطاف حصل فيه وقفية من أحد فليحرر المقام . قوله: ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ أي القاصي . وأول من بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة، كما في المواهب، فهو أول مسجد بني في الأرض بعد الكعبة اهـ .

قوله: (بيت المقدس) من إضافة الموصوف إلى صفته أي البيت المقدس المطهر عن عبادة غير الله تعالى أي لم يعبد فيه صنم قط، وقوله: (لبعده منه) توجيه لكونه أقصى والمسافة بينهما قدر شهر أو أكثر اهـ .

قوله: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي بركة دينوية هي ليست إلا حول الأقصى، وأما في الداخل فالبركة في كل من المسجدين، بل هي في الحرم أتم، وهي كثرة الثواب بالعبادة فيهما اهـ شيخنا .

عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى

وعبارة الخازن: الذي باركنا حوله يعني بالأنهار والأشجار والثمار، وقيل: سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الأنبياء قبل نبينا ﷺ، وإليه يحشر الخلق يوم القيامة انتهى.

قوله: ﴿لنريه﴾ متعلق بأسرى وقوله: ﴿من آياتنا﴾ من للتبويض، وإنما أتى بها تعظيماً لآيات الله تعالى، فإن الذي رآه ﷺ وإن كان جليلاً عظيماً فهو بعض بالنسبة إلى آيات الله تعالى، وعجائب قدرته وجليل حكمته، قاله أبو شامة اهـ كرخي.

فإن قلت: لفظة من في قوله: ﴿من آياتنا﴾ تقتضي التبويض، وقال تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] وظاهر هذا يدل على فضيلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام على محمد ولا قائل به فما وجهه؟ قلت: ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله تعالى أيضاً، وآيات الله أعظم من ذلك وأكبر، والذي أراه محمداً ﷺ من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والأرض، فظهر بهذا البيان فضل محمد ﷺ على إبراهيم ﷺ اهـ شيخنا.

وقرأ العامة لنريه بنور العظمة جرياً على باركنا، وفيهما التفات من الغيبة في قوله: ﴿الذي أسرى بعبد﴾ إلى التكلم في باركنا ولنريه، ثم التفات إلى الغيبة في قوله: ﴿إنه هو﴾ إن أعدنا الضمير على الله تعالى وهو الصحيح، ففي الكلام والتفاتان. وقرأ الحسن ليريه بالياء من تحت أي الله تعالى، وعلى هذه القراءة يكون في هذه الآية أربعة التفاتات، وذلك أنه التفات أولاً من الغيبة في قوله ﴿الذي أسرى بعبد﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿باركنا﴾، ثم التفات ثانياً من التكلم في باركنا إلى الغيبة في ليريه على هذه القراءة، ثم التفات ثالثاً من هذه الغيبة إلى التكلم في آياتنا، ثم التفات رابعاً من هذا التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿إنه هو﴾ على الصحيح في الضمير إنه لله تعالى. وأما على قول نقله أبو البقاء أن الضمير في إنه هو للنبي ﷺ فلا يجيء ذلك، ويكون في قراءة العامة التفات واحد، وفي قراءة الحسن ثلاثة وهذا موضع غريب، وأكثر ما ورد الالفتان ثلاث مرات على ما قال الزمخشري في قول امرئ القيس:

تطاول ليلك بالأثمد

الآيات.

وقد تقدم النزاع معه في ذلك وبعض ما يجاب به أول الفاتحة، ولو ادعى مدع أن فيها خمسة التفاتات لاحتاج في دفعه إلى دليل واضح والخامس الالفتان من قوله ﴿إنه هو﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿وآتينا موسى﴾ [الإسراء: ٢] الآية والرؤية هنا بصرية. وقيل: قلبية، وإليه نحا ابن عطية اهـ سمين.

قوله: (أي العالم الخ) فسر هاتين الصفتين بالعلم وهو غير ظاهر، وأبقاهما غيره على ظاهرهما كالبيضاوي، فقال: ﴿إنه هو السميع﴾ لأقوال محمد ﷺ، العليم بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك اهـ.

قوله: (على اجتماعه بالأنبياء) أي الرسل وغيرهم أي: بأجسادهم وأرواحهم معاً على الصحيح

فإنه ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من

كما قاله قال في معراجہ: فأخرجهم الله من قبورهم وأحضرهم في بيت المقدس، واجتمع أيضاً بالملائكة وأرواح أموات المؤمنين ممن مضى، فصلى الجميع خلفه مقتدين به اهـ شيخنا.

قوله: (الملوكوت) وهو العالم الخفي الذي لم نشاهده كالملائكة والجنة والنار اهـ شيخنا.

قوله: (فإنه ﷺ إلى آخره) غرضه من هذا إثبات الأمور الأربعة التي ادعى أن الإسراء مشتمل عليها وهي اجتماعه بالأنبياء، وعروجه ورؤية عجائب الملوكوت ومناجاته اهـ شيخنا.

قوله: (أتيت بالبراق) أي أتاني به جبريل من الجنة وهو بضم الباء واشتقاقه من البرق لسرعة سيره، أو من البريق لشدة صفاء بياضه ولمعات تلالئه اهـ خازن.

قوله: (دابة) أي ليست ذكراً ولا أنثى، وفي الاستعمال يجوز تذكيرها وتأنيثها. وقوله (أبيض) وفي نسخة بيضاء اهـ شيخنا.

قوله: (عند منتهى طرفه) بسكون الراء أي بصره. وفي المصباح: طرف البصر طرفاً من باب ضرب تحرك، وطرف العين نظرها ويطلق على الواحد وغيره، لأنه مصدر، والطرف الناحية والجمع أطراف مثل سبب وأسباب اهـ.

قوله: (فركبته) الحكمة في كونه أسرى به راكباً مع القدرة على طي الأرض له الإشارة إلى أن ذلك وقع له على حسب العادة في مقام العادة، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به بعث إليه ما يركبه اهـ كرخي.

قوله: (بالحلقة) بإسكان اللام، ويجوز فتحها والربط للاحتياط في الأمور، وبيان طلبه تعاطي الأسباب لا يقدح في التوكل اهـ خازن.

قوله: (تربط فيها الأنبياء) أي دوابهم حين إتيانهم لهذا المنزل. وفي المصباح: ربطته ربطاً من باب ضرب، ومن باب قتل لغة شدته، والرباط ما يربط به القربة وغيرها والجمع ربط مثل كتاب وكتب اهـ.

قوله: (فصليت فيه ركعتين) أي إماماً بالأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: (فاخترت اللبن) قال الخازن: فيه اختصار، والتقدير فخيرني بينهما فاخترت اللبن اهـ.

قوله: (أصبت الفطرة) أي فطرة الإسلام أي الإسلام الذي فطر وجبل عليه الخلق بحسب أصل الخلقة، أي: أصبت علامته، وإنما كان اللبن علامة عليه، لأنه سهل طيب سائغ للشاربين سليم العاقبة بخلاف الخمر، فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر اهـ خازن.

قوله: (قال ثم عرج بي الخ) لفظ قال من كلام الراوي الذي هو أنس بن مالك، لأن الحديث

أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا

مروي عنه كما في مسلم، وفاعله ضمير يعود على النبي ﷺ، وقوله (ثم عرج) بفتححات مبنياً للفاعل أي: صعد معي أو صيرني صاعداً بأمره لي بالصعود بخلافه في جميع ما سيأتي، فإنه مبني للمفعول ولفظ فتح في جميع ما سيأتي يصح بناؤه للفاعل وللمفعول، كما ذكره القليوبي في معراجيه.

قوله: (ثم عرج بي إلى السماء الدنيا) أي بعد أن نصب لي هو أي جبريل معراجاً أتى به من الجنة، وهو سلم له عشر مرقاة واحدة من فضة، وأخرى من ذهب، وجانباه أحدهما من ياقوتة حمراء والآخر من ياقوتة بيضاء وهو مكلل باللؤلؤ وغيره من معادن الجنة، فنصبه جبريل فجعل أسفله على صخرة بيت المقدس، وأعلاه إلى العرش. بين كل مرقاة والأخرى ما بين السماء والأرض، والمرقاة السفلى منه كان محلها عند السماء الدنيا، والثانية عند الثانية، وهكذا فللسموات سبع مرقاة، والثامنة للسدر، والتاسعة للكرسي، والعاشرة إلى العرش، فلما هم بالصعود نزلت التي عند السماء الدنيا، فركبها وصعدت به إلى السماء الدنيا، فلما وصلها نزلت التي عند السماء الثانية، فركبها وصعدت به إلى السماء الثالثة، ثم نزلت التي عند الثالثة وهكذا اهـ من معراج القليوبي.

في القاموس: المرقاة بفتح الميم وكسرهما الدرجة. قوله: (الدنيا) أي السفلى والقربى لقربها من الأرض اهـ شيخنا.

فائدة:

السماء الدنيا من موج مكفوف أي ممنوع من التفرق والتقطع، والثانية من ممررة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، والكرسي من ياقوتة بيضاء، والعرش من ياقوتة حمراء، وأبواب السموات كلها من ذهب، وأقفالها من نور، ومفاتيحها اسم الله الأعظم اهـ من معراج القليوبي.

قوله: (فاستفتح جبريل) أي بطرق الباب لا بالكلام. وقوله: (قيل) معناه في جميع ما يأتي. قال: أي قال أبواب السماء أي: الملك الموكل ببابها من أنت؟ وفي كل سماء من السبع يذكر ثلاثة أسئلة وثلاثة أجوبة كما يعلم بالسير اهـ شيخنا.

قوله: (قيل وقد أرسل إليه) أي للعروج والصعود إلى السماء، وليس المراد السؤال عن إرساله للخلق، لأنه كان قبل ليلة المعراج بنحو تسع سنين والملائكة كانوا يعلمون رسالته ولا تخفى عليهم اهـ شيخنا.

قوله: (فإذا أنا بآدم) أي ففاجأني لقي آدم أي بروحه وجسده معاً كبقية الأنبياء الآتي ذكرهم في السموات السبع، فاجتمع النبي ﷺ بهم بأجسادهم وأرواحهم بعد أن اجتمع بهم، كذلك في جملة الأنبياء في بيت المقدس، فسبقه هؤلاء المذكورون إلى السموات، ثم صعد فوجدهم فيها لحكم مذكورة في مبسوطات المعارج. وقوله: (فرحب بي) في المصباح: رحب بالمكان رحباً من باب قرب استع فهو رحيب ورحب مثل كريم وفلس، ومن هنا قيل مرحباً بك أي: نزلت مكاناً واسعاً ورحب بالتشديد أي: قال له مرحباً اهـ.

بآدم فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيلاً من أنت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيلاً من أنت قال جبريل فقيلاً ومن معك قال محمد فقيلاً وقد أرسل إليه قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيلاً من أنت قال جبريل فقيلاً ومن معك قال محمد فقيلاً وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيلاً من أنت فقال جبريل فقيلاً ومن معك قال محمد فقيلاً وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيلاً من أنت فقال جبريل فقيلاً ومن معك قال محمد فقيلاً وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا موسى فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيلاً من أنت فقال جبريل فقيلاً ومن معك قال محمد فقيلاً وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو

فقوله فرحب بي أي قال لي مرحباً وصيغة آدم من الترحيب، وإبراهيم مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح، أما آدم فلا أنه أبو البشر، وأما إبراهيم فلانحصار الأنبياء من بعده في نسله، وأما صيغة الترحيب من بقية الأنبياء المذكورين هنا، فهي مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح اهـ شيخنا.

قوله: (ثم عرج بنا) أي بي وبجبريل.

قوله: (فقال جبريل) وهو رئيس الملائكة على الإطلاق، وكلهم يموتون في النفخة الأولى ويحيون في الثانية، كبنى آدم إلا الأربعة الرؤساء وحملة العرش، فيموتون بين النفختين ويحيون قيل الثانية اهـ شيخنا.

قوله: (يا بني الخالة) فيه مسامحة إذ عيسى ابن بنت خالة يحيى لا ابن خالته، ويحيى ابن خالة أم عيسى، لأن عيسى ابن مريم وهي بنت حنة، وحنة أخت أشاع، فأشاع ولدت يحيى، وحنة ولدت مريم، ومريم ولدت عيسى، وعيسى مقيم في السماء الثانية مع الملائكة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام لاتصافه بصفات الملائكة اهـ شيخنا.

قوله: (شطر الحسن) أي نصف حقيقة الحسن من حيث هي لا نصف الحسن الذي أعطي لمحمد ﷺ، إذ هو غير متقسم، ولم يعط منه شيء لغيره، فشخص الحسن الذي قام بمحمد ﷺ لم يعط منه شيء لغيره قط اهـ شيخنا.

قوله: (بإدريس) وهو أول من خاط الثياب، وقبله كانوا يلبسون الجلود اهـ شيخنا.

قوله: (بهارون) أي أخي موسى. قوله: (وإذا هو الخ) القصد بهذا الإشارة إلى كثرة الملائكة

يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلاع فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسننها قال فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض عليّ في كل يوم ليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال فرجعت إلى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عني

جداً. قوله: (ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى). عبارة الغيطي: ثم رفع إلى سدرة المنتهى، والمذكور في كتب المعراج أن المعارج كانت عشرة، وأن الثامن هو ما بين السماء السابعة وسدرة المنتهى، والتاسع منها إلى الكرسي، والعاشر منه إلى العرش، وأن ارتفاع كل معراج خمسمائة عام. قوله: (إلى سدرة المنتهى) أي إلى مقابل فروعها، فإن فروعها في جوف الكرسي، وهو فوق السموات، وأما أصلها ففي السماء السادسة، وهذه السدرة شجرة نبق، وقوله: (كآذان الفيلة) أي في الشكل التقريبي، وإلا فكل ورقة منها تظل جميع الخلق اهـ شيخنا.

قوله: (كالقلال) قال الخطابي: هي بكسر القاف جمع قلة بالضم هي الجرار. يريد أن ثمرها في الكبير مثل القلال، وكانت معروفة عند المخاطبين، فلذلك وقع التمثيل بها اهـ كرخي.

قوله: (فلما غشيها) أي نزل بها وقام بها ما غشيها من الحسن وكثرة الألوان العجيبة. قوله: (قال فأوحى الخ) لفظ قال من كلام الراوي أي: قال النبي ﷺ حين تحديده عن الإسراء، وفيه اختصار أي: فوقف جبريل عندها وزج بي في الحجب، ووصلت مكاناً لم يصله مخلوق ما فخطبني ربي، ورأيت به عيني بصري، وأوحى إليّ ما أوحى، وقوله: (ما أوحى) أي أسراراً عجيبة لم توح لغيره من الأنبياء وبعضها لم يؤذن لي في إظهاره، وقوله (وفرض) عطف خاص على عام اهـ شيخنا.

قوله: (وفرض علي الخ) وقع في رواية أنس عن أبي ذر ففرض الله على أمتي، فإما أن يقال في كل من الروایتين اختصار، أو يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الأمة، وبالعكس إلا ما يستثني من خصائصه اهـ كرخي.

قوله: (علي) أي وعلى أمتي. قوله: (إلى موسى) أي في السماء السادسة. قال القرطبي: في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بمراجعة نبينا في أمر الصلاة لكون أتمه كلفت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها من الأمم فنقلت عليهم، فأشفق موسى على أمة محمد ﷺ، ويشير لذلك قوله (إني جربت الناس قبلك) كرخي.

قوله: (وخبرتهم) وفي نسخة جربتهم أي اختبرتهم بأن كلفتهم بإذن الله تعالى بركتين في الغداة، وركعتين في وقت الزوال، وركعتين في العشي فلم يطيقوا ذلك وعجزوا عنه. قوله: (فارجع إلى ربك) أي إلى مكان مناجاة وخطاب ربك اهـ.

قوله: (ويحط) أي الله عني خمساً خمساً وجملة مرات الإسقاط تسع، وكلها رأى ﷺ فيها ربه عز

خمساً فرجعت إلى موسى قال ما فعلت؟ فقلت قد حط عني خمساً قال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمساً خمساً حتى قال «يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرأ، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت له سيئة واحدة». فنزلت حتى انتهيت إلى موسى

وجل بعيني بصره، كما رآه في المرة الأولى التي فرض فيها الخمسين، فرأى ربه عشر مرات اه شيخنا.

قوله: (حتى قال يا محمد إلى قوله كتبت سيئة واحدة) هذا حديث قدسي من كلامه تعالى اه شيخنا.

قوله: (بكل صلاة عشر) أي مضاعفة في الثواب. قوله: (ومن هم بحسنة) هذا من جملة كلام الله، والمراد بالهم بها العزم والتصميم، إذ هو الذي يكلف به الشخص في الخير والشر، وأما الهم الذي هو أضعف منه، وحديث النفس الذي هو أضعف من الهم والخاطر الذي هو أضعف من حديث النفس والهاجس الذي هو أضعف من الخاطر، فلا تكليف بهذه الأربعة لا في خير ولا في شر. ونظم بعضهم الخمسة بقوله:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعوا
يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

وقوله: (ومن هم بسيئة) المراد بالهم فيها حقيقته التي هي أدون من حقيقة العزم، وأما العزم نفسه فيؤاخذ به كما علمت فتقوله: (وإن عملها كتبت سيئة واحدة) أي وكذلك إن عزم عليها وصمم ولم يعمل، فالحاصل أن العزم المصمم على الحسنة يكتب له به حسنة، وعلى السيئة لا يكتب عليه به سيئة وإن غير العزم من الأقسام الأربعة لا يكتب له به حسنة في الخير، ولا يكتب عليه به سيئة في الشر تأمل اه شيخنا.

وعبارة ابن حجر في شرح الأربعين النورية: فمن همّ بحسنة أي أرادها وترجع عنده فعلها، فعلم منه بالأولى حكم العزم وهو الجزم بفعلها والتصميم عليه فلم يعملها كتبها الله عنده أي في كل من الهم والعزم حسنة كاملة، لأن الهم بالحسنة سبب إلى عملها، وسبب الخير خير، فالهم بها خير وإن هم بها أي أو عزم عليها فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات، لأنه أخرجها من الهم إلى ديوان العمل، فكتب له بالهم حسنة، ثم ضوعفت فصارت عشراً وإن همّ بسيئة فلم يعملها بأن ترك فعلها والتلفظ بها لوجه الله تعالى لا لنحو حياء أو خوف ذي شوكة أو عجز أو رياء، بل يأتى حينئذ لأن تقديم خوف المخلوق على خوف الله تعالى محرم، وكذلك الرياء محرم كتبها الله عنده حسنة كاملة، لأن رجوعه عن العزم عليها خير أي خير فجوزي في مقابلته بحسنة. لا يقال نظير ما مرّ ثم من أن الهم بالحسنة يكتب فيه حسنة أن يكون الهم بالسيئة يكتب فيه سيئة، لأن الهم بالشر من أعمال القلب، لأننا نقول قد تقرر أن الكف عنها خير أي خير وهو متأخر عن ذلك الهم، فكان ناسخاً له قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت. رواه الشيخان واللفظ لمسلم. وروى الحاكم في المستدرک عن ابن

[هود: ١١٤] وقد جاء في الحديث: إنما تركها من جراي أي من أجلي وإن همَّ بها فعملها كتبت سيئة واحدة. زاد أحمد ولم تضاعف، ويدل له فلا يجزى إلا مثلها، ثم قوله: (وإن همَّ بها فعملها الخ) فيه دليل على أن الهم لا يكتب معها إذا فعلها لا يؤاخذ به العبد وتناقض في هذه المسألة كلام السبكي، فتارة أفتى بأنه لا يكتب به شيء، وتارة أفتى بأنه يكتب به سيئة أخرى. قال السبكي في حليياته ما حاصله: ما يقع في النفس من قصد المعصية على خمس مراتب، الأولى الهاجس وهو ما يلقي فيها ثم جريانه فيها وهو الخاطر، ثم حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أو لا، ثم الهم وهو ترجيح قصد الفعل، ثم العزم وهو قوة ذلك القصد والعزم به، فالهاجس لا يؤاخذ به إجماعاً لأنه ليس من فعله، وإنما هو شيء طرقة قهراً عليه، وما بعده من الخاطر وحديث النفس، وإن قدر على دفعهما لكنهما مرفوعان بالحديث الصحيح أي: وهو قوله ﷺ «إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلم به» أي في المعاصي القولية أو تعمل أي في المعاصي الفعلية، لأن حديثها إذا ارتفع فما قبله أولى. وهذه المراتب الثلاث لا أجر فيها في الحسنات أيضاً لعدم القصد، وأما الهم فقد بين الحديث الصحيح أنه بالحسنة يكتب حسنة وبالسيرة لا يكتب، ثم ينظر فإن تركها لله كتبت حسنة، وإن فعلها كتبت سيئة واحدة، والأصح في معناه أن يكتب عليه الفعل وحده وهو معنى قوله: (واحدة) وإن الهم مرفوع اهـ.

والأصح الذي ذكره خالفه في شرح المنهاج فظهر له المؤاخذة بالهم زيادة على المؤاخذة بالفعل، ثم قال في الحلييات: وأما العزم فالمحققون على أنه يؤاخذ به سواء عمل أو لم يعمل، وخالف بعضهم فقال: إنه من الهم المرفوع، واحتج الأولون بحديث: «إذ التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه» فعلل بالحرص وبالإجماع على المؤاخذة بأعمال القلوب كالحسد والكبر والعجب ومحبة ما يبغض الله تعالى وعكسه ونحو ذلك، والعزم على الكبيرة وإن كان سيئة فهو دون الكبيرة المعزوم عليها انتهت ملخصة.

ومنها تعلم أن قوله ﷺ في هذه الرواية التي رواها السيوطي عن أنس لم تكتب. معناه لم تكتب سيئة فلا ينافي أنها تكتب حسنة إذا تركها لوجه الله تعالى، كما تقدم في رواية النووي التي شرح عليها ابن حجر.

قوله: (استحييت) بياء بين تحتيتين بعد الحاء المهملة. قوله: (رواه الشيخان) أي روى حديث الإسراء من قوله: (أتيت بالبراق إلى هنا) أي روى معناه أي اتفاقاً عليه، واللفظ الذي ذكرته أنا هنا لمسلم، وأما البخاري فرواه باللفظ بعضها غير ما ذكرته هنا اهـ شيخنا.

قوله: (واللفظ لمسلم) وخرجه مسلم من حديث عمار بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت بالبراق الخ» اهـ خازن.

عباس قال: قال رسول الله ﷺ رأيت ربي عز وجل. قال تعالى ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ يفوضون إليه أمرهم وفي قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتاً، فأن زائدة والقول مضمرياً ﴿ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامداً في جميع أحواله ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ

قوله: (رأيت ربي) أي ليلة الإسراء بعيني رأسي عشر مرات الأولى في مرة الفرض، والتسع بعدها في مرات الحط والإسقاط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ عقيت آية الإسراء بهذه استطراداً بجامع أن موسى أعطي التوراة بمسيره إلى الطور وهو بمنزلة معراج، لأنه منح ثمة التكليم وشرف باسم الكليم، والواو استئنافية أو عاطفة على جملة ﴿سبحان الذي أسرى﴾ الخ لا على أسرى بعبدته وتكلفه اهـ شهاب.

قوله: ﴿وجعلناه﴾ أي موسى أو الكتاب، ولبنى إسرائيل متعلق بهدى أو بجعلناه اهـ شهاب.

قوله: ﴿أَلَّا يَتَّخِذُوا﴾ منصوب بحذف النون ولا نافية وأن مصدرية ولام التعليل مقدرة كما قدرها الشارح، وهذا على قراءة التحتانية، أما على قراءة الفوقانية، فهو مجزوم بحذف النون ولا ناهية وأن زائدة كما قال اهـ شيخنا.

قوله: (فأن زائدة والقول مضمري) أي مقولاً لهم لا تتخذوا أو قلنا لهم لا تتخذوا، والأولى أن تكون أن مفسرة، لأن هذا ليس من مواضع زيادة أن، بل ذلك في نحو: ولما أن جاءت رسلنا اهـ من كرخي.

قوله: ﴿ذرية﴾ الخ جعله الشارح منادى وحرف النداء محذوف، وعلى هذا ففي الكلام حذف. والتقدير: يا ذرية من حملنا مع نوح كونوا كما كان نوح في العبودية والانقياد، وفي كثرة الشكر لله تعالى بفعل الطاعات اهـ شيخنا.

وجملة أنه كان تعليل لهذا المحذوف. وفي السمين: قوله ﴿ذرية﴾ العامة على نصبها. وفيها أوجه:

أحدها: أنه منصوب على المفعول الأول ليأخذوا والثاني هو وكيلاً، ويكون وكيلاً مما وقع مفرداً في اللفظ، والمعنى به جمع أي لا تتخذوا ذرية من حملناه مع نوح وكلاء، كقوله تعالى: ﴿ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ [آل عمران: ٨٠].

الثاني: أنها منصوبة على البدل من وكيلاً.

الثالث: أنها منصوبة على الاختصاص وبه بدأ الزمخشري.

الرابع: أنها منصوبة على النداء أي يا ذرية من حملنا وخصوصاً هذا الوجه بقراءة الخطاب في تتخذوا، وهو واضح عليها إلا أنه لا يلزم لجواز أن ينادي الإنسان شخصاً وبخبر عن آخر اهـ.

قوله: ﴿وقضينا﴾ قضى يتعدى بنفسه أو بعلی، وإنما عداه بإلى لتضمنه معنى أوحينا، كما أشار له الشارح.

فِي الْكِتَابِ التَّوْرَةِ ﴿لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَ عُثُلًا كَبِيرًا﴾ تبغون بغياً عظيماً ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَهُمَا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خِلَالِ الدِّيَارِ﴾ وسط دياركم

وفي السمين: قضى يتعدى بنفسه، فلما قضى زيد منها وطراً فلما قضى موسى الأجل. وإنما تعدى هنا يالى لتضمنه معنى أفئذا وأوحينا أي: وأنفذ إليهم بالقضاء المحتوم ومتعلق القضاء محذوف أي بفسادهم، وقوله: لتفسدن جواب قسم محذوف تقديره: والله لتفسدن، وهذا القسم مؤكد لمتعلق القضاء، ويجوز أن يكون لتفسدن جواباً لقوله وقضينا، لأنه ضمن معنى القسم، ومنه قولهم: قضى الله لأفعلن، فيجرون القضاء، والقدر مجرى القسم فيتلقيان بما يتلقى به القسم اهـ.

قوله: (أوحينا) المراد بالإيحاء هنا الاعلام والاخبار بما سيحل منهم والموحي به محذوف أي بالفساد مرتين. دل عليه قوله: ﴿لتفسدن﴾ النخ واللام لام القسم اهـ.

قوله: (مرتين) الأولى بقتل زكريا فعاقبهم الله تعالى ثم تاب عليهم، والثانية بقتل يحيى ابنه فعاقبهم الله ثم تاب عليهم، ثم قال لهم: وإن عدتم عدنا ثم عادوا فعاقبهم الله بتسليط رسول الله ﷺ عليهم اهـ شيخنا.

والمرتان ثنية مرة وهي الواحدة من المر.

أي والممرور على حده وفعللة لمرة كجلسة وفي القاموس: مرّ مرّاً ومروراً جاز، كاستمر ومره، وبه جاز عليه، والمرة الفعل الواحدة، والجمع مر بالضم ومرار بالكسر ومرر كعنب، ولقيه ذات مرة لا يستعمل إلا ظرفاً. وذات المرار أي مراراً كثيرة، وجئته مرّاً أو مرتين أي مرة أو مرتين اهـ.

قوله: ﴿وعد أولاهما﴾ أي وقت وعد، والمراد بالوعد الوعيد والمراد بالوعيد المتوعد به اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وعد﴾ أي موعود فهو مصدر واقع وقع مفعول، وتركه الزمخشري على حاله لكن بحذف مضاف أي وعد عقاب أولاهما. وقيل: الوعد بمعنى الوعيد الذي يراد به الوقت، فهذه ثلاثة أوجه والضمير عائد على المرتين اهـ.

وفي أبي السعود: أي حان وقت العقاب الموعود به اهـ.

قوله: ﴿فجاسوا﴾ في قراءة شاذة فحاسوا بحاء مهملة اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الجوس بالجيم طلب الشيء بالاستقصاء والتردد خلال الدور والبيوت، والطوف فيها كالجوسان والاجتياص وبابه قال اهـ. ثم قال: والحوس بالحاء المهملة الجوس اهـ.

وفي السمين: فجاسوا عطف على بعثنا أي ترتب على بعثنا إياهم هذا، والجوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاس يجوس أي فتش ونقب قال أبو عبيد اهـ.

قوله: ﴿خلال الديار﴾ فيه وجهان. أحدهما: أنه اسم مفرد بمعنى وسط كما قال الشارح،

ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت

ويؤيده قراءة الحسن خلل الديار. والثاني: أنه جمع خلل بفتحيتين كجبل وجبال وجمل وجمال اهـ سمين.

قوله: ﴿كَانَ﴾ أي البعث المذكور وجوس الأعداء مفعولاً أي منجزاً اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: أي كان الجوس أو كان وعد أولاهما أو كان وعد عقابهم اهـ.

قوله: (يقتل زكريا الخ) عبارة البيضاوي: أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا، وقيل: أرمياء. وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام انتهت.

وفي القرطبي: وقال ابن عباس وابن مسعود: أول الفساد قتل زكريا، وقال ابن إسحاق: فسادهم في المرة الأولى قتلهم شعيا نبي الله في الشجرة، وذلك أنه لما مات صديقة ملكهم تنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضاً وهم لا يسمعون من نبيهم، فقال الله تعالى له: قم في قومك، فلما فرغ مما أوحى الله إليه عدواً عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة، فدخل فيها وأدركه الشيطان، فأخذ هدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، وذكر ابن إسحاق أن بعض العلماء أخبره أن زكريا مات موتاً ولم يقتل اهـ.

قوله: (وخرّبوا بيت المقدس) عن حذيفة قال: قلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً جسيم الخطر عظيم القدر، فقال رسول الله ﷺ: «هو من أجل البيوت ابتناه الله تعالى لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد، وذلك أن سليمان بن داود لما بناه سخر له الجن يأتونه بالذهب والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد، وسخر له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف». قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله كيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم بختنصر، وهو من المجوس، وكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في البيت المقدس من هذه الأصناف، فاحتملوها على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل، فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس أن تسير إلى المجوس في أرض بابل وأن تستنقذ من في أيديهم من بني إسرائيل، فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس، واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في البيت المقدس وردّه الله إليه كما كان أول مرة، وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل وهو قوله: ﴿عَسَى رَبِّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾ فلما رجعت بنو إسرائيل إلى البيت المقدس عادوا إلى المعاصي فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] الآية فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ جميع ما في البيت المقدس، واحتمله على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أودعه في كنيسة الذهب فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدي ويرده إلى بيت المقدس، وهو ألف سفينة

وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة وقلنا ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ بِالطَّاعَةِ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنَتْ لِنَفْسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَلِنْ أَسَاطِمُ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءة تكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزناً

وسبعمائة سفينة يرمى بها على بابل حتى ينقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين» وذكر الحديث اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾ وضع موضع نرد لأنه لم يقع وقت الإخبار لكن لتحقيقه عبر بالماضي اهـ كرخي.

قوله: ﴿الْكُرَّة﴾ مفعول رددنا وهي في الأصل مصدر كر يكر أي رجع، ثم يعبر بها عن الدولة والقهر، وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوز أن يتعلق برددنا أو بنفس الكرة، لأنه يقال كر عليه فيتعدى بعلی ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الكرة اهـ سمين.

قوله: (الدولة) في المصباح: تداول القوم الشيء وهو حصوله في يد هذا تارة، وفي يد هذا أخرى، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر كقصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف، ومنهم من يقول الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب، ودالت الأيام تدول مثل دارت تدور وزناً ومعنى اهـ.

قوله: (والغلبة) تفسير. قوله: ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾ أي بعد ما نهبوا أموالكم وبنيين بعد ما سبوا أولادكم فعدتم كما كنتم. قوله: ﴿نَفِيرًا﴾ النفير من ينفر مع الوجل من قومه. وقيل: جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو اهـ بياضوي.

وفي السمين: نفيراً منصوب على التمييز وفيه أوجه، أحدها: أنه فعيل بمعنى فاعل أي أكثر نافرأً أي من ينفر معكم. الثاني: أنه جمع نفر نحو عبد وعبيد قاله الزجاج، وهم الجماعة الصائرون إلى الأعداء. الثالث: أنه مصدر أي أكثر خروجاً إلى الغزو والمفضل عليه محذوف، فقدرة بعضهم أكثر نفيراً من أعدائكم وقدرة الزمخشري أكثر نفيراً مما كنتم عليه اهـ.

قوله: (لأن ثوابه) أي الإحسان.

قوله: ﴿فَلَهَا﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره الشارح، واللام بمعنى على، وإنما عبر بها للمشكلة اهـ شيخنا.

وعبرة الكرخي: أجرى اللام على بابها. قال أبو البقاء: وهو الصحيح لأن اللام للاختصاص والعامل مختص بجزء عمله حسنة وسيئة اهـ.

أو بمعنى على وذكر اللام ازدواجاً أي مشكلة. قال الكرمانى: يعني مقابلة لقوله ﴿لأنفسكم﴾، أو مثل يخرون للأذقان، وتله للجبين، وهذه اللام تتعلق بمحذوف على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فلها الإساءة لا لغيرها كما أشار إليه الشيخ المصنف في التقرير انتهت.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ﴾ الخ جواب الشرط محذوف كما قدره بقوله: ﴿بعثناهم﴾ دل عليه جواب إذا

يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخرّبوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُ﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه ﴿تَنْبِيْراً﴾ هلاكاً وقد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفاً وسبى ذريتهم وخرّب بيت المقدس وقلنا في الكتاب

الأولى، والمعنى فإذا جاء وعد الآخرة أي الثانية بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد، وقوله: ﴿لِيَسْؤُوا﴾ الواو للعباد أولي الأس الشديد، وهذا تعليل للمحذوف، وكذا المعطوف عليه وهو قوله ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ و﴿لِيُتَبَرَّأُ﴾ الخ اهـ شيخنا.

وفي عود الواو على العباد نوع استخدام إذا المراد بهم أولاً جالوت وجنوده، والمراد بهم في ضمن الضمير بختنصر وجنوده. قوله: ﴿لِيَسْؤُوا وجوهكم﴾ متعلق بهذا الجواب المقدر، وقرأ ابن عامر وحزمة وأبو بكر بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة آخر الفعل والفاعل إما الله تعالى، وإما الوعد، وإما البعث، وإما النفير. والكسائي لنسوء بنون العظمة أي لنسوء نحن، وهو موافق لما قبله من قوله (بعثنا عباداً لنا) ورددنا وأمددنا، ولما بعده من قوله عدنا وجعلنا. وقرأ الباقر لنسوء مسنداً إلى ضمير الجمع العائد على العباد، أو على النفير لأنه اسم جمع وهو موافق لما بعده من قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ كما دخلوه أول مرة و﴿لِيُتَبَرَّأُ مَا عَلَوْا﴾ وفي عود الضمير على النفير نظر، لأن النفير المذكور من المخاطبين فكيف يوصف ذلك النفير بأنه يسوء وجوههم. اللهم إلا أن يريد هذا القائل أنه عائد على لفظه دون معناه من باب عندي درهم ونصفه اهـ سمين.

قوله: ﴿مَا عَلَوْا﴾ مفعول به ليتبرأوا، وما عبارة عن البلاد أي وليتبرأوا البلاد التي علوا عليها اهـ شيخنا.

قوله: (بقتل يحيى) هذا على خلاف المشهور، والمشهور أنه قتل في حياة أبيه كما سيأتي عن أبي السعود في سورة مريم. قوله: (بختنصر) بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه ابن ونصر بفتح النون وتشديد الصاد وبالراء المهملة اسم صنم، وهو علم أعجمي مركب. هكذا ضبطه في القاموس بضم الباء من بخت، وفتح النون من نصر. ثم قال فيه من باب الراء. كان بختنصر وجد وهو صغير مطروحاً عند صنم ولم يعرف له أب فنسب إليه اهـ.

قيل: إنه ملك الأقاليم كلها وقال ابن قتيبة: لا أصل لملكه لها اهـ شهاب.

وكان عاملاً لكهراسف على بابل اهـ بيضاوي.

وكهراسف: ملك ذلك العصر وبابل مملكة معروفة اهـ شهاب.

قوله: (ألوفاً) أي نحو الأربعين، وسبى ذريتهم نحو السبعين ألفاً اهـ شيخنا.

قيل: دخل صاحب الجيش مذبح قرايينهم فوجد فيه دمأ يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا، فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفاً منهم، فلم يهدأ الدم ثم قال: إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً، فقالوا له: إنه دم يحيى، فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم، ثم قال: يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك، فاهداً بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحداً منهم، فهدأ أي سكن اهـ بيضاوي.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفساد ﴿عَذَابًا﴾ إلى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ﴿٨﴾ محبساً وسجناً ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ أي للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿٩﴾ ويخبر ﴿أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعدنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٠﴾ مؤلماً هو النار ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه

قوله: (في الكتاب) أي التوراة. قوله: (وضرب الجزية عليهم) أي على باقيهم. قوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أي منهم ومن غيرهم. قوله: (محبساً) بفتح الباء كمقعد أي محلاً يجلسون ويسجنون فيه اهـ شيخنا.

وقيل: حصيراً يعني بساطاً يفرش لهم اهـ يضاوي.

وفي الشهاب: قوله: ﴿محبساً﴾ أي مكان الحبس المعروف، فإن كان حصيراً اسم مكان فهو جامد لا يلزم تذكره ولا تأنيته، وإن كان بمعنى حاصراً أي محيطاً بهم وفعل بمعنى فاعل يلزم مطابقته، فكان يقال حصيرة فأما لأنه على النسب كلابن وتامر، أو لحمله على فعل بمعنى مفعول، أو لأن تأنيث جهنم غير حقيقي أو لتأويلها بمذكر كالسجن والحبس اهـ. وفي الكرخي: والمعنى أن عذاب الدنيا وإن كان شديداً إلا أنه قد يتفلسف بعض الناس عنه، والذي يقع فيه يتخلص إما بالموت أو بطريق آخر، وأما عذاب الآخرة فإنه يكون محيطاً به لا رجاء في الخلاص عنه اهـ.

قوله: ﴿يَهْدِي﴾ مفعوله محذوف أي يهدي كل الناس أي يدلهم، فبعضهم يصل بهديته وهم المؤمنون، وبعضهم لا، وهم الكافرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿و﴾ (يخبر) ﴿أَنَّ الَّذِينَ﴾ أشار إلى أن وأن الذين لا يؤمنون معطوف على يبشر بإضممار يخبر كما صرح به البيضاوي أي: فلا يكون ذلك داخلًا في حيز البشارة، وعليه جرى السفاقي اهـ كرخي.

وعبارة السمين: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وجهان، أحدهما: أن يكون عطفًا على أن الأولى أي يبشر المؤمنين بشيئين: بأجر كبير وبتعذيب أعدائهم، ولا شك أن ما يصيب عدوك سرور لك. وقال الزمخشري ويحتمل أن يكون المراد ويخبر بأن أي أنه من باب الحذف أي حذف، ويخبر وأبقى معموله، وعلى هذا فيكون أن الذين غير داخل في حيز البشارة بلا شك، ويحتمل أن يكون قصده أنه أريد بالبشارة ومجرد الإخبار سواء كان بخير أم شر وهل هو فيهما حقيقة، أو في أحدهما، وحيث أن يكون جمعاً بين الحقيقة والمجاز أو استعمالاً للمشارك في معنييه. وفي المسألين خلاف مشهور، وعلى هذا فلا يكون قوله ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ غير داخل في حيز البشارة إلا أن الظاهر من مذهب الزمخشري أنه لا يجيز الجمع بين الحقيقة والمجاز، ولا استعمال المشترك في معنييه اهـ.

قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ القياس أن تثبت واو يدع لأنه مرفوع، إلا أنه لما وجب سقوطها لفظاً لاجتماع الساكنين سقطت في الخط أيضاً على خلاف القياس، ونظيره سندع الزبانية اهـ زاده.

وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاهُمْ﴾ أي كدعائه له ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ دالتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي مبصراً فيها بالضوء ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلاً مِّن رَّيْكَرٍ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ اللَّيْلِ وَالْحِسَابِ﴾

قوله: (إذا ضجر) الضجر شدة القلق من الغم. قوله: (أي كدعائه) أي في الإلحاح، وقوله: (له) أي لما ذكروا وأشار إلى أن الباءين متعلقتان بالدعاء على بابهما نحو، دعوت بكذا والمصدر مضاف لفاعله اهـ كرخي.

وتقدم في سورة يونس أنه يستجاب له في الخير، ولا يستجاب له في الشر فراجعه. قوله: ﴿الإنسان﴾ (الجنس) لأن أحداً من الناس لا يعرى عن عجلة، ولو تركها لكان تركها أصلح في الدين والدنيا اهـ كرخي.

قوله: ﴿عَجُولًا﴾ أي يسارع إلى كل ما يخطر بباله لا ينظر إلى عاقبة اهـ بيضاوي.

قوله: (في عاقبته) أي الدعاء.

قوله: ﴿آيَتَيْنِ﴾ علامتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد مع إمكان غيره اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أي خلقناه على هذه الحالة لا أنه كان مضيئاً، ثم محى ضوءه وكذا يقال في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ والفاء تفسيرية، لأن المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقب جعل الليل والنهار آيتين، بل هما من جملة ذلك الجهل ومتمماته اهـ أبو السعود.

قوله: (لتسكنوا فيه) قدره لمقابلة قوله في النهار لتبتغوا. قوله: (والإضافة) أي في آية الليل للبيان، وكذا في آية النهار، وسكت عن ذلك للعلم به منه كإضافة العدد للمعدود أي: فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة، ونظيره قولنا نفس الشيء وذاته، فكذلك آية الليل هي نفس الليل، ومنه يقال دخلت بلاد خراسان أي دخلت البلاد التي هي خراسان، فكذا ههنا. وقيل: المراد بآية الليل وآية النهار الشمس والقمر حيث لم يخلق له شعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء اهـ كرخي.

قوله: (أي مبصراً فيها) بفتح الصاد أشار بهذا إلى أن في الكلام مجازاً عقلياً، لأن النهار لا يبصر بل يبصر فيه، فهو من إسناد الحديث إلى زمانه. قوله: (بالضوء) أي بسببه. قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ أي تطلبوا وهو متعلق بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ﴾، وقوله: ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ متعلق بكلا الفعلين أعني: محونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة أي لتعلموا بتعاقبهما اهـ أبو السعود.

قوله: (فيه) أي في النهار فضلاً أي رزقاً. قوله: (بهما) أي بتعاقبهما واختلافهما اهـ.

قوله: ﴿وَالْحِسَابِ﴾ لا تكرار إذ العدد موضوع الحساب، وثنى الآية هنا وأفردها في قوله: (وجعلناها) وابنها آية لتباين الليل والنهار من كل وجه، ولتكررها فناسبهما التثنية بخلاف عيسى مع

للأوقات ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ ﴿بَيْنَاهُ تَبْيِيناً﴾ ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَعْمَهُ﴾ عمله

أمه، فإنه جزء منها ولا تكرر فيهما، فناسب فيهما الأفراد اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكل شيء فصلناه﴾ فيه وجهان، أحدهما: منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدم جملة فعلية، وكذلك وكل إنسان ألزمناه. والثاني: وهو بعيد أنه منصوب نسقاً على الحساب أي: لتعلموا كل شيء أيضاً ويكون فصلناه على هذا صفة اهـ سمين.

قوله: (للأوقات) أي أوقات المعاش كآجال الديون وأوقات الزراعة، وأوقات الدين كأوقات الصلاة والحج والصوم اهـ شيخنا.

قوله: (يحتاج إليه) أي في الدين والدنيا. قوله: (بيناه تبيناً) بلا التباس، فهو كقوله: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء﴾ [النحل: ٨٩] وإنما ذكر المصدر وهو قوله ﴿تفصيلاً﴾ لأجل تأكيد الكلام وتقريره، فكأنه قال: فصلناه حقاً على الوجه الذي لا مزيد عليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكل إنسان ألزمناه﴾ أي بعظمتنا. ﴿طائره﴾: أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر، لأن العرب كانوا إذا أرادوا الإقدام على عمل من الأعمال، وأرادوا أن يعرفوا أن ذلك العمل يسوقهم إلى خير أو شر اعتبروا أحوال الطير، وهو أنه يطير بنفسه أو يحتاج إلى إزعاجه، وإذا طار فهل يطير متيامناً أو متياسراً أو صاعداً إلى الجو، إلى غير ذلك من الأحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على الخير والشر والسعادة والنحوسة، فلما كثر ذلك منهم سموها نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه فقوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أي وكل إنسان ألزمناه عمله في عنقه الذي هو محل التزين بالقلادة ونحوها ومحل الشين بالغل ونحوه فإن كان عمله خيراً كان كالقلادة في عنقه وهو مما يزينه. وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. قال الرازي: والتحقيق في هذا الباب أنه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار مخصوص من العقل والفهم والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة، والإنسان لا يمكنه أن يتجاوز ذلك المقدار وينحرف عنه، بل لا بد وأن يصل إليه ذلك القدر بحسب الكمية والكيفية، فتلك الأشياء المقدرة كأنها تطير إليه وتصير إليه، فلهذا المعنى لا يبعد أن يعبر عن تلك الأحوال المقدرة بلفظ الطائر، فقوله تعالى: ﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾ كناية عن أن كل ما قدره الله ومضى في علمه حصوله فيما علمه، فهو لازم له واصل إليه غير منحرف عنه، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة» اهـ ملخصاً اهـ خطيب.

وعبارة البيضاوي: ﴿طائره﴾ أي عمله وما قدر له كأنه يطير إليه من عيش الغيب وكرر القدر، لما كانوا يستبشرون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد اهـ.

وقوله: (لما كانوا الخ) أي: لما جعلوا الطائر سبباً للخير والشر وأسندوهما إليه باعتبار سنوحه وبروحه استعير الطائر لما كان سبباً لهما، وهو قدر الله وعمل العبد، فكانا سببي الخير والشر، وسنوح

يحملة ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿وَنُخْرِجُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ صفتان لكتاباً ويقال له ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ نَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ

الطائر عبارة عن مروره على مياسر الإنسان إلى ميامنه، وبروحه عبارة عن ضد ذلك كانوا يستبشرون بالأول ويتشاءمون بالثاني اهـ زاده.

وله أيضاً: قوله: (استعير الخ)، فكما أن الطائر الحقيقي يأتي إلى كل ما يأتي إليه منتقلاً من عشه ووكره، فكذلك الحوادث تنتهي إلى الإنسان بعد ثبوتها في علم الله اهـ.

قوله: (يحملة) ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ هذه نسخة، وفي أخرى عمله في عنقه، وفي أخرى عمله يحمله في عنقه، وعلى كل منهما ففي كلامه تفسير الطائر بتفسيرين الأول العمل والثاني الكتاب الحقيقي، وهو ما ذكره بقوله: (وقال مجاهد الخ) اهـ شخينا.

قوله: (لأن اللزوم فيه أشد) عبارة أبي السعود: في عنقه تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اهـ.

قوله: (وقال مجاهد الخ) وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله ما أول ما يلقي الميت إذا أدخل قبره؟ قال: «يا بن مسعود ما سألتني عنه أحد إلا أنت، فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر، فيقول: يا عبد الله أكتب عملك فيقول ليس معي دواة ولا قرطاس، فيقول كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك أصبعك، فيقطع له قطعة من كفته ثم يجعل العبد يكتب، وإن كان غير كاتب في الدنيا فيذكر حيثئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد، ثم يطوي الملك القطعة ويعلقها في عنقه»، ثم قال رسول الله ﷺ: «﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ أي عمله» اهـ تذكرة القرطبي.

قوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ أي مكتوباً فيه عمله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. قال الحسن: بسطت لك صحيفة وוכל بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ عليك سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة اهـ خطيب.

قوله: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ روي عن قتادة أنه يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً اهـ أبو السعود.

قوله: (يلقاه منشوراً) أي يلقي الإنسان أو يلقيه الإنسان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كَفَىٰ نَفْسِكَ﴾ أي كفى نفسك، فالباء زائدة في الفعل وحسباً تمييز، وعليك متعلق به وهو إما بمعنى الحاسب أو بمعنى الكافي اهـ من البيضاوي.

وفي السمين: قوله: ﴿حَسِيبًا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه تمييز قال الزمخشري: وهو بمعنى حاسب كضرب بمعنى ضارب، وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيويه، وعليك متعلق به من قولك حسب عليه كذا، ويجوز أن يكون بمعنى الكاف ووضع موضع الشهيد فعلى، لأن الشاهد يكفي

فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴿١٥﴾ لَأَن ثَوَابَ اهْتِدَائِهِ لَهَا ﴿وَمَنْ صَلَّ فَإِنَّمَا يَصِلُ عَلَيْهَا﴾ لَأَن إِثْمَهُ عَلَيْهَا ﴿وَلَا تَزِرُ﴾
نَفْسٌ ﴿وَأَزْرَهُ﴾ أَثْمَةً أَيْ لَا تَحْمِلُ ﴿وَزَرَ﴾ نَفْسٌ ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أَحَدًا ﴿حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٦﴾
يُبَيِّنُ لَهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ ﴿وَلِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ فَرِيَةً أَمَرْنَا مَتَرَفِيهَا﴾ مُنْعِمِيهَا بِمَعْنَى رُؤُسَائِهَا بِالطَّاعَةِ عَلَى لِسَانِ
رَسُولِنَا ﴿فَفَسَّقُوا فِيهَا﴾ فَخَرَجُوا عَنْ أَمْرِنَا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ أَهْلَكْنَاهَا
بِأَهْلَاكِ أَهْلِهَا وَتَخْرِيبِهَا ﴿وَكَمْ﴾ أَيْ كَثِيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الْأُمَمِ ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ

المدعي ما أهمه، فإن قلت: لم ذكر حسيباً؟ قلت: لأنه بمنزلة الشاهد والقاضي والأمين، وهذه الأمور يتولاها الرجال، فكأنه قيل كفى بنفسك رجلاً حسيباً، ويجوز أن تؤوّل النفس بمعنى الشخص كما يقال: ثلاثة أنفس. والثاني: أنه منصوب على الحال وذكر لما تقدم، وقيل حسيب بمعنى محاسب كخليط وجليس بمعنى مخالط ومجالس اهـ.

قوله: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ هذا حاصل ما تقدم من بيان كون القرآن هادياً لأقوم الطرائق ولزوم الأعمال لأصحابها أي من اهتدى بهدائيه وعمل بما في تضاعيفه من الأحكام، وانتهى عما نهاه عنه، فإنه تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتخطاه إلى غيره ممن لم يهتد، ومن ضل أي عن الطريقة التي يهديه إليها، فإنما يضل عليها أي: فإنما وبال ضلاله عليها لا على من عدها ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل لصاحبه. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ تأكيد للجملة الثانية أي: لا يتحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها، ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم، بل إنما تحمل كل منهما وزرها، وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزِمَانِهِ فَوَاقِدٌ فِي عَقِبِهِ﴾. وأما ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء ٨٥] وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النحل: ٢٥] ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته، فهو في الحقيقة انتفاع بحسنه نفسه وتضرر بسيئته، فإن جزاء الحسنه والسيئه اللتين يعملهما العامل لازم له، وإنما الذي يصل إلى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء أصل الحسنه والسيئه، وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون إنما هو جزاء الإضلال، وإنما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعاً للأطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم إن لم يكونوا على الحق فالتبعة على أسلافهم الذين قلدوهم اهـ أبو السعود.

قوله: (يبين له) أي للأحد. قوله: ﴿أَمَرْنَا مَتَرَفِيهَا﴾ في القاموس: الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب، والشيء الطريف يخص به صاحبك وترف كفرح تنعم وأترفه النعمة أطغته أو نعمته كترفه تترافاً، والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنع، والمتنعم لا يمنع من تنعمه وتترف تنعم اهـ. قوله: (بالطاعة) متعلق بأمرنا.

قوله: ﴿وَكَمْ﴾ (أي كثيراً الخ) كم نصب بأهلكنا، ومن القرون تمييز لكم، ومن بعد نوح من الابتداء الغاية والأولى للبيان، فلذلك اتحد متعلقهما. وقال الحوفي: الثانية بدل من الأولى، وليس كذلك لاختلاف معنييهما، وإنما قال من بعد نوح لأنه أول من كذبه قومه ومن ثم لم يقل من بعد آدم اهـ كرخي.

﴿عَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ عالماً ببواطنها وظواهرها، وبه يتعلق بذنوب ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي الدنيا ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له بدل من له بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَذْهُورًا﴾ ﴿١٨﴾ مطروداً عن الرحمة ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ﴾

قوله: ﴿وكفى بربك﴾ الباء زائدة في الفاعل وخبيراً بصيراً تلهيزان لنسبة كفى، وبذنوب متعلق بخبير بصيراً، كما قال المفسر اهـ من السمين.

قوله: (عالماً ببواطنها) لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿العاجلة﴾ نعت لمحذوف أي الدار العاجلة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه، ولا كل واحد جميع ما يهواه. وقيل: الآية في المتناقضين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم، ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها اهـ بياضوي.

قوله: (بدل من له بإعادة الجار) يعني أن قوله لمن نريد بدل بعض من كل أي: من الضمير في له بإعادة العامل، وهو اللام في لمن، ومفعول نريد محذوف أي لمن نريد تعجيله، والضمير في له عائد على من الشرطية وهو في معنى الجمع، ولكن جاءت الضمائر هنا على اللفظ لا على المعنى اهـ كرخي.

قوله: ﴿ثم جعلنا له جهنم﴾ جهنم مفعول أول، وله مفعول ثان، وقوله ﴿يصلها﴾ حال من الضمير في له، وقوله ﴿مذموماً مذخوراً﴾ حالان من الضمير في يصلها اهـ شيخنا.

قوله: (ملوماً) أي من الخلق، وقوله ﴿مذخوراً﴾ أي من الخالق، وفي المختار: دحره يدحره من باب خضع طرده اهـ.

قوله: ﴿سعيها﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه مفعول به لأن المعنى وعمل لها عملها. والثاني: أنه مصدر ولها من أجلها اهـ سمين.

وفي الكرخي: قوله: ﴿سعيها﴾ اللائق بها إشارة إلى أن سعيها مفعول به أو حق سعيها، فيكون مصدراً، وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص لأنها للاختصاص اهـ.

قوله: (اللائق بها) وهو الإتيان بما أمر به والانتها عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم اهـ أبو السعود.

قوله: (حال) أي من الضمير في سعي، وقوله ﴿فأولئك﴾ فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها، والإشارة لمن جمع الشروط الثلاثة اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وعن بعض المتقدمين: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب، وتلا هذه الآية اهـ.

سَعِيَّهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ عند الله مقبولا مثابا عليه ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿تَمِذُ﴾ نعطي ﴿هَتُولَاءَ﴾ وهَتُولَاءَ ﴿بَدَلُ﴾ مِن ﴿مَتَعْلَقُ﴾ بنمد ﴿عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْطُورًا﴾ ﴿٢٠﴾ ممنوعاً عن أحد ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَا آخِرَةَ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ﴿٢١﴾ من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ﴾

قوله: (مثاباً عليه) فإن شكر الله لعباده إثابتهم وقبول أعمالهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كُلًّا﴾ مفعول به لنمد، وقوله: (من الفريقين) أي مريد الدنيا ومريد الآخرة، وقوله (بدل) أي بدل كل أي بدل من المفعول وهو كلاً، فكأنه قيل نمد هؤلاء وهؤلاء الأول للأول والثاني للثاني فهو لف ونشر مرتب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عطاء ربك فيها﴾ أي المعطي فيها كالرزق والجاه اهـ.

وقوله: (ممنوعاً عن أحد) أي لا يمنعه من مؤمن ولا كافر تفضلاً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم﴾ كيف منصوب على الحال بفضلنا اهـ بيضاوي.

وقوله: (على الحال) أي انظر فضلنا بعضهم على بعض كائناً على أي حالة أو كيفية اهـ كازروني.

وفي السمين: كيف نصب إما على التشبيه بالظرف، وإما على الحال وهي معلقة لانظر بمعنى تفكر اهـ.

قوله: ﴿وَلَا آخِرَةَ﴾ اللام لام ابتداء أو قسم. قوله: (من الدنيا) أي من درجاتها ومن تفضيلها اهـ شيخنا.

أي التفاوت في الآخرة أكبر، لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودرجاتها اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ﴾ الخ خطاب للنبي، والمراد غيره أو لكل مكلف، وحاصل ما ذكر في هذه الآيات من أنواع التكاليف خمسة وعشرون نوعاً بعضها أصلي وبعضها فرعي، وقد ابتدئت بالأصل في قوله ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ﴾ الخ، وختمت به أيضاً في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً اهـ شيخنا.

وفي زاده: لما بين الله أن سعادة الآخرة منوطة بإرادتها بأن يسعى سعيها، وبأن يكون مؤمناً شرع في تفصيل هذه الأمور المجملة، فبدأ يشرح حقيقة الإيمان وبيان ما هو العمدة فيه وهو التوحيد، فقال: ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ الخ ثم ذكر عقبيه سائر الأعمال التي يكون من عمل بها ساعياً في الآخرة اهـ.

قوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ قعد يجوز أن تكون على بابها فينتصب ما بعدها على الحال، ويجوز أن تكون بمعنى صار فينتصب ما بعدها على الخبرية، وإليه ذهب الفراء والزمخشري اهـ سمين.

وقوله: (على بابها) وعلى هذا الاحتمال تكون بمعنى تعجز، وعبارة البيضاوي: أو فتعجز من قولهم قعد عن الشيء إذا عجز عنه اهـ.

مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ لا ناصر لك ﴿٢٣﴾ وَقَصَّ ﴿٢٤﴾ أَمْرٌ ﴿٢٥﴾ رَبُّكَ أَلَّا ﴿٢٦﴾ أَيُّ بَانَ ﴿٢٧﴾ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ ﴿٢٨﴾ أَنْ تَحْسِنَا ﴿٢٩﴾ إِحْسَنًا ﴿٣٠﴾ بَانَ تَبْرُوهُمَا ﴿٣١﴾ إِمَّا يَلْفَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا ﴿٣٢﴾ فاعِلٌ ﴿٣٣﴾ أَوْ كِلَاهُمَا ﴿٣٤﴾ وَفِي قِرَاءَةِ يَلْفَانِ فَأَحَدُهُمَا بَدَلٌ مِنْ أَلْفِهِ ﴿٣٥﴾ فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُنِّي ﴿٣٦﴾ بفتح الفاء وكسرهما منوناً وغير منون مصدر

وقوله: ﴿مَذْمُومًا﴾ أي من الخلق، وقوله: ﴿مَخْذُولًا﴾ أي من الخالق، فقول الشارح لا ناصر لك تفسير للثاني اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَقَصَّى﴾ (أمر) وقيل: قضى بمعنى أوصى وقيل: بمعنى حكم، وقيل: بمعنى أوجب، وقيل: بمعنى ألزم اهـ سمين.

قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أن هذه يحتمل أن تكون مصدرية، فلا نافية والفعل منصوب بحذف النون وهذا ما جرى عليه الشارح، ويحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولا ناهية فالفعل مجزوم بحذف النون اهـ شيخنا.

وقول الشارح أي (بأن) ﴿لَا﴾ غير شديد حيث أثبت النون بين الهمزة ولا النافية بقلم الحمرة، فيقتضي أنها من رسم القرآن مع أنه ليس كذلك. وقد نص في شرح الجزرية على أن ما عدا المواضع العشرة يكتب موصولاً أي لا تثبت فيه النون، وتقدم نظير هذا الاعتراض على صنيعة في سورة هود في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢٦] بأبسط من هذا فراجع إن شئت. قوله: (بأن تبروهما) في المصباح: بر الرجل يبر براً وزان علم يعلم علماً فهو بر بالفتح وبار أيضاً أي صادق أو تقي، وبررت والدي أبره براً وبروراً أحسنت الطاعة ورفقت به، وتحريت محابه وتوقيت مكارهه اهـ. وفي القاموس وبررته أبره كعلمته وضربته اهـ.

قوله: ﴿إِمَّا يَلْفَنَّ﴾ إن شرطية وما زائدة، والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وقوله (في قراءة الخ) وعليها فالفعل مجزوم بحذف نون الرفع بخلافه على القراءة الأولى، فهو في محل جزم، وعلى كلا القراءتين فجواب الشرط هو قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا﴾ الخ أي إن يبلغ أحدهما الكبر عندك فلا تقل لهما الخ، والتقيد بهذا الشرط خرج مخرج الغالب من أن الولد إنما يتهاون بالديه عند الكبر، وإلا فقولوه ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا﴾ الخ لا يختص بالكبيرين اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ومعنى عندك أن يكون في كنفك وكفالتك اهـ.

وقوله: (في كنفك) أي في منزلك وكفالتك أي: في حال يلزمك فيه القيام بأمرهما في المعيشة ككبر سنهما وعجزهما عن الكسب وغير ذلك اهـ شهاب.

قوله: (وفي القراءة) أي سبعة يبلغان بنون التوكيد المشددة بعد الألف اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿لأَحَدُهُمَا﴾ بدل أي بدل بعض. وعلى هذه القراءة فكلاهما فاعل بفعل محذوف تقديره أو يبلغ كلاهما. هذا ما استحسنته السمين، وأبو حيان. لكن في البيضاوي: وكلاهما معطوف على أحدهما فاعلاً أو بدلاً، ولذلك لم يجوز أن يكون تأكيداً للألف اهـ.

قوله: (بفتح الفاء) أي من غير تنوين فقولوه (منوناً) الخ راجع للكسر فقط، فالقراءات ثلاثة وكلها

بمعنى تباً وقبحاً ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلَا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾ جميلاً ليناً ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ﴾ ألن لهما جانبك الدليل ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي لركتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا﴾

سبعية. وهذه القراءات الثلاثة جارية هنا. وفي أف الذي في سورة الأنبياء والذي في سورة الأحقاف اهـ شيخنا.

وذكر السمين فيها أربعين لغة ثم قال: وقد قرئ من هذه اللغات بسبع: ثلاث في المتواتر وأربع في الشواذ، فقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين، وابن كثير وابن عامر بالفتح دون تنوين، والباقون بالكسر دون تنوين ولا خلاف بينهم في تشديد الفاء، وقرأ نافع في رواية أف بالرفع والتنوين، وأبو السماك بالضم من غير تنوين، وزيد بن علي بالنصب والتنوين، وابن عباس أف بالسكون اهـ.

قوله: (منوناً) أي للدلالة على التنكير أي لا تقل لهما أنضجر وأقلق من كل فعل لكما، وقوله: (وغير منون) أي للدلالة على التعريف أي: لا تقل لهما أنضجر من فعل خاص من أفعالكما اهـ شيخنا.

قوله: (مصدر بمعنى تباً) أي خسراً وقبحاً بضم القاف أو فتحها، كما في المختار، وهو ضد الحسن أي: لا تقل لهما خسراً لكما، ولا تقل لهما قبحاً لكما، ولا لأفعالكما وفي بعض النسخ نتناً وقبحاً وهو الذي عبر به المحلي في سورة الأحقاف. والتنن: القذارة والرائحة الكريهة كما سيأتي هناك. هذا والمشهور الذي صرح به غيره من المفسرين أن أف اسم فعل مضارع أي: لا تقل لهما أنا أنضجر من شيء يصدر منك كخروج ريح بل أكرهما وأخدمهما كما خدماك في مثل هذه الحالة، ويمكن أن يحمل قوله مصدر على أن المراد أنه اسم فعل مدلوله المصدر على أحد القولين فيه، والراجح منهما أن مدلوله لفظ الفعل اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وهو مصدر أف يؤف أفأ بمعنى تباً وقبحاً أو هو صوت يدل على تضجر، أو اسم الفعل الذي هو أنضجر بني على حركة الساكنين كسراً على أصله وفتحاً تخفيفاً، ولغاته أربعون ذكرها ابن عطية فلتراجع منه اهـ.

قوله: (تزجرهما) أي عما لا يعجبك منهما بإغلاظ اهـ يضاوي.

وفي السمين: والنهر الزجر بصياح وغلظة، وأصله الظهور، ومنه النهر لظهوره. وقال الزمخشري: النهي والنهر والنهم أخوات اهـ.

قوله: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ﴾ فيه استعارة تبعية في الفعل حيث شبهت إلانة الجناح بخفض الجناح بجامع العطف والرقعة، واستعير الخفض للإلانة واشتق منه اخفض بمعنى ألن أو أصلية في الجناح حيث شبه الجناح بالجناح، واستعير للجناح بالإضافة من إضافة الموصوف لصفته، فالمصدر وهو الذل بمعنى الدليل، وهذا كله أشار له الشارح في الحل اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿جَنَاحَ الذِّلِّ﴾ هذه استعارة بليغة، وذلك أن الطائر إذا أراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، وإذا أراد ترك الطيران خفض جناحيه، فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين اهـ.

قوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ من تعليلية بمعنى اللام كما أشار له الشارح أي: لأجل الرحمة لا لأجل

رحماني حين ﴿رَبِّيَافِي صَغِيرًا﴾ ﴿رَبِّيَكُرَّ أَعْلَىٰ بِمَا فِي نَفْسِكَ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طائعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ ﴿٢٥﴾ لما صدر منهم في

خوفك من العار اهـ شيخنا.

وفي السمين: في من ثلاثة أوجه، أحدها: أنها للتعليل فتعلق باخفض أي اخفض من أجل الرحمة. والثاني: أنها ابتدائية. قال ابن عطية أي أن هذا الخفض يكون ناشئاً من أجل الرحمة المستكنة في النفس. الثالث: أنها في محل نصب على الحال من جناح اهـ.

قوله: ﴿وقل رب ارحمهما﴾ أي ادع لهما ولو خمس مرات في اليوم والليلة والكاف تعليلية أي من أجل أنهما رحماني حين ربياني صغيراً اهـ شيخنا.

وفي البضاوي: ﴿وقل رب ارحمهما﴾ أي ادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية، ولا تكتف برحمتك الفانية، ولو كانا كافرين، لأن من الرحمة أن يهديهما كما ربياني صغيراً أي رحمة مثل رحمتهم عليّ وتربيتهم وإرشادهم لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين.

روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أبواي بلغا من الكبير أنني إلي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيت حقهما؟ قال: لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما اهـ.

قوله: ﴿كما﴾ (رحماني حين ربياني الخ) حملة على ذلك التقدير أنه جعل الكاف للتشبيه، ولو جعلها للتعليل لم يحتج إليه. وفي السمين: قوله: ﴿كما ربياني صغيراً﴾ في هذه الكاف قولان، أحدهما: أنها نعت لمصدر محذوف فقدرة الحوفي ارحمهما رحمة مثل تربيتهم لي. وقدره أبو البقاء رحمة مثل رحمتهم لي كأنه جعل التربية رحمة. والثاني: أنها للتعليل أي ارحمهما لأجل تربيتهم كقوله: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ اهـ.

قوله: (طائعين لله) أي في حق الوالدين، وقوله: ﴿فإنه﴾ الخ مرتب على محذوف أي وفعلتم معهما خلاف الأدب وقوله: (إلى طاعته) أي في حق الوالدين، وقوله (وهم لا يضمرون عقوقاً) جملة حالية من فاعل صدر، أو من الضمير المجرور في منهم اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد، فإنه تعالى كان للأوابين أي الرجاعين إليه تعالى مما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفوراً لما وقع منهم اهـ.

وفي القرطبي: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ أي: من اعتقاد الرحمة بهما والحنو عليهما، أو من غير ذلك من الحقوق، أو من جعل ظاهر برهما رياء. وقال ابن جبير: يريد البادرة التي تبدر كالفلتة والزلة تكون من الرجل إلى أبويه أو أحدهما، لا يريد بذلك بأساً. قال الله تعالى: ﴿إن تكونوا صالحين﴾ أي صادقين في نية البر بالوالدين، فإن الله يغفر البادرة، وقوله: ﴿فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ وعد بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة إلى طاعة الله. قال سعيد بن المسيب: هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب. وقال ابن عباس: الأواب الحفيظ الذي إذا ذكر خطاياہ استغفر منها. وقال عبد بن

حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقاً ﴿وَمَاتٍ﴾ أعط ﴿ذَا الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي على طريقتهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمه فكذلك أخوه المبذر ﴿وَلِمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾ أي المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ

عمير: هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون الله، وهذه الأقوال متقاربة، وقال عون العقيلي: الأوابون هم الذين يصلون صلاة الضحى اهـ.

قوله: (من بادرة) في المختار: والبادرة الحدة وبدت منه بوادر غضب أي خطأ وسقطات عندما احتد اهـ.

قوله: ﴿وَاتِذَا الْقُرْبَى﴾ الخ لما ذكر بيان حق الوالدين ذكر بيان حق الأقارب وغيرهما، وبيان حق الفقراء والمساكين الأجانب والأمر للوجوب عند أبي حنيفة، فعنده يجب على الموسر مؤاسة أقاربه إذا كانوا محارم كالأخ والأخت، وعند غيره للندب فلا يجب عند غيره إلا نفقة الأصول والفروع دون غيرهما من الأقارب اهـ شيخنا.

قوله: (من البر) أي الإحسان بالمال. قوله: (والصلة) أي صلة الرحم بالمال أو غيره فهو عطف عام على خاص اهـ شيخنا.

قوله: (في غير طاعة الله) أي في المعصية.

قوله: ﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي أمثالهم في الشرارة، فإن التضییع والإتلاف شر أو أصدقاءهم وأتباعهم لأنهم يطيعونهم في الإسراف والصرف في المعاصي، والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم، وكان الشيطان لربه كفوراً أي جحوداً لنعمته فما ينبغي أن يطاع لأنه يدعو إلى مثل عمله اهـ من الخازن والبيضاوي.

وعبارة الكرخي: والمراد من هذه الأخوة التشبه بهم في هذا الفعل القبيح، لأن العرب يسمون الملازم للشيء أخاً له فيقولون: فلان أخو الكرم والجود وأخو الشعر إذا كان مواظباً على هذه الأفعال اهـ.

قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ﴾ على حذف مضاف أي لنعم ربه كما أشار له الشارح. قوله: (شديد الكفر لنعمه) فلا تتبعوه لأنه يستعمل بدنه في المعاصي والافساد في الأرض والإضلال للناس، وكذلك من رزقه الله جاهاً أو مالاً فصرفه إلى غير مرضاة الله كان كفوراً لنعمة الله، لأنه موافق للشياطين في الصفة والفعل اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلِمَا تَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾ إن شرطية وما زائدة أي: إن تعرض عنهم اهـ كرخي.

قوله: (وما بعده) أي المسكين وابن السبيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً من أجله ناصبه تعرضن، وهو من وضع المسبب موضع السبب، لأن الأصل وإما تعرض عنهم لإعسارك كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ﴿٢٨﴾ أَي لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ﴿٢٩﴾ لينا سهلاً بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَلَقَعَدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول ﴿تَحْسُورًا﴾ ﴿٣٠﴾ منقطعاً لا شيء عندك راجع للثاني ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالوأة ﴿خَشِيَةً﴾ مخافة ﴿إِمْلَاقٍ﴾ فقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ ﴿إِنْ قَالَهُمْ كَانَ خِطْأٌ﴾ إنما

قوله: (أي لطلب رزق) أي لكونك كنت محتاجاً وفقيراً في وقت طلبهم منك اهـ شيخنا.

قوله: (بأن تعدهم) أي وبأن تدعو لهم باليسر مثل أغناكم الله ورزقنا وإياكم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ نهى عن البخل فشبه حال البخيل في امتناعه عن الإنفاق بحال من يده مغلولة إلى عنقه، فلا يقدر على شيء من التصرف، وحال من يسرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقى شيئاً في كفه اهـ زاده.

قوله: ﴿مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي مضمومة إليه مجموعة في الغل وهو بضم الغين طوق من حديد يجعل في العنق. هذا هو معنى اللفظ بحسب الأصل، وقد عرفت المراد منه هنا اهـ زاده.

قوله: (كل المسك) فيه تسمح وحقه أن يقول كل الإمساك. إذ الفعل من هذا المعنى أمسك رباعياً فمصدره الإمساك، وكأنه إنما عبر به لمشاكلته كل البسط تأمل. قوله: ﴿فَتَقْعَدُ﴾ أي تصير فهو منصوب في جواب النهي، وملوماً إما حال وإما خبر كما تقدم اهـ سمين.

قوله: ﴿مَلُومًا﴾ أي مذموماً من الخلق والخالق وقوله ﴿لَهُ مَحْسُورًا﴾ أي نادماً أو منقطعاً بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه اهـ بيضاوي. أي إذا أثر فيه اهـ زكريا. وفي المختار: والحسرة شدة التلهف على الشيء الفاتت. تقول: حسرت على الشيء من باب طرب وحسره أيضاً فهو حسير وحسرة غيره تحسيراً اهـ.

قوله: (يضيقه) تفسير ليقدر، فإن يقدر ويقتر مترادفان اهـ شهاب.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ خطاب للموسرين بدليل قوله ﴿خَشِيَةً إِمْلَاقٍ﴾ أي خشية وقوع الفقر بكم، ولذلك آخر ذكرهم، وقد ذكر الأولاد في قوله ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وتقدم في سورة الأنعام نهى المعسرين بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي من أجل فقر واقع بكم، ولذلك قدم ذكرهم في قوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: حاصله أن قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر. فهو من سوء الظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم، فالأول ضد التعظيم لأمر الله، والثاني ضد الشفقة على خلق الله، وكلاهما مذموم اهـ.

قوله: (بالوأة) أي الدفن بالحياة والاقتصار عليه، لأنه الذي كانوا يفعلونه، وإلا فقتل الولد حرام مطلقاً اهـ شيخنا.

﴿كَبِيرًا ۝﴾ عَظِيمًا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ ۝﴾ أَبْلَغَ مِنْ لَا تَأْتُوهُ ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ فَحِشَةً ۝﴾ قَبِيحًا ﴿وَسَاءَ ۝﴾ بَشْسَ سَبِيلًا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۝ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ ۝﴾ لَوَارِثَهُ ﴿سُطْلَنَا﴾ تَسْلِيطًا عَلَى الْقَاتِلِ ﴿فَلَا تُسْرِفَ ۝﴾ يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ ﴿فِي الْقَتْلِ ۝﴾ بِأَنْ يَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ أَوْ بِغَيْرِ مَا قُتِلَ بِهِ ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ مَنصُورًا ۝﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۝﴾ إِذَا

قوله: ﴿كَانَ خَطَاً﴾ بوزن مثل فهو بكسر الخاء وسكون الطاء، وبوزن شبه فهو بفتحيتين، وبوزن قتال فهو بكسر الخاء وفتح الطاء وبالمدة ففيه ثلاث قراءات كلها سبعة اهـ شيخنا .

فعلى الأولى هو مصدر لخطيء من باب علم، وعلى الثانية اسم مصدر لأخطأ رباعياً، وعلى الثالثة هو مصدر لخطأ، وهو إن لم يسمع لكنه سمع تخاطأ اهـ من البيضاوي .

ومجيء تخاطأ يدل على وجود خطأ، لأن تفاعل مطاوع فاعل كباعده فتباعده وناولته فتناول اهـ زاده .

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا﴾ في المصباح: قربت الأمر أقرب من باب تعب، وفي لغة من باب قتل قرباناً بالكسر أو دانيته، ومن الأول ولا تقربوا الزنا، ويقال منه أيضاً: قربت المرأة قرباناً كناية عن الجماع، ومن الثاني لا تقرب الحمى أي لا تدن منه اهـ .

والعامة على قصر الزنا، وهي اللغة الفاشية، وقرئ بالمد وفيه وجهان، أحدهما: أن لغة في المقصور . والثاني: أنه مصدر زاناً يزانيء كقاتل قتالاً لأنه يكون من اثنين اهـ سمين .

قوله: ﴿أَبْلَغَ مِنْ لَا تَأْتُوهُ﴾ أي لأنه يفيد النهي عن مقدمات الزنا، كاللمس والقبلة والنظرة والغمزة بالمنطوق، وعن الزنا بمفهوم الأولى اهـ كرخي .

قوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي إلى النار .

قوله: ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي حرم قتلها بأن عصمها وقوله ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو أحد ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل مؤمن معصوم عمداً كما في الحديث اهـ كرخي .

قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قال المعرب أي: إلا بسبب الحق، فيتعلق بلا تقتلوا، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل لا تقتلوا أي إلا ملتبسين بالحق، وأما تعلقه بحرم فبعيد، وإن صح ومعنى تحريمها تحريم قتلها اهـ شهاب .

قوله: ﴿غَيْرَ قَاتِلِهِ﴾ أي غير قاتل المقتول . قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ أي الولي كان منصوراً أي بثبوت القصاص له، وبإعانة الحكام له على القصاص أي استيفائه اهـ شيخنا .

وفي البيضاوي: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ الضمير إما للمقتول، فإنه كان منصوراً في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب، وإما لوليّه فإن الله تعالى نصره حيث أوجب القصاص له، وأمر الولاية بمعاونته، وإما للذي يقتله الولي إسرافاً بإيجاب القصاص، أو التعزير والوزر على المسرف اهـ .

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ الخطاب لأولياء اليتيم اهـ . قوله: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقربوه بحال من الأحوال إلا بالصلة التي هي أحسن من جميع الخصال،

عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٤﴾ عنه ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كَلِمَةٌ وَرَنُوءًا بِالْقِسْطِ﴾
 الْمُسْتَقِيمِ ﴿الْمِيزَانَ السَّوِيَّ﴾ ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٣٥﴾ مَالًا ﴿وَلَا تُقْفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ

وهي تميمته له والإنفاق عليه منه بالمعروف. وقوله: ﴿حتى يبلغ أشده﴾ غاية لما فهم من الاستثناء من جواز قربانه أي: فاقربوه بالخصلة التي هي أحسن إلى أن يبلغ أشده فلا تقربوه بعد ذلك، لأن التصرف له حينئذ أهـ شيخنا.

وفي الكرخي: والمراد بالأشد ههنا بلوغه إلى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح ماله، فحينئذ تزول ولاية غيره عنه، فإن بلغ غير كامل العقل لم تنزل الولاية عنه أهـ.

والأشد مفرد بمعنى القوة، وقيل: جمع لا واحد له من لفظه. وقيل: جمع شد بكسر الشين: وقيل: جمع شد كذلك وقيل: جمع شد بفتحها، وعلى كل فالمراد به القوة أي حتى يبلغ قوته، والمراد بها هنا بلوغه عاقلاً رشيداً وإن كان الأشد في الأصل عبارة عن بلوغ ثلاث وثلاثين سنة أهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا عاهدتم الله أو الناس﴾ أو ما عاهدكم الله عليه من التكليف أهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه. وفيه به، أو مسؤولاً عنه فيسأل الناكث الناقض ويعاتب عليه أو يسأل العهد لما نكثت تبكيتاً للناكث، كما يقال للموودة ﴿بأي ذنب قتلت﴾ [التكوير: ٩] فيكون تخيلاً، ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولاً أهـ بيبضاوي.

وقوله: ﴿أو يسأل العهد﴾ بأن يكون ضمير مسؤولاً راجعاً إلى العهد، وينسب إليه السؤال على طريق الاستعارة بالكناية، أو يشبه العهد بمن نكث عهده، ونسبة السؤال إليه تخيل والاستشهاد بسؤال الموودة في قوله: ﴿وإذا الموودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ [التكوير: ٩] في مجرد السؤال لأن سؤالها بعد الإحياء يوم القيامة، وهو سؤال تحقيق وسؤال العهد تخيل أهـ زاده.

قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ الخ خطاب للبايعين، وأخذ هذا بعضهم أن أجرة الكيال على البائع، لأنها من تمام التسليم، وكذلك عليه أجرة النقد للثمن، وهو كذلك كما هو مقرر في الفروع أهـ شيخنا.

قوله: ﴿بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ هو رومي عُرْب، ولا يقدح ذلك في عربية القرآن، لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربياً. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء أهـ بيبضاوي.

قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي ذلك المذكور من إيفاء الكيل والوزن بالميزان المستوي خير أي: في الدنيا لما فيه من إقبال المشتري على من يبيع وهو بهذه الحالة وأحسن تأويلاً أي في الآخرة أي أحسن عاقبة أهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلَا تُقْفُ﴾ مجزوم بحذف الواو من بابي عدا وسما أي لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، وقيل: معناه لا ترم أحداً بما ليس لك به علم، وقيل: معناه لا تتبعه

السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ﴿٣٦﴾ الْقَلْبُ ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ صَاحِبُهُ مَاذَا فَعَلَ بِهِ ﴿وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أَيُّ ذَا مَرَحٍ بِالْكِبَرِ وَالْخِيَلِ ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تَثْقِبُهَا حَتَّى تَبْلُغَ آخِرَهَا بِكِبَرِكَ ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٣٨﴾ الْمَعْنَى أَنَّكَ لَا تَبْلُغُ هَذَا الْمَبْلُغَ فَكَيْفَ تَخْتَالُ ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿كَانَ سَيِّئُهُ

بالحدس والظن، وقيل: هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور يتبعها ويتعرفها، وحقيقته أنه لا يتكلم في أحد بالظن اهـ خازن.

قوله: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾ أي كل واحد من الحواس الثلاثة كان عنه مسؤولاً صاحبه في الآخرة اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ﴿وَكُلُّ أُولَئِكَ﴾ مبتدأ خبره جملة كان عنه، وخبرها والضمير في كان وفي عنه وفي مسؤولاً يعود على كل أي: كان كل واحد منها مسؤولاً عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه، ويجوز أن يكون الضمير في عنه لصاحب السمع والبصر، وقيل مسؤولاً مسند إلى عنه كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لأن الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية اهـ.

وعبارة الكرخي: كان عنه مسؤولاً صاحبه ماذا فعل به أشار إلى أن الضمير في عنه لصاحب هذه الجوارح لدالاتها عليه، وهو اختيار صاحب الكشاف، ومن المعلوم أن السؤال لا يصح إلا للعاقل، وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الإنسان فهو كقوله: ﴿وَأَسْأَلُ الْقُرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] والمراد أهلها، وهو من الالتفات، إذ لو جرى على ما تقدم لقليل كنت عنه مسؤولاً. والمعنى أنه يقال للإنسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه، ولم نظرت ما لا يحل لك نظره، ولم عزمت على ما لا يحل العزم عليه، أو كان عن نفسه أي عما فعل به صاحبه مسؤولاً، وعليه جرى القاضي، والمعنى أن هذه الأعضاء تسأل مجازاً توبيخاً لأصحابها، لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسؤولة فهي حالة من يعقل، ولذلك عبر عنها بكناية من يعقل كما مرّ وهذا أبلغ مما قبله اهـ.

قوله: ﴿مَرَحًا﴾ المرح: شدة الفرح، والباء في قوله (بالكبر) للملابسة، ومرحاً حال على تقدير مضاف كما قدره الشارح أي: لا تمش في الأرض حال كونك ذا مرح أي: مارحاً ملتبساً بالكبر والخيلاء اهـ شيخنا.

وفي المصباح: مرح مرحاً فهو مرح مثل فرح فرحاً وزناً ومعنى، وقيل: المرح أشد الفرح اهـ.

قوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ الخ لما كانت مشية المرح مشتملة على شدة الوطء والتكبر على الأرض بمشيئه عليها وعلى التطاول قال تعالى في تحليل النهي: وكيف تتكبر على الأرض ولن تجعل فيها خرقاً وشقاً، وكيف تتعظم وتتطاول ولن تبلغ الجبال طولاً، فأنت أحقر وأضعف من كل واحد من الجمادين، فكيف يليق بك التكبر اهـ.

قوله: (تثقبها) بالثاء المثناة وبالنون. قوله: ﴿طُولًا﴾ تمييز محول عن الفاعل. أي: ولن يبلغ طولك الجبال. أي: تطاولك واستعلاؤك اهـ شيخنا.

قوله: (هذا المبلغ) أي خرق الأرض وبلوغ الجبال طولاً، والمقصود التهكم بالمتكبر اهـ شيخنا.

عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿رَبُّكَ مِنَ الْحَكَمَةِ﴾ الموعظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

قوله: ﴿كل ذلك﴾ الخ إشار إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ اهـ يضاهي.

فأولها ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ ثانيها وثالثها: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ لاشتماله على تكليفين: الأمر بعبادة الله والنهي عن عبادة غيره. رابعها: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ خامسها: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ سادسها: ﴿ولا تنهرهما﴾ سابعها: ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ ثامنها: ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ تاسعها: ﴿وقل رب ارحمهما﴾ عاشرها: ﴿وأت ذا القربى حقّه﴾ حادي عشرها: ﴿والمسكين﴾ ثاني عشرها: ﴿وابن السبيل﴾ ثالث عشرها: ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ رابع عشرها: ﴿هل لهم﴾ الخ خامس عشرها: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة﴾ سادس عشرها: ﴿ولا تبسطها﴾ ألخ سابع عشرها: ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ ثامن عشرها: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ تاسع عشرها: ﴿ولا تقتلوا النفس﴾ عشرونها: ﴿فلا يسرف في القتل﴾ والبقية ﴿وأوفوا بالعهد﴾، ﴿وأوفوا الكيل﴾، ﴿وزنوا بالقسطاس﴾، ﴿ولا تقف﴾، ﴿ولا تمش﴾ الخ وكلها تكليفات اهـ زكريا وشهاب.

قوله: ﴿كان سيئة﴾ في قراءة سبعة بالتاء، وفي أخرى سيئه بهاء الضمير، وهما سبعيتان، فعلى الأولى يكون قوله: ﴿كل ذلك﴾ المذكور والمراد به ما تقدم من المنهيات، وهي اثنتا عشرة خصلة، وتأتي سيئة مراعاة لمعنى كل. وقوله: ﴿مكروها﴾ تذكيره مراعاة لفظها وعند ربك خبر ثان ومكروها خبر ثالث أي: محرماً مبغوضاً فاعله معاقباً عليه، وعلى الثانية يكون المراد بقوله كل ذلك المذكور جميع ما تقدم من قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى هنا، وجملته خمسة وعشرون نوعاً من التكالف. وقوله: ﴿كان سيئة﴾ أي السيء منه وهو المنهيات، وهي اثنا عشر، ويكون في الآية اكتفاء أي: وكان حسنه أي الحسن منه، وهو المأمورات عند ربك مرضياً محموداً اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قال في الكشف: فإن قلت: فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن، ولذلك قرأ من قرأ سيئة بالإضافة، فما وجه من قرأ سيئة؟ قلت: كل ذلك إحاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور من قوله ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى هنا. ﴿مما أوحى إليك ربك﴾ من ﴿الحكمة﴾ من تبغيضه أي بعض ما أوحى إليك، وهو ثابت في جميع الشرائع لم ينسخ، وذكر هنا في ثمان عشر آية أولها: ﴿لا تجعل﴾ الخ، وذكر في التوراة في عشر آيات. وقوله: ﴿من الحكمة﴾ خبر ثان اهـ شيخنا.

وفي السمين: ذلك مما أوحى مبتدأ وخبر، وذلك إشارة إلى جميع ما تقدم من التكليف وهي أربعة وعشرون نوعاً. أولها: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾، وآخرها ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾. و ﴿مما أوحى﴾ من للتبغيض، لأن هذه بعض ما أوحاه الله تعالى لنبيه ﷺ اهـ.

قوله: ﴿من الحكمة﴾ أي التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به اهـ يضاهي.

فالتوحيد من القسم الأول وباقي التكليف من القسم الثاني اهـ زاده.

وفي السمين: قوله ﴿من الحكمة﴾ يجوز فيه ثلاث أوجه، أحدها: أن يكون حالاً من عائد

﴿أَخْرَجْنَا مِنْ جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿٣٩﴾ مطروداً عن رحمة الله ﴿أَفَأَصْفَكَ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿رَبِّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَتَقُولُنَّ﴾ بذلك ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾

الموصول المحذوف تقديره من الذي أوحاه إليك حال كونه من الحكمة، أو حال من نفس الموصول. الثاني: أنه متعلق بأوحى، ومن إما تبعيضية لأن ذلك بعض الحكمة، وإما للابتداء، وإما للبيان وحينئذ تتعلق بمحذوف. الثالث: إنها مع مجرورها بدل مما أوحى اهـ.

قوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ كرهه للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، فإن من لا قصد له بطل عمله، ومن قصد بفعله أو تركه غيره تعالى ضاع سعيه، وعلى أنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولاً ما هو فائدة الشرك في الدنيا وثانياً ما هو نتيجته في العقبي، فتلقى في جهنم ملوماً تلوم نفسك مدحوراً مبعداً من رحمة الله تعالى اهـ بيضاوي.

وفي المختار: دحره طرده وأبعده وبابه خضع اهـ.

قوله: ﴿أفأصفاكم ربكم﴾ الخ لما أمر بالتوحيد ونهى عن إثبات الشريك لله أتبعه بذكر فساد طريقة من أثبت الولد له تعالى لا سيما أن يكون ذلك الولد أخس الأولاد، فقال: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ اهـ زاده.

والاستفهام للتقريع والتوبيخ والنفي أي: لم يفعل ذلك. وقوله: ﴿أخلصكم﴾ بيان للمعنى اللغوي، لأن التصفية في اللغة معناها التخليص، لكن هنا ضمن معنى خصكم لأجل تعلق بالبنين اهـ شيخنا.

وألفه منقلبة عن واو، لأنه من صفا يصفو. واتخذ يجوز أن يكون معطوفاً على أصفاكم، ويجوز أن تكون الواو حال، وقد مقدرة واتخذ متعد لمفعولين الأول: إنثاءً، والثاني: من الملائكة قدم على الأول اهـ سمين.

قوله: (بنات لنفسه) من المعلوم أن هذا جمع مؤنث سالم ونصبه بالكسرة، فحقه أن لا ترسم فيه ألف بعد التاء وهو كذلك في بعض النسخ، وفي بعضها ثبوت الألف. وقال القاري: هو سهو من الناسخ، وقال الكرخي: هو جائز على لغة قليلة تنصبه بالفتحة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لتقولون﴾ (بذلك) أي بسبب ذلك الاعتقاد والمذهب، وهو نسبة البنات إلى الله اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ بإضافة الأولاد إليه، وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة زوالها، ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون، ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف الخلق دونهم اهـ.

قوله: ﴿ولقد صرفنا﴾ مفعوله محذوف أي صرفنا أمثاله ومواعظه وقصصه وأخباره وأوامره اهـ سمين.

ذلك ﴿إِلَّا نَقُورَ﴾ (٤١) عن الحق ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي الله ﴿إِنَّمَا يَتَقَوَّلُونَ إِذَا لَبِثُوا﴾ طلبوا ﴿إِلَّا زِيَّاتٍ﴾ أي الله ﴿سَيَلَا﴾ ليقاتلوه ﴿سَبَّحْنَاهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعْلَى عَمَّا يُقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٢) ﴿تَسْبِيحُهُ﴾ تنزهه ﴿الْمَكْرُوتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول سبحانه الله وبحمده ﴿وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾

وقد أشار الشارح بقوله (من الأمثال الخ)، فمن فيه زائدة في المفعول اهـ شيخنا .

قوله: ﴿وما يزيدهم﴾ (ذلك) أي التصريف والتبيين اهـ شيخنا .

قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم) أي في شأن الاستدلال على إبطال التعدد الذي زعموه، وإثبات الوحدة . وحاصل الدليل أنه قياس استثنائي يستثنى فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم وحذف منه كل من الاستثنائية والنتيجة، والتقدير لكنهم لم يطلبوا طريقاً لقتاله فلم يكن هناك تعدد اهـ شيخنا .

قوله: ﴿كما تقولون﴾ الكاف في موضع نصب، وفيها وجهان: أحدهما: أنها متعلقة بما تعلقت به مع من للاستقرار قاله الحوفي . والثاني: أنها نعت لمصدر محذوف أي كونا مشابهاً لما تقولون، والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اهـ من السمين وأبي السعود .

قوله: ﴿كما تقولون﴾ وقوله: ﴿عما يقولون﴾ بقرأ بالياء التحتية فيهما وبالتاء الفوقية فيهما وبالياء التحتية في الأول والتاء الفوقية في الثاني، فالقراءات ثلاثة كلها سبعة، وعلى الأخيرة يكون في الكلام التفات اهـ شيخنا .

قوله: ﴿إِذَا لَبِثُوا﴾ إذا حرف جواب وجزاء . قال الزمخشري: وإذا دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب لمقالة المشركين وجزاء للو اهـ سمين .

قوله: ﴿ليقاتلوه﴾ أي على عادة ملوك الدنيا عندهم تعددهم اهـ شيخنا .

قوله: ﴿وتعالى﴾ عطف على ما تضمنه المصدر تقديره تنزه وتعالى، وعن متعلقة به وعلواً مصدر واقع موعق التعالي، كقوله: ﴿أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] في كونه على غير المصدر اهـ سمين .

قوله: ﴿تسبح له السموات﴾ الخ لما أبطل الله قول الذين قالوا الملائكة بنات الله، ونزه ذاته عما نسبوا إليه عقبه بقوله: ﴿تسبح له السموات﴾ دلالة على أن الأكوان بأسرها دالة شاهدة بتلك النزاهة، ولكن المشركون لا يفهمون تسبيحها اهـ زاده .

فالقصد من هذا توبيخهم وتقريعهم على إثبات الشركاء مع أن كل شيء ممن عداهم ينزهه عن كل نقص اهـ شيخنا .

قوله: (من المخلوقات) أي الانس والجن والملك، وسائر الحيوانات والجمادات اهـ شيخنا .

قوله: (أي يقول سبحانه الله وبحمده) ولا يسمعها إلا الكمل كالنبي، وبعض الصحابة . وجمهور السلف أنه على ظاهره من أن كل شيء حيواناً كان أو جماداً يسبح بلسان المقال، وهو الذي يشير له

لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿١٥﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ﴿وَلِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ﴿١٥﴾ أي ساتراً لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك

قوله الجلال، لأنه ليس بلغتكم الصريح في أنه بلغة أخرى، وذهب بعضهم إلى التفصيل، وهو أن تسبيح العقلاء بلسان المقال، وتسبيح غيرهم من الحيوان والجماد بلسان الحال حيث تدل تلك المخلوقات على الصانع وقدرته ولطيف حكمته، فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح اهـ.

فإن قلت: يمنع من شموله الثاني قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لأنه مفقوه لنا؟ فالجواب: أن الخطاب فيه للكفار، وهم لا يفقهوا تسبيح الموجودات، لأنهم أثبتوا لله شركاء وزوجاً وولداً، بل هم غافلون عن أكثر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اهـ كرخي.

قوله: (لأنه ليس بلغتكم) أي بل بلغات لا تفهمونها أي: ولأنكم محجوبون عن سماعها. وهذا يقتضي أن تسبيح الجماد بلسان المقال، وهو الذي اختاره الخازن وأثبتته بأحاديث متعددة وهو قريب جداً اهـ شيخنا.

قوله: (حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أي على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم، ولذا كان غفوراً لمن تاب اهـ.

قوله: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ أي مطلقاً أو ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والجماد، وهي في سورة النحل: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم﴾ [النحل: ١٠٨] وفي سورة الكهف ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ [الأنعام: ٢٥ والإسراء: ٤٦] وفي حم الجاثية ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ [الجاثية: ٢٣] الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركة هذه الآيات عن عيون المشركين اهـ من الخطيب.

وفي القرطبي: قلت: ويزاد إلى هذه الآيات أول سورة يس إلى قوله: ﴿فهم لا يبصرون﴾ [يس: ٩] فإن في السيرة في هجرة النبي ﷺ، ومقام علي رضي الله عنه في فراشه قال: وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده، وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من: ﴿يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ [يس: ١] إلى قوله: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشى عنهم فهم لا يبصرون﴾ [يس: ٩] حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث أراد أن ينصرف اهـ.

قوله: ﴿وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وهم المنكرون للبعث. اهـ.

قوله: (أي ساتراً لك) أي فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل. قوله: (فيمن أراد الفتك) كأبي جهل، وأم جميل زوجة أبي لهب، والفتك: بتثليث الفاء أي القتل على غرة أي غفلة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: فتكت به فتكاً من بابي ضرب وقتل، وبعضهم يقول فتكاً مثلث الفاء بطشت به أو قتلته على غفلة وأفتكت به بالآلف لغة اهـ.

قوله: (فلا يرونك) هذا بالنسبة لبعضهم كان يحجب بصره عن رؤية النبي إذا أراد به مكروه، وهو

به ﷻ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن، أي فلا يفهمونه ﴿وَفِي مَآذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلًا فلا يسمعون ﴿وَإِذَا ذُكِرَ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ حَدَّثُمُ وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَرِهِمْ نَقُورًا﴾ ﴿٤٦﴾ عنه ﴿تَحْنُ أَعْلَمِيْمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من الهزء ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قراءة تك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ يتناجون بينهم أي يتحدثون ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ ﴿٤٧﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله، قال تعالى ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٨﴾ طريقاً إليه ﴿وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث ﴿أَوَدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَاتًا أَرَأَيْتُمْ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا

يقرأ القرآن، وبعضهم كان يحجب قلبه عن إدراك القرآن وسمعه عن سماعه وهو المذكور بقوله: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ وبعضهم كان ينفر عند قراءة القرآن ولا يستطيع سماعه وهو المذكور بقوله: ﴿وإذا ذكرت ربك﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أغطية) ضمنها معنى الموانع فعداها بمن في قوله من ﴿أن يفقهوه﴾ اهـ شيخنا.
قوله: (ثقلًا) بفتح القاف ضد الخفة وأما بسكونها فهو واحد الأثقال أي الأحمال، ويمكن إرادته هنا أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: (وحده) فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على الحال وإن كان معرفة لفظاً لأنه في قوة النكرة، إذ هو في معنى منفرداً. والثاني: أنه منصوب على الظرف وهو قول يونس اهـ سمين.
قوله: ﴿نفوراً﴾ مفعول من أجله أو مفعول مطلق لقوله: (ولو) لتفاوت معناهما، ويجوز أن يكون جمع نافر كقواعد وقعود وشاهد وشهود اهـ من البيضاوي والشهاب.

وقوله: (عنه) أي عن استماعه. قوله: (من الهزء) بيان لما، وأشار به إلى أن المشركين كانوا يهزؤون بالنبي ﷺ، فنزل تهديداً لهم وتسلياً له ﷺ نحن أعلم بما يستمعون به والباء سببية، والمعنى ما يستمعون إليك بسببه، وهو الهزء والتكذيب. وعبارة الكواشي: بما يستمعون به هازئين أو الباء بمعنى اللام. وعبارة الكشف: وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أي هازئين اهـ كرخي.

قوله: ﴿إذ يستمعون﴾ ظرف لأعلم وكذا، وإذ هم نجوى أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى فيتناجون به ونجوى مصدر. ويحتمل أن يكون جمع نجى اهـ بيضاوي.

قوله: (بدل من إذ قبله) أي من إذ هم نجوى.

قوله: ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي بحيث مثلك بالمسحور فقوله: (بالمسحور) متعلق بالأمثال أي شبهوك بالمسحور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أنذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ الاستفهام للإنكار والاستبعاد لما بين رطوبة الحي ويبوسة الرميم من المعبادة والمنافاة اهـ بيضاوي.

يَكْتَبُ فِي صُورِكُمْ ﴿٥١﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئاً لأن

وقد تقدم خلاف القراءة في الاستفهامين في مثل هذه الآية في سورة الرعد، وتحقيق ذلك والعامل في إذا محذوف تقديره أنبعث أو أنحشر. إذا كنا دلّ عليه مبعوثون، ولا يعمل فيها مبعوثون لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها، وكذا ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله، وقد اجتمعنا هنا، وعلى هذا التقدير الذي ذكرته تكون إذا متمحضة للظرفية، ويجوز أن تكون شرطية فيقدر العامل فيها جوابها تقديره: ﴿أئذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾ نبعث أو يقدر نحو ذلك، فهذا المحذوف جواب الشرط عند سيبويه، والذي انصب عليه الاستفهام عند يونس. وقوله: ﴿ورفاتاً﴾ الرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وهو اسم لأجزاء ذلك الشيء المفتت، وقال الفراء: هو التراب يؤديه أنه تكرر في القرآن تراباً وعظاماً، ويقال: رفت بالشيء يرفته بالكسر أي كسره، والفعال يغلب في التفريق كالحطام والرفاق والفتات. وقوله: ﴿خلقاً جديداً﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه مصدر من معنى الفعل لا من لفظه أي: نبعث بعثاً جديداً. والثاني: أنه في موضع الحال أي مخلوقين اهـ سمين.

قوله: ﴿ورفاتاً﴾ أي أجزاء متفتتة، والرفات مفرد معناه ذكر، فالرفات والحطام بمعنى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل كونوا حجارة﴾ الخ أي قل لهم جواباً عن إنكارهم البعث بقولهم: ﴿أئذا كنا عظاماً ورفاتاً الخ﴾ وهذا أمر تعجيز وإهانة، وإنما عبر فيه بمادة الكون لتعبيرهم بها في سؤالهم، والمعنى على تقدير شرط جوابه محذوف قدره الشارح بقوله: (فلا بد من إيجاد الروح فيكم)، وتقدير الشرط هكذا لو تكونون حجارة، مع أنها لا تقبل الحياة بحال أو حديداً مع أنه أصلب من الحجارة، أو خلقاً آخر غيرهما كالجبال والسموات والأرض، فلا بد من إيجاد الحياة فيكم، فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض، فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوته أي ممزوقة، وقد كانت طرية موصوفة بالحياة من قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما يعهد اهـ شيخنا. وأصله في البيضاوي.

وفي زاده ما نصه: أجابهم الله تعالى بما معناه تحولوا بعد الموت إلى أي صفة تزعمون أنها منافاة للحياة، وأبعد عن قبولها كصفة الحجرية والحديدية ونحوهما، فليس المراد الأمر، بل المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله عن الإعادة اهـ.

قوله: ﴿مما يكبر﴾ نعت لخلقاً أي خلقاً كائناً من الأشياء التي تكبر في صدوركم، أي: في قلوبكم أي في اعتقادكم عن قبول الحياة. أي: لو كنتم شيئاً يكبر عندكم عن قبول الحياة لكنه أبعد شيء منها لأحياءكم الله إذ لا يتعاضى على قدرته تعالى شيء اهـ شيخنا.

قوله: (فضلاً) متعلق بحجارة وما بعده، والمعنى لو كنتم حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر كالأرض والسموات فضلاً عن العظام والرفات اللذين ذكروهما بقولكم: ﴿أئذا كنا﴾ الخ لأحياءكم الله، فإن إحياء الحديد والعظام بالنسبة إليه تعالى في طي قدرته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل الذي فطركم﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ، وخيره محذوف أي الذي فطركم

القادر على البدء قادر على الإعادة بل هي أهون ﴿فَسَيَنْفِضُونُ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ﴾ تعجباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسماعيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بأمره وقيل

يعيدكم، وهذا التقدير فيه مطابقة بين السؤال والجواب. والثاني: أنه خير مبتدأ محذوف أي يعيدكم الذي فطركم. الثالث: أنه فاعل بفعل مقدر أي: يعيدكم الذي فطركم، ولهذا صرح بالفعل في نظيره عند قوله: ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف: ٩]، وأول مرة ظرف زمان ناصبة فطركم اهـ سمين.

قوله: (بل هي أهون) أي بالنظر لعقولنا وأفعالنا، وإلا فهما بالنسبة إليه تعالى على حد سواء كسائر أفعاله تعالى، فخلق الجبل عنده مساوٍ لخلق الذرة في السهولة، أي الطوع وعدم التعاصي على قدرته تعالى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فسينفضون﴾ في المختار: نفض رأسه من باب نصر وجلس أي تحرك، وأنفض رأسه حركه كالمتعجب من الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فسينفضون إليك رؤوسهم﴾ ونفض فلان رأسه أي: حركه يتعدى ويلزم اهـ.

وفي السمين: يقال: أنفض رأسه ينفضها أي حركها إلى فوق وإلى أسفل انغاضاً فهو منفض، وأما نفض ثلاثياً ينفض وينفض بالفتح والضم فمعنى تحرك لا يتعدى يقال: نفضت سنة أي تحركت تنفض نفضاً ونغوضاً اهـ.

قوله: (تعجباً) أي واستهزاء وسخرية. قوله: ﴿أَنْ يَكُونَ﴾ محل أن مع ما في حيزها إما نصب على أنه خبر لعسى، وهي ناقصة واسمها ضمير البعث، أو رفع على أنه فاعل بعسى، وهي تامة أي: عسى كونه قريباً أو وقوعه في زمان قريب، وانتصاب قريباً هلي أنه خبر كان إن كانت ناقصة، وعلى الظرف إن كانت تامة أي: أن يقع في زمن قريب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يوم يدعوكم﴾ منصوب بفعل مضمر أي: اذكروا أو على أنه بدل من قريباً إن جعل ظرفاً اهـ أبو السعود.

قوله: (على لسان إسماعيل) هذا أحد قولين، والآخر أن المنادي جبريل، وأن النافخ إسماعيل وصورة الدعاء والنداء أن يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء اهـ من الجلال في سورة ق.

قوله: (فتجيبون دعوته) أي تبعثون، فالاستجابة موافقة الداعي فيما دعا إليه وهي الإجابة إلا أن الاستجابة تقتضي طلب الموافقة فهي (أوكد من الإجابة اهـ كرخي).

قوله: ﴿بحمده﴾ حال من الواو في تستجيبون أي: فتجيبون حال كونكم حامدين لله على كمال قدرته، لما قيل إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك اهـ بياضوي.

وله الحمد ﴿وَتُظَنُّونَ إِنْ﴾ ما ﴿لَيْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٥٢﴾ لهول ما ترون ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للكفار الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ﴾ يفسد ﴿بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿٥٣﴾ بين العداوة، والكلمة التي هي أحسن هي ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمَكُمُ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

قوله: (وقيله له الحمد) أي وقيل المراد بالحمد أنهم يقولون وله الحمد، لكن عبارة البيضاوي المذكورة أسهل من هذه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿بحمده﴾ قال ابن عباس: بأمره، وقيل: بطاعته، وقيل: مقربين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد، وقيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين اهـ.

قوله: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ إن نافية وهي معلقة للظن عن العمل، وقيل من يذكر أن النافية في أدوات تعليق هذا الباب. قوله: (في الدنيا) أو في القبور وعبارة البيضاوي: وتستقصرون مدة لبثكم في القبور، كالذي مرَّ على قرية أو مدة حياتكم بما ترون من الهول انتهت.

قوله: ﴿يَقُولُوا﴾ التي هي أحسن أي ولا يتخاشنوا معهم في الكلام، كأن يقولوا لهم أنكم من أهل النار، فإنه يهيجهم إلى الشر مع أن عاقبة أمرهم مغيبة عنا، والمراد بالكلمة الكلمة اللغوية على حد قوله:

وكلمة بها كلام قد يؤم اهـ شيخنا

قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ الخ تعليل لقوله ﴿يَقُولُوا﴾ التي هي أحسن وقوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي بين المؤمنين والمشركين وقوله: إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ غَلَةً لقوله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ اهـ شيخنا.

وفي الحقيقة المعلل محذوف يعلم بطريق المفهوم تقديره: ولا يقولوا غير الأحسن، وهو القول الخشن على النفوس، لأن ﴿الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ من باب نفع، ففي القاموس: ونزغ كمنعه طعن فيه واغتابه وبينهم أفسد وأغرى ووسوس اهـ.

قوله: (يفسد) ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي يهيج الشر، فلعل المخاشنة معهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد اهـ شيخنا.

قوله: (هي) ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي وما بينهما، وهو قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾. إن الشيطان الخ اعتراض أي: قل للمؤمنين يقولوا للكفار ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الخ، ولا يصرحوا بأنهم أهل النار، فإنه يهيجهم على الشر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي بعاقبة أمركم كما يدل عليه قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُمُ﴾ الخ تأمل. قوله: (بالتوبة) الباء سببية وكذا فيما بعده. قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي موكلًا إليك

﴿وَكَيْلًا﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالإسراء ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ ﴿وَرَبُّكَ﴾ لهم ﴿أَدْعُوا

أمرهم، فتقسرهم على الإيمان، وإنما أرسلناك مبشراً ونذيراً، فدارهم ومر أصحابك بالتجمل منهم اهـ بياضوي.

قوله: (فتجبرهم) في المصباح وجبرت الرجل على الشيء من باب قتل، وأجبرته لغتان جيدتان اهـ. فيقرأ ما هنا بضم التاء وفتحها اهـ.

قوله: (وهذا) أي أمره بأن يأمر المؤمنين بأن يقولوا للكفار الكلام اللين، ويداروهم في الكلام قبل الأمر الخ أي: فهو منسوخ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣ والتحريم: ٩] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي بأحوالهم، فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء، وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبياً، وأن يكون العراة الجوع أصحابه اهـ بياضوي.

وقوله: يتيم أبي طالب عبر بهذه العبارة حكاية عن الكفار، وإلا فلا يجوز إطلاقها على النبي ﷺ، حتى أنه أفتى بعض المالكية بقتل قائلها كما في الشفاء، فكان ينبغي للمصنف تركها، والجوع بضم الجيم وتشديد الواو جمع جائع اهـ شهاب.

وفي هذه الباء قولان، أشهرهما: أنها تتعلق بأعلم كما تعلقت الباء بأعلم قبلها، ولا يلزم من ذلك تخصيص علمه ﴿بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقط. والثاني: أنها متعلقة بيعلم مقدراً قاله الفارسي محتجاً بأنه يلزم من ذلك تخصيص علمه بمن في السموات والأرض وهو وهم، لأنه لا يلزم من ذكر الشيء نفى الحكم عما عداه، وهذا هو الذي يقول الأصوليون إنه مفهوم اللقب، ولم يقل به إلا أبو بكر الدقاق في طائفة قليلة، والأصح خلافه، فالجمهور على أن اللقب لا يحتج به اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي بالفضائل النفسانية والتبرىء عن العلائق الجسمانية، لا بكثرة الأموال والأتباع، حتى داود عليه السلام فإن شرفه بما أوحى إليه من الكتاب لا بما أوتي من الملك، وقيل: هو إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ تنبيه على وجه تفضيله، وهو أنه خاتم الأنبياء عليهم السلام، وأمه خير الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور من أن الأرض يرثها عبادي الصالحون اهـ بياضوي.

قوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ وهو كتاب أنزل على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة، أطولها قدر ربع من القرآن، وأقصرها قدر سورة إذا جاء نصر الله، وكلها دعاء الله وتحميد ليس فيها حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام، وإنما خص كتاب داود بالذكر، لأن اليهود زعمت أنه لا نبي بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة، فكذبهم الله بقوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾، والمعنى أنهم لم ينكروا فضل النبيين، فكيف ينكرون فضل محمد وإعطاءه القرآن اهـ خازن.

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آلَهِةٌ ﴿مِنْ دُونِي﴾ كَالْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَعَزِيرٌ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جَبْرًا﴾ ﴿٥٦﴾ لَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هُمُ آلَهِةٌ ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يَطْلُبُونَ ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾ القربة بالطاعة ﴿أَبْتِهِمْ﴾ بدل من واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ

وفي أبي السعود: تعريف الزبور تارة وتنكيره أخرى، إما لأنه في الأصل فعول بمعنى المفعول كالملوب، أو مصدر بمعناه كالقبور، وإما لأن المراد إيتاء داود زبوراً من الزبور فيه ذكره ﷺ اهـ.

قوله: ﴿الذين زعتم﴾ مفعولاً الزعم محذوفات لفهم المعنى، أي زعتموهم آلَهِة فحذفها اختصاراً جائز واقتصاراً فيه خلاف اهـ سمين.

وقدرهما الشارح بقوله: (أنهم آلَهِة) اهـ.

قوله: ﴿من دونه﴾ فيه تقديم وتأخير تقديره: قل ادعوا الذي من دون الله زعتم أنهم شركاء، فلا يرد السؤال كيف قال من دونه مع أن المشركين ما زعموا غير الله إلهاً دون الله، بل مع الله على وجه الشركة اهـ كرخي.

قوله: (كالملائكة) أي كطائفة منهم، أي: وكطائفة من الجن وكمریم وليس المراد بالآلهة هنا ما يشمل الأصنام، بل خصوص من له عقل لأجل قوله: ﴿فيما يأتي أولئك الذين يدعون﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلا يملكون﴾ أي لا يستطيعون.

قوله: ﴿أولئك الذين﴾ أولئك: مبتدأ واقع على الذين زعموهم آلَهِة من العقلاء، والمخير قوله: ﴿يبتغون﴾ وما عطف عليه من قوله: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ والذين بدل من أولئك أو عطف بيان عليه، فهو واقع على المعبودين، والواو في يدعون واقعة في العابدين، فليست عائد الموصول بل هو محذوف كما قدره الشارح اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ أولئك مبتدأ وفي خبره وجهان، أظهرهما: أنه الجملة من يبتغون والموصول نعت أو بيان أو بدل، والمراد باسم الإشارة الأنبياء الذين عبدوا من دون الله، والمراد بالواو العباد لهم، ويكون العائد على الذين محذوفاً، والمعنى أولئك الأنبياء الذين يدعونهم المشركون لكشف ضرهم أو يدعونهم آلَهِة بمفعولها أو مفعولاً لها محذوفان، ويجوز أن يكون المراد بالواو ما أريد بأولئك أي: أولئك الأنبياء الذين يدعون ربهم، أو الناس إلى الهدى يبتغون، فمفعول يبتغون محذوف. والثاني: أن الخبر نفس الموصول، ويبتغون على هذا حال من فاعل يدعون أو بدل منه اهـ.

والمعنى أن هؤلاء المعبودين لهم مفتقرون إلى الله وراجون رحمته وخائفون عذابه فلا يصلحون للألوهية لأن الإله يكون غنياً الغنى المطلق اهـ شيخنا.

قوله: (القربة بالطاعة) أي القرب بالطاعة. قوله: (بدل من واو يبتغون) أي: وأقرب خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة أي اهـ.

قوله: (الذي هو) ﴿أقرب﴾ (إليه) أي إلى مناجاته وهم الملائكة، وقوله: (فكيف بغيره) أي بغير

رَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿كَغَيْرِهِمْ فَكَيْفَ تَدْعُونَهُمْ آلِهَةً﴾ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ﴿وَلِنْ﴾ ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ ﴿مَكْتُوبًا﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ

الأقرب كعيسى، وقوله: ﴿ويرجون رحمته﴾ أي الجنة. قوله: (فكيف يدعونهم آلهة) أي والإله لا يكون محتاجاً أهـ.

قوله: ﴿كان محذوراً﴾ أي حقيقاً بأن يحذره أي: يخافه كل أحد حتى الرسل والملائكة أهـ
بيضاوي.

قوله: ﴿وإن من قرية﴾ من زائدة في المبتدأ أي: قرية طائعة أو عاصية، ثم قسمها بقوله: ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أي الطائفة، وقوله: ﴿أو معذبوها﴾ أي العاصية أهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ (بالموت) أي فإن الهلاك قد يستعمل في الموت كقوله: (إن امرؤ هلك) أي مات، فحمل الأهلاك على الإمامة من غير تسليط أحد على الميت أخذاً من المقابلة، وقال الزجاج: أي ما من قرية إلا وستهلك إما بموت وإما بعذاب، وقال مقاتل: أما المؤمنة الصالحة فبالموت، وأما الصالحة فبالعذاب أهـ زاده.

قوله: ﴿وما منعنا أن نرسل﴾ الخ سبب نزول هذه الآية أنهم قالوا للنبي: أقلب لنا الصفا ذهباً وسير لنا هذه الجبال عن مكة لتزرع مكانها، فإن فعلت آمنا بك، فسأل الله سبحانه وتعالى في ذلك فقال له: نفعل ذلك لكن إن لم يؤمنوا أهلكتناهم، لأن هذه عادتنا في الأمم الماضية، ونحن لا نريد إهلاكهم، لأن بعضهم سيؤمن وبعضهم سيلد من يؤمن، وسينصرك من يؤمن منهم فيتم أمرك ويظهر أهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿وما منعنا﴾ الخ أي ما السبب في ترك الإتيان بها إلا أن كذب بها الأولون أي: إلا طريقة تكذيب الأولين، وهي أهلكنا لمن كذب بعد أن نأتيه بما اقترح فلم يؤمن أهـ شيخنا.

وفي زاده: أي: وما منعنا أن نرسل بها إلا علمنا بأن الآخرين يكذبون بها كما كذب بها الأولون، فيستوجبون عذاب الاستئصال على ما جرت به السنة الإلهية أهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ أن الأولى وما حيزها في محل نصب أو جر على اختلاف القولين، لأنها على حذف الجار أي من أن نرسل، والثانية وما في حيزها في محل رفع بالفاعلية أي: ما منعنا من إرسال الرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين، أي: لو أرسلنا الآيات المقترحة لقريش لأهلكوا عند تكذيبهم كعادة من قبلهم، لكن علم الله تعالى أنه يؤمن بعضهم ويلد بعضهم من يؤمن، فلذلك لم يرسل الله الآيات لهذه المصلحة. وقدر أبو البقاء مضافاً قبل الفاعل، فقال: تقديره إلا إهلاك التكذيب كأنه يعني أن التكذيب نفسه لم يمنع من ذلك، وإنما منع منه ما يترتب على التكذيب وهو الإهلاك، ولا حاجة إلى ذلك لاستقامة المعنى بدونه أهـ.

وعبار الكرخي: والمنع هنا مجاز عن الترك، كأنه قال: وما كان سبب ترك الإرسال بالآيات إلا

بِالْآيَاتِ ﴿الَّتِي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك وقد حكمنا بامهالهم لإتمام أمر محمد ﴿وَأَنَّا نُمَوِّدُ الْفَالِقَ﴾ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة واضحة ﴿فَطْلَمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعبادة فيؤمنوا ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ

تكذيب الأولين، فلا يرد كيف قال: ﴿وما منعنا﴾ الخ، مع أنه تعالى لا يمنعه عن إرادته مانع أي لأنه محال في حقه اهـ.

قوله: ﴿بِالْآيَاتِ﴾ الباء زائدة كما يشير إليه قوله: (لما أرسلناها) أو للملابسة، والمفعول محذوف أي: وما منعنا أن نرسل نبياً حاله كونه ملتبساً بالآيات اهـ.

وقوله: (التي اقترحها الخ) كقلب الصفا ذهباً وإزالة الجبال عن مكة ليزرعوا مكانها اهـ شيخنا.

قوله: (آية) أي معجزة مبصرة بكسر الصاد باتفاق السبعة والإسناد مجازي أي: يبصرونها خارجة من الصخرة، وقرئ شاذاً بفتح الصاد، وهي ظاهرة، وقول الشارح بينة واضحة يشير به إلى التجوز في الإسناد اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿مُبْصِرَةً﴾ حال وهو إسناد مجازي، إذ المراد إبصار أهلها، ولكنها لما كانت سبباً في الإبصار نسب إليها اهـ.

والظاهر أن المراد الإبصار المعنوي، وهو الاهتداء بها والتوصل بها إلى تصديق نبيه، وعلى هذا تظهر السببية فإن وجودها سبب في هذا المعنى وأما حمل الإبصار على الحسي فلا تظهر فيه السببية إذ لا يقال إنها سبب في إبصار الناس لها، فليتأمل. ثم رأيت في الكرخي ما نصه: قوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ حال أي ذات إبصار، وإضافة الإبصار إليها مجاز لما كانت يبصر بها الناس رشدهم، ويستدلون على صدق الرسول، فإن قلت: ما وجه ارتباط هذا بما قبله؟ فالجواب: أنه لما أخبر بأن الأولين كذبوا بالآيات المقترحة عين منها ناقة صالح، لأن آثار ديارهم الهالكة باقية في ديار العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم اهـ.

قوله: ﴿وما نرسل بالآيات﴾ أي المقترحة إلا تخويفاً من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل، أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن إلا تخويفاً بعذاب الآخرة، فإن أمر من بعث إليهم مؤخر إلى يوم القيامة، والباء مزيدة، أو في موضع الحال والمفعول محذوف اهـ بيضاوي.

أي ما نرسل نبياً ملتبساً بالآيات فتكون الباء للملابسة على الثاني اهـ شهاب.

قوله: ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (للعباد فيؤمنوا) فيه إشارة إلى جواب عن سؤال هو أن هذا يدل على الإرسال بالآيات، وقوله قبل: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ يدل على عدمه. وإيضاح ذلك أن المراد بالآيات هنا العبر والدلالات وفيما قبله الآيات المقترحة، وقوله: ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ يجوز أن يكون مفعولاً له، وأن يكون مصدرأ في موضع الحال إما من الفاعل أي: مخوفين، أو من المفعول أي مخوفاً بها، وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أي واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته، أو

يَالنَّاسِ ﴿﴾ علماً وقدرة فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف أحداً فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا
الَّتِي أَرَيْنَاكَ ﴿﴾ عياناً ليلة الإسراء ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم
بها ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا
النار تحرق الشجر فكيف تنبته ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ
لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا﴾ ﴿نَصَبَ بَنَزَرَ﴾ الخافض أي من طين ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ بِكَ﴾ أي أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي

أحاط بقريش بمعنى أهلكهم من أحاط بهم العود، فهو بشارة بوقعة بدر، والتعبير بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه اهـ بضاوي.

قوله: (فهو يعصمك منهم) أي من قتلهم لك دون غيره من الأذى، لأنه قد وقع كثيراً اهـ شيخنا.
قوله: ﴿التي أريناك﴾ (عياناً) أي يقظة بعيني رأسه. أي: فالمراد بالرؤيا بالألف الرؤية بالياء،
وهي البصرية، وإن كان هذا الاستعمال قليلاً، إذ الكثير في التي بالألف هي الحلمية اهـ شيخنا.
وعبارة الكرخي: ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾ المعراج، وعلى اليقظة فهي بمعنى الرؤية فتسميتها رؤيا
لوقوعها بالليل وسرعة تقضيها كأنه منام اهـ.

قوله: ﴿والشجرة﴾ أي وما جعلنا الشجرة فهي معطوفة على الرؤيا، وقوله: ﴿الملعونة﴾ أي
المؤذية أو المذمومة، فنعته بذلك مجاز، لأن العرب تقول لكل طعام ضار إنه ملعون، أو المراد
الملعون طاعموها، لأن الشجرة لا ذنب لها. وقيل: بل هو على الحقيقة ولعنها إبعادها من رحمة الله،
لأنها تخرج في أصل الجحيم اهـ كرخي.

قوله: (وهي الزقوم) وهي أخبث الشجر المر، وهي تنبت بتهامة وتنبت في الآخرة بأصل الجحيم
أي قعرها، وتكون طعام أهل النار اهـ شيخنا.

قوله: (إذ قالوا النار تحرق النخ) أي فنسبوا لله العجز عن خلق شجرة في النار، وهو قادر على
أكثر منه، ويقويه أن النعامة تبتلع الجمر والحديد المحمى بالنار ولا يحرقها، وأن طير السمندل يتخذ
من وبره مناديل، فإذا اتسخت ألقيت في النار فيزول وسخها وتبقى بحالها اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: إذ قالوا النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟ أي: فكيف تنبت فيها شجرة رطبة،
غافلين عن قدرة حافظ وبر السمندل في النار. والسمندل: دوية ببلاد الترك يتخذ من وبرها مناديل إذا
اتسخت طرحت في النار، فيذهب الوسخ ويبقى المنديل سالماً لا تعمل فيه النار قاله في الكشف اهـ.

قوله: ﴿ونخوفهم بها﴾ عبارة أبي السعود: ونخوفهم بها وينظائرهما من الآيات، فإن الكل
للتخويف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار اهـ.

قوله: (نصب بنزع الخافض) عبارة السمين: قوله ﴿طيناً﴾ فيه أوجه. أحدهما: أنه حال من من،
والعامل فيها أسجد أو من عائد هذا الموصول أي خلخته طيناً، فالعامل فيها خلقت، وجاز وقوع طيناً

كَرَّمْتُ ﴿عَلَى﴾ بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتني من نار ﴿لَيْنَ﴾ لام قسم

حالاً، وإن كان جامداً لدلالته على الاصاله، كأنه قال متأسلاً من طين. الثاني: أنه منصوب على إسقاط الخافض أي: من طين كما صرح به في الآية الأخرى، وخلقته من طين. الثالث: أن ينصب على التمييز؛ قاله الزجاج وتبعه ابن عطية، ولا يظهر ذلك إذا لم يتقدم إبهام ذات ولا نسبة اهـ.

قوله: ﴿هذا الذي﴾ هذا مفعول أول، والذي بدل منه أو صفة له، وكرمت صلة الموصول، والمفعول الثاني محذوف تقديره لم كرمته عليّ ولم يجبه عن هذا السؤال إهمالاً له وتحقيراً حيث اعترض على مولاه، وسأله بلم اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿أرايتك﴾ الخ الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الإعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته، والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه أي: أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته علي. وقيل: الكاف هي المفعول الأول، وهذا مبتدأ حذف منه حرف الاستفهام، والموصول مع صلته خبره والجملة هي المفعول الثاني، ومقصوده الاستصغار والاستحقار أي: أخبرني أهذا من كرمته عليه اهـ.

وفي البخاري: عن أسماء قالت: جاءت امرأة للنبي ﷺ فقالت: أرايت إحدانا تحيض في الثوب كيف تصنع؟ الحديث. وفي القسطلاني عليه أطلقت الرؤية وأرادت الإخبار لأنها سببه أي: أخبرني والاستفهام بمعنى الأمر بجامع الطلب اهـ.

وبهامشه بخط أبي العز العجمي ما نصه: حاصله كما في الكرمانى أن فيه تجوزين إطلاق الرؤية وإرادة الإخبار، وجعل الاستفهام بمعنى الأمر اهـ.

فاستعمال الرؤية بمعنى الإخبار لأنها سببه فهو مجاز مرسل من إطلاق اسم السبب وإرادة المسبب، وقوله (أي أخبرني) تفسير للمعنى المراد من الاستفهام، وقوله الاستفهام اسم السبب وإرادة المسبب، وقوله أي أخبرني تفسير للمعنى المراد من الاستفهام، وقوله الاستفهام بمعنى الأمر تفسير للمعنى الحاصل من جملة التركيب، وبهذا يندفع ما قد يتوهم من أن في عبارته تخلفاً، فإن قوله أطلقت الرؤية وأرادت الإخبار يفيد أنه من المجاز المرسل، وقوله والاستفهام معنى الأمر يفيد أنه استعارة، ووجه الدفع ما تقدمت الإشارة إليه من أن الأول في جزء من المركب، والثاني في جملته اهـ.

وفي السمين: قال أبو حيان: ولو ذهب إلى أن الجملة القسمية هي المفعول الثاني لكان حسناً. قلت: يرد ذلك التزام كون المفعول الثاني جملة مشتملة على استفهام، وقد تقرر جميع ذلك في الأنعام، فعليك باعتباره هنا اهـ.

قوله: ﴿لئن أخرتن﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم، وجوابه لأحتنكن ذريته إلا قليلاً أي لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلاً لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلاً مأخوذ من الحنك. وقيل: معنى لأحتنكن لأسوقنهم وأقودنهم حيث شئت من حنك الدابة إذا جعل الرسن في حنكها اهـ بياضوي وشهاب.

وفي المختار: حنك الفرس جعل في فيه الرسن، وبابه نصر وضرب، وكذا احتنكه، واحتنك

﴿أَخْرَجْنِي إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لِأَحْتَنِكَ﴾ لاستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم ممن عصمته ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿أَذْهَبْ﴾ منظراً إلى وقت النفخة الأولى ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُهُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ وافرأ كاملاً ﴿وَأَسْتَفِزُّ﴾ استخف ﴿مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ يَصْوتُكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى معصية ﴿وَأَجَلِبْ﴾ صح ﴿عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ وهم

الجراد الأرض أكل ما عليها وأتى على نبتها، وقوله تعالى حاكياً عن إبليس: ﴿لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ قال الفراء: لأستولين عليهم، والحنك المنقار يقال: أسود مثل حنك الغراب، وأسود حانك مثل حالك، والحنك ما تحت الذقن من الإنسان وغيره اهـ.

قوله أيضاً: ﴿لئن أخرتن﴾ قرأ ابن كثير بإثبات ياء المتكلم وصلاً ووقفاً، ونافع، وأبو عمرو بإثباتها وصلاً وحذفها وقفاً. وهذه قاعدة من ذكر في الياءات والزوائد على الرسم، والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً. هذا كله في حرف هذه السورة، أما الذي في المنافقون في قوله: ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾ [المنافقون: ١٠] فالياء ثابتة للكل لثبوتها في الرسم الكريم اهـ سمين.

قوله: (ممن عصمته) أي عصمة واجبة كالأنبياء، أو جائزة كصلحاء الأمة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قَالَ﴾ (تعالى له) ﴿أَذْهَبْ﴾ الخ أمره بأوامر خمسة القصد بها التهديد والاستدراج لا التكليف، لأنها كلها معاص، والله لا يأمر بها اهـ شيخنا.

قوله: (إلى وقت النفخة الأولى) مع أن غرضه الإمهال والإنظار إلى النفخة الثانية، وغرضه بذلك وطلب أن لا يموت أصلاً، لأنه يعلم أنه لا يموت بعد النفخة الثانية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ غلب المخاطب الذي هو اللعين، لأنه سبب في الإغواء فمن تبعه مذكور في ضمن هذا الخطاب، وهذا كاف في الربط اهـ شيخنا.


وفي السمين: يجوز أن يكون الخطاب للتغليب، لأنه تقدم غائب ومخاطب في قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ فغلب المخاطب، ويجوز أن يكون مراداً به من خاصة، ويكون ذلك على سبيل الالتفات اهـ.

قوله: ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بالمصدر قبله، فهذا مصدر قد انتصب بالمصدر، وقوله: ﴿مَوْفُورًا﴾ اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل، كما أشار له الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ﴾ مفعول استطعت محذوف أي: من استطعت أن تستفزه اهـ شيخنا.

قوله: (وكل داع) أي سبب إلى المعصية. قوله: (صح عليهم) أي سقهم، وحاصله؛ تصرف فيهم بكل ما تقدر. والأمر للتهديد كما يقال: اجتهد جهلك فستري ما ينزل بك اهـ كرخي.

قوله: ﴿بِخَيْلِكَ﴾ الباء للملابسة أي صح وصوت عليهم حال كونك ملتبساً ومصحوباً بجندوك الركاب والمشاة، والخيل تطلق على النوع المعروف وعلى الراكبين لها، والمراد هنا الثاني كما أشار له الشارح، وقوله: ﴿وَرَجْلِكَ﴾ اسم جمع لراجل بمعنى الماشي، كصحب اسم جمع لصاحب، وقرئ في السبعة ورجلك بكسر الجيم، وهو مفرد بمعنى الجمع فهو بمعنى المشاة اهـ شيخنا.

الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ من الزنا ﴿وَعَدَهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾  باطلاً ﴿إِنَّ

وفي البضاوي: والخيل الخيالة، ومنه قوله ﷺ: «يا خيل الله اركبي» اهـ.

وما ذكر من أن الباء للملابسة بعيد من حيث المعنى المراد كما تدل عليه عبارة اللغويين واللاتق بها أن تكون زائدة. وقد نص الشهاب على زيادتها حيث قال: وقيل: معنى أجلب أجمع، والباء زائدة أي أجلب عليهم خيلك اهـ.

وفي المختار: وجلب على فرسه يجلب جلباً يوزن طلب يطلب طلباً صاح به من خلفه واستحثه للسبق، وكذا أجلب عليه اهـ.

وهذا يقتضي زيادة الباء، ويكون المعنى عليه وحث وأسرع عليهم جندك خيلاً ومشاة لتدركهم وتتمكن منهم فلي تأمل. قوله: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فإبليس إذا تسبب في الربا وغيره بالحمل عليه كان المال الذي يتحصل من الحرام نصيبه، فيخلطه الإنسان بماله فيصير الشيطان شريكاً له، وكذا يقال في قوله ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة البضاوي: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ أي بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي، والأولاد بالحث على التوصل إلى الولد بالسبب المحرم والإشراك فيه بتسميته عبد العزى، والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة، كشفاة الآلهة، والاتكال على كرامة الآباء، وتأخير التوبة لطول الأمل، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً اعتراض لبيان مواعده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم الصواب اهـ.

قوله: ﴿وَعَدَهُمْ﴾ أي أحملهم على اعتقاد أن لا بعث. قوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي إلا وعداً غروراً أي باطلاً، وفيه إظهار في مقام الإضمار والالتفات عن الخطاب إلى الغيبة، وكان مقتضى الظاهر أن يقال في ما تعدهم إلا غروراً اهـ شيخنا. وغروراً فيه أوجه.

أحدها: أنه نعت مصدر محذوف وهو نفسه مصدر، والأصل إلا وعداً غروراً فيجيء فيه ما قيل في زيد عدل أي: إلا وعداً ذا غرور أو على المبالغة، أو إلا وعداً غاراً ونسبة الغرور إليه مجاز.

الثاني: أنه مفعول من أجله أي ما يعدهم من الأمانى الكاذبة إلا لأجل الغرور.

الثالث: أنه مفعول به على الاتساع أي ما يعدهم إلا الغرور نفسه، والجملة اعتراض فإنه وقع بين الجمل التي خاطب الله بها الشيطان اهـ كرخي.

فائدة:

ذكر الياضي عن الشاذلي أن مما يعين على دفع وسوسة الشيطان أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب، وتقول: سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال سبع مرات، ثم تقرأ قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وما ذلك على الله بعزيز ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ [١٩] اهـ شيخنا.

عِبَادِي ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكُفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿١٥﴾ حافظاً لهم منك ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي﴾ يجرى ﴿لَكُمْ الْفُلُكُ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِي﴾ تعالى بالتجارة ﴿إِنَّكُمْ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿١٦﴾ في تسخيرها لكم ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ الشدة ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ تعالى

قوله: ﴿وكفى بربك وكيلًا﴾ الباء زائدة في الفاعل . قوله: (حافظاً لهم منك) أي إن الشيطان وإن كان قادراً على الوسوسة بتمكين الله تعالى له، فإن الله تعالى أقدر منه وأرحم بعباده، فهو يدفع عنهم كيد الشيطان. وهذه الآية تدل على أن المعصوم من عصمه الله، وأن الإنسان لا يمكنه أن يحترز بنفسه عن مواقع الضلال، لأنه لو كان الإقدام على الحق والإحجام عن الباطل إنما يحصل للإنسان من نفسه، لوجب أن يقال: وكفى بالإنسان نفسه في الاحتراز عن الشيطان، فلما لم يقل ذلك بل قال: ﴿وكفى بربك وكيلًا﴾ علمنا أن الكل من الله، ولهذا قال المحققون: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بقوته اهـ كرخي.

قوله: ﴿ربكم الذي يزجي لكم﴾ الخ تعليل لكفايته وبيان لقدرته على عصمة من توكل عليه في أموره اهـ زاده.

وهذا شروع في تذكير بعض النعم عليهم حملاً لهم على الإيمان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يزجي لكم الفلك﴾ في القاموس: زجاه ساقه ودفعه كزجاه وأزجاه اهـ.

وفي المختار: الفلك السفينة واحد وجمع يذكر ويؤنث. قال الله تعالى: ﴿في الفلك المشحون﴾ [الشعراء: ١١٩] فأفرد وذكر، وقال: ﴿والفلك التي تجري في البحر﴾ [البقرة: ١٦٤] فأنث. ويحتمل الإفراد والجمع، وقال: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ [يونس: ٢٢] فجمع فكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب، فيذكر وإلى السفينة فيؤنث اهـ.

قوله: ﴿لتبتغوا من فضله﴾ أي تبتغوا الريح وأنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم اهـ بيضاوي. ومن زائدة في المفعول اهـ.

قوله: ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ تعليل ثان لقوله يزجي. قوله: (خوف الغرق) أي من خوف الغرق أي من أجله.

قوله: ﴿ضل من تدعون﴾ أي ذهب عن خواطركم كل من تدعون في حوادثكم إلا إياه وحده، فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه، ولا تدعون لكشفه إلا إياه، وضل كل من تعبدون عن إعانتكم، ولو كان معكم في البحر إلا الله تعالى اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من تدعون﴾ إن كان المراد بمن جميع الآلهة فالاستثناء متصل، وإن كان المراد بها غيره تعالى فهو منقطع اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿إلا إياه﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه استثناء منقطع لأنه لم يندرج فيما ذكر، إذ المراد به آلهتهم. والثاني: أنه متصل لأنهم كانوا يلجؤون إلى آلهتهم، وإلى الله تعالى اهـ.

فإنكم تدعون وحده لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾ أَعْرَضْتُمْ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿٧٧﴾ جحوداً للنعم ﴿أَفَأَمْسَرْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ﴿٧٨﴾ حافظاً منه ﴿أَمْ أَمْسَرْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي البحر ﴿ثَانَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فللكم ﴿فَيُفْرَقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم

قوله: ﴿إلى البر﴾ متعلق بمحذوف كما قدره الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ تعليل لقوله: ﴿أعرضتم﴾ وترك فيه خطابهم تلطفاً بهم حيث لم يقل لهم وكنتم كفاراً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أفأمرتم﴾ استفهام توبيخ وتقريع والفاء عاطفة على مقدر أي: أنجوتهم من الغرق فأمرتم الخ اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿أن نخسف بكم﴾ إلى قوله: ﴿فنفرقكم﴾ جملة هذه الأفعال خمسة، وكلها تقرأ بالياء، ولا التفات حينئذ وبالتون التفاتاً عن الغيبة إلى التكلم، والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن نخسف بكم جانب البر﴾ أي نغوره بكم ونصيركم تحت الثرى أي: فأنتم وإن أمتتم من الإغراق الذي هو التغييب تحت الماء بالوصول إلى الشط، فلا تأمنوا من نظيره وهو الخسف الذي هو تغوير وتغييب تحت الثرى. وقوله: ﴿أو نرسل عليكم حاصباً﴾ أي ريحاً ترميكم بالحصباء، والحصباء: الحجارة الصغار واحدها حصبة كقصة، وقول الشارح أي نرميكم بالحصباء يقتضي تفسير الحاصب بالحصباء مع أنه ليس كذلك، إذ الحاصب كما في القاموس له معنيان: الريح التي ترمي بالحصباء، والسحاب الذي يرميه، فلو فسر الشارح الحاصب بالريح كما صنع غيره لكان أولى. وفي المصباح: وحصبته حصباً من باب ضرب، وفي لغة من باب قتل رميته بالحصباء اهـ.

قوله: (جانب البر) وجهان، أظهرهما: أنه مفعول به كقوله: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ [القصص: ٨١]. والثاني: أنه منصوب على الظرف، وبكم يجوز أن يكون حالاً أي مصحوباً بكم، وأن تكون الباء للسببية قيل: ولا يلزم من خسفه بسببهم أن يهلكوا. وأجيب: بأن المعنى جانب البر الذي أنتم فيه، فيلزم من خسفه هلاكهم، ولولا هذا التقدير لم يكن في التوعد به فائدة اهـ سمين.

قوله: (حافظاً منه) أي المذكور وهو أحد الأمرين.

قوله: ﴿أم أنتم﴾ يجوز أن تكون المتصلة أي أي الأمرين كائن، ويجوز أن تكون المنقطعة اهـ سمين.

قوله: ﴿ثارة أخرى﴾ بمعنى مرة وكرة، فهو مصدر، ويجمع على تيرة وتارات، وألفها يحتمل أن تكون عن واو أو عن ياء اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا قصفته﴾ أي كسرتة يقال: قصفه يقصفه من باب ضرب بضرب، وقوله (فتكسرت فللكم) أشار به إلى أن قوله: ﴿فنفرقكم﴾ معطوف على مقدر هو هذا اهـ شيخنا.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عَيْنًا يَدْعُو بِنَبَإٍ﴾ ناصراً أو تابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْمَائِدَةِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾

قوله: ﴿بما كفرتم﴾ يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون بمعنى الذي، والباء للسببية أي بسبب كفركم، أو بسبب الذي كفرتم به، ثم اتسع فيه فحذفت الباء، فوصل الفعل إلى الضمير، وإنما احتيج إلى ذلك لاختلاف المتعلق اهـ سمين.

وقول الشارح بكفركم أي بسبب كفركم نعمة الإنجاء. قوله: ﴿به تبيعاً﴾ يجوز في به أن يتعلق بتجدوا، وأن يتعلق بتبيعاً، وأن يتعلق بمحذوف، لأنه حال من تبيعاً، والتبيع المطالب بحق الملازم للطلب اهـ سمين.

والمعنى أننا فعل ما نفعل بكم، ثم لا تجدوا لكم أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً لكم وإدراكاً للثأر من جهتنا اهـ خازن.

وأشار الشارح إلى أن تبيعاً ضمن معنى ناصر ومعنى مطالب، فبالاعتبار الأول تعلق به علينا، وبالاعتبار الثاني تعلق به لفظ به وتكون على بمعنى اللام فكل من به وعلينا متعلق بتبيعاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ أي بأمور ذاتية كاعتدال الخلق وطهارتهم بعد الموت، وأمور عرضية كالعلم والنطق. وفي الخازن: قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه أنهم يأكلون بالأيدي، وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض وقال أيضاً بالعقل، وقيل: بالنطق والتمييز والخط والفهم، وقيل: باعتدال القامة وامتدادها، وقيل: بحسن الصورة، وقيل: الرجال باللحي والنساء بالدوائب، وقيل: بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيرهم لهم، وقيل: بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد، وقيل: بأن منهم خير أمة أخرجت للناس اهـ.

قوله: (ومنه) أي الغير طهارتهم بعد الموت، ومنه أيضاً كونه يتناول الطعام بيده لا بحنكه وغير ذلك اهـ شيخنا.

وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل، فإنه يتناوله برجله التي يطأ بها الأرض والقاذورات لا بيده اهـ أبو السعود.

أي لكونه من ذوات الأربع يده في حكم الرجل فلا كرامة في الأكل بها اهـ شهاب.

قوله: ﴿وحملناهم في البر والبحر﴾ أي على الدواب والسفن من حملته حملاً إذا جعلت له ما يركبه، أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء اهـ بيضاوي.

وقوله: (على الدواب) الخ فهو من حملته على كذا إذا أعطيته ما يركبه، وعليه فالمحمول عليه مقدر بقرينة المقام، أو المراد حملهم على البر والبحر بجعلهم قارين فيهما بواسطة أو دونها كما في السباحة في الماء اهـ شهاب.

وفي الخازن: ﴿وحملناهم في البر﴾ أي على الإبل والخيول والبغال والحمير، والبحر أي

كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا﴾ فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل

وحملناهم في البحر على السفن، وهذا من مؤكدات التكرمة، لأن الله تعالى سخر لهم هذه الأشياء ليستعينوا بها على مصالحهم اهـ.

قوله: ﴿من الطيبات﴾ أي المستلذات الحيوانية، كاللحم والسمن واللبن والنباتية كالثمار والحبوب اهـ شيخنا.

وقيل: إن جميع الأغذية إما نباتية وإما حيوانية، ولا يتغذى الإنسان إلا بأطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام، ولا يحصل هذا لغير الإنسان اهـ خازن.

قوله: ﴿وفضلناهم على كثير﴾ الخ اعلم ان الله تعالى قال في أول الآية: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾: وفي آخرها: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا﴾، فلا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل، والأقرب أن يقال إن الله تعالى كرم الإنسان على سائر الحيوان بأمور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة، ثم إنه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة، فالأول هو التكريم، والثاني هو التفضيل اهـ خازن.

قوله: (فمن بمعنى ما) أي فهي مستعملة في غير العقلاء، فكأنه قال: وفصلناهم على كثير من غير العقلاء، فعلى هذا يفهم التركيب أنهم لم يفضلوا على القليل من غير العقلاء، وهو غير صحيح، فعلى هذا يتعين جعل كثير بمعنى كل كما قاله بعضهم كالخازن، واستشهد له بقوله تعالى: ﴿يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ [الشعراء: ٢٢٣] إذ المراد بالأكثر الكل، وقوله: (أو على بابها) أي من استعمالها في العاقل، لكن مع تغليب على غيره، فالمراد بمن خلقنا جميع المخلوقات العقلاء وغيرهم، ويكون على هذا الخارج بالكثير هو القليل، والمراد به الملائكة، فكأنه قال: وفصلناهم على غير الملائكة، وقوله: وتشمل الملائكة أي لكن يخرجهم التقييد بالكثير، لكن على هذا لا يستقيم مع قوله، والمراد تفضيل الجنس أي جنس البشر، لأن التركيب على هذا لم يفد تفضيل جنس البشر على جنس الملك، بل أفاد عدم تفضيله عليه، ولذا قال البيضاوي: ولا يلزم من عدم تفضيله أي جنس البشر عدم تفضيل بعض أفراد اهـ.

وفي زاده عليه: يعني إن سلمنا أن قوله: ﴿وفضلناهم على كثير﴾ يدل على أن جنس بني آدم ليسوا مفضلين على جنس الملائكة، أو على الخواص منهم بناء على أن الكثير لم يعبر به عن الكل، ولكن اللازم منه أن لا يكون جميع أفراد بني آدم مفضلًا على ما ذكر لا ينافي أن يكون بعض الأفراد مفضلًا عليه اهـ.

وحينئذ لا يستقيم كلام السيوطي إلا بجعل الكثير بمعنى الكل على هذا الاحتمال أيضاً، ويدل عليه أيضاً كلام الخازن، فكأن الآية قالت: وفصلناهم على كل من خلقنا ليفيد التركيب تفضيل جنس البشر على جنس الملك، ويستقيم قول السيوطي، والمراد تفضيل الجنس الخ تأمل. قوله: (والمراد تفضيل الجنس) أي جنس البشر على أجناس غيره، كالملائكة، ولا يلزم أي في تفضيل جنس البشر على جنس الملك تفضيل أفراد أي جنس البشر أي: كل فرد منهم، إذ هم أي الملائكة أي جملتهم أي

الجنس ولا يلزم تفضيل أفرادهم إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ﴾ نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال يا صاحب الخير، يا صاحب الشر،

جنسهم أفضل من البشر غير الأنبياء لا أفرادهم إذ عوام البشر أي: صلحاؤهم كالصديق أفضل من عوام الملائكة، أي غير الرؤساء منهم على المعتمد من طريق التفضيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كل أناس﴾ في المصباح: الإنسان من الناس اسم جنس يقع على المذكر والمؤنث والواحد والجمع والأناس قيل: فعال بضم الفاء، لكن يجوز حذف الهمزة تخفيفاً غير قياس، فيبقى ناس اهـ.

فعلى هذا ناس وزنه عال، لأن الفاء التي هي الهمزة قد حذفت اهـ.

قوله: ﴿بإيمانهم﴾ قال الخطيب: ذكر في تفسير الإمام هنا أقوالاً:

أحدها: إيمانهم نبيهم روي ذلك مرفوعاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «فينادي يوم القيامة يا أمة إبراهيم، يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أمة محمد ﷺ فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ثم ينادى الأتباع يا أتباع نمرود، يا أتباع فرعون، يا أتباع فلان وفلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفر».

القول الثاني: إيمانهم كتابهم الذي أنزل عليهم فينادى في القيامة: يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل القرآن ماذا عملتم في كتابكم هل امتثلتم أوامرهم هل اجتنبتم نواهيه وهكذا.

القول الثالث: إيمانهم كتاب أعمالهم قال تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [يس: ١٢] فسمى الله تعالى هذا الكتاب إماماً اهـ.

وفي القرطبي: وقيل: بمذاهبهم فيدعون بمن كانوا يأتون به في الدنيا ويقلدونه، فيقال: يا حنفي، يا شافعي، يا معتزلي، يا قدرلي ونحو ذلك. وقال أبو هريرة: يدعى أهل الصدقة من باب الصدقة، وأهل الجهاد من باب الجهاد، الحديث بطوله.

وقال محمد بن كعب: بإيمانهم بأسمائهم وإمام جمع أم كخفاف جمع خف. قلت: وفي هذا القول نظر، فإن في الحديث الصحيح عن أبي عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذ جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء يوم القيامة، فيقال هذه غدره فلان ابن فلان» أخرجه مسلم والبخاري. فقوله هذه غدره فلان ابن فلان دليل على أن الناس يدعون في الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم، ويرد على من قال إنما يدعون بأسماء آبائهم، وعلى من قال إنما يدعون بأسماء أمهاتهم، لأن في ذلك سترأ على آبائهم اهـ.

ولذا قال الزمخشري ومن بدع التفسير أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون آبائهم، وأن الحكمة فيه رعاية حق عيسى، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا اهـ سمين.

قوله: (فيقال يا صاحب الخير الخ) على حذف مضاف صرح به غيره، أي: يا صاحب كتاب

وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أَوْقَى﴾ منهم ﴿كَتَبُوا بِيَمِينِهِ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتَيْلًا﴾ ﴿٧١﴾ قدرة قشرة النواة ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ أي الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق النجاة وقراءة الكتاب ﴿وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾ ﴿٧٢﴾ أبعد طريقاً عنه ونزل في ثقيف وقد سأله ﷺ أن يحرم واديهم وألحوا

الخير، يا صاحب كتاب الشر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَمَنْ أَوْقَى كتابه﴾ يجوز في من أن تكون شرطية، وأن تكون موصولة، ودخلت الفاء في الخبر لشبهه بالشرط، وحمل على لفظ من أولاد في قوله: ﴿أَوْقَى كتابه بيمينه﴾ فأفرد، وعلى المعنى ثانياً في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ فجمع اهـ سمين.

قوله: (قدرة قشرة النواة) صوابه قدر الخيط الذي في الحز الكائن فيه طولاً، إذ هذا هو الفتيل، وأما القشرة التي ذكرها فهي القطمير، وأما النقيير فهو الخيط الذي في النقرة التي في ظهرها، ففي النواة أمور ثلاثة: فتيل وقطمير ونقيير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ وهو الذي يعطى كتابه بشماله، فهذا فيه المقابل من حيث المعنى اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وهذا بعينه هو الذي أوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له، ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع أنه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة، وسورة الانشقاق للإيذان بالعلة الموجبة له، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢] بعد قوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠] وللرمز إلى علة حال الفريق الأول، وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب، وفي الآخر السبب، ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخرة تعويلاً على شهادة العقل كما في قوله: ﴿وَأَنْ يُمْسِكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَكَاشَفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ﴾ [الأنعام: ١٧] اهـ.

قوله: ﴿أَعْمَى﴾ (عن الحق) أي فالمراد العمى القلبي كما في البيضاوي، ونصه: ومن كان في هذه أعمى، فهو في الآخرة أعمى أيضاً. المعنى: ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة وأضل سبيلاً منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة اهـ.

قوله: (وقراءة الكتاب) أي فلا يقرؤه قراءة سرور، وإلا فهو يقرؤه فيغتم ويقول: يا ليتني لم أوت كتابه اهـ شيخنا.

قوله: (أبعد طريقاً عنه) أي عن طريق النجاة. قوله: (ونزل في ثقيف) وهم قبيلة يسكنون الطائف، وقوله: (أن يحرم واديهم) وهو: وج الذي من الطائف أي يجعله محرماً كحرم مكة. وعبرة البيضاوي: نزلت في ثقيف قالوا له: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصلاً نفتخر بها على العرب، لا نعشر، ولا نحشر، ولا نجبي في صلاتنا، وكل رباً لنا فهو لنا، وكل رباً علينا فهو موضوع عنا، وإن تمتعنا بالآلات سنة حتى نأخذ ما يهدي لها، فإذا أخذناه كسرناه وأسلمنا، وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة، فإن قالت العرب لم فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرني اهـ.

عليه ﴿وإن﴾ مخففة ﴿كادوا﴾ قاربوا ﴿لِيفْتَنُونَكَ﴾ يستنزلونك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْبٌ وَإِذَا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَا تَخْذُوكَ خِلَالًا﴾ ﴿وَلَوْلَا أَن نَّبْنِئَكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدْتَ﴾ قاربت ﴿تَرَكَنْ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾ ركونا ﴿قَلِيلًا﴾ لشدة احتيالههم وإلحاحهم وهو

وقوله (لا نعشر) بالبناء لمجهول أي لا يؤخذ منا عشر أموالنا الذي هو الزكاة، ولا نحشر بالبناء للمجهول أيضاً أي لا نساق إلى الجهاد أي: لا نكلف الجهاد ولا نجبي في صلاتنا بضم النون وفتح الجيم وكسر الباء الموحدة المشددة من التجبية، وهي وضع اليد على الركبتين أو على الأرض، والانكباب على الأرض فهو كناية عن عدم الركوع والسجود والمراد لا نصلي اهـ من الشهاب.

وفي زاده: انهم اشتروا أن لا يكون عليهم زكاة ولا جهاد ولا صلاة، وإن كل ربا يستحقونه على غيرهم فهو لهم كالعوائد التي لهم على الناس، وكل ربا يستحقه غيرهم عليهم بعد تمام السنة فهو موضوع عنهم اهـ.

وفي الخازن قال ابن عباس: قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال: «وما هن؟» قالوا: لا نجبي في الصلاة أي لا ننحني، ولا تكسر أصنامنا إلا بأيدينا، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها. فقال ﷺ: «لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجد، فأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم، وأما الطاغية يعني اللات والعزى فإني غير ممتعكم بها». قالوا: يا رسول الله إنا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل لهم: الله أمرني بذلك، فسكت النبي ﷺ وطمع القوم في سكوتهم أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله ﴿وإن كادوا﴾ أي هموا ﴿لِيفْتَنُونَكَ﴾ الخ وتقدم أن السورة مكية إلا ثمان آيات أولها هذه وآخرها سلطاناً نصيراً اهـ شيخنا.

قوله: (مخففة) أي واسمها ضمير الشأن، وأنه أي الشأن والقصة كادوا الخ اهـ شيخنا.

قوله: (يستنزلونك) أي يطلبون نزولك عن الذي أي عن الحكم الذي أوحيناه إليك من الأمر والنهي والوعد والوعيد بأن تحكم لهم بغيره، وهو تحريم واديهم الذي طلبوه اهـ.

وعبارة السمين: ضمن يفتنونك معنى يصرفونك، فلذا عدى بعن أي ليصرفونك بفتنتهم اهـ.

قوله: ﴿لتفتري علينا﴾ أي لتقول وتكذب علينا غيره أي: غير الذي أوحينا إليك. قوله: ﴿وإذا﴾ حرف جواب وجزاء يقدر بلو الشرطية كما فعل الشارح. وعبارة السمين: إذا حرف جواب وجزاء، ولهذا تقع أداة الشرط موقعها، وقوله: ﴿لا تخذوك﴾ جواب قسم محذوف تقديره والله لا تخذونك وهو مستقبل في المعنى، لأن إذا تقتضي الاستقبال إذ معناها المجازاة وهذا كقوله: ﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا﴾ [الروم: ٥١] أي ليظلوا اهـ.

وقوله: (لو فعلت ذلك) أي الافتراء.

قوله: ﴿شيئاً﴾ مفعول مطلق فهو بمعنى الركون كما ذكره الشارح اهـ.

وفي السمين: شيئاً منصوب على المصدر وصفته محذوفة أي شيئاً قليلاً من الركون اهـ.

صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب ﴿إِذَا﴾ لو ركنت ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿الْحَيَوَةِ﴾ وَضِعْفَ عذاب ﴿الْمَمَاتِ﴾ أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعاً منه ونزل لما قال له اليهود إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء

قوله: (وهو صريح الخ) أي النظم المذكور، وهو قوله: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ الخ صريح في أنه لم يركن أي باللائم، ولا قارب أي بمنطوق التركيب، وذلك لأن لولا حرف امتناع لوجود أي: تدل على امتناع جوابها لوجود شرطها، فقوله: ﴿أن ثبتناك﴾ في تأويل مبتدأ خبره محذوف وجوباً على القاعدة، وقوله: ﴿لقد كدت﴾ الخ جوابها، والمعنى ولولا تثبيتنا إياك موجود لقاربت الركون إليهم أي: امتنع قريك من الركون لوجود تثبيتنا إياك، فالتركيب يدل على امتناع القرب من الركون، وإذا امتنع القرب منه امتنع هو بالضرورة اهـ شيخنا.

وفي البضاوي: والمعنى أنك كنت على صدر الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة احتياليهم، لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلاً عن أن تركن إليهم، وهو صريح في أنه عليه السلام ما هم بإجابتهم مع قوة الدواعي إليها دليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه اهـ.

قوله: ﴿إِذَا﴾ (لو ركنت) كان الظاهر أن يقول إذ لو قاربت الركون لأن جواب لولا هو المقاربة اهـ شيخنا.

وفي المصباح: ركنت على زيد اعتمدت عليه، وفيه لغات، إحداها: من باب تعب وعليه قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ [هود: ١١٣]. والثانية: ركن ركوناً من قعد. والثالثة: ركن يركن بفتحيتين فيهما، وليست بالأصل، بل من تداخل اللغتين، لأن شرط باب فعل يفعل بفتحيتين أن يكون حلقي العين أو اللام اهـ.

قوله: (أي مثلي ما يعذب غيرك الخ) أي لأن خطأ الخطير خطير اهـ أبو السعود.

قوله: (مانعاً منه) أي من ضعف العذاب اهـ.

قوله: (لما قال له اليهود الخ) هذا مبني على أن هذه الآية مدنية. وفي الخازن: وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء، فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن كنت نبياً مثلهم، فأت الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله، فعكس النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه فيخرج، فأنزل الله تعالى هذه الآية والأرض هنا أرض المدينة، وقيل: الأرض أرض مكة والآية مكية، والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها، فكفهم الله تعالى عنه ﷺ، حتى أمره بالخروج فخرج بنفسه، وهذه أليق بالآية، لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية، وقيل: هم المشركون كلهم، وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهروا به عليه، فمنع الله رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوه اهـ.

﴿وَأِنْ﴾ مخففة ﴿كَادُوا لَيَسْتَفْزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا﴾ لو أخرجوك ﴿لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٦﴾ ثم يهلكون ﴿سُنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ أي كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا يَحْدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ تبديلاً ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمَاسِ﴾

قوله: (فالحق بالشام الخ) بفتح الحاء من باب علم على الأفصح ومصدره لاحقاً بفتح اللام والحاء اهـ شيخنا.

وفي المصباح: لحقته ولحقت به ألحق من باب تعب لاحقاً بالفتح أدركته، وألحقته بالألف مثله اهـ.

ولما قالت اليهود هذا القول وقع في نفسه ﷺ فخرج متوجهاً للشام حتى قطع مرحلة، فنزلت هذه الآية، فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة، وأجلي بنو النضير بعد زمن قليل اهـ بياضوي.

قوله: (وإن مخففة) أي واسمها ضمير الشأن، وقوله: ﴿ليستفزونك﴾ أي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإذا لا يلبثون﴾ قرأ العامة برفع الفعل بعد إذا ثابت النون وهي مرسومة في مصاحف العامة، ورفعه وعدم إعمال إذا فيه من وجهين. أحدهما: أنها توسطت بين المعطوف عليه، فقد عطف الفعل على الفعل، وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد، وخبر كاد واقع موقع الاسم، فيكون لا يلبثون عطفاً على قوله ﴿ليستفزونك﴾. الثاني: أنها متوسطة بين قسم محذوف وجوابه، فألغيت لذلك. والتقدير: والله إذا لا يلبثون، وقرأ أبي بحذف النون، فنصبه بإذا عند الجمهور، وبأن مضمرة بعدها عند غيرهم، وفي مصحف عبد الله لا يلبثوا بحذفها ووجه النصب أنه لم يجعل الفعل معطوفاً على ما تقدم ولا جواباً اهـ سمين.

قوله: (خلفك) قرأ الأخوان وابن عامر، وحفص خلافاً بكسر الخاء وألف بعد اللام، والباقيون بفتح الخاء وسكون اللام، والقراءتان بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ [التوبة: ٨١] والمعنى بعد خروجك وكثر إضافة قبل وبعد ونحوهما إلى أسماء الأعيان على حذف مضاف، فيقدر في قولك جاء زيد قبل عمرو. أي: قبل مجيئه، وقوله: ﴿قليلاً﴾ يجوز أن يكون صفة لمصدر أو لزمان محذوف أي إلا لبثاً قليلاً أو إلا زماناً قليلاً اهـ سمين.

قوله: (ثم يهلكون) قال القاريء الأولى قراءته بالبناء للمفعول اهـ.

قوله: ﴿سنة من قد أرسلنا﴾ أي سنتنا فيمن الخ بدليل ولا تجد لسنتنا اهـ شيخنا. وسنة فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن ينتصب على المصدر المؤكد أي سنّ الله ذلك سنة أو سنتنا ذلك سنة. الثاني: قال الفراء: إنه على إسقاط الخافض أي كسنة الله، وعلى هذا لا يوقف على قوله إلا قليلاً. الثالث: أن ينتصب على المفعول أي اتبع أنت سنة الخ اهـ سمين.

قوله: (أي كسنتنا فيهم) أي الرسل، وأشار بهذا إلى أن سنة منصوب بنزع الخافض كما صرح به السمين. أي: نفعل باليهود من إهلاكهم لو أخرجوك كسنتنا أي طريقتنا وعادتنا فيمن قد مضى من الرسل حيث نهلك من أخرجهم من ديارهم اهـ شيخنا.

أي من وقت زوالها ﴿إِلَى غَسَقِ آتِلٍ﴾ إقبال ظلمته أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار

قوله: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أصل هذه المادة أي ما تركب من الدال واللام والكاف يدل على التحول والانتقال، ومنه الدلك فإن الدلاك لا تستقر يده، ومنه دلوك الشمس ففي الزوال انتقال من وسط السماء إلى ما يليه، وكذا كل ما تركب من الدال واللام يقطع النظر عن آخره يدل على ذلك كدلج بالجيم من الدلجة وهي سير الليل والانتقال فيه من مكان إلى آخر، ودلج بالحاء المهملة إذا مشى مشياً متثاقلاً، ودلج بالعين المهملة إذا أخرج لسانه، ودلف بالفاء إذا مشى مشي المقيد أو بالقف لإخراج المائع من مقره، ودله إذا ذهب عقله ففيه انتقال معنوي اهـ من البضاوي والشهاب.

وفي المصباح: دلكت الشيء دلكاءً من باب قتل مرسته بيدك، ودلكت النعل بالأرض مسحتها بها ودلكت الشمس والنجوم دلوكاً من باب قعد زالت عن الاستواء، ويستعمل في الغروب أيضاً اهـ.

قوله: (أي من وقت زوالها) أشار بهذا إلى أن اللام بمعنى من الابتدائية أي: التي لا ابتداء الغاية، وأن في الكلام حذف مضاف، وأن الدلوك بمعنى الزوال أي: الميل عن وسط السماء اهـ شيخنا.

وفي السمين: في هذه اللام وجهان، أحدهما: أنها بمعنى بعد أي بعد دلوك الشمس، ومثله قوله كتبت ثلاث خلون. والثاني: أنها على بابها أي: لأجل دلوك. قال الواحدي: لأنها إنما تجب بزوال الشمس. والدلوك مصدر دلكت الشمس، وفيه ثلاثة أقوال، أشهرها: أنه الزوال وهو نصف النهار. والثاني: أنه من الزوال إلى الغروب. قال الزمخشري: واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها. قلت: وهذا يفهم أنه ليس بمصدر لأنه جعله مشتقاً من المصدر. والثالث: أنه الغروب، قال الراغب: دلوك الشمس ميلها للغروب اهـ.

قوله: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ في هذا الجار وجهان، أحدهما: أنه متعلق بأقم لانتهاء غاية الإقامة، وكذلك اللام في لدلوك متعلقة به أيضاً. والثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من الصلاة أي: أقمها ممدودة إلى غسق الليل قاله أبو البقاء وفيه نظر من حيث إنه قدر المتعلق كوناً مقيداً إلا أن يريد تفسير المعنى لا الإعراب، والغسق دخول أول الليل قاله ابن شميل، وقيل: هو سواد الليل وظلمته، وأصله من السيلان يقال: غسقت العين أي سال دمعها، فكأن الظلمة تنصب على العالم وتسيل عليهم، ويقال غسقت العين امتلأت دمعاً، وغسق الجرح امتلأ دمًا، فكأن الظلمة ملأت الوجود. والغاسق في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ [الفلق: ٣] قيل المراد به القمر إذا كسف واسود؛ وقيل: الليل. والغساق بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار، ويقال: غسق الليل وأغسق وظلم وأظلم ودجى وأدجى وغبش وأغبش نقله الفراء اهـ سمين.

قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه عطف على الصلاة أي وأقم قرآن الفجر، والمراد به صلاة الصبح عبر عنها ببعض أركانها. والثاني: أنه منصوب على الإغراء أي: وعليك قرآن الفجر كذا قدره الأخفش، وتبعه أبو البقاء، وأصول البصريين تأبى هذا لأن أسماء الأفعال لا تعمل مضمرة. الثالث: أنه منصوب بإضمار فعل أي: أقم قرآن أو الزم قرآن الفجر اهـ سمين.

قوله: (تشهده) أي تحضره ملائكة الليل أي: الكاتبون والحفظة كما قال الشهاب: فالملائكة

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصل ﴿يَهْدُ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على

تتعاقب على ابن آدم في صلاة الصبح وصلاة العصر كما هو مشهور اهـ شيخنا .

قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ في من هذه وجهان، أحدهما: أنها متعلقة بتهجد أي تهجد بالقرآن بعض الليل. والثاني: أنها متعلقة بمحذوف تقديره وقم قومة من الليل فتهجد، أو واسهر من الليل فتهجد، ذكرهما الحوفي. وكون من بمعنى بعض لا يقتضي اسميتها بدليل أن واو مع اسماً بالإجماع، وإن كانت بمعنى اسم صريح وهو مع، والضمير في به الظاهر عوده على القرآن من حيث هو لا يقيد إضافته إلى الفجر، والثاني أنه يعود على الوقت المقدر أي وقم وقتاً من الليل فتهجد بذلك الوقت، فتكون الباء بمعنى في اهـ سمين. ولو قال من بمعنى في لكان أوضح.

وفي زاده: ومن الليل متعلق بتهجد أي تهجد بالقرآن بعض الليل، والأظهر أن يكون متعلقاً بمحذوف عطف عليه فتهجد أي قم من الليل أي في بعض الليل فتهجد بالقرآن، والمعروف في كلام العرب أن الهجود عبارة عن النوم بالليل يقال: هجد فلان إذا نام بالليل، ثم لما رأينا في عرف الشرع أنه يقال لمن انتبه بالليل من نومه وقام إلى الصلاة إنه متهجد وجب أن يقال سمي ذلك متهجداً من حيث إنه ألقى الهجود اهـ.

وفي السمين: والتهجد ترك الهجود وهو النوم، وتفعّل يأتي للسلب، نحو تخرج وتأثم، وفي الحديث كان يتحنث بغار حراء. وفي الهجود خلاف بين أهل اللغة فقليل: هو النوم، وقيل: الهجود مشترك بين القائم والمصلي. قال ابن الأعرابي: تهجد صلى من الليل وتهجد نام وهو قول أبي عبيد والليث اهـ.

قوله: (فصل) يشير به إلى أن نافلة مفعول به لتهجد، ويصح أن يكون مفعولاً مطلقاً، والمعنى فتتفل نافلة، والنافلة مصدر كالعافية والعاقبة، ويصح أن يكون حالاً، والمعنى فصل حال كون الصلاة نافلة اهـ من السمين.

قوله: (بالقرآن) أي المذكور في قوله: ﴿وَقَرَّانَ الْفَجْرِ﴾، لكنه ذكر أولاً بمعنى صلاة الصبح، وأعيد عليه الضمير بمعنى القرآن المشهود، ففي الكلام استخدام كما في الكرخي.

قوله: (فريضة زائدة لك دون أمتك) هذا التفسير مبني على أن قيام الليل كان واجباً في حقه دون أمته، وهو نافلة في المعنى اللغوي، وهو الزيادة لأنه زائد على الصلوات الخمس، وإن كان في حد ذاته فرضاً عليه، وقوله: (أو فضيلة) أي فضيلة مندوبة زائدة على الصلوات الخمس، وهذا مبني على أن قيام الليل كان مندوباً في حقه ﷺ، كما هو كذلك في حق أمته. والقولان مقرران في كتب الفروع، وقد صرح بهما هنا الخازن، وأشار إليهما الشارح في التقرير كما عرفت. قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ الخ اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله تدخل فيما هو قطعي الوقوع، لأن لفظ عسى يفيد الإطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً عليه، والله أكرم من أن يطمع أحداً ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه اهـ زاده.

وفي نصب مقاماً أربعة أوجه، أحدها: أنه منصوب على الظرف أي يبعثك في مقام. الثاني: أن

الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا تَحْمُودًا﴾ ﴿يَحْمَدُكَ﴾ فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء، ونزل لما أمر بالهجرة ﴿وَقُلْ رَبِّ

يَنْتَصِبُ بِيَعْنُكَ لَأَنَّهُ فِي مَعْنَى يُمِيزُكَ يَقَالُ: أَقِيمُ مِنْ قَبْرِهِ وَبَعَثُ مِنْهُ بِمَعْنَى فَهُوَ نَحْوُ قَعْدَ جُلُوسًا. الثالث: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ أَيُّ يَبْعَثُكَ ذَا مَقَامٍ مَحْمُودٍ. الرابع: أَنَّهُ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ وَنَاصِبُهُ مُقَدَّرٌ أَيُّ: فَتَقُومُ مَقَامًا، وَعَسَى عَلَى الْأَوْجِهَةِ الثَّلَاثَةِ دُونَ الرَّابِعِ يَتَعَيَّنُ فِيهَا أَنَّ تَكُونَ التَّامَّةَ، فَتَكُونُ مُسْتَدَّةً إِلَى أَنَّ وَمَا فِي حِيزِهَا إِذْ لَوْ كَانَتْ نَاقِصَةً عَلَى أَنَّ يَكُونُ أَنَّ يَبْعَثُكَ خَيْرًا مُقَدَّمًا وَرَبِّكَ اسْمًا مُؤَخَّرًا لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ مُحْظُورٌ، وَهُوَ الْفَصْلُ بِأَجْنَبِيٍّ بَيْنَ صَلَاةِ الْمُوصُولِ وَمَعْمُولِهَا، فَإِنَّ مَقَامًا عَلَى الْأَوْجِهَةِ الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِ مَنْصُوبٌ بِيَعْنُكَ وَهُوَ صَلَاةٌ لِأَنَّ، فَإِذَا جَعَلْتَ رَبِّكَ اسْمًا كَانَ أَجْنَبِيًّا مِنَ الصَّلَاةِ، فَلَا يَفْصَلُ بِهِ، وَإِذَا جَعَلْتَهُ فَاعِلًا لَمْ يَكُنْ أَجْنَبِيًّا فَلَا يَبَالِي بِالْفَصْلِ بِهِ. وَأَمَّا عَلَى الْوَجْهِ الرَّابِعِ فَيَجُوزُ أَنَّ تَكُونَ التَّامَّةَ وَالنَّاقِصَةَ بِالتَّعْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ لَعَدَمِ الْمُحْظُورِ، لِأَنَّ مَقَامًا مَعْمُولٌ لِغَيْرِ الصَّلَاةِ، وَهَذَا مِنْ مُحَاسِنِ صِنَاعَةِ النُّحُو، وَتَقَدَّمَ لَكَ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ١٠] اهـ سَمِين.

والمقام مكان القيام وفي الخطيب قال الواحدي: أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال ﷺ: «وفي هذه الآية هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي». وقال حذيفة: يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس، فأول مدعو محمد ﷺ فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت سبحانك رب البيت. فقال: هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾. ويدل للأول أحاديث منها ما روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً». ومنها ما روي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك» وفي رواية فيهمون بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس أشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لست هناكم إلى أن قال فيأتوني فاستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعط. قال: فأرفع رأسي فأثني على الله بثناء وتحميد يعلمني قال: ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع يا محمد وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، قال: فأرفع رأسي فأثني علي ربي بثناء يعلمني قال: ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. قال: فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود». وعن ابن عباس رضي الله عنهما «مقاماً محموداً يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلائق سل تعط واشفع تشفع ليس أحد إلا تحت لوائك» اهـ.

قوله: (وهو مقام الشفاعة) أي مكان الشفاعة أي المحل الذي يكون فيه محمد ﷺ حين يشفع. قوله: (لما أمر بالهجرة) من المعلوم أن الأمر بها كان بمكة، وحينئذ فهذا الكلام يقتضي أن الآية مكية

أَدْخَلَنِي الْمَدِينَةَ ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إِدْخَالًا مَرْضِيًّا لَا أَرَى فِيهِ مَا أَكْرَهُ ﴿وَأَخْرَجَنِي﴾ مِنْ مَكَّةَ ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إِخْرَاجًا لَا أَلْتَفِتُ بِقَلْبِي إِلَيْهَا ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ ﴿٨٠﴾ قُوَّةٌ تَنْصُرُنِي بِهَا عَلَى أَعْدَائِكَ ﴿وَقُلْ﴾ عِنْدَ دُخُولِكَ مَكَّةَ ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ الْإِسْلَامَ ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ بَطَلَ الْكُفْرَ ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ مُضْمَحَلًّا زَائِلًا، وَقَدْ دَخَلَهَا ﷺ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةً وَسِتُونَ صَنِمًا فَجَعَلَ

مع أنها آخر الثمان المدنيات تأمل اهـ شيخنا .

لكن تقدم للبيضاوي في أول السورة أنه مشى على أن السورة كلها مكية، وحكى الاستثناء الذي ذكره الجلال بقليل وعليه فلا إشكال .

قوله: ﴿أَدْخَلَنِي﴾ من المعلوم أن ادخاله المدينة بعد اخراجه من مكة وإنما قدمه عليه اهتماماً بشأنه، ولأنه هو المقصود له اهـ شيخنا .

قوله: ﴿مدخل صدق﴾ المدخل والمخرج بالضم مصدران بمعنى الإدخال والإخراج، فهما كالمجرى والمرسى كما ذكر الشارح اهـ شيخنا .

وإضافتهما للبيان أو من إضافة الموصوف لصفته اهـ سمين . وإلى الثاني يشير صنيع السيوطي اهـ .

وفسر الصدق بالمرضي لأن الصدق من أوصاف العقلاء، فإذا وصف به غيرهم كان دالاً على أنه مرضي اهـ شهاب .

وفي السمين: قرأ العامة بضم الميم فيهما، لأنه سبقهما فعل رباعي، وقرأ قتادة، وإبراهيم بن أبي عبلة وحמיד، وأبو حيوة بفتح الميم فيهما، إما لأنهما مصدران على حذف الزوائد كأنبتكم من الأرض نباتاً، وإما لأنهما منصوبان بمقدر موافق لهما تقديره: فادخل مدخل واخرج مخرج، وقد تقدم هذا مستوفى في سورة النساء في قراءة نافع، وأنه قرأ كذلك في سورة الحج اهـ .

قوله: ﴿سلطاناً﴾ هو المفعول الأول للجعل، والثاني أحد الجارين المتقدمين والآخر متعلق باستقراره ونصيراً يجوز أن يكون بمعنى فاعل للمبالغة، وأن يكون بمعنى مفعول اهـ سمين . أي منصوراً به .

قوله: (قوة تنصرنى بها على أعدائك) عبارة الخازن: ﴿سلطاناً نصيراً﴾ أي: حجة بيّنة، وقيل: ملكاً قوياً تنصرنى به على من عاداني، أو عزاً ظاهراً أقيم به دينك، فوعده الله تعالى لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما، ويجعله له . وأجاب دعاءه، وقال له: والله يعصمك من الناس، وقال: ليظهره على الدين كله اهـ .

قوله: ﴿وقل﴾ (عند دخولك مكة) أي يوم الفتح . قوله: ﴿وزهق الباطل﴾ في المختار: زهقت نفسه خرجت، ومنه قوله تعالى: ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ [الإسراء: ٨١] وزهق الباطل: أي اضمحل وبابهما خضع وزهق من باب تعب زهوقاً لغة فيه عند بعضهم اهـ .

يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت، رواه الشيخان ﴿وَنُزِّلُ مِنَ﴾ للبيان ﴿الْقُرْآنَ إِنْ مَاهُوَ شِفَاءً﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به ﴿وَلِإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَنَّا بِحَاثِيَةٍ﴾ ثنى عطفه متبخرأ ﴿وَلِإِذَا مَسَّهُ

قوله: (يطعنها) أي يطعن كلاً منها في عينه. وفي القاموس: طعنه بالرمح كمنعه ونصره ضربه به اهـ.

قوله: (حتى سقطت) أي سقط كل منها مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص اهـ شيخنا.
وبقي منها صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من نحاس أصفر، فقال النبي ﷺ: «يا علي ارم به»، فصعد فرمى به فكسره اهـ بيبضاوي.

قوله: (من للبيان) أي بيان الجنس قال الزمخشري، وابن عطية، وأبو البقاء، فإن جميع القرآن شفاء وقدم على المبين للاهتمام، وأبو حيان ينكر جوازه، لأن التي للبيان لا بد أن يتقدمها ما تبينه، لا أن تتقدم هي عليه، فالمختار أنها لا ابتداء الغاية، ويصح كونها تبعيضية اهـ.

والمعنى عليه أن منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وباقي آيات الشفاء اهـ كرخي.

وفي الخازن: وهو شفاء من الأمراض الظاهرة والباطنة، أما كونه شفاء من الأمراض الجسمية، فإن التبرك بقرآته يدفع كثيراً من الأمراض يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ في فاتحة الكتاب: «وما يدريك أنها رقية». وأما كونه شفاء من الأمراض الباطنة، فلأنها تنقسم إلى نوعين.

أحدهما: الاعتقادات الباطلة، الثاني: الأخلاق المذمومة. أما الاعتقادات الباطلة فالاعتقادات الفاسدة في الذات، والصفات، والنبوات، والقضاء، والقدر، والبعث بعد الموت، والقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الأشياء، وإبطال المذاهب الفاسدة. فلا جرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع.

وأما النوع الثاني وهي الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها، والإرشاد إلى الأخلاق المحمودة والأعمال الفاضلة، فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الباطنة والظاهرة، فهو جدير بأن يكون رحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به، فكان رحمة للمؤمنين وخساراً للكافرين. وقيل: لأن كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم. قال قتادة: لم يجالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً اهـ.

قوله: ﴿وَلِإِذَا أُنْعِمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ أي بالصحة والسعة أعرض أي عن ذكرنا ودعائنا ونأى بجانبه أي تباعد منا بنفسه وترك التقرب إلينا بالدعاء، وقيل: معناه تكبر وتعاظم اهـ خازن.

قوله: ﴿وَنَأَى﴾ في المصباح: ونأى نأياً من باب سعى بعد ويتعدى بنفسه وبالحرف، وهو الأكثر فيقال نأيته ونأيت عنه، ويتعدى بالهمزة فيقال أنأيته عنه اهـ.

قوله: (ثنى عطفه) في المختار: وعطف الرجل جانباه من رأسه إلى وركيه، وكذا عطف كل شيء

الشَّرُّ ﴿الفقر والشدة﴾ ﴿كَانَ يُوَسِّسُ﴾ ﴿قَنُوطاً﴾ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿قُلْ كُلُّ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ ﴿يَعْمَلُ عَلَى﴾ شَاكِلَتِهِ ﴿طَرِيقَتِهِ﴾ ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ ﴿طَرِيقًا فَيْثِيه﴾ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أَيُّ الْيَهُودِ ﴿عَنِ﴾

جانباه، وثني عطفه عنه أي أعرض عنه اهـ.

وفي المصباح: عطف الناقة على ولدها عطفاً من باب ضرب حنت عليه ودرّ لبنها، وعطفته عن حاجته عطفاً صرفته عنها اهـ.

قوله: (متبخرأ) أي متكبراً كأنه مستغن عن ربه مستبد بأمره اهـ يضاوي.

قوله: ﴿كَانَ يُوَسِّسُ﴾ هذا وصف للجنس باعتبار بعض أفرادهم ممن هو على هذه الصفة، ولا ينافيه قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ فذو دعاء عريض، لأن ذلك شأن بعض آخرين منهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ متعلق بيعمل، والشاكلة أحسن ما قيل فيها ما قاله الزمخشري أنها مذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل، وهي الطرق التي تشعبت منه مأخوذة من الشكل، وهو المثل يقال: لست على شكلي ولا شاكلي، وأما الشكل بالكسر فهو الهيئة. يقال: جارية حسنة الشكل اهـ سمين.

أو الشاكلة الروح، فالمعنى عليه أن كل أحد يعمل على وفق روحه، فإن كانت روحه ذات شقاوة عمل عمل الأَشْقِيَاء، وإن كانت سعيدة عمل عمل السعداء اهـ شهاب.

وفي الخازن: وقيل: كل إنسان يعمل على حسب جوهر نفسه، فإن كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة، وإن كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة اهـ.

وفسرها البخاري في كتاب التفسير بالنية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَهْدَى﴾ يجوز أن يكون من اهتدى على حذف الزوائد، وأن يكون من هدى المتعدي، وأن يكون من هدى القاصر بمعنى اهتدى وسبيلاً تمييز اهـ سمين.

قوله: (فيثيه) الهاء عائدة على من.

قوله: (أي اليهود) أي والمشركون من قريش بتعليم اليهود، والأول مروى عن علقمة عن عبد الله، والثاني عن ابن عباس اهـ كرخي.

وفي الخطيب: واختلف في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: تعتناً وامتحاناً عن الروح، فعن عبد الله بن مسعود قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: اسألوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: اسألوه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه فقلت، فلما انجلى عنه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية قال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قريشاً اجتمعوا وقالوا: إن محمد نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب، وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرأ إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه،

الرُّوحَ الَّذِي يَحْيَا بِهِ الْبَدَنَ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أَيُّ عِلْمِهِ لَا تَعْلَمُونَهُ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبي فاسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره، وعن الروح فسألوا النبي ﷺ فقال: «أخبركم بما سألتكم غداً» ولم يقل إن شاء الله. قال مجاهد: فلبث الوحي اثني عشر يوماً. وقيل: خمسة عشر يوماً. وقيل: أربعين يوماً، وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غداً. وقد أصبحنا لا نخبرنا بشيء حتى حزن رسول الله ﷺ من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة، ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣] ونزل في الفتية ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ [الكهف: ٩] الآيات ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ [الكهف: ٨٣] الآيات ونزل في الروح قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية اهـ.

وفي أبي السعود: فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة اهـ.

قوله: ﴿عن الروح﴾ الظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر للبدن الإنساني ومبدأ حياته قل الروح أظهر في مقام الإضممار اظهارة لكمال الاعتناء بشأنه من أمر ربي كلمة من بيانية، والأمر بمعنى الشأن والإضافة للاختصاص العلمي لا الإيجادي لا شترارك الكل فيه، وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى، كما في الإضافة الثانية من تشريف المضاف إليه اهـ أبو السعود.

قوله: (الذي يحيا به البدن) أي بنفخه فيه. قوله: ﴿من أمر ربي﴾ أي أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه وهو الأصح، ومعناه أنه موجود محدث بأمره تعالى بلا مادة، فهو مثل قول موسى: ﴿رب السموات والأرض﴾ في جواب قول فرعون وما رب العالمين. والحاصل: أنه اقتصر في الجواب على قوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ كما اقتصر موسى في جواب فرعون: وما رب العالمين على ذكر صفاته، وأن إدراكه بالكنه على ما هو عليه لا يعلمه إلا الله تعالى، وأنه شيء بمفارقة يموت الإنسان وبملازمته له يبقى كما أوماً إليه قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ على أن المفسرين قد اختلفوا في الروح في الآية، فعن ابن عباس أنه جبريل، وعنه رواية أنه جند من جنود الله لهم أيد وأرجل، وعن الحسن القرآن، وعن علي ملك له سبعون ألف وجه، ولكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك فيخلق الله تعالى بكل تسبحة ملكاً، وقيل عيسى، وعن عطية روح الحيوان وهو روح الآدميين والملائكة والشياطين والله أعلم. اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ أي قليلاً لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك اهـ أبو السعود.

وهذا من جملة مقوله ﷺ، فهو من جملة جوابهم، فالخطاب خاص باليهود، لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة، وفيها العلم الكثير فقليل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى، وقيل: الخطاب عام لجميع الخلق ومن جملتها النبي ﷺ اهـ من الخازن.

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى ﴿وَلَكِنَّ﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقيناه ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ عظيماً حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود

وروي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك أي قوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالوا: أنحن مختصون بهذا الخطاب؟ فقال: بل نحن وأنتم. فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] وساعة تقول هذا، فنزل ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ [لقمان: ٢٧] وما قالوه من سوء فهمهم، فإن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالإضافة إلى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها قليل وهو بالإضافة إلى الإنسان كثير ينال به خير الدارين اهـ بيبضاوي.

قوله: ﴿من العلم﴾ متعلق بأوتيتم، ويجوز تعلقه بمحذوف على أنه حال من قليل، لأنه لو تأخر لكان صفة لأن ما في حيز إلا لا يتقدم عليها، وقرأ عبد الله والأعمش: وما أوتوا بضمير الغيبة اهـ سمين.

قوله: (بالنسبة إلى علمه تعالى) أي وإن كان كثيراً في نفسه. قوله: (لام قسم) أي موطئة ودالة على قسم مقدر.

قوله: ﴿لنذهبن﴾ جواب القسم وجواب الشرط محذوف أي ذهبن به على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر استغناء عنه بجواب المتقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾ أي من يتوكل علينا باسترداده مسطوراً محفوظاً اهـ بيبضاوي أي من يتعهد ويلتزم استرداده بعد رفعه كما يلتزم الوكيل ذلك فيما يتوكل عليه اهـ شهاب.

قوله: ﴿إلا رحمة﴾ استثناء منقطع استدراك على قوله ﴿لنذهبن﴾ أي فكما امتننا عليك بإنزاله امتننا عليك أيضاً بإبقائه. وفي السمين: فيه قولان، أحدهما: أنه استثناء متصل لأن الرحمة تدرج في قوله ﴿وكيلاً﴾ أي: إلا رحمة، فإنها إن نالتك فلعلها، تسترده عليك. والثاني: أنه منقطع ولكن عند البصريين، وببل عند الكوفيين، ومن ربك يجوز أن يتعلق بمحذوف صفة لها اهـ.

قوله: (لكن أبقيناه) أي إلى قرب قيام الساعة، فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور. قال عبد الله بن مسعود: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف ما في صدور الناس قال: يسرى عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً، ثم يفيضون في الشعر. وفي رواية: فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا، وأثبتناه في مصاحفنا، ونعلمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا أبناءهم قال: يسرى عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء، فترفع المصاحف وينزع ما في القلوب اهـ خطيب.

قوله: (حيث أنزله النخ) تعليلية وقوله: (وغير ذلك النخ) كجعلك سيد ولد آدم وختم الأنبياء اهـ خازن.

وغير ذلك من الفضائل ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معينا نزل ردأ لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف أي مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿فَأَبْهَتْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً للحق ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على أبي

قوله: ﴿قُلْ لِّينِ﴾ لام قسم وفيه ما تقدم. قوله: ﴿الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ وكذا الملائكة، وإنما لم يذكروا لأن التحدي ليس معهم والتصدي لمعارضته لا يليق بشأنهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه جواب للقسم الموطأ له باللام. والثاني: أنه جواب للشرط، واعتذروا عن رفعه بأن الشرط ماض اهـ سمين.

قوله: ﴿وَلَوْ كَانْ﴾ بعضهم لبعض ظهيراً أي في تحقيق ما يتوخونه من الإتيان بمثله وهو عطف على مقدر أي: لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض، ولو كان الخ، وقد حذف المعطوف عليه حذفاً مطرداً لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة، فإن الإتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر، فلأن ينتفي عند عدمه أولى، وعلى هذه النكتة يدور ما في إن، ولو الوصليتين من التأكيد كما مر غير مرة، ومحلله النصب على الحالية حسبما عطف عليه، أي: لا يأتون بمثله على كل حال مفروض، ولو في هذه الحال المنافية لعدم الإتيان بمثله فضلاً عن غيرها، وفيه حسم لأطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض اهـ أبو السعود.

ولبعض متعلق بظهيراً اهـ سمين.

قوله: (نزل) أي قوله: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ﴾ الخ وليس هذا دخولاً على ما بعده، بل هو مرتبط بما قبله كما هو صريح الخازن اهـ.

ووجه الرد أن القرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق، ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل أي: من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعاً في الأنفس اهـ بيضاوي.

ومفعول صرفنا محذوف تقديره البيئات والعبر. قال في الكشف: ويجوز أن تكون من مؤكدة زائدة والتقدير: ولقد صرفنا كل مثل أي فهو المفعول وهو تخريج على مذهب الكوفيين والأخفش اهـ كرخي.

قوله: (صفة محذوف) أي على أنه مفعول به لصرفنا، وقوله (أي مثلاً) بيان للمحذوف، والمراد بالمثل المعنى الغريب البديع الذي يشبه المثل في الغرابة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَأَبْهَتْ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ فعجزوا عن الإتيان، فإن قيل: كيف جاز فأبى أكثر الناس إلا كفوراً حيث وقع الاستثناء المفرغ في الإثبات، مع أنه لا يصح فلا يجوز أن يقال ضربت إلا زيدا؟ فالجواب: أن لفظة أبى تفيد النفي، كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفوراً اهـ كرخي.

﴿لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ﴿٩٠﴾ عينا ينبع منها الماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ ﴿٩١﴾ بستان ﴿يَنْحِيلُ مِنْهَا نَبْعٌ فَتَفْجُرُ الْآلِهَتُ خِلَالَهَا﴾ ﴿٩٢﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾

قوله: ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ الخ لما تبين إعجاز القرآن، وانضمت إليه معجزات آخر وبينات، ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات، فقالوا ﴿لن نؤمن لك﴾ الخ.

روي عن ابن عباس أن نفرًا من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة، وطلبوا رسول الله ﷺ، فجاءهم فقالوا له: يا محمد إن كنت جئت بهذا الحديث يعنون القرآن تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي بك رثيا من الجن: تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا أموالا في طلب الطب حتى نبرئك منه، وكانوا يسمون التابع من الجن رثيا. فقال رسول الله ﷺ: «ما بي شيء مما تقولون، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر ولمر الله عز وجل حتى يحكم الله بيني وبينكم». فقالوا: يا محمد إن كنت صادقا فيما تقول فسل لنا ربك الذي بعثك، فليسير عنا هذا الجبل الذي قد ضيق علينا، ويسط لنا بلادا ويفجر لنا فيها الأنهار كأنهار الشام والعراق، ويبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن قصي بن كلاب، فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل، فإن صدقوك صدقناك، ثم قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جناحا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة تعينك على معاشك، فقال: «ما بعث بهذا». قالوا: فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا، فإن ربك إن شاء فعل كما تقول، وقالوا لن نؤمن بك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا. وقال عبد الله بن أبي أمية. وهو ابن عمته ﷺ عاتكة: لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ لك سلما إلى السماء ترقى فيه، وإنا ننظر إليك حتى تأتيها فتأتي بنسخة منشورة معك، وبنفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول. فانصرف رسول الله ﷺ عنهم حزينا لما رأى من تباعدهم عن الهدى، فأنزل الله عز وجل تسلي له ﷺ: ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿حتى تفجر﴾ الخ أي: حتى تأتينا بواحد من هذه الأمور الستة، وتفجر بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم المكسورة وبفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مخففة قراءتان سبعيتان هذا في تفجر الأول، وأما فتفجر الثاني فهو بالقراءة الأولى لا غير باتفاق السبعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من الأرض﴾ أي أرض مكة. قوله: ﴿ينبوعا﴾ الينبوع: عين لا ينضب ماؤها بضم الضاد المعجمة أي لا يغور ولا يذهب، وهو يفعل من ينبع الماء كيحبوب من عب الماء إذا زخر أي كثر موجه، ومنه البحر الزاخر اهـ بياضوي وشهاب.

قوله: ﴿ينبع﴾ من باب قطع ودخل فعلا ومصدرا، ويقال أيضا: ينبع كيضرب نبعانا اهـ شيخنا.

فتلخص أن المضارع مثلث الباء، وأن الماضي مفتوحها لا غير كما يؤخذ من المختار.

قوله: ﴿فتفجر﴾ أي أنت وقوله ﴿خلالها﴾ أي الجنة.

قوله: ﴿كما زعمت﴾ أي بقولك إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء اهـ

شيخنا.

قطعاً ﴿أَوْ تَأْتَىٰ بِاللَّهِ وَالْمَلَكَةِ قَيْلاً﴾ ﴿١١٦﴾ مقابلة وعياناً فنراهم ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتٌّ مِّنْ زُخْرَفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرَقَّى﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَكِنْ تُؤْمِنُ لِرُؤْيَيْكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ منها

قوله: ﴿كسفاً﴾ قرأ نافع، وابن عامر وعاصم هنا بفتح السين، وفعل ذلك حفص في الشعراء وفي سبأ، والباقون بسكونها في المواضع الثلاثة. وقرأ ابن ذكوان بسكونها في الروم بلا خلاف، وهشام عنه الوجهان والباقون بفتحها، فمن فتح السين جعله جمع كسفة نحو قطعة وقطع وكسرة وكسر، ومن سكن جعله جمع كسفة أيضاً على حد سدرة وسدر وقمحة وقمح. وجوز أبو البقاء فيه وجهين آخرين، أحدهما: أنه جمع فعل بفتح العين، وإنما سكن تخفيفاً، وهذا لا يجوز لأن الفتحة خفيفة يحتملها حرف العلة حيث يقدر فيه غيرها، فكيف بالحرف الصحيح قال. والثاني: أنه فعل بمعنى مفعول كطحن بمعنى مطحون، فصار في السكون ثلاثة أوجه. وأصل الكسف القطع يقال: كسفت الثوب قطعته. وفي الحديث في قصة سليمان مع الصافات الجياد أنه كسف عراقيها أي: قطعها. وقال الزجاج: كسف الشيء بمعنى غطاه قيل: ولا يعرف هذا لغيره وانتصابه على الحال، فإن جعلناه جمعاً كان على حذف مضاف أي: ذات كسف وإن جعلناه فعلاً بمعنى مفعول لم يحتاج إلى تقدير، وحينئذ فيقال: لم لم يؤنث؟ ويجاب بأن تأنيث السماء غير حقيقي، أو بأنها في معنى السقف اهـ سمين.

قوله: ﴿قَيْلاً﴾ حال من الله والملائكة أي: حال كونهما مقابلين بفتح الباء ومرئيين لنا اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿قَيْلاً﴾ أي كفيلاً بما تدعيه أي شاهداً على صحته ضامناً لدركه أو مقابلاً كالعشير بمعنى المعاشر، وهو حال من الله، وحال الملائكة محذوفة لدلالاتها عليها أو جماعة، فيكون حالاً من الملائكة اهـ بيضاوي.

وفي الخازن: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كفيلاً أي: يتكفلون بما تقول، وقيل: هو جمع القبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول، وقيل: معناه نراهم مقابلة عياناً اهـ.

قوله: ﴿أَوْ تَرَقَّى﴾ فعل مضارع منصوب تقديره لأنه معطوف على تفجر، أي: أو حتى ترقى في السماء أي في معارجها، والرقى: الصعود يقال: رقي بالكسر يرقى بالفتح رقياً على فاعول. والأصل رقوى فأدغم بعد قلب الواو ياء ورقياً بزنة ضرب اهـ سمين.

وقوله: بالكسر أي في المحسوسات كما هنا، وأما في المعاني فهو من باب سعى يقال: رقي في الخير والشر يرقى بفتح القاف في الماضي والمضارع، وأما رقى المريض عوده فهو من باب رمى يقال: رقا يرقه إذا عوده، وتلا عليه شيئاً من القرآن. وفي المصباح: رقيته أرقيه من باب رمى رقياً عودته بالله والاسم الرقيا فعلى، والمرة رقية والجمع رقى مثل مدية ومدى، ورقيت في السلم وغيره أرقى من باب تعب رقياً على فاعول، ورقياً مثل فلس أيضاً، ورقا الطائر يرقوا ارتفع في طيرانه اهـ.

قوله: ﴿لرقيق﴾ أي لأجله أو به، فاللام للتعليل أو بمعنى الباء. قوله: (لو رقيت) بكسر القاف

﴿ كِتَابًا ﴾ فيه تصديقك ﴿ نَقَرُوهُ قُلْ ﴾ لهم ﴿ سُبْحَانَ رَبِّيَ ﴾ تعجب ﴿ هَلْ ﴾ ما ﴿ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا ﴾ رَسُولًا ﴿ ٩٣ ﴾ كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ أي قولهم منكبين ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ ﴿ ٩٤ ﴾ ولم يبعث ملكاً ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ لَوْ كُنْتُ فِي

لأنه في المحسوسات من باب علم كما علمت. قوله: ﴿ نَقَرُوهُ ﴾ نعت لكتاب أو حال مقدرة من نا في علينا لأنهم إنما يقرؤونه بعد إنزاله لا في حالة إنزاله اهـ اهـ سمين .

قوله: ﴿ قُلْ ﴾ وفي قراءة سبعة قال . قوله: (تعجب) أي من اقتراحاتهم وتنزيه له تعالى عن إتيانه الذي طلبوه أو عن أن يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة اهـ بياضوي .

قوله: ﴿ هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ أي كسائر الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات، فليس أمر الآيات إليهم إنما هو إلى الله تعالى، ولو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، وما أنا إلا بشر، وليس ما سألتهم في طرق البشر، واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يعني عن هذا كله مثل: القرآن وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وما أشبهها من الآيات، وليست بدون ما اقترحوه، بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعتين، ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فردّ عليهم سؤالهم اهـ خازن .

قوله: ﴿ إلا بشراً رسولاً ﴾ يجوز أن يكون بشراً خبر كنت، ورسولاً صفته، ويجوز أن يكون رسولاً هو الخبر وبشراً حال مقدمة عليه اهـ سمين .

قوله: ﴿ أَنْ يُؤْمِنُوا ﴾ مفعول ثانٍ لمنع أي منعهم إيمانهم أي من إيمانهم، وأن قالوا هو الفاعل وإذ ظرف لمنع، والتقدير وما منع الناس من الإيمان وقت مجيء الهدى أي الوحي إلا قولهم أبعث الله، وهذه الجملة المنقية يحتمل أن تكون من كلام الله فتكون مستأنفة، وأن تكون من كلام الرسول فتكون منصوب المحل لاندراجها تحت القول اهـ سمين .

وحصر المانع في قولهم ذلك مع أن لهم موانع شتى لما أنه معظمها، أو لأنه هو المانع بحسب الحال أعني: سماع الجواب بقولهم: هل كنت إلا بشراً رسولاً، وإذ هو الذي يتمسكون به من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى اهـ أبو السعود .

قوله: (منكرين) حال وقوله: ﴿ بشراً ﴾ حال من رسولاً الذي هو مفعول به على القاعدة أن نعت النكرة إذا قدم عليها ينصب حالاً اهـ .

قوله: (ولم يبعث ملكاً) داخل في حيز الاستفهام. وعبرة غيره: وهلا بعث ملكاً وهي أوضح اهـ شيخنا .

قوله: ﴿ قُلْ ﴾ (لهم) ﴿ لو كان ﴾ الخ أي قل لهم من قبلنا جواباً لقولهم أبعث الله الخ. وحاصل الجواب أن الملك لا يبعث إلا للملائكة، كما أن البشر لا يبعث إليهم إلا بشر، فكيف تقولون لم يبعث الله رسولاً من البشر، وهلا بعث إلينا رسولاً من الملائكة اهـ شيخنا .

وكان هذه يجوز فيها التمام أي لو وجد حصل ويمشون صفة لملائكة، وفي الأرض متعلق به،

الْأَرْضِ ﴿بَدَّلَ الْبَشَرَ ﴿مَلَكِيَّكُمْ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٩﴾﴾ إِذْ لَا يُرْسِلُ إِلَى قَوْمٍ رَسُولٌ إِلَّا مِنْ جَنْسِهِمْ لِيَمْلِكُوهُمْ مَخَاطِبَتَهُ وَالْفَهْمُ عَنْهُ ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ عَلَى صَدَقِي ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ عَالَمًا بِبَوَاطِنِهِمْ وَظَوَاهِرِهِمْ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يَهْدُونَهُمْ ﴿مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ مَاشِينَ ﴿عَلَى

ومطمئنين حال من فاعل يمشون، ويجوز أن تكون الناقصة. وفي خبرها أوجه، أظهرها أنه الجار ويمشون ومطمئنين على ما تقدم، وقيل: الخبر يمشون، وفي الأرض يتعلق به، وقيل: الخبر مطمئنين ويمشون صفة، وهذان الوجهان ضعيفان، لأن المعنى على الأول اهـ سمين.

قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي مستوطنين فيها لا يظعنون عنها إلى السماء اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: مطمئنين قارين فيها من غير أن يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب أن يعلم

اهـ.

قوله: (والفهم) أي التلقي.

قوله: ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي شهيداً على أني رسول الله إليكم بإظهار المعجزة على وفق دعواي، أو على أني بلغت ما أرسلت به إليكم، وأنكم عاندم، وشهيداً نصب على الحال أو التمييز اهـ بياضوي.

قوله: (عالمًا بالخ) لف ونشر مرتب وفيه تهديد لهم وتسليه له ﷺ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة مندرجة تحت القول، فيكون محلها نصباً، وأن تكون من كلام الله تعالى، فلا محل لها لاستثناها، ويكون في الكلام التفات، إذ فيه خروج من غيبة إلى تكلم في قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾ وحمل على لفظ من في قوله ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾، فأفرد وحمل على معنى من الثاني في قوله: ﴿وَمَنْ يَضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ﴾ فجمع. ووجه المناسبة في ذلك والله أعلم أنه لما كان الهدى شيئاً واحداً غير متشعب السبل ناسبه التوحيد، ولما كان الضلال له طريق متشعبة نحو: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ناسب الجمع الجمع اهـ سمين.

قوله: ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ بحذف الياء من الرسم هنا وفي الكهف، لأنها في الموضعين من ياءات الزوائد، لأنها لا تثبت في الرسم، وأما في النطق فقال السمين: قرأ نافع، وأبو عمر بإثبات ياء المهتدي وصلًا وحذفها وقفًا، وكذلك في التي تحت هذه السورة وحذفها الباقيون في الحاليين اهـ.

قوله: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ﴾ فيه مراعاة معنى من. قوله: ﴿عَلَى وَجُوهِهِمْ﴾ حال من الهاء في نحشُرهم، كما أشار له، وكذا قوله ﴿عَمِيًّا﴾ وما عطف عليه اهـ شيخنا.

وفي الخازن: روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ﴾ [الفرقان: ٣٤] أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه في الآخرة يوم القيامة» قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا.

وَجُوهِهِمْ عَمِيًَّا وَيَكْمَأُ وَصْمًا مَّاؤُنْهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ ﴿سَكَنَ لَهَا﴾ ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿تَلْهَبًا وَاشْتَعَالًا﴾ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ ﴿مَنْكِرِينَ لِلْبُعْثِ﴾ ﴿أَوَدَا كَأَنَّ عَظْمًا وَرَفْنَا أَوْفًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم» قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم: «أما أنهم يلقون بوجوههم كل حذب وشوك؟. أخرجه الترمذي والحذب: ما ارتفع من الأرض اهـ.

قوله: ﴿عَمِيًَّا وَبِكْمًا وَصْمًا﴾ أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فإن قلت: كيف وصفهم الله بأنهم عمي وبكم وصم، وقد قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] وقال ﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] وقال ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] فأثبت لهم الرؤية والكلام والسمع؟ قلت: فيه أوجه:

أحدها: قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه عمياً لا يرون ما يسرهم، بكماً لا ينطقون بحجة، صماً لا يسمعون ما يسرهم.

الوجه الثاني: قيل: معناه يحشرون على ما وصفهم الله عز وجل، ثم تعاد إليهم هذه الحواس. الوجه الثالث: أن هذا حين يقال لهم اخسؤوا فيهما ولا تكلمون فيصرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون اهـ خازن.

قوله: ﴿مَّاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ مستأنفة أو حال من الضمير المنصوب أو المجرور، و ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ مستأنفة أيضاً أو حال من جهنم، والعامل فيها معنى المأوى اهـ سمين.

وخبت أصله خبوت بوزن قعدت تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً فالتقى ساكنان الألف وتاء التانيث فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فوزنه الآن فعت بوزن رمت لحذف لامه. وفي القاموس: في باب الواو خبت النار والحرب والحدة خبواً وخبواً سكنت وطفئت، وأخيبتها أطفأتها اهـ.

وفي المصباح: وخبت النار خبواً من باب قعد خمد لهابها ويعدى بالهمزة اهـ.

وفي السمين: وخبت النار تخبو إذا سكن لهابها، فإذا ضعف جمرها قيل خمدت، فإذا طفئت بالجملة قيل همدت، وأدغم التاء في زاي زدناهم أبو عمرو والأخوان وورش، وأظهرها الباقون اهـ.

وكل من خمدت وهمدت من باب قعد كما في المصباح. قوله: (سكن لهابها) بأن أكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيراً توقداً بأن تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة متسعة، فإنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جازاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء، وإليه أشار بقوله ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ الخ لأن الإشارة إلى ما تقدم من عذابهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ يجوز أن يكون مبتدأ وخبراً، وبأنهم متعلق بالجزاء أي ذلك العذاب المتقدم جزاؤهم بسبب أنهم، ويجوز أن يكون جزاؤهم مبتدأ ثانياً والجار خبره، والجملة خبر ذلك، ويجوز أن يكون جزاؤهم بدلاً أو بياناً وبأنهم الخبر اهـ سمين.

جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنَّ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٩٩﴾ جحدوداً له ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذَا

قوله: ﴿ورفاتاً﴾ أي تراباً اهـ كرخي.

وفي القاموس: رفته ويرفته ويرفته كسره ودقه، وانكسر واندق لازم متعد، وانقطع كأرفت ارفاتاً في الكل وكغراب الحطام اهـ.

قوله: ﴿خلقاً جديداً﴾ مصدر من معنى الفعل أي: نبعث بعثاً جديداً أو حال أي مخلوقين كما مر.

قوله: ﴿أو لم يروا﴾ الخ هذا رد لإنكارهم البعث اهـ شيخنا.

وفي زاده: هذا الجواب عن هذا الاستبعاد يعني أن من خلق السموات والأرض كيف يستبعد منه أن يقدر على إعادتهم بأعيانهم اهـ.

والذي صفة لله وقادر خبر أن. قوله: ﴿أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (أي الأناسي في الصغر) إشارة إلى أنه أراد بمثلهم إياهم فعبر عن خلقهم بلفظ المثل، كقول المتكلمين إن الإعادة مثل الابتداء، وذلك أن مثل الشيء مساو له في حاله، فجاز أن يعبر به عن الشيء نفسه يقال: مثلك لا يفعل كذا أي أنت لا تفعله، أو أنه تعالى قادر على أن يخلق عبيداً يوحدون ويقررون بكمال حكمته وقدرته ويتركون هذه الشبهات الفاسدة، وعلى هذا فهو كقوله: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، وكقوله ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩] قال الواحدي: والأول أشبه بما قبله اهـ كرخي.

قوله: (أي الأناسي) جمع انسي وهو البشر على حد قوله:

واجعل فعالي لغير ذي نسب جدد كالكرسي تتبع العرب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجعل لهم﴾ معطوف على قوله ﴿أو لم يروا﴾، لأنه في قوة قد رأوا فليس داخلاً في حيز الإنكار، بل معطوف على جملة برأسها اهـ سمين.

والمعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الانس، وجعل لهم لبعثهم أجلاً محققاً: الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ صفة لأجلاً أي أجلاً غير مرتاب فيه، فإن أريد به يوم القيامة فالإفراد ظاهر، وإن أريد به الموت فهو اسم جنس إذ لكل إنسان أجل يخصه اهـ سمين.

قوله: (جحدوداً له) أي لأجله.

قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم) أي شرحاً لحالهم التي يدعون خلافها حيث قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا﴾ الخ لأجل أن نتبسط ونتسع في الرزق، فبين لهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الله لبقوا على بخلهم وشحهم اهـ من الخطيب.

لَأَتَسْكُمُمْ ﴿لَبِخْلْتُمْ﴾ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴿خَوْفٌ نَفَادُهَا بِالْإِنْفَاقِ فَتَقْتَرُوا﴾ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿بِخِيَلًا﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى سِتْرَ ءَايَاتٍ يَبْنَطُ ﴿وَاضْحَات وَهِيَ: الْيَدُ وَالْعَصَا وَالطُّوفَانُ وَالْجِرَادُ وَالْقَمَلُ﴾

قوله: ﴿لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أن المسألة من باب الاشتغال، فأنتم مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر، لأن لو لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمرأ فهي كان في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٦] والأصل لو تملكون، فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو، إذ لا يمكن بقاءه متصلاً بعد حذف رافعه.

والثاني: أنه مرفوع بكان وقد كثر حذفها بعد لو، والتقدير لو كنتم تملكون، فحذفت كان فانفصل الضمير وتملكون في محل نصب بكان المحذوفة، وهو قول ابن الصائغ اهـ سمين.

قوله: ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ أي في دار الدنيا فلا ينافي قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ [الرعد: ١٨] لأن ذلك في الآخرة، وإذا ظرف لتملكون، ولأمسكتم جواب لو وخشية علة للجواب، وفي السمين لأمسكتم يجوز أن يكون لازماً لتضمنه معنى بخلتم، وأن يكون متعدياً ومفعوله محذوف أي: لأمسكتم ما ملكتم وخشية فيه وجهان، أظهرهما: أنه مفعول من أجله. والثاني: أنه مصدر في موضع الحال قاله أبو البقاء: أي: خاشين الإنفاق، وفيه نظر إذ لا يقع المصدر المعرف موقع الحال إلا سماعاً نحو: جهذك وطاقتك، وأرسلها العراك، ولا يقاس عليه والإنفاق مصدر أنفق أي أخرج المال، وقال أبو عبيدة: هو بمعنى الافتقار والإقتار اهـ.

قوله: (لبخلتم) بثلاث الخاء، فيقال: بخل كفهم وتعب وبخل كقرب، وبخل كركع، والمصدر بخل كفلس، وبخل كجبل، وبخل كعنتق، وبخل كقرب كما يؤخذ من القاموس والمصباح. قوله: (خوف نفادها) أي ذهابها بالإنفاق أشار إلى أن الإنفاق بمعناه المعروف، وهو صرف المال، وفي الكلام مقدر أي نفاده أو عاقبته أو هو مجاز عن لازمه، وقال الراغب: إن الإنفاق بمعنى الافتقار يقال: أنفق فلان إذا افتقر فهو كالإملاق في الآية الأخرى اهـ شهاب.

قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ أي ممسكاً بخيلاً، لأن بناء أمره على الحاجة والبخل بما يحتاج إليه، وقصد العوض فيما يبذله كالذكر الجميل والثناء الحسن عليه، فلا يرد السؤال كيف يصح هذا السلب الكلي، وأن من الإنسان الأجواد الكرام، حتى أن منهم من يجود بنفسه، وقد قيل: الجود بالنفس أقصى غاية الجود اهـ كرخي.

قوله: ﴿تَسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يجوز في بينات النصب صفة للعدد والجر صفة للمعدود اهـ سمين.

قوله: (واضحات) أي واضحات الدلالة على صدقه. قوله: (وهي اليد النخ) هذا العدد أحد أقوال ثلاثة ذكرها البيضاوي ونصه: هي العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وانفجار الماء من الحجر، وانفلاق البحر، ونق الجبل أي الطور على بني إسرائيل، وقيل: الطوفان، والسنون، ونقص الثمرات مكان الثلاثة الأخيرة. وعن صفوان أن يهودياً سأل النبي ﷺ عنها فقال: «أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا،

والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات ﴿فَسَلِّ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك فقلنا له اسأل وفي قراءة بلفظ الماضي ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يُمُوسَىٰ مَسْحُورٌ﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقلك ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا

ولا تمشوا بيريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت» فقبل اليهودي يده ورجله. فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لأنها تدل على حال من يتعاطى متعلقاتها في الآخرة من السعادة والشقاوة، وقوله: ﴿وعليكم﴾ خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت حكم مستأنف زائد على الجواب، ولذلك غير فيه سياق الكلام اهـ.

قوله: (والعصا) تكتب بالألف لأنها منقلبة عن واو، وفي المصباح: والعصا مقصور مؤنثة، والتثنية عصوان والجمع أعص وعصي على فعول مثل أسد وأسود اهـ.

قوله: (والقمل) أي السوس الذي نزل في حبوبهم.

قوله: (والطمس) أي مسخ أموالهم حجارة. قوله: (والسنين) هذا على لغة من يلزم جمع المذكر السالم، وما ألحق به الباء في الأحوال الثلاثة ويعربه بالحركات على النون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاسأل﴾ يقرأ بالهمز بعد السين وبحذفه بعد نقل حركته إلى السين والقراءتان سبعيتان، وهما غير القراءات التي نبه عليها الشارح، لأنهما بلفظ الأمر وهي بلفظ الماضي كما قال اهـ شيخنا.

قوله: (عنه) هو المفعول الثاني لاسأل أي عن موسى فيما جرى بينه وبين فرعون وقومه وقوله: (سؤال) تقرير أي سؤالاً يترتب على جوابه تقرير المشركين أي اقرارهم بصدقك فعلى بمعنى الباء. قوله: (أو فقلنا له) معطوف على يا محمد أي أو أن الخطاب لموسى، ويكون على تقدير القول المعطوف على آتينا أي آتينا فقلنا له اسأل بني إسرائيل، وعلى هذا فالمفعول الأول محذوف أي: اسأل فرعون بني إسرائيل أي اطلبهم منه لتذهب بهم إلى الشام، كما في قوله تعالى: ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ [الأعراف: ١٠٥] اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي شاذة فكان عليه أن يقول وقرء، وقوله (بلفظ الماضي) أي بلا همز بوزن قال. قوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ ظرف لآتينا، وجملة فاسأل الخ اعتراضية بين العامل والمعمول، وهذا على التفسير الأول في الشرح. وأما على الثاني وهو قوله: (أو فقلنا الخ) فهو ظرف لهذا المقدر، وهذا كله على القراءة بفعل الأمر سواء أثبتت الهمزة أو حذفت، وأما على القراءة بلفظ الماضي فهو ظرف لماضي نفسه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ﴾ معطوف على مقدر أي إذ جاءهم فبلغهم الرسالة، فقال له فرعون الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَسْحُورًا﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه بمعناه الأصلي أي أنك سحرت، فمن ثم اختل كلامك قال ذلك حيث جاء بما لا تهوى نفسه الخبيثة. والثاني: أنه بمعنى فاعل كميون ومشووم أي أنت ساحر، فلذلك تأتي بالأعاجيب يشير لانقلاب عصاه حية وغيره ذلك اهـ سمين.

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ ﴿١٠٢﴾ عَبْرًا وَلَكِنَّكَ تَعَانَدُ وَفِي قِرَاءَةِ بَظْمِ التَّاءِ ﴿١٠٣﴾ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٤﴾ هَالِكًا أَوْ مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ ﴿فَارَادَ﴾ فِرْعَوْنُ ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ يَخْرِجُ مُوسَى وَقَوْمَهُ

قوله: (مخدوعاً الخ) عبارة البيضاوي: سحرت فتخط عقلك.

قوله: ﴿لقد علمت﴾ قرأ الكسائي بضم التاء أسند الفعل لضمير موسى عليه السلام، أي: إني متحقق أن ما جئت به هو منزل من عند الله، والباقون بالفتح على إسناده لضمير فرعون أي: أنت متحقق أن ما جئت به هو منزل من عند الله، وإنما كفرك عناد. وعن علي رضي الله عنه أنه أنكر الفتح، وقال: ما علم عدو الله قط، وإنما علم موسى. والجملة المنفية في محل نصب لأنها معلقة للعلم قبلها اهـ سمين.

فما نافية والجملة بعدها سادة مسدة مفعولي علمت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بصائر﴾ حال وفي عاملها قولان، أحدهما: أنه أنزل هذا الملفوظ به، وصاحب الحال هؤلاء، وإليه ذهب الحوفي، وابن عطية، وأبو البقاء، وهؤلاء يجيزون أن يعمل ما قبل إلا فيما بعدها، وإن لم يكن مستثنى ولا مستثنى منه ولا تابعا له. والثاني: وهو مذهب الجمهور أن ما بعد إلا لا يكون معمولاً لما قبلها، فيقدر له عامل تقديره أنزلها بصائر، وقد تقدم نظيره في هود عند قوله: ﴿إلا الذين هم أراذلنا باديء الرأي﴾ [هود: ٢٧] اهـ سمين.

قوله: (عبراً) أي أموراً يعتبر بها أي حال كونها أدلة يستدل بها على صدقي اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: بصائر بينات تبصرك بصدقي ولكنك تعاند الخ اهـ.

قوله: (ولكنك تعاند) راجع لقوله لقد علمت، وقوله: (وفي قراءة) أي سبعة. قوله: ﴿وإني لأظنك﴾ أي أعلمك، وعبر عنه بالظن للمشاكلة، فقابل موسى ظنه الصحيح بظن فرعون الباطل اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: وقارع أي عارض ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين، فإن ظن فرعون كذب بحت، وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته، انتهت.

قوله: ﴿مَثْبُورًا﴾ مفعول ثان، واعتراض بين المفعولين بالنداء اهـ سمين.

قوله: (ومصروفاً عن الخير) أي ومطبوفاً على الشر من قولهم ما تبرك عن هذا أي ما صرفك اهـ بيضاوي.

وفي المصباح: وثبر الله الكافر ثبوراً من باب قعد أهلكه وثبر هو يتعدى ويلزم اهـ.

قوله: ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ في القاموس: فزَّ عني عدل والظبي فزع، وفز فلان عن موضعه من باب ضرب فزازاً أزعجه، واستفزه استخفه، وأخرجه من داره وأفزته أفرعته اهـ.

قوله: (يخرج موسى وقومه) أي بالقتل والاستئصال اهـ بيضاوي.

﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَعْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ ﴿جَمِيعًا أَنْتُمْ وَهُمْ﴾ ﴿وَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿وَالْحَقُّ﴾

قوله: ﴿فَأَعْرَقْنَاهُ﴾ أي فعكسنا عليه فكره فاستفزناه وقومه بالغرق، وقوله: (من بعده) أي بعد إغراقه اهد بيضاوي.

قوله: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أي أرض الشام ومصر اهد قرطبي وخازن.

قوله: (أي الساعة) وهي النفخة الثانية ووعدها وقتها، والمعنى فإذا جاء وقت الساعة الآخرة الموعود بها الخ. قوله: ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ أي أحييناكم وأخرجناكم من القبور وجمعناكم في المحشر. قوله: ﴿لَفِيفًا﴾ حال وفيه وجهان، أحدهما: أن أصله مصدر لف يلف لفيفاً نحو النذير والكير أي: جئنا بكم منضمماً بعضكم إلى بعض من لف الشيء يلفه لفاً، والألف المتداني الفخذين، وقيل: عظيم البطن. والثاني: أنه اسم جمع لا واحد له من لفظه، والمعنى جئنا بكم جميعاً، فهو في قوة في التأكيد اهد سمين.

وله واحد من معناه وهو جماعة ففي البيضاوي: لفيفاً مختلطين أنتم وهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم، واللفيف الجماعات من قبائل شتى اهد.

قوله: (وهم) أي قوم فرعون.

قوله: ﴿وَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ متعلق في المعنى بقوله: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ الخ وهذا على أسلوب العرب حيث ينتقلون في كلامهم من سياق المقصود إلى غيره المناسب له ثم يرجعون لما كانوا بصدد اهد شيخنا.

وفي الخطيب: أنه معطوف على ولقد صرفنا اهد.

والجار والمجرور في محل نصب على الحال من الهاء في أنزلناه أي أنزلناه حال كونه ملتبساً بالحق. وفي السمين: في الجار ثلاثة أوجه، أحدها: أنه متعلق بأنزلناه والباء سببية أي أنزلناه بسبب الحق. والثاني: أنه حال من مفعول أنزلناه أي ومعه الحق. والثالث: أنه حال من فاعله أي متلبس بالحق، وعلى هذين الوجهين يتعلق بمحذوف والضمير في أنزلناه الظاهر عوده للقرآن إما الملفوظ به في قوله قبل ذلك على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ويكون ذلك جرياً على قاعدة أساليب كلامهم، وهو أن يستطرد المتكلم بذكر شيء لم يسبق له كلامه أولاً ثم يعود إلى كلامه الأول، وإما للقرآن غير الملفوظ أولاً لدلالة الحال عليه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقيل: يعود على موسى كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥] وقيل: على الوعد، وقيل: على الآيات التسع، وذكر الضمير وأفرده حملاً على معنى الدليل والبرهان. وقوله: ﴿وَالْحَقُّ نَزَلَ﴾ فيه الوجهان الأولان دون الثالث، لعدم ضمير آخر غير ضمير القرآن وفي هذه الجملة وجهان، أحدهما: للتأكيد وذلك أنه يقال أنزلته، فنزل وأنزلته، فلم ينزل فجيء بقوله ﴿وَالْحَقُّ نَزَلَ﴾ دفعاً لهذا الوهم، وقيل: ليست للتأكيد والمغايرة تحصل بالتغاير بين الحقيقين، بالحق الأول التوحيد والثاني الوعد والوعيد والأمر والنهي. وقال الزمخشري: وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقضية لإنزاله، وما نزل إلا ملتبساً بالحق والحكمة

المشتمل عليه ﴿نَزَّلَ﴾ كما أنزل لم يعتره تبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالنار ﴿وَقُرْآنًا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾ نزلناه مفرقاً في عشرين سنة أو ثلاث ﴿لِنَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةٍ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ شيئاً بعد

لاشتماله على الهداية إلى كل خير، أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة، وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين اهـ.

قوله: ﴿وبالحق نزل﴾ المراد بالحق الثاني هو الأول، وهو الحكم المشتمل عليها يدل على هذا قوله (لم يعتره تبديل) أي: أن الحق الذي أنزل به استمر متصفاً به حال نزوله ووصوله إلينا. وقيل: الحق الأول هو الحكمة المقتضية للإنزال أي أنزلناه لحكم لا عبثاً، والثاني: هو المعاني التي اشتمل عليها اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: والحق فيهما ضد الباطل، لكن المراد بالأول الحكمة الإلهية المقتضية لإنزاله، وبالثاني ما يشتمل عليه من العقائد والأحكام ونحوها اهـ.

قوله: (المشتمل عليه) أي المشتمل عليه القرآن، وقوله: (لم يعتره) بسكون الهاء وبكسرها باختلاس وبإشباع، وعلى كل هو مجزوم بحذف الياء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا مبشراً ونذيراً﴾ حالان من الكاف والقصر إضافي، أي: لا هادياً، فإن الهدى هدى الله اهـ شيخنا.

قوله: (منصوب بفعل يفسره الخ) أي أو بفعل مقدر أي: وآتيناك قرآناً يدل عليه، ولقد آتينا موسى، وعلى هذا فجملة فرقناه في محل نصب، لأنها صفة لقرآننا وعلى الأول لا محل لها والعامّة فرقناه بالتخفيف أي بينا حلاله وحرامه، أو فرقنا فيه بين الحق والباطل. وقرأ علي وجماعة من الصحابة وغيرهم بالتشديد، وفيه وجهان، أحدهما: أن التضعيف للتكثير أي فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار ماضية ومستقبلية. والثاني: أنه دال على التفريق والتنجيم. قال الزمخشري: وعن ابن عباس أنه قرأ مشدداً وقال: لم ينزل في يومين، ولا في ثلاثة، بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب اهـ من السمين.

قوله: (بفعل يفسره الخ) فهو منصوب على الاشتغال، واعتذر الشيخ عن ذلك أي عن كونه لا يصح الابتداء به لو جعلناه مبتدأ لعدم مسوغ، لأنه لا يجوز الاشتغال إلا حيث يجوز في ذلك الاسم الابتداء بأن ثم صفة محذوفة تقديره: وقرآننا أي قرآن بمعنى عظيماً، وفرقناه على هذا لا محل له اهـ سمين.

قوله: (أو وثلاث) أي على الخلاف في تقارن النبوة والرسالة وتعاقبهما.

قوله: ﴿لنقرأه﴾ متعلق بفرقنا وعلى مكث، قال الشيخ: الظاهر تعلقه بقوله ﴿لنقرأه﴾، ولا يبالي بكون الفعل تعلق به حرفاً جر من جنس واحد، لأنه اختلف معنى الحرفين، لأن الأول في موضع المفعول به، والثاني في موضع الحال أي متمهلاً مترتلاً، والمكث التطاول في المدة، وفيه ثلاث

شيء على حسب المصالح ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ يُخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيهاً له عن خلف الوعد ﴿إِنْ﴾ مخففة ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾ ﴿وَيُخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمُ الْقُرْآنَ﴾ ﴿خَشَعًا﴾

لغات: الضم والفتح ونقل القراءة بهما الحوفي وأبو البقاء. والكسر ولم يقرأ به فيما علمت، وفي فعله الفتح والضم، وسيأتيان إن شاء الله تعالى في النمل اه سمين.

قوله: (مهل وتؤدة) أي تأن وتثبت، وفي القاموس: المهل ويحرك والمهلة بالضم الرفق والتأني والسكينة اه.

وفي المصباح: واتأد في الأمر يتأد وتوأد إذا تأنى فيه وتثبت، ومشى على تؤدة مثال رطبة ومشياً وثيداً أي على سكينته والتأد بدل من واو اه.

قوله: (على حسب المصالح) فسر به ليفيد مع قوله ﴿فرقناه﴾، فإن الأول دال على تدريج نزوله ليسهل حفظه وفهمه من غير نظر إلى مقتضى لذلك، وهذا أخص منه، فإنه دال على تدريجه بحسب الاقتضاء اه شهاب.

قوله: ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أي فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالاً، وامتناعكم عنه لا يورثه نقصاناً، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ تعليل له أي: إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم، وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وأمارة النبوة، وتمكنوا من التمييز بين المحق والمبطل، ورأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب، ويجوز أن يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية، كأنه قيل تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة، ولا تكثرث بإيمانهم وأعراضهم اه بيضاوي.

قوله: (وهم مؤمنو أهل الكتاب) كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي اه شيخنا.

قوله: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ أي الوجوه واللام بمعنى على، أو على بابها متعلقة بـيخرون بمعنى يدلون، وخصت الأذقان بالذكر، لأن الذقن أول جزء من الوجه يقرب من الأرض عند السجود، والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، وسجداً حال أي ساجدين لله على إنجاز وعده الذي وعدهم به في الكتب القديمة أن يرسل محمداً ﷺ، وينزل القرآن، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي في حال سجودهم اه شيخنا.

قوله: (عن خلف الوعد) أي الذي رأيته في كتبنا بإنزال القرآن وإرسال محمد ﷺ اه شيخنا.

قوله: (مخففة) أي واسمها ضمير الشأن، وقوله ﴿لَمَفْعُولًا﴾ أي موفى ومنجزاً اه شيخنا.

قوله: ﴿يَبْكُونَ﴾ حال أي يبكون من مواظب القرآن، وقوله: ﴿بِزِيَادَةِ صِفَةٍ﴾ أي وهي البكاء، ومراده بهذا دفع التكرار اه شيخنا.

وفي الكرخي: فالخروج الأول للسجود والآخر لشدة البكاء، أو الأول في حالة سماع القرآن أو قراءته، والثاني في سائر الحالات، وفيه إشارة إلى الجواب عن قول القائل: ما فائدة إعادة يخرون؟

تواضعاً لله وكان ﷺ يقول: يا الله يا رحمن، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلهاً آخر معه، فنزل ﴿قُلْ لَهُمْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أي سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن ﴿أَيَّا﴾ شرطية و ﴿مَا﴾ زائدة أي أيّ هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن دل على هذا ﴿فَلَهُ﴾ أي

وحاصل الجواب: اختلاف الحاليين اهـ.

قوله: ﴿ويزيدهم﴾ فاعل يزيد، إما القرآن أو البكاء أو السجود أو المتلو لدلالة قوله: ﴿إذا يتلى﴾ وتكرر الخور لاختلاف حاله بالبكاء والسجود، وجاءت الحال الأولى اسماً لدلالته على الاستمرار، والثانية فعلاً لدلالته على التجدد والحدوث اهـ سمين.

قوله: (وكان ﷺ يقول) أي في سجوده وقوله ﴿فقالوا﴾ أي حين سمعوه يقول ما ذكر. وعبرة الخازن: قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا، وهو يدعو إلهين، فأنزل الله هذه الآية انتهت.

قوله: (إلهاً آخر) وهو الرحمن، وفهموا أن المراد به رحمان اليمامة، وهو مسيلمة الكذاب وقوله: (معه) أي مع الله اهـ شيخنا.

قوله: (شرطية) عبارة السمين: أي منصوب بتدعوا على المفعول به، والمضاف إليه محذوف أي أي الاسمين وتدعوا مجزوم بها، فهي عاملة ومعمولة، وكذلك الفعل، والجواب الجملة الاسمية من قوله: ﴿فله الأسماء﴾ وقيل: هو محذوف تقديره جاز، ثم استأنف فقال: فله الأسماء الحسنى وليس بشيء والتنوين في أي عوض عن المضاف إليه. وفي ما قولان، أحدهما: أنها مزيدة للتأكيد. والثاني: أنها شرطية جمع بينهما تأكيداً، كما جمع بين حرفي الجر للتأكيد وحسنه اختلاف اللفظ كقول الشاعر:

فأصبحن لا يسألنني عن بما به

ويؤيد هذا ما قرأ به طلحة بن مصرف: أي من تدعوا، وقيل: من تحتل الزيادة على رأي الكسائي، واحتمل أن تكون شرطية وجمع بينهما تأكيداً لما تقدم، وتدعوا هنا يحتمل أن يكون من الدعاء وهو النداء، فيتعدى لواحد، وأن يكون بمعنى التسمية فيتعدى لاثنتين إلى الأول بنفسه، وإلى الثاني بحرف الجر، ثم يتسع في الجار فيحذف كقوله:

دعتني أخاها أم عمرو

والتقدير قل ادعوا معبودكم بالله أو بالرحمن، بأي الاسمين سميتوه، وممن ذهب إلى كونها بمعنى سمي الزمخشري، ووقف الأخوان على أي بإبدال التنوين ألفاً، ولم يقف على ما تبييناً لانفصال أي عن ما ووقف غيرهما على ما لامتزاجها بأي، ولهذا فصل بها بين أي وبين ما أضيفت إليه في قوله تعالى ﴿أَيُّهَا الْأَجْلِينَ﴾ [القصص: ٢٨] اهـ.

قوله: ﴿مَا﴾ (زائدة) أي لتأكيد ما في أي من الإبهام اهـ كرخي.

قوله: (أي هذين الخ) يشير إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه اهـ بيضاوي.

لمسماهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وهذان منها فإنها كما في الحديث. هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر،

قوله: (أي لمسماهما) لأن الضمير في له للمسمى، فمعنى ادعوا الله أو الرحمن سموا المعبود بحق بالله أو الرحمن، فإنهما من الأسماء الحسنى اهـ كرخي.

قوله: (فله الأسماء الحسنى) يعني وإذا حسنت أسماؤه كلها، فهذان الاسمان منها، ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد، وعلى صفات الجلال والكمال اهـ خازن.

والحسن مؤنث الأحسن الذي هو أفعل التفضيل لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء، كما في القاموس يعني أحسن لا يستعمل بمعنى أصل الفعل، وإنما استعمل بمعنى الفضيل، والحسنى بالضم ضد السوأى، وقد وصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة، كقوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ [طه: ١٨] وهو فصيح، ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب الحسن على وزن الآخر، كقوله: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٤] لأن جمع ما لا يعقل يخبر عنه ويوصف بوصف المؤنثات، وإن كان المفرد مذكراً اهـ.

قوله: (كما في الحديث) ونصه: «إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة، وهي هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» الخ. وقوله: (من أحصاها) قال شيخ الإسلام محيي الدين النووي: أي من حفظها هكذا فسر البخاري، والأكثرين. ويؤيده أن في رواية في الصحيح من حفظها دخل الجنة، وقيل: معناه من عرف معانيها وآمن بها، وقيل: معناه من أحصاها بحسن الرعاية لها، وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها اهـ.

قوله: (الله) هو أعظم الأسماء المذكورة لأنه دل على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها بخلاف سائر الأسماء، فإن كلاً منها لا يدل إلا على بعض المعاني من علم أو فعل أو قدرة أو غيرها، ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلق على غيره لا حقيقة ولا مجازاً بخلاف سائر الأسماء، فإنه قد يسمى به غيره مجازاً، كالقادر والعليم والرحيم، والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، وأل لازمة له لا لتعريف ولا غيره، وهو ليس بمشتق كما نقل عن الشافعي، والخليل، وسيبويه، وابن كيسان، والأكثرين على أنه مشتق ونقل عن الخليل وسيبويه أيضاً.

(الذي لا إله إلا هو) نعت للاسم الجليل، ولفظ هو ضمير عند الجمهور، وذهب بعضهم إلى أنه اسم ظاهر، وعلى كل فليس من التسعة والتسعين، بل هو زائد عليها.

(الرحمن الرحيم) الكلام عليهما مشهور. قال بعضهم: الرحمن بما ستر في الدنيا، والرحيم بما غفر في العقبى، وقال عبد الله بن المبارك: الرحمن الذي إذا سئل أعطى، والرحيم الذي إذا لم يسأل غضب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه». وقيل: الرحمن بالإنقاذ من النيران، والرحيم بإدخال الجنان، وقيل: الرحمن بإزالة الكروب والعيوب، والرحيم بإنارة القلوب

بالغيوب، وقيل غير ذلك وحظ العبد من هذه الأسماء الثلاثة أن يلاحظ من الله تعالى قدرته، ومن الرحمن نعمته، ومن الرحيم عصمته ومغفرته، وقيل غير ذلك. فإن قلت: هو تعالى موصوف بأنه رحمن ورحيم وأرحم الراحمين، ومن شأن من هو متصف بذلك أن لا يرى مبتلى أو معذباً أو مريضاً وهو يقدر على إزالة ما به إلا ويبادر إليها، وهو تعالى لم يفعل ذلك، لأن المشاهد أن الدنيا طافحة بالأمراض ونحوها على عباده، ولم يزالوا مبتلين بالرزايا والمحن، مع أنه قادر على إزالة كل بلية. قلت: أجب بأن عدم إزالته تعالى ذلك عن ذكر ليس لعدم شفقته ورحمته عليهم، بل فعله ذلك بهم هو الشفقة والرحمة عليهم، كما أن الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة مثلاً مع كونه محتاجاً إليها، والأب العاقل يحمله عليها قهراً، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة مثلاً من كمال رحمته وعطفه وتمايم شفقته عليه، وأن الأم عدو له في صورة صديق، وأن الألم القليل إذا كان سبباً للذة الكثيرة لم يكن شراً بل خيراً، والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شر إلّا وفي ضمنه خير لو رفع ذلك الشر لبطل الذي هو في ضمنه، ولحصل بطلانه شر أعظم من الشر الذي هو في ضمنه، فاليد المتأكلة مثلاً قطعها شر في الظاهر وفي ضمنها الخير الجزيل وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل بسببه هلاك البدن، ولكان الشر أعظم.

(الملك) هو بكسر اللام الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كل موجود وقيل: من ملك نفوس العابدين فأقلقها، وملك قلوب العارفين فأحرقها، وقيل: من إذا شاء ملك وإذا شاء أهلك، وقيل غير ذلك. وحظ العبد منه ما قيل من لاحظ الملك فني عن المملكة فالأعراض لا تشغله والشواهد لا تقطعه والعوائد لا تحجبه.

(القدوس) وهو على وزن فعول بالضم من أبنية المبالغة وقد تفتح القاف وليس بالكثير، وهو من القدس بضم الدال وإسكانها الطهارة والنزاهة، والطهارة في حقه تعالى النزاهة عن سمات النقص وموجبات الحدوث، وسميت الأرض المقدسة مقدسة لطهارتها عن أضرار الشرك أي أوساخه، وقيل: القدوس من تقدس عن الحاجات ذاته وتنزه عن الآفات صفاته وحظ العبد منه التنزه عما يشينه في أمر دنياه وآخره.

قوله: (السلام) قيل: هو الذي سلمت ذاته عن الحدوث والعيب، وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشر المحض فيرجع معناه إلى التنزيه وبيان القدوس باشتمال القدوس على مبالغة، وقيل: معناه المسلم على عباده فيرجع إلى القدرة أو إلى أسماء الأفعال، وقيل غير ذلك. وحظ العبد منه بالمعنى الأول أن ينزه نفسه عن كل لهو، ولسانه عن كل لغو، وقلبه عن كل غير ويأتي ربه بقلب سليم، وبالمعنى الثاني افشاء السلام، وبالمعنى الثالث دفع المضار عن الناس.

(المؤمن) معناه في حقه تعالى تصديقه نفسه وكتبه ورسله، فيرجع معناه إلى الكلام القديم، وقيل: انه مأخوذ من الأمن وهو المؤمن عباده من المخاوف، فيرجع إلى القدرة أو صفات الأفعال، وقيل غير ذلك. وحظ العبد منه بالمعنى الأول تحقيق اتصافه بحقائق الإيمان وبالمعنى الثاني أن يأمن

غيره أذاه. قال ﷺ: «المسلم من سلم المؤمنون من لسانه ويده» وقال ﷺ: «ليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه».

(المهيمن) أي الرقيب المبالغ في المراقبة والحفظ من قولهم: هيمن الطير إذا نشر جناحه على فرخه صيانته له، وقيل: معناه الشاهد أي العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة فيرجع إلى العلم. قال تعالى: ﴿وَمَهِيماً عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي شاهداً، وقيل: معناه الذي يشهد على كل نفس بما كسبت، وقيل: الذي يشهد خواطرك ويعلم سرائرك ويبصر ظواهرك. وفي القاموس: وهيمن قال آمين كأمن، وهيمن الطائر على فراخه رفر، وهيمن على كذا صار رقيباً عليه وحافظاً، والمهيمن وتفتح الميم الثانية من أسماء الله تعالى في معنى المؤمن من أمن غيره من الخوف، وأصله مؤأمن بهمزين قلبت الهمزة الثانية ياء ثم الأولى هاء، أو بمعنى الأمين أو المؤتمن أو الشاهد اهـ.

وحظ العبد منه بالمعنى الأول ملاحظة أفعاله من حيث الشريعة وأسراره من حيث الحقيقة، وبالمعنى الثالث أن يكون رقيباً على خواطره.

(العزیز) أي الذي لا يدركه طالبه ولا يعجزه هاربه فيرجع إلى القدرة. وقيل: هو العديم المثل فيرجع إلى التنزيه، والعززة في الأصل القوة والشدة والغلبة. تقول عزيز بالكسر إذا صار عزيزاً وعز يعز بالفتح إذا اشتد، وحظ العبد منه أن يغلب نفسه وسلطانته بالاستقامة والاستعانة به تعالى، وقال ﷺ: «من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه»، وإنما كان كذلك لأن الإيمان متعلق بثلاثة أشياء: المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، فإذا تواضع له بلسانه وأعضائه فقد ذهب الثلثان، فلو انضم إليه القلب ذهب الكل.

(الجبار) صيغة مبالغة من الجبر ومنه جبر العظم، وهو في الأصل اصلاح الشيء بضرب من القهر، فمعناه المصلح لخلل العباد يردهم للتوبة أو بغير ذلك، وقيل: معناه الذي يقهر العباد على كل ما أراد. يقال: جبر الخلق وأجبرهم وأجبر أكثر، وحظ العبد منه أن يقهر نفسه على امتثال أوامر الله، وعلى اجتناب نواهيه.

(المتكبر) أي المتعالي العظيم. قال الشيخ شرف الدين التلمساني رحمه الله تعالى: قال القاضي: هو مشعر بثبوت جميع الصفات النفسية والمعنوية وانتفاء النقائص. قال عليه الصلاة والسلام: يقول الله تعالى: «الكبرياء رذائي والعظمة إزارني فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار» وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: هو الذي يرى غيره حقيراً بالإضافة إلى ذاته لا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، فينظر إلى غيره نظر المالك إلى عبده، وهو على الإطلاق لا يتصور إلا الله تعالى، فإنه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة إلى كل شيء من كل وجه، ولذلك لا يطلق على غيره إلا في معرض الذم، وحظ العبد منه أن يتكبر عن الركون إلى الشهوات والسكون إلى الدنيا وزينتها، فإن البهائم تشاركه فيها، بل يتكبر عن كل ما يشغل سره عن الحق ويستحق كل شيء سوى الوصول إلى جناب القدس من مستلذات الدنيا والآخرة.

الخالق، الباريء، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض،

(الخالق) من الخلق وأصله التقدير المستقيم، كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ويستعمل بمعنى الابداع وهو إيجاد الشيء من غير أصل، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [النحل: ٣] وبمعنى التكوين كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: ٤] وقيل: الخالق الذي أظهر الموجودات بقدرته وقدر كل واحد منها بمقدار معين بإرادته، وقيل: الذي خلق الخلائق بلا سبب وعلة، وأنشأها من غير جلب نفع ولا دفع مضرة، وقيل: الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة.

(الباريء) مأخوذ من البرء، وأصله خلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التقصي منه، ومنه قولهم برىء فلان من مرضه، والمديون من دينه، واستبرأت الأمة رحمها. وإما على سبيل الإنشاء منه، ومنه برأ الله النسمة وهو الباريء لها، وقيل: الباريء هو الذي خلق الخلق لا عن مثال.

(المصور) أي المبدع لصور المخترعات ومزينها ومرتبها، وقيل: المصور الذي سوى قامتك وعدك خلقتك. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وقيل: هو الذي ميز العوام من البهائم بتسوية الخلق، وميز الخواص من العوام بتصفية الخلق، وقيل: هو الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها، فالله تعالى خلق آدم من تراب أي قدره تقديرًا مخصوصاً، ثم برأه أي سواه ثم صوره أي: بلغه الكمال فالنجار إذا قدر خشبات الكرسي فقد خلقها، وإذا سوى تلك الخشبات فقد برأها وإذا شبك بعضها في بعض وبلغها المبلغ الذي يصلح معه أن يجلس عليها فقد صورها، فالله تعالى خالق كل شيء بمعنى أنه مقدره أو موجهه من أصل أو غيره وبارئه حسبما اقتضت حكمته وسبقت به كلمته من غير تفاوت واختلاف، ومصورة بصورة يترتب عليها خواصه ويتم بها كماله، وحظ العبد من هذه الأسماء الثلاثة النظر والتفكر في غرائب المصنوعات، وتباين ألوانها وأشكالها. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ [الأنعام: ٩٩] الآية ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ [ق: ٦] الآية. وهذه الأسماء الثلاثة مع الأحد عشر قبلها مذكورة في القرآن مجموعة في آخر سورة الحشر.

(الغفار) أصل الغفر لغة الستر والمغفرة إلباس الله تعالى العفو للمذنبين، والغفار الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، وحظ العبد منه أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه ولا يفشي منه إلا أحسن ما فيه، ويتجاوز عما يقبح منه ويقابله بالإحسان. قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦] وقال الشيخ بدر الدين الزركشي رحمه الله تعالى: قال بعض السلف: من أحب أن يكثر ماله وولده ويبارك له في رزقه فليقل أستغفر الله إنه كان غفاراً في اليوم سبعين مرة فإن الله سبحانه قال: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ [نوح: ١٠].

(القهار) مبالغة في القهر، والقهر في اللغة الغلبة وصرف الشيء عما طبع عليه على سبيل

الإلجاء، فيرجع إلى القدرة على المنع، وقيل نفس المنع فمن قهره جمعه بين الطبائع المتنافرة وإسكان الروح اللطيف النوراني في البدن الكثيف المظلم، ومن قهره تسخير الأفلاك الدائرة وجمع الخلائق في مشيئته، ومنع العقول من الوصول إلى كنه حقيقته، ولا يحيطون به علماً، ومعناه الذي يقصم ظهور الجبابرة فيقهرهم بالإماتة والإذلال والإهلاك، فهو من أسماء الأفعال، وقيل: هو الذي قهر قلوب الطالبين فأنسها بلطف مشاهدته. وقيل: هو الغالب لجميع الخلائق، وحظ العبد منه قهر النفس الأمارة بالسوء والإضرار بالقوى الشهوانية والغضبية، وتضييق مجاري الشيطان بالصوم قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] الآية.

(الوهاب) مبالغة في الوهاب، فمعناه كثير النعم دائم العطاء، والهبّة هي العطية الخالية عن العوض والغرض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهاباً، ولا تكون حقيقة إلا منه تعالى، إذ لا مالك في الحقيقة إلا هو. وقيل: هو من يكون جزيل العطايا، والنوال كثير المن والإفضال كثير اللطف والإقبال يعطي من غير سؤال ولا يقطع نواله عن العبد بحال، وقيل: هو الذي يعطيك وينعم عليك بلا سبب وحيلة. وحظ العبد منه التشبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال: الله ورسوله. وقال بعض العارفين مما جربت استجابته أن يقول: اللهم هب لي من رحمتك ما لا يمسكه أحد غيرك ست مرات.

(الرزاق) هو مبالغة في الرزاق، ومعناه الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها، وقيل: الذي يرزق من يشاء من عباده القناعة ويصرف دواعيهم عن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة والرزق على قسمين: ظاهر وهو الأقوات والأطعمة وذلك للظواهر وهي الأبدان، وباطن وهي المعارف والمكاشفات، وذلك للقلوب والأسرار، وهذا أشرف الرازقين فإن ثمرته حياة الأبد وثمره الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريية الأمد، والله تعالى هو المتولي لخلق الرازقين والمتفضل بإيصالها إلى العباد، ولكنه ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر. قال أصحابنا رحمهم الله تعالى: اسم الرزق لا يختص بالمأكل والمشروب، بل كل ما انتفع به الحيوان من مأكل ومشروب وملبوس وغيرها، فهو رزقه، ومن أعظم الرزق التوفيق للطاعات. وحظ العبد منه أن يتيقن أنه لا رزاق سواه، وأن يقطع مطامعه عن جميع عباده بالثقة بموعوده، ويكف استشرافه إلى جميع خلقه بالرضا بمقدوره، واعلم أنه تعالى يوصل الرزق إلى جميع مخلوقاته، وأن أسباب سعة الرزق كثرة الصلاة لقوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى﴾ [طه: ١٣٢] والصلاة والسلام على النبي ﷺ، وأن من آداب العبودية أن يرجع العبد إلى ربه في طلب كل ما يريده من جليل وحقير. وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: أمر الرزق بطلبك وأمرت بطلب الجنة فطلبت ما أمر بطلبك وتركت ما أمرت بطلبه.

(الفتاح) مبالغة في الفاتح، ومعناه الذي يفتح خزائن الرحمة على أصناف البرية، وقيل: هو الحاكم بين الخلائق من الفتح بمعنى الحكم، قال تعالى: ﴿ربنا افتح﴾ [الأعراف: ٨٩] أي احكم. وقيل: هو الذي يعينك عند الشدائد وينيلك صنوف العوائد، وقيل: هو الذي فتح على النفوس باب

الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف،

توفيقه وعلى الأسرار باب تحقيقه، وقيل: الذي لا يغلق عن خلقه وجوه النعم بعصيانهم ولا يترك إيصال الرحمة إليهم بنسيانهم، وحظ العبد منه أن يجتهد حتى يفتح في كل ساعة على قلبه باب من أبواب الغيب والمكاشفات، وأن يفتح في كل ساعة على عباد الله أبواب الخيرات والمسرات. وقال بعض العارفين: مما جربت استجابته أن يقال اللهم أنت لها ولكل حاجة اقضها بفضل بسم الله الرحمن الرحيم، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ثمان مرات. ونقل الشيخ العلامة كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى أنه مكتوب على ضريح أبي حنيفة وعلى سور بغداد آية من كتاب الله تعالى، وحديث عن رسول الله ﷺ، وبيت من شعر ما قرأها أحد وكان في هم وغم إلا فرج الله همه وغمه، وما كان في ضيق إلا يسر الله عليه وكل ذلك بحسن اليقين، أما الآية فقوله تعالى: ﴿ما يفتح للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ [فاطر: ٢] وأما الحديث فقوله ﷺ: «ما كان لك سوف يأتيك على ضعفك، وما ليس لك لن تناله بقوتك» وأما الشعر فهو:

من حط ثقل حموله في باب ماله استراحا
إن السلامه كله حصلت لمن ألقى السلاحا

(العليم) معناه البالغ في العلم وعلمه تعالى شامل لجميع المعلومات محيط بها سابق على وجودها وهو من صفات الذات، وقيل: معناه الذي لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه قاصية ولا دانية. قال الفخر الرازي وغيره: وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز أن يقال لله يا معلم، وهذا من أقوى الدلائل على أن أسماء الله تعالى توقيفية لا قياسية. وقال أيضاً: إن الألفاظ الموهمة الواردة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب الاختصار عليها، ولا يجوز ذكر الألفاظ المشتقة منها كقوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه﴾ [فاطر: ١٢١] فلا يجوز أن يقال كان آدم عليه الصلاة والسلام عاصياً، وقوله: يا أبت استأجره فلا يقال إن موسى عليه الصلاة والسلام كان أجيراً. وقال غيره: وأجمعوا على أنه لا يقال عليه تعالى علامة أيضاً وإن كانت التاء للمبالغة لما يشعر به من التأنيث، وقيل: لإشعاره بالترقي في العلم من قلة إلى كثرة، وحظ العبد منه أن يستحي من الله تعالى حق الحياء، وقيل: من عرف أنه عليم بحالته صبر على بليته وشكر على عطيته، واعتذر عن قبيح خطيئته.

(القابض الباسط) قال تعالى: ﴿والله يقبض ويبسط﴾ [البقرة: ٢٤٥] وإتباع أحد الاسمين بالآخر دليل على الكمال في القدر فلا يوصف بالحرمان دون العطاء ولا بالعطاء دون الحرمان، والقبض لغة الأخذ والبسط التوسعة وهما يعمان جميع الأشياء ومعناهما مضيق الرزق على من أراد وموسعه على من أراد، وقيل: معناهما الذي يقبض الأرواح من الأشباح عند الممات وينشر الأرواح في الأجساد عند الحياة، فهما على القولين من صفات الأفعال. وحظ العبد منهما أن لا يمنع الحكمة أهلها فيظلمهم وأن لا يعطيها غير أهلها فيظلمها.

(الخافض الرافع) الخفض والرفع معناهما معلوم، وهما إن كانا في الدين فمعناهما الإضلال والإرشاد وإن كانا في الدنيا فمعناهما إعلاء الدرجات وإسقاطها، وقيل: معناهما الواضع من عصاه، والرافع من تولاه. وحظ العبد منهما أن يخفض الباطل ويرفع الحق ويعادي أعداء الله فيخفضهم ويوالي

أولياءه فيرفعهم، وأن لا يأمن مكر الله.

(المعز المذل) المعز هو الذي أعز أولياءه بعصمته ثم غفر لهم برحمته، ثم نقلهم إلى دار كرامته، ثم أكرمهم برؤيته ومشاهدته، والمذل هو الذي أذل أعداءه بحرمان معرفته وركوب مخالفته، ثم نقلهم إلى دار عقوبته وأهانهم بطرده ولعنته. قال بعضهم: ما أعز الله عبداً بمثل ما يعرفه بذل نفسه وما أذل الله عبداً بمثل ما شغله بعز نفسه، وينبغي للعبد أن يدعو بقوله: اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وقيل: معناهما المعز بالطاعة المذل بالمعصية. وحظ العبد منهما أن يعز الحق وأهله ويذل الباطل وحزبه، وأن يكون ذا عزة على الكافر، قال تعالى: ﴿أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤].

(السميع البصير) السمع إدراك المسموعات حال حدوثها، والبصر إدراك المبصرات حال وجودها، وهما في حقه تعالى صفتان تنكشف بهما المسموعات والمبصرات انكشافاً تاماً. وقيل: معنى السميع دعوات عباده وتضرعهم إليه ولا يشغله نداء عن نداء ولا تمنعه إجابة دعاء عن إجابة دعاء، وقيل: هو الذي أجاب دعوتك عند الاضطراب وكشف محتتك عند الافتقار وغفر زلتك عند الاستغفار، وقيل: معذرتك عند الاعتذار ورحم ضعفك عند الذلة والانكسار، وقيل: هو الذي يسمع المناجات ويقبل الطاعات ويقبل العثرات. وقيل في معنى البصير: هو الذي يبصر ما تحت الثرى. وحظ العبد منهما أن يتحقق أنه بسمع من الله وبمراى منه، ويتيقن أن الله مطلع عليه وناظر إليه ومراقب لجميع أحواله من أقواله وأفعاله، وقيل: من عرف أنه البصير زين باطنه بالمراقبة وظاهره بالمحاسبة، وقيل إذا عصيت مولاك فاعصه في موضع لا يراك فيه، وقال بعض العارفين: من أراد خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يروونه فليقرأ عند مروره عليهم: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣] تسع مرات.

(الحكم) بفتح الحاء ومعناه الحاكم الذي لا مرداً لقضائه ولا معقب لحكمه، وقيل: الذي لا يقع في وعده ريب ولا في فعله عيب، وقيل: الذي حكم على القلوب بالرضا والقناعة وعلى النفوس بالانقياد والطاعة، وحظ العبد منه أن يستسلم لحكمه وينقاد لأمره.

(العدل) معناه العادل البالغ في العدل، وهو الذي لا يفعل إلا ما له فعله، وهو في الأصل مصدر أقيم مقام الاسم، فالعدل أقيم مقام العادل كالرب أقيم مقام الرب، وقيل: معناه الذي له أن يفعل ما يريد وحكمه ماض في العبيد، وحظ العبيد منه ترك الإفراط والتفريط وخير الأمور أوساطها.

(اللطيف) معناه العليم بخفيات الأمور ودقائقها وما لطف منها، فيرجع إلى صفات المعاني، وقيل: معناه الميسر لكل عسير الجابر لكل كسير، وقيل: من كلف دون الطاقة وأعطى فوق الكفاية، وقيل: من وفق للعمل في الابتداء وأحسن بالقبول في الانتهاء، وقيل: من رأى فستر وأعطى فوفر وأنعم فأجزل، وقيل: الذي لطف أفعاله وحسنت، وحظ العبد منه أن يتلطف بعباده ويرفق بهم في الدعاء إلى الله تعالى، وفي الإرشاد إلى طريق الحق وأن يتيقن أنه تعالى عالم بمكونات الضمائر وجليات الظواهر. قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي

الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العليّ، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب،

أحسن ﴿[النحل: ١٢٥] وقال بعض العارفين: من قرأ قوله تعالى: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز﴾ [الشورى: ١٩] في كل يوم تسع مرات لطف الله به في أموره ويسر له رزقاً حسناً، وكذلك من أكثر من ذكر اللطيف.

(الخبير) معناه العليم ببواطن الأشياء من الخبرة وهي العلم بالخفايا الباطنة، وحظ العبد منه أن لا يتغافل عن بواطن أحواله ويشتغل بإصلاحها ويستدرك ما يحدث فيها من القبائح. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان وغنى بلا فقر، فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة. وقال بعض العارفين: من أراد أن يرى شيئاً في منامه فليقرأ قوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] تسع مرات عند نومه

(الحليم) هو الذي لا يعجل بالانتقام وكيف يعجل من لا يخاف الفوت، وقيل: معناه من كان صفحاً عن الذنوب ستاراً للعيوب، وقيل: هو الذي يحفظ الود ويحسن العهد وينجز الوعد، وقيل: هو الذي غفر بعد ما ستر، وقيل: هو الذي لا يستخفه عصيان عاص ولا يستفزه طغيان طاغ، وقيل: هو الذي يحلم على عباده ويتجاوز عن سيئاتهم. وحظ العبد منه أن يتخلق بالحلم ويحمل نفسه على كظم الغيظ وإطفاء نار الغضب بالحلم.

(العظيم) معناه الذي ليس لعظمته بداية ولا لكنه جلاله نهاية. وقيل: هو الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصيرة، وقيل: الذي لا تكون عظمته بتعظيم الأغيار وجل قدره عن الحد والمقدار، وقيل: هو العظيم بوجوب وجوده والعظيم في قهره وسلطانه، والعظيم بتزهره عن صفات خلقه، وفيه إشارة إلى مجموع صفاته النفسية والمعنوية والقدسية وأظهر معانيه القوة والقدرة وحظ العبد منه قوله ﷺ: «من تعلم وعلم وعمل فذلك يدعى في ملكوت السماء عظيماً» وأن يستحق نفسه ويذلها للإقبال على الله تعالى بالانقياد لأوامره والاجتهاد في ارتكاب ما يرضيه واجتناب نواهيه.

(الغفور) معناه كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العذاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو الستر. قال العلامة فضل الله التوربشتي رحمه الله تعالى: ولعل الغفار أبلغ من الغفور لزيادة بنائه، وقيل: الفرق بينه وبين الغفار أن المبالغة فيه من جهة الكيفية فيغفر الذنوب العظام، وفي الغفار باعتبار الكمية فيغفر الذنوب الكثيرة، وحظ العبد منه ما مرّ في الغفار.

(الشكور) معناه الذي يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل. وقيل: هو الذي أعطى أجزل وإذا أطيع بالقليل قبل، وقيل: هو الذي يقبل اليسير من الطاعات ويعطي الكثير من الدرجات. وحظ العبد منه أن لا يستعمل نعمه في شيء من معاصيه، وأن يكون شاكراً للناس معروفهم فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله قيل: وغاية شكرك له اعترافك بالعجز عن شكره، كما أن غاية معرفتك به اعترافك بالعجز عن معرفته.

(العلي) معناه العالي البالغ في علو الرتبة إلى حيث لا رتبة إلا وهي منحة عنه، وقيل: هو الذي علا عن أن تدرك الخلق ذاته، وعن أن يتصوروا صفاته بالكنه والحقيقة، وحظ العبد منه أن يذل نفسه في طاعة الله ويذل جهده في العلم والعمل.

(الكبير) معناه ذو الكبرياء، وقيل: معناه الذي فاق مدح المادحين ونعت الناعتين، وقيل: معناه الكبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول، وحظ العبد منه أن يجتهد في تكميل نفسه علماً وعملاً بحيث يتعدى كماله إلى غيره ويقتدي بآثاره ويقتبس من أنواره. قال ﷺ: «جالس العلماء وصاحب الحكماء وخالط الكبراء» قال المحققون: العلماء ثلاثة أقسام العلماء بأحكام الله فقط، وهم العلماء وأصحاب الفتوى والعلماء بذات الله فقط وهم الحكماء، والعلماء بالقسمين وهم الكبراء، فالقسم الأول حالهم كالسراج يحترق في نفسه ويضيء غيره، والقسم الثاني حالهم أكمل من الأول لأنهم أشرقت قلوبهم بمعرفة الله وأشرقت أسرارهم بأنوار جلال الله إلا أنه كالكنز المخفي تحت التراب لا يصل أثره إلى غيره، والقسم الثالث أشرف الأقسام كلها فإنه كالشمس التي تضيء للعالم لأنه تام وفوق التمام.

(الحفيظ) مبالغة في حافظ وله معنيان، أحدهما: من الحفظ ضد السهو والنسيان فيرجع في حقه تعالى إلى دوام علمه. ثانيهما: من الحفظ بمعنى الحراسة، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] وقيل: معناه الذي صانك في حال المحنة عن الشكوى، وفي حال النعمة عن البلوى، وقيل: هو الذي حفظ شرك عن ملاحظة الأغيار وصان ظاهرك عن موافقة الفجار. وقيل: الحافظ أولياءه عن اقتحام الزلات. وحظ العبد منه المحافظة على أوقاته، وأن يكون في كل وقت مشغولاً بما هو أولى به، والسعي في صيانة كل مسلم بحسب الطاقة والقدرة. قال بعضهم: ما من عبد حفظ جوارحه إلا حفظ الله عليه قلبه، وما من عبد حفظ الله عليه قلبه إلا جعله على عباده حفيظاً.

(المقيت) أي المقتدر فيرجع لمعنى القادر، ونقل الأزهري أن ثلاثة أحرف في كتاب الله تعالى نزلت بلغة قريش خاصة وهي قوله: ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ [الإسراء: ٥١] أي يحركونها وقوله: ﴿فشرّد بهم من خلفهم﴾ [الأنفال: ٥٧] أي: نكل بهم من وراءهم وقوله: ﴿وكان الله على كل شيء مقبلاً﴾ [النساء: ٨٥] أي مقتدراً. وقيل: معناه من شاهد النجوى، فأجاب وعلم البلوى فكشف واستجاب، وقيل هو المتكفل بأرزاق العباد فيرجع إلى القدرة أو الفعل بمعنى أنه يعطي الأقوات. وحظ العبد منه قهر النفس وإطعام الطعام وإرشاد الغافل، واعلم أن أحوال الأقوات والمقتاتين مختلفة، فمنهم من جعل الله قوته المطعومات، ومنهم من جعل قوته الذكر والطاعات، ومنهم من جعل قوته المكاشفات والمشاهدات فقال تعالى في حق القسم الأول: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ وسئل بعضهم عن القوت فقال: ذكر الحي الذي لا يموت وهو صفة الفريق الثاني، وقال ﷺ: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وهو صفة القسم الثالث، وروي المغيث بالعين المعجمة وبالمثلثة بدل المقيت بالقاف والتاء الفوقية.

(الحسيب) هو فعيل بمعنى فاعل ومعناه الكافي وهذا الوصف لا يليق على وجه الحقيقة إلا بالله تعالى، فإن كل كفاية إنما هي حاصلة منه تعالى، وقيل: هو الذي يعد عليك أنفاسك ويصرف عنك بفضل به أسك، وقيل: معناه الشريف بمعنى أنه مختص بشرف الألوهية وكل كمال. وحظ العبد منه أن الفتوحات الإلهية/ج/٤م/٢٤٦

الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد،

يسعى في كفاية حاجات المحتاجين وسدّ خلتهم ويحاسب نفسه بالمعرفة والطاعة. قال ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» وأن يتقي الله حق تقاته، قال تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. [الحجرات: ١٣].

(الجليل) هذا الاسم غير وارد في القرآن إلا أن الجليل هو الذي له الجلال، وهذا ورد في القرآن، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] والجلال الكمال في جميع الصفات النفسية والمعنوية والقدسية فالجليل هو الكامل فيها، وقيل: هو الذي جل أي عظم من قصده وذلك من طرده، وقيل: هو الذي جل قدره في قلوب العارفين وعظم خطره في نفوس المحبين، وقيل: هو الذي أجل الأولياء بفضلته وأذل الأعداء بعدله. وحظ العبد منه التخلي من كل صفة ذميمة والتحلي بكل صفة كريمة.

(الكريم) يرجع معناه إلى الجود فمن كرمه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية. ومن كرمه تلقين الجواب حالة العتاب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] ولا جواب له هنا سوى قوله كرمك ومعناه من يعطي من غير منة. وقال الجنيد رحمه الله: الكريم الذي لا يحوجك إلى وسيلة، وقيل: هو الذي لا يضيع من توسل إليه ولا يترك من التجأ إليه. وحظ العبد منه أن يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه ويحقق تقواه.

(الرقيب) معناه العليم الذي لا يعزب عنه شيء، وقيل: هو الحفيظ الذي يراقب الأشياء ويلاحظها فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقيل: هو الذي يعلم ويرى ولا يخفى عليه السر والنجوى، وقيل: هو الحاضر الذي لا يغيب، وقيل: هو الذي من الأسرار قريب وعند الاضطراب مجيب. وحظ العبد منه أن يراقب أحوال نفسه، ويأخذ حذره من أن ينتهز الشيطان منه فرصة فيهلكها على غفلة، وروي القريب بدل الرقيب.

(المجيب) أي الذي يجب دعوة الداعي إذا دعه، وقيل: هو الذي يجيب المضطرين ولا تخبى لديه آمال الطالبين. وحظ العبد به الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

(الواسع) أي الواسع في علمه فلا يجهل، والواسع في قدرته فلا يعجز، وقيل: الذي لا يعزب عن أثر الخواطر في الضمائر، وقيل: الذي أفضاله شامل ونواله كامل، وقيل: هو الذي لا نهاية لبرهانه ولا غاية لسلطانه، وقيل: هو الذي لا يحده غناه ولا تنفذ عطاياه. وحظ العبد منه سعة صدره وحلمه عند السؤال.

(الحكيم) معناه الذي يكون مصيباً في التقدير ومحسناً في التدبير، وقيل: الذي ليس عنه إغراض ولا على فعله اعتراض، وقيل: هو مبالغته في الحاكم، وقيل: هو ذو الحكمة وهي عبارة عن كمال العلم وإحسان العمل. وحظ العبد منه قوله ﷺ: «جالس العلماء وصاحب الحكماء وخالط الكبراء».

(الودود) هو فعول بمعنى فاعل. والود بضم الواو الحب، والودود بفتحها هو المحب للطائعين

الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي،

من عباده المتحجب إليهم بانعامه، وقيل: معناه الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم، وقال بعضهم: شرط المحبة أن لا تزداد بالوفاء ولا تنقص بالجفاء، والمحبة من الله إرادة الزلفى للعبد، ومن العبد لله إثارة تعالى على كل سواه، وحظ العبد منه أن يحب الصالحين من عباده، وأن يريد للخلق ما يريده لنفسه ويحسن إليهم حسب قدرته ووسعه، وأن لا يمنعه الغضب منهم عن الإيثار والإحسان إليهم وأن يحتمل أذاهم.

(المجيد) مبالغة في المجد والمجد الشرف التام الكامل، ولذلك وصف الله به القرآن العظيم فقال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ [ق: ١] ويطلق الكثير العطاء ومعناه الذي عزه غير مستفتح وفعله غير مستقبح، وقيل: الشرف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونواله، وقيل: البالغ النهاية في الكرم: وحظ العبد منه أن يعامل الناس بالكرم وحسن الخلق ليكون ماجداً فيما بينهم.

(الباعث) معناه باعث الرسل وبعث الموتى من القبور، وقيل: معناه باعث الهمم إلى الترقى في ساحات التوحيد والتتقي من ظلمات صفات العبيد، وقيل: هو الذي يبعثك على عليات الأمور ويرفع عن قلبك وساوس الصدور، وقيل: معناه ما قاله الجنيد رحمه الله: كن في باطنك مع الله روحانياً، وفي ظاهره مع الخلق جسمانياً. وحظ العبد منه أن يؤمن بالبعث ويكون مقبلاً بكلية على التهيؤ للمعاد والاستعداد ليوم التناد.

(الشهيد) مبالغة في الشاهد والشهادة ترجع إلى العلم مع الحضور، ومعناه الذي هو أعز جليس، ولا يحتاج معه إلى أنيس، وقيل: الذي نور القلوب بمشاهدته والأسرار بمعرفته، وقيل: معناه الشاهد ضد الغائب من الشهود بمعنى الحضور. وحظ العبد منه أن يعبد الله كأنه يراه وأن يقول عن علم.

(الحق) أي المتحقق الثابت وجوده أزلاً وأبداً فلا يقبل الانتفاء بحال فمعناه يستلزم القدم والبقاء، وقيل: هو الحقيق بأن يعبد العابدون، وقول الحسين بن منصور الحلاج رحمهما الله تعالى: أنا الحق إشارة منه إلى فئائه عن مشاهدته نفسه لا أنه أراد الاتحاد، وهذا التأويل لأجل حسن الظن به. وحظ العبد منه فناؤه عن نفسه وعن إرادته، وأن يرى الله تعالى حقاً وما سواه باطلاً في ذاته حقاً بإيجاده واختراعه، وأن له تعالى حكماً ولطائف في كل ما يوجد وإن خفي علينا كنهه.

(الوكيل) أي العالم بأمور العباد من توكل عليه كفاه، ومن استغنى به أغناه عما سواه، وقيل: المتكفل بمصالح العباد، وقيل: الذي ابتدأك بكفائته ثم تولاك بحسن رعايته، ثم ختم لك بجميل ولايته، وقيل: المتصرف في الأمور على حسب إرادته. وحظ العبد منه السعي في حاجة أخيه المؤمن وأن يكل الأمر إليه تعالى، ويتوكل عليه، ويكتفي بالالتجاء إليه عن الاستمداد بغيره.

(القوي) أي الكامل في القوة لا يعجز بحال من الأحوال.

(المتين) شديد القوة لا يضعف عما يريد، فالقوي مأخوذ من القوة وهي كما القدرة، والمتين من المتانة بمثناة فوذية شدة الشيء واستحكامه، وهي مبالغة في معنى القوي والمبالغة فيه هي الكمال إلى أقصى الغايات وهو تأثيرها في سائر الممكنات ولا يؤثر فيها شيء. وحظ العبد منها اعتصامه واستعانة

المميت، الحي، القيوم، الواحد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم،

بالله تعالى، وروي المبين بالموحدة بدل المتين بالمثناة فوق والمشهور المثناة.

(الولي) هو المتكفل بأمور الخلائق كلها، وقيل: الذي نصر أوليائه وقهر أعداءه، فالولي بحسن ولايته منصور، والعدو بحكم شقاوته مقهور، وقيل: الذي أحب أوليائه بلا علة ولا يردهم بارتكاب زلة، وقيل: الذي تولى سياسة النفوس فأدبها، وحراسة القلوب فهدبها. وحظ العبد منه الاتصاف بولاية الله تعالى، وأن يحب الله ويحب أنبياءه وأوليائه، ويجتهد في نصره تعالى ونصر أنبيائه وأوليائه، وفي قهر أعدائه، ويسعى في ترويح حوائج الناس ونظم مصالحهم حتى يتشرف بهذا الاسم.

(الحميد) فعيل بمعنى مفعول فهو المحمود على كل حال، وقيل: الذي يوفقك للخيرات ويحمذك عليها ويمحو عنك السيئات، ولا يخلجك بذكرها فهو بمعنى فاعل، وقيل: المستحق للحمد والثناء. وحظ العبد منه اعترافه بالعجز عن الثناء عليه كما في الحديث: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

(المحصي) العالم الذي يحصي المعلومات فيرجع إلى كمال العلم وعمومه، وقيل: معناه الذي هو بالظاهر يصير وبالباطن خبير، وقيل: الحافظ لأعداد طاعاتك العالم بجميع حالاتك. وحظ العبد منه أن يحصى على نفسه الحركات والسكنات، وأن يراقب الله تعالى في الجهر والخلوات.

(المبدئ) معناه الفاطر وهو الخالق ابتداء.

(المعيد) وهو الخالق ثانياً فهما إشارة إلى الناشئين الأولى والأخرى. وحظ العبد منهما استعمال حقائق الإيمان بالبعث فيما ينفع بعد الموت.

(المحيي) معناه من أحيأك بذكره واستعبدك ببره وبصره بشكره، وقيل: من أحيأ قلوب العارفين بأنوار معرفته وأحيأ أرواحهم بلطف مشاهدته.

(المميت) هو من أمات قلبك بالغفلة ونفسك باستيلاء المذلة وعقلك بالشهوة، وقيل: معناهما من أحيأ العارفين بالموافقات وأمات المذنبين بالمخالفات. وقيل: معناهما من يحيي الحيوانات بإيجاد الأرواح فيها ويميتها بنزعها منها. وحظ العبد منهما إحياء روحه بذكره تعالى وإماتة شهواته بمجاهدة نفسه ورياضتها.

(الحي) هو الذي لا يموت فهو الباقي أزلاً وأبداً. وحظ العبد منه السعي في تحصيل الشهادة، لأن الشهداء عند ربهم يرزقون، واعلم أنه لا يجوز إطلاق الحيوان على الله تعالى، مع أنه يجوز إطلاق لفظ الحي عليه والفرق هو التوقيف.

(القيوم) القائم المقيم لغيره، وقيل: الدائم الباقي فيكون تأكيداً للحي، وقيل: مبالغة في قيامه بتدبير خلقه وحصول الاستغناء به عن كل ما سواه، القائم على كل نفس بما كسبت. وحظ العبد منه كما تمكنه بأن يلتفت إلى الأسباب، ويشهد أن المسببات صادرة من عين القدرة، وأن ترتبها على الأسباب أمر ظاهري فقط، واعلم أن من عرف أنه سبحانه هو القائم والقيم والقيام والقيوم انقطع قلبه

عن الخلق، وقال أبو زيد رحمه الله تعالى: حسبك من التوكل أن لا ترى لنفسك ناصراً غيره، ولا لرزقك خازناً غيره ولا لعملك شاهداً غيره.

(الواجد) هذا الاسم غير موجود في القرآن، لكنه مجمع عليه ومعناه الغني، ومنه قوله ﷺ: «لي الواجد ظلم أي مظل الغني ظلم» يقال: وجد فلان وجداً وجدة إذا استغنى ويرجع حاصله إلى قدرته على تنفيذ المرادات، وقيل: الواجد مأخوذ من الوجدان بمعنى العلم وجدت فلاناً فقيهاً أي علمت كونه كذلك، ويقال: وجدت طعم الشيء إذا أدركته. قال تعالى: ﴿ووجد الله عنده﴾ [النور: ٣٩] أي علمه فعلى هذا يكون الواجد بمعنى العالم، وقيل: هو الذي يجد كل ما يطلبه ويريده ولا يعوزه شيء من ذلك أي: لا يعجز ولا يتعسر عليه. وحظ العبد منه أن يكون غنياً عما سواه به.

(الماجد) بمعنى المجيد وهو المذكور في القرآن إلا أن في المجيد مبالغة ليست في الماجد، وقد عرف معناه، وحظ العبد منه ما مر في المجيد.

(الواحد) وهو المنفرد بالذات لا شريك له.

(الأحد) المنفرد بالصفات لا مشارك له، واعلم أن في جامع الأصول ثبوت لفظ الأحد بعد الواحد، وليس الأحد ثابتاً في جامع الترمذي، فكان حق الشيخ أن لا يذكره كما هو ساقط في بعض النسخ، لأنه نسب الحديث إلى الترمذي، وأيضاً بدونه يصح العدد اللهم إلا أن يعدا اسماً واحداً وعلى كل حال فمعناهما أنه تعالى واحد من حيث إنه منزّه عن التركيب والمقادير لا يقبل التجزئة والانقسام واحد من حيث إنه متعال عن أن يكون له مثل، فيتطرق إلى ذاته التعدد والاشتراك. وقيل: معناه المنفرد بإيجاد المعدومات المتوحد بإظهار الخفيات، واعلم أن الواحد والأحد كالرحمن والرحيم، فالرحمن قد اختص به الله لا يشاركه فيه غيره، والرحيم قد تحصل فيه المشاركة، فكذلك الأحد قد اختص به الباري سبحانه، والواحد قد تحصل فيه المشاركة، ولهذا السبب لم يذكر الله تعالى لام التعريف في أحد، بل قال قل هو الله أحد، وذلك لأنه صار نعتاً لله على الخصوص، فصار معرفة فاستغنى عن التعريف. وحظ العبد منهما التحقق بمقام التوحيد، وظاهره معلوم، وحقيقة تحقيقه مما تضيق عنه العبارة وتقصر دونه الإشارة.

(الصمد) هو السيد الحكيم أو الذي يصمد إليه أي يقصد في الحوائج، أو الذي يحتاج إليه كل أحد، وهو يستغنى عن كل أحد أو لمنزه عن كل عيب المطلاع على كل غيب، أو الذي لا يأكل ولا يشرب، وهذه المعاني كلها متحققة في الله تعالى. وحظ العبد منه أن يقصد الناس فيما يعرض لهم من مهمات دينهم ودنياهم ليقضيها لهم، وأن يتقلل من الطعام والشراب لقوله ﷺ: «حسب المؤمن لقيمتا يقمن صلبه».

(القادر المقتدر) معناه ذو القدرة، ولكن المقتدر أكثر مبالغة لما في البناء من معنى التكلف والاكتساب، فإن ذلك وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة، لكنه يفيد المعنى مبالغة، ومن حقهما أن لا يوصف بهما مطلقاً غير الله تعالى، فإنه القادر بالذات، والمقتدر على جميع الممكنات، وما عدها ليس كذلك. وحظ العبد منهما التبرؤ من الحول والقوة إلا به إياك نعبد وإياك نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو،

(المقدم المؤخر) هذان الاسمان غير مذكورين في القرآن لكنهما مجمع عليهما ومعناهما المقدم من شاء إلى باب، والمؤخر من شاء عن جنبه. وقيل: معناهما الذي يقدم بعض الأشياء على بعض، وقيل: الذي قدم من شاء بالتقوى والإنابة والصدقة والاستجابة وآخر من شاء عن معرفته وردّه إلى حوله وقوته، وقيل: الذي قدم الأبرار بقبول المبر وأخر الفجار وشغلهم بالأغيار، وقيل: معناهما الذي يقرب ويبعد، فمن قربّه فقد قدمه ومن أبعدّه فقد أخره، وقد قدم أنبياءه وأوليائه بتقريبهم وهدايتهم، وأخر أعداءه بإبعادهم، وضرب الحجاب بينه وبينهم، وكل متأخر فهو مؤخر بالإضافة إلى ما قبله مقدم بالإضافة إلى ما بعده. وحظ العبد منهما أن يحيط بمراتب العبادات ويقدم الأهم فالأهم.

(الأول) القديم بلا ابتداء.

(الآخر) الباقي بلا انتهاء، وقيل: معناهما الأول بلا تقديم أحد الآخر بلا تأخير أحد، وقيل: الأول بالأزلية والآخر بالأبدية. وحظ العبد منهما أن يشتغل بما يبقى عما يفنى.

(الظاهر) بصفاته ومصنوعاته.

(الباطن) بحقيقة ذاته، وقيل: معناهما الظاهر وجوده بآياته ودلائله المبنية في أرضه وسمائه، والباطن المحتجب عن خلقه في دار الدنيا بموانع يخلقها في أعينهم، وقيل: الظاهر بلا تقوية أحد الباطن بلا خوف أحد، وقيل: الظاهر بالقدرة والغلبة إما من الظهور هو البروز، وذلك بالقدرة والأفعال، أو من الاستعلاء والغلبة والباطن، أي: المستتر عن العيون. وحظ العبد منها الظهور على الشيطان وإخفاء أعماله عن الخلائق خشية الرياء والعجب، وهذا في غير إقامة الواجبات.

(الوالي) هذا الاسم لم يرد في القرآن، لكنه مجمع عليه، ومعناه المالك للأشياء المتولي لها، والمتصرف بمشيئته فيها ينفذ أمره، ويجري عليها حكمه، والفرق بينه وبين الولي المبالغة وفي ولي، فإنه فاعل من فاعل، وقيل: معناه الذي دبر أمور خلقه وتولاها. وحظ العبد منه ما مرّ في الكلام على الولي.

(المتعالي) معناه البالغ في العلو والمرتفع عن النقص، وقيل: المتعالي بوجوب وجوده واستغنائه عن الكل وتنزهه عن جميع النقائص. وحظ العبد منه علو همته بحيث لا يملكه شيء من المخلوقات.

(البر) بفتح الباء معناه فاعل البر بكسرها أي الإحسان، وقيل: هو الذي من على السائلين بحسن عطائه، وعلى العابدين بجميل جزائه، وقيل: الذي لا يقطع الإحسان بسبب العصيان، وقيل: معناه البار وهو الذي لا يصدر عنه القبيح. وحظ العبد منه أن يكون مشغلاً بأعمال البر واستباق الخيرات، وأن لا يضر الشر ولا يؤذي أحداً. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «البر لا يبلى والذنوب لا ينسى والديان لا ينام وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد» قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ [التوبة: ١٠٥].

(التواب) مبالغة في التائب. قال العلامة شهاب الدين أحمد بن العماد رحمه الله: والتوبة لغة

الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع،

الرجوع. يقال: تاب إذا رجع وآب بمعناه. قال تعالى: ﴿فَإِنَّه كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]. ويقال: تاب بالنون وأتاب بمعناه. قال تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] أي ارجعوا. ويقال أيضاً: تاب بالمثلثة إذا رجع فتحصل أنه يقال تاب وثاب وأتاب وآب وكلها بمعنى رجع اهـ.

(والتواب) يطلق على الله تعالى وعلى العبد، ومعناه في حق العبد رجوعه إلى الندم والطاعة، ومعناه في حقه تعالى رجوعه عليه بالقبول. وقيل: معناه الذي يقابل الدعاء بالعطاء والاعتذار بالاعتذار، والإنابة بالإجابة، والتوبة بغفران الحوبة، وقيل: إذا تاب العبد إلى الله بسؤاله تاب الله عليه بنواله، وقيل: الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. وحظ العبد منه أن يكون واثقاً بقبول التوبة غير آيس من الرحمة بكثرة ما اقترفه من الذنوب، وأن يقبل معاذير المجرمين من رعاياه وأصدقائه ومعارفه مرة بعد أخرى، حتى يفوز بنصيب من هذا الوصف ويصير متخلقاً بهذا الخلق.

(المنتقم) معناه المعاقب للعصاة على مكروهات الأفعال. وقيل: المنتقم الذي نقمته لا تعد ونعمته لا تحد، وقيل هو الذي من عرفت عظمته خشيت نقمته، ومن عرفت رحمته رجيت نعمته. وحظ العبد منه أن ينتقم من أعداء الله، وأعدى الأعداء نفسه التي بين جنبيه، وحقه أن ينتقم منها إذا قارف معصية أو أخل بعبادة، كما نقل عن أبي يزيد رحمه الله تعالى قال: تكاسلت نفسي عليّ في بعض الليالي عن بعض الأوراد فعاقبتها بمنعي لها الماء سنة.

(العفو) معناه ذو العفو وهو ترك المؤاخذه عن إرتكاب الذنب، وهو أبلغ من المغفرة فإنها مشتقة من الغفر وهو الستر، والعفو إزالة الأثر ومنه عفت الديار، ولأن الغفران يشعر بالستر والعفو بالمحو، والمحو أبلغ من الستر، وقيل: معناه الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي. وحظ العبد منه أن يعفو عن كل من ظلمه ولا يقطع بره عن أحد بسبب ما حصل منه قال تعالى: ﴿وَلِيَعْفُو وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تَحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] فإنه متى فعل ذلك فالله أولى أن يفعل به ذلك، لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

(الرؤوف) ذو الرأفة وهي نهاية الرحمة، فهو أخص من الرحيم، وهو المتعطف على المذنبين بالتوبة وعلى الأولياء بالعصمة، وقيل: هو الذي ستر ما رأى من العيوب ثم عفا عما ستر من الذنوب. وقيل: الذي صان أولياءه عن ملاحظة الأشكال وكفاهم بفضلله مؤونة الأشغال. وحظ العبد منه الشفقة على عباده المؤمنين والاستغفار للمذنبين.

(مالك الملك) معناه الذي ينفذ مشيئته في ملكه ويجري حكمه على ما يشاء لا مردّ لقضائه ولا معقب لحكمه، والملك هنا بضم الميم مصدر بمعنى السلطان والقدرة، وقيل: بمعنى المملكة، والمالك بمعنى القادر التام القدرة، وأما ما ملك من مال وغيره فهو ملك بتثنية الميم والكسر أفصح وأشهر، قاله النووي في تهذيبه. وحظ العبد منه ما مرّ في الكلام على الملك.

(ذو الجلال والإكرام) هو الذي لا شرف ولا جلال ولا كمال إلا وهو له ولا كرامة ولا مكرومة إلا

الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور. رواه الترمذي.

وهي صادرة منه، فالجلال في ذاته والكرامة فائضة منه على خلقه، وذو الجلال إشارة إلى صفات الكمال، والإكرام إلى صفات التنزيه، وقيل: الجلال هو الوصف الحقيقي، والإكرام هو الوصف الإضافي. وحظ العبد منه أن يلاطف عبيده بالتعظيم والإكرام والاحتشام.

(المقسط) معناه العادل في الحكم يقال: أقسط إذا عدل في الحكم، فكأن الهمزة في أقسط للسلب، كما يقال شكا إليه فأشكاه أي أزال شكواه وقسط يقسط فهو قاسط إذا جار. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] والقسط النصيب، وقيل: معناه ذو القسط في العطايا والهبات، وهو العدل. وفي المصباح: قسط قسطاً من بابي ضرب وجلس جار وعدل أيضاً، فهو من الأضداد. قال ابن القطاع: أقسط بالالف عدل والاسم القسط بالكسر، والقسط النصيب، والجمع أقساط مثل حمل وأحمال اهـ.

وحظ العبد منه أن يتنصف من نفسه لغيره ولا يتنصف من غيره لنفسه.

(الجامع) معناه أنه تعالى جمع بين قلوب الأحياء، كما قال: ﴿ولكن الله ألف بينهم﴾ [الأنفال: ٦٣] وقيل: إنه تعالى يجمع أجزاء الخلق عند الحشر والنشر بعد تفرقها، ويجمع بين الجسد والروح بعد انفصاله كل واحد منهما عن الآخر، ويجمعهم لفصل القضاء بينهم، وقيل: إنه تعالى يجمع الخلق في موقف القيامة، ويجمع بين الظالم والمظلوم، كما قال تعالى: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين﴾ [المرسلات: ٣٨] ثم يرد من شاء إلى دار النعيم ويرد من شاء إلى دار الجحيم، كما قال تعالى: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ [النساء: ١٤٠]. وحظ العبد منه أن يجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة أنباء عن تصريف الحق، والشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والطريقة أن تقصده، وقال بعضهم: سئل بعض المتأخرين عن الشريعة والطريقة والحقيقة فقال: الشريعة هي العمل بأحكام الله تعالى، والطريقة هي العلم بها، والحقيقة هي المقصود منها.

(الغني) هو الذي وجب وجوده وافتقر سائر الكائنات إليه، وقيل: هو المستغني عن كل ما سواه وكلهم محتاجون إليه، وحظ العبد منه أن يستغني عن كل ما سواه.

(المغني) يعني من شاء غناء عما سواه، وقيل: هو الذي لا يحتاج إلى غيره، بل غيره هو المحتاج إليه لافتقاره إليه. وحظ العبد منه ما مرّ في الذي قبله.

(المانع) لم يرد هذا الاسم في القرآن، لكنه مجمع عليه، ومعناه الذي يمنع من الوقوع في الأشياء المهلكة بما يخلقه من الأسباب المعدة للحفظ، وقيل: الذي يمنع من يستحق المنع، لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى. وحظ العبد منه أن لا يعطي الحكمة لغير أهلها.

(الضار النافع) معناه الذي يضر الكافرين بما سبق لهم من قديم عداوته، والذي ينفع الطائعين بتوقيفه وإحسانه، وقيل: خالق الضر والنفع وفي هذين الاسمين إشارة إلى كمال القدرة والإرادة لزدواجهما. وحظ العبد منهما أن يكون ضاراً لأعداء الله نافعاً لأوليائه. قال تعالى: ﴿أذلة على

المؤمنين أعزة على الكافرين ﴿[المائدة: ٥٤] وأن لا يرجو أحداً ولا يخشى أحداً، وأن يكون اعتماده بالكلية على الله. وحكي عن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أنه شكاً ألم سنه أي ضرره إلى الله تعالى، فقال الله: خذ الحشيشة الفلانية وضعها على سنك ففعل فسكن الوجع في الحال، ثم بعد مدة عاوده ذلك الوجع، فأخذ تلك الحشيشة مرة أخرى ووضعها على السن فازداد الوجع أضعاف ما كان، فاستغاث إلى الله قال: إلهي أألمتني بهذا ودللتني عليه، فأوحى الله إليه: يا موسى أنا الشافي، وأنا المعافي، وأنا الضار، وأنا النافع قصدتني في الكرة الأولى فأزلت مرضك والآن قصدت الحشيشة وما قصدتني.

(النور) الظاهر بنفسه المظهر لغيره، وقيل: المظهر لكل خفي فهو مظهر لكل موجد بإخراجه من العدم إلى الوجود. قيل: الذي نور قلوب الصادقين بتوحيده ونور أسرار المحبين بتأييده، وقيل: الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته، وأحيا نفوس العابدين بنور عبادته. وحظ العبد منه اتباعه الحق واجتنابه الباطل.

(الهادي) الذي يهدي القلوب إلى معرفته والنفوس إلى طاعته، وقيل: الذي يهدي المذنبين إلى التوبة والعارفين إلى حقائق القربة، وقيل: الذي يشغل القلوب بالصدق مع الحق والأجساد بالحق مع الخلق. وحظ العبد منه الدعاء إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ [النحل: ١٢٥] الآية.

(البديع) الذي لا مثل له في ذاته ولا نظير له في صفاته، وقيل: معناه الذي أظهر عجائب صنعته وأظهر غرائب حكمته، وقيل: الذي يفعل على غير مثال سابق، وقيل: معناه الخالق ابتداء وهو المبدع وقيل غير ذلك.

(الباقي) معناه الدائم ثم الموجود الذي لا يقبل الفناء، وقيل: هو الذي لا ابتداء لوجوده ولا نهاية لوجوده، وقيل: الذي يكون في أبده على الوجه الذي كان عليه في أزله. وقيل: المستمر الوجود الواجب الذي لا يلحقه عدم، وحظ العبد منه السعي في الشهادة. قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء﴾ [آل عمران: ١٦٩].

(الوارث) الباقي بعد فناء فترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك، وقيل: الذي تسربل بالصمدية بلا فناء وتفرد بالأحدية بلا انتفاء، وقيل: الذي يرث لا بتوريث أحد. وحظ العبد منه أن يشتغل بالباقي عن الفاني.

(الرشيد) الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم وهداهم ودلهم عليها، والرشد الاستقامة وهي ضد الغي والرشيد فاعيل، وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون فعلاً بمعنى فاعل، فالرشيد هو الراشد، وهو الذي له الرشد ويرجع حاصله إلى أنه حكيم في أفعاله. ثانيهما: أن يكون بمعنى مفعول كالبديع بمعنى مبدع، وإرشاده تعالى يرجع إلى هدايته، ومعناه الذي أسعد من شاء بإسعاده، وأشقى من شاء بإبعاده، وقيل: الذي لا يوجد سهو في تدبيره ولا لهو في تقديره، وقيل: الموصوف بالعدل، وقيل: المتعالي عن النقائص. وفي المصباح: الرشد الصلاح وهو خلاف الغي والضلال وهو إصابة الصواب، ورشد

قال تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تَخَافَتْ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ لئلا تسمع أصحابك ﴿وَأَتَّبِعْ﴾ أقصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافتة

رشدًا من باب تعب، ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد، والاسم الرشاد والرشد اهـ.

وحظ العبد منه أن يهدي إلى الصواب من مقاصده في دينه ودنياه.

(الصبور) هذا والذي قبله غير واردين في القرآن لكنهما مجمع عليهما وهو فعول من الصبر، وهو في اللغة حبس النفس وتوطئتها على المكاره والمشاق، واستعير لمطلق التأني في الفعل، وحقيقته ممتنعة عليه تعالى، فيحمل في حقه تعالى على تأخير العقوبة إلى الأجل المعلوم. قال تعالى: ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ [هود: ١٠٤] فمعناه الذي لا يستعجل في مؤاخذة العصاة ومعاقبة المذنبين، وقيل: هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه، وهو أعم من الأول، وقيل: هو الذي لا تحزنه كثرة المعاصي حتى تؤديه إلى تعجيل العقوبة، وقيل: الذي إذا قابلته بالجفاء قابلك بالعطية والوفاء، وإذا أعرضت عنه بالعصيان أقبل عليك بالغفران. والفرق بينه وبين الحليم أن الصبور يشعر بأنه يعاقب في الآخرة بخلاف الحليم. قال بعض العارفين: الصبر أربعة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر على المعصية وهما أساس طريق الاستقامة، وصبر عن فضول الدنيا وهو أساس الزهد، وصبر على المصائب والمحن وهو أساس الرضا والتسليم لله سبحانه وتعالى وحسن الظن به وهو أشق الأنواع على النفس. وحظ العبد من هذا الاسم الصبر على هذه الأنواع الأربعة والمداومة على ذلك. وقال أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى: احفظ الصدق فيما بينك وبين الله، والرفق فيما بينك وبين الخلق، والصبر فيما بينك وبين نفسك، فهذا هو الذي يفيد النجاة، والله أعلم بمعاني أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومن أراد الاستقصاء فعليه بمثل المقصد الأسنى من المبسوطات، وإنما ذكرت هذه النبذة لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله. قوله: (رواه الترمذي) أي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه. قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ الخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختلف بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم، وابتغ بين ذلك سبيلاً زاد في رواية أي أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن، وقيل: نزلت في الدعاء وهو قول عائشة وجماعة اهـ خازن.

قوله: ﴿وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾ يقال: خفت الصوت من بابي ضرب وجلس إذا سكن ويعدى بالباء فيقال: خفت الرجل بصوته إذا لم يرفعه، وخافت بقراءته مخافته إذا لم يرفع صوته بها، وخفت الزرع ونحوه مات فهو خافت اهـ مصباح ومختار.

وفي السمين: والمخافته المسارة بحيث لا يسمع الكلام وضربته حتى خفت أي لم يسمع له صوت اهـ.

قوله: (لئلا تسمع أصحابك) علة النهي عن المخافتة.

﴿سَبِيلًا ۝﴾ طريقاً وسطاً ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ يَنْصُرُهُ ۝ مِّنَ أَجْلِ ۝ الدَّلِيلِ﴾ أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبِيرَةً تَأْخُذُ بِهَا عِظَمُهُ﴾ عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل، وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك، للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد، لكمال ذاته وتفرد صفاته، روى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: آية العز ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ إلى آخر السورة، والله تعالى أعلم. قال مؤلفه: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم، الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه، في نفائس أراها إن

قوله: (في الإلهية) أي كما يقول الثنوية القائلون بتعدد الآلهة اه أبو السعود.

وجعل نفى الشريك له في ملكه لسائر الموجودات كناية عن نفى الشريك في الإلهية، لأنه لو كان معه إله آخر لتصرف فيها فاندفع ما قيل إن الأولى أن يقول في الخالق اه شهاب.

قوله: (وترتيب الحمد على ذلك) أي على المذكور من نفى النقائص الثلاث أي كونه ﴿لم يتخذ ولداً﴾ الخ. وهذا دفع لسؤال كما في الكشف، وهو أن الحمد يكون على الجميل الاختياري وبه، وما ذكر من الصفات العدمية ليس كذلك، فالمقام مقام التنزيه لا مقام الحمد، وقوله: (لكمال ذاته الخ) بيان لدفعه، وحاصله أنه يدل على نفى الإمكان المقتضي للاحتياج وإثبات أنه الواجب الوجود لذاته الغني عما سواه المحتاج إليه كل ما عداه، فهو الجواد المعطي لكل ما يستحق فهو المستحق للحمد دون غيره اه شهاب.

وأجاب في الانموذج بأن النعمة في ذلك أن الملك إذا كان له ولد وزوج إنما ينعم على عبيده بما يفضل عن ولده وزوجه، وإذا لم يكن له ذلك كان جميع إنعامه وإحسانه مصروفاً إلى عبيده، فكان نفى الولد مقتضياً زيادة إنعام عليهم، وأما نفى الشريك فلا لأنه يكون أقدر على الإنعام على عبيده لعدم المزاحم، وأما نفى النصير فلا لأنه يدل على القوة والاستغناء وكلاهما يقتضي القدرة على زيادة الإنعام.

قوله: (آية العز) أي التي يترتب على قراءتها عز القارئ ورفعته إذا واظب عليها. قوله: (وقد أفرغت فيه) الضمير ارجع لما في قوله آخر ما كملت به، وكذا بقية الضمائر إلى قوله: (رزقنا الله به)، وحاصل ما ذكره من قوله (وقد أفرغت فيه) إلى قوله: (وحسن أولئك) رقيقاً تسع عشرة سجعة، وكلها من السجع المتوازي اه شيخنا.

قوله: (جهدي) بفتح الجيم وضمها أي استفرغت فيه طاقتي، وقوله (فكري) الفكرة قوة في النفس يحصل بها التأمل اه كرخي.

قوله: (في نفائس) بدل من فيه أوفي بمعنى مع أي مع نفائس أي دقائق ونكت نفيسة مرضية. قوله: (أراها) بفتح الهمزة وضمها أي أعلمها أو أظننها. قوله: (إن شاء الله) المفعول محذوف، وكذا جواب إن دل عليهما جملة تجدي الواقعة مفعولاً ثانياً لأراها أي: أراها تجدي إن شاء جدواها أجدت

شاء الله تعالى تجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم وجعلته وسيلة للفوز بجنت النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول، فرحم الله امرأً نظربعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه وقد قلت:

حمدت الله ربي إذ هداني لما أبديت مع عجزى وضعفى
فمن لي بالخطا فأرد عنه ومن لي بالقبول ولو بحرف

ونفعت، وقوله (تجدي) أي تنفع الراغبين فيه. قوله: (وألفته) أي ما كملت به. قوله: (قدر ميعاد الكليم) أي موسى ﷺ، وذلك أربعون يوماً كما سيأتي إيضاحه في قوله: (وفرغ من تأليفه)، وهي من أول رمضان إلى تمام عشر من شوال، والأخبار بهذا من قبيل التحدث بالنعمة، لأن هذا الزمان لا يسع هذا التأليف إلا بعناية ربانية خصوصاً مع صغر سن الشيخ، إذ ذاك، فإنه كان عمره أقل من اثنتين وعشرين سنة بشهور، كما ذكره الكرخي.

قوله: (للفوز) أي الظفر. قوله: (بجنت النعيم) من إضافة الموصوف إلى صفته أي بالجنات التي يتنعم فيها. قوله: (وهو) أي ما كملت به في الحقيقة الخ أشار إلى أنه اقتفى أثر الشيخ في تتمته، وأن الشيخ له فضيلة التقدم، وله المشاركة للسيوطي في الأجر حيث تقدمه بتأليفه، واقتفى السيوطي أثره في تكملته، فصار المحلي بهذا الاعتبار دالاً للسيوطي على الخير ومتسبباً له فيه، كما يدل عليه الحديث المشهور: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» اهـ كرخي بإيضاح.

قوله: (من الكتاب المكمل) وهو قطعة المحلي، وقوله (في الآي) بالمدح جمع آية، وتجمع أيضاً على آيات.

قوله: (وعليه) أي الكتاب المكمل، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم والاعتماد مبتدأ مؤخر، وعطف المعول على الاعتماد من عطف الرديف، ففي المصباح: وعولت على الشيء تعويلاً اعتمدت عليه اهـ.

فهو مصدر بصيغة اسم المفعول. قوله: (نظر بعين الإنصاف إليه) أي فرغب فيه واشتغل به وذلك بخلاف النظر بعين التحامل والإغضاء والبغض، فإنه يكون غالباً من الحسد، والضمير في إليه عائد على ما كمل به، وكذا في قوله فيه، وقوله: (ووقف فيه) أي اطلع فيه على خطأ فأطلعني عليه أي دلني عليه وعرفني به لأصلحه، فإن الإنسان محل الخطأ والنسيان. قوله: (إذ هداني) إذ تعليلية أي لأجل هدايته لي أو ظرفية، وقوله: (لما أبديت) أي للذي أبديته وأظهرته وهو التكملة المذكورة، وقوله: (مع عجزى وضعفى) أي ضعفى في العلوم خصوصاً وقد كان سنه إذ ذاك نحو إحدى وعشرين سنة، فهو كقول الأخصري:

ولبني إحدى وعشرين سنه معذرة مقبولة مستحسنه

قوله: (فمن لي بالخطأ) أي فمن يتكفل لي بإظهار الخطأ، وقوله: (فأرد عنه) أي فأجيب عنه أو

هذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك، لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعاً جماً، ويفتح به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً، وكأني

أصلحه، وقوله: (ومن لي بالقبول) أي: ومن يتكفل لي بالقبول أي بأن يشرني به أي: بأن الله قبل مني هذا التأليف كله أو بعضه ولو حرفاً، وذلك لأن القبول من رحمة الله ومن رحمه الله لا يعذبه ومن ثم تلهف عليه بما ذكره.

قوله: (هذا:) أي تأمل واسمع هذا القول الذي ذكرته، أو خذ هذا التأليف وهو التكملة المذكورة. قوله: (في خلدي) بفتح الخاء المعجمة واللام وهو القلب. وفي المختار: الخلد بفتح الحين البال يقال: وقع ذلك في خلدي أي بالي اهـ.

وفي المصباح: البال القلب وخطر فلان ببالي أي بقلبي اهـ.

فالمعنى هنا ولم يكن يخطر بقلبي أن أتعرض الخ. قوله: (لذلك) أي لتكميل تأليف المحلي. قوله: (في هذه المسالك) أي مسالك التفسير الذي هو أصعب العلوم وأحوجها إلى الجمع بين المعقولات والمنقولات خصوصاً وقد قال تعالى في شأن القرآن ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران: ٧] وخصوصاً وقد كان عمر الشيخ إذ ذاك دون اثنتين وعشرين سنة بأشهر اهـ كرخي.

قوله: (وعسى الله الخ) أي حيث أقدرني الله على ذلك بإعانتة وإسعافه، فأترجى منه وأطلب منه ينفع به الخ. وقوله: (أن ينفع به) خبر عسى، فمحله النصب وجرى على الكثير من اقترانه بأن، وقد يجيء بدونها، ومنه قول الفرزدق:

وماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد
اهـ كرخي.

قوله: (جماً) بفتح الجيم أي كثيراً. يقال: جم الشيء يجم بكسر الجيم، وضمها جماً وجموماً إذا كثر وكل شيء كثر فهو جم تسمية بالمصدر اهـ من المصباح والمختار.

قوله: (ويفتح به قلوباً غلفاً) أي مغطاة ممنوعة من فهم على التفسير لصعوبته، فأترجى أن يكون تألفي هذا كاشفاً للغطاء عن القلوب، فيكون سبباً لوصول الناس إلى فهم علم التفسير، وغلفاً جمع أغلف. وفي المصباح: وأغلفت السكين إغلافاً جعلت له غلافاً وغلفته غلفاً من باب ضرب، ومنه قيل قلب أغلف لا يعي لعدم فهمه، كأنه حجب عن الفهم كما يحجب السكين ونحوه بالغلاف اهـ.

قوله: (وأعيناً عمياً) أي وعسى الله أن يفتح به أي بسببه أعيناً عمياً أي يجعله سبباً لنظرها وتأملها من حيث إنها قبل النظر فيه كأنها عمي لا تبصر، فإذا نظرت فيه زال عنها العمى وأبصرت وفهمت وأدركت، وعمي جمع عمياء، وكذلك صم جمع صماء على حد قوله: فعل لنحو أحمر وحمراً.

قوله: (وآذاناً صماً) أي وعسى الله أن يفتح بسببه الآذان الصم، أي: يزيل صممها ويجعلها صاغية مستمعة لدقائق التفسير. قوله: (وكأني بمن اعتاد الخ) ذكر في المغني من جملة معاني كان

بمن اعتاد المطولات، وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسماً، وعدل إلى صريح العناد، ولم يوجه إلى دقائقهما فهماً، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، رزقنا الله به هداية

التقريب، فياء المتكلم اسمها والجار والمجرور خبرها، والباء بمعنى من متعلقة بما يفهم من معنى كأن، والمعنى كأني قريب ممن اعتاد المطولات وجملة قد أضرب الخ حالية. قوله: (وقد أضرب) أي أعرض يقال: أضرب عن الشيء إذا أعرض عنه، والحسم معناه كما في القاموس المنع والقطع، ويصح إرادة كل منهما هنا، فقوله حسماً مفعول مطلق ملاق لعامله في المعنى، لأن الإعراض عن الشيء فيه الامتناع والانقطاع عنه. فالمعنى: وقد أعرض إعراضاً. قوله: (حسماً) من باب ضرب. قوله: (وعدل) أي مال إلى صريح العناد الصريح. قوله: (ومن كان في هذه) أي التكملة مع أصلها، وفي بمعنى عن أي، ومن كان عن هذه التكملة وأصلها أعمى. أي: معرضاً عنهما وغير واقف على دقائقهما، فهو في الآخرة أي عن الآخرة، والمراد بالآخرة المطولات أي: فهو أعمى عن المطولات أي غير فاهم لها. وهذا اقتباس من الآية الشريفة وحقيقة الاقتباس، كما في التلخيص، وشرحه للسعد أن يضمن الكلام نظماً كان أو نثراً شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه أي لا على طريقة أن ذلك الشيء من القرآن أو الحديث، يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه كما يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى: كذا، وقال النبي ﷺ كذا. ونحو ذلك فإنه لا يكون اقتباساً، بل هو استدلال ويغترف في الاقتباس تغير يسير في اللفظ المقتبس، كقول بعض المغاربة لما مات له صاحب:

قد كان ما خفت أن يكونا إنما إلى الله راجعوننا

ويجوز فيه أيضاً نقل اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر كقول ابن الرومي:

لئن أخطأت في مدحي لك ما أخطأت في منعي
لقد أنزلت حاجاتي بـوادٍ غير ذي زرع

هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾ [إبراهيم: ٣٧] لكن معناه في القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات، وقد نقله ابن الرومي إلى جناب لا خير فيه ولا نفع اهـ.

قوله: (رزقنا الله به) هذا الضمير راجع للقرآن وكذا الضمائر بعده كما قاله القارئ اهـ شيخنا.

وهذا غير متعين، بل يصح رجوع هذا الضمير وما بعده لما كمل به، بل هو الظاهر من السياق، لكن سياق الكلام الآتي يؤيد الاحتمال الأول. قوله: (هداية) أي إرشاداً ووصولاً، وقوله (إلى سبيل الحق) أي نقيض الباطل، وسبيله الأدلة الموصلة إليه. قوله: (كلماته) أي القرآن أو الله تعالى، ويكون المراد بالحق هو الله تعالى وبكلماته كلامه تعالى. قوله: (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الخ) الصديقون هم أصحاب النبيين لمبالغتهم في الصدق والتصديق، والشهداء القتلى في سبيل الله، والصالحون غير من ذكر، وحسن أولئك رفيقاً أي رفقاء في الجنة، والمراد بالمعية أن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة إلى غيرهم. قال ابن عطية: ومن فضل الله على أهل الجنة أن كلاً منهم قد رزق الرضا بحاله، وذهب عنه أن يعتقد أنه

إلى سبيل الحق وتوفيقاً، وإطلاعاً على دقائق كلماته وتحقيقاً، وجعلنا به من الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. - وفرغ - من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء، مستهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبويضه يوم الأربعاء، سادس صفر، سنة إحدى وسبعين

مفضول انتفاء للحسد في الجنة التي تختلف المراتب فيها على قدر الأعمال، وعلى قدر فضل الله على ما يشاء اهـ كرخي.

قوله: (وفرغ من تأليفه) أي جمعه وتسويده بدليل قوله الآتي: (وفرغ من تبويضه الخ). قوله: (سنة سبعين وثمانمائة) وذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين، وعبارة ع ش على الرملي: وكان مولد الجلال المحلي سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ومات من أول يوم من سنة أربع وستين وثمانمائة، فعمره نحو أربع وسبعين سنة اهـ.

قوله: (يوم الأربعاء) بثلاث الباء وبالمد اهـ شيخنا.

قوله: (وفرغ من تبويضه) أي تحريره ونقله من المسودة، وقوله: (سادس صفر الخ)، فكانت مدة تحريره أربعة أشهر إلا أربعة أيام.

والسيوطي بضم السين نسبة إلى سيوط، وفي القاموس: سيوط أو سيوط بضمها قرية بصعيد مصر اهـ.

واعلم أنه قد وجد بعد ختم هذه التكملة مما هو منقول عن خط السيوطي ما نصه: قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي، أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلي رحمهما الله، أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم بين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده ويتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن وضعي أو وضعك، فقال: وضعي فقال: انظر وعرض عليه موضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه، والشيخ يتبسم ويضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: مصنف هذه التكملة الذي اعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله في قطعه أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة. كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندي، وفي ذلك، وأما الذي رأي في المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة، وهي يسيرة جداً ما أظنها تبلغ عشرة مواضع.

منها: أن الشيخ قال في سورة ص: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذ فيه، وكنت تبعته أولاً، فذكرت هذا الحد في سورة الحجر، ثم ضربت عليه قال تعالى: ﴿وَسأَلُونكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] الآية فهي صريحة، أو كالصريحة في أن الروح من علم الله لا

وثمانمائة، والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي، أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى، أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النور، وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها، ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن، وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي، فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه والشيخ يتسم ويضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعتقده وأجزم به، أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته، أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة، كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد

نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ، فنمسك عنها.

ومنها: أن الشيخ قال في سورة الحج: ﴿الصابئون﴾ [الحج: ١٧] فرقة من اليهود فذكرت ذلك في سورة البقرة، وزدت أو النصارى بياناً لقول ثان، فإنه المعروف خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء. وفي المنهاج: وإن خالفت السامرة اليهود والصابئون النصارى في أصل دينهم حرمن، وفي شروحه أن الشافعي رضي الله تعالى عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً، فكان الشيخ رحمه الله يشير إلى مثل هذا والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب انتهى.

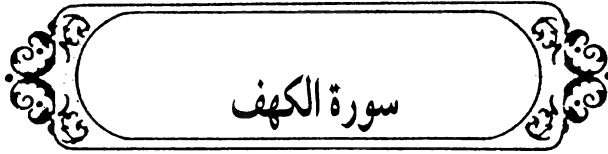
وحاصل هذا أن الشيخ كمال الدين المحلي رأى رؤياً تتعلق بالجلالين في شأن تأليفهما، فأخبر بها الطوخي، فأخبر الطوخي السيوطي بها، فكتب السيوطي ما أخبره به الطوخي، عن كمال الدين، ثم كتب بعد فراغ المنام الذي اعتقده وأجزم به الخ. وأما قوله: (قال شيخنا) إلى قوله (هذه التكملة) فهو من وضع بعض تلامذة الشيخ السيوطي أدرجه في خلال ما كتبه الشيخ السيوطي. وأما قوله: (وأما الذي رأي في المنام) المكتوب أعلاه، فمن كلام السيوطي كما عرفت فقوله المكتوب أعلاه أي الذي كتبه هو نقلاً عن الطوخي، ثم كتب تحته الذي اعتقده الخ، فقوله: (قال الشيخ شمس الدين الخ) كلام السيوطي، وقوله: (وقد أخذ الشيخ) أي الشيخ المحلي، وقوله: (وضعي أو وضعك بدك) من أيهما، والمراد بالوضع الصنيع والأسلوب، وقوله (فقال انظر) أي: قال المحلي للسيوطي، وقوله: (فيها) أي في تكملة السيوطي، وقوله (وكأنه) أي المحلي، وقوله (فيها) أي في الموضوع التي عرضها على السيوطي، وقوله (كلما) أورد أي المحلي عليه أي: على السيوطي، وقوله (والشيخ يتسم ويضحك) أي فرحاً بجواب السيوطي. وهذا آخر المنام، وقوله (أن الوضع) أي الأسلوب الذي جرى عليه المحلي الخ، وقوله (بطبقات) أي مراتب من حسن التأليف، وقوله (وغالب ما وضعت) أي من المعاني والنكات، وقوله (هنا) أي في تكمليتي، وقوله (مقتبس) أي مستمد، وقوله: (وأما الذي رأي) أي راه

منه، لا مزية عندي في ذلك، وأما الذي رأي في المنام المكتوب أعلاه، فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة وهي يسيرة جداً، ما أظنها تبلغ عشرة مواضع، منها: أن الشيخ قال في سورة ص: والروح جسم لطيف، يحيا به الإنسان بنفوذ فيه، وكنت تبعته أولاً، فذكرت هذا الحد في سورة الحجر، ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الآية، فهي صريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فتمسك عنها. ومنها أن الشيخ قال في سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود، فذكرت ذلك في سورة البقرة وزدت أو النصارى بياناً لقول ثان، فإنه المعروف خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء، وفي المنهاج: وإن خالفت السامرة اليهود، والصابئة النصارى في أصل دينهم حرمن، وفي شروحه: أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى. ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

الشيخ كمال الدين، وقوله (المكتوب أعلاه) أي قبله، أي قبل قولي الذي اعتقده الخ. أي الذي كتبه قبله، وقوله (وزدت أو النصارى الخ) لكنه فاتته هذه الزيادة في المائدة فاقصر فيها على ما ذكره المحلي.

قال المؤلف رحمه الله: وكان الفرغ من تأليفه هذا الجزء يوم الاثنين المبارك العاشر من شهر جمادى الثاني من شهور سنة سبع وتسعين ومائة وألف، ويتلوه الجزء الثالث من سورة الكهف، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونسأل الله الإعانة على الكمال والتمام، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مكية إلا ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية
وهي مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فلما انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطي، فلنشرع الآن في الكلام على تأليف الجلال المحلي، وأوله من ابتداء سورة الكهف ونسأل الله الإعانة على البدء والختام. قال رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين:

﴿الْحَمْدُ﴾ هو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء أو هما؟ احتمالات أفيدھا الثالث ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ﴾ أي فيه ﴿عِوَجًا﴾ ﴿ا﴾ اختلافًا وتناقضًا، والجملة حال من الكتاب ﴿فَيَسَّ﴾ مستقيمًا حال ثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (ثابت) ﴿لِلَّهِ﴾ أشار به إلى أن الله هو خير المبتدأ، وأنه متعلق بمحذوف كما قدره. قوله: (وهل المراد الإعلام بذلك) أي بثبوت الحمد لله أي الإخبار به، وهذا الاحتمال يعبرون عنه بقولهم: الجملة خبرية لفظاً ومعنى، وقوله: (أو الثناء به) أي بثبوت الحمد لله أي إنشاء الثناء بثبوت الحمد لله، وهذا الاحتمال يعبرون عنه بقولهم: الجملة إنشائية لفظاً ومعنى بمعنى أنها نقلت في العرف للإنشاء وقوله: (أو هما) أي الإعلام والثناء، وهذا يعبرون عنه بقولهم: الجملة مستعملة في الخبر والإنشاء على طريق الجمع بين الحقيقة والمجاز.

قوله: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ الخ رتب استحقاق الحمد على إنزاله على أنه أعظم نعمائه، وذلك لأنه الهادي لما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد اهـ بياضوي.

قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ﴾ في هذه الجملة أوجه، أحدها: أنها معطوفة على الصلة قبلها. والثاني: أنها اعتراضية بين الحال وهي قيماً، وبين صاحبها وهو الكتاب. والثالث: أنها حال من الكتاب، ويرتب على هذه الأوجه القول في قيماً اهـ سمين.

قوله: (اختلافًا) أي في المعنى أي ولا اختلالاً في اللفظ، والعوج في المعاني كالعوج بفتح العين في الأعيان اهـ بياضوي.

يعني: أن المكسور يكون فيما لا يدرك بالبصر بل بالبصيرة، والمفتوح فيما يدرك به اهـ شهاب.

قوله: (تناقضاً) نعت لاختلافاً على حذف المضاف أي: ذا تناقض في معانيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قيماً﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه حال من الكتاب والجملة من قوله ﴿ولم يجعل﴾ اعتراض بينهما. والثاني: أنه حال من الهاء في له. قال أبو البقاء: والحال مؤكدة وقيل: منتقلة. قلت: القول بالانتقال لا يصح. الثالث: أنه منصوب بفعل مقدر تقديره جعله قيماً لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة في أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد ورب مستقيم مشهود له بالاستقامة، ولا يخلو عن أدنى عوج عند السير والتصفح. والرابع: أنه حال ثانية والجملة المنفية قبله حال أيضاً، وتعدد الحال لذي حال واحد جائز، والتقدير: أنزله غير جاعل له عوجاً قيماً. الخامس: أنه حال أيضاً ولكنه بدل من الجملة قبله لأنها حال، وإبدال المفرد من الجملة إذا كانت بتقدير مفرد جائز، وهذا كما أبدلت الجملة من المفرد في عرفت زيداً أبو من هو والضمير في له فيه وجهان، أحدهما: أنه للكتاب وعليه التخارج المتقدمة. والثاني: أنه يعود على عبده وليس بواضح، وقرأ العامة قيماً بتشديد الياء مع فتح القاف، وأبان بن تغلب بفتحها خفيفة مع كسر القاف، وقد تقدم القول فيهما، ووقف حفص على تنوين عوجاً مبدلاً له ألفاً سكتة لطيفة من غير قطع نفس إشعاراً بأن قيماً ليس متصلاً بعوجاً، وإنما هو من صفة الكتاب، وغيره لم يعبأ بهذا من غير قطع فلم يسكت اتكالا على فهم المعنى اهـ سمين.

قوله: (مستقيماً) عبارة البيضاوي: مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، أو قيماً بمصالح العباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه الكمال، أو قيماً على الكتب السابقة يشهد بصحتها اهـ.

وقوله: (لا إفراط فيه) فسر به بذلك ليغايير ما قبله إذ معناه لا خلل في لفظه ولا في معناه، وبعد كون معناه حقاً صحيحاً لا إفراط فيما اشتمل عليه من التكاليف حتى يشق على العباد ولا تفريط فيه بإهمال ما يحتاج إليه حتى يحتاج إلى كتاب آخر، كما قال: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقوله: (بمصالح العباد) إلى آخره القيام يتعدى بالباء، كقولهم: فلان قيم بهذا الأمر، وبعلى كما في قوله: ﴿أفمن هو قائم﴾ [الرعد: ٣٣] على كل نفس، وإليهما أشار في الوجهين، ومعنى قيامه بمصالحهم تكفله بها وبيانها لهم لاشتماله على ما ينتظم به المعاش والمعاد، فهو وصف له بأنه مكمل لهم بعد وصفه بأنه كامل في نفسه بقوله: ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ اهـ شهاب.

قوله: (حال ثانية) أي من الكتاب فهي حال مترادفة، أو من الضمير في له فهي متداخلة وقوله: (مؤكدة) أي للجملة الحالية. قوله: ﴿لينذر﴾ متعلق بأنزل وهو ينصب مفعولين حذف أولهما، وقدره الشارح بقوله: (الكافرين). وذكر ثانيهما وهو قوله: (بأساً)، وقوله: ﴿ولينذر﴾ عطف على ينذر الأول وذكر فيه المفعول الأول وهو الذين قالوا، وحذف الثاني تقديره بأساً شديداً، فيكون في الكلام احتباك، ولما كرر الإنذار حذف منه أحد المفعولين لدلالة ما ذكر في أحد المكررين على ما حذف من الآخر بخلاف ويشر فذكر فيه مفعولاه وهما: المؤمنين وأن لهم أجراً حسناً لعدم تكرره اهـ شيخنا.

مؤكدَة ﴿يُنذِرَ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿بِأَسَا﴾ عذاباً ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ من قبل الله ﴿وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿مَكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ هو الجنة ﴿وَيُنذِرَ﴾ من جملة الكافرين ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بهذا القول ﴿مِّنْ عِلْمٍ وَلَا لِبَآئِهِمْ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ كلمة تمييز مفسر للضمير

قوله: (بالكتاب) على هذه النسخة يكون فاعل ينذر عائداً على الله أو على محمد، وفي نسخة كتب عليها الحواشي الكتاب بدون باء فيكون الكتاب هو الفاعل اهـ شيخنا.

وفي السمين: وفاعل لينذر يجوز أن يكون الكتاب وأن يكون الله وأن يكون الرسول اهـ.

قوله: ﴿من لدنه﴾ متعلق بقوله ﴿لينذر﴾ ويجوز تعلقه بمحذوف نعتاً لباساً، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في شديداً اهـ سمين.

قوله: ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ صفة وقوله: ﴿أن لهم﴾ أي بأن لهم.

قوله: ﴿ما كثرين﴾ حال من الهاء في لهم أي مقيمين فيه أي الأجر اهـ شيخنا.

قوله: (هو) أي: الأجر.

قوله: (من جملة الكافرين) حال من الذين. قالوا: أي حال كون القائلين هذه المقالة بعض الكافرين المذكورين أولاً في قوله: ﴿لينذر بأساً شديداً﴾ على حسب ما قرره الشارح، وغرضه بهذا أن قوله: ﴿وينذر﴾ إلى آخره عطف على قوله: ﴿لينذر﴾ عطف خاص على عام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما لهم به﴾ مستأنف ولهم خبر مقدم ومن علم مبتدأ مؤخر بزيادة من قوله ﴿ولا لآبائهم﴾ عطف على الخبر اهـ شيخنا.

قوله: (بهذا القول) رجع الضمير للقول، وفيه وجوه آخر. ففي الشهاب: الأول: أنه راجع إلى الولد، ومعنى عدم علمهم به أنه محال ليس مما يعلم. الثاني: أنه راجع إلى الاتخاذ الذي في ضمن الفعل. الثالث: أنه رجع إلى القول المفهوم من قالوا أي: ليس قولهم هذا ناشئاً من علم وتفكر. الرابع: أنه راجع لله إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه اهـ.

وفي الكرخي: فإن قيل: اتخاذ الولد محال في نفسه فكيف قيل ما لهم به من علم؟ فالجواب: أن انتفاء العلم بالشيء قد يكون للجهل بالطريق الموصول إليه، وقد يكون لأنه في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به، ونظيره قوله: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر﴾ [المؤمنون: ١١٧] لا برهان له به اهـ.

قوله: ﴿ولا لآبائهم﴾ أي: ولا لأحد من أسلافهم، وهذا مبالغة في كون تلك المقالة فاسدة باطلة اهـ كرخي.

قوله: (من قبلهم) بفتح ميم من بدلاً من آبائهم، وقوله: (القائلين) أي المتكلمين. قوله: ﴿كبرت﴾ كبر فعل ماض لإنشاء الذم، والتاء علامة التأنيث، والفاعل ضمير مستتر وكلمة تمييز له، والمخصوص بالذم محذوف كما قال اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: في فاعل كبرت وجهان، أحدهما: أنه مضمّر عائداً على مقالته المفهومة من

المبهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي مقاتلهم المذكورة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مقولاً ﴿كَذِبًا﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ﴾ مهلك ﴿نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ بعدهم أي بعد توليهم

قوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٦ ويونس: ٦٨] أي كبرت مقاتلهم ﴿وكلمة﴾ نصب على التمييز، ومعنى الكلام على التعجب أي ما أكبرها كلمة، وجملة تخرج صفة لكلمة تؤذن باستعظامها، لأن بعض ما يهيجس بالخاطر لا يحمد الإنسان على إظهاره باللفظ. والثاني: أن الفاعل مضمر مفسر بالكرة بعده المنصوبة على التمييز ومعناها الذم كبش رجلاً، فعلى هذا المخصوص بالذم محذوف تقديره: كبرت هي أي الكلمة كلمة خارجة من أفواههم تلك المقالة الشنعاء اهـ.

قوله: ﴿تخرج من أفواههم﴾ أي هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة، لأنه في غاية البطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد اهـ خازن.

قوله: (أي مقاتلهم النخ) هذا تقدير للمخصوص ولم يقدر الفاعل، والتقدير: كبرت هي أي المقالة التي قالوها كلمة مقاتلهم المذكورة. قوله: (في ذلك) أي في ذلك المقام وهو نسبة الولد إلى الله تعالى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا﴾ (مقولاً) ﴿كَذِبًا﴾ أشار إلى أنه نعت مصدر محذوف، وعبارة السمين: فيه وجهان، أحدهما: هو مفعول به لأنه يتضمن معنى جملة. والثاني: هو نعت مصدر محذوف أي: إلا قولاً كذباً اهـ.

قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ النخ المقصود من هذا الترجي النهي. أي: لا تبخ نفسك، أي: لا تهلكها من أجل غمك على عدم إيمانهم. أي: لا تغتم لثلاث تهلك نفسك، وهذا شروع في تسليته ﷺ اهـ شيخنا. وفي السمين: ولعل قيل للإشفاق على بابها، وقيل: للاستفهام، وهو رأي الكوفيين. وقيل: للنهي أي لا تبخ. والبخ: الإهلاك. يقال: بخع الرجل نفسه يبخعها من باب نفع بخعاً وبخوعاً أهلكتها وجداً اهـ.

قوله: (بعدهم) تفسير لآثارهم، وهذا التفسير غير واف بشرح اللفظ، إذ لفظ الآثار عليه ضائع لم يظهر له معنى على هذا. وفي البضاوي: شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقت أعزته فهو يتحسر على آثارهم، ويبخ نفسه وجداً عليهم اهـ.

يعني أن قوله ﴿بَاخِعٌ نَفْسِكَ﴾ فيه استعارة تمثيلية بتشبيه حاله معهم وقد تولوا، وهو آسف من عدم هدايتهم بحال من فارقت أحبته، فهم بقتل نفسه أو كاد يهلك وجداً، فقوله: (لما تداخله إلى آخره) داخل في المشبه اهـ شهاب.

وجعل الكازروني قوله: (لما تداخله) هو الجامع، وجعل الاستعارة مفردة اهـ.

وفي الكرخي: قوله: (بعدهم) أي: بعد يأسك من إيمانهم يقال: مات فلان على أثر فلان أي: بعده اهـ.

وفي السمين: ﴿على آثارهم﴾ متعلق بباخع أي: من بعد هلاكهم.

عنك ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا﴾ ﴿٦﴾ غيظاً وحزناً منك لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لِّهَا إِنبُلُوهُمْ﴾ لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ﴿٧﴾ فيه أي أزهد له

قوله: (توليهم) أي: إعراضهم عن الإيمان بك. قوله: ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ جوابه محذوف دل عليه الترجي تقديره: فلا تحزن. وفي السمين: العامة على كسر إن على أنها شرطية، والجواب محذوف عند الجمهور لدلالة قوله: ﴿فلعلك﴾ وعند غيرهم هو جواب متقدم، وقرئ أن لم يفتح الهمزة على حذف الجار. أي: لأن لم يؤمنوا، وقرئ باخع نفسك بالإضافة والأصل نصب اهـ.

قوله: (غيظاً الخ) في البياضوي الأسف: فرط الحزن والغضب اهـ.

قوله: (منك) أي: أن الغيظ والحزن قائمان بك وقوله: (لحرصك) علة للعلة، فالمعنى: لعلك مهلك نفسك لأجل حزنك على عدم إيمانهم، وهذا الحزن منك لأجل حرصك على إيمانهم اهـ.

قوله: (ونصبه على المفعول له) والعامل فيه باخع، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال من الضمير في باخع اهـ سمين.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ الخ تعليل للنهي المقصود من الترجي، والقصد منه تسليته ﷺ وتسكين أسفه وغيظه على عدم إيمانهم، لأنه مختبر لأعمال العباد ومجازيهم عليها، فكأنه يقول له ﷺ: لا تحزن فإني منتقم منهم لك اهـ شهاب.

قوله: (وغير ذلك) أي: من النعم كالذهب والفضة والمعادن وكالعلماء والصلحاء اهـ كرخي.

قوله: ﴿زينة﴾ يجوز أن ينتصب على المفعول له وأن ينتصب على الحال إن جعلت جعلنا بمعنى خلقنا، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً إن كانت جعل تصيرية ولها متعلق بزينة على العلة، ويجوز أن تكون اللام زائدة في المفعول، ويجوز أن تتعلق بمحذوف صفة لزينة. وقوله: ﴿لنبلوهم﴾ متعلق بجعلنا بمعنى اهـ سمين.

قوله: (لنختبر الناس) أي: نعاملهم معاملة المختبر، وقوله: (ناظرين) حال من الناس، وقوله: (إلى ذلك) أي: ما على الأرض من الزينة أي: ملتفتين إليه، وقوله: (فيه) أي: فيما على الأرض، وقوله: (أي أزهد له) تفسير لأحسن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَيُّهُمْ﴾ أي: مبتدأ استفهامية، والهاء: مضاف إليه، والميم: علامة الجمع، وأحسن: خبر، وعملاً: تمييز. والجملة في محل نصب سادة مسد مفعولي نبلو، لأنه في معنى نعلم وعلق بأي الاستفهامية عن العمل في اللفظ اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: يجوز في أيهم وجهان، أحدهما: أن تكون استفهامية مرفوعة بالابتداء، وأحسن خبرها، والجملة في محل نصب معلقة لنبلوهم لأنه سبب العلم كالسؤال والنظر. والثاني: أنها موصولة بمعنى الذي، وأحسن خبر مبتدأ مضمرة، والجملة صلة لأيهم، ويكون هذا الموصول في محل نصب بدلاً من مفعول لنبلوهم تقديره: لنبلو الذي أحسن، وحيث أنه تحتل الضمة في أيهم أن

﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فتاتاً ﴿جُرْزًا﴾ يابساً لا ينبت ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ

تكون للبناء كهي في قوله تعالى: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم﴾ [مريم: ٦٩] على أحد الأقوال، وشرط البناء موجود وهو الإضافة لفظاً وحذف صدر الصلة، وهذا مذهب سيبويه وأن تكون للإعراب لأن البناء جائز لا واجب ومن الإعراب ما قرئ به شاذاً: أيهم أشد على الرحمن، وسيأتي تحقيق هذا في سورة مريم إن شاء الله تعالى، والضمير في لنبلوهم وأيهم عائد على ما يفهم من السياق وهم سكان الأرض. وقيل: يعود ما على الأرض إذا أريد بما العقلاء. وفي التفسير: المراد بذلك الرجال، وقيل: العلماء والصلحاء والخلفاء اهـ.

قوله: ﴿لجاعلون﴾ أي: مصيرون. قوله: ﴿صعيداً﴾ مفعول ثان لأن الجعل هنا تصيير ليس إلا، والصعيد التراب. والجرز: الذي لا نبات به يقال سنة جرز وسنون أجراز لا مطر فيها، وأرض جرز وأرضون أجراز لا نبات بها، وجرزت الأرض إذا ذهب نباتها بقحط أو جراد، وجرز الجراد الأرض أكل ما فيها. والجروز: المرأة الأكلة. قال الراجز:

إن العجـوز حـيـة جـروزاً تـأكـل كـل لـيـلة قـفـيـزاً
اهـ سـمـين .

قوله: (فتاتاً) مصدر كالحطام والرفات وفعله من باب رد اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: ﴿فتاتاً﴾ هو الذي يضمحل بالريح لا اليابس الذي يرسب ونظيره ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦] وقوله: ﴿فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ [طه: ١٠٦] والمعنى: أنه لا بد من المجازاة بعد إفناء ما على الأرض، وتخصيص الإهلاك بما على الأرض يفهم بقاء الأرض، إلا أن سائر الآيات دلت أيضاً على أن الأرض لا تبقى وهو قوله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] انتهت.

قوله: ﴿جرزاً﴾ نعت لصعيداً ففيه تجوز من حيث إن الجرز معناه الأصلي الأرض التي قطع نباتها، وهنا جعل وصفاً لما عليها من النبات، فكأنه مجاز علاقته المجاورة. وفي البيضاوي: ﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يكفيه وصرفه على ما ينبغي، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ ﴿وإنَّا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ تهديد فيه. والجرز: الأرض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع، والمعنى: إننا لنعيد ما عليها من الزينة تراباً مستوياً بالأرض ونجعلها كصعيد أملس لا نبات فيه اهـ.

قوله: ﴿أم حسبت﴾ أم منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب فعند الجمهور تفسر ببل والهزمة، وعند غيرهم تفسر ببل وحدها عند قوم، وبالهزمة وحدها عن آخرين والشارح هنا جرى على الثالث حيث قال: أي أظننت وهذه الهزمة للاستفهام الإنكاري مع ملاحظة معنى النهي أي: لا تظن أن قصة أهل الكهف عجب دون غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى كخلق السموات والأرض، أو لا تظن أنها أعجب الآيات، بل من الآيات ما هو أعجب وأعظم منها كخلق السموات والأرض اهـ شيخنا.

أَلْكَهْفِ ﴿الغار في الجبل﴾ وَالرَّقِيمِ ﴿اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سئل ﷺ عن قصتهم﴾ كَانُوا ﴿في قصتهم﴾ مِنْ ﴿جملة﴾ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿خبر كان وما قبله حال أي كانوا عجباً دون باقي الآيات أو أعجبها ليس الأمر كذلك اذكر﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴿جمع فتى وهو

قوله: (الغار في الجبل) عبارة السمين، والكهف: قيل مطلق الغار. وقيل: هو ما اتسع في الجبل، فإن لم يتسع فهو غار، والجمع كهوف في الكثرة وأكهف في القلة. والرقيم: بمعنى مرقوم، وقيل: بمعنى راقم، وقيل: هو اسم للكلب الذي لأصحاب الكهف اهـ.

وفي الخازن: ﴿الرقيم﴾ لوح كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم، ثم وضعوه على باب الكهف. وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجارة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرجوا منها، وقيل: اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف اهـ.

وفي القرطبي: عن ابن عباس رضي الله عنهما: الرقيم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه السلام، وعن قتادة: أن الرقيم دارهمم التي كانت معهم، وعن أنس بن مالك: أن الرقيم كليهم اهـ سمين.

قوله: (اللوح) وكان من رصاص، وهو مدفون عند باب الغار تحت البناء المبني عليه. وقوله: (أسماؤهم الخ) ففيه فلان ابن فلان من مدينة كذا خرج في وقت كذا من سنة كذا اهـ شيخنا.

قوله: (في قصتهم) وكانت بعد عيسى عليه السلام. قوله: (خبر كان) أي: قوله ﴿عَجَبًا﴾ خبر كان وقوله: (وما قبله) وهو قوله ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾، والتقدير: كانوا عجباً حال كونه من جملة آياتنا، وقد أوضح هذا بقوله (أي كانوا عجباً الخ). وقوله: (دون باقي الآيات الخ) هذا هو محل النهي، وإلا فقصتهم عجيبة في نفسها، وإنما المنفي كونها عجيبة دون غيرها أو كونها أعجب الآيات، فقوله: (أي ليس الأمر كذلك) أي ليست أعجبها ولا هي عجب دون غيرها، بل هي من جملة الآيات العجيبة. وفي الآيات أي آثار قدرة الله تعالى ما هو أعجب منها اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: ﴿عَجَبًا﴾ خبر كان ووحد وإن كان صفة في المعنى لجماعة، لأن أصله المصدر. قال ابن الخطيب: والعجب ههنا مصدر وسمي المفعول به، والتقدير: كانوا معجوباً منهم فسموا بالمصدر.

قوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: نزلوه وسكنوه والتجؤوا إليه. يقال: أوى إلى منزله من باب ضرب إذا نزل بنفسه وسكنه، والمأوى لكل حيوان سكنه اهـ من المصباح والقاموس.

وفي الخازن: أي: صاروا إليه وجعلوه مأواهم اهـ.

وفي قوله: ﴿الْفِتْيَةُ﴾ إظهار في مقام الإضمار للتنصيص على وصفهم وسنهم، فكانوا في سن الشباب مرداً وكانوا سبعة، وقوله: (خائفين) أي خرجوا من مدينتهم خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار حيث أمروهم بعبادة غير الله، وكذلك ملك المدينة أمرهم بما ذكر واسمه دقيانوس، ومدينتهم

الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ﴾ من قبلك ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾ أصلح ﴿لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هداية ﴿فَضْرِبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ أي أنمناهم ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ معدودة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

اسمها أفسوس عند أهل الروم لأنها من مدائنهم، واسمها عند العرب طرسوس كما سيأتي في الشارح، فلما أمروهم بعبادة غير الله ذهب كل واحد منهم إلى بيت أبيه وأخذ منه زاداً ونفقة وخرجوا فارين هاربين، حتى أوا إلى كهف في جبل قريب من المدينة فاختفوا فيه، وصاروا يعبدون الله ويأكلون ويشربون ويبعثون واحداً منهم خفية ليشترى لهم الطعام من المدينة، وهم خائفون من اطلاع أهل المدينة عليهم فيقتلوهم لعدم دخولهم في دينهم فجلسوا يوماً بعد الغروب يتحدثون فألقى الله عليهم النوم، وذلك قال تعالى: ﴿فَضْرِبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (جمع فتى) أي: كصبي وصبية اهـ بضاوي.

وفي المصباح مثله، وفي القاموس: وفتى: كغنى الشاب من كل شيء اهـ.

قوله: ﴿وَهَيِّئْ﴾ (أصلح) أي: أو يسر لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مخالفة الكفار وفراقنا لأهلنا وأوطاننا. ومن: ابتدائية سببية اهـ.

قوله: (هداية) أي: تثبيتاً على الإيمان، وتوفيقاً للأعمال الصالحة، وانقطاعاً عن الاشتغال بالدنيا وزهداً فيها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَضْرِبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ مفعوله محذوف أي: فضربنا على آذانهم حجاباً مانعاً لهم من السماع أي أوجدناه وخلقناه فيهم وهذا هو المعنى الحقيقي، وليس مراداً بل المراد ما أشار إليه بقوله: (أي أنمناهم) ففي الكلام تجوز، وهذا النوم من جملة الرحمة التي طلبوها فكأنه قال: فاستجبنا دعاءهم، ومن جملة استجابته أن أنمناهم وقلبناهم في نومهم ذات اليمين وذات الشمال ثم بعثناهم اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿فَضْرِبْنَا﴾ مفعوله محذوف أي: ضربنا الحجاب المانع، وعلى آذانهم استعارة للزوم النوم، ونص على الآذان لأن بالضرب عليها خصوصاً يحصل النوم، وسنين ظرف لضربنا، وعدداً يجوز فيه أن يكون مصدر أو أن يكون فعلاً بمعنى مفعول كالقبض والنقض، فعلى الأول يجوز نصبه من وجهين: النعت لسنين على حذف مضاف أي ذوات عدد، أو على المبالغة والنصب بفعل مقدر أي تعد عدداً. وعلى الثاني نعت ليس إلا أي معدودة اهـ.

قوله: (أي أنمناهم) أي نوماً شديداً من ضربت على يده إذا منعه عن التصرف وإرادة هذا المعنى بطريق الاستعارة التبعية بأن تشبه الإنامة الثقيلة بضرب الحجاب على الآذان ثم يذكر المشبه به ويراد المشبه ثم يشتق منه الفعل، وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿سنين عدداً﴾ سيأتي عدها في الآية. قوله: (معدودة) أشار إلى أن عدداً نعت لسنين. قال الزجاج: ذكر العدد ههنا يفيد كثرة السنين وكذلك كل شيء مما يعد إذا ذكر فيه العدد ووصف به أريد

المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ فعل بمعنى أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾ للبثهم متعلق بما بعده

كثرته، لأنه إذا قلَّ عرف مقدراه بدون التعديد اهـ كرخي.

قوله: (لنعلم) اللام للعاقبة أي: فترتب على بعثنا لهم علمنا بما ذكر وقوله: (علم مشاهدة) فالمعنى ليستهر علمنا بين الناس، وهذا ليس مراداً أيضاً بل المراد ليعلم الناس ما ذكر بالمشاهدة اهـ شيخنا.

وفي كون علم ما ذكر علم مشاهدة نظر واضح لا يخفى إذ علم ما ذكر لم يستند للمشاهدة بالبصر ولا بغيره من الحواس كما لا يخفى، وإنما هو أمر عقلي محض وليس مستنداً لبعثهم وحياتهم، لأن بعثهم لم يقد علم مدة لبثهم كما لا يخفى. وعبرة الكرخي: قوله: ﴿لنعلم﴾ علم مشاهدة. اللام فيه للتعليل وعند الأشاعرة تسمى لام العاقبة ولام الحكمة، ويصح تعلقها ببعثناهم أو بضربنا. وقوله: (علم مشاهدة) جواب كيف. قال تعالى: ﴿لنعلم﴾ مع أن الله تعالى عالم بكل شيء في الأزل، وإيضاحه أن المعنى ليظهروا وي شاهدوا ليحصل لهم ما تعلق علمنا به من ضبطهم مدة لبثهم بعد تيقظهم، وهذا ما أفهمه كلام الكشاف اهـ.

وفي البيضاوي: لنعلم أي الحزبين، أي: ليتعلق علمنا تعلقاً حالياً مطابقاً لتعلقه أولاً استقبالياً اهـ.

ودفع بهذا ما يتوهم من حدوث علمه تعالى، فليزيم سبق الجهل تعالى الله عن ذلك، فالمراد، ليحدث تعلق علمنا تعلقاً حالياً. أي: نعلم أن الأمر واقع في الحال بعد أن علمنا قبل أنه يقع في مستقبل الزمان. يعني: أنه تعالى علم في الأزل أنه يقع ذلك الشيء فيها لا يزال، وإذا وقع ذلك الشيء تعلق علمه بأنه واقع في الحال اهـ كازروني.

وقوله: ﴿لنعلم﴾ العامة على نون العظمة جرياً على ما تقدم، وقرأ الزهري: ليعلم بياء الغيبة والفاعل الله تعالى، وفيه التفات عن التكلم إلى الغيبة، ويجوز أن يكون الفاعل أي الحزبين إذا جعلناها موصولة اهـ سمين.

قوله: ﴿أي الحزبين﴾ المراد بالحزبين نفس أصحاب الكهف لا أهل المدينة. وأي: مبتدأ والحزبين: مضاف إليه، وأحصى: فعل ماض، كما قال: وأمدأ مفعول له، ولما لبثوا: متعلق بأمدأ، والجملة خبر أي: وهي خبرها سادة مسد مفعولي نعلم لأنه علق بالاستفهام اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: واختلفوا في الحزبين والمختلفين، فقال عطاء عن ابن عباس: المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك وأصحاب الكهف، وقال مجاهد: الحزبان من الفتية أصحاب الكهف لما تيقظوا اختلفوا في أنهم كم لبثوا ويدل له قوله تعالى: ﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ [الكهف: ١٩] فالحزبان هما هذان، وكأن الذين قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول. وقال الفراء: إن طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم اهـ.

وعبرة الخازن: وذلك أن أهل المدينة اختلفوا في مدة لبثهم في الكهف اهـ.

قوله: (فعل بمعنى ضبط) أي: وفاعله ضمير مستتر عائد على أي، وهذه النسخة هي التي كتب

﴿ أَمَدًا ۝ ﴾ غاية ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ﴾ نقرأ ﴿ عَلَيْكَ نَبَأُهُم بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق ﴿ إِنَّمَا فَتِيَّةٌ اسْمَوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَهُمْ

عليها الحواشي. وفي نسخة أفعّل بمعنى أضبط أي: فيكون اسم تفضيل، وعبارة السمين: أحصى يجوز فيه وجهان.

أحدهما: أنه أفعّل تفضيل وهو خبر لأيهم، وأيهم استفهامية. وهذه الجملة معلقة للعلم قبلها، ولما لبثوا حال من أمدأ لأنه لو تأخر عنه لكان نعتاً له، ويجوز أن تكون اللام على بابها من العلة أي: لأجل قاله أبو البقاء، ويجوز أن تكون زائدة، وما: مفعولة إما بأحصى على رأي من يعمل أفعّل التفضيل في المفعول به، وإما بإضمار فعل، وأمدأ مفعول لبثوا أو منصوب بفعل مقدر يدل عليه أفعّل عند الجمهور أو منصوب بنفس أفعّل عند من يرى ذلك.

الوجه الثاني: أن يكون أحصى فعلاً ماضياً وأمدأ مفعوله، ولما لبثوا متعلق به أو حال من أمدأ أو اللام فيه مزيدة وعلى هذا فأمداً منصوب بلبثوا وما مصدرية أو بمعنى الذي، واختار الأول أعني: كون أحصى للفضيل الزجاج والتبريزي، واختار الثاني أبو علي، والزمخشري، وابن عطية. قال الزمخشري: فإن قلت: فما تقول فيمن جعله أفعّل التفضيل؟ قلت: ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي ليس بقياسي اهـ.

قوله: (للبهتم) يعني أن ما مصدرية مراعى فيها اعتباره مدة اللبث، وقوله: (متعلق بما بعده) أي: أمدأ على أنه نعت له، وأمدأ مفعول أحصى فلما تقدم عليه انتصب على الحال اهـ كرخي.

قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم ﴾ أي: نقصه عليك تفصيلاً بعد أن قصصناه إجمالاً. وحاصل قصتهم كما قال محمد بن إسحاق: لما طغى أهل الإنجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها، وبقي فيهم من هو على دين المسيح مستمسكين بعبادة الله وتوحيده، وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه، فمر بمدينة أصحاب الكهف وهي مدينة من الروم يقال لها إفسوس فاستخفى منه أهل الإيمان، فصار يرسل أعوانه فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيأمرهم بعبادة الأصنام ويقتل من يخالفه، فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزناً شديداً وكانوا من أشرف الروم وهم ثمانية، وكانوا على دين عيسى، فأخبر ذلك الملك بهم وبعبادتهم فبعث إليهم فأحضروا بين يديه ليكون، فقال: ما منعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة، فاختاروا إما أن تكونوا على ديننا، وإما أن تقتلكم؟ فقال له أكبرهم: إن لنا إلهاً عظمته ملء السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً أبداً اصنع بنا ما بدا لك، وقال أصحابه مثل ذلك. فأمر الملك بنزع لباسهم والحلية التي كانت عليهم، وكانوا مسورين ومطوقين، وكانوا غلماناً مردأ حساناً جداً، وقال: سأفرغ لكم وأعاقبكم وما يمنعني من فعل ذلك بكم الآن، إلا أنني أراكم شباباً فلا أحب أن أهلككم، وإن قد جعلت لكم أجلاً تدبرون فيه أمركم وترجعون إلى عقولكم. ثم إنه سافر لغرض من أغراضه، فخافوا أنه إذا رجع من سفره يعاقبهم أو يقتلهم، فاشتوروا فيما بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقي، ففعلوا ذلك وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له بنجلوس فيه كهف، ومروا في طريقهم بكلب فتبعهم قطرده فعاد، وفعلوا ذلك مراراً فقال لهم الكلب: أنا أحب أحباب الله عز وجل

فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم، فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد، وجعلوا نفقتهم تحت يد واحد منهم اسمه تملیخا كان يأتي المدينة يشتري لهم الطعام سراً ويتجسس لهم الخبر، فلبثوا بذلك الغار ما شاء الله. ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة، وكان تملیخا يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاماً، فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم، ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عز وجل ويتضرعون إليه في دفع شره عنهم وذلك عند غروب الشمس، فقال لهم تملیخا: يا أخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم، فأكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون، فبينما هم كذلك إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف، وألقاه أيضاً على كلهم وهو على باب الكهف، ففتش عليهم الملك فدلّ عليهم فتحريراً فيما يصنع بهم، فألقى الله في قلبه أن يسد عليهم باب الغار، وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك، ويجعلهم آية للناس، وأن يبين لهم أن الساعة آتية، وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت فأمر الملك بسده وقال: دعوهم في كهفهم يموتوا جوعاً وعطشاً، ويكون كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفى الله أرواحهم وفاة نوم، ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما شرعاً يكتبان قصة هؤلاء الفتية، فكتبا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم وممن فروا في لوحين من رصاص، وجعلاهما في تابوت من نحاس، وجعلتا التابوت في البنيان وقالوا: لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم. ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه، ومزّ بعده سنون وقرون وتغايرت الملوك.

وفي رواية أن اللوح الذي كتب فيه وضع ودس في خزانة الملك، ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس، اختلف الناس عليه فمنهم المؤمن بالساعة، ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمعونهم يقولون: لا حياة إلا حياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد. فجعل يتضرع ويقول: رب أنت تعلم اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث، فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. فألقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية أن يهدم ذلك البناء الذي على باب الكهف ويبني بحجارته حظيرة لغنمه، فهدمه وبني به حظيرة لغنمه، فلما انفتح باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم، وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيئتهم فلم يتغير منها شيء، فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا كهيئتهم وقت أن رقدوا، ثم أرسلوا تملیخا إلى المدينة ليشتري لهم الطعام، فذهب فرأى المدينة قد تغير حالها وأهلها وملكها، وقد أخذ أهل المدينة وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن، فأخبر تملیخا بقصته وقصة أصحابه. فقال بعض الحاضرين: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يد هذا الفتى، فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه. فانطلق أريوس وأسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم، فأول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران، فوجدا في أثر البناء تابوتاً من نحاس ففتحاه فوجدا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما قصتهم، فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث، ثم أرسلوا قاصداً إلى ملكهم

هُدًى ﴿١٣﴾ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قويناهما على قول الحق ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا

الصالح بيدروس أن عجل بالحضور إلينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة ، فإن فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلاثمائة سنة وأكثر . فلما جاءه الخبر ذهب همه وقال : أحمدك رب السموات والأرض تفضلت علي ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي ، فركب وتوجه نحو الكهف ، فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ، فقالوا له : نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الإنس والجن . فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم ، فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب ، فلما مشى ونام أتوه في منامه فقالوا له : إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ، ولكننا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه ، فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه ، وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد يصلي فيه ويسد به باب الغار فلا يراهم أحد ، وجعل لهم عيداً عظيماً ، وأمر أن يؤتى كل سنة أهد ملخصاً من الخازن .

قوله : ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة وهي مع مجرورها حال إما من فاعل نقص أو من مفعوله وهو النبأ . قوله : ﴿إنهم فتية﴾ أي شباب ، كان أحدهم وزير الملك دقيانوس ، وكانوا من أشرف تلك المدينة ومن عظماء أهلها . وهذه جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال اقتضاه ما قبلها ، فكأنه قيل وما نبؤهم أهد شيخنا .

قوله : ﴿آمنوا بربههم﴾ فيه التفات من التكلم إلى الغيبة ، إذ لو جاء على نسق الكلام لقبل إنهم فتية آمنوا بنا ، وقوله : ﴿وزدناهم﴾ وربطنا التفات من هذه الغيبة إلى التكلم أيضاً أهد سمين .

قوله : ﴿وربطنا﴾ فيه استعارة تصريحية تبعية لأن الربط هو الشد بالحبيل كما أشار له الشارح أهد شيخنا .

قوله : ﴿قويناهما على قول الحق﴾ حيث قالوا للملك : ﴿ربنا رب السموات﴾ الخ . ولم يحصل لهم منه رعب ، فأمر بنزع ثيابهم وحليهم وكان ذاهباً في سفره ، واستوعدهم بالعقوبة حين يتفرغ لهم أهد شيخنا .

وعبارة البيضاوي : قويناهما بالصبر على هجر الوطن والمال والأهل ، والجرأة على إظهار الحق والرد على دقيانوس أهد .

قوله : ﴿إذ قاموا﴾ ظرف لربطنا . قوله : ﴿ملكهم﴾ اسمه دقيانوس . قوله : ﴿فقالوا﴾ الخ أي : قالوا ، جملاً ستاً ثلاثة بين يدي ملكهم آخرهم قوله : ﴿شططا﴾ ، وثلاثة بعد انصرافهم عن مجلسه ذماً لقومهم آخرهم قوله : ﴿كذبا﴾ أهد شيخنا .

قوله : ﴿لن ندعو﴾ أي : نعبد . قوله : ﴿لقد قلنا﴾ واقع في جواب قسم ، وقوله : ﴿إذا﴾ بمعنى إن أي : والله لئن دعونا غيره لقد قلنا الخ أهد شيخنا .

شَطَطًا ﴿١٤﴾ أي قولاً ذا شطط أي إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله فرضاً ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمَنَا﴾ عطف بيان ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿يَسْلُطْنَ بِهَا﴾ بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى. قال بعض الفتية لبعض ﴿وَإِذْ اعْتَرَزْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ

فإذا دال على شرط مقدر كما يدل له قوله: ﴿إِنْ دَعَوْنَا﴾ الخ. قوله: (أي قولاً ذا شطط) أشار إلى أن انتصاب شططاً نعت لمصدر محذوف بتقدير المضاف. وقال سيبويه: نصبه على الحال من ضمير مصدر قلنا، وقيل: إنه مفعول بقلنا لتضمنه معنى الجملة اهـ سمين.

قوله: (أي إفراط) في المختار: الشطط بفتحيتين مجاوزة القدر في كل شيء اهـ.

وفي المصباح: شطت الدار بعدت، وشط فلان في حكمه شطوطاً وشططاً جار وظلم، وشط في القول شططاً وشطوطاً أغلظ فيه، وشط في السوم أفرط والجميع من باب ضرب وقتل اهـ.

وفي السمين: وشط في السوم وأشط أي جاز القدر، وشطت الجارية شططاً طالت اهـ.

قوله: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ الخ أي: قالوا هؤلاء قومنا الخ، وقالوا: لولا الخ، وقالوا فمن أظلم الخ اهـ شيخنا.

قوله: (عطف بيان) أو بدل، وخبر المبتدأ اتخذوا وترك التنبيه عليه لوضوحه وهو إخبار في معنى الإنكار، ويجوز أن يكون قومنا هو الخبر، واتخذوا حالاً. وفي التعبير باسم الإشارة تحقير لهم اهـ كرخي.

﴿واتخذوا﴾ يجوز أن يتعدى لواحد بمعنى عملوا لأنهم نحتوها بأيديهم، ويجوز أن يكون متعدياً لاثنين بمعنى صيروا، ومن دونه هو الثاني قدم وآلهة من الأول، وعلى الوجه الأول يجوز في من دونه أن يتعلق باتخذوا وأن يتعلق بمحذوف حالاً من آلهة، إذ لو تأخر لجاز أن يكون صفة لآلهة اهـ سمين.

قوله: ﴿لَوْلَا﴾ (هلا) أي: هو تحضيض فيه معنى الإنكار، ولا يجوز أن تكون هذه الجملة التحضيضية صفة لآلهة لفساده معنى وصناعة لأنها جملة طلبية اهـ كرخي.

قوله: (على عبادتهم) فحذف المضاف للعلم به والضمير للقوم، والمعنى على عبادتهم لها أي: للآلهة. ويصح أن يعود للآلهة على حذف المضاف أيضاً اهـ.

قوله: (قال بعض الفتية لبعض) أي: وقت اعتزالهم فأشار إلى أن نصب إذ بمضمر، وجوز بعضهم أن تكون للتعليل أي: فأووا إلى الكهف لاعتزالهم إياهم ولا يصح اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: ﴿وَإِذَا اعْتَرَزْتُمُوهُمْ﴾ أي فارقتمهم في الاعتقاد، أو أردتم الاعتزال الجسماني. ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ عطف على الضمير المنصور، وما موصولة أو مصدرية أي: إذ اعتزلتموهم ومعبودهم إلا الله، أو وعبادتهم إلا عبادة الله، وعلى التقديرين، فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان، ويجوز كون ما نافية

مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهِيجَ لَكُمْ مِنْ أَمْرٍ كَرِهَ قَلْبُكُمْ ﴿١٦﴾ بِكْسَرِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَبِالْعَكْسِ مَا تَرْتَفِقُونَ بِهِ مِنْ غَدَاءٍ وَعِشَاءٍ ﴿١٧﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرٌ ﴿١٨﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ تَمِيلُ ﴿١٩﴾ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ آلِيمِينَ ﴿٢٠﴾

على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه، ﴿فأولوا﴾ أي: التجنوا إلى الكهف. قال الفراء: هو جواب إذ، كما تقول إذ فعلت فعل كذا، وقيل: هو دليل على جوابه أي: إذا اعتزلتموهم اعتزالاً اعتقادياً فاعتزلوهم اعتزالاً جسمانياً، أو إذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف اهـ.

وهذا يفيد أن إذ شرطية مع أنها بدون ما لا تقع شرطية بل تكون ظرفية أو تعليلية. وقد نقل في همع الهوامع أنه قول ضعيف لبعض النحاة، أو يقال: هو تسميح لأنه بمعناه اهـ شهاب.

قوله: ﴿ينشر لكم﴾ أي: ييسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك أمركم من رحمته في الدارين، ﴿ويهيئ﴾: يسهل لكم من أمركم الذي أنتم بصدد من الفرار بالدين اهـ أبو السعود. وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى اهـ بضاوي.

قوله: ﴿من أمركم﴾ متعلق بالفعل قبله، ومن: لا ابتداء الغاية أو للتبويض، وقيل: هي بمعنى بدل، قاله ابن الأنباري، ويجوز أن يكون حالاً من مرفقاً فيتعلق بمحذوف اهـ سمين.

قوله: (وبالعكس) قراءتان سبعيتان، فقرأ الجمهور بكسر الميم وفتح الفاء، ونافع وابن عامر بالعكس، وفيهما اختلاف بين أهل اللغة فقليل: هما بمعنى واحد وهو ما يرتفق به وليس بمصدر، وقيل: هو بالكسر في الميم لليد وبالفتح للأمر، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر حكاه الأزهرى عن ثعلب. وقال بعضهم: هما لغتان فيما يرتفق به، فأما الجارحة فبكسر الميم فقط، وأجاز معاذ فتح الميم والفاء هو مصدر كالمضرب والمقتل اهـ سمين.

قوله: (ترتفقون) أي تنتفعون. قوله: ﴿وترى الشمس﴾ الخ قيل: هنا جمل ثلاث محذوفة تقديرها فأولوا إلى الكهف، وناموا، وأجاب الله دعاءهم حيث قالوا: ﴿ربنا آتنا﴾ الخ، والخطاب للنبي ﷺ أو لكل أحد، وليس المراد أن من خوطب بهذا يرى هذا المعنى، ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو، ومعناه: أنك لو رأيتهم لرأيت الشمس اهـ خطيب.

قوله: ﴿إذا طلعت﴾ ظرف لترى أو لتزاور، وكذا إذا غربت معمول للأول أو للثاني وهو تقرضهم، والظاهر تمحضه للظرفية، ويجوز أن تكون شرطية. ومعنى تقرضهم تقطعهم لا تقربهم، والقرض: القطع. وقال الفارسي: معنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها شيئاً ثم يزول بسرعة كالقرض يسترد، وقد ضعف بأنه كان ينبغي أن يقرأ تقرضهم بضم التاء لأنه من أقرض اهـ سمين.

قوله: ﴿تزاور﴾ في محل الحال لأن ترى بصرية. قوله: (بالتشديد والتخفيف) عبادة السمين: قرأ ابن عامر تزور بزنة تحمر، والكوفيون تزاور بتخفيف الزاي، والباقون بتثقيلاً فتزور بمعنى تميل وتنحى من الزور وهو الميل، وزاره بمعنى مال إليه، ومنه قول الزور لأنه ميل عن الحق، ومنه الأزور وهو المائل بعينه وبغيرها. وقيل: تزور بمعنى تنقبض من ازور أي انقبض، وأما تزاور وتزاور فأصلهما تزاور بتاءين، فالكوفيون حذفوا إحدى التاءين وغيرهم أدغم، وتقدم تحقيق هذه في تظاهرون

ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَتِ شَرَارُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مِّنْ أَيْتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلْ﴾ وَلِيَا مُرْشِدًا ﴿٧﴾ ﴿وَتَحْسِبُهُمْ﴾ لو رأيتمهم ﴿أَيْكَافًا﴾

وتساءلون ونحوهما، ومعنى ذلك الميل أيضاً. وقرأ أبو رجاء والجحدري: تزوار بوزن تحمار اهـ.

قوله: ﴿ذَاتَ اليمين وذات الشمال﴾ ظرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال اهـ سمين.

والمراد: يمين الكهف أي يمين الداخل له، وهذا بخلاف قوله الآتي: ﴿وَنَقْلِبُهُمْ ذَاتَ اليمين﴾، فالمراد به يمينهم أنفسهم اهـ شيخنا.

قوله: (فلا تصيبهم البتة) عبارة القرطبي: والمعنى أنهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة كرامة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. يعني: أن الشمس إذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين أي يمين الكهف، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال أي شمال الكهف، فلا تصيبهم لا في ابتداء النهار ولا في آخر النهار، وكان كهفهم مستقبل بنات نعش في أرض الروم، فكانت الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية لا تبلغهم لتؤذيهم بحرّها وتغير ألوانهم وتبلي ثيابهم، وقد قيل: إنه كان لكهفهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاويته. وذهب الزجاج إلى أن فعل الشمس كان آية من الله تعالى من دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك، وعلى الجملة، فالآية في ذلك أن الله تعالى آواهم إلى كهف هذه صفته لا إلى كهف آخر يتأذون فيه بانسباط الشمس عليهم في معظم النهار، وعلى هذا فيمكن أن يكون صرف الشمس عنهم بإضلال غمام أو سبب آخر. والمقصود بيان حفظهم من طرق البلاء وتغير الأبدان والألوان إليهم والتأذي بحر أو برد اهـ.

وقد تقدم في القصة عن الخازن أن الملك الظالم الذي فروا منه بنى على باب الكهف سداً وقال: لكي يموتوا جوعاً وعطشاً، وأن هذا السد استمر عليهم مدة لبثهم نيماً، وأن الملك الصالح اجتمع بهم حين تيقظوا وبنى على باب الغار مسجداً بعد موتهم، وصريح هاتين الآيتين يرد هذا ويطله إذ لو كان باب الغار قد سد كما ذكر لما يستقيم قوله: ﴿وترى الشمس﴾ الخ. فليتأمل وليحرر. قوله: ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي: وسطه والجملة حال اهـ شيخنا.

وتجمع الفجوة على فجاء بكسر الفاء والمد وفجوات كركوة وركاء وركوات اهـ قرطبي.

وفي السمين: ﴿وهم في فجوة منه﴾ جملة حالية أي: نفعل بهم هذا مع اتساع مكانهم وهو أعجب لحالهم إذ كان ينبغي أن تصيبهم الشمس لاتساعه. والفجوة: المتسع من الفجاء وهو تباعد ما بين الفخذين. يقال: رجل أفجى وامرأة فجواء وجمع الفجوة فجاء كقصعة وقصاع اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ (المذكور) أي: من انامتهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: ذلك مبتدأ مشار به إلى جميع ما تقدم من حديثهم ومن آيات الله الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ خبر محذوف أي: الأمر ذلك ومن آيات الله حال اهـ.

قوله: ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ مثل أصحاب الكهف ومن يضل الله ولم يرشده كدقيانوس وأصحابه، فلن تجد له ولياً معبناً مرشداً يرشده اهـ كرخي.

أي متبهمين لأن أعينهم مفتوحة جمع يقظ بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام جمع راقد ﴿وَنَقَلَبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لثلاثاً تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلَبَهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ﴾ يديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء

قوله: ﴿فهو المهتد﴾ بدون ياء في الرسم لأنها من آيات الزوائد وهي لا تثبت فيه، وأما في النطق فعند الوقف تحذف عند الجميع وعند الوصل بعض السبعة يحذفها وبعضهم يثبتها اهـ شيخنا .

قوله: ﴿وتحسبهم﴾ خطاب للنبي ﷺ أو لكل أحد على ما مرّ. قوله: (بكسر القاف) أي كنكد وأنكاد وبضمها أيضاً كعضد وأعضاد كما في السمين. قوله: (جمع راقد) كقعود جمع قاعد. قوله: ﴿ونقلبهم﴾ الخ قيل: إنهم يقلبون في كل سنة مرة في يوم عاشوراء، وقيل: يقلبون مرتين. وقيل: كل تسع سنين اهـ شيخنا .

وقالت فرقة: إنما قلبوا في التسع الأواخر، وأما في الثلاثمائة فلا. وظاهر كلام المفسرين أن التقلب من فعل الله، ويجوز أن يكون من ملك بأمر الله فيضاف إلى الله تعالى اهـ قرطبي .

قوله: ﴿ذات اليمين﴾ الخ أي: يمينهم وشمالهم كما مرّ. قوله: (لثلاثاً تأكل الأرض لحومهم) قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وتعجب منه الإمام الرازي وقال: إن الله قادر على حفظهم من غير تقلب، ولقائل أن يقول: لا ريب في قدرة الله تعالى، ولكن جعل لكل شيء سبباً في أغلب الأحوال اهـ كرخي .

قوله: ﴿وكلبهم﴾ وكان أصفر اللون، وقيل: أسمر اللون، وقيل: كلون السماء واسمه قطمير، وقيل: ريان، وكان لواحد منهم، فلما خرجوا تبعهم فأنطقه الله وتكلم وقال: أنا أحب أحب الله .

وروي عن كعب: أنهم مروا بكلب لهم فنجح فطردوه فعاد فطردوه مراراً، فقام الكلب على رجليه ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي فنطق فقال: لا تخافوا مني أنا أحب أحب الله اهـ قرطبي .

فمكنوه من الذهاب معهم، فلما ناموا نام كنومهم، ولما استيقظوا استيقظ معهم، ولما ماتوا مات معهم ومعلوم أنه من الحيوانات التي تدخل الجنة قال بعضهم: إن هذا النطق الذي حصل منه أفاده الظاهرية اهـ شيخنا .

وفي القرطبي: قال ابن عطية: وحدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمائة: إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم، كلب أحب أهل فضل وصحبهم فذكره الله تعالى في محكم تنزيله. قلت: إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصالحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين، بل في هذا تسليّة وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي ﷺ وآله خير آل. وقد قال رجل للنبي ﷺ: متى الساعة؟ فقال: «ما أعددت لها؟» فقال: يا رسول الله ما أعددت لها كثير صيام ولا صلاة ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، فقال: «فأنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ، فإنك مع من أحببت، قال أنس: فانا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن الفتوحات الإلهية/ج ٤/٢٦م

الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب، وهو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مِنْهُمْ رُجْعًا﴾ بسكون العين وضمها منعهم الله بالرعب من

لم أعمل بأعمالهم. قلت: وهذا الذي تمسك به أنس يشمل من المسلمين كل ذي نفس، فلذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين ورجونا رحمة أرحم الراحمين وإن كنا غير مستأهلين، كلب أحب قوماً فذكره الله معهم فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان، وكلمة الإسلام، وحب النبي ﷺ، ولقد كررنا بني آدم الآية.

قوله: ﴿ذُرَاعِيهِ﴾ نصب بباسط لأنها حال محكية، إذ اسم الفاعل بمعنى الماضي لا يعمل بإضافته إضافة حقيقية إلا عند الكسائي، فإنه يعمل به ويستشهد بالآية، وإذا كان حالاً أو مستقبلاً عمل وكانت إضافته غير حقيقية، والمعنى ما يديه بفناء الكهف اهـ كرخي.

قوله: (بفناء الكهف) أي: رحبته أي: المتسع الذي أمامه، وقيل: الوصيد الباب، وقيل العتبة، وقيل: الصعيد والتراب، ففيه أربعة أقوال اهـ سمين.

وفي المصباح: الوصيد الفناء وعتبة الباب، وأوصدت الباب أطبقته اهـ.

قوله: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ﴾ بكسر الواو على أصل التقاء الساكنين أي: لو نظرت إليهم وهم على تلك الحالة اهـ خطيب.

والخطاب للنبي ﷺ أو لكل أحد أي: لو أشرفت عليهم ونظرت إليهم لفررت منهم هارباً رعباً منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فِرَارًا﴾ يجوز أن يكون منصوباً على المصدر من معنى الفعل قبله، لأن التولي والفرار من واد واحد، ويجوز أن يكون مصدرأ في موضع الحال أي فارأ ويكون حالاً مؤكدة، ويجوز أن يكون مفعولاً له. وقوله: ﴿رُجْعًا﴾ مفعول ثان، وقيل: تمييز اهـ سمين.

قوله: ﴿رُجْعًا﴾ أي فزعاً. واختلف في سبب ذلك الرعب فقال الكلبي: لأن أعينهم كانت مفتوحة كالمتيقظ، وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد.

وروي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم، فمررنا بالكهف الذي فيه صاحب الكهف فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع من ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً، فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم اهـ خطيب.

فطن معاوية إن هذا المعنى وهو امتناع الإطلاع عليهم مختص بذلك الزمان الذي قبل بعثهم وأما ابن عباس فعلم أن ذلك عام في جميع الأوقات اهـ كرخي.

قوله: (بسكون العين وضمها) ظاهره أن هذين الوجهين يرجعان للتخفيف والتشديد حتى تكون القراءات أربعة وليس كذلك، بل هي ثلاثة فقط. وحاصله: إن اللام إن خفت جاز في العين السكون والضم، وأن اللام إن شددت تعين في العين السكون لا غير، والقراءات الثلاث سبعة اهـ شيخنا.

دخول أحد عليهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف

قوله: (منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم) فكان الناس محجوجين عنهم بالرعب لا يجسر أحد منهم على الدنو منهم، وقيل: الفرار والرعب منهم لطول شعورهم وأظفارهم، ذكره المهدي والنحاس، والزجاج، والقشيري. قال القشيري: وهذا بعيد لأنهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض: ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ فدل هذا على أن شعورهم وأظفارهم كانت بحالها إلا أن يقال: إنما قالوا ذلك قبل أن ينظروا إلى أظفارهم. قال ابن عطية: والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ماتوا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يبل لهم ثوب ولم تتغير لهم صفة، ولم ينكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليهم أهم اه قرطبي.

قوله: ﴿كذلك بعثناهم﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف أي: كما أنماهم تلك النومة بعثناهم، والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم من قوله: ﴿فضرينا﴾ أي: مثل جعلنا إنامتهم هذه المدة المتطاوله آية جعلنا بعثهم آية، قاله الزجاج والزمخشري اه سمين.

قوله: (ما ذكرنا) أي: وهو نومهم المدة الطويلة. قوله: ﴿ليسألوا بينهم﴾ أي: ليسأل بعضهم بعضاً فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا بكمال قدرة الله تعالى، ويستبصروا في أمر البعث، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم اه يضاوي.

واللام متعلقة بالبعث فقليل: هي للصيرورة لأن البعث لم يكن للتساؤل. قال ابن عطية: والصحيح أنها على بابها من السببية اه سمين.

قوله: (ومدة لبثهم) عطف خاص. قوله: ﴿قال قائل منهم﴾ أي: واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسليماً، وتقدم أنهم كانوا سبعة. وقوله: ﴿قالوا لبثنا﴾ أي قال الستة الباقون مجيبين له: لبثنا الخ. وقوله: ﴿قالوا ربكم﴾ أي قال بعض الستة المجيبين أولاً لبعضهم بدليل الخطاب في ربكم، وإلا لو كان القائل جميعهم لقالوا ربنا اه شيخنا.

قوله: ﴿كم لبثتم﴾ كم منصوبة على الظرفية والمميز محذوف تقديره كم يوماً لدلالة الجواب عليه، وأو في قوله: ﴿أو بعض يوم﴾ للشك منهم، وقيل: للتفصيل أي قال بعضهم كذا وبعضهم كذا اه سمين.

قوله: ﴿قالوا لبثنا يوماً﴾ أي لظنهم أن الشمس قد غربت ثم رأوها لم تغرب فقالوا: أو بعض يوم، ثم تأملوا في شعورهم وأظفارهم فعرفوا أن المدة طالت فقالوا: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ اه خازن.

وتقدم منع هذا وأنهم بعثوا على الحالة التي ناموا عليها. قوله: (لأنهم دخلوا الخ) هذه يقتضي أنهم ناموا في يوم دخولهم وتقدم أنهم مكثوا مدة قبل النوم يتعبدون ويأكلون ويشربون اه شيخنا.

فكان الأولى أن يقول لأنهم ناموا طلوع الشمس الخ. قوله: (ثم) ﴿قالوا﴾ أي المجيبون أولاً بأنها يوم أو بعض يوم اه شيخنا.

عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ثم ﴿قَالُوا﴾ متوقفين في ذلك ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ قَابَعْتُمْ أَحَدَكُمْ يَوْمَ رَقُونِ﴾ بسكون الراء وكسرهما بفضتكم ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يقال إنها المسماة الآن طرسوس بفتح الراء ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي أي أطعمة

قوله: (متوقفين في ذلك) أي في قدر مدة لبثهم. قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ أي: أنتم لا تعلمون مدة لبثكم، وإنما يعلمها الله تعالى، وهذا رد منهم على الأولين بأجمل ما يكون مراعاة حسن الأدب، وبه يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين في قوله سابقاً: ﴿لَنَعْلَمَ﴾ أي الحزبين الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ وهو تملیخا أي: أرسلوه وهو مفرع على محذوف تقديره فخذوا في أهم في ذلك وفيما تنتفعون به، فأرسلوا واحداً منكم إلى المدينة الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يَوْمَ رَقُونِ﴾ حال من أحدكم أي مصاحباً لها وملتبساً بها. والورق: الفضة المضروبة، وقيل: الفضة مطلقاً ويقال لها: الرقة بحذف الفاء وفي الحديث: «وفي الرقة ربع العشر» وجمعت شدوذاً جمع المذكر السالم يقال: عندي رقون. قوله: (بسكون الراء وكسرهما) سبعيتان. قوله: (الآن) أي: في الإسلام، وأما في الجاهلية فكانت تسمى أفسوس بضم الهمزة وسكون الفاء وهي من مدائن الروم اهـ شيخنا.

لكن وقع في البيضاوي تارة أنها طرسوس، وتارة أنها أفسوس. وكتب عليه الشهاب ما نصه: أفسوس بضم الهمزة وسكون الفاء كما قال النيسابوري وهذا يخالف قوله أولاً: أنها طرسوس، وفي الكشف أن المدينة التي خرجوا منها غير المدينة التي بعثوا إليها لشراء الطعام، إذ أفسوس من أعمال طرسوس وهي ناحية أو هما قولان، وما قيل من أنهما اسمان لمدينة واحدة أحدهما قديم والآخر محدث، فخلافاً للظاهر ومحتاج إلى النقل عن الثقات اهـ.

قوله: هذه الإشارة للدراهم التي كانت معهم وهي التي أخذوها من بيوت آبائهم وخرجوا بها فأنفقوا بعضها قبل نومهم وبقي بعضها ووضعوه عند رؤوسهم عندما ناموا، فلما تيقظوا وجدوه كان عليها اسم ملكهم دقيانوس، وكان الواحد منها بقدر خف ولد الناقة في صغره وإتخاذ الزاد لا ينافي التوكل على الله بل يطلب التزود للإنسان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَيُّهَا أَزْكَى﴾ يجوز في أي أن تكون استفهامية وأن تكون موصولة، وقد عرفت ذلك مما تقدم لك في قولهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ اهـ سمين.

قوله: (أي أي أطعمة المدينة أحل) أي أحل ذبيحة لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت، وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم، وهذا قول ابن عباس. أو أكثر بركة كالبر والأرز أو أرخص، فأى: استفهامية مبتدأ خبره أزكى، وطعاماً تمييز محول عن المضاف إليه كما ذكره بقوله: (أي أي أطعمة المدينة) والجملة في محل نصب قائمة مقام المفعول وهو من نظر العين، فليأتكم برزق منه وليتلطف برفق وحيلة في ذهابه وإيابه لئلا يعرف، أو في العاملة حتى لا يغبن، ولا يشعرون أي لا يفعلن ما يؤدي إلى أن يشعر به أحد اهـ كرخي.

المدينة أحل ﴿فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ مِنْهُ وَلِيَسْتَلْطَفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿لَئِنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا﴾ أي إن عدتم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْرَضْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾

قوله: ﴿منه﴾ أي: من الورق أي بدله فمن بمعنى بدل أن من الطعام وقوله: (أحل) أي لأن المدينة كان فيها مجوس ومسلمون مخفون حالهم، فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين كما في الخازن

قوله: ﴿إنهم﴾ أي: أهل المدينة المعمولين من السياق إن يظهروا أي يغلبوا. قوله: ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي: يصيروكم إليها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة، وقيل: كانوا أولاً على دينهم فآمنوا اهـ يضايوي.

قوله: ﴿ولن تفلحوا إذا﴾ إذا: جواب وجزاء واستشكل الحكم عليهم بعدم الفلاح مع الإكراه المستفاد من إن يظهروا، إذ المكروه لا يؤاخذ بما أكره عليه لخبر رفع عن أمي الخ، واجيب: بأن المؤاخذة به كانت في غير هذه الشريعة بدليل: وما أكرهتنا عليه من السحر وخبر رفع عن أمي الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكذلك أعرنا عليهم﴾ أي اطلعنا عليهم وأظهرناهم وأعثر يعدى بالهمزة، وأصل العثار في القدم ليعلموا أو وعد الله حق يعني: الأمة المسلمة الذين بعث أهل الكهف على عهدهم، وذلك أن دقيانوس مات ومضت قرون، ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح، واختلف أهل مملكته. وفي الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشك في ذلك بعض الناس واستبعده وقالوا: إنما تحشر الأرواح دون الأجساد فإن الجسد تأكله الأرض، وقال بعضهم: تبعث الأرواح والأجساد جميعاً، وكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمر البعث لهم، حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع إلى الله تعالى في طلب حجة وبرهان، فأعثره الله على أهل الكهف فيقال: إنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكر ورقه لبعث العهد، فحمل إلى الملك وكان صالحاً قد آمن وآمن من معه، فلما نظر إليه قال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك، فقد كنت أدعو الله أن يرنيهم، وسأل الفتى فأخبره فسرَّ الملك بذلك وقال لقومه: لعل الله قد بعث لكم آية فلنسرع إلى الكهف معه، فركب مع أهل المدينة إليهم، فلما دنوا إلى الكهف قال تملixa: أنا أدخل عليهم لثلا يرفعوا، فدخل عليهم وأعلمهم بالأمر وأن الأمة مسلمة، فروي أنهم سروه بذلك وخرجوا إلى الملك وعظموه وعظمهم، ثم رجعوا إلى كهفهم. وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدثهم تملixa ميتة الحق ورجع من كان شك في بعث الأجساد إلى اليقين، فهذا معنى أعرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق أي: ليعلم الملك ورعيته أن القيامة حق والبعث حق، إذ يتنازعون بينهم أمرهم، وإنما استدلووا بذلك الواحد على غيرهم وهابوا الدخول عليهم فقال الملك: ألقوا عليهم بنياناً فقال ﴿الذين هم على دين الفتية﴾ اتخذوا عليهم مسجداً.

وروي أن فرقة كافرة قالت: نبيي بيعة أو مصنعا فمانعهم المسلمون وقالوا: ﴿لنتخذن عليهم

أي قومهم ﴿أَنْتَ وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إتمامهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْبَبٌ﴾ شك ﴿فِيهَا إِذْ﴾ معمول لأعثرنا ﴿يَنْزَعُونَ﴾ أي المؤمنون والكفار ﴿يَبْنِيهِمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار ﴿أَبْتُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي حولهم ﴿بُنَيْنًا﴾ يسترهم ﴿رَبُّهُمْ أَغْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أمر

مسجداً. وروي أن بعض القوم ذهب إلى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين. وروي عن عبيد ابن عمير أن الله أعمى على الناس حيثئذ أثرهم وحجبهم عنهم، فلذلك دعا الملك إلى بناء البنيان ليكون معلماً لهم اهـ قرطبي.

قوله: (كما بعثناهم) عبارة السمين: أي: وكما أنماهم وبعثناهم أعثرنا أي أطلعنا، وقد تقدم الكلام على مادة عثر في المائدة اهـ.

قوله: (قومهم والمؤمنون) يشير به إلى أن مفعول أعثرنا محذوف، وقوله: ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ متعلق بأعثرنا، والضمير قيل يعود على مفعول أعثرنا المحذوف تقديره أعثرنا الناس، وقيل: يعود على أهل الكهف اهـ سمين.

قوله: (قومهم) أي: ذرية قومهم، لأن قومهم قد انقرضوا ولم يقل والمؤمنون كالذي قبله، لأن المؤمنين لا ينكرون البعث بخلاف ذرية قومهم فكانوا كافرين اهـ شيخنا.

قوله: (بطريق أن القادر) وفي نسخة بدليل وأشار بذلك إلى أن علمهم بذلك بطريق القياس، وهذا قياس اقناعي اهـ شيخنا.

قوله: (بلا غذاء) أي: قوت. قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ أي: بعث الأجساد والأرواح جميعاً وحشرها وكانوا ينكرون ذلك. قوله: (معمول لأعثرنا) هو ما اختاره أبو السعود وهو غير ظاهر، والأولى أن يكون ظرفاً لمحذوف تقديره اذكر وقت التنازع، أو ظرفاً لقال الآتي في قوله: ﴿قال الذين غلبوا﴾ أو ليعلموا اهـ شيخنا.

قوله: (أمر الفتية في البناء) قال ابن عباس: فقال المسلمون نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا، وقيل: كان تنازعهم في البعث، فقال المسلمون: تبعث الأرواح والأجساد، وقال قوم: تبعث الأرواح فأراهم الله آية، وأن البعث للأرواح والأجساد، وقيل: تنازعوا في مدة لبثهم، وقيل: في عددهم اهـ.

قوله: ﴿بَنِيَانًا﴾ يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون مصدرأ اهـ سمين.

قوله: ﴿وَرَبُّهُمْ أَغْلَمُ بِهِمْ﴾ يجوز أن يكون من كلام الباري سبحانه وتعالى فلا يدخل تحت القول، وإن يكون من كلام المتنازعين وهو الظاهر فيدخل تحته اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ أي: كانت الكلمة لهم وكان كلامهم هو النافذ، لأن ملك الوقت كان من جملتهم وكان مؤمناً، وأما الملك الذي خرجوا هاربين منه فقد مات في مدة نومهم اهـ شيخنا.

الفتية وهم المؤمنون ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا ۝١٦﴾ يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي أي يقول بعضهم هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي ظناً في الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً، ونصبه على المفعول له أي لظنهم

قوله: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: يقولون لك يا محمد ويخبرونك مفترقين على ثلاثة أقوال: الأولان للنصارى، والثالث للمؤمنين اهـ شيخنا.

قيل: إنما أتى بالسين في هذا لأن في الكلام طياً وإدماجاً تقديره: فإذا أجبتهم عن سؤالهم عن قصة أهل الكهف فسلهم عن مددهم، فإنهم سيقولون: ولم يأت بها في باقي الأفعال لأنها معطوفة على ما فيه السين فأعطيت حكمه من الاستقبال اهـ سمين.

قوله: (أي المتنازعون الخ) عبارة أبي السعود: الضمير في الأفعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين، لكن لا وجه لإسناد كل منها إلى كلهم، بل إلى بعضهم انتهت.

قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف كما أشار له، وقوله: ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر صفة للخبر، وكذا يقال في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ﴾، ويقولون سبعة اهـ شيخنا.

وثلاثة وخمسة وسبعة مضافة لمعدود محذوف فقدره الشيخ ثلاثة أشخاص اهـ سمين.

قوله: (نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز اهـ شيخنا.

وقيل: القول الأول لليهود كما في البضاوي. قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ منصوب بفعل مقدر أي يرمون رمياً بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه أي: يأتون به والرجم بمعنى الرمي وهو استعارة للتكلم بما لم يطلع عليه لخفائه عنه تشبيهاً له بالرمي بالحجارة التي لا تصيب غرضاً، أو المعنى ظناً بالغيب من قولهم رجم بالظن بمعنى المظنون كما قاله الطيبي وغيره، والباء فيه للتعدية على تشبيه الظن بالحجر المرمي على طريق الكناية اهـ بضاوي وشهاب.

وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعاً أي راجمين، أو على المصدرية منهما، فإن الرجم والقول واحد أو من محذوف مستأنف أو واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معاً. أي: يرمون رجماً اهـ أبو السعود.

وفي السمين: والرجم في الأصل الرمي بالحجارة الصغار، ثم عبّر به عن الظن اهـ. وفي المصباح: الرجم بفتحتي الحجارة ورجمته رجماً من باب قتل ضربته بالرجم ورجمته بالقول رميته بالفحش، وقال تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي ظناً: من غير دليل ولا برهان اهـ.

قوله: (في الغيبة) أي غيبة الخبرين وهم نصارى نجران. عنهم أي عن المخبر عن عددهم اهـ شيخنا.

ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو، وقيل تأكيداً ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا

قوله: (لظنهم لك) أي: أنهم ثلاثة أو خمسة. قوله: (أي المؤمنون) أي: قالوا بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام اهـ بوضاوي.

قوله: (بزيادة الواو) أي: من غير ملاحظة معنى التوكيد على رأي الأخفش والكوفيين، لأن وجودها في الكلام كالعدم في عدم إفادة أصل معناها اهـ كرخي.

وقوله: (وقيل تأكيداً) أي: وقيل: زائدة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما عبر به غيره، وقوله: (ودلالة) عطف تفسير على تأكيد فالذي في كلامه قولان فقط اهـ شيخنا.

وفي البضاوي: ثم رد الأولين بأن أتبعهما قوله: ﴿رَجُماً بِالْغَيْبِ﴾ ليتعين الثالث، وبأن أدخل فيه الواو، وعلى الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيهاً لها بالجملة الواقعة حالاً عن المعرفة نحو: جاء زيد ومعه رجل آخر لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت اهـ.

قوله: (وقيل تأكيداً ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف) بمعنى أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] وإذا كان اتصافه بها ثابتاً مستقراً كان الموصوف ثابتاً لا محالة، وهذا ما جنح إليه الزمخشري واختاره ابن هشام. وقيل: إنها واو العطف كأنه قيل: هم سبعة وثامنهم كلبهم، وقيل: واو الحال فيؤول المعنى إلى أنهم يقولون ذلك مع هذا الحال، وهو أن ثامنهم كلبهم واقعاً لا محالة، ويلزم منه أن يكونوا سبعة. قال ابن هشام: وقول جماعة من الأدباء كالحري، ومن النحويين كابن خالويه، ومن المفسرين كالثعلبي إنها واو الثمانية لا يرضاه نحوي، لأنه لا يتعلق به حكم إعرابي ولا سر معنوي. قال العلامة الكافيجي: هي في التحقيق واو العطف، لكن لما اختص استعمالها بمحل مخصوص تضمنت أمراً غريباً واعتباراً لطيفاً ناسب أن تسمى باسم غير جنسها، فسميت بواو الثمانية لمناسبة بينها وبين سبعة، وذلك لأن السبعة عندهم عقد تام كعقود العشرات لا شتمالها على أكثر مراتب أصول الأعداد، فإن الثمانية عقد مستأنف فكان بينهما اتصال من وجه وانفصال من وجه، وهذا هو مقتضى للعطف، وهذا المعنى ليس موجوداً بين السبعة والسته اهـ ملخصاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ أي أقوى علماً وأزيد في الكيفية، فإن مراتب اليقين متفاوتة في القوة، ولا يجوز أن يكون التفضيل بالإضافة إلى الطائفتين الأولين، إذ لا شركة لهما في العلم اهـ كرخي.

قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ المثبت في حق الله تعالى هو الأعلمية بالمعنى الذي عرفته، وفي حق القليل العالمية فلا تعارض، وهذا هو الحق لأن العلم بتفاصيل كائنات العالم وحوادثه في الماضي والمستقبل لا يحصل إلا عند الله تعالى، أو عند من أخبره الله تعالى عنها اهـ كرخي.

من القليل وذكرهم سبعة ﴿فَلَا تُحَارِبْ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا رَجَاءَ ظَهْرٍ﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَحَدًا﴾ وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: أخبركم به غداً، ولم يقل إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءَ﴾ أي لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أي فيما يستقبل من الزمان ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي إلا متلبساً بمشيئة الله

قوله: (وذكرهم سبعة) وهم مكسلمينا، وتمليخا، ومرطونس، ونيونوس، وسارونوس، وذونوانس، وفليستطيونس وهو الراعي، واسم كلبهم قطمير، وقيل: حمران، وقيل: ريان كما تقدم. وقال بعضهم: علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فإنها لو كتبت على باب دار لم يحرق، وعلى متاع لم يسرق، وعلى مركب لم يغرق. قال ابن عباس رضي الله عنهما: خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولطفء الحريق: تكتب على خرقة وترمى في وسط النار تطفأ بإذن الله تعالى، ولبكاء الطفل، والحمى المثلثة، وللصداع تشد على العضد الأيمن، ولأم الصبيان، وللركوب في البر والبحر، ولحفظ المال، ولنماء العقل، ونجاة الآثمين اهـ.

قوله: ﴿إِلَّا مَرَأَ ظَاهِرًا﴾ أي: غير متعمق فيه، وهو أن نقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم ومن غير رد عليهم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فإن فيما أوحى إليك لمندوحة عن غيره مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد فضيحة المسؤول وتزييف ما عنده، فإنه يخل بمكارم الأخلاق اهـ بيضاوي.

قوله: (من أهل الكتاب اليهود) الأولى عدم التقييد باليهود كما لم يقيد باليهود غيره، بل الأولى التقييد بالنصارى كما يؤخذ من القرطبي ونصه: روي أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال، وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم اهـ.

قوله: (وسأله أهل مكة) أي: بإرشاد اليهود لهم حيث قالوا لهم: سلوه عن الروح، وأصحاب الكهف، وعن ذي القرنين. فسألوه فقال: ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً حتى شق عليه وكذبت قريش الخ اهـ بيضاوي.

قوله: (فنزل) أي: بعد أن انقطع عنه الوحي خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعين يوماً تأديباً له ﷺ، فشق ذلك عليه جداً اهـ شيخنا.

قوله: (أي لأجل شيء) أي: شيء تقدم عليه وتهتم به، وقيل: اللام بمعنى في. أي: في شأن شيء اهـ كرخي.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي: لا تقل لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تلبسك بالتعليق بالمشيئة اهـ شيخنا.

وفي السمين: قيل إنه استثناء منقطع وموضع أن يشاء الله نصب على وجهين، أحدهما: على الاستثناء والتقدير: لا تقولن ذلك في وقت إلا وقت أن يشاء الله أي يأذن فحذف الوقت وهو مراد.

تعالى بأن تقول إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي مشيئته معلقاً بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره ما دام في المجلس ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رَشَدًا﴾ هداية وقد فعل الله

والثاني: هو حال، والتقدير لا تقولن أفعل غداً إلا قائلًا إن شاء الله، وحذف القول كثير وجعل إلا أن يشاء في معنى إن شاء، وهو مما حمل على المعنى. وقيل: التقدير إلا بأن يشاء الله أي ملتبساً بقول إن شاء الله اهـ.

والمعنى إلا أن تذكر مشيئة الله، فليس إلا أن يشاء الله من القول الذي نهى عنه اهـ.

قوله: (ملتبساً) أخذه من الباء المقدرة الداخلة على أن أي إلا بأن يشاء الله، فهذه الباء المقدرة للملابسة انتهى شيخنا.

قوله: (أي مشيئته) قال البيضاوي: ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه، أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك، أو اذكره إذا اعتراك النسيان لتذكر المنسي اهـ بيضاوي.

قوله: (ويكون ذكرها بعد النسيان النخ) روي أنه عليه الصلاة والسلام لما نزلت الآية قال: «إن شاء الله» اهـ بيضاوي.

قوله: (ما دام في المجلس) أي: أن ذكرها يفيد التعليق ما دام الشخص في المجلس الذي ذكر فيه ما يعلق فما دام في المجلس، وذكر المشيئة يفيد ذكرها التعليق، ولو انفصل عن الكلام السابق بطويل من الزمان اهـ شيخنا.

وعبارة جمع الجوامع وشرحه للمحلي: ويجب اتصاله أي الاستثناء بمعنى الدال عليه بالمستثنى منه عادة فلا يضر انفصاله بتنفس أو سعال. وعن ابن عباس يجوز انفصاله إلى شهر، وقيل: سنة، وقيل: أبداً روايات عنه. وعن سعيد بن جبير يجوز انفصاله إلى أربعة أشهر، وعن عطاء والحسن يجوز انفصاله في المجلس، وعن مجاهد يجوز انفصاله إلى سنتين. وقيل: يجوز انفصاله ما لم يأخذ في كلام آخر، وقيل: يجوز انفصاله بشرط أن ينوي في الكلام، لأنه مراد أولاً. وقيل: يجوز انفصاله في كلام الله تعالى فقط لأنه تعالى لا يغيب عنه الشيء فهو مراد له أولاً بخلاف غيره، والأصل فيما روي عن ابن عباس ونحوه كما روي عنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي إذا نسيت قول إن شاء الله، ومثله الاستثناء وتذكرت فاذكره ولم يعين وقتاً، فاختلفت الآراء فيه على ما تقدم من غير تقييد بنسيان توسعاً اهـ.

قوله: (في الدلالة) متعلق بأقرب، وفي البيضاوي: ﴿وقل عسى أن يهديني﴾ يدلني ﴿ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ لأقرب رشداً وأظهر دلالة على أنني نبي من نبأ أصحاب الكهف، وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعد عنه أيامهم والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلية إلى قيام الساعة، أو لأقرب رشداً وأدنى خبراً من المنسي اهـ.

تعالى ذلك ﴿وَلِيُثَبِّتُ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ بالتثنية ﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لثلاثمائة وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في

ويؤخذ من صنيعه وصنيع الجلال أن هذا أي قوله: ﴿وَقُلْ عَسَى﴾ الخ مرتبط في المعنى بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] الخ. والمعنى: فإذا بلغتهم خبر أهل الكهف الذي قصصناه عليك فلا تقتصر عليه، بل اطلب من الله أن يؤتيك معجزات أوضح وأظهر منه في الدلالة على نبوتك، كانشقاق القمر، وتكليم الضب وغير ذلك. وفي القرطبي: ما يقتضي أن قوله ﴿قُلْ عَسَى﴾ الخ تفسير لقوله: ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَاكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ونصه: واختلف في الذكر المأمور به ف قيل: هو قوله ﴿قُلْ عَسَى﴾ أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً. قال محمد الكرخي المفسر: إنها بألفاظها مما أمر أن يقولها كل من لم يستثن وأنها كفارة لنسيان الاستثناء اهـ.

قوله: ﴿رَشَدًا﴾ أشار الشارح إلى أنه مفعول مطلق حيث فسره بهداية وهو ملاق لعامله في المعنى، وأشار أبو السعود إلى أنه تمييز لأقرب حيث قال: لأقرب أي لشيء أقرب من هذا رشداً أي إرشاداً للناس ودلالة على ذلك اهـ.

قوله: (قد فعل الله تعالى ذلك) حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَلِبَثُوا﴾ أي: أقاموا أياماً وهذا إخبار من الله عن مدة لبثهم رداً على أهل الكتاب المختلفين فيها، فقال بعضهم: ثلاثمائة وبعضهم ثلاثمائة وتسع، والسنون عندهم شمسية، فهذان القولان غير ما أخبر الله به من أنها ثلاثمائة وتسع يعني قمرية، ولكن القول الأول يرجع لهذا كما بينه الشارح بقوله: (وهذه السنون الخ) اهـ شيخنا.

قوله: (عطف بيان) ولا يصح أن يكون تمييزاً لأن تمييز المائة يجز، وجره بالإضافة والتثنية مانع منها، نعم قرئ في السبعة بالإضافة، وعليه فسنين تمييز غير أنه قليل لأن تمييز المائة الكثير فيه الأفراد كما قال:

ومائة والألف للفرد أضف ومائة بالجمع نزرأ قدر دف اهـ شيخنا.

وقوله: (وهذه) مبتدأ شمسية خبر.

قوله: ﴿وَإِذْ دَاوُدُ﴾ أي أهل الكهف وتسعاً مفعول به، وازداد افتعل أبدلت التاء دالاً بعد الزاي وكان متعدياً لاثنتين نحو: زدناهم هدى، فلما بني على الافتعال نقص واحد، وقرأ الحسن، وأبو عمرو في رواية عنه بفتح التاء كعشر اهـ سمين.

وتسعاً على حذف مضاف أي لبث تسع قاله أبو علي اهـ قرطبي.

قوله: (أي تسع سنين) فحذف المميز لدلالة ما تقدم عليه إذ لا يقال عندي ثلاثمائة درهم وتسعة إلا وأنت تعني تسعة دراهم، ولو أردت ثياباً ونحوها لم يجز لأنه إلغاز اهـ سمين.

قوله ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي تسع سنين فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره ﴿لَمْ يَغَيِّبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي علمه ﴿أَبْصَرَ بِهِ﴾

قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي بالزمن الذي لبثوه في نومهم قبل بعثهم وموتهم، فإن قلت: بعدما بين الله تعالى مدة لبثهم بقوله (ثلاثمائة النخ) ما وجه قوله ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ قلت: المراد أن الله أعلم بحقيقة ذلك وكيفيته وهو بعد الاخبار عنه إشارة إلى أنه بإخبار الله لا من عنده ﷺ، وأما احتمال كون السنين شمسية أو قمرية، وكون التسع سنين أو شهوراً أو أياماً فليس بشيء اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وقال بعضهم: إنه لما قال وازدادوا تسعاً لم يدر الناس أهى ساعات أم أيام أم جمع أم شهور أم أعوام، فاختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك، فأمر الله تعالى يرد العلم إليه في التسع فهي على هذا مبهم، لكن ظاهر كلام العرب المفهوم منه أنها أعوام. قال القشيري: لا يفهم من التسع تسع ليال ولا تسع ساعات لوجود لفظ السنين، كما تقول: عندي مائة درهم وخمسة والمفهوم منه خمسة دراهم، وقال الضحاك: لما أنزلت ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ قالوا سنين أم شهوراً أم أياماً، فأنزل الله عز وجل سنين. وحكى النقاش ما معناه: أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية بحسب الأمم، فلما كان الإخبار هنا للنبي العربي ﷺ ذكر التسع إذ المفهوم عنده من السنين القمرية، فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين، ونحوه ذكره القنوي أي باختلاف سني الشمس والقمر لأنه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين وثلاث سنة، فيكون في ثلاثمائة تسع سنين اهـ.

ثم قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ قيل بعد موتهم إلى نزول القرآن فيهم على قول مجاهد، أو إلى أن ماتوا على قول الضحاك، أو إلى وقت تغيرهم بالبلاء على قول بعضهم، وقيل: بما لبثوا في الكهف وهي المدة التي ذكرها الله تعالى رداً على اليهود إذ ذكروا زيادة ونقصاً أي لا يعلم علم ذلك إلا الله تعالى اهـ.

ثم قال: اختلف في أصحاب الكهف هل ماتوا وفنوا أو هم نيام وأجسادهم محفوظة، فروي عن ابن عباس أنه مرَّ بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله، فمشى الناس معه إليه فوجدوا عظماً فقالوا: هي عظام أهل الكهف، فقال لهم ابن عباس: أولئك قوم فنوا وعمدوا منذ مدة طويلة فسمعه راهب فقال: ما كنت أحسب أن أحداً من العرب يعرف هذا، فقيل له: هذا ابن عم نبينا ﷺ. وروت فرقة، أن النبي ﷺ قال: «ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف، فإنهم لم يحجوا بعد» ذكره ابن عيينة. قلت: ومكتوب في التوراة والإنجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، وأنه يمر بالروحاء حاجاً أو معتمراً أو يجمع الله له ذلك، فيجعل الله حواريه أصحابه الكهف والرقيم فيمرون حجاجاً فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا. وقد ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب التذكرة، فعلى هذا هم نيام لم يموتوا ولا يموتون إلى يوم القيامة، بل يموتون قبل الساعة اهـ.

قوله: (ممن اختلفوا) أي: من أهل الكتاب وهو بيان للمفضل عليه. قوله: ﴿أَبْصَرَ بِهِ﴾ صيغة تعجب بمعنى ما أبصره على سبيل المجاز والهاء لله تعالى، وفي مثل هذا ثلاثة مذاهب. الأصح أنه بلفظ الأمر ومعناه الخبر، والباء مزيدة في الفاعل إصلاحاً للفضل، والثاني: أن الفاعل ضمير المصدر، والثالث: أنه ضمير المخاطب أي أوقع الإسماع والإبصار أيها المخاطب أي حصلهما،

أي بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمععه وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُمْ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحًا﴾ ملجأ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجَهَنَّمَ﴾ تعالى لا شيئاً من أعراض الدنيا وهم الفقراء ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿تُرِيدُونَ أَحْيَاؤَ الدُّنْيَا وَلَا تُنْطَعُ مِنَ

وقيل: هو أمر حقيقة لا تعجب وإن الهاء تعود على الهدى المفهوم من الكلام، والمعنى عليه أبصر به أي بوحيه وإرشاده هداك وحججك والحق من الأمور وأسمع به العالم، وقرأ عيسى أسمع وأبصر فعلاً ماضياً والفاعل الله تعالى، وكذلك الهاء في به أي أبصر عباده وأسمعهم اه سمين مع بعض زيادة من القرطبي.

قوله: (على جهة المجاز) لأن التعجب استعظام أمر خفي سببه والله لا يخفى عليه شيء، وقوله: (والمراد أنه إلى آخره) أي المراد الإخبار بما ذكروا إن كان أصل التعجب للإنشاء، فالكلام من قبيل استعمال الإنشاء في الخبر اه شيخنا.

وفي البيضاوي: ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي اه.

قوله: ﴿مَنْ وَلِيٍّ﴾ مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف اه سمين.
قوله: ﴿فِي حُكْمِهِ﴾ أي: قضائه. أي: لا تجعل فيه مدخلاً لغيره اه بيضاوي.
قوله: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي لا تلتفت لقولهم ات بقراً غير هذا أو بدله. أي: اقرأه واتبع ما فيه واعمل به اه شيخنا.

قوله: ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي لا مغير للقرآن، ولا يقدر أحد أن يتوصل إليه بتغيير أو تبديل اه شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: لا قادر على تبديله وتغييره غيره اه.
قوله: (ملجأ) أي ملتجأ تعدل إليه إن هممت بالتبديل للقرآن اه بيضاوي.
وفي المصباح: قال أبو عبيدة: ألحد إلحاداً جادل وماري، ولحد جار وظلم، وألحد في الحرم بالألف استحل حرمة وانتهكها، والملتحد بالفتح اسم الموضع وهو الملجأ اه.
قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ في المختار: الصبر حبس النفس عن الجزع وبابه ضرب، وصبره حبسه. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ اه.

قوله: (احبسها) أي: فهذه الآية أبلغ من التي في الأنعام، لأنه في تلك نهى الرسول ﷺ عن طردهم، وفي هذه الآية أمره بمجالستهم والمصابرة معهم اه كرخي.

قوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يعبدونه. قوله: (تنصرف) ﴿عَيْنَاكَ الْخُ﴾ أشار به إلى

أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُمْ عَنْ دُرُوبِنَا أَي الْقُرْآنَ وَهُوَ عَيْنَةُ بَن حَصْن وَأَصْحَابُهُ ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فِي الشَّرْكِ ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿يَا﴾ إِسْرَافًا ﴿وَقُلْ﴾ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هَذَا الْقُرْآنَ ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

جواب ما يقال حق الكلام لا تعد عينيك بالنصب، لأن تعد متعد بنفسك والتلاوة بالرفع فما وجهه؟ وإيضاحه: أن التلاوة تؤول إلى معنى النصب إذا كان لا تعد عينك عنهم بمنزلة لا تنصرف عينك عنهم، ومعنى لا تنصرف عينك عنهم لا تنصرف عينك عنهم، فالفعل مسند إلى العينين، وهو في الحقيقة متوجه لصاحبهما، وهو النبي ﷺ. وقوله: ﴿تريد﴾ مضارع في موضع الحال، وهو نهى له ﷺ وإن لم يرده، وليس هو بأكبر من قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر: ٦٥] الخ وإن كان أعاده من الشرك، وإنما هو على فرض المحال اهـ كرخي.

قوله: ﴿عنهم﴾ أي إلى غيرهم اهـ خازن.

وقوله: ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾. أي: تطلب مجالسة الأغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا، والجملة حال من الكاف والشرط موجود، وهو أن المضاف جزء من المضاف إليه اهـ.

قوله: (هو عينة بن حصن) أي: الفزاري أتى النبي قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها ويده خوص يشقه وينسجه، فقال عينة للنبي: أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها، إن أسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء، فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً اهـ خازن.

وتقدم أن هذه الآية مدنية، فالمراد من الآية نهى النبي أن يزدري بفقراء المسلمين وتعدو عينه عن رثائه زيهم طموحاً إلى طراوة زي الأغنياء اهـ بيضاوي.

وقيل: نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمئة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» اهـ خازن.

قوله أيضاً: (هو عينة بن حصن) وقد أسلم رضي الله عنه وحسن إسلامه وكان في حنين من المؤلفلة قلوبهم، فأعطاه النبي ﷺ منها مائة بغير، وكذلك أعطى الأقرع بن حابس، وأعطى العباس بن مرداس أربعين بغيراً فحصل منه في عتاب النبي ﷺ ما هو مشهور اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فرطاً﴾ يحتمل أن يكون وصفاً على فعل، كقولهم: فرس فرط أي متقدم على الخيل، وكذلك هذا أي متقدماً على الحق، وأن يكون مصدرًا بمعنى التفريط أو الإفراط. قال ابن عطية: الفرط يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع الذي يجب أن يلزم، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف اهـ سمين.

والظاهر أنه مصدر أفرط كما في المختار، وعبارته: وأفرط في الأمر جاوز فيه الحد اهـ.

وعليه فيكون مصدرًا سماعياً لا قياسياً. وفي المختار أيضاً: وأمر فرط بضميتين أي مجاوز فيه الحد ومنه قوله تعالى: ﴿وكان أمره فرطاً﴾ اهـ.

تهديد لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ما أحاط بها ﴿وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ عكر الزيت ﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾ من حره إذا قرب إليها ﴿يَنْسَكُ الشَّرَابُ﴾ هو

ثم قال: وفرط إليه منه قول سبق وبابه نصر اهـ.

ومن هذا المعنى قوله ﷺ: «التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك» اهـ.

قوله: ﴿وَقُلْ﴾ (له) أي لمن أغفلنا قلبه، وهو عيينة بن حصن الفزاري الذي أمرك باجتنب الفقراء، وقوله: ﴿الْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره الشارح بقوله: (هذا القرآن) أي المشتمل على أمري بصحبتهم بقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسُكَ﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ أي فمن شاء أن يؤمن بالقرآن فليؤمن به، ومن شاء أن يكفر به فليكفر به. وقوله: (تهديد لهم) أي تخويف وردع لا تخيير وإباحة، وقوله: ﴿اعْتَدْنَا﴾ أي أعدنا وهيأنا، وقوله: (ما أحاط به) وهو حائط من نار ضربت على النار كالسور، وقوله: ﴿وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ أي يطلبوا الإنقاذ من شدة العطش، والياء منقلبة عن واو إذ الأصل يستغوثوا فنقلت كسرة الواو للسكان قبلها، ثم قلبت ياء لمناسبة الكسرة، وقوله: ﴿يُغَاثُوا﴾ فيه مشاكلة إذ لا إغاثة لهم بالماء المذكور، بل إتيانهم به والجأؤهم لشربه غاية الاضرار، والإغاثة هي الإنقاذ من الشدة فكأنه قال: يضروا ويعذبوا بماء الخ وعبر عن هذا الإضرار بالإغاثة مشاكلة لقوله: ﴿وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ راجع لقوله: ﴿وَمَنْ يَشَاءُ فليكفر﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الخ راجع لقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فليؤمن﴾ فهو لف ونشر مشوش اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ في محل نصب صفة لنار أو السرادق قيل: ما أحاط بشيء كالمضرب والخباء، وقيل: للحائط المشتمل على شيء سرادق قاله الهروي، وقيل: هو الحجرة تكون حول القسطنطين، وقيل: هو ما يمد على صحن الدار، وقيل: كل بيت من كرسف فهو سرادق، وقال الراغب: السرادق فارسي معرب وليس في كلامهم اسم مفرد ثالث حروفه ألف بعدها حرفان إلا هذا اهـ سمين.

وفي المختار: السرادق مفرد والجمع سرادقات الذي يمد فوق صحن الدار، وكل بيت من كرسف أي قطن فهو سرادق. يقال: بيت مسردق اهـ.

قوله: (عكر الزيت) العكر: بفتحين الدردى أي ما بقي في أسفل الإناء، ووجه المشابهة الثخن والرداءة في كل، والعكر من باب طرب يقال: عكر يعكر عكراً فيستعمل العكر مصدراً ويستعمل في الدردى اهـ شيخنا.

وقيل: العكر ما أذيب من الجواهر كالنحاس والرصاص اهـ سمين.

وفي المختار: والعكر بفتحين دردي الزيت وغيره، وقد عكرت المسرجة من باب طرب اجتمع فيه الدردى، وعكر الشراب والماء والدهن آخره وخاثره، وقد عكر فهو عكر وأعكره غيره تعكيراً جعل فيه العكر اهـ.

﴿وَسَاءَتْ﴾ أي النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ تمييز منقول عن الفاعل أي قبح مرتفعها وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة ﴿وحسنت مرتفعاً﴾ وإلا فأى ارتفاق في النار ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضممر والمعنى أجهرهم أي نثيبهم بما تضمنه ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ قيل من زائدة وقيل للتبعيض وهي جمع أسورة كأحمره جمع سوار ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ

قوله: ﴿يشوي الوجوه﴾ الشوي الإنضاج بالنار من غير إحراق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بئس الشراب﴾ المخصوص بالذم محذوف تقديره هو أي ذلك الماء المستغاث به اهـ سمين .

قوله: (أي قبح مرتفعها) أي: فحول الإسناد إلى النار ونصب مرتفعاً على التمييز مبالغة وتأكيذاً، لأنه ذكر الشيء مبهماً ثم مفسراً أوقع في النفس من أن يفسر أولاً، وأعربه بعضهم مصدراً بمعنى الارتفاق اهـ كرخي .

قوله: (وهو مقابل) أي ذكره على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتي في الجنة، فعبر عن الإضرار والعذاب بالمرتفق الذي هو المنتفع به أو نفس الانتفاع على سبيل المشاكلة، لقوله: ﴿وحسنت مرتفعاً﴾ وقوله: (ولاً) أي وإلاً نقل إنه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة، فلا يصح لأنه لا ارتفاق في النار بل فيها العذاب والضرب، فإن الشرطية مدغمة في لا النافية وكل من الشرط والجزاء محذوف والاستفهام الانكاري تعليل للجزاء المحذوف كما علمت اهـ شيخنا .

وفي البيضاوي: ﴿وساءت مرتفعاً﴾ متكاً وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد اهـ .

قوله: (وفيها إقامة الظاهر مقام المضممر) أي: والرباط ذلك الظاهر لأنه بمعنى الموصول الذي هو اسم إن . وفي السمين: قوله: ﴿إنا لا نضيع﴾ يجوز أن يكون خبر إن الذين، والرباط تكرر الظاهر بمعناه وهو قول الأخفش، ومثله في الصلة جائز . ويجوز أن يكون الرابطة محذوفاً أي منهم، ويجوز أن يكون الرابطة العموم، ويجوز أن يكون الخبر قوله: ﴿أولئك لهم جنات﴾ ويكون قوله: ﴿إنا لا نضيع﴾ اعتراضاً، ويجوز أن يكون الجملتان أعني قوله: ﴿إنا لا نضيع﴾، وقوله: ﴿لهم جنات﴾ خبرين لأن عند من يرى جواز ذلك، أعني تعدد الخبر وإن لم يكونا في معنى خبر واحد، وقرأ الثقفى: لا نضيع بالتشديد عداه بالتشديد كما عداه الجمهور بالهمزة اهـ .

قوله: (أي نثيبهم) تفسير لقوله ﴿لا نضيع﴾، وقوله (بما تضمنه) أي بثواب تضمنه أولئك إلى قوله: ﴿وحسنت مرتفعاً﴾ فقوله: ﴿أولئك﴾ الخ فاعل بتضمنه، وقد اشتمل هذا القول على خمسة أنواع من الثواب، الأول: ﴿لهم جنات عدن﴾. الثاني: ﴿تجري من تحتهم﴾ الخ. الثالث: ﴿يحلون فيها﴾. الرابع: ﴿ويلبسون ثياباً﴾ الخ. الخامس: ﴿متكئين فيها﴾ الخ اهـ شيخنا .

قوله: ﴿تجري من تحتهم﴾ أي: تحت مساكنهم اهـ .

قوله: (قيل من زائدة) أي: بدليل سقوطها في سورة هل أتى وحلوا أساور من فضة اهـ شيخنا .

سُنْدُسٍ ﴿ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيَاجِ ﴾ ﴿وَأَسْتَبْرَقَ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن بطائنها من استبرق ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير في الحجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس ﴿نِعَمَ الثَّوَابُ﴾ الجزاء الجنة ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿وَأَضْرَبَ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ﴾ للكفار مع

قوله: (وهي جمع أسورة) فهي أي أساور جمع الجمع. وقوله: (كأحمره) جمع حمار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من ذهب﴾ بيانية. وجاء في آية أخرى من فضة، وفي أخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبسون الأساور الثلاثة، فيكون في يد الواحد منهم سوار من ذهب، وآخر من فضة، وآخر من لؤلؤ اهـ شيخنا.

وفي تذكرة القرطبي: ما نصه: ويسور المؤمن في الجنة بثلاث أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. فذلك قوله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير﴾. قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. وفي الصحيح: تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء اهـ.

فعلم من هذا أن كلاً من هذه الآيات، ومن آية ﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان: ١] ومن آية الحج، ومن آية فاطر فيه الاخبار ببعض ما يحلون به فتأمل. قوله: ﴿ويلبسون﴾ عطف على يحلون، وبني الفعل في التحلية للمفعول إيداناً بكرامتهم، وأن غيرهم يفعل بهم ذلك ويزينهم به بخلاف اللبس، فإن الإنسان يتعاطاه بنفسه وقدم التحلي على اللباس لأنه أشهى للنفس اهـ سمين.

قوله: ﴿من سندس واستبرق﴾ هما جمع سندسة واستبرقة، وقيل: ليسا جمعين، وهل استبرق عربي الأصل مشتق من البريق، أو معرب أصله استبره خلاف بين اللغويين اهـ سمين.

قوله: (من الدياج) أي: الحرير. قوله: (بطائنها) أي: الفرش فيقاس عليها اللباس الذي الكلام فيه، فظاهرة الكل من سندس، وبطائنه من استبرق سيأتي للشارح في سورة ﴿هل أتى﴾ [الإنسان: ١] فالاستبرق بطانة ثيابهم، والسندس ظهارتها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿متكئين فيها﴾ حال عاملها محذوف. أي: ويجلسون متكئين أي: متربعين ومضطجعين، وقوله: (في الحجلة) بفتحيتين في محل نصب على الحال أي: فإن لم يكن فيها فلا يقال لها أريكة بكل سرير فقط، وقوله: (للعروس) يستعمل في الرجل والمرأة، فيقال: رجل عروس وامرأة عروس، لكن الجمع مختلف. فيقال: رجال عرس بضميتين ونساء عرائس اهـ شيخنا.

وفي القاموس: والأريكة: كسفينة سرير في حجلة، أو كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصه وفراش أو سرير متخذ مزين في قبة أو بيت، فإن لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع أرائك اهـ.

قوله: ﴿نعم الثواب﴾ أي: بأنواعه الخمسة المتقدمة، والثواب فاعل والمخصوص بالمدح محذوف ذكره بقوله الجنة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وحسنت مرتفقا﴾ أي: منتفعا ومسكناً ومنزلاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ قيل: نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم، وهما

المؤمنين ﴿مَثَلًا لِّلَّذِينَ﴾ بدل وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ يقتات به ﴿كُلًّا لِّلْجَنَّتَيْنِ﴾ كلتا مفرد يدل على التثنية

أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل وكان مؤمناً، وأخوه الأسود بن عبد الأسد وكان كافراً. وقيل: هذ مثل لعبيته بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه، وشبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهودا في قول ابن عباس، وقيل: تمليخا، والآخر كافر واسمه قيطوس، وهما اللذان وصفهما الله في سورة الصافات بقوله: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ [الصافات: ٥١] الخ. وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتهما فاشترى أحدهما أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار وإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم إن صاحبه بني داراً بألف دينار فقال هذا: اللهم إن فلاناً بني داراً بألف دينار وإني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم تزوج صاحبه امرأة وأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم إن صاحبه اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا اللهم إني أشتري منك خدماً ومتاعاً في الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريق حتى مرَّ به في خدمه وحشمه فقام إليه فنظر إليه صاحبه فعرفه، فقال: فلان، قال: نعم. فقال: ما شأنك؟ قال: أصابتنني حاجة بعدك فأتيتك لتعينني بخير. قال: فما فعلت بمالك وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره؟ فقص عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئاً فطرده فقضى عليهما فتوفيا فنزل فيهما: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ [الصافات: ٥١]. وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله، فنزل فيهما: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (بدل) هذا غير متعين، بل يصح أن يكون مفعولاً ثانياً لا ضرب، فقد تقدم في سورة البقرة أن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنتين اهـ سمين.

ويؤيده ما سيأتي في هذا الشارح عن قوله: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٤٥] الخ اهـ.

قوله: ﴿من أعناب﴾ جمع عنب، والعنبة الحبة، وقوله: ﴿وحففناهما بنخل﴾ أي: جعلنا النخل حولهما أي محيطاً بكل منهما اهـ.

وفي البيضاوي: وجعلنا النخل محيطاً بهما مؤزرأ بها كرومهما. يقال: حفه القوم إذا طافوا به، وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله فتزیده الباء مفعولاً ثانياً، وقوله: ﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾ أي ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والتركيب الأنيق اهـ بحروفه.

قوله: (مفرد) أي: وقد روعي هذا الافراد في قوله: ﴿آتت﴾ وروعت التثنية المعنوية في قوله: ﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ ووقوله مبتدأ أي: وهو مضاف، والجنتين مضاف إليه اهـ.

مبتدأ ﴿ءَأَنْتَ﴾ خبره ﴿أَكَلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَظَلِمْ﴾ تنقص ﴿وَمِنْهُ شَيْئاً وَفَجَرْنَا﴾ أي شققنا ﴿خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ ﴿٣٣﴾ يجري بينهما ﴿وَكَاثِلُهُمْ﴾ مع الجنتين ﴿نَمَرٌ﴾ بفتح الناء والميم وبضمهما وبضم الأول وسكون الثاني وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يفاخره ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ﴿٣٤﴾ عشيرة ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ

وفي الكرخي: قوله: (مفرد) يدل على التثنية أشار به إلى المطابقة بين المبتدأ الذي هو كلتا، وخبره آت فهو مفرد. وكذا كلتا مفرد حملا على لفظها وإن كان معناها التثنية، وجاءت هنا على الكثير وهو مراعاة لفظها دون معناها اهـ.

قوله: ﴿آتَ أَكَلَهَا﴾ الخ هذا كناية عن تمامها ونموها دائما وأبداً، فليست على عادة الأشجار حيث يتم ثمرها في بعض السنين وينقص في بعض، فقوله: ﴿وَلَمْ تَظَلْمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ أي: في بعض السنين بل في كل سنة يأتي ثمرها واقياً، وأكلها بضم الكاف وسكونها سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وفجرنا﴾ أي: شققنا ﴿خِلَالَهُمَا﴾ الخ. وقوله: ﴿وكان له﴾ أي لأحدهما ثمر المراد به أمواله التي من غير الجنتين كالنقد والمواشي. سمي ثمرأ لأنه يثمر أي يزيد اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: مأخوذ من ثمر ماله بالتشديد إذا كثر اهـ.

وفي المصباح: الثمر بفتحيتين والثمرة مثله، فالأول: مذكر ويجمع على ثمار مثل جبل وجبال، ثم يجمع الثمار على ثمر مثل كتاب وكتب، ثم يجمع على أثمار مثل عتق وأعناق. والثاني: مؤنث والجمع ثمرات مثل قصبه وقصبات والثمر هو الحمل الذي تخرجه الشجرة وسواء أكل أو لا. فيقال: ثمر الأراك وثمر العوسج وثمر الدوم وهو المقل، كما يقال: ثمر النخل وثمر العنب. قال الأزهري: وأثمر الشجر أطلع ثمره أول ما يخرج منه فهو مثمر ومن هنا قيل لما لا نفع فيه ليس له ثمرة اهـ.

قوله: (بفتح الناء والميم الخ) القراءات الثلاثة سبعة، وقوله: (وهو جمع ثمرة) بفتحيتين أي: على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف حاله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ الخ حاصل ما قاله الكافر من القول الشنيع ثلاث مقالات، الأولى: أنا أكثر منك مالا الخ. الثاني: ودخل جنته الخ. الثالث: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ الخ. وقد تعقبه المؤمن في الثلاثة على سبيل اللف والنشر المشوش فوبخه على الأخيرة بقوله: ﴿أكفرت بالذي خلقك الخ﴾. ووعظه ونصحه على الثانية بقوله: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ الخ. وفرعه على الأولى بقوله: ﴿فعسى ربي﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: (يفاخره) أي يراجعه في الكلام الذي فيه الافتخار اهـ.

والجملة حالية مبنية، إذ لا يلزم من القول المحاوره إذ المحاوره مراجعة الكلام من حار أي رجع قال تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أو من المفعول اهـ سمين.

قوله: (ويريه أثارها) أي: بهجتها وحسنها. وفي بعض النسخ أثمارها اهـ شيخنا.

لِنَفْسِهِ ﴿﴾ بالكفر ﴿﴾ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ ﴿﴾ تنعدم ﴿﴾ هَذِهِ أَبَدًا ﴿﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي ﴿﴾ في الآخرة على زعمك ﴿﴾ لَا أَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿﴾ مرجعاً ﴿﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴿﴾ يجاوبه ﴿﴾ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴿﴾ لأن آدم خلق منه ﴿﴾ ثُمَّ مِنْ نُفُفٍ ﴿﴾ مني ﴿﴾ ثُمَّ سَوَّكَ ﴿﴾ عدلك

قوله: (إرادة للروضة) عبارة الشهاب: وإفراد الجنة مع أن له جنتين لكنة، وهي بأن الإضافة تأتي لما تأتي له اللام فالمراد بها العموم والاستغراق أي: كل ما هو جنة له ينتفع بها فيفيد ما أفادته التثنية مع زيادة وهي الإشارة إلى أنه لا جنة له غير هذه، ولذا عبر بالموصول الدال على العموم فيما هو معهود انتهى.

قوله: ﴿﴾ وهو ظالم لنفسه ﴿﴾ حال من فاعل دخل ولنفسه مفعول ظالم واللام مزيدة فيه لكون العامل فرعاً، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في ظالم أي: وهو ظالم في حال كونه قائلاً، ويجوز أن يكون مستأنفاً بياناً لسبب الظلم وهو الأحسن اهـ سمين.

قوله: (قائمة) أي: كائنة وحاصلة اهـ بيضاوي.

قوله: (على زعمك) أي: وإلاً فهو ينكر البعث اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: وهذا جواب لما قيل كيف؟ قال: للكافر ذلك وهو ينكر البعث، ونظيره قوله في فصلت: ﴿﴾ ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ﴿﴾ [فصلت: ٥٠] وعبر هنا بردت و ثم برجعت توسعة في التعبير عن الشيء بمتساويين. والسبب في وقوعه في هذه الشبهة أنه تعالى لما أعطاه الجاه والمال في الدنيا ظن أنه إنما أعطاه ذلك لكونه مستحقاً له، والاستحقاق باق بعد الموت، فوجب حصول العطاء، والمقدمة الأولى كاذبة فإن فتح باب الدنيا على الإنسان يكون في الأكثر للاستدراج كما مرت الإشارة إليه اهـ.

قوله: ﴿﴾ لأجلدن خيراً منها ﴿﴾ قرأ أبو عمرو والكوفيون منها بالإفراد نظراً إلى أقرب مذكور وهو قوله: (جنته) وهي في مصاحف العراق بدون ميم، والباقون منهما بالتثنية نظراً إلى الأصل في قوله: (جنتين) وكلتا الجنتين، ورسمت في مصاحف الحرمين والشام بالميم فكل قد وافق رسم مصحفه اهـ سمين.

قوله: (مرجعاً) إشارة إلى أنه تمييز وهو اسم مكان عن الانقلاب بمعنى الرجوع، وأن المراد عاقبة المآل لأن خيريته تتحقق بذلك اهـ شهاب.

وفي البيضاوي: منقلباً أي مرجعاً وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية، وإنما أقسم على ذلك لاعتقاده أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه لاستئجاله له واستحقاقه إياه لذاته وهو معه أينما يلقاه اهـ.

قوله: ﴿﴾ أكفرت بالذي ﴿﴾ الخ استفهام توبيخ وتقريع أي: لا ينبغي ولا يليق منك الكفر بالذي خلقك الخ. وفي البيضاوي: أكفرت بالذي خلقك من تراب لأنه أصل مادتك أو مادة أصلك، ثم من نطفة فإنها مادتك القرية، ثم سواك رجلاً، ثم عدلك وملكك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال. جعل كفره بالبعث كفراً بالله لأن منشأ الشك في كمال قدرة الله، ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب، فإن من قدر أن يعيده منه اهـ.

وصيرك ﴿رَجُلًا﴾ ﴿لَيْكِنَّا﴾ أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن تفسيره الجملة بعده والمعنى أنا أقول ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿وَلَوْلَا﴾ هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عند إعجابك بها هذا ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا

قوله: ﴿رَجُلًا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه حال وجاز ذلك وإن كان غير منتقل ولا مشتق، لأنه جاء بعد سواك إذ كان من الجائز أن يسويه غير رجل، وهو كقولهم: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها. والثاني: أنه مفعول ثان لسواك لتضمنه معنى صيرك وجعلك، وهو ظاهر كلام الحوفي اهـ سمين.

قوله: ﴿لَكِنَّا﴾ الاستدراك من أكفرت كأنه قال: أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن به اهـ يضاوي.

ويرسم في النون ألف كما في خط المصحف الإمام، ولذلك جميع القراء إذا وقفوا وقفوا بالألف وإن كانوا عند الوصل بعضهم يثبتها وبعضهم يحذفها اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: لكننا هو الله ربي، قرأ ابن عامر بإثبات الألف وصلًا ووقفًا، والباقون بحذفها وصلًا وإثباتها وقفًا، فالوقف وفاق. وإعراب ذلك أن يكون أنا مبتدأ وهو مبتدأ ثان وهو ضمير الشأن، والله مبتدأ ثالث ربي خبر الثالث، والثالث وخبره خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والرباط بين الأول وخبره الباء في ربي، ويجوز أن تكون الجلالة بدلًا من هو أو نعتًا أو بيانًا إذا جعل هو عائداً على ما تقدم من قوله: ﴿بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ لا على أنه ضمير الشأن، وإن كان أبو البقاء أطلق ذلك وليس بالبين اهـ.

قوله: (أو حذفت الهمزة) أي: من غير نقل. فعلى هذا النون على أصلها من السكون وقوله: (ثم أدغمت الخ) هذا على الوجه الثاني ظاهر، لأن النون ساكنة والمدغم يكون ساكنًا، وأما على الوجه الأول فلا تدغم إلا بعد تسكينها، فقلوه بالنسبة إليه ثم أدغمت النون أي بعد تسكينها اهـ شيخنا.

قوله: (ضمير الشأن) فهو مبتدأ والجملة بعده خبره، ولا تحتاج لرباط لأنها عينه وهو معها خبر عن أنا والرباط الباء من ربي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ لولا: داخلة على قوله قلت، وقوله: ﴿إِذْ دَخَلْتَ﴾ ظرف لقلت مقدم عليه، وقوله: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ما موصولة والعائد محذوف وهي خبر مبتدأ محذوف كما قدره الشارح، والجملة مقول القول أي: هلا قلت هذا أي ما عليه الجنة من الحسن والنضارة ما شاء الله أي: الذي شاءه الله أي كان ينبغي لك أن تقول هذا الأمر هو الذي شاءه الله فترده لخالقه ولا تفتخر به، لأنه ليس من صنعك، وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ﴾ الخ من جملة مقول القول أي كان ينبغي لك أن تقول هاتين الجملتين، وهذا نصح من المؤمن للكافر وتوبيخ له على قوله عند دخول جنته معجباً ما أظن أن تبيد هذه أبداً اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾. لولا: تحضيضية داخلة على قلت، وإذ دخلت منصوب بقلت فصل به بين لولا وما دخلت عليه، ولم يبال بذلك لأنه ليس بأجنبي، وقد عرفت أن حرف التحضيض إذا دخل على الماضي كان للتوبيخ. قوله: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يجوز في ما وجهان،

يَاللَّهُ» وفي الحديث: «من أعطي خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروهاً» ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا﴾ ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ جمع حسبانة أي صواعق ﴿وَمِنْ

أحدهما: أن تكون شرطية فتكون في محل نصب مفعولاً مقدماً والجواب محذوف أي: ما شاء الله كان ووقع. والثاني: أنها موصولة بمعنى الذي وفيها حيثنذ وجهان، أحدهما: أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف أي الذي شاءه الله كائن وواقع. والثاني: أنها خبر مبتدأ مضمرة تقديره الأمر الذي شاءه الله وعلى كل تقدير فهذه الجملة في محل نصب بالقول اهـ.

قوله: (فيقول عند ذلك) بالنصب وبالجزم لكن بالجزم يمنع منه هنا صورة الرسم، وهذا على حد قول ابن مالك:

وجزم أو نصب لفعل أثرفاً أو واو أن بالجمليتين اكتنفاً
قال الأشموني: ويمتنع الرفع أنه لا يصح الاستئناف بين الشرط والجزاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما شاء الله﴾ لحي: هذا الذي أعطيته هو الذي شاءه الله وأراده لا بحولي وقوتي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنْ تَرَنِ﴾ الخ هذا من المؤمن رد لقول الكافر أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، وكلاً من قوله ﴿إِنْ تَرَنِ﴾ وقوله ﴿أَنْ يُؤْتِيَنِي﴾ رسم بدون ياء لأنها من ياءات الزوائد، وأما في النطق فبعض السبعة يثبتها وبعضهم يحذفها، وقوله: (ضمير فصل الخ) أي: على كل من إثبات الياء في النطق وحذفها فيه، فقوله: (بين المفعولين) أي الموجودين أو الموجود والمحذوف اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقْلَ﴾. يجوز في أنا وجهان، أحدهما: أن يكون مؤكداً لياء المتكلم. والثاني: أنه ضمير الفصل بين المفعولين، وأقل: مفعول ثان أو حال بحسب الوجهين في الرؤية هل هي بصرية أو علمية إلا أنك إذا جعلتها بصرية تعين في أنا أن يكون تأكيداً لا فصلاً، لأن شرطه أن يقع بين مبتدأ وخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر، وقرأ عيسى بن عمر أقل بالرفع ويتعين أن يكون مبتدأ وأقل خبره، والجملة إما في موضع المفعول الثاني، وإما في موضع الحال على ما تقدم في الرؤية وما لا وولداً تمييزان وجواب الشرط قوله ﴿فَعَسَى رَبِّي﴾ اهـ.

قوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي﴾ هذا رجاء من المؤمن وقوله: ﴿أَنْ يُؤْتِيَنِي﴾ الخ يحتمل أن مراده في الدنيا ويحتمل أن مراده في الآخرة، لكن الاحتمال الأول يكون الكافر أشد غيظاً وحسرة اهـ شيخنا.

قوله: (جمع حسبانة) المراد أنه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء اهـ شهاب.

وعبارة الرخي: قوله: (جمع حسبانة) أشار به إلى أن المراد بالحسبان مرام من السماء، وهي مثل الصاعقة أي قطع من نار الواحدة: حسبانة، وهذا حكاة في الكشف بلفظ: قيل: وقدم عليه أن الحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أو مقدار قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها. وقال الزجاج: عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك اهـ وهو حسن.

السَّمَاءَ فَتُصْبِحُ صَبِيبًا زَلْقًا ﴿٤٠﴾ أرضاً ملساء لا يثبت عليه قدم ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾ بمعنى غائراً عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَمْ تَطْلُبَا﴾ ﴿٤١﴾ حيلة تدركه بها ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ندماً وتحسراً ﴿عَلَى مَا أَفْقَقَ فِيهَا﴾ في عمارة جنته ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم ﴿وَيَقُولُ يَا لَلنَّبِيِّ﴾ للتنبيه ﴿لَئِنِّي لَأُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَلَمْ تَكُنْ﴾

قوله: ﴿صَبِيبًا﴾ فسر به بقوله أرضاً، وقوله: ﴿زَلْقًا﴾ أي مزقة، وفسره بقوله ملساء لا يثبت عليها قدم اهـ شيخنا.

وفي اللغة من جملة معاني الصعيد وجه الأرض اهـ وصيرورتها كذلك لاستئصال نباتها وأشجارها بالذهاب والإهلاك فلم يبق له أثر اهـ بياضوي.

قوله: (بمعنى غائراً) أي: ذاهباً في الأرض، وأشار به إلى أن غوراً مصدر وصف به مبالغة وهو بمعنى الفاعل أي ذاهباً لا سبيل إليه اهـ كرخي.

قوله: (لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق) أي: المفسر بها الحسبان. قال أبو حيان: إلا إن عني بالحسبان القضاء الإلهي، فحينئذ يتسبب عنه إصباح الجنة صعيداً زلقاً أو إصباح مائها غوراً اهـ كرخي.

قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أي أمواله كالنقد والمواشي، وهذا راجع لقوله: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ وهو معطوف على محذوف أي: فهلكت جنته بالصواعق وغور الماء وأحيط بثمره بالهلاك أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: (بأوجه الضبط السابقة) أي: الثلاثة المتقدمة فهي قراءات سبعة هنا كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَأَصْبَحَ﴾ أي: صار وقوله: ﴿عَلَى مَا أَفْقَقَ﴾ يجوز أن يتعلق بقلب، وإنما عدي على لأنه ضمن معنى يندم. وقوله: ﴿فِيهَا﴾ في عمارتها، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل يقلب أي متحسراً كذا قدره أبو البقاء وهو تفسير معنى، والتقدير الصناعي إنما هو كون مطلق اهـ.

قوله: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ جملة حالية، وقوله: ﴿وَيَقُولُ﴾ معطوف على يقلب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ في المصباح: والعرش شبه بيت من جريد يجعل فوقه الثمام، والجمع عروش مثل فلس وفلوس، والعريش مثله وجمعه عرش بضمتين كبريد وبرد، وعريش الكرم ما يعمل مرتفعاً يمتد عليه الكرم والجمع عرائش أيضاً اهـ.

وفي الشهاب: العروش جمع عرش وهو ما يصنع ليوضع عليه الكرم فإذا سقط سقط ما عليه.

قوله: (دعائمها) دعامة للكرم أي المتخذة للكرم أي لأجل نصبه عليها، والكرم شجر العنب ودعائمه الخشب ونحوه الذي ينصب ليمد عليه الكرم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَيَقُولُ يَا لَئِنِّي﴾ الخ يحتمل أنه قال ذلك توبة، ويحتمل أنه قاله تحسراً على تلف

المال، وهذا هو الأقرب إذ يؤيده قوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ﴾ الخ إذ لو تاب فسلم لكان المؤمنون أنصاراً له اهـ شيخنا.

بالتاء والياء ﴿لَمْ يَفْتَنَّهُ﴾ جماعة ﴿يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ عند هلاكها بنفسه ﴿هُنَالِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿الْوَلَايَةُ﴾ بفتح الواو النصرة وبكسرهما الملك ﴿إِلَهُ الْحَقِّ﴾ بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابًا﴾ من ثواب غيره لو كان يشيب ﴿وَخَيْرُ عَقْبًا﴾ بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز ﴿وَأَضْرَبَ﴾ صير ﴿لَهُمْ﴾ لقومك ﴿مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مفعول أول ﴿كَمَاءٍ﴾ مفعول ثان ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿نَبَاتٌ آلَأَرْضِ﴾ أم امتزج الماء بالنبات فروي وحسن ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار النبات

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان وهذا مرتبط بقوله السابق وأعز نفراً أه شيخنا.

قوله: ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ أي: بدفع الهلاك عنها أو برد الهالك منها أو برد مثله عليه، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ أي قادراً على واحد من هذه الأمور بنفسه أه شيخنا.

قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ إما خبر مقدم وقوله: ﴿الْوَلَايَةُ﴾ مبتدأ مؤخر ويكون الوقف على منتصراً وهذه جملة مستقلة، وإما معمول لمنتصراً فالوقف عليه أي على هنالك، وقوله: ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ جملة من المبتدأ وخبره متسأنفة وقد أجاز الوجهين السمين أه شيخنا.

قوله: (وبكسرهما الملك) أي: القهر والسلطنة أه شيخنا.

قوله: (بالرفع) وقوله: (وبالجر) كل منهما راجع لفتح الواو وكسرهما، فالقراءات أربعة وكلها سبعة أه شيخنا.

قوله: ﴿خَيْرُ ثَوَابًا﴾ أي: إثابة أي إعطاء للثواب، وقوله: (للمؤمنين) متعلق بثواباً وعقباً أه شيخنا.

قوله: ﴿وَخَيْرُ عَقْبًا﴾ يعني: أن عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير إثابة وعاقبة أه خازن.

قوله: (بضم القاف وسكونها) سبعيتان. قوله: (صير) أي اذكر وقرر، وقوله: ﴿مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي صفتها وحالها وهيئتها كماء أي كصفة وحال وهيئة ماء الخ فالمشبه هيئة الدنيا بهيئة المذكور أه شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي صفتها كماء أي شبه ماء، وجملة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ الخ صفة ماء أه.

قوله: (تكاثف) أي: غلظ والتف بعضه على بعض أه.

قوله: (وامتزج الماء بالنبات) وعلى هذا كان حق التركيب أن يقال فاختلفت بنبات الأرض، لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرت أه يبضاي.

وفي الشهاب: ولما كان الاختلاط اجتماع شيئين متداخلين وصدق على كل منهما أنه مختلط ومختلط به، لكن في عرف اللغة والاستعمال تدخل الباء على الكثير الغير الطاريء، فلذا جعل هذا من

﴿هَشِيمًا﴾ يابساً متفرقة أجزاؤه ﴿لَذَرُوهُ﴾ تنثره وتفرقه ﴿الرَّيْحُ﴾ فتذهب به المعنى: شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقة الرياح، وفي قراءة الرياح ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ﴿٤٥﴾ قادراً ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّلَاحُ﴾ هي سبحانه الله والحمد

القلب، ولما كان القلب مقبولاً إذا كان فيه نكتته أشار إلى نكتته بعد ما بين المصحح له، وهو أن كلاً منهما مختلط ومختلط به وهي المبالغة في كثرة الماء حتى كأنه الأصل الكثير، فالمراد بالعكس في كلامه القلب، وقد عرفت أن قوله: ﴿لَمَّا كَانَ﴾ الخ بيان للمصحح، وقوله: (للمبالغة) بيان للمرجح فلا وجه لما قيل إنه لا فائدة في الجمع بينهما اهـ.

قوله أيضاً: (أو امتزج) هذا تفسير آخر فمعنى اختلط امتزج والباء على هذا للتعدية وعليه ففي العبارة قلب إذا الفاعل في الآية النبات وفي حل المعنى الماء فتأمل اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: والمشبّه به ليس الماء وحده بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات الحاصل من الماء يكون أخضر وارقاً ثم هشيماً تفرقه الرياح فيصير كأن لم يكن اهـ.

قوله: (فروي) يقال: روي بكسر الواو يروى بفتحها كرضي يرضى، والمصدر روي بكسر الراء وفتح الواو كرضا وريا بكسر الراء وتشديد الياء وريا بفتح الراء وتشديد الياء أي ارتوى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي: مهشوماً مكسراً اهـ بيضاوي.

وفي السمين: والهشيم واحده هشمية وهو اليابس، وقال ابن قتيبة: كل ما كان رطباً فيبس فهو هشيم اهـ.

قوله: (وتفرقه) عطف تفسير. قوله: (المعنى) أي: معنى المثل كما قاله ابن جزي، وقوله: (شبهه) فاعله الله وعبارة بعضهم: المعنى أنه تعالى شبه الخ اهـ شيخنا.

ويصح أن يكون المراد المعنى أي معنى اضرب الخ. ويكون شبه فعل أمر أي شبه يا محمد لقومك الدنيا بنبات الخ. قوله: (وفي قراءة) أي سبعة الرياح. قوله: (قادراً) لو قال كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة لكان أظهر اهـ شهاب.

قوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الخ القصد من هذا الرد عليهم في الافتخار بالمال والبنين كقول بعضهم لبعض المؤمنين: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، وهذا إشارة إلى قياس حذف كبراه ونتيجته ونظمه هكذا المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكل ما هو زينتها فهو هالك غير باق ينتج المال والبنون هالكان، ثم يقال: وكل ما هو هالك فلا يفتخر به فالمال والبنون لا يفتخر بهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ مصدر فصح الإخبار به عن الاثنين وهو بمعنى المفعول كما أشار له بقوله (يتجمل بهما فيها) اهـ شيخنا.

قوله: (هي سبحانه الله الخ) سيأتي في سورة مريم أن يفسرها بالطاعات اهـ.

وعبارة البيضاوي: والباقيات الصالحات أي أعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الأبد، ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس، وأعمال الحج، وصيام رمضان، وسبحان الله،

الله ولا إله إلا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تُسْطَرُّ السُّجُجُ﴾ يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثاً، وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ تَقَادِرْ﴾ نترك ﴿وَمِنْهُمْ أَهْلًا﴾ ﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ حال أي مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم ﴿لَقَدْ حِشْمُونا﴾

والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والكلام الطيب اهـ.

قوله: ﴿خير عند ربك ثواباً﴾ التفضيل ليس على بابه لأن زينة الدنيا ليس فيها خيراً أو هو على بابه من حيث زعم الجاهل أن زينة الدنيا فيها خير اهـ كرخي.

قوله: (أي ما يأمله الإنسان) هذا هو المناسب لقوله: ﴿أَمَلًا﴾ ففعله من باب طلب، وهذا في كثير من النسخ وفي بعضها يؤمله وهو غير مناسب لأَمَلًا في الآية، وإنما يناسبه التأميل اهـ شيخنا.

وقوله: (ويرجوه) عطف تفسير. قوله: (فتصير هباء) أي غباراً منبثاً أي: مفرقاً كما سيأتي للشارح في سورة الواقعة اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية بالنون.

قوله: ﴿وترى الأرض﴾ بصرية. قوله: (ولا غيره) أي: من بناء وأشجار أو بحار وحيوان غير ذلك اهـ.

قوله: ﴿وحشرناهم﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدهما: أنه ماض مراداً به المستقبل أي ونحشرهم وكذلك وعرضوا ووضع الكتاب. والثاني: أن تكون الواو للحال والجملة في محل نصب أي نفعل التسيير في حال حشرهم ليشاهدوا تلك الأهوال. والثالث: قال الزمخشري: فإن قلت: لم جاء وحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى؟ قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعانوا تلك الأهوال العظام، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك. قال الشيخ: والأولى أن تكون الواو للحال اهـ سمين.

قوله: ﴿فلم تغادر﴾ عطف على حشرناهم فإنه ماض معنى والمغادرة هنا بمعنى الغدر وهو الترك أي: فلم نترك والمفاعلة هنا ليس فيها مشاركة، وسمي الغدر غدرًا لأن به ترك الوفاء وغدير الماء وذلك لأن السيل غادره أي تركه فلم يجئه أو ترك فيه الماء، ويجمع على غدر وغدران كرغف ورغفان واستغدر الغدير صار فيه الماء والغدير الشعر الذي نزل حتى طال، والجمع غدائر اهـ سمين.

قوله: ﴿وعرضوا على ربك﴾ أي: كعرض الجند على السلطان ليقضي بينهم لا ليعرفهم اهـ كرخي.

وقوله: ﴿صَفًّا﴾ حال من مرفوع عرضوا وأصله المصدرية يقال فيه صف يصف صفاً ثم يطلق على الجماعة المصطفين، واختلف هنا في صفاً هل هو مفرد وقع موقع الجمع إذ المراد صفوفاً. وفي حديث آخر: أهل الجنة مائة وعشرون صفّاً أنتم منها ثمانون، وقيل: ثم حذف أي صفّاً صفّاً، ومثله

كَمَا خَلَقْتَنَاهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٤٨﴾ أي فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث ﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ﴾ ن مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿تَجْعَلْ لَّكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من

قوله في موضع: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ [الفجر: ٢٢] وقال: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ [النبا: ٣٨] يريد صفاً صفاً بدليل الآية الأخرى، فكذاك هنا. وقيل: بل كل الخلائق يكونون صفاً واحداً وهو أبلغ في القدرة، وأما الحديثان فيحملان على اختلاف الأحوال لأنه يوم طويل كما يشهد له قوله: ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٤] فتارة يكونون فيه صفاً واحداً، وتارة يكونون صفوفاً أه سمين.

وعبارة القرطبي: ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ صفاً نصب على الحال. قال مقاتل: يعرضون صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة كل أمة وزمرة صف لا أنهم صف واحد، وقيل: جميعاً كقوله: ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ [طه: ٦٤] أي جميعاً، وقيل: قياماً. وخرج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى ينادي بصوت رفيع غير فظيع يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين. يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسؤولون محاسبون. يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب» قلت: هذا الحديث غاية في البيان في تفسير الآية ولم يذكره كثير من المفسرين. وقد كتبناه في كتاب التذكرة اهـ.

قوله: (ويقال لهم) أي: على سبيل التقرير والتوبيخ. قوله: ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ أي: مجيئنا بكم مشابه لخلقكم الأول حفاة عراة غرلاً لا مال ولا ولد، وقال الزمخشري: لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة، فعلى هذين التقديرين يكون نعتاً للمصدر المحذوف، وعلى رأي سيبويه يكون حالاً من ضمير اهـ سمين.

قوله: (أي فرادى) أي: عن المال والبنين وقوله: ﴿غرلاً﴾ جمع أغرل أي غير مختونين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألن نجعل﴾ أن هي المخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء بحرف النفي، ولكم يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً للجعل بمعنى التصيير وموعداً هو الأول، ويجوز أن يكون معلقاً بالجعل أو يكون حالاً من موعداً إذا لم يجعل الجعل تصييراً بل بمعنى مجرد الإيجاد، وبل في قوله: ﴿بل زعمت﴾ لمجرد الانتقال من غير إبطال اهـ سمين.

قوله: (مخففة من الثقيلة النخ) صنيعة يقتضي أن نون أن ثابتة رسماً فتكون مقطوعة من لن وهو يخالف ما ذكره ابن الجزري في مقدمته، وما ذكره شارحوه من أن لن نجعل هذه موصولة أي لا ترسم فيها نون تأمل.

قوله: (أي أنه) أي الحال والشأن وقوله: ﴿موعداً﴾ أي زماناً ومكاناً تبعثون فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ووضع الكتاب﴾ العامة على بنائه للمفعول، وزيد بن علي على بنائه للفاعل وهو الله أو الملك والكتاب منصوب مفعولاً به، والمراد بالكتاب جنس الكتب، إذ من المعلوم أن لكل إنسان كتاباً

المؤمنين وفي شماله من الكافرين ﴿فَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معابنتهم ما فيه من السيئات ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿وَلَكُنَّا﴾ هلكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ عدها وأثبتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مثبتاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن ﴿وَإِذْ﴾ منصوب باذكر ﴿قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة تحية له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قيل هم نوع من الملائكة

يخصه، وقد تقدم الوقف على مال هذا الكتاب وكيف فصلت لام الجر من مجرورها خطأ في سورة النساء عند قوله: ﴿فَمَا لَهُوَاءُ الْقَوْمِ﴾ [النساء: ٧٨] الآية. ولا يغادر جملة حالية من الكتاب والعامل الجار والمجرور لقيامه مقام الفعل أو الاستقرار الذي تعلق به الجار اه سمين.

قوله: (للتنبيه) عبارة البيضاءوي: ينادون هلكتهم الخ اه.

ونداؤها على تشبيهها بشخص يطلب إقباله كأنه قيل: يا هلكنا أقبل فهذا أوانك فيه استعارة مكنية وتخيلية، وفيه تقرير لهم وإشارة إلى أنه لا صاحب لهم غير الهلاك وطلبوا هلاكهم لثلا يروا ما هم فيه اه شهاب.

قوله: (هلكنا) أي هلكنا.

قوله: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ ما مبتدأ ولهذا الكتاب خبره أي شيء ثبت لهذا الكتاب حال كونه لا يغادر الخ اه شيخنا.

قوله: ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ في محل نصب صفة لصغيرة وكبيرة، ويجوز أن تكون الجملة في موضع المفعول الثاني لأن يغادر بمعنى يترك ويترك قد يتعدى لاثنتين اه سمين.

قوله: (عدها وأثبتها) وهذا لا ينافي إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية، إذ لا يلزم من العد عدم التكفير إذ يجوز أن تكتب الكبائر ليشاهدها العبد يوم القيامة، ثم تكفر عنه فيعلم قدر نعمة العفو عليه اه كرخي.

قوله: (تعجبوا) أشار به إلى أن الاستفهام للتعجب وقوله: (منه) أي من الكتاب، وقوله: (في ذلك) أي في الإحصاء المذكور اه شيخنا.

قوله: (لا يعاقبه بغير جرم) وإنما سمي هذا ظلماً بحسب عقولنا لو خليت ونفسها ولو فعله الله لم يكن ظلماً في حقه لأنه لا يسأل عما يفعل اه شيخنا.

قوله: (تحية له) أي: تعظيماً له، وهذا معمول لقوله ﴿اسجدوا﴾.

قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ أي: فلم يسجد والوقف هنا، وقوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ مستأنف في معنى التعليل لمفاد الاستثناء كأنه قيل: وإنما لم يسجد لأنه كان من الجن، ففسق عن أمر ربه، فقوله: ﴿ففسق﴾ الخ من جملة التعليل اه شيخنا.

فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَنَسَخَدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أُولَئِكَ مِنْ دُونِ﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي

وفي السمين: ففسق السببية في الفاء ظاهرة تسبب عن كونه من الجن الفسق اهـ.

قوله: (قيل هم نوع من الملائكة) وعلى هذا القول فقد نقل عن ابن عباس أن هذا النوع يتوالد وليس معصوماً، وقوله: (فالاستثناء متصل). قيل في توجيه الاتصال إن كان بمعنى صار أي صيره الله ومسحه من الملكية إلى الجنية، وقوله: (وإبليس) الخ توجيه للانقطاع، وقوله: (فله ذرية) تفريع على كونه أباً إذ الأب يستلزم ابناً، وقوله: (بعد) أي في قوله ذريته وقوله: (والملائكة) الخ من جملة التعليل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ أي: أبعد ما وجد منه ما وجد تتخذونه والهمزة للإنكار والتعجيب، وقوله: ﴿أُولَئِكَ مِنْ دُونِ﴾ أي فستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي اهـ يضاوي.

قوله: ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ يجوز في الواو أن تكون عاطفة وهو الظاهر، وأن تكون بمعنى مع ومن دوني يجوز تعلقه بالاتخاذ وبمحذوف على أنه صفة لأولياء اهـ سمين.

قال مجاهد: من ذرية إبليس لاقس وللهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما، ومن ذريته مرة وبه يكنى، وزلنيور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع، وبتر وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب، والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة، ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقبها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلاً، وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر الله دخل معه اهـ خازن.

وفي القرطبي: واختلف هل لإبليس ذرية من صلبه؟ فقال الشعبي: سألتني رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ﴾ فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت: نعم. وقال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذريته، وقيل: إن الله خلق له في فخذه اليمنى ذكراً وفي فخذه اليسرى فرجاً فهو ينكح هذه بهذه، فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة، فهو يفرخ ويطير وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم في بني آدم فتنة. وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرية، وذريته أعوانه من الشياطين. قال القشيري أبو نصر: وبالجملة؛ فإن الله تعالى أخبر بأن لإبليس أتباعاً وذرية، وأنهم يوسوسون إلى بني آدم وهم أعداؤهم، ولم يثبت عندنا علم بكيفية التوالد منهم وحدوث الذرية من إبليس، فيتوقف الأمر فيه على نقل صحيح اهـ.

قوله: (تطيعونهم) أي: بدل طاعتي وفيه إشارة إلى أن المراد بالولاية هنا اتباع الناس لهم فيما يأمرونهم به من المعاصي، فالموالاة مجاز عن هذا لأنه من لوازمها فلا يرد كيف قال ذلك، مع أن الشيطان وذريته ليسوا أولياء بل أعداء لأن الأولياء هم الأصدقاء، ومن دوني يجوز تعلقه بالاتخاذ أو

أعداء حال ﴿يَتَسَلَّلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في طاعتهم بدل إطاعة الله ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ﴾ أي إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ الشياطين ﴿عَضْدًا﴾ أعواناً في الخلق فكيف تطيعونهم ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب باذكر ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَوْبِقًا﴾ وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً وهو من سبق بالفتح هلك ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ

بمحذوف على أنه صفة لأولياء، وإليه أشار في التقرير اهـ كرخي.

قوله: (حال) أي: من مفعول الاتخاذ أو فاعله، لأن فيها مصححاً لكل من الوجهين وهو الرابط اهـ سمين.

قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ متعلق ببديلاً الواقع تمييزاً للفاعل المستتر، وقوله: (إبليس وذريته) بيان للمخصوص بالذم المحذوف اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿بُئْسَ لِلظَّالِمِينَ﴾ بدلاً فاعل بُئس مضمّر مفسر بتمييزه، والمخصوص بالذم محذوف تقديره بُئس البديل إبليس وذريته، وللظالمين متعلق بمحذوف حال من بدلاً. وقيل: متعلق بفعل الذم اهـ.

قوله: ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ﴾ أي إبليس وذريته، وأما أشهدت الملائكة فكيف يعبدونهم، وأما أشهدت الكفار فكيف ينسبون إلى ما لا يليق بجلالي، أو ما أشهدت جميع الخلق. وقرأ أبو جعفر، وشيبة، والسختياني في آخرين ما أشهدناهم على التعظيم اهـ سمين.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمّر، إذ المراد بال المضلين من انتفى عنهم إسهاد خلق السموات والأرض اهـ سمين.

قوله: ﴿عَضْدًا﴾ أصل العضد العضو الذي هو من المرفق إلى الكتف، ففي الكلام استعارة اهـ شيخنا.

وفي السمين: والعضد من الإنسان وغيره معروف ويعبر به عن المعين والناصر. يقال: فلان عضدي ومنه سنشد عضدك بأخيك أي: سنقوي نصرتك ومعونتك اهـ.

قوله: (بالياء) أي: مناسبة لقوله: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا﴾ [الكهف: ٤٨] وقوله: (والنون) مناسبة لقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ الخ والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ مفعولاه محذوفان، أي زعتموهم شركاء، وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ الخ المعنى على الاستقبال كما هو ظاهر اهـ شيخنا.

قوله: (ليشفعوا لكم) متعلق بنادوا. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ أي: مشتركاً بينهم موبقاً يجتمعون فيه كما تفهم من قوله (يهلكون فيه جميعاً) اهـ شيخنا.

قوله: (من سبق بالفتح) في القاموس: سبق كوعد ووجل وورث وبوقاً وموبقاً هلك وكمجلس

﴿مُؤَافَعُوهَا﴾ أي واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿٥٣﴾ معدلاً ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿فِي هَذَا الْفَرْعِ﴾ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴿صِفَةٌ لِمُحْذَوْفٍ﴾ أي مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ أي الكافر ﴿أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾ خصومة في الباطل وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه ﴿وَمَامَعَ النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿فَاعِلٌ﴾ أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم

المهلك والموعود والحبس واد في جهنم، وكل شيء حال بين شيئين وأوبقه حبسه أو أهلكه اهـ.
وفي أبي السعود: وجعلنا بينهم أي بين الداعين والمدعويين موبقاً اسم مكان أو مصدر من وبق وبوقاً كوئب وثوباً أو وبق وبوقاً كفرح فرحاً إذا هلك أي مهلكاً يشتركون فيه وهو النار اهـ.

وفي القرطبي: قال أنس بن مالك: هو واد في جهنم من قيق ودم، وقال ابن عباس: أي جعلنا بين المؤمنين والكفار حاجزاً، وقيل: بين الأوئان وعبدتها نحو قوله تعالى: ﴿فَزِيلْنَا﴾ [يونس: ٢٨] قال ابن الأعرابي: كل شيء حاجز بين شيئين فهو موبق اهـ.

قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ أي عاينوها من مسيرة أربعين عاماً اهـ شيخنا.

قوله: (معدلاً) أي مكاناً يحلون فيه غيرها اهـ شيخنا.

وفي السمين: مصرفاً أي معدلاً، والمصرف يجوز أن يكون اسم مكان أو زمان، قال أبو البقاء: مصرفاً أي انصرفاً، ويجوز أن يكون مكاناً اهـ.

قوله: (أي مثلاً) أي معنى غريباً بديعاً يشبه المثل في غرابته وقوله (من جنس) كل مثل أي جنس كل معنى غريب يشبه المثل اهـ شيخنا.

قوله: (منقول) أي محول من اسم كان. قوله: (أكثر شيء فيه) أي الإنسان.

قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا﴾ معطوف على يؤمنوا. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي إلا إتيان سنة الأولين، والكلام على حذف المضاف أي إلا انتظارهم وطلبوا أي كفار مكة إتيانهم ويقولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾. إلّا: طلب وانتظار أو تقديم أن تأتيتهم سنة الأولين وهو الاستئصال، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلاً عياناً. وقرأ الكوفيون قبلاً بضميتين وهو لغة فيه أو جمع قبيل بمعنى أنواع، وقرئ بفتحيتين وهو أيضاً لغة يقال لقيته مقابلة وقبلاً وقبلاً وقفلاً وانتصابه على الحال من الضمير أو العذاب اهـ.

وفي الكرخي: وإنما احتيج إلى حذف المضاف، إذ لا يمكن جعل إتيان سنة الأولين مانعاً عن إيمانهم، فإن المانع يقارن الممنوع وإتيان العذاب متأخر عن عدم إيمانهم بمدة كثيرة اهـ.

قوله: (وهي الهلاك) أي بعذاب الاستئصال، وقوله: (المقدر) أي في الأزل عليهم أي الأولين اهـ شيخنا.

﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فُبُلًا﴾ مقابلة وعياناً وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضميتين جمع قبل أي أنواعاً ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مخوفين للكافرين ﴿وَيُحْدِثُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ﴾ بقولهم أبعث الله بشراً رسولاً ونحوه ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾ ليبطلوا بجدهم ﴿الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾ به من النار ﴿هَؤُلَاءِ﴾ سخريه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ﴾ أي الناس .

قوله: ﴿ويجادل﴾ مستأنف فالوقف على ومنذرين والذين فاعل أي ويجادل الكفار، والمفعول محذوف أي المرسلين، وحيثئذ فتفسير الحق بالقرآن فيه قصور، فكان الأولى تفسيره بضد الباطل ليشمل جميع الشرائع، وكذا يقال في قوله: ﴿واتخذوا آياتي﴾ فالأولى أن يراد بها معجزات الرسل الأعم من القرآن اهـ شيخنا .

قوله: (ونحوه) بالنصب أي نحو قولهم المذكور كقولهم: ﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ [إبراهيم: ١٠] اهـ شيخنا .

قوله: ﴿ليدحضوا﴾ متعلق بيجادل، والإدحاض: الإزلاق. يقال: أدحض قدمه أي أزلقها وأزلقها من موضعها، والحجة الداحضة التي لا ثبات لها، والدحض: الطين لأنه يزلق فيه ومكان دحض عن هذا اهـ سمين .

وفي المختار: دحضت حجته بطلت وبابه خضع وأدحضها الله، ودحضت رجله زلقت وبابه قطع، والإدحاض الإزلاق اهـ .

قوله: ﴿وما أنذروا﴾ (به) أشار إلا أن ما بمعنى الذي والعائد محذوف. قال أبو حيان: ويصح كون ما مصدرية أي وإنذارهم فلا تحتاج إلى عائد، وعلى التقديرين فهو عطف على آياتي وهزواً مفعول ثان أو حال اهـ كرخي .

وقوله: (من النار) بيان لما . أي: والذي أنذروا وخوفوا به وهو النار اهـ شيخنا .

قوله: ﴿هزوا﴾ يقرأ بالواو وبالهزم سبعيتان اهـ شيخنا .

قوله: ﴿ممن ذكر﴾ قد روعي لفظ من في خمسة ضمائر هذا أولها، وروعي معناها في خمسة أولها قوله ﴿على قلوبهم﴾ اهـ شيخنا .

قوله: ﴿فأعرض عنها﴾ أي لم يتدبرها وهو بالفاء الدالة على التعقيب، لأن ما هنا في الأحياء من الكفار فإنهم ذكروا فأعرضوا عقيب ما ذكروا، وقاله في السجدة بضم الدالة على التراخي لأن ما هناك في الأموات من الكفار فإنهم ذكروا مرة بعد أخرى ثم أعرضوا بالموت فلم يؤمنوا، والمراد من النسيان التشاغل والتغافل عن كفره المتقدم كما أشار إليه اهـ كرخي .

قوله: ﴿إنا جعلنا﴾ الخ بمنزلة التعليل لقوله: ﴿فأعرض﴾ ﴿ونسى﴾ اهـ شيخنا .

أَغْطِيَهُ ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أَي من أن يفهموا القرآن، أَي فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثَقْلًا فلا يسمعونهُ ﴿وَلِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أَي بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ فيها ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾ ملجأ ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أَي أهلها كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾

قوله: ﴿أَكْنَةُ﴾ جمع كنان كزمام وأزمة وأصله أكنته كأزمة نقلت حركة النون إلى الكاف قبلها ثم ادغمت في التي بعدها اهـ شيخنا.

وفي القاموس: أنه جمع كن أيضاً ونصه: والكن بالكسر وقاء كل شيء وستره كالكنة والكنان بكسرهما والجمع أكنان وأكنة اهـ.

قوله: (فلا يسمعونهُ) أَي سماع انتفاع. قوله: ﴿إِذَا﴾ أَي إذا دعوتهم أنت، وقوله: (أَي بالجعل) أَي بسببه.

قوله: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ يصح أن يكون مستأنفاً وأن يكون خبراً ثالثاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أَي: عذاب الاستتصال. قوله: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ يجوز في الموعد أن يكون مصدراً أو زماناً أو مكاناً، والموئل المرجع من وأل يثل أي رجع وهو من التأويل، وقال الفراء: الموئل المنجا وألت نفسه أي نجت، وقال ابن قتيبة: الموئل الملجأ يقال وأل فلان إلى فلان وألاً ووؤلاً إذا لجأ إليه وهو هنا مصدر ومن دونه متعلق بالوجدان لأنه متعد لواحد أو بمحذوف على أنه حال من موئلاً اهـ سمين.

وفي المصباح: وأل إلى الله يثل من باب وعد التجأ وباسم الفاعل سمي، ومنه وائل بن حجر وهو صحابي، وسحبان بن وائل. ووأل رجع، وإلى الله الموئل أي المرجع اهـ.

قوله: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أَي من دون الله أو العذاب، والثاني أولى وأبلغ لدلالته على أنهم لا ملجأ لهم، فإن من يكون ملجؤه العذاب كيف يرى وجه الخلاص اهـ شيخنا.

قوله: (أَي أهلها) غرضه تقديره مضاف في المبتدأ أي وأهل تلك القرى أهلكتناهم الخ اهـ شيخنا.

وفي السمين: وتلك القرى يجوز أن يكونا مبتدأ وخبراً، وأهلكتناهم حينئذ إما خبر ثان أو حال، ويجوز أن يكون تلك مبتدأ والقرى صفتها أو بيان لها أو بدل منها، وأهلكتناهم هو الخبر، ويجوز أن يكون تلك منصوب المحل بفعل مقدر على الاشتغال، والضمير في أهلكتناهم عائد على أهل المضاف إلى القرى، إذ التقدير وأهل تلك القرى، فراعى المحذوف فأعاد عليه الضمير وتقدم ذلك في أول الأعراف، ولما يجوز أن تكون حرفاً وأن تكون ظرفاً وقد عرف ما فيها اهـ.

قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أَي في الدنيا لما ظلموا أي وقت أن ظلموا، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ أَي في الآخرة ﴿مَوْعِدًا﴾ هو يوم القيامة.

لَمَّا ظَلَمُوا ﴿كَفَرُوا﴾ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ ﴿لِإِهْلَاكِهِمْ﴾ فِي قِرَاءَةِ بَفْتَحِ الْمِيمِ أَي لِهْلَاكِهِمْ ﴿مَوْعِدًا﴾ ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ هُوَ ابْنُ عِمْرَانَ ﴿لِفَتْنِهِ﴾ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ كَانَ يَتَّبِعُهُ وَيُخْدِمُهُ وَيَأْخُذُ مِنْهُ الْعِلْمَ ﴿لَا أَتَّبِعُ﴾ لَا أَزَالُ أُسِيرُ ﴿حَقَّقَ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ مَلْتَقَى بَحْرِ الرُّومِ وَبَحْرِ فَارَسَ

قوله: ﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ أي جعلنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم اهـ يضاوي .

قوله: ﴿لمهلكهم﴾ بضم الميم اسم مصدر لأهلك لكنه على زنة اسم المفعول، فلذلك قال الشارح أي لإهلاكهم وهو مضاف لمفعوله أي لإهلاكنا إياهم، وقوله: (وفي قراءة) أي سبعة وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها، فمجموع القراءات السبع ثلاث ضم الميم مع فتح اللام، وفتح الميم مع فتح اللام، ومع كسرها وعليها فهو مضاف لفاعله اهـ شيخنا .

قوله: (هو ابن عمران) من سبط لاوي بن يعقوب وقوله: (يوشع بن نون) أي ابن أفرائيم بن يوسف اهـ خازن .

وعبارة الكرخي: قوله: (هو ابن عمران) هذا هو الأصح كما قاله ابن عباس واحتج القائلون بأن موسى بن ميثا بأن الله تعالى بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة وكلمه بلا واسطة وخصه بالمعجزات الباهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكثر أكابر الأنبياء يبعد أن يبعثه بعد ذلك إلى التعلم والاستفادة، وأجيب بأنه لا يبعد أن يكون العالم العامل الكامل في أكثر العلوم بجهل بعض الأشياء فيحتاج في تعلمها إلى من دونه وهو أمر متعارف اهـ .

وفي القرطبي: والجمهور من العلماء، وأهل التاريخ: أنه موسى بن عمران المذكور في القرآن ليس فيه موسى غيره، وقالت فرقة منهم نوف البكالي: أنه ليس ابن عمران، وإنما هو موسى بن ميثا ابن يوسف بن يعقوب وكان نبياً قبل موسى بن عمران، وقد رد هذا القول ابن عباس كما في صحيح البخاري وغيره وفتاه هو يوشع بن نون، وقد مضى ذكره في المائدة وآخر سورة يوسف اهـ .

قوله: (كان يتبعه النخ) هذا بيان وجه إضافته لموسى وكان ابن أخته، وقيل: كان عبداً له وقد نبأه الله بعد موت موسى وقاتل الجبارين، وهو الذي ردت إليه الشمس اهـ شيخنا .

قوله: ﴿لا أبرح﴾ اسمها مستتر وجوباً وخبرها محذوف قدره الشارح بقوله (أسير) أي لا أبرح سائراً، وقوله: ﴿حتى أبلغ﴾ النخ غاية لهذا المقدر اهـ شيخنا .

ويحتمل أنها تامة فلا تستدعي خبراً بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه اهـ يضاوي .

قوله: (ملتقى بحر الروم النخ) قيل: إن ملتقاها عند البحر المحيط اهـ خازن .

وقيل: ملتقى البحرين هو بحر الأردن وبحر القلزم، وقيل: مجمع البحرين عند طنجة . قال محمد بن كعب: وروي عن أبي كعب أنه بإفريقية اهـ من القرطبي .

مما يلي المشرق أي المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ آمَضِيَ حُقْبًا﴾ دهرًا طويلًا في بلوغه إن بعد ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ بين البحرين ﴿فَنَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى

قوله: (دهراً طويلاً) أي زمناً طويلاً. وقيل: الحقب ثمانون سنة اهـ خازن.

وقيل: سنة واحدة بلغة قريش، وقيل: سبعون؛ ويجمع على أحقاب كعق وأعناق، وفي معناه الحقبة بالكسر وبالضم، وتجمع الأولى على حقب بكسر الحاء كقربة وقرب، والثانية على حقب بضم الحاء كغرفة وغرف وحقباً منصوب على الظرف وهو بمعنى الدهر. وقرأ الحسن حقباً بإسكان القاف، فيجوز أن يكون تخفيفاً وأن يكون لغة مستقلة. وقوله: ﴿أَوْ آمَضِيَ حُقْبًا﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه منسوق على أبلغ فالسير مغيب بأحد أمرين إما ببلوغه المجمع أو بمضيه حقباً. والثاني: أنه غاية لقوله ﴿لَا أُبْرَحُ﴾ فيكون منصوباً بإضمار أن بعد أو بمعنى إلى نحو لالزمتك أو تقضييني حقي. قال الشيخ: فالمعنى لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين إلى أن أمضي زماناً أتيقن معه فوات مجمع البحرين، قلت: فيكون الفعل المنفي قد غيبي بغايتين مكاناً وزماناً فلا بد من حصولهما معاً نحو: لأسيرن إلى بيتك إلى الظهر فلا بد من حصول الغايتين، والمعنى الذي ذكره الشيخ يقتضي أنه يمضي زماناً يتيقن فيه فوات مجمع البحرين، وجعل أبو البقاء أو هنا بمعنى إلا في أحد الوجهين قال: والثاني أنها بمعنى إلا أن أمضي زماناً أتيقن معه فوات مجمع البحرين، وهذا الذي ذكره أبو البقاء معنى صحيح، فأخذ الشيخ هذا المعنى وركبه مع القول بأنها بمعنى إلى المقتضية للغاية فمن ثم جاء الاشكال اهـ سمين.

وفي المصباح: الحقب: الدهر والجمع أحقاب مثل فعل وأفعال وضم القاف للأتباع لغة، ويقال: الحقب ثمانون عاماً والحقبة بمعنى المدة والجمع حقب مثل سدره وسدر، وقيل: الحقبة مثل الحقب اهـ.

قوله: (إن بعد) أي: إن لم أدركه أي الجمع أي فلا بد من سيري بلغته أو لم أبلغه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ أي بين البحرين وبينهما ظرف أضيف إليه على الاتساع أو بمعنى الوصل اهـ بيضاوي. أي: مجمع وصلهما أي توأصلهما واجتماعهما.

وعبارة الكرخي: قوله: (بين البحرين) أشار به إلى أن بين هنا ظرفية، وهو الموضع الذي وعد موسى أي يجتمع فيه بالخضر وفيه الصخرة وفيه عين ماء الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتاً إلا حيي، وقد وقع أنهما لما وضعا حوتهما أصابه شيء من ماء العين فحيي اهـ.

قوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ قيل: كان حوتاً كاملاً وقيل: نصف حوت وعلى كل فقيل: كان مشوياً، وقيل: كان مملحاً وقد أكل منه زمناً طويلاً قبل أن يدركا الصخرة اهـ شيخنا.

قوله: (أي نسي يوشع حمله) هذا يقتضي أنه كان موجوداً والذي سيأتي في الحديث يقتضي أنه كان ذهب في البحر فلا استطاع حمله، ويقتضي أن المراد بنسيان يوشع نسيانه أن يخبر موسى بما حصل من الحوت اهـ شيخنا.

ثم رأيت في الخازن ما نصه: فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره بالحوت اهـ.

تذكيره ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أي جعله بجعل الله ﴿سَرِيًّا﴾ أي مثل السرب وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله تعالى امسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوّة لم يلتئم وجمد ما تحته منه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني

وفي البضاوي: ﴿نسيا حوتهما﴾ نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله، ونسي يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر. روي أن موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى أو الخضر، وقيل: توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء، وقيل: نسيا تفقد أمره وما يكون منه أمانة على الظفر بالمطلوب اهـ.

قوله: ﴿فَاتَّخَذَ﴾ (الحوت) ﴿سَبِيلَهُ﴾ الاتخاذ قبل النسيان في الآية تقديم وتأخير كما أشار إلى ذلك الكازروني اهـ شيخنا.

أي: فأدركته الحياة فتحرك في المكمل فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ سبيله الخ اهـ خازن.
قوله: ﴿سَرِيًّا﴾ مفعول ثان لاتخذ، وفي البحر يجوز أن يتعلق باتخذ وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من المفعول الأول أو الثاني، والهاء في سبيله تعود على الحوت وكذا المرفوع في اتخذ اهـ سمين.

قوله: (فانجاب) أي انقطع الماء وانكشف، وقوله: (لم يلتئم) أي لم يلتصق حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه اهـ قاري.

وفي القرطبي: وجمهور المفسرين: أن الحوت بقي موضع سلوكه فارغاً، وأن موسى مشى عليه متبعاً للحوت حتى أفضى به الطريق إلى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر، وظاهر الروايات والكتاب أنه إنما وجد الخضر في شط البحر اهـ.

قوله: (فبقي) أي صار الماء كالكوّة. في المختار: الكوة بالفتح نقب البيت والجمع كوى بالكسر ممدوداً ومقصوراً، والكوة بالضم لغة وجمعاً كوى بالضم والقصر اهـ شيخنا.

قوله: (وجمد ما تحته منه) أي من الماء اهـ شيخنا.

وحمد من بابي نصر ودخل خلاف ذاب كما في المصباح، وفي الخازن: قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً في البحر إلا ييس حتى صار صخرة اهـ.

وفي الكرخي: قوله: (وجمد ما تحته منه) وفي الآية تقدم وتأخير ولا عجب في نسيانه هذه المعجزة الغريبة لأنه كان معتاداً بمشاهدة معجزاته الغريبة وصار ألفها سبباً لقلة اهتمامه بها، ولعل نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشيده إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة، وإنما نسبته إلى الشيطان هضماً لنفسه اهـ.

قوله: (ذلك المكان) أي الذي هو مجمع البحرين، وقوله: ﴿بِالسَّيْرِ﴾ حال أي ملتبس بالسير الخ.

يوم ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتْنَةٍ إِنَّا غَدَاءَنَا﴾ هو ما يؤكل أو النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِيهِ إِلَّا السَّيْطَنُ﴾ يدل من الهاء ﴿أَنْ أَذْكُرُ﴾ بدل اشتمال أي انساني ذكره ﴿وَأَتَّخِذُ الْحَوْتَ سَبِيلًا فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ مفعول ثان أي يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه

قوله: ﴿من سفرنا هذا﴾ إشارة إلى السفر الذي وقع بعد مجاوزتهما الموعد أو مجمع البحرين ونصباً: هو المفعول بـلقينا، والعامّة على فتح النون والصاد، وعبد الله بن عبيد بن عمير بضمهما وهما لغتان من لغات أربع في هذه اللفظة كذا قاله أبو الفضل الدارمي في لوامحه اهـ سمين .

قوله: (وَحْصوله) أي النصب بعد المجاوزة أي مجاوزة المجمع اهـ.

قوله: (أي تنبه) أي تذكر واستمع لما ألقى لك من شأن الحوت. وفي البياضوي: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا﴾ أي أَرَأَيْتَ ما دهاني إذ أَوَيْنَا إلى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى اهـ.

وقوله: (ما دهاني) أي أصابني إصابة شقت كالدهاية. وقال أبو حيان: يمكن أن يكون مما حذف منه المفعولان اختصاراً، والتقدير أَرَأَيْتَ أَمَرْنَا عاقبته اهـ.

وما ذكره المصنف حسن غير أنه لم يتعرض لذكر المفعول الأول، وإنما ذكر الجملة الاستفهامية التي هي موضع المفعول الثاني بناء على أن ما استفهامية، ويجوز أن تكون موصولة أو يكون جعل رأى فيه بصرية دخلت عليها همزة الاستفهام، والمعنى أبصرت حالنا إذ أَوَيْنَا الخ اهـ شهاب .

ومن هذا يعلم أن قوله ﴿إِذْ أَوَيْنَا﴾ ظرف للمحذوف الذي قدره البياضوي بقوله (ما دهاني) أي أصابني إذ أَوَيْنَا الخ. أو الذي قدره المحشي بقوله: أبصرت حالنا إذ أَوَيْنَا الخ اهـ.

وعبارة أبي السعود: قال: أي فتاه عليه السلام ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ﴾ أي التجأنا إليها وأقمنا عندها، وذكره الإيواء إليها مع أن المذكور فيما سبق بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة، فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة إليه ولتمهيد العذر، فإن الإيواء إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة، والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من حياة الحوت من العظام التي لا تكاد تنسى، وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب، وهذا أسلوب معتاد فيما بين الناس، يقول أحدهم لصاحبه إذا نابه خطب: أَرَأَيْتَ ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وأنه مما لا يعهد، وقوعه اهـ.

قوله: (بذلك المكان) أي: الكائنة بذلك المكان أي مجمع البحرين اهـ شيخنا .

قوله: ﴿أَنْ أَذْكُرُ﴾ نائب فاعل بـيدل، وقوله (بدل اشتمال) والتقدير أنساني ذكره. قوله: ﴿وَأَتَّخِذُ﴾ معطوف على نسييت أي على جملة فإنني نسييت الحوت وما بينهما اعتراض اهـ شيخنا .

قوله: ﴿عَجَبًا﴾ أي سبيلاً عجباً وهو كونه كالسرب أو اتخاداً عجباً، والمفعول الثاني هو الظرف، وقيل: هو مصدر فعله مضمر أي قال في آخر كلامه، أو قال موسى في جوابه: عجبت عجباً

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ﴾ أي فقدنا الحوت ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿كُنَّا نَبْتَغِي﴾ نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعاً ﴿عَلَىٰ أَقَارِهِمَا﴾ يقصانها ﴿قَصَصًا﴾ فأتيا الصخرة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا

أي عجبت عجباً من تلك الحال، وقيل: الفعل لموسى أي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً اهـ بيضاوي.

وفي الخازن: قيل: أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهرًا ثم صار حياً بعدما أكل بعضه اهـ. وفي القرطبي: وموضع العجب أن يكون حوت قد مات يؤكل شقه الأيسر ثم حيي بعد ذلك، وقال أبو شجاع في كتاب الطبري: أثبت به فرأيته فإذا هو شقة حوت بعين واحدة وشق آخر ليس فيه شيء من اللحم عليه قشرة رقيقة تحتها الشوك اهـ.

قوله: (لما تقدم في بيانه) وهو قوله: (وذلك أن الله أمسك عن الحوت) الخ.

قوله: ﴿ما كنا نبتغي﴾ هذه من ياءات الزوائد فلا تثبت رسماً، وكذلك التي في قوله: (على أن تعلمن) اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ما كنا نبتغي﴾ حذف نافع وأبو عمرو والكسائي ياء نبتغي وقفاً وأثبتوها وصلاً، وابن كثير أثبتها في الحاليين، والباقون حذفها في الحاليين اتباعاً للرسم، وكان من حقها الثبوت وإنما حذف تشبيهاً بالفواصل، أو لأن الحذف يأنس بالحذف فإن ما موصولة حذف عائدها، وهذه بخلاف التي في يوسف فإنها ثابتة عند الجميع، وقد تقدم في موضعه اهـ.

وما اسم موصول كما قال الشارح فليست نافية. قوله: (على وجود من نطلبه) وهو الخضر. قوله: (هو الخضر) بكسر الخاء مع سكون الضاد ويفتح الخاء مع سكون الضاد وكسرها ففيه لغات ثلاثة وهذا لقبه. وفي الخازن: ولقب بهذا لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله. وقيل: لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته اهـ.

وكنيته أبو العباس، واسمه بلياً بباء موحدة مفتوحة ولام ساكنة وياء تحتية وآخره ألف مقصور، وهو من نسل نوح، وكان أبوه من الملوك اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: قيل: كان من بني إسرائيل، وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهّدوا وتركوا الدنيا، وكان الخضر إذ ذاك مغطى بثوب أبيض طرفه تحت رجله والآخر تحت رأسه فسلم عليه موسى فقال: أنت؟ قل: أنا موسى نبي بني إسرائيل أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً اهـ.

وفي القرطبي: وقال الثعلبي في كتاب العرائس: إن موسى وفتاه وجدا الخضر وهو نائم على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال: وأني بأرضك السلام؟ أي: ومن أين بأرضك التي أنت فيها الآن السلام ثم رفع رأسه واستوى جالساً وقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال له موسى: ومن أخبرك أنني نبي بني إسرائيل؟ فقال: الذي أدراك بي وذلك عليّ، ثم قال لموسى: لقد كان لك في بني إسرائيل شغل. قال موسى: إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان، فجاءت خطافة وحملت بمقارها من الماء إلى آخر ما في الحديث اهـ.

مِّنْ عِبَادِنَا ﴿٦٥﴾ هُوَ الْخَضِرُ ﴿٦٦﴾ إِنَّنِي أَنزَلْنَاهُ مِن مَّعِينِنَا ﴿٦٧﴾ نَبُوءَةً فِي قَوْلٍ وَلَا يَافِيهِ فِي آخِرِ وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْعِلْمَاءِ ﴿٦٨﴾ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴿٦٩﴾ مِّن قَبْلُنَا ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ أَيْ مَعْلُومًا مِنَ الْمَغْيِيَّاتِ. رَوَى الْبُخَارِيُّ حَدِيثٌ: إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيْبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حَوْتَاً فَتَجْعَلُهُ فِي مَكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحَوْتَ فَهُوَ ثَمٌّ، فَأَخْذُ حَوْتَاً فَجْعَلُهُ فِي مَكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلِقْ، وَانْطَلِقْ مَعَهُ فِتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ حَتَّى أَتِيَا

قوله: (نبوة في قول) قال شيخ الإسلام في شرحه على البخاري في كتاب العلم: واختلف في الخضر أهو نبي أو رسول أو ملك أو ولي. والصحيح أنه نبي واختلف في حياته والجمهور على أنه حي إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة اهـ.

قوله: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي ما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب اهـ يعضاوي .
قوله: ﴿عَلَّمَا﴾ مفعول ثانٍ لعلّمناه. قال أبو البقاء: ولو كان مصدرًا لكان تعليمًا. يعني: لأن فعله على فعلٍ بالتشديد وقياس مصدره التفعيل، ومن لدنا يجوز أن يتعلق بالفعل قبله أو بمحذوف على أنه حال من علمًا اهـ سمين .

قوله: (قام خطيباً) أي: واعظاً يذكر الناس حتى إذا فاضت العيون وركت القلوب، فقال رجل من بني إسرائيل: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ اهـ خازن .
وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى إلى مصر اهـ يعضاوي .

قوله: (فعتب الله عليه) في المختار: عتب عليه وجد وبابه ضرب ونصر، وقال الخليل: العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجهة اهـ.

قوله: (هو أعلم منك) أي: بأحكام وقائع مفصلة وحكم نوازل مغيبه لا مطلقاً، بدليل قول الخضر لموسى: إنك على علم علمكه الله لا أعلمه أنا وأنا على علم علمنيه لا تعلمه أنت، وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما أنه أعلم من الآخر بالنسبة إلى ما يعلمه كل واحد منهما ولا يعلمه الآخر، فلما سمع موسى هذا تشوقت نفسه الفاضلة وهمته العالية لتحصيل علم ما لم يعلم وللقاء من قيل فيه إنه أعلم فسأل سؤال الدليل بقوله: فكيف السبيل؟ فأمر بالارتحال على كل حال اهـ قرطبي .

قوله: (فكيف لي به) أي كيف السبيل لي بلقائه، أو فكيف يتيسر لي الظفر به اهـ شهاب .
قوله: (تأخذ معك حوتاً) لعل السر في تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله في البحر الذي هو مأواه في الأصل تأمل اهـ.

قوله: (فتجعله في مكمل) المكمل: الزنبيل بكسر الزاي من خوص النخل ويقال له القفه اهـ على الشبر املسي على الرملي .

قوله: (فأخذ حوتاً النخ) عبارة الخازن: فحملة خبزاً وسمكة مالحة في المكمل، وهو الزنبيل

الصخرة ووضعاً رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفته: ﴿آتَانَا غَدَاةَنَا﴾ إلى قوله ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: وكان للحوت سرباً ولموسى ولفته عجباً، الخ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ أي صواباً

الذي يسع خمسة عشر صاعاً ومضيا حتى انتهيا إلى الصخرة الخ انتهت.

قوله: (واضطرب الحوت) أي: بعد أن استيقظ يوشع وصار ينظر إليه اهـ شيخنا.

قوله: (جerie الماء) بكسر الجيم اهـ شهاب.

قوله: (مثل الطاق) الطاق: هو البناء المقوس كالقنطرة. وفي المختار: الطاق: ما عقد من الأبنية والجمع الطاقات والطيقان فارسي معرب اهـ شيخنا.

قوله: (حتى إذا كان من الغداة) كان تامة ومن الغداة فاعلها بزيادة من. أي: حتى إذا كان الغداة، وعبرة الخازن: فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغداة اهـ.

قوله: (قال موسى) أي بعد أن صليا الظهر. قوله: (قال وكان) أي: قال محمد ﷺ في شأن تفسير الآية وكان أي سبيله أو البحر للحوت سرباً ولموسى ولفته عجباً فقوله: ﴿قال﴾ من لفظ البخاري اهـ شيخنا.

قوله: ﴿على أن تعلمني﴾ حال من الكاف في هل أتبعك أي أتبعك حال كونك معلماً لي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رُشْدًا﴾ مفعول ثان لتعلمني لا لقوله: ﴿مما علمت﴾. قال أبو البقاء: لأنه عائد إذن على الذي يعني أنه إذا تعدى لمفعول ثان غير ضمير الموصول لم يجز أن يتعدى لضمير الموصول لثلاث يتعدى إلى ثلاثة، ولكن لا بد من عائد على الموصول اهـ كرخي.

ورشداً بفتحيتين لأنه من باب طرف، قول الشارح أرشد به بوزن أطرب أي اهتدى، وقوله: (وفي قراءة) وعليها فيكون مثل قعد يقعد فعلاً لا مصدراً فمصدره على الثانية رشداً بضم الراء وسكون الشين. وفي المختار: رشد من باب طرب، ويقال: رشد يرشد مثل قعد يقعد رشداً بضم الراء اهـ.

وفي البيضاوي: ﴿مما علمت رشداً﴾ أي علماً ذا رشد وهو إصابة الخير وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف، وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد، ويجوز أن يكون علة لأتبعك أو مصدراً بإضمار فعله، ولا يتنافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين، فإن الرسول يحب أن يكون أعلم ممن أرسل إليهم فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعاً، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بضع ما أنعم الله به عليه اهـ.

أرشد به وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا﴾ ﴿٦٨﴾ في الحديث السابق عقب هذه الآية: يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه، وقوله خبراً مصدر بمعنى لم تحط أي لم تخبر حقيقته ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْلَمُ﴾

وقوله: (ولا ينافي نبوته) الخ قد لمح الجلال إلى هذا بقوله: (وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة) اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (وسأله ذلك لأن الزيادة الخ) يشير بذلك إلى أنه لم يطلب على تلك المتابعة إلا التعليم، كأنه قال: لا أطلب منك على هذه المتابعة الجاه والمال ولا غرض لي إلا طلب التعليم، روي أنه لما قال له موسى: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً؛ قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً وبيني وإسرائيل شغلاً. فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا، فحيث قال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ﴾ الخ. واعلم أن المتعلم على قسمين: متعلم ليس عنده شيء من العلوم ولم يمارس الاستدلال ولم يتعود التقرير والاعتراض، ومتعلم حصل العلوم الكثيرة ومارس الاستدلال والاعتراض، ثم إنه يريد أن يخالط إنساناً أكمل منه ليلبغ درجة الكمال، فالتعلم في حق هذا القسم الثاني شاق شديد، لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً قريباً بما يكون ذلك منكراً بحسب الظاهر إلا أنه في الحقيقة صواب حق، وإلى ذلك أشار في التقرير اهـ.

قوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي لما ترى من مخالفة شرعك ظاهراً فنفي عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا تصح ولا تستقيم، وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا﴾ أي: وكيف تصبر وأنت نبي على ما ترى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم تحط بها خبرك، وخبراً تميز أو مصدر اهـ بوضاوي.

وفي الشهاب: والمراد من نفي الاستطاعة نفي الصبر، لأن الثاني لازم للأول على طريق الكناية، كما يدل عليه قوله ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ الخ اهـ.

ولم يقل الخضر إن شاء الله لأنه في مقام التعليم والمشاهدة بخلاف موسى فإنه في مقام التأديب والتقليد اهـ كرخي.

قوله: (إني على علم) وهو علم الكشف الذي تحصل به المفاضلة بين الكمل. فقد ورد أن الصديق ما فضل غيره من الصحابة بصلاة ولا غيرها من الأعمال، وإنما فضلهم بشيء أوفر في صدره وهو علم المكاشفة، وقوله: (وأنت على علم) وهو علم ظاهر الشريعة اهـ شيخنا.

قوله: (مصدر) أي فهو فعول مطلق ملاق لعامله في المعنى، لأن لم تحط بمعنى لم تخبر كما قال أي لم تعلم حقيقته، وفي المختار: خبر الأمر علمه وبابه نصر والاسم الخبر بالضم وهو العلم بالشيء، والخبير: العالم اهـ.

وقوله: (بمعنى لم تحط) بالباء كما في بعض النسخ، ويكون مراده بالمعنى معنى الفعل ومعموله، ولذا قال أي لم تخبر حقيقته. وفي بعض النسخ لمعنى باللام وتكون متعلقة بمحذوف تقديره

أَعَصَى ﴿٦٩﴾ أي وغير عاص ﴿لَكَ أَمْرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ تأمرني به وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَقَّقَ﴾ أَحَدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧١﴾ أي أذكره لك بعلته، فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَقَّقَ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿حَرَفَهَا﴾ الخضر

ملاق لمعنى لم تحط ومعناه هو لم تخبر اهـ.

قوله: (أي وغير عاص) أشار به إلى أن قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي﴾ معطوف على صابراً عطف فعل على اسم شبيه به فهو في حيز المشيئة اهـ شيخنا.

قوله: (أن لا يثقوا إلى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا ويركنوا فعدها بإلى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ أي شيء تشاهده من أفعالي أي: لا تفتاحني بالسؤال عن حكمته فضلاً عن المناقشة والاعتراض حتى أحدث لك منه ذكراً، أي: حتى أبتدىء ببيانه، وفيه إيذان بأن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة، وهذا من أدب المتعلم مع العالم، والتابع مع المتبوع اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة) أي: قرأ نافع وابن عامر بالهمز وتشديد النون، وباقي السبعة بالهمز وسكون اللام وتخفيف النون اهـ كرخي.

وفي السمين: وقرأ أبو جعفر هنا بفتح السين واللام وتشديد النون من غير همز اهـ.

قوله: (في علمك) أي بحسب علمك الظاهري، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾ قدره إشارة إلى أنه هو المغيبي بحتى اهـ شيخنا.

قوله: (بعلته) أي بوجهه وسببه الذي يبين لك الصواب في نفس الأمر، والباء بمعنى مع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ أي ومعهما يوشع، وإنما لم يذكر في الآية لأنه تابع لموسى، فالمقصود ذكر موسى والخضر اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال القشيري: والأظهر أن موسى صرف فتاه لما لقي الخضر. وقال شيخنا الإمام أبو العباس: يحتمل أن يكون اكتفي بذكر المتبوع عن التابع والله أعلم اهـ.

قوله: (يمشيان على ساحل البحر) أي يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها، فقال أهل السفينة: هؤلاء لصوص لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع وأمروهم بالخروج، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء. وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: مرت بهم سفينة فكلّموا أهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة، فجعلوهم بغير نول أي عوض، فلما لجوا أخذ الخضر فأساً وأخرج بها لوحاً من السفينة اهـ خازن.

بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللج ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَخْرِقْهَا لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا﴾ ﴿٧١﴾ أي عظيماً منكراً، روي أن الماء لم يدخلها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿قَالَ لَا تَأْخُذْ بَمَا نَسِيتُ﴾ أي غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تَرْهَقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ ﴿٧٣﴾ مشقة في صحبتي إياك أي عاملني فيها بالعفو واليسر ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة

قوله: (بفأس) جمعها فزوس، والمراد بها القدوم ما جاء في رواية، وقوله: (لما بلغت اللج) متعلق باقتلع أي لم يقتلع وهي عند الشط، بل حين بلغت اللج واللج باللجة بمعنى وهو الماء الغزير اهـ شيخنا.

وفي المختار: واللجة بالضم معظم الماء، وكذا اللج ومنه: ﴿في بحر لجي﴾ [النور: ٤٠] اهـ. قوله: (وفي قراءة بفتح التحتانية) أي سبعة. قوله: ﴿شَيْئاً إِمْرًا﴾ أي: شيئاً عظيماً يقال: أمر الأمر أي عظم اهـ سمين.

قوله: (روي أن الماء لم يدخلها) وروي أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرق اهـ خازن.

قوله: ﴿قَالَ لَا تَأْخُذْ بَمَا نَسِيتُ﴾ أي بالذي نسيت، أو بشيء نسيت يعني وصيته بأن لا يعترض عليه، أو بنسياني إياها، وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذه مع قيام المانع وهو النسيان لها، وقيل: أراد بالنسيان الترك أي لا تأخذني بما تركت أول مرة من وصيتك أول مرة، وقيل: إنه من معارضض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من أمري عسراً ولا تغشني عسراً بالمضايقة والمؤاخذه على المنسي، فإن ذلك يعسر على متابعتك. وعسراً مفعول ثان لترهقني فإنه يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه اهـ بيضاوي.

وفي المختار: رهقه غشيه وبابه طرب وأرهقه عسراً كلفه إياه اهـ.

وقوله: (من معارضض الكلام) أي أن موسى لم ينس الوصية المذكورة، لكن أورد الكلام في صورة دلت على النسيان ولم يقصد نسيان الوصية بل نسيان شيء آخر حتى لا يلزم الكذب اهـ كازورني.

والمعارضض: جمع معراض وهو التعريض والمراد به هنا التورية وإيهام خلاف المراد، فالمراد بما نسيه شيء آخر غير الوصية لكنه أوهم أنها المنسية اهـ شهاب.

قوله: (أي غفلت) في المصباح: غفلت عن الشيء غفولاً من باب قعد، وله ثلاثة مصادر: غفول وهو أهمها، وغفلة وزان تمرة، وغفل وزان سبب، والغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره، وقد تستعمل في ترك الشيء إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] اهـ.

يمشيان ﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا ﴾ لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً ﴿ فَقَتَلَهُ ﴾ الخضر بأن ذبحه بسكين مضطجعاً أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال، وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقى وجواب إذا ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ أَفَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ أي طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفي قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف ﴿ يَغْيِرُ نَفْسٍ ﴾ أي لم تقتل نفساً ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ ﴿ بِسُكُونِ الْكَافِ وَضَمِّهَا أَيْ مُنْكَرًا ﴾ ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَسْتَبِيعُ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا ﴾ ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ أي بعد هذه المرة ﴿ فَلَا تُصِجْنِي ﴾ لا تتركني أتبعك ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي ﴾ بالتشديد والتخفيف من قبلي ﴿ عَذْرًا ﴾ ﴿ في مفارقتك لي قوله: ﴾ لقياً غلاماً ﴿ قيل: كان اسمه شمعون اهـ قرطبي.

قوله: (ولم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة اليمين أي عدم البر فيها، فالمراد به هنا لازم المعصية وهو التكليف، والكلام على حذف المضاف أي لم يبلغ حد الحنث أي حد التكليف كما سيأتي له قريباً التعبير بهذا اهـ شيخنا.

قوله: (مع الصبيان) وكانوا عشرة. قوله: (أو اقتلع رأسه) أي بعد أن لوى عنقه اهـ شيخنا.

قوله: (وأتى هنا بالفاء العاطفة الخ) عبارة السمين: فإن قلت: لم قيل حتى إذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء، وحتى إذا لقياً غلاماً فقتله بالفاء. قلت: جعل خرقها جزاء للشرط، وجعل قتل الغلام من جملة الشرط معطوفاً عليه والجزاء قال: أقتلت: فإن قلت: لم خولف بينهما؟ قلت: لأن الخرق لم يعقب الركوب وقد عقب القتل لقاء الغلام اهـ.

قوله: (وفي قراءة زكية) أي: قراءة سبعية. قوله: ﴿ يَغْيِرُ نَفْسٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدهما: أنه متعلق بقتلت. الثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من الفاعل والمفعول أي قتلت ظالماً أو مظلوماً. كذا قدره أبو البقاء وهو بعيد جداً. الثالث: أنه صفة لمصدر محذوف أي قتلاً بغير نفس اهـ سمين.

قوله: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ ﴾ أي فعلت. قوله: (بسكون الكاف وضمها) سبعيتان. وفي السمين: نكراً قرأ نافع، وأبو بكر، وابن ذكوان بضميتين، والباقون بضممة وسكون وهما لغتان أو أحدهما أصل، وشيئاً يجوز أن يراد به المصدر أي مجيئاً نكراً وأن يراد به المفعول به أي جئت أمراً منكراً، وهل النكر أبلغ من الأمر أو العكس، فقيل: الأمر أبلغ لأن قتل أنفس بسبب الخرق أعظم من قتل نفس واحدة، وقيل: بل النكر أبلغ لأن معه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه ولذلك قال: ألم أقل لك ولم يأت بلك مع إمراً اهـ سمين.

قوله: (لعدم العذر) أي لعدم عذر موسى فزاد الخضر لك تحاملاً وتقريعاً لموسى اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: زاد فيه لك فكافحه بالعتاب على رفض الوصية ووسماً بقله الثبات والصبر لما تكرر منه الاشتمزاز والاستنكار، ولم يرعو بالتذكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة اهـ.

قوله: ﴿ قَدْ بَلَغْتَ ﴾ أي قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات اهـ بيضاوي.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية ﴿اَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلباً منهم الطعام بضيافة ﴿فَأَبَوَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتفاعه مائة ذراع ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ أي يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فَأَقَامَهُمُ﴾ الخضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾ وفي قراءة لاتخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾

قوله: ﴿من لدني﴾ العامة على ضم الدال وتشديد النون، وذلك أنهم أدخلوا نون الوقاية على لدن لتقيها من الكسر محافظة على سكونها كما حوفظ على سكون نون من وعن، فألحقت بهما نون الوقاية، فيقولون مني وعني بالتشديد ونافع بتخفيف النون، فالوجه فيه أنه لم يلحق نون الوقاية للدن اه سمين أي: بل حرك نونها بالكسر لمناسبة الياء.

قوله: ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ وكان إتيانهم لها بعد الغروب واللييلة باردة ممطرة اه شيخنا.

قوله: (هي أنطاكية) بالتخفيف. قوله: (بضيافة) أي على سبيل الضيافة اه شيخنا.

وقوله: ﴿استطعما أهلها﴾ جواب إذا وفي تكرير أهلها وجهان، أحدهما: أنه توكيد من باب إقامة الظاهر مقام المضمّر، والحكمة في ذلك أنه لو قال: استطعماها لم يصح لأنهما لم استطعما القرية أو استطعماهم، فكذا لأن جملة استطعما أهلها صفة لقرية. والثاني: أنه للتأسيس وذلك أن الأهل المأتين ليسوا جميع الأهل وإنما هم البعض، إذ لا يمكن أن يأتيا جميع الأهل في العادة في وقت واحد، فلما ذكر الاستطعام ذكره بالنسبة إلى جميع الأهل كأنهما تتبعوا الأهل واحداً واحداً، فلو قيل: استطعماهم لاحتمل أن يعود الضمير على ذلك البعض المأتي دون غيره فكرر الأهل لذلك اه كرخي.

وفي الخازن: وروي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أطعمتها امرأة من أهل بربرة بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما، فدعوا للنساءهم ولعنا رجالهم. وعن قتادة قال: شر القرى التي لا تضيف الضيف اه.

قوله: (ارتفاعه مائة ذراع) أي وعرضه خمسون ذراعاً وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع اه شيخنا.

قوله: ﴿يريد أن ينقض﴾ المراد لازم الارادة العرفي، وهو القرب من الشيء أي يقرب من السقوط كما قاله الشارح. قوله: ﴿فأقامه﴾ (الخضر بيده) أي بأن رفعه بها فاستقام. وعبرة البيضاوي: فأقامه بعمارته أي ترميمه وإصلاحه، وقيل: بعمود عمده به، وقيل: مسح بيده فقام، وقيل: نقضه وبناه اه.

قوله: ﴿قال لو شئت﴾ الخ أي: كان ينبغي لك أن تأخذ منهم جعلاً على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا اه شيخنا.

وفي البيضاوي: قال: لو شئت لتخذت عليه أجراً تحريضاً على أخذ الجعل ليتعشا به أو تعريضاً بأنه فضول لما في لو من النفي، كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه اه.

وقوله: (أو تعريضاً بأنه) أي: بأن الاشتغال بإصلاح الجدار فضول أي فعل زائد لا يهمنا وليس

جعلاً حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام ﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿هَذَا فِرَاقُ﴾ أي وقت فراق ﴿يَبْنِي وَيَنْتَكُ﴾ فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها لتكريره بالعطف بالواو ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقه لك ﴿بِنَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها

لنا فيه فائدة فهو من فضول العمل اهـ زاده .

وعن رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي موسى استعجل فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب» اهـ بيضاوي .

قوله: ﴿لَتُخَذَتِ﴾ بإظهار الدال وإدغامها في التاء، وقوله: (وفي قراءة) أي بالوجهين أيضاً، فالقراءات أربعة وكلها سبعة اهـ شيخنا .

قوله: (تكريره بالعطف الخ) والداعي إلى هذا التكرير التوصل للعطف على ضمير الخفض لأنه يجب عند العطف عليه إعادة الخافض، فكأنه قال: بيننا اهـ شيخنا .

قوله: ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي الأمور الثلاثة المتقدمة أي سأنبئك ببيان سر ووجه ما فعلت فيها . وفي الشهاب: المراد بالتأويل إظهار ما كان باطناً ببيان وجهه اهـ .

وفي القرطبي: المراد بالتأويل التفسير، وقيل: في تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر إنها حجة على موسى وعتب عليه، وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحاً في اليم، فلما أنكر من الغلام قيل له: أين إنكارك هذا من وكرك للقبطي وقضائك عليه، فلما أنكر إقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجر اهـ .

ثم قال: المسألة الخامسة . قيل: إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى: أوصني . قال: كن بساماً ولا تكن ضحاكاً، ودع اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران اهـ .

قوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ الخ في المصباح: السفينة معروفة، والجمع سفين بحذف الهاء وسفائن، ويجمع السفين على سفن بضممتين، وجمع السفينة على سفين شاذ لأن الجمع الذي بينه وبين واحده الهاء بابه المخلوقات مثل ثمرة وتمر ونخلة ونخل، وأما في المصنوعات مثل سفينة وسفين فمسموع في ألفاظ قليلة، ومنهم من يقول السفين لغة في الواحدة وهي فعيلة بمعنى فاعله كأنها تسفن الماء أي تقشره وصاحبها سفان اهـ .

قوله: ﴿لِمَسَاكِينٍ﴾ (عشرة) وكانوا إخوة، وكان منهم خمسة زمني جمع زمن أي قامت بهم الزمانة أي العاهة المانعة من الحركة، وخمسة أصحاب وهم الذين يعملون في البحر، ففي الكلام تغليب . وقوله: (مؤاجرة لها) أي حالة كونهم مؤاجرين لها لحمل الأمتعة ونحوها طلباً للكسب، وكانوا هم الذين يخدمونها لا المستأجرون اهـ شيخنا .

وفي القرطبي: قال كعب الأحبار وغيره: وكانت لعشرة إخوة من المساكين ورثوها من أبيهم

مؤاجرة لها طلباً للكسب ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ إذا رجعوا أو أمامهم الآن ﴿مَلِكٌ﴾ كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَضَبًا﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ ﴿وَأَمَّا الْفُلُفُلُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فإنه كما في حديث مسلم طبع كافراً ولو عاش

خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر، وقيل: كانوا سبعة بكل واحد منهم زمانة ليست بالآخر، وقد ذكر النقاش أسماءهم، فأما العمال منهم فأحدهم كان مجذوماً، والثاني كان أعور، والثالث كان أعرج، والرابع كان أدر، والخامس كان محموماً لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم، والخمسة الذين لا يطيعون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون، وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس إلى الروم ذكره الثعلبي اهـ.

قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي لأجل أن الملك إذا رآها تركها فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ جملة حالية بإضمار قد. قوله: (إذا رجعوا) من المعلوم أنه إذا كان وراءهم إذا رجعوا يكون الآن أي في حال توجيههم أمامهم، فلا يغير هذا القول ما بعده وعبارة غيره: وكان وراءهم أي في حال توجيههم لكنهم في رجوعهم يمرّون عليه فلا يكون أمامهم الآن، فعلية تظهر المغايرة اهـ.

وفي الكرخي: قوله: (إذا رجعوا أو أمامهم الآن) جواب سؤال هو أن وراء معناها في اللغة خلف ومن كان خلف لا يخشى منه. وإيضاحه: أن الخشية منه تكون إذا رجعوا عليه أو أن وراء بمعنى أمام وهو الظاهر فيخشى منه، ونظيره: من ورائه جهنم اهـ.

وفي القرطبي: ووراء أصلها بمعنى خلف، فقال بعض المفسرين: إنه كان خلفهم وكان رجوعهم عليه، والأكثر على أن معنى وراء هنا أمام، ويعضده قراءة ابن عباس وابن جبير: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً اهـ.

قوله: ﴿مَلِكٌ﴾ (كافر) وكان ملك غسان واسمه جيسور اهـ من القرطبي.

قوله: ﴿سَفِينَةٍ﴾ (صالحة) يعني صالحة، وأشار بهذا إلى أن في الكلام حذفاً وقدره صالحة أخذاً مما قبله وهي قراءة أبي وعبد الله، وخالف الظاهر في تقديم فأردت للعناية، ووجه العناية أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أنكر خرقها وقال: أخرجتها لتغرق أهلها اقتضى المقام الاهتمام لدفع منشأ أنكاره بأن الخرق لقصد التعيب لا لقصد التغريق فلا يرد السؤال، وهو أن قوله: (فأردت أن أعيبها) مسبب عن خوف الغضب لها، فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه على أن خوف الغضب ليس هو السبب وحده، ولكن مع كونها لمساكين اهـ كرخي.

قوله: ﴿فَخَشِينَا﴾ أي أن الله أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله، وقوله: ﴿أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ أن يكلمهما أي يوقعهما في الكفر بالطريق التي أشار لها بقوله (أي لمحبتهما له) الخ اهـ شيخنا.

لأرهمهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿رُحْمًا حَرًّا مِنْهُ زَكَاةٌ﴾ أي صلاحاً وتقى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا﴾ بسكون الحاء وضمها رحمة وهي البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبياً فولدت نبياً فهدى الله تعالى به أمة ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ مَالٍ مَدْفُونٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾

والخشية خوف سوء عظيم وأكثر ما تكون عن علم بما يخشى منه اهـ خازن.
قوله: (طبع كافر) أي خلق كافراً مجبولاً على الكفر حال ولادته وحال معيشته وحال موته:
ويكون ذلك مستثنى من حديث: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام» اهـ شيخنا.
وفي الشهاب: قال الإمام السبكي: ما فعله الخضر من قتل الغلام لكونه طبع كافراً مخصوص به لأنه أوحى إليه أن يعمل بحكم الباطن وخلاف الباطن الظاهر الموافق للحكمة فلا إشكال فيه، وإن علم من شرعنا أنه لا يجوز قتل صغير لا سيما بين أبوين مؤمنين، ولو فرضنا أن الله أطلع بعض أوليائه كما أطلع الخضر عليه السلام لم يجز ذلك. وقد أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبي ﷺ عن قتل أولاد الكفار فضلاً عن أولاد المؤمنين؟ فيكتب إليه ابن عباس ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتلهم اهـ.
وفي القرطبي: وكان للخضر قتله لما علم من سره وأنه طبع كافراً كما في صحيح الحديث، وأنه لو أدرك أبويه لأرهمهما كفراً. وقتل الصغير غير مستحيل إذا أذن الله فيه، فإن الله تعالى هو الفعال لما يريد القادر على ما يشاء. وفي كتاب العرائس: أن موسى لما قال للخضر: ﴿أَقْتُلْتُ نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ الآية. غضب الخضر واقتلع كنف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه، فإذا فيه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبداً اهـ.
قوله: (ولو عاش لأرهمهما ذلك) أي الكفر وقوله: (في ذلك) أي في الكفر.

قوله: ﴿أَنْ يُبْدِلَهُمَا﴾ قرأ أبو عمرو ونافع بفتح الباء وتشديد الدال من بدل هنا، وفي التحريم أن يبدله وفي القلم أن يبدلنا، والباقون بسكون الباء وتخفيف الدال من أبدل من المواضع الثلاثة، فقيل: هما لغتان بمعنى واحد اهـ سمين.

فقول الشارح بالتشديد والتخفيف سبعيتان. قوله: ﴿خَيْرًا مِنْهُ﴾ أي ولدًا خيراً منه، والتفضيل ليس على بابهِ وزكاة ورحماً منصوبان على التمييز، وقوله: (بسكون الحاء وضمها) سبعيتان. قوله: (جارية) أي بنتاً. وقوله: (تزوجت نبياً) الخ عبارة الخازن: قيل: أبدلها جارية فتزوجت نبياً من الأنبياء، فولدت له نبياً فهدى الله على يده أمة من الأمم، وقيل: ولدت له اثني عشر نبياً، وقيل: ولدت له سبعين نبياً، وقيل: أبدلها بغلام مسلم، وقيل: إن الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولوبقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب اهـ.

قوله: ﴿فَكَانَ لَغُلَامَيْنِ﴾ اسم أحدهما أصرم والآخر صريم، وقوله: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ وهي المعبر عنها فيما تقدم بالقرية تحقيراً لها لخسة أهلها وعبر عنها هنا بالمدينة تعظيماً لها من حيث اشتغالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ اختلف في الكنز، فقال عكرمة وقتادة: كان مالاً جسيماً وهو

فحفظاً بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي إيناس رشدتهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ مفعول له عامله أراد ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي اختياري بل بأمر إلهام من الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ

الظاهر من اسم الكنز، وهو في اللغة المال المجموع، وقال ابن عباس: كان علماً في صحف مدفونة، وعنه أيضاً قال: كان لوحاً من ذهب مكتوب في أحد جانبيه: بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله. وفي الجانب الآخر مكتوب: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يدي، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه اهـ من القرطبي والخازن.

قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ظاهر اللفظ أنه أبوهما حقيقة، وقيل: هو الأب السابع قاله جعفر ابن محمد، وقيل: العاشر فحفظاً فيه وإن لم يذكر بصلاح، وكان يسمى كاشحاً قاله مقاتل، واسم أمهما دنيا ذكره النقاش ففيه ما يدل على أن الله يحفظ الصالح في نفسه، وفي ولده وأن بعدوا عنه. وقد روي أن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته، وعلى هذا يدل قوله تعالى إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أَشُدَّهُمَا﴾ مفرد بمعنى القوة. وقيل: جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: جمع له واحد من لفظه. قيل: شد بكسر الشين، وقيل: شد بفتحها اهـ شيخنا.

وذكره الإيناس غير لائق هنا لأنه بمعنى العلم، فالمعنى عليه حتى يبلغا علم رشدتهما ولا معنى له فكان الأولى اسقاطه، ولم يذكره غيره من المفسرين فيما علمت، ويمكن أن يلتبس تصحيحه بأن يقال حتى يبلغا إيناس أشدهما أي حتى يبلغا أن يعلما إيناس أشدهما أي قوتهما وكمالهما تأمل.

قوله: ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ أي من تحت الجدار ولولا أني أقمته لانقض، وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية اهـ أبو السعود.

قوله: (أي اختياري) عبارة غيره: أي عن رأيي واجتهادي اهـ.

وهي أنسب بقوله: (بل بأمر إلهام) الخ. وعبرة الخازن: وما فعلته عن أمري أي عن اختياري ورأيي، بل فعلته بأمر الله وإلهامه إياي لأن تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم وتغيير أحوالهم لا يكون ذلك إلا بالنص وأمر الله تعالى، واستدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ على أن الخضر كان نبياً لأن هذا يدل على الوحي وذلك للأنبياء، والصحيح أنه ولي الله وليس بنبي. وأجيب عن قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ بأنه إلهام من الله تعالى له بذلك وهذه درجة الأولياء، وقيل: معناه إنما فعلت هذه الأفعال لغرض أن تظهر رحمة الله لأنها بأسرها ترجع إلى معنى واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى اهـ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي ما ذكره من الأجوبة الثلاثة تأويل ما أي تأويل الأمور والوقائع الثلاثة اهـ

شيخنا.

صَبْرًا ﴿٨٢﴾ يقال استطاع واستطاع بمعنى أطاق ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في فأردت فأردنا فأراد ربك ﴿وَيَسْتَلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر ولم يكن

قوله: (يقال استطاع) أصله استطاع فحذفت منه تاء الافتعال، ومضارعه يستطيع وأصله يستطيع بوزن يستقيم فحذفت منه التاء أيضاً أه شيخنا.

قوله: (ونوعت العبارة الخ) أي أن هذا التغاير في التعبير في المواضع الثلاثة لتنوع العبارة، وهذا معنى قول غيره للتفنن وبعضهم أبدى حكمه في اختلاف التعبير وهي أن الأول لما كان إفساداً محضاً عبر فيه بقوله: (فأردت أدباً مع الله) والثالث: لما كان إصلاحاً محضاً ونعمة من الله عبر فيه بقوله: (فأراد ربك) والثاني: لما كان فيه نوع إفساد ونوع إصلاح عبر فيه بقوله: (فأردنا) الخ أه شيخنا.

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي سؤال تعنت عن ذي القرنين أي الأكبر، وهو ولي الله تعالى من أولاد سام بن نوح، وكان ابن عجوز ليس لها غيره، وكان أسود اللون، وكان على شريعة إبراهيم الخليل، فإنه أسلم على يديه ودعا له وأوصاه بوصايا، وكان يطوف معه وكان الخضر وزيره فكان يسير معه على مقدمة جيشه، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر، فإنه من ولد العيص بن إسحاق وكان كافراً عاش ألفاً وستمائة سنة، وكان قبل المسيح بثلاثمائة سنة أه شيخنا.

وفي القرطبي: وقال وهب بن منبه: كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره، وكان اسمه إسكندر فلما بلغ كان عبداً صالحاً قال الله تعالى: يا ذا القرنين إني باعتك إلى أمم الأرض، وهم أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع الأرض وهم أصناف أمتان بينهما طول الأرض كلها، وأمتان بينهما عرض الأرض كلها، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها هاويل، وأمة في قطر الأرض الأيسر يقال لها تأويل، وأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مطلع الشمس يقال لها منسك، وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك. فقال ذو القرنين: إلهي لقد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرني عن هذه الأمم بأي قوة أكاثرتهم، وبأي صبر أقاسيهم، وبأي لسان أناطقهم، وكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس لي قوة؟ فقال الله تعالى: سأظفرك بما حملتك أشرح لك صدراً فتسمع كل شيء وأثبت لك فهماً فتفقه كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جنداً من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك. فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه، فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس لأنها كانت أقرب الأمم منه وهي ناسك، فوجد جنوداً لا يحصيها إلا الله تعالى، وقوة وبأساً لا يطيقه إلا الله تعالى، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة فكاثرتهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من جند الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته، فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه فأدخل على الذين تولوا الظلمة غشيتهم من كل مكان فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتحيروا وهاجوا وأشفقوا أن يهلكوا فعجوا إلى الله بصوت

نبياً ﴿قُلْ سَأَتْلُوا﴾ ساقص ﴿عَلَيْكُمْ مِنَّهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾

واحد: إنا آما فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا في دعوته، فوجد من أهل المغرب أمماً عظيمة فجعلهم جنداً واحداً، ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويدله، وهو يسير من ناحية الأرض الأيمن وهي هاوي، وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطيء إذا عمل عملاً، فإذا أتوا مخاضة أو بحراً بنى سقفاً من ألواح صغار أمثال النعال فيضمها في ساعة يحمل عليها جميع من معه من تلك الأمم، فإذا قطع البحار والأنهار فتقها ودفع إلى كل رجل لوحاً فلا يكثر بحمله فأنتهى إلى هاويل ففعل بهم كفعله بناسك فآمنوا، ففرغ منهم وأخذ جيوشاً منهم وانطلق في ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجد منها جنوداً كفعله في الأول ثم كرّ مقبلاً حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى يريد تأويل وهي الأرض التي تقابل هاويل بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفعله فيما قبلها، ثم عطف على الأمم التي في وسط الأرض من الإنس والجن ويأجوج ومأجوج. فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس: ياذا القرنين أن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للإنس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون دواب الأرض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق تنمي نماءهم في العام الواحد، فإذا طالت المدة سيملؤون الأرض ويجلون أهلها أي يخرجونهم منها، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً. وذكر الحديث، وسيأتي في موضعه، وسيأتي فيه بعض صفة يأجوج ومأجوج والترك إذ هم نوع منهم ما فيه كفاية اهـ.

قوله: (اسمه الإسكندر) وهو الذي بنى الإسكندرية وسماها باسمه. وأما ذو القرنين؛ فلقبه لقب به لما قيل من أنه كان له في رأسه قرنان صغيران، والخضر ابن خالته اهـ شيخنا.

وقيل: سمي ذا القرنين لأنه أعطى علم الظاهر والباطن، وقيل: لأنه دخل الظلمة والنور، وقيل: لأنه ملك فارس والروم اهـ قرطبي.

وعبارة الكرخي: قوله: (اسمه الإسكندر) أي اليوناني على الأصح، وهو الذي طاف بالبيت مع إبراهيم عليه السلام وكان وزيره الخضر، وقيل: هو الرومي الذي كان قبل المسيح بثلاثمائة سنة وزيره أرسطو اهـ.

وفي القرطبي: واختلفوا أيضاً في وقت زمانه فقال قوم: كان بعد موسى، وقال قوم: كان في الفترة بعد عيسى، وقال قوم: كان في وقت إبراهيم وإسماعيل وكان الخضر صاحب لوائه الأعظم، وقد ذكرناه في البقرة. وبالجمله؛ فإن الله تعالى مكنه وملكه ودانت له الملوك، فقد روي أن الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود والإسكندر، والكافران نمرود وبختنصر. وسيملكها من هذه الأمة خامس لقوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ [التوبة: ٣٣] والفتح: ٢٨ والصف: ٩] وهو المهدي اهـ بحروفه.

قوله: ﴿إنا مكننا له في الأرض﴾ أي: مكنّا له أمره من التصرف فيها كيف يشاء فيحذف المفعول اهـ بياضوي.

بتسهيل السير فينا ﴿وَأَيِّنَّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَّأً﴾ طريقاً إلى مراده ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقاً نحو المغرب ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَقَرُّبٌ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات

قوله: (بتسهيل السير الخ) ومن جملة تسهيله أن بسط الله عليه النور فكان أمامه والظلمة خلفه، وكان الليل والنهار عليه سواء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وَأَيِّنَّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَّأً﴾ قال ابن عباس: من كل شيء علماً يتسبب إلى ما يريد، وقال أيضاً: إبلاغاً إلى حيث أراد، وقال أيضاً: من كل شيء يحتاج إليه الخلق، وقيل: من كل شيء يستعين به الملوك على فتح المدائن وقهر الأعداء، وأصل السبب الحبل ثم استعير إلى كل ما يتوصل به إلى شيء اهـ قرطبي.

قوله: (طريقاً يوصله) كآلات السير وكثرة الجند، وقوله: (إلى مراده) أن يستقصي بقاع الأرض ليملاها عدلاً، وكان مراده أيضاً أن يصل إلى عين الحياة، فلما استقصى في السير دخل في ظلمة فظفر الخضر بها فاغتسل وشرب منها، فلذلك لم يمض إلا بالنفخة الأولى، وذو القرنين لم يظفر بها مع أنه كان مصاحبه، فلذلك اعتراه الموت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمر، وابن عامر فاتبع ثم اتبع في المواضع الثلاثة بهزمة وصل وتشديد التاء، والباقون بقطع الهزمة وسكون التاء فقليل: هما بمعنى واحد فيتعديان لمفعول واحد، وقيل: أتبع بالقطع متعدي لاثنتين حذف أحدهما تقديره فاتبع سبباً سبباً آخر أو فاتبع أمره سبباً ومنه وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة فعده لاثنتين، ومن حذف أحد المفعولين قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُمْ مَشْرِقِينَ﴾ أي أتبعوا جنودهم. واختار أبو عبيد اتبع بالوصل قال: لأنه من المسير. قال: تقول تبعث القوم وأتبعتهم، فأما الإتيان بالقطع فمعناه اللحاق كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ شُهَابٌ ثاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. وقال يونس، وأبو زيد: أتبع بالقطع عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب، وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات اهـ سمين.

قوله: (موضع غروبها) المراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل إلى ساحل البحر المحيط، فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها رأى الشمس عند غروبها كأنها تغرب في نفس الماء على العادة من أن الشخص إذا كان في البحر يرى الشمس كأنها تغرب فيه، وهو أي البحر المحيط عين ماء بالنسبة إلى ما هو أعظم منه في علم الله اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ لعله بلغ ساحل البحر المحيط فراها كذلك إذ لم يكن في مفتح بصره غير الماء، ولذلك قال: وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب اهـ.

وقوله: (لعله بلغ ساحل البحر المحيط الخ) جواب سؤال مقدر، وهو أن يقال: قد تقرر أن الشمس في السماء الرابعة، ولها فلك خاص يدور بها في السماء وجرمها أكبر من الأرض بمرات، فكيف يمكن غروبها ودخولها في عين ماء بالأرض؟ وتقرير الجواب أن الله تعالى لم يخبر بأن غروبها في الحقيقة في عين حمئة، وإنما أخبر بأنه يجدها، ويظن أنها تغرب فيها حيث قال: ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ فإنه لما بلغ موضعاً من المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها

حمأة وهي الطين الأسود وغروبها في العين في رأي العين وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿وَجَدَ

تغرب في هذه العين المظلمة وإن لم تكن كذلك في الحقيقة اهـ زاده .

أي: فلما بلغ ساحل البحر المحيط من جهة المغرب وهو شديد السخونة كثير الحمأة وجد الشمس كأنها تغيب في ذلك البحر، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغيب فيه إذا لم ير الشط، وتسمية البحر المحيط عيناً لا محذور فيه خصوصاً وهو بالنسبة لعظمة ما في علم الله كقطرة اهـ شهاب .

وفي القرطبي: وقال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها ومسها لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض لأنها أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، ولهذا قال: وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليه . وقال القتيبي: ويجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها أو عندها أو معها فيقام حرف الصفة مقام صاحبه والله أعلم اهـ .

قوله: ﴿حمئة﴾ قرأ ابن عامر، وأبو بكر، والأخوان: حامية بالألف وياء صريحة بعد الميم، والباقون: دون ألف وبهمزة بعد الميم . فأما القراءة الأولى فإنها اسم فاعل من حمى يحمى والمعنى في عين حارة، واختارها أبو عبيد قال: لأن عليها جماعة من الصحابة وسماهم . وأما الثانية: فهي من الحمأة وهي الطين، وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية، فقال ابن عباس: حمئة فسأل معاوية ابن عمر: كيف تقرأ؟ فقال: كقراءة أمير المؤمنين فبعث معاوية يسأل كعباً فقال: أجدها تغرب في ماء وطن فوافق ابن عباس، ولا تنافي بين القراءتين، لأن العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكونها من طين اهـ سمين .

وفي المصباح: والحمأة: بسكون الميم طين أسود، وحمئت البثر حمأً من باب تعب صار فيها الحمأة وحميت الحديد تحمى من باب تعب فهي حامية إذا اشتد حرها بالنار، ويتعدى بالهمزة فيقال: أحميتها فهي محماة ولا يقال حميتها بغير ألف اهـ .

قوله: (وغروبها في العين) أي الحمئة في رأي العين أي الباصرة، وهذا إشارة إلى جواب ما قيل: الشمس في السماء الرابعة بقدر كرة الأرض مائة وستين أو وخمسين أو عشرين مرة، فكيف تسعها عين في الأرض تغرب فيها؟ وإيضاحه: أن الوجدان باعتبار ظنه ومطمح نظره لا حقيقته كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه، فذو القرنين انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب فوجد عيناً واسعة فظن أن الشمس تغرب فيها، وأيضاً فالله تعالى قادر على تصغير جرم الشمس وتوسيع العين وكرة الأرض بحيث تسع عين الماء عين الشمس، فلم لا يجوز ذلك وإن كنا لا نعلم به لقصور عقولنا عن الإحاطة بذلك، وأيضاً الأنبياء والحكماء لا يبعد أن يقع منهم مثل ذلك . ألا ترى إلى ظن موسى فيما أنكره على الخضر اهـ كرخي .

عندها ﴿أَيُّ الْعَيْنِ﴾ ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿قُلْنَا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ ﴿بِإِلْهَامٍ﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ ﴿بِالْقَوْمِ بِالْقَتْلِ﴾ ﴿وَلَمَّا أَنْ تَخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ﴿بِالْأَسْرِ﴾ ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ﴿بِالشَّرْكِ﴾ ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ ﴿نَقْتُلُهُ﴾ ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا﴾ ﴿بِسُكُونِ الْكَافِ وَضَمِّهَا شَدِيدًا فِي النَّارِ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ﴾ ﴿أَيُّ الْجَنَّةِ﴾، والإضافة للبيان، وفي قراءة بنصب جزاء وتنوينه. قال الفراء ونصبه على التفسير أي لجهة النسبة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ آتٍ﴾ ﴿أَيُّ نَأْمُرُهُ بِمَا يَسْهَلُ عَلَيْهِ﴾ ﴿ثُمَّ أُنْعِمُ سَبَابًا﴾ ﴿نَحُو الْمَشْرِقِ﴾

قوله: (ولاً فهي) أي الشمس أعظم من الدنيا أي بمسيرة اثني عشر ألف عام على ما قيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قَوْمًا﴾ (كافرين) هذا صريح في أنهم كانوا كفاراً من قبل مجيئه لهم، وعبرة البيضاوي: وكانوا كفاراً اهـ.

ومن المعلوم أن الكفر إنما يتحقق بعد بعثة رسول وعدم إيمانهم به ولينظر أي رسول أرسل إلى هؤلاء حتى كفروا به هذا، والأظهر أنهم كانوا أهل فترة لم يرسل إليهم أحد، ولما جاءهم ذو القرنين دعاهم إلى ملة إبراهيم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر تأمل. وكان هؤلاء القوم في مدينة لها اثنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط، وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك اهـ شيخنا. وكان لباسهم جلود الوحوش اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ أي: قال الله له، وقوله: ﴿بِإِلْهَامٍ﴾ أي لأنه كان ولياً كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ الخ يجوز في أن تعذب الرفع على الابتداء والخبر محذوف أي: إما تعذيبك واقع، أو الرفع على خبر مبتدأ مضمرة أي هو تعذيبك، والنصب أي إما أن تفعل أن تعذب أي التعذيب اهـ أبو السعود.

ويجوز أن تكون إما للتقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان، فالأول لمن أصر على الكفر، والثاني لمن تاب منه، ونداء الله إياه إن كان نبياً فبوحى، وإن كان غيره فبالهام أو على لسان نبي اهـ بيضاوي.

قوله: (بالأسر) أي: فإنه إحسان بالنسبة للقتل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي استمر على ظلمه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثُمَّ يَرَدُّ﴾ أي في الآخرة. قوله: (بسكون الكاف وضمها) سبعيتان. قوله: (ونصبه على التفسير) أي التمييز لجهة النسبة أي نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء تأمل.

قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ﴾ أي لمن آمن تأمل.

قوله: ﴿ثُمَّ أُنْعِمُ سَبَابًا﴾ تقدم أن أنعم واتبع بمعنى أي سلك طريقاً وسار حتى إذا بلغ مطلع الشمس الخ اهـ قرطبي.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ موضع طلوعها ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ هم الزنج ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا ﴾ أي الشمس ﴿ سِتْرًا ﴾ من لباس ولا سقف لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي الأمر كما قلنا ﴿ وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ ﴾ أي عند

وفي الخطيب: ثم أتبع لإرادة بلوغ مشرق الشمس سبباً من جهة الجنوب يوصله إلى المشرق واستمر فيه لا يمل ولا تغلبه أمة مرَّ عليها حتى إذا بلغ في مسيره ذلك مطلع الشمس الخ اهـ.

قوله: ﴿ مطلع الشمس ﴾ يعني: الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً من المعمور اهـ يضاوي.

وقيل: بلغه في اثنتي عشرة سنة، وقيل: في أقل من ذلك بناء على أنه سخر له السحاب وطويت له الأسباب اهـ أبو السعود.

قوله: (هم الزنج) بكسر الزاي وفتحها. قوله: (ولا سقف) أي: ولا أشجار ولا جبال. قوله: (لأن أرضهم لا تحمل بناء) أي: لرخاوتها أو لأنها لا جبال فيها فتميد بأهلها ولا تستقر كما في التيسير وقد أشار في تقريره إلى أن المنفي هو الستر المتعارف من اللباس والأبنية، والأسراب ليست منهما، والنكرة المنفية وإن كانت من صيغ العموم يخصصها العرف كما عرف اهـ كرخي.

وعبارة الخطيب: وقوله: ﴿ لم نجعل لهم من دونها ستراً ﴾ فيه قولان، الأول: أنه لا شيء لهم من سقف ولا جبل يمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم، لأن أرضهم لا تحمل بناء. قال الرازي: ولهم سرب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند غروبها، فيكونون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش، وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش وحالهم بالضد من أحوال الخلق. وقال قتادة: يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنه خرجوا فرعوا كالبهائم. والثاني: أن معناه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً. وفي كتب الهيئة أن أكثر حال الزنج كذلك، وحال كل من سكن البلاد القريبة من خط الاستواء، كذلك قال الكلبي: هم عراة يفرش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، وقال الزمخشري: وعن بعضهم قال: خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقبل لي: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فبلغتهم وإذا أحدهم يفرش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كهية الصلصلة فغشي علي ثم أفقت فلما طلعت الشمس فإذا هي فوق الماء كهية الزيت، فأدخلوني سرباً لهم، فلما طلع النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم. وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض اهـ.

قوله: (ولهم سروب) جمع سرب وهو الشق في الأرض اهـ شيخنا.

وقوله: (عند طلوع الشمس) أي يغيبون فيها نهاراً، وقوله: (عند ارتفاعها) أي عند زوالها عنهم وذلك في الليل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ كذلك ﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره الشارح بقوله (أي الأمر)، كما قلنا أي الأمر كما قلناه وحكيانه في شأنه، وقوله: ﴿ وقد أحطنا ﴾ الخ مستأنف اهـ شيخنا.

ذِي الْقَرْنَيْنِ مِنَ الْآلَاتِ وَالْجِنْدِ وَغَيْرَهُمَا ﴿خَبْرًا﴾ ﴿١١﴾ عِلْمًا ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبِيًّا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿حَقَّقْ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ بَفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا هُنَا وَبَعْدَهُمَا جِبْلَانِ بِمَنْقَطْعِ بِلَادِ التُّرْكِ سَدَ الْإِسْكَندَرِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا

وعبارة الخازن: كذلك أي كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها، وقيل: معناه أنه حكم في القوم الذين عند مطلع الشمس كما حكم في الذين عند مغربها وهو الأصح اهـ.

وفي البيضاوي: كذلك أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك، أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار اهـ.

قوله: ﴿خَبْرًا﴾ (علمًا) أي علمًا تعلق بظواهره وخفائيه، والمعنى أن كثرة ذلك بلغت مبلغًا لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير اهـ خطيب.

قوله: ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبِيًّا﴾ أي ثم إن ذا القرنين لما بلغ المشرق والمغرب أُنْبِئَ سَبِيًّا آخر من جهة الشمال في إرادة ناحية السد مخرج يأجوج ومأجوج، واستمر أخذًا فيه حتى إذا بلغ في مسيره ذلك بين السدين أي الجبلين، وهما جبلا أرمنية وأذربيجان. وقيل: جبلان في أواخر الشمال، وقيل: هذا المكان في منقطع بلاد الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج. قال الرازي: والأظهر أن موضع السد في ناحية الشمال سد الإسكندر ما بينهما اهـ خطيب.

قوله: ﴿بَيْنَ السَّدَيْنِ﴾ مفعول به وهو من الظروف المتصرفة ببيضاوي.

قوله: (هنا) أي في الآية وبعد أي في قوله الآتي (على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا)، وفي سورة يس: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٩] فهذه المواضع كلها تقرأ بفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا لِلْسَّبْعَةِ اهـ شيخنا.

قوله: (جبلان) أي عاليان جداً أملسان لا يستطيع الصعود عليهما كالسد الآتي، ويسمى كل واحد منهما سدًا لأنه سد فجاج الأرض، وقوله: (بمنقطع) بفتح الطاء والباء بمعنى في، ومنقطع الشيء آخره أي في آخر بلاد الترك اهـ شيخنا.

وفي المصباح: ومنقطع الشيء بصيغة البناء للمفعول حيث ينتهي إليه طرفه نحو منقطع الوادي والرمل والطريق، والمنقطع بالكسر اسم الشيء نفسه فهو اسم عين والمفتوح اسم معنى اهـ.

وفي الشهاب: وإطلاق السد على الجبل لأنه سد في الجملة، وفي القاموس: السد الجبل والحاجز أو لكونه ملاصقًا للسد فهو مجاز بعلاقة المجاورة، والقول الثاني هو المناسب لما قبله اهـ شهاب.

قوله: (سد الإسكندر ما بينهما) أي الفتحة التي بينهما وطولها مائة فرسخ، وليس ليأجوج ومأجوج طريق يخرجون منها إلى أرض العماراة إلا هذه الفتحة، ومسكنهم وراء هذين الجبلين وأرضهم متسعة جداً تنتهي إلى البحر المحيط. وقد قال بعضهم: مسافة الأرض بتمامها خمسمائة عام: ثلاثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج: تبقى عشرة سبعة للحبشة، وثلاثة لجملة الخلق غيرهم اهـ شيخنا.

سيأتي ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ أي أمامهما ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يفهمونه إلا بعد بطاء، وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركه هما اسمان

قوله: (أي أمامها) أي من جهته أي خارجة عنهما لا داخلية يأجوج ومأجوج اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: ﴿وجد من دونهما﴾ أي بقربهما من الجانب الذي هو أدنى منهما إلى الجهة التي أتى منها ذو القرنين. ﴿قوماً﴾ أي: أمة من الناس لغتهم في غاية البعد من لغات بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد. ﴿لا يكادون﴾: أي لا يقربون يفقهون أي يفهمون قولاً ممن مع ذي القرنين فهماً جيداً كما يفهم غيرهم لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم اهـ.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية بضم الياء وكسر القاف. أي: لا يفقهون غيرهم أي: لا يفهمون غيرهم شيئاً لشدة عجمتهم فكلامهم مغلق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قالوا يا ذا القرنين﴾ أي قال مترجمهم كما في البيضاوي، وذلك لأنهم من أولاد يافث بن نوح، وذا القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم، وإنما كان لهم مترجم يعرف كلًّا من لغتي أولاد يافث وأولاد سام، وقيل: خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم كرامة له اهـ شيخنا.

وفي الخازن: فإن قلت: كيف أثبت لهم القول وهم لا يفقهون؟ قلت: تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم. وقيل: معناه لا يكادون يفقهون إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الآخرس اهـ.

قوله: ﴿إن يأجوج ومأجوج﴾ قرأ عاصم بالهمزة الساكنة، والباقون بألف صريحة واختلف في ذلك فقيل: هما أعجميان لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة، ويحتمل أن تكون الهمزة أصلاً والألف بدلاً عنها أو بالعكس، لأن العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية وقيل: بل هما عربيان. واختلف في اشتقاقهما فقيل: اشتقاقهما من أجيح النار وهو التهابها وشدة توقدها وقيل: من الأوجه وهي الاختلاط أو شدة الحر، وقيل: من الأوج وهو سرعة العدو. اهـ سمين.

وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم. قيل: إن طائفة منهم خرجت تغير على الناس، فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك بذلك يعني لأنهم تركوا خارجين. قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والبربر وصقالبة ويأجوج ومأجوج: قال ابن عباس: هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء.

وروى حذيفة مرفوعاً: أن يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح، وهم من ولد آدم يسرون إلى خراب الدنيا. وقال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز شجرة بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات

أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَهَلْ يُعْمَلُ لَكَ خَيْرًا﴾ جعلاً من المال وفي قراءة خراجاً ﴿عَلَّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزاً فلا يصلون إلينا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ وفي قراءة بنونين من غير إدغام ﴿فِيهِ رَيْيٌ﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه وأجعل لكم السد تبرعاً ﴿فَأَعِثُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه منكم

منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقطهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية. وعن علي قال: منهم من هو طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول، وقال كعب: هم نادرة في أولاد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم اه خازن.

وهم كفار دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان ليلة الإسراء فلم يجيبوا اه شيخنا.

وفي القاموس: والأرز ويضم شجر الصنوبر أو ذكره اه.

قوله: (فلم ينصرفا) أي للعلمية والعجمة. قوله: ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم، فلقوا منهم أذى شديداً. وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس، وقيل: معناه أنهم سيفسدون بعد خروجهم اه خازن.

قوله: (عند خروجهم) أي من هذه الفتحة اه شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة خراجاً.

قوله: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ﴾ ما: موصولة مبتدأ وخبر خبرها اه شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعة بنونين. قوله: (وغیره) كالملك. قوله: (وأجعل لكم السد تبرعاً) روي أنه قال لهم: أعدوا لي الصخر والحديد النحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا، لهم مخالب وأضراس كالسباع، ولهم شعر يوارى أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفتش إحداهما ويلتحف بالأخرى، يصيف في واحدة ويشتي في الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا، فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف إلى بين الصدفين ففاس ما بينهما وحفر له أساساً حتى بلغ الماء اه خازن.

فبنى الجدار بالصخر والنحاس المذاب، فلما وصل إلى ظاهر الأرض بنى بقطع الحديد اه شيخنا.

قوله: (لما أطلبه) قال القاري: الأولى بما كما في بعض النسخ لأنه تفسير لقوله ﴿بِقُوَّةٍ﴾ اه شيخنا.

وفي الخازن: ﴿فَأَعِثُونِي بِقُوَّةٍ﴾. يعني: لا أريد المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم. قالوا: وما

﴿أَجْعَلْ يَنْتَكُرُ وَيَنْتَهُمُ رَدْمًا ۝٩٥﴾ حاجزاً حصيناً ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعه على قدر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ أَنفِخُوا﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي الحديد ﴿نَارًا﴾ أي كالنار ﴿قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ۝٩٦﴾ هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثاني فأفرغ النحاس المذاب على

تلك القوة؟ قال: فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة. قالوا: وما تلك الآلة؟ قال: آتوني زبر الحديد أي قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب على الحديد والحديد على حطب اهـ.

قوله: ﴿رَدْمًا﴾ هو أبلغ من السد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿آتُونِي﴾ قرأ أبو بكر اتنوني بهمزة وصل من أتى يأتي في الموضعين من هذه السورة بخلاف عنه في الثاني، ووافقه حمزة على الثاني من غير خلاف عنه، والباقون بهمزة القطع فيهما، فزبر على قراءة همزة الوصل منصوبة على إسقاط الخافض أي جيئوني بزبر الحديد، وفي قراءة قطعها على المفعول الثاني، لأنه يتعدى بالهمزة إلى اثنين، وعلى قراءة أبي بكر يحتاج إلى كسر التنوين من ردماً لالتقاء الساكنين، لأن همزة الوصل تسقط درجاً فيقرأ له بكسر التنوين وبعده همزة ساكنة هي فاء الكلمة وإذا ابتدأت بكلمتي اتنوني في قراءته وقراءة حمزة تبدأ بهمزة مكسورة للوصل ثم ياء صريحة هي بدل عن همزة فاء الكلمة وفي الدرج تسقط همزة الوصل فتعود الهمزة لزوال موجب إبدالها، والباقون يبتدئون ويصلون بهمزة مفتوحة لأنها همزة قطع ويتركون تنوين ردماً على حاله من السكون، وهذا كله ظاهر لأهل النحو خفي على القراء. والزبر جمع زبرة كغرفة وغرف اهـ.

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ﴾ غاية في هذا الذي قدره الشارح، وهو قوله: (فبنى بها) الخ اهـ.

قوله: (بضم الحرفين) القراءات الثلاث سبعة، وقرأ أبو جعفر، وشيبة، وحميد: بالفتح والإسكان والماجشون: بالفتح والضم، وعاصم في رواية بالعكس اهـ سمين.

وسميت كل ناحية من الجبلين صدفاً لكونه مصادفاً ومقابلاً للآخر من قولك: صادفت الرجل أي لاقيته اهـ زاده.

وفي البيضاوي: ﴿وَالصَّدَفَيْنِ﴾ من الصدف وهو الميل، لأن كلا منهما منعزل عن الآخر، ومنه التصادف للتقابل اهـ.

قوله: (أي جانبي) في نسخة حافتي الجبلين، وقوله: (بالبناء) متعلق بساوى. قوله: (ووضع المنافخ) جمع منفخ كمنبر، ويقال فيه: منافخ، ويجمع على منافخ كمفتاح ومفاتيح اهـ.

قوله: ﴿قَالَ أَنفِخُوا﴾ مرتب على هذا المقدر، وهو قوله: (ووضع الخ) المعطوف على ساوى، وقوله: (فنفخوا) وهذه كرامة لذي القرنين حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذي ينفخون ويفرغون القطر مع أنه كالنار، ومع أن الحديد المصبوب عليه كالنار أو أصعب، فلم تصبهم حرارة النار مع قربهم منها اهـ خازن.

الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار شيئاً واحداً ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ يَقْبَا﴾ خرَقاً لصلابته وسمكه ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَذَا﴾ أي السد أي الإقذار عليه ﴿رَحْمَةً مِنِّي﴾ نعمة لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مذكوكاً مبسوطاً ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم

قوله: (فدخل بين زبره) أي: قطعه أي مكان الحطب والفحم الذي كان بينها، فلما أكلته النار بقي ما بينها خالياً فأفرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ الخ فجاء يأجوج ومأجوج يقصدون أن يعلوه أو يثقبوه فما استطاعوا الخ اهـ شيخنا.

قوله: (لارتفاعه) فكان ارتفاعه مائتي ذراع، وقوله: (وملاسته) فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره، وقوله: (وسمكه) أي ثخنه أي عرضه وكان خمسين ذراعاً، وتقدم أن سعة الفتحة التي بين الجبلين مائة فرسخ، فيكون طول السد وامتداده على وجه الأرض مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف. فتكون مسيرته مائة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوماً ونصفاً فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر تأمل.

وروى الشيخان عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال في السد: «يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً»، قال: «فيعيده الله كأشد مما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله تعالى واستثنى» قال: «فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرجون منه على الناس فيستسقون المياه وتنفر الناس منهم» اهـ خازن.

وهذا لا ينافي ما في الآية من قوله: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ لاحتمال أن يصير دكاً بعد خرقهم له تأمل.
قوله: (نعمة) أي على جميع الخلق.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: وقت وعد ربي، فالكلام على حذف مضاف كما في الكرخي.

قوله: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ الظاهر أن الجعل هنا بمعنى التصيير، فيكون دكاً مفعولاً ثانياً، وجوز ابن عطية أن يكون حالاً وجعل بمعنى خلق، وفيه بعد لأنه إذ ذاك موجود. وقد تقدم خلاف القراء في دكاء في الاعراف اهـ سمين.

قوله: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ فيخرجون على الناس فيشربون المياه وتنفر الناس منهم فيهربون في حصونهم فيرمون بسهام إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض ومن في السماء فيزدادون قوة وقسوة، فيبعث الله عليهم داء في رقابهم فيهلكون اهـ خازن.

قوله: (مبسوطاً) أي: مساوياً للأرض فيغور فيها أو يذوب حتى يصير تراباً اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى الخ) أي: إن كلام ذي القرنين قد تمَّ عند قوله ﴿حقاً﴾، وهذا من جانب الله تعالى اهـ شيخنا.

وغيره ﴿حَقًّا﴾ كائناً، قال تعالى ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي القرن للبعث ﴿جَمَعْنَاهُمْ﴾ أي الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمَعًا﴾ ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا﴾ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من الكافرين ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي القرآن فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم بغضاً له فلا يؤمنون به ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي ملائكتي وعيسى وعزيراً ﴿مِن دُونِ آلِهَائِهِمْ﴾ أرباباً مفعول ثانٍ ليتخذوا، والمفعول الثاني لحسب محذوف، المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿تَرَاهُمْ﴾ أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ﴾

قوله: ﴿وتركنا بعضهم﴾ أي: جعلنا وصيرنا بعضهم يختلط ببعضهم الآخر من شدة الازدحام عند خروجهم، وذلك عقب موت الدجال، فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور فراراً منهم، ثم يسلط الله عليهم دوداً في أنوفهم فيموتون به ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس، ولا يصلون إلى من تحصن منهم بورد أو ذكر اهـ شيخنا.

قوله: (لكثرتهم) أي: وضيق الأرض فإن أرضنا ضيقة جداً بالنسبة لأرضهم كما سبق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونفخ في الصور﴾ أي: النفخة الثانية بدليل الفاء التعقيبية في قوله: ﴿فجمعناهم﴾ اهـ

شيخنا.

قوله: (أي الخلائق) أي يأجوج ومأجوج وغيرهم اهـ شيخنا.

قوله: (قربنا) أي أظهرناها مع قربهم منها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذين كانت أعينهم﴾ أي: قلوبهم أي بصائرهم اهـ شيخنا.

وقوله: (بدل من الكافرين) عبارة السمين: يجوز أن يكون مجروراً بدلاً من للكافرين أو بياناً أو نعتاً، وأن يكون منصوباً بإضمار أذم، وأن يكون مرفوعاً خبر مبتدأ مضمرة اهـ.

قوله: ﴿أفحسب الذين﴾ الخ استفهام تقريع وتوبيخ، والفاء عاطفة على مقدر أي اكفروا فحسبوا والتوبيخ على كل من المعطوف والمعطوف عليه، والذين كفروا فاعل اهـ شيخنا.

قوله: (وعزيراً) هذا لقبه، واسمه قطفير أو أطفير قاله السيوطي في التحبير اهـ.

قوله: (مفعول ثانٍ) أي والأول عبادي فاتخذ مفعولاه مذكوران، وقوله: (والمفعول الثاني الخ).

أي والأول أن يتخذوا الخ اهـ شيخنا.

وجعل السمين قوله: ﴿أن يتخذوا﴾ ساداً مسد مفعولي حسب ولا حذف في الكلام تأمل.

قوله: (كلا) ردع وزجر أي: لا ينبغي ولا يليق هذا الحساب، وقوله: ﴿إنا أعتدنا﴾ أي أعددنا وهياناً. قوله: (هؤلاء) أي: الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيراً، وقوله: (وغيرهم) أي بقية الكفار اهـ شيخنا.

﴿أَعْمَلًا﴾ تمييز طابق المميز، وبينهم بقوله ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملاً يجازون عليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿فَحِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي لا نجعل لهم قدراً ﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره، ابتداء ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي مهزواً بهما ﴿إِنَّ

قوله: (كالمنزل المعد للضيف) أي: ففي الكلام نوع استهزاء بهم حيث سمي محل عذابهم نزلاً. والنزل: اسم لمكان الضيف اهـ شيخنا.

وفي تقييد النزول بمكان الضيف نظر، ففي القاموس ما يقتضي أن كل منزل يقال له نزل ونصه: والنزل بضمين المنزل وما يهيأ للضيف أن ينزل عليه، والجمع أنزال والطعام ذو البركة كالتنزيل والفضل والعطاء اهـ.

قوله: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ﴾ جمع أخسر أي أشد خسراناً من غيرهم أو بمعنى خاسر، وقوله: (طابق المميز) جواب سؤال حاصله كيف جمع التمييز مع أن أصله الأفراد، وكيف جمع المصدر وهو لا يثنى ولا يجمع، وحاصل الجواب: أن جمعه لمشاكلة المميز اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ﴾ محله الرفع على الخبر المحذوف، فإن جواب السؤال أو الجر على البديل أو النصب على الذم اهـ بيبضاوي.

وقوله: (أو الجر) وعليه يكون الجواب قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ كما في أبي السعود اهـ شيخنا.

قوله: (بطل عملهم) كالتعق والوقف وإغاثة الملهوف، لأن الكفر لا تنفع معه طاعة اهـ شيخنا.
قوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ الجملة حال من فاعل ضل. قوله: (أي وبالبعث والحساب الخ) أشار به إلى أن لفظ اللقاء وإن كان في الأصل عبارة عن الوصول. قال الله تعالى: ﴿فَالْقَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢] وذلك في حق الله تعالى محال، فوجب حمله على ما ذكره وهو مجاز شائع اهـ كرخي.

قوله: (أي لا نجعل لهم قدراً) أي بل نزيدهم ونستذلهم، وإنما أوّل الشارح بذلك لأن الكفار توزن أعمالهم على التحقيق، وبعضهم قال: في الآية حذف النعت أي وزناً نافعاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره بقوله أي الأمر، وقوله: (الذي ذكرت الخ) تفسير لاسم الإشارة الواقع خبراً. وفي السمين: قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ فيه أربعة أوجه.

أحدها: أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك، وجزاؤهم جهنم جملة برأسها.

الثاني: أن يكون ذلك مبتدأ أول، وجزاؤهم مبتدأ ثان، وجهنم خبره وهو وخبره خبر الأول، والعائد محذوف أي جزاؤهم به.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلاها بالإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلاً: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنَّا حَوْلًا﴾ تحولاً إلى غيرها ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لَكَلَّمْتُ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجائه بأن

الثالث: أن ذلك مبتدأ، وجزاؤهم بدل أو بيان وجههم خبره.

الرابع: أن يكون ذلك مبتدأ أيضاً، وجزاؤهم خبره، وجههم بدل أو بيان أو خبر مبتدأ مضمراً.

قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه عطف على كفروا، فيكون محله الرفع لعطفه على خبر أن. والثاني: أنه مستأنف فلا محل له، والباء في قوله ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ لا يجوز تعلقها بجزاؤهم للفصل بين المصدر ومعموله اهـ سمين.

وقوله: (للفصل بين المصدر الخ) ممنوع، وذلك لأن الخبر من معمولات المبتدأ فليس أجنبياً فالحق أن هذا الجار متعلق بالمبتدأ الذي هو جزاؤهم. قوله: (في علم الله) أشار به إلى جواب ما عساه أن يقال المقام للمضارع، فما وجه المضارع؟ وحاصل الجواب: أن الكينونة المذكورة بحسب علم الله الأزلي وإن كانت الكينونة المقارنة للدخول ستحصل، وقوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حال من الضمير في لهم، وهذا أيضاً باعتبار الأزل أي حال كونهم محكوماً لهم في الأزل بالخلود فيها اهـ شيخنا.

قوله: (هو وسط الجنة) أي المكان المتوسط بين أجزائها، وقوله: (وأعلاه) أي باعتبار الدرجات والقصور فقد ورد أن درجات الجنة مائة درجة كل درجة مائة سنة، وقوله: (والإضافة الخ) ولعل وجه الجمع على هذا اعتبار ما فيه أي في الفردوس من القصور وغيرها فكأنه جنان متعددة اهـ شيخنا.

قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأفضلها وأوسعها وأرفعها اهـ خازن.

وفي السمين: والفردوس الجنة من الكرم خاصة، وقيل: بل ما كان غالبها كرمًا، كل ما حوط فهو فردوس والجمع فراديس. قال المبرد: والفردوس فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب عليه أن يكون من العنب. وحكى الزجاج أنها الأودية التي تنبت ضرورياً من النبات واختلف فيه، فقيل: هو عربي، وقيل: أعجمي، وقيل: هورومي، وقيل: فارسي، وقيل: سرياني اهـ.

قوله: ﴿نُزُلًا﴾ فيه ما تقدم من كونه اسم مكان النزول أو ما يعد للضيف، وفي نصبه وجهان، أحدهما: أنه خبر كانت، ولهم متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلاً، أو على البيان، أو بكانت عند من يرى ذلك. والثاني: أنه حال من جنات أي ذوات نزل والخبر جار اهـ سمين.

قوله: (تحولاً) فحول مصدر سماعي لتحول اهـ شيخنا.

وفي السمين: والحوّل قيل: مصدر بمعنى التحول، يقال: حال عن مكانه حولاً فهو مصدر كالعوج والصغر اهـ.

قوله: ﴿قُلْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ الخ لما قالت اليهود يا محمد تزعم أننا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] ثم يقول ﴿وما أوتيتم من العلم إلا

تكتب به ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَنْ نَفِدَ﴾ بالتاء والياء تفرغ ﴿كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿يَقُولُكَ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾ أن المكفوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى يوحى إليّ وحدانية الإله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي فيها بأن يراني ﴿لَمَدًا﴾.

قليلاً [الإسراء: ٨٥] فأنزل الله هذه الآية. وقيل: لما نزل: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله: ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ الآية اهـ خازن.
قوله: (أي ماؤه) أشار به إلى أن الكلام على حذف المضاف، وذلك لأن البحر حقيقته اللغوية الحفيرة بين الحافتين فاطلاقة على الماء تجوز اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لكلمات ربي﴾ قال بعضهم: المراد بها معلوماته، وقال بعضهم: المراد بها الكلمات النفسية غير أن تعلق الكتب بها على هذين فيه نوع خفاء، ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة، ويكون عدم تناهيها باعتبار مدلولاتها، ويرجع المعنى إلى تقدير المضاف أي: لمعنى كلمات ربي، وكأن الشارح أشار بقوله: (الدالة الخ) إلى هذا الوجه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لنفد البحر﴾ أي: فني. وفي المصباح: نفد ينفد من باب تعب نفاداً فني وانقطع ويتعدى بالهمزة، فيقال: أنفدته إذا أفنيته اهـ.
قوله: (بالتاء) أي: لتأنيث لفظ الكلمات، وقوله: (والياء) أي لأن تأنيث الكلمات غير حقيقي، والقراءتان سبعيتان اهـ من السمين.

قوله: ﴿ولو جئنا بمثله مدداً﴾ لو: شرطية وجوابها محذوف قدره بقوله: ﴿لنفد﴾ وأشار بقوله: (ولم تفرغ) إلى جواب سؤال حاصله أن الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها، لأن مقتضى قوله: ﴿قبل أن تنفذ كلمات ربي﴾ أنها تفرغ بعد فراغ المداد. وحاصل هذا الجواب أن في لفظ قبل معنى غير كما صرح به بعضهم، أي لنفد البحر ولم تنفذ كلمات ربي اهـ شيخنا.
وذكره في الكشف: أن قبل هنا بمعنى غير أو بمعنى دون اهـ.

قوله: (ونصبه) أي مدداً على التمييز. أي: بمثل، فكأنه قيل: ولو جئنا بمثله زيادة، فعلم من هذا ومما سبق أن المدد غير المداد اهـ شيخنا.

قوله: (أن المكفوفة بما الخ) أي فما الكافة وإن كفتها عن العمل لا تخرجها عن المصدرية، وقوله: (وحدانية الإله) هو المصدر المأخوذ من خبرها، ولم يفسر الشارح معناه بتمامه، لأن معناها الحصر، فلو فسر لقال: لم يوح إلني إلا وحدانية الإله أي لا تعدده، فالحصر نسبي اهـ شيخنا.
قوله: (يأمل) في نسخة يؤمل.

قوله: ﴿عملاً صالحاً﴾ أي: مستوفياً لمعتبراته شرعاً والله أعلم اهـ شيخنا.
انتهى بعونه تعالى الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله سورة مريم.

فهرس المحتويات

الآيتان: ٢٤ ، ٢٥	٢٥	سورة يوسف	الآيتان: ١ ، ٢	٣
الآيتان: ٢٥ ، ٢٦	٢٦		الآيتان: ٢ ، ٣	٤
الآيتان: ٢٦ ، ٢٧	٢٧		الآيتان: ٣ ، ٤	٥
الآيات: ٢٧ - ٢٩	٢٨		الآية: ٤	٦
الآية: ٣٠	٢٩		الآيتان: ٤ ، ٥	٧
الآيتان: ٣٠ ، ٣١	٣٠		الآيتان: ٥ ، ٦	٨
الآيتان: ٣١ ، ٣٢	٣١		الآيات: ٦ - ٨	٩
الآيتان: ٣٢ ، ٣٣	٣٢		الآيتان: ٨ ، ٩	١٠
الآيات: ٣٤ - ٣٦	٣٣		الآيتان: ٩ ، ١٠	١١
الآية: ٣٦	٣٤		الآيتان: ١٠ ، ١١	١٢
الآية: ٣٧	٣٥		الآيات: ١١ - ١٣	١٣
الآيات: ٣٧ - ٣٩	٣٦		الآيات: ١٣ - ١٥	١٤
الآيات: ٣٩ ، ٤١	٣٧		الآية: ١٥	١٥
الآية: ٤٢	٣٨		الآيات: ١٥ - ١٧	١٦
الآية: ٤٣	٣٩		الآية: ١٨	١٧
الآيتان: ٤٣ ، ٤٤	٤٠		الآيتان: ١٨ ، ١٩	١٨
الآيتان: ٤٤ ، ٤٥	٤١		الآيتان: ١٩ ، ٢٠	١٩
الآيات: ٤٥ - ٤٧	٤٢		الآيتان: ٢٠ ، ٢١	٢٠
الآيات: ٤٧ - ٤٩	٤٣		الآيات: ٢١ - ٢٣	٢١
الآيتان: ٤٩ ، ٥٠	٤٤		الآية: ٢٣	٢٢
الآيتان: ٥٠ ، ٥١	٤٥		الآيتان: ٢٣ ، ٢٤	٢٣
الآيتان: ٥١ ، ٥٢	٤٦		الآية: ٢٤	٢٤
الآيتان: ٥٢ ، ٥٣	٤٧			
الآيتان: ٥٣ ، ٥٤	٤٨			

الآيات : ٩٦ - ٩٨	٨٠
الآية : ٩٩	٨١
الآية : ١٠٠	٨٢
الآية : ١٠١	٨٤
الآيتان : ١٠٢ ، ١٠٣	٨٦
الآيات : ١٠٣ - ١٠٧	٨٧
الآيات : ١٠٧ - ١٠٩	٨٨
الآيتان : ١٠٩ ، ١١٠	٨٩
الآيتان : ١١٠ ، ١١١	٩٠

سورة الرعد

الآيتان : ١ ، ٢	٩١
الآية : ٢	٩٢
الآيتان : ٢ ، ٣	٩٣
الآيتان : ٣ ، ٤	٩٤
الآية : ٤	٩٥
الآيتان : ٤ ، ٥	٩٦
الآيتان : ٥ ، ٦	٩٧
الآية : ٦	٩٨
الآيات : ٦ - ٨	٩٩
الآيات : ٨ - ١٠	١٠٠
الآيتان : ١٠ ، ١١	١٠١
الآيتان : ١١ ، ١٢	١٠٢
الآيات : ١٢ ، ١٣	١٠٣
الآيتان : ١٣ ، ١٤	١٠٤
الآيتان : ١٤ ، ١٥	١٠٥
الآيتان : ١٥ ، ١٦	١٠٦
الآية : ١٦	١٠٧
الآيتان : ١٦ ، ١٧	١٠٨
الآية : ١٧	١٠٩
الآيتان : ١٧ ، ١٨	١١١
الآيات : ١٨ - ٢١	١١٢
الآية : ٥٤	٤٨
الآية : ٥٥	٤٩
الآية : ٥٦	٥٠
الآيات : ٥٦ - ٥٨	٥٢
الآيتان : ٥٨ ، ٥٩	٥٣
الآيات : ٥٩ - ٦٢	٥٤
الآيات : ٦٢ ، ٦٤	٥٥
الآيتان : ٦٤ ، ٦٥	٥٦
الآيات : ٦٥ - ٦٧	٥٧
الآيتان : ٦٧ ، ٦٨	٥٨
الآيتان : ٦٨ ، ٦٩	٥٩
الآيات : ٦٩ - ٧١	٦٠
الآيتان : ٧١ ، ٧٢	٦١
الآيات : ٧٢ - ٧٥	٦٢
الآيتان : ٧٥ ، ٧٦	٦٣
الآية : ٧٦	٦٤
الآيتان : ٧٦ ، ٧٧	٦٥
الآيتان : ٧٧ ، ٧٨	٦٦
الآيات : ٧٨ - ٨٠	٦٧
الآيتان : ٨٠ ، ٨١	٦٨
الآيات : ٨١ - ٨٣	٦٩
الآيتان : ٨٣ ، ٨٤	٧٠
الآيتان : ٨٤ ، ٨٥	٧١
الآيتان : ٨٥ ، ٨٦	٧٢
الآيتان : ٨٦ ، ٨٧	٧٣
الآيتان : ٨٧ ، ٨٨	٧٤
الآيات : ٨٨ - ٩٠	٧٥
الآية : ٩٠	٧٦
الآيتان : ٩٠ ، ٩٢	٧٧
الآيات : ٩٢ - ٩٤	٧٨
الآيات : ٩٤ - ٩٦	٧٩

١٤٣	الآيتان : ١٨ ، ١٩	١١٣	الآيتان : ٢١ ، ٢٢
١٤٤	الآيات : ١٩ - ٢١	١١٤	الآيتان : ٢٣ ، ٢٤
١٤٥	الآيتان : ٢١ ، ٢٢	١١٥	الآيات : ٢٤ - ٢٦
١٤٦	الآية : ٢٢	١١٦	الآيات : ٢٦ - ٢٨
١٤٧	الآيات : ٢٢ - ٢٤	١١٧	الآيتان : ٢٨ ، ٢٩
١٤٨	الآيات : ٢٤ - ٢٦	١١٨	الآيتان : ٢٩ ، ٣٠
١٤٩	الآيات : ٢٦ - ٢٨	١١٩	الآيتان : ٣٠ ، ٣١
١٥٠	الآيات : ٢٨ - ٣١	١٢٠	الآية : ٣١
١٥١	الآيتان : ٣١ ، ٣٢	١٢١	الآيات : ٣١ - ٣٣
١٥٢	الآيات : ٣٢ - ٣٤	١٢٢	الآية : ٣٣
١٥٣	الآيتان : ٣٤ ، ٣٥	١٢٣	الآيات : ٣٣ - ٣٥
١٥٤	الآيتان : ٣٥ ، ٣٦	١٢٤	الآيتان : ٣٥ ، ٣٦
١٥٥	الآية : ٣٦	١٢٥	الآيات : ٣٦ - ٣٨
١٥٦	الآيتان : ٣٦ ، ٣٧	١٢٦	الآيتان : ٣٨ ، ٣٩
١٥٧	الآية : ٣٧	١٢٧	الآية : ٣٩
١٥٨	الآيات : ٣٧ - ٣٩	١٢٨	الآيتان : ٤٠ ، ٤١
١٥٩	الآيات : ٣٩ - ٤١	١٢٩	الآيتان : ٤١ ، ٤٢
١٦٠	الآيتان : ٤١ ، ٤٢	١٣٠	الآيتان : ٤٢ ، ٤٣
١٦١	الآيتان : ٤٢ ، ٤٣		
١٦٢	الآيتان : ٤٣ ، ٤٤		
١٦٣	الآيات : ٤٤ - ٤٦		
١٦٤	الآيتان : ٤٧ ، ٤٨		
١٦٥	الآية : ٤٨		
١٦٧	الآيتان : ٤٨ ، ٤٩		
١٦٨	الآيات : ٥٠ - ٥٢		

سورة إبراهيم

١٦٩	الآيتان : ١ ، ٢	١٣١	الآية : ١
١٧٠	الآيات : ٢ - ٤	١٣٢	الآيات : ١ - ٣
١٧١	الآيات : ٤ - ٦	١٣٣	الآيات : ٣ - ٥
١٧٢	الآيات : ٦ - ٨	١٣٤	الآيتان : ٥ ، ٦
١٧٣	الآيات : ٨ - ١١	١٣٥	الآيات : ٦ - ٨
		١٣٦	الآيتان : ٨ ، ٩
		١٣٧	الآيتان : ٩ ، ١٠
		١٣٨	الآيتان : ١٠ ، ١١
		١٣٩	الآيات : ١١ - ١٣
		١٤٠	الآيات : ١٣ - ١٥
		١٤١	الآيات : ١٥ - ١٧
		١٤٢	الآيتان : ١٧ ، ١٨

سورة الحجر

٢٠٤	الآيات : ٢ - ٤	١٧٤	الآيات : ١١ - ١٣
٢٠٥	الآية : ٥	١٧٥	الآيات : ١٤ - ١٦
٢٠٦	الآيات : ٥ - ٧	١٧٦	الآيات : ١٦ - ١٩
٢٠٧	الآيات : ٧ - ٩	١٧٧	الآيات : ١٩ - ٢١
٢٠٨	الآية : ٩	١٧٨	الآيتان : ٢١ ، ٢٢
٢٠٩	الآيات : ٩ - ١١	١٧٩	الآيات : ٢٢ - ٢٥
٢١٠	الآيتان : ١١ ، ١٢	١٨٠	الآيات : ٢٥ - ٢٨
٢١١	الآيات : ١٢ - ١٤	١٨١	الآيات : ٢٨ - ٣٢
٢١٢	الآيتان : ١٤ ، ١٥	١٨٢	الآيات : ٣٢ - ٣٤
٢١٣	الآيات : ١٦ - ١٨	١٨٣	الآيات : ٣٥ - ٣٩
٢١٤	الآيات : ١٨ - ٢١	١٨٤	الآيات : ٤٠ - ٤٤
٢١٥	الآيتان : ٢٢ ، ٢٣	١٨٥	الآيتان : ٤٤ ، ٤٥
٢١٦	الآيتان : ٢٤ ، ٢٥	١٨٦	الآيات : ٤٦ - ٤٨
٢١٧	الآيتان : ٢٥ ، ٢٦	١٨٧	الآيتان : ٤٨ ، ٤٩
٢١٨	الآية : ٢٦	١٨٨	الآيات : ٤٩ - ٥٣
٢١٩	الآيات : ٢٦ - ٢٨	١٨٩	الآيات : ٥٤ - ٥٨
٢٢٠	الآيات : ٢٨ - ٣٠	١٩٠	الآيتان : ٥٩ ، ٦٠
٢٢١	الآيات : ٣٠ - ٣٢	١٩١	الآيات : ٦٠ - ٦٥
٢٢٢	الآيات : ٣٢ - ٣٥	١٩٢	الآيات : ٦٦ - ٦٨
٢٢٣	الآيتان : ٣٥ ، ٣٦	١٩٣	الآيات : ٦٨ - ٧٢
٢٢٤	الآيات : ٣٦ - ٣٨	١٩٤	الآيات : ٧٢ - ٧٦
٢٢٥	الآيات : ٣٨ - ٤٠	١٩٥	الآيات : ٧٧ - ٨٠
٢٢٦	الآيات : ٤١ - ٤٣	١٩٦	الآيات : ٨٠ - ٨٤
٢٢٧	الآية : ٤٤	١٩٧	الآيات : ٨٥ - ٨٧
٢٢٨	الآيات : ٤٥ - ٤٧	١٩٨	الآيات : ٨٨ - ٩١
٢٢٩	الآية : ٤٨	١٩٩	الآية : ٩١
٢٣٠	الآيتان : ٤٨ ، ٤٩	٢٠٠	الآيات : ٩٢ - ٩٦
٢٣١	الآيتان : ٤٩ ، ٥٠	٢٠١	الآيات : ٩٦ - ٩٩
٢٣٢	الآيات : ٥٠ - ٥٢	سورة النحل	
٢٣٣	الآية : ٥٣		
٢٣٤	الآيات : ٥٤ - ٥٦		
		٢٠٢	الآية : ١
		٢٠٣	الآيتان : ١ ، ٢

٢٦٧	الآيتان : ٩٦ ، ٩٧	٢٣٥	الآيات : ٥٦ - ٥٨
٢٦٨	الآيات : ٩٧ - ١٠١	٢٣٦	الآيات : ٥٨ - ٦٠
٢٦٩	الآيات : ١٠١ - ١٠٣	٢٣٧	الآيات : ٦٠ - ٦٢
٢٧٠	الآيات : ١٠٣ - ١٠٥	٢٣٨	الآيتان : ٦٢ ، ٦٣
٢٧١	الآيتان : ١٠٥ ، ١٠٦	٢٣٩	الآيات : ٦٣ - ٦٥
٢٧٢	الآيات : ١٠٦ - ١١٠	٢٤٠	الآيات : ٦٥ - ٦٧
٢٧٣	الآيتان : ١١٠ ، ١١١	٢٤١	الآية : ٦٧
٢٧٤	الآيتان : ١١١ ، ١١٢	٢٤٢	الآيتان : ٦٧ ، ٦٨
٢٧٥	الآية : ١١٢	٢٤٣	الآيتان : ٦٨ ، ٦٩
٢٧٦	الآيات : ١١٢ - ١١٥	٢٤٤	الآية : ٦٩
٢٧٧	الآيات : ١١٦ - ١١٩	٢٤٦	الآيتان : ٦٩ ، ٧٠
٢٧٨	الآيات : ١١٩ - ١٢٢	٢٤٧	الآيتان : ٧٠ ، ٧١
٢٧٩	الآيات : ١٢٢ - ١٢٤	٢٤٨	الآيتان : ٧١ ، ٧٢
٢٨٠	الآية : ١٢٤	٢٤٩	الآيتان : ٧٢ ، ٧٣
٢٨١	الآيتان : ١٢٤ ، ١٢٥	٢٥٠	الآيتان : ٧٤ ، ٧٥
٢٨٢	الآيتان : ١٢٥ ، ١٢٦	٢٥١	الآية : ٧٥
٢٨٣	الآيتان : ١٢٦ ، ١٢٧	٢٥٢	الآيتان : ٧٥ ، ٧٦
٢٨٤	الآيتان : ١٢٧ ، ١٢٨	٢٥٣	الآية : ٧٧

سورة الإسراء

٢٨٥	الآية : ١	٢٥٤	الآيات : ٧٧ - ٨٠
٢٩٤	الآيات : ٢ - ٤	٢٥٥	الآية : ٨٠
٢٩٥	الآيتان : ٤ ، ٥	٢٥٦	الآيتان : ٨٠ ، ٨١
٢٩٦	الآية : ٥	٢٥٧	الآيات : ٨١ - ٨٣
٢٩٧	الآيتان : ٦ ، ٧	٢٥٨	الآيتان : ٨٤ ، ٨٥
٢٩٨	الآية : ٧	٢٥٩	الآيتان : ٨٥ ، ٨٦
٢٩٩	الآيات : ٨ - ١١	٢٦٠	الآيات : ٨٧ - ٨٩
٣٠٠	الآيتان : ١١ ، ١٢	٢٦١	الآيتان : ٨٩ ، ٩٠
٣٠١	الآيتان : ١٢ ، ١٣	٢٦٢	الآية : ٩١
٣٠٢	الآيات : ١٣ - ١٥	٢٦٣	الآيتان : ٩١ ، ٩٢
٣٠٣	الآيات : ١٥ - ١٧	٢٦٤	الآية : ٩٢
٣٠٤	الآيات : ١٧ - ١٩	٢٦٥	الآيات : ٩٢ - ٩٥
		٢٦٦	الآيتان : ٩٥ ، ٩٦

٣٣٦	الآيتان: ٧٣، ٧٤	٣٠٥	الآيات: ١٩ - ٢٢
٣٣٧	الآية: ٧٥	٣٠٦	الآيتان: ٢٢، ٢٣
٣٣٨	الآيات: ٧٦ - ٧٨	٣٠٧	الآيتان: ٢٣، ٢٤
٣٣٩	الآية: ٧٨	٣٠٨	الآيتان: ٢٤، ٢٥
٣٤٠	الآية: ٧٩	٣٠٩	الآيات: ٢٦ - ٢٨
٣٤١	الآيتان: ٧٩، ٨٠	٣١٠	الآيات: ٢٨ - ٣١
٣٤٢	الآيتان: ٨٠، ٨١	٣١١	الآيات: ٣١ - ٣٤
٣٤٣	الآيتان: ٨٢، ٨٣	٣١٢	الآيات: ٣٤ - ٣٦
٣٤٤	الآيات: ٨٣ - ٨٥	٣١٣	الآيات: ٣٦ - ٣٨
٣٤٥	الآية: ٨٥	٣١٤	الآيتان: ٣٨، ٣٩
٣٤٦	الآيات: ٨٥ - ٨٧	٣١٥	الآيات: ٣٩ - ٤١
٣٤٧	الآيات: ٨٨ - ٩٠	٣١٦	الآيات: ٤١ - ٤٤
٣٤٨	الآيات: ٩٠ - ٩٢	٣١٧	الآيتان: ٤٤، ٤٥
٣٤٩	الآيتان: ٩٢، ٩٣	٣١٨	الآيات: ٤٦ - ٥١
٣٥٠	الآيات: ٩٣ - ٩٥	٣١٩	الآية: ٥١
٣٥١	الآيات: ٩٥ - ٩٧	٣٢٠	الآيتان: ٥١، ٥٢
٣٥٢	الآيتان: ٩٧ - ٩٨	٣٢١	الآيات: ٥٢ - ٥٤
٣٥٣	الآيات: ٩٨ - ١٠٠	٣٢٢	الآيات: ٥٤ - ٥٦
٣٥٤	الآيتان: ١٠٠، ١٠١	٣٢٣	الآيتان: ٥٦، ٥٧
٣٥٥	الآيتان: ١٠١، ١٠٢	٣٢٤	الآيات: ٥٧ - ٥٩
٣٥٦	الآيتان: ١٠٢، ١٠٣	٣٢٥	الآيتان: ٥٩، ٦٠
٣٥٧	الآيات: ١٠٣ - ١٠٥	٣٢٦	الآيات: ٦٠ - ٦٢
٣٥٨	الآيتان: ١٠٥، ١٠٦	٣٢٧	الآية: ٦٢
٣٥٩	الآيات: ١٠٦ - ١٠٩	٣٢٨	الآيات: ٦٢ - ٦٤
٣٦٠	الآية: ١١٠	٣٢٩	الآيتان: ٦٤، ٦٥
٣٧٩	الآيتان: ١١٠، ١١١	٣٣٠	الآيات: ٦٥ - ٦٧
٣٨٠	الآية: ١١١	٣٣١	الآيات: ٦٧ - ٦٩

سورة الكهف

٣٨٦	الآيتان: ١، ٢	٣٣٣	الآية: ٧٠
٣٨٧	الآية: ٢	٣٣٤	الآية: ٧١
٣٨٨	الآيات: ٢ - ٥	٣٣٥	الآيتان: ٧١، ٧٢

٤٢٢	الآيتان : ٣٩ ، ٤٠	٣٨٩	الآيتان : ٥ ، ٦
٤٢٣	الآيات : ٤٠ - ٤٣	٣٩٠	الآيتان : ٦ ، ٧
٤٢٤	الآيات : ٤٣ - ٤٥	٣٩١	الآيتان : ٨ ، ٩
٤٢٥	الآيتان : ٤٥ ، ٤٦	٣٩٢	الآيتان : ٩ ، ١٠
٤٢٦	الآيات : ٤٦ - ٤٨	٣٩٣	الآيات : ١٠ - ١٢
٤٢٧	الآيتان : ٤٨ ، ٤٩	٣٩٤	الآية : ١٢
٤٢٨	الآيتان : ٤٩ ، ٥٠	٣٩٥	الآيتان : ١٢ ، ١٣
٤٢٩	الآية : ٥٠	٣٩٦	الآية : ١٣
٤٣٠	الآيات : ٥٠ - ٥٣	٣٩٧	الآيتان : ١٣ ، ١٤
٤٣١	الآيات : ٥٣ - ٥٥	٣٩٨	الآيات : ١٤ - ١٦
٤٣٢	الآيات : ٥٥ - ٥٧	٣٩٩	الآيتان : ١٦ ، ١٧
٤٣٣	الآيات : ٥٧ - ٥٩	٤٠٠	الآيتان : ١٧ ، ١٨
٤٣٤	الآيتان : ٥٩ ، ٦٠	٤٠١	الآية : ١٨
٤٣٥	الآيتان : ٦٠ ، ٦١	٤٠٣	الآية : ١٩
٤٣٦	الآيتان : ٦١ ، ٦٢	٤٠٥	الآيات : ١٩ - ٢١
٤٣٧	الآيتان : ٦٢ ، ٦٣	٤٠٦	الآية : ٢١
٤٣٨	الآيتان : ٦٤ ، ٦٥	٤٠٧	الآيتان : ٢١ ، ٢٢
٤٣٩	الآية : ٦٥	٤٠٨	الآية : ٢٢
٤٤٠	الآية : ٦٦	٤٠٩	الآيات : ٢٢ - ٢٤
٤٤١	الآيات : ٦٧ - ٦٩	٤١٠	الآية : ٢٤
٤٤٢	الآيات : ٦٩ - ٧١	٤١١	الآية : ٢٥
٤٤٣	الآيات : ٧١ - ٧٤	٤١٢	الآيتان : ٢٥ ، ٢٦
٤٤٤	الآيات : ٧٤ - ٧٦	٤١٣	الآيات : ٢٦ - ٢٨
٤٤٥	الآية : ٧٧	٤١٤	الآيتان : ٢٨ ، ٢٩
٤٤٦	الآيتان : ٧٨ ، ٧٩	٤١٥	الآية : ٢٩
٤٤٧	الآيتان : ٧٩ ، ٨٠	٤١٦	الآيات : ٢٩ - ٣١
٤٤٨	الآيتان : ٨١ ، ٨٢	٤١٧	الآيتان : ٣١ ، ٣٢
٤٤٩	الآية : ٨٢	٤١٨	الآيتان : ٣٢ ، ٣٣
٤٥٠	الآيتان : ٨٢ ، ٨٣	٤١٩	الآيات : ٣٣ - ٣٥
٤٥١	الآيتان : ٨٣ ، ٨٤	٤٢٠	الآيات : ٣٥ - ٣٧
٤٥٢	الآيتان : ٨٤ ، ٨٥	٤٢١	الآيات : ٣٧ - ٣٩

٤٥٩	الآيتان: ٩٦ ، ٩٥	٤٥٣	الآية: ٨٥
٤٦٠	الآيتان: ٩٨ ، ٩٧	٤٥٤	الآيات: ٨٦ - ٨٩
٤٦١	الآيات: ٩٨ - ١٠٣	٤٥٥	الآيتان: ٩٠ ، ٩١
٤٦٢	الآيات: ١٠٣ - ١٠٧	٤٥٦	الآيات: ٩١ - ٩٣
٤٦٣	الآيات: ١٠٧ - ١٠٩	٤٥٧	الآيتان: ٩٣ ، ٩٤
٤٦٤	الآيتان: ١٠٩ ، ١١٠	٤٥٨	الآيتان: ٩٤ ، ٩٥